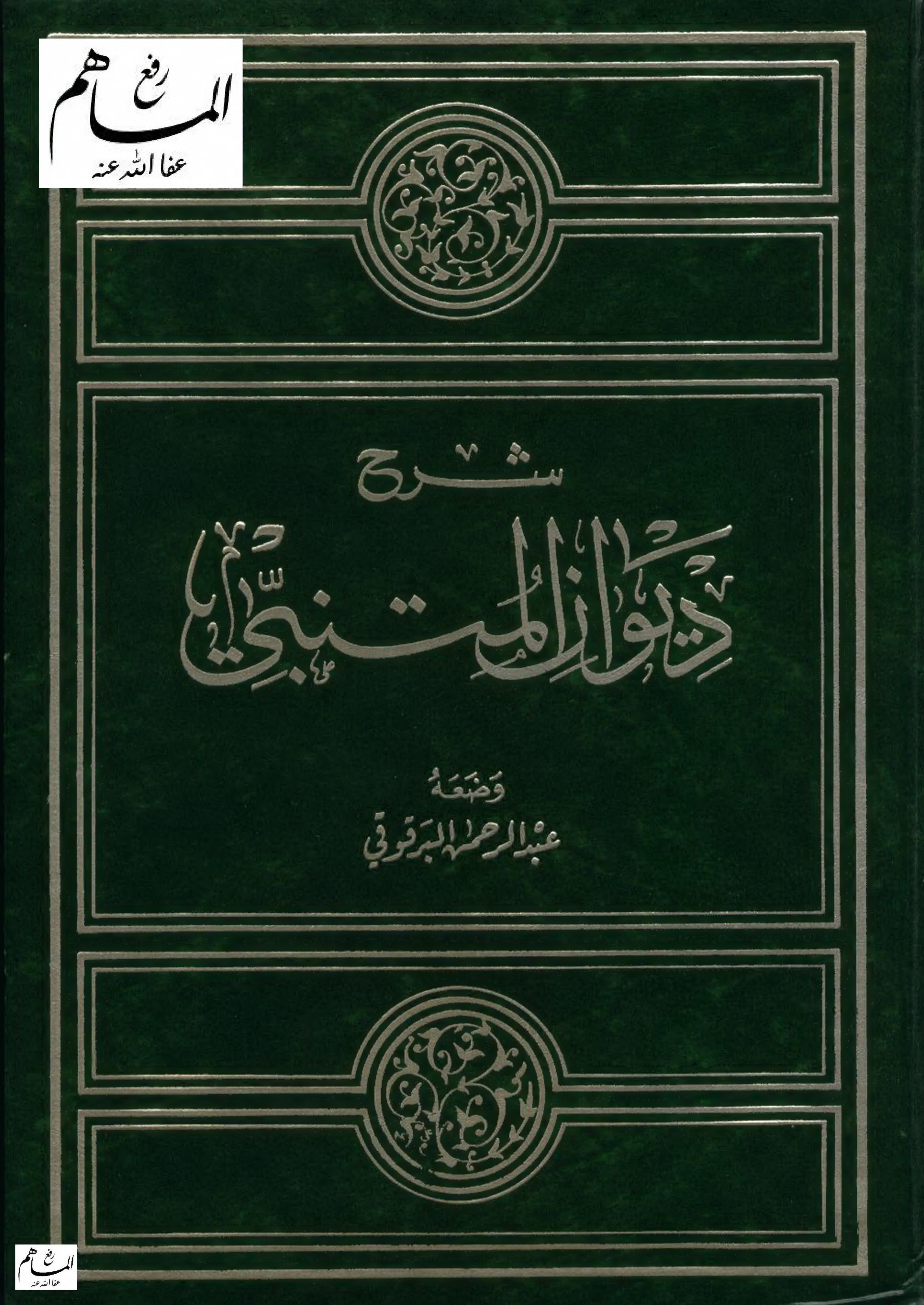

رفع
الماهم
عفا الله عنه
شرح
ديوان المتنبي
وضعه
عبد الرحمن البرقوقي
رفع
الماهم
عفا الله عنه

شرح
ديوان المتنبّي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب، بحيث تلاقت
في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها
وصار بذلك مغنياً عن جميع الشروح

الجزء الأول

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م
بيروت ـ لبنان

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبى[1] أُخْرِجُهُ بعد شرحى ديوانَ حَسَّان الذى أخرجته فى العام الماضى ، ورآه القراء وعرَفوا من مقدمته ما كابدت فيه

---

[1] أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة فى محلة تسمى كندة ، فنسب إليها ، وليس هو من كندة التى هى قبيلة ، بل هو جعفى القبيلة — بضم الجيم وسكون العين — وهو جعفى بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة - كما ترى - ويقال: إن أباه كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجو المتنبي حيث قال :

أَىُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْـــلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيَّا
عَاشَ حِيناً يَبِيعُ فِى الْكُوفَةِ الْمَـــاءَ وَحِيناً يَبِيعُ مَاءَ الْمُحَيَّا

قدم الشام فى صباه ، وجال فى أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة فى بادية السماوة ، وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب الأخشيدية — فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ؛ ثم استتابه وأطلقه ، ومن ثم سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان - سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة - وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوى — كلام فى مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح كان معه ، فشجه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، فغضب ، وفارق سيف الدولة ،

وفى الحق : إنى لم أعانِ فى المتنبى ما عانَيْتُ فى حسان — على بُعد ما بينهما — وذلك أنَّ المتنبى رَبُّ المعانى الدقاق — كما قال — فللذهن فى شِعره جولان وما دامَ هناكَ ذِهنٌ يَلقفُ ، وذوق يستدقّ ، وملكة بيانية ، وبَصَر بمذاهب الشعر : أمكن إدراكُ ما يَترامَى إليه مِثلُ المتنبى ، ولو بشىء من

وذهب إلى مصر سنة ست واربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشيدى ، وكان يقف بين يدى كافور ، وفى رجليه خفان ، وفى وسطه سيف ومنطقة ، ويركب بحاجبين من مماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه كافور هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى ، فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تغاليه فى شعره وسموه بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : ياقوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى المملكة مع كافور ؟ فحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق يغشاه فى علته ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتنى ـ وصلك الله ـ معتلا وقطعتنى مبلا ، فان رأيت أن لا تحبب العلة إلى ، ولا تكدر الصحة على ـ فعلت إن شاء الله . ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى ، فأجزل جائزته . (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة فى شعبان لثمانية خلون منه ـ عرض له فاتك بن الجهل الأسدى فى عدة من أصحابه ، وكان مع المتنبى أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوهم ، فقتل المتنبى وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية ، وقيل جبال الصافية ـ من الجانب الغربى من سواد بغداد عند دير العاقول ـ وذلك يوم الأربعاء لست بقين ـ وقيل لثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا ـ من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قتل : رثاه أبو القاسم مظفر بن على الطبسى بقوله :

لا رَعَى اللهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ ... إذْ دهَانَا فِى مِثْلِ ذَاكَ اللسَانِ
مَا رَأَى النَّاس ثانِىَ الْمُتَنَبِّى ... أَىُّ ثانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ
كانَ مِنْ نَفْسِهِ الكَبِيرَةِ فِى جَيْشٍ ... وَفِى كِبْرِيَاءِ ذِى سُلْطَانِ
هُوَ فِى شِعْرِهِ نَبِىٌّ وَلَكِنْ ... ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فى المَعَانِى

« اهـ ملخصا من ابن خلكان »

الجهد اللذّ ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبى مخدوم ، وشروحه مُتوافِرة ، ومادته زاخرة ، فـكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا ليناً ، لا إرهاق فيه لخاطر ، ولا إعنات لروية . وهنا قـد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبى مخدوماً وشروحه متوافرة — كما تزعم — فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رِسلك

شىء من أخلاقه وشمائله

حدث على بن حمزة قال : بلوت من أبى الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ماصام ولا صلى ولاقرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة — وهى أنه ماقرأ القرآن — فإنى أظن الراوى يريد أنه ماقرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبى فى فضله وأدبه ودهائه لايفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن فورجه : كان المتنبى رجلاداهية مرّالنفس ، شجاعا ، حافظا للآداب ، عارفا بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه مايشينه إلا بخله وشرهه على المال . .

أقول : وهذا بخل المتنبى هو على الحقيقة مما استتبعه طماحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء . وقد سئل فى ذلك فقال : إن للبخل سببا ، وذلك أنى أذكر — وقد وردت فى صباى من الـكوفة إلى بغداد — فأخذت خمسة دراهم فى جانب منديل ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطاطيخ ؟ . . فقال — بغير اكتراث — اذهب ، فليس هذا من أكلك ; فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل : دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ; فلشدة ما جبهنى به ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهبا إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يامولاى : ها بطيخ باكورة ياجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه



ياهذا . فالمتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثرة قِلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حظه أنْ شَرَحَه وعاق عايه ، ونقده وتعصب له وعليه ، نَيِّفٌ وخمسون أديباً ، بَيْدَ أنَّ المتداوَل من شروحه إنما هو العُكْبَرِى والواحدى واليازجي حَسْبُ : أمّا الواحدى : فلأنّهُ لمْ يُطبَع إلا فى أورُبّه وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدْرَتِه وغلاء ثمنه ، ومن ثَمّ كان فى حكم غير المتداوَل . ثم هو ـ الواحدى ـ وَمِثلهُ العُكبَرِى كلاهما موضوعٌ ذلكَ الوَضعَ الخلق البالىَ العقيم ـ بَعثرَة الأبيات وإثباتَ البيت ثم شرحَه ، وهكذا دَواليك ـ وَضعٌ لايتّفق ومزاج هذا الجيل ، ولا سيما من يبتغى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى ألمّ بالواحدى والعُكبرى معًا ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسَفَ كل الأسف وتتقطعَ نَفْسه حَسَرَاتٍ جرّاء

مسروراً بما فعل ، فقلت : ياهذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلاتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا ! ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لاأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طماح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الحاتمى وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . ـ وكثيراً ما يصيب هذا الداء النوابغ والعبقريين ـ ولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولا . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطبيه النساء . . وكان لا يشرب الخمر . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيما ، وكان عبقريا ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقرى عظيم . والله أعلم . .



ذلكَ الداء الخبيثِ العُياء الذى ألمَّ – ولا يزال يُلِم – بالمطبوعات العربية – داء التصحيف والتحريف – حتى لايكاد يسلم مِنه كتاب عربى ، فذهب بجمال التواليف وشوَّه خَلقَها وصارَ بها إلى حَيثُ تنبوعنها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدرى : ما مصدر هذا الداء ، ولامَن تقع عليه تبَعَةُ هذا الجرم : هل هو الناسخ ؟ – بل الماسخ – [ولقد حاولت – أخيراً – أن أنسخ رسالة فى سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين فى تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نَقْلَ الكرّاسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل ما نسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت ما نسخ منه ضِغثا عَلى إبّالةٍ . . . فما كان إلا أن انصرفَتْ نفسى عن المسألة برُمتِها] . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ؟ !

ولقد لقيت الألاقى فى تصحيح « بروفات » – أو تجارب – المتنبى ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت: إنّ الجهد الذى يُبذَلُ فى سبيل التأليف أهونُ على المرء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح .

وتصوّرْ مقدار ما يَعرُو الإنسان من المضض والامتعاض حين يرى الكتاب – بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح – لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفطن إلى الخطإ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره فى ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما فى ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هُنا كان له – للمؤلف – هو الآخر نصيب من هذا الخطإ وإن كان عذره فى ذلك قائما . . .

أقول : إنّ عيب الواحدى والعكبرى هو ما ذكرت : وَضع لا يتفق وروح العصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفواتٍ تلحق كُلاًّ عَلى حِدَتِه ، وَقصُورٍ أو تَقصير أو إقصار يُلِمُّ بِساحَتِهِ ؛ فإذا أردت أن تجتزىء



بالعكبري – مثلا – وتستغنيَ به عن غيره فإنه لايغنى كل الغناء ، وكذلك الواحدى. ويَزيد الواحدى على العكبرى أنه لايَحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه لايفسر كثيراً من الأبيات ، فكأنه موضوع للمنتهين . ولذا لايؤاتى الشادِين . أما اليازجي أو اليازجيان – الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم – فهما – على فضلهما الذى لاينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء وهو مفعم يقيناً بأن هـذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى طَبّق المفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما – على الرغم من ذلك – يَصْدُق عليهما قول الواحدى فى ابن جِنّيّ : وأما ابن جنى فإنه من الكبار فى صنعة الإعراب والتصريف ، والمحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه إذا تكلم فى المعانى تبلد حماره ، وَلجّ به عثاره . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى ما قالاه – أى اليازجيان – فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لَحا اللهُ ذِى الدُّنيا مُناخاً لِراكِبٍ
فَكلُّ بَعيدِ الهمِّ فِيها مُعَذَّبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لا همّ له لا يخلو فيها من العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟! ولست أدرى : كيف لم يفطنا إلى معنى هذا البيت وهو من الوضوح والجلاء – كما ترى – ؟ . . . على أنهما – فى شرحهما عامة ، لافى شرح هذا البيت – لم يحيدا عن الواحدى والعكبرى قِيدَ أُنمُلة ؛ فهما عمدتاهما ، وعليهما معولهما ، فإذا هما حاولا أن يَتَفصّيَا منهما ، ويستقلاً بالشرح دونهما ، ويأتيا بشىء من عندهما : زلت قدماهما ، وكبا جواداهما ، أوتبلد حماراهما . ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصّر فيه وَمرّض ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

ـ اليازجيين ـ تركا كثيراً من شعر المتنبي الذى يريان فيه خمشاً لوجه الأدب ، وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلا ، وهذه مزية من المزايا قد وفيناها حقها فى هذا الشرح ...

على أنَّا لا نبخس النـــاس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعروها الخَطْرَةَ بَعْدَ الخَطْرَةِ : من الفتور والانتكاس ، وانغلاق الذهن ، وتبلد الحس ، وإظلام البصيرة ، وغؤور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى أحياناً على العيلم الألمعى وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف الثمام ـ كما يقولون ـ فيعتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جنى ـ الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فيلسوف اللغة العربية ، العليم بخصائصها ، الطَبُّ البصير بدقائقها ـ تراه فى شرحه على المتنبي على الرغم من ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي ـ متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : اسألوا الشارح ـ يعنى ابن جنى ـ . وكان ابن جـنى يراجع المتنبي فى كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذى يغزوه . وبرغم ذلك تراه فى كثير من المواضع ـ كما قال الواحدى ـ وقد تبلد حماره ، ولَجَّ به عثاره .

وهكذا تتبعت جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد ـ كابن فورَّجَه ، والعروضى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفليلى ـ فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سَدَادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالـكمال ! !

ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمـادة متوافرة ؛ فقد أكون ـ فى بعض الأوقات ـ مستجما ، نشيطاً ، مهزوزاً . مُرْهَفَ الطَّبْعِ . مَصْقُولَ الذهن ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح ـ من قوافى المتنبي ـ فآتى بمـا أرضى به عن نفسى ، ويعرونى له من الطرب ما يستخفنى ، وأكون



فى أوقات أخرى منقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، فَدما ، بليداً ، لا أكاد أذْهَنُ شيئاً ، وأكون مضطرا إلى العمل ؛ فأشرح — وأنا على هذه الحال — بعض الأبيات ، ثم أعود فى وقت أكون فيه على جمام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأتهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا ندَّ به القلم . . .

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع فى تفكيره نزعة لغوية ، وذاك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخيل ، وأن هذا أصح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصفى نفساً ، وألطف حسا ، وأكثر ألمعية ، إذا أَذِنَتْ أذناه شيئاً شاءهما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من أبيات المعانى الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ فى تأويله مذهباً قد يبـاين مذهب الآخر ، تبعاً لتبـاين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبى :

ولَــكِنْ تأخذُ الآذَانُ منه   عَلَى قَدْرِ القَرَائحِ وَالعُلومِ

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح فى تأويلاتهم لمثل شعر أبى الطيب . ذلك أن المتنبى كان رجلا ماكراً باقعة داهية ، فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعانى التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويُعميها على الناظر فيها ويريغها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطَنَ إلى أن غيره أبو عُذْر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته — كما سنبينه — فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّقَى ، فيظن بعض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكد ذهنه ، ويجهد فكره ، ويسافر فى طلب المعنى أميالا وهو لا يفوت أطراف بنانه ، وينضى إليه رواحل ذهنه وهو على حبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبى :

أَبْلغ ما يُطلَبُ النّجاحُ بِهِ الـــطبعُ وعِنْدَ التعمُّقِ الزَّلَلُ

وهاك شيئاً يرجع إليه ذلك التعقيد الذى نراه فى بعض شعر المتنبى . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة فى حلب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب – فى الشام وفى مصر وفى بغداد وفى فارس – وكانوا له بالمرصاد يتلمسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير – ممن يمدحهم كذلك – شعراء أدباء – وناهيك بسيف الدولة وابن العميد – فكان لذلك كله – يحتشد لكثير من قصائده ويتعمل لها ، ويتنطس فى ألفاظه ومعانيه ، ويحتفل ، ويمعن فى الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزًّا جافاً معقداً حُرِم طُلاوة الطبع ورونقه ، وفَقَدَ نصف الجمال الشعرى .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشىء لم يفطن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يَصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذى هو به أليق ، ذلك أن المتنبى – للأسباب التى أسلفناها ، ولسبب آخر سنبينه – تراه فى أكثر شعره ينقصه التعبير الشعرى ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه فى الصنعة والاحتفال بالمعنى – وهو أبو تمام .

وإنى لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهى : إنما حبيب أبو تمام كالقاضى العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى فى كلامه ، ويتحرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعَنوة ، كالشجاع الجرىء : يهجم ما يريده ، ولا يبالى ما لقى ولا حيث وقع اﻫ .

فأنت – إذا نظرت إلى أبى تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعانى الدقاق وترى الصنعة – من الجناس والمطابقة وما إليهما – وترى – مع ذلك كله –



التعبير الشعرى : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ، وتساوق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوي الذى يطالعك من بين فِقَره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة ــ أبو تمام ، والبحترى ، والمتنبي ــ هم لات الشعر ، وعُزّاه ، ومَنَاتُهْ ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل ألباب وأذهان ، وقد شُهِد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برّز فيه على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أعِنَّةُ الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، فخذ مِنّى فى ذلك قول حكيم ، وتعلَّمْ ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبوعبادة البحترى : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنَّى ، ولقد حاز طَرَفَيِ الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينا يكون فى شظف نجد إذ تشبث بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، ورق فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرت عنه



خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لـكنه حظى فى شعره بالحـكم والأمثال ، واختص بالإبداع فى وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولا لست فيه متأثماً ، ولامنه متلثما : وذلك أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقــابلا ، والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه فى ذلك تضل بسالـكه وتقوم بعذر تاركه ، ولاشك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عِيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تَطلُبَنَّ كَـــرِيماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ... إن الـكِرَامَ بأَسْخَاهُمْ يَداً خَتمُوا

وَلا تُبَالِ بِشِـــعرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ ... قد أُفْسِدَ القَوْلُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

ولمـا تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التى ما ضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس فى الغاية التى انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذى يساويه فيه ،غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس فى الغاية المتقهقرة التى لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هى التى ألبسته لباس الملام ، وجعلت عِرضَهُ غرضاً لسهام الأقوام » اهـ كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذى يعاب على أبى الطيب ويُظن أنه يتخوّنه ويَشِينهُ : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذى لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالـكلام إنما هو من الـكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، و بطريقته فى التوليد تقوم طريقته فى الشــعر ؛ فمن ثَمَّ يختلف الشعراء و يمتاز واحد من واحد وتَبِينُ طَرِيقة منْ طريقة وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد يأتى مائة شاعر بالمعنى الذى لايختلف فى الطبيعة ولا فى السياق ولا فى الفهم،

فيديرونه فى مائة بيت تكون فى مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعتهم فى أخذه مختلفة ، وتراهم قد تناولوه بوجوه كثيرة تُحقق فيه عمل أمزجتهم، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجرى به فى طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ[١] فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع متهالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ و بطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثًّا باليا ؛ وذهب مع الذاهبين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا لنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت فى القرائح مادة إلٰهية من الإلهام .

وشأن المتنبى كالشأن فى نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا ينبغ بإرادته ، ولا ينبغ بأن يخلق فى نفســه مادة ليست فيها ، و إنما هو يولد مُهَيَّئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفى أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ ـ كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس ـ ثم تتفاوت هذه القوى فى النوابغ ؛ فتتنوع وتتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ و يستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنًى من المعانى تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، و إما زاد فيه ، و إما غيَّره وقلبَهُ ، و إما صبّ على حذوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقه حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بمعان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

---

(١) ومن هنا لاينبغى لك أن تظن حين ترى فى شرحنا هذا مثل قولنا ـــ بعد شرح بعض الأبيات ـــ : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذى هو من خصائص النوابغ . وإنما ذكرنا هذه الأشباه والنظائر : هو لترى كيف يكون التوليد . ولتختار مايحلو . .



بسبيله وجها من الشبه ـ لا قريباً ولا بعيداً ـ وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدرى ما هى ولا أين هى ؟

وكما يُختار النبى يُختار النابغة ـ وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ ـ ولا يصنع النبى أكثر من أن يتلقى عن الوحى ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهى تكون فيه هو وحده بمقام المَلَك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون فى سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكى أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة ـ و بصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان ـ فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشىء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتى به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتهيأ له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبى يأتى أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتعسف ويتخبط ويُسِفّ ، ومع ذلك لا ينفى مثل هذا من شعره ولا يحذفه ، وهو قادر على أن يَنْفَى عنه وليس فى حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التى انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يجيئه الردىء أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذى انبثق له عن الجيد ، كما تضرم النار من مادة ، فإذا هى شُعَل ودخَان ، ثم تضرمها من مادة أخرى فإذا هى لهب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجىء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يتنبه إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبى ، فاشْدُدْ يدك عليه ، وادرس المتنبى على هذه الطريقة ، فستجده نابغة فى جيده ورديئه ، وستجده لا يستطيع غير



المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك ألهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

* * *

أما الإفاضة فى ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتى فيها أحد بجديد . . . وقد أصبح المتنبى — دون غيره من شعراء العربية — كأنه فى غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كالقطعة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعضُ ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبى الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا فى هذه الكلمة ببيان سره الشعرىّ ، ثم أنت — بعد ذلك — فى حقيقة الرجل : أى شعره وشرح شعره الذى نقدمه إليك . . .

* * *

و بعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقينّ فى رُوعك أنه بدْع فى الشروح ، وأنه شىء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّرَّاحُ مِنْ مترَدَّمِ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شىء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكَرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدَام — كما يقول أبو الطيب — وبذلك توافر فيه مالم يتوافر لأىّ شرح من شروح المتنبى على حدته ، فليس يغنى عنه شرح ، ولكنه هو — بحمد الله — يغنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كلُّ فاخر ... وَقَدْ جَمع الرَّحْمَنُ فِيهِ المَعَانيا

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ
٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

عبد الرحمن البرقوقى



مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أَمْضَيْتُ النيةَ ـ سنة ١٣٤٩ هـ ـ سنة ١٩٣٠ م ـ على أن أضعَ شَرْحًا على ديوان أبى الطيب المتنبى ، وأخذتُ فى معالجة هذا العمل ـ وكان الناشرُ إذ ذاك يَحْفِزُنِى حفزاً ، ولا يكاد يُبلعنى ريقى ، وكان يتناول منى « أصول » هذا الشرح دِرَاكًا « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعة نِيئًا لم تنْضِجْهُ نار التثبت والرّوية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمض على وضعه وطبعه أكثرُ من عشرة أشهر ـ لمـّا حَدَث هذا طَفِقْتُ أُقلِّبُ النظر فى هذا الكتاب وأُعِيدُ الكَرَّة ، الخَطْرَةَ بَعْدَ الخَطْرَة ، وكلما أنعمت النظر فى الشرح بدا لى ما يَسُوء ويُكمِدُ ، وَيحُزُّ فى الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير فى شرح بعض الأبيات ، وهُنَيَّات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّه من الأناة والتحقيق....

فلم يك منى إلاّ أن صححت النسخة التى بين يدىّ ، وتناولتها بالتنقيح والتهذيب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة . .

وما زلت على هذه الحال مستعصما بالصبر حتى نَفِدَت نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أحيتْ ميِّتَ الأمل ، وحفزتنى إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمتى إلى التوسع فى هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحا أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايا كل الشروح ؛ وليس ذلك أَثَرَةً منى

واستبدادا بالمتنبي . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكْدَه الإعراب وما يتعلق بالأبيات من جهة النحو والتصريف، وآخرين قصروا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بَيْدَ أن هذه الأشباه – ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرِى ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى تحتاج – هى الأخرى – إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت فى بعض عبارات القُدامَى من الشراح غموضاً يجمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يوائم أذهان هذا الجيل . . فكانَ كلُّ أولئك مما حَفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . فكانَ أن أوْرَدتُ فيه جميع تفاسير الشراح – من متقدمين ومتأخرين – وأقوال نَقَدَة المتنبى – من متعصبين له ومتعصبين عليه – وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلا عن تصحيح الأخطاء التى ألمت بالشرح الأول ، حتى أرْبَى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً للمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدَّعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحقق ، وحَسْبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعا ، وإن كان جُهدَ المُقِلِّ ، وغاية المستطيع ؛ ورحم الله العماد الأصفهانى حين يقول : إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زِيدَ لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جعله مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسط شيئاً فى سيرة المتنبى – ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه – وكذلك رأيت أن أترجم



شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي وَحِكَمَهُ وألحَقْتها بهذه الكلمة .

وإنما نترامى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب — ديوان المتنبي وشرحه ومقدماته — كفيلا بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله — سبحانه — أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ، ويُضْفِي عليه من القبول ما يَعُمُّ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧ هـ — سنة ١٩٣٨ م

سيرة المتنبي *

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي . . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . . الخ .

وجُعفي جد المتنبي : هو جعفي بن سعد العشيرة من مَذْحِج من كهلان من قحطان ، وكندة التي ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبي يعرف بعبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهى هَمْدانية صحيحة النسب ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشراف العلويين ، وكان لأبى الطيب منهم خلصاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبي فى شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، فى أشعار منها :

أَمُنْسِيّ السكُون وحَضْرَمَوْتا ووالدتى وكندة والسبيعا

وقد روى الخطيب عن على بن المحسّن عن أبيه قال : « وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لى به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادى وحدى ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينه وبين

---

* قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ؛ وعمدته فى هذا التلخيص : كتاب «ذكرى المتنبي» للدكتور عبد الوهاب عزام .

القبيلة التى أنتسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لسانى » .

على أن المتنبى قد دافع عن نسبه هذا ، فى القصيدة التى مطلعها :

لا تحسَبوا رَبعكم ولا طَلَله أوّلَ حَيٍّ فِراقُكم قتله

وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بآباء له عظام ، فى قصيدته هذه ، وفى مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .

ولم يكن المتنبى يُعنَى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبى ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التى هو منها ، قال فى إحدى قصائد الصبا :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى

وقال فى رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لى أما

ويقول بعض مؤرخى الأدب العربى : إن بعض شعر المتنبى قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه فى أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدى ، وعلى بن أحمد الطائى ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين فى اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخى يمدحه — بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبى — :

أبت لك ذمّى نخوةٌ يمنية ونفس بها فى مأزقٍ أبداً ترمى

على أن ذلك الذى يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذى يختلف المؤرخون فى تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كندة التى ولد بها المتنبى ، بكندة القبيلة ، شىء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير وتفاهته ، وهو — على الرغم من كل أولئك — عربى قح ، عريق فى عروبته ، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير .



أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المتنبي كان سَقَّاء ، وقد هجاه ابن لنكك البصرى لما سمع بقدومه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لـكن بغداد جاء الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضـــل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع فى الـكوفة الما ء وحينا يبيع ماء المحيا

وروى أن والد المتنبى سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها ومدرها وو برها ، ورده فى القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المتنبي لم يكن رجلا نابه الشأن — كما يرجح الرواة — أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما والدة المتنبى ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنهـا ماتت فى حداثته قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى التى تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لهـا واحترامه الفخم . قال إبَّان احتقاله :

بيدى أيها الأمير الأريب لا لشىء إلا لأنى غريب
وَلأُمٍّ لهـا إذا ذكرتنى دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره — كما أخبرنا الرواة — أنها ماتت فرحاً بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لواجد أثرها البليغ فى حياته وسيرته ولامس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرِى الأحداث مدحاً ولاذما فما بَطْشُها جهلا ولا كفُّها حِلما



وأجمع رواة أخبار المتنبي على أن مولده كان فى محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذى لا ينقع غلة ، جاء فى الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف العلويين ، فكان يتعلم دروس العربية شعراً ولغة وإعرابا » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ فى المتنبي ، وهى أن أحد الورّاقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلا : ياهذا لقد عطلتنى عن بيعه ، فإن كنت تبغى حفظه فى هذه الفترة القصيرة ، فذلك بعيد عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فمالى عليك ؟ قال الرجل : أعطيكه . قال الورّاق : فأمسكت الكتاب أراجع صفحاته والغلام يتلو ما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله فى كمه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب فى البادية فعاد إلى الكوفة عربياً صرفا ، أما مدة إقامته فيها فهى أكثر من سنتين ، قال العلوى : إنه أقام فى البادية سنين ، وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويُرَجّح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عند ما عاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثر بَيِّنٌ فى نفس المتنبي فاض فى بعض أحاديثه وأشعاره .



وقد رحل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء فى «الصبح المنبى» : أن أبا الطيب قال: « وردت فى صباى من الكوفة إلى بغداد » وإنه وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء فى النجوم الزاهرة فى حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبى إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبى قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

ويبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبى ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربى لم تكن جماع ما تلقاه فى كُتَّاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب فى البادية ، وما تعلمه فى بغداد فحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكرى ونفطويه وابن دستويه،ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادى ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر فى أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ الغاية التى فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته » .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبى الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول المعرى فى رسالة الغفران ؛ وفى دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان: إن القصيدة التى مطلعها :

ذِكَرُ الصبا ومَرَاتع الآرام ـــ جَلبت حِمامِى قبل يوم حِمامى

نظمها الشاعر فى رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقى سيف الدولة



بأنطاكية ، ولا ريب أن مرور الشاعر برأس عين كان فى إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى فى شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا والبينُ جارَ على ضعفى وما عدلا

فى القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت فى الشام ، أما ما قبلها ، فقيل فى العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره فى بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فلقى خيراً وصحاباً ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نَبا به ، وضاق بآماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب المجد والسؤدد ورفعة الشأن ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام — أن نلمع إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام — على عهد المتنبي — مقسمة بين الأخشيد وابن رائق ، ثم بين الأخشيد وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسي . وقد ولى محمد بن طغج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدى ولاة يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طغج مصر أيضاً ثم عزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الراضي بالله العباسى عظم أمر ابن طغج ، فأعيدت ولايته على مصر ،



وامتد سلطانه على الشام كلها ، وخلع طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، و بقى الأخشيديون فى دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومى ، والحسين بن عبد الله بن طغج، وهو ابن أخى الأخشيد، وطاهر العلوى، قال فى مساور القصيدتين اللتين مطلعاهما :

جَلَلاً كمابى فَلْيَكُ التبريحُ   أَغِذاءُ ذا الرشإ الأغَنّ الشّيحُ

(و)

أمساور أم قرن شمس هــذا   أم ليث غاب يقدم الأستاذا

ويعنى الشاعر بلفظة «الأستاذ» : كافوراً .

وكانت طريق أبى الطيب إلى الشام هى طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وانتهى إلى مَنْبِج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية فى الديوان يمدح بها سعيد بن عبدالله الكلابى المنبجى — وهى القصيدة التى أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى فى مَنْبِج وطَرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضى قُدُماً فى سيرة الشاعر ، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة ، وهى الحادثة التى أثرت أكبر التأثير فى صوغ سيرته فى كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمتنبى ؟ .

***

لاجدال فى أن أبا الطيب سجن بالشام فى أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم ـ كما أنبأ به فى شعره ـ أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بعضهم مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادى: إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادّعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب فى الدعويين ، وحبس دهراً طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضاً رواية عن خلق يتحدثون: « إنه تنبأ فى بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية ، فقاتله وأسره ، وشرد من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه فى السجن حبساً طويلا فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل فى أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى المعرى فى رسالة الغفران : أنه لما حصل فى بنى عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له ـ وقد تبينوا دعواه ـ : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة فى الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسمحة ، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان فى ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام ، فجرحته جرحاً مفرطاً ، فتفل عليها أبو الطيب من ريقه وشد عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها فى يومك ، وعدّ له أياماً وليالى ، فقبل الكاتب ذلك وبرئ الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كمحيي الأموات .

وفى الصبح المنبى : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلثمائة



فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال : ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه — وهو مائة وأربع عشرة عبرة — ثم أراه معجزة ، فمنع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة فى الشام ، ثم إنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلمية من عمل حمص قبض عليه ابن على الهاشمى ، وأمر النجار بأن يجعل فى رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب أبو الطيب من حبسه إلى الوالى :

بيدى أيها الأمير الأريب . . . . الخ

تلك بعض الروايات التى ألصقت بأبى الطيب دعوى النبوة ، وهى روايات واضحة الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولاها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها وتعقبها دعوى العلوية ، فكأنما صح فى ذهن جمهرة الرواة أنه تنبأ فجعلوا فى رواياتهم مصداق ما سمعوه وصح فى أذهانهم ، وأما الثانية فهى رواية عن خَلق يتحدثون ، وهذه مقطوع ببطلانها مقضىّ بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة الحواشى ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعرى فهى حديث خرافة أيضاً ، لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شىء بعيد الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبى تنبأ فعلا فمن المقطوع به أن أحداً من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فناطقة بالكذب الصريح والتلفيق البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض أوله آخره.

والذى يسهل على التصديق ويدخل فى نطاق الواقع من أيسر سبيل أن أبا الطيب لقب بالمتنبى لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاظمه ، ففى الديوان قطعة جاء قبلها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى على ما كان قد شاهد من تهوره فقال :



أيا عبد الإله معـــاذ إنى   خفى عنك فى الهيجا مقامى .

وليس فى هذه القطعة إلا المخاطرة ومصاولة الخطوب فى سبيل ما يطمح إليه من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات التى حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبى : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائشى نبله ، على الحداثة فى سنه ، والغضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأدّى خبره إلى والى البلدة ، ورفع إليه ما همّ به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسايرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبى بعد ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ فى صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه » وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لاكته الألسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخى : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ﻫ عنــد اجتيازه بها إلى فارس فى حديث طويل جرى بيننا عن معنى المتنبى ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابنى بجواب مغالط لى وهو أن قال : هــذا شىء كان فى الحداثة » .

ويقول ابن جنى فى شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان فى صباه ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى فى تلقيبه بالمتنبى فهو قوله :

أنا فى أمـــة تداركها اللـــه   غريب كصالح فى ثمود

وذلك رأى نميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته فى الاعتقال ومطلعها :



أيَا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخدُودِ وقدَّ قُدُودَ الحِسانِ القُدُود

إن التهمة التى ألصقت بالمتنبى لم تكن ادعاءه النبوة ، وإنما كانت دعوى أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهى اتهامه « بالعدوان على العالمين » أى بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبى ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبى ، وفى أيامنا هذه من أمثال ذلك كثير فى الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب وذاع وسرى فى الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ، ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

***

ونعود إلى سيرة المتنبى فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، أو فى السنة التى بعدها ، ويؤخذ ذلك من أنه قال فى قصيدته التى أرسلها من سجنه إلى الوالى يمدحه :

فوَلَّى بِأشياعِهِ الخرشَنِيُّ كشاء أحس زئير الأسود

والخرشنى هو : بدر الخرشنى والى حلب من قبل الخليفة العباسى ؛ وثابت فى كتب التاريخ أن الأخشيد استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلثمائة بعد أن تركها الخرشنى إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح الخرشنى إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيد على حلب ؛ فيكون سجنه فى هذه السنة أو فى التى تليها .

ولقد لبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير



مستقر على حال ، يقصد الممدوحين ، فيخيبون أمله ، فتثور نفسه ، وتتحكم كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياءه بيده ، وتلجئه الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التنوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدى نائب ابن رائق فى طبرية ، ومساور بن محمد الرومى وإلى حلب ؛ وقد لزم التنوخيين وابن عمار زمناً . وأكثر البلاد نصيباً من مدائحه : منبج ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك فى طرابلس ، وطرسوس ، وجبل جرش ودمشق ، والرملة .

وقد نظم فى تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامعه ويفخر ويثور . وهى القصائد التى أبانت عن آماله وأوضحت عن أحلام نفسه الكبيرة .

* * *

ولم يفِدْ أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل . روى ياقوت فى معجم الأدباء : أن المتنبى لما مدح محمد بن زريق الطرسوسى بقصيدته :

هذِى بَرَزْتِ لنا فَهِجْتِ رَسِيسَا ثُمَّ انْثَنَيْتِ ومَا شَفَيْتِ نَسِيسا

وصله عليها بعشرة دراهم . فقيل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو أم قبيح ، ولكن أزيده لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين درهما . وروى الثعالبى : أن عليا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً حينما مدحه بقصيدته :

بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة



والخمسة من الدراهم ، ولكن الذى لا ريب فيه ، أن كبار الممدوحين أعطوه عطاء ضخماً ، يلائم شعره ومكانته .

***

ولقد كان المتنبي فى عهده هذا ، يبغى المجد والسؤدد ، ويابهج بالملك ، ويبنى صروح الآمال الجسام . قال فى صباه :

ومن يبغ ما أبغى من المجد والعلى   تساوى المحايى عنده والمقاتل

وعند ما لامه معاذ اللاذقى على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إنى   خفى عنك فى الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك فى شعره فى غير موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه العريضة ، لام نفسه وأنّبها تأنيبا .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر الآمال وطلب المجد والسؤدد ، فى أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك فى قصيدته التى مدح بها علىّ ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس فى أحاد   لليلتنا المنوطة بالتناد

وكذلك فى قصيدته التى مدح بهـا المغيث بن على بن بشر العجلى ، والتى مطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام   وعمر مثل ما تهب اللئام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس أنه توعد بقتل الممدوحين أيضاً ، وذلك فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله الخصيبى .



وفى شعر المتنبى : أنه حارب فى سبيل غايته، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :

ومن عجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والسلطان ، الذى وسع صدره هذه الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول فى إحدى قصائد صباه :

أين فضلى إذا قنعت من الدهـــر بعيش معجل التنكيد

ضاق صدرى وطال فى طلب الرز ق قيامى وقل عنه قعودى

ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اظمتنى الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت علىّ مصائبا

ويقول الثعالبى : إن أبا الطيب كان يجشم نفسه أسفاراً أبعد من آماله ، لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة مالاقى فى سبيل غايته من مشقة ، وشح مالقى من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن فيها ، ويخالها بناسها حرباً عايه ، وليس يغيب عن الذهن ماقاله فى تحقير الناس ، من شعر ممعن فى الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعالياً على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه، والإيمان بحقه على أهل زمانه ، ونحسبه كان محقاً فى ذلك ، وإلا لما حفل الناس به إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه الممدوحون بدل أن يسعى إليهم . يقول فى إحدى قصائد صباه :

إن أكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

إلى آخر ماهو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والمجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يمنّى نفسه بالقول



دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى المشيح المجدّ ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل فى سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله فى عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها فى هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمَنِّى النفس ، ويبسط أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل فى رأسه وخياله . فآب صامتاً محتملا يشكو لنفسه مطل الزمان ، ولا يشكو لبنى الإنسان ، فهو يرام دونه بكثير .

***

تلك كانت حالة الشاعر فى بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه فى شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب فى مدائحه الأمراء والحاكمون ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طغج إلى الرملة ليمدحه — وهو أخو الأخشيد كما قدمنا — ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبى العشائر بن حمدان ، فمهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذى هيأ له السعادة والمجد ، وأعانه على الدخول فى زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طغج فى شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتنع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يجف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخلا على ابن طغج فأنشده إياها وهى :

أنا لائمى إن كنتُ وقت اللوائم علمت بما بى بين تلك المعالم

وكان هذا أول شعر للمتنبى أجيز عليه إجازة كبيرة . جاء فى الإيضاح : « أن المتنبى حدّث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طغج ، وفى الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة



أكثرها بيتان ، وقد قيلت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر الشاعر بالرملة قاصداً مصر وهما قوله :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

***

ومدح أبو الطيب فى الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى ، وفى شرح المعرى وشروح أخرى : أن ابن طغج سأل الشاعر مدح أبى القاسم مرات عدة ، وألح عليه فى ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة فى أبى القاسم بدل قصيدة كان يريدها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر إلى أبى القاسم ومعه حاشية ، وجده فى فريق من أشراف قومه يجلس على سريره ، وقد نزل لأبى الطيب عن سريره ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يحدثه ويؤنسه ويجلسه على سريره ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً فى المديح حقاً ، فلم يسمع أحد قبل أبى الطيب أن شاعراً جلس الممدوح بين يديد ، وهذه القصيدة هى :

أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب وردوا رقادى فهو لحظ الحبائب

***

ويجمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غُلِبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء فى أيدى القواد والأمراء ، نشأت فى قبائل العرب أربع دول : هى بنو حمدان بالموصل وحلب (٣١٧ — ٣٩٤ هـ) وبنو مرداس ، وبنو المسيب ، وبنو مريد ، وإنما يعنينا من هذه الدول دولة بنى حمدان التغلبيين، التى أنجبت سيف الدولة الحمدانى، وتنسب هذه العشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بنى تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث



ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحمدان حمدون ، وحمدون حارث وحارث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غُلب عليهما ، فاصطلح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوّج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقرّ له الملك و بسط يده على المدائن كان عليه أن يحمى ذمار ملكه ، وأن يناضل عن بني دينه ولغته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهراً يذود عن العروبة والإسلام. لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقدر له النصر مرات عدّة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقدّر له كذلك أن يلقى الهزائم المرّة ، وكان شر هزائمه واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلا ، ونهبوا دار الأمير وخربوها .

على أن سيف الدولة - الذى أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة - لم يقعده ذلك عن حرب الروم ، فثأر منهم وانتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى



العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى فى حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن فى ميافارقين .

وأضاف فتى الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرماً وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالهم ومحط رحالهم ، فيروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر وفحول الأدب والعلم .

وممن قصده من الشعراء ــ غير أبى الطيب ــ أبو فراس ، وأبو العباس النامى ، وعلى بن عبد الله الناشىء ، والسرى الرفّاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائحه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها فى كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضاً منهم ابن خالويه وأبو على الفارسى ، وأهداه أبو الفرج الأصفهانى كتاب الأغانى فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابى وعاش فى كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من بَعُدَ عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، ونقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد.

***

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببعلبك ، وكان فيها علىّ ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التى مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ فى أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الثلج يكسو أديم الأرض ويغشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته فى أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسى ــ قائد الأخشيديين ــ وفوجىء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبى قصيدته :



إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ، فلما سمع بقدومه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراده إسحاق بن كيغلغ على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك مدحك استصغاراً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح أحداً إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة أملاها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه ابن كيغلغ خيلا ورجلا فأعجزهم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقذع فيها المتنبى وأفحش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .

ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقى أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

* * *

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى ممدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان واليا على أنطاكية من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبى على الشعراء جميعاً ، ومما أوحت به إليه نفسه الطموح التى لا تقبل الهوان ، فقد تعوّد أن يتخذ من ممدوحيه أصدقاء له وصحاباً . وكان سيف الدولة سمح النفس كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبى صديقاً صدوقاً ، وأن يكون هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذى يستطيع أن يشيد بمآثره ، ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبى أن سيف الدولة هو الأمير العربى الذى يجدر

بدرره الغوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبغى مصاحبته شاعر اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجـــد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه   فإنك معطيـــــــه وإنى ناظم

وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع عشرة قصيدة فى وصف وقائعه مع الروم ، وأربع فى وقائعه مع العرب ، وخمس عشرة فى المدح المجرد عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث الروم ، والباقى فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصـــبا ومراتع الآرام   جلبت حمامى قبـل يوم حمامى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصـديق ذلك ، مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبى الذى اعتمدنا عليه فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخته بأخرى ، وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يغدق على شاعره أيّما إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعته :

موقع الخيل من نداك طفيف   ولو أن الجياد فيهـا ألوف



حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعته :

اخترت دهماءتين يا مطر ومن له فى الفضائل الخير

حين خيّره فى فرسين ، إحداهما دهماء والأخرى كميت ، وقال قطعته :

فعلت بنا فعل السماء بأرضه خِلَعُ الأمـير وحقّه لم نقضه

فى خلع أنفذها إليه ، وقال قطعته :

أيا رامياً يُصْمِى فـؤاد مرامه تربّى عـداه ريشها لسهامه

وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير فى معرة النعمان ، وجاء فى الشروح ذكر لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .

وينطق شعر المتنبى فى سيف الدولة ، بالغبطة والرضا ، ويفيض بالشكر الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه فى ثيـابه على طرفه من داره بحسامه

وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الـكريم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن حديث الثورة والقتل الذى غمر شعره الأول وفاض فى كل قصائده إلا قليلا ، وكان يصحبه فى أغلب حروبه ، فتمكن من وصفها وصف الشاهد كما بين فى الديوان .

ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه فى أم الـكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبثها الشاعر فى كنف الأمير كانت أولى قصائد مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم

وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسـد أكل قلوب شعراء سيف الدولة والمحيطين به غـير أبى الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعا بالشـاعر



المتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهرا طوالا .

أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كُثْر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت شمس المتنبي غالبة على شموسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو المتكبر المتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله   إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يأتى من شاعر آخر حبّاً أو وفاء أو إخلاصا .

على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكانته عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد عنى بكبتهم   فأنت الذى صيرتهم لى حسدا

ولا مراء فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائد وناصبوه العداء ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضبنى شويعر   ضعيف يقاوينى قصير يطاول

ويقول غير ذلك كثيرا بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مغرما بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمسا غير القطع ، فكان الأمير يغضب عليه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح المنبى : أن أبا فراس قال للأمير : « إن هذا المتشدق كثير الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفدق مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .



وفى شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ، وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لا يحبّ ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شىء ، فيزيد ذلك فى غيظ سيف الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجلين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :

واحر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمى وحالى عنده ألم

وقد اضطرب المجلس عند إنشاد هذه القصيدة ، وثارت حاشية الأمير مطالبة بدمه ، فرخص الأمير فى ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر فى السامرى — وهو أحد كتاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه — :

أسامرى ضحكة كل راء   فطنت وكنت أغبى الأغبياء

إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقى عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو العشائر جماعة من غلمانه وقفت فى سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى وفى ذلك يقول :

ومنتسب عندى إلى من أحبه   وللنبل حولى من يديه حفيف

ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفيا فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ، فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوما ودخل على الأمير فخلع عليه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه



الأمير هدايا فقال القصدة :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
دعا فلباه قبل الركب والإبل

***

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه فى القصيدة :

دروع لملك الروم هذى الرسائل يَرُدّ بها عن نفسه ويشاغل

وتبرم فى قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد صرح الشاعر بكل ما فى نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفى قصائده التى مدحه بها تعريض بسيف الدولة والحمدانيين ، يراه القارىء واضحا فى الديوان ؛ من ذلك قوله لكافور :

حببتك قلبى قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكن أنت وافيا

على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به فى القصيدة التى أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه بقصيدتين ، وهى :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعاً لأمر أمير العرب

من أجل ذلك فارق المتنبى سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون آماله الواسعة فى السلطان هى التى حملته إلى مصر ، يبغى ما عز عليه فى رحاب بنى حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبى قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم

كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

***

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبى بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر فى الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت فى نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابه . جاء فى شرح المعرّى « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حمص من عمل سيف الدولة » وقال فى الصبح المنبى ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المتنبى لم يرض أن يستأذن سيف الدولة فى الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المتنبى أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذى عرض بغدره — بعد — فى إحدى الكافوريات وسار المتنبى من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمدانى إلى مملكة أبى المسك كافور الإخشيدى . وقد لبث الشاعر فى دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث فى دمشق متلكئا لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضعون مقدمة للهجاء المرّ الذى هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح .. ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والى كافور على دمشق أراده على مدحه — لما كان نازلا ببلده — فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب — لما نزل الرملة فى طريقه إلى مصر ، ولقى فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طغج — لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

تركُ مدحيك كالهجاء لنفسى   وقليل لكَ المديح الكثير

(و)

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد   هذا الوداع وداع الروح للجسد



وكان قد مدحه من قبل ، ويغلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو فى طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر محزوم .

فأما كافور الأخشيدى هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه فى لمحة خاطفة ، وهو تاريخ لا نخال القارىء إلا عالماً به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طغج الأخشيد ، ومحمد بن طغج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسى على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته فى مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاه حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدية حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة فى الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره فى مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً — وكان الحاكم الفعلى — سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطلحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور فى أن يبقى الأمر لبنى الأخشيد ، ونجح فى ذلك ، إذ نال من الخليفة المطيع لله تولية لعلىّ بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن علىّ بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير — وكان أمرها فى يد كافور — فاتفق أعيانها على تأميره ،



فأصبح بذلك هو السلطان ـ اسماً وفعلا ـ حتى توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسما من الشام اثنتين وعشرين سنة .

وكان كافور الأخشيدى داهية فى السياسة ، شجاعاً حكيما ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذى أخر غزو جيوش المعز لمصر حتى مات ، فخلى لها السبيل ، وإن حزمه وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له ـ إلى هذا ـ بصر بالعربية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويجزيهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخيا كثير الهبات والخلع والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذى عرفه التاريخ السياسى ، غير كافور الذى عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فمن هؤلاء من صوره فى أقبح الصور ، متأثراً بما لطخه به أبو الطيب من صفات أدوعها كل نقمة و بغضاء ؛ فمن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكانته وفطنته وكفايته ، لنسير فى سيرة شاعرنا ـ بعد ذلك ـ سير المحايد غير المحابى أو المتجنى .

***

وقدم أبو الطيب مصر فى جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها فى ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ، وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً   وحسب المنـايا أن يكن أمانيا

وختم مدائحه بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقى بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلاث سنين مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو ربع ما مدح به سيف الدولة .



وكانت بغية أبى الطيب من ذهابه إلى أبى المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل فى ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء — وسيبين كل ذلك بعد — وظاهر فى مدائح أبى الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف فى أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذى غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع فى صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة فى تعظيمه وابتغاء معونته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب فى مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفى هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بنى حمدان فى مواضع مختلفة ، وأطنب فى مدح أبى المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس المعالى بالندى　　فإنك تعطى فى نداك المعاليا
وغير كثير أن يزورك راجل　　فيرجع ملكا للعراقين واليا

وفى الشهر التالى قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنىء بها كافوراً بدار بناها ، وهى التى أولها :

إنما التهنئات للأكفاء　　ولمن يدنى من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضو　　بالمسرات سائر الأعضاء

وتلك كانت طريقة المتنبي فى المدح ، لايغفل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع الممدوح فيا يغدق عليه من صفات طيبات .

وفى هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كا　　ن لسانى يرى من الشعراء

ويقول المعرى : « ولما أنشده أبو الطيب حلف ليبلغه جميع ما فى نفسه ، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف » .



ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :

من الجآذر فى زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمنّ على آثار موهوب

ثم أنشد الشاعر كافوراً فى عيد الأضحى قصيدته الرابعة :

أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما يبتغيه ، و بدأ بالشكوى الخفية والبينة من مطل أبى المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فعلا بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده و يسأله أن يجربه فيقول :

ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس المتنبى قد جرح لحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ، وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمٌّ ومن يمّمتُ خير ميمم

وفى هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ، كأنما ضاق بكافور روعده ، وفى آخرها يقول :

ولو كنت أدرى كم حياتى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكمية مدح فيها كافورا ، وذلك إثر شقاق قال بين أبى المسك و بين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبى الطيب لا يطيب لها أن تسير فى طريق واحدة أو تستقر على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، و يطفح الكيل فلا يستطيع اصطبارا



وها هو يقول ـ بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستمائة دينار ذهباً عسى أن تلهيه عن رجائه ـ قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب   وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك فى عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفى هذه القصيدة ـ كما يبين من الديوان ـ يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بنى حمدان ، ثم يختمها بمدح كافور لعلمه بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهراً واضحاً ، فقد سكت الشاعر عن المديح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وانٍ ولا متمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولى شبيباً العقيلى الخارجي عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق فى جيش كثيف ودخل المدينة ، وفى غمرة من الهرج والمرج ألفى شبيب ميتاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا فى شعره فقال قصيدته التى مطلعها :

عدوك مذموم بكل لسان   وإن كان من أعدائك القمران

وذلك فى جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وإنك لواجد ـ من قراءة القصيدة ـ أن الشاعر الذى سكت عن مدح أبى المسك ثمانية أشهر ، ثم لقيه فى هذه القصيدة ، لم يكن مادحا ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبِّن القتيل ويرثيه بدل أن يغتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبى بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبى المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصابته فى أثناء ذلك حُمَّى فقال قصيدته :



ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

وقد عرض فيها بكافور و بخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلغته .

وفى أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبى شجاع فاتك الملقب بالمجنون ، وقد كان روميا وأسر وربى فى فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه صاحبه ، فكان معه فى عدة المماليك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد الهمة ، ويقول المعرى : إنه كان فى أيام كافور مقيما بالفيوم ، أنفة من الأسود وحياء من الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه و يراسله بالسلام ، وأنه لما لقى أبا الطيب فى الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن الفيوم كان أقطاعاً لفاتك ، و إن أبا الطيب كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن كافوراً فى مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب فى مدح فاتك ـ مع ما بينه و بين كافور من المنافسة ـ إلا ليأسه من أبى المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا فى جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وفى هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ، و بعد أن قال قصيدة الحمى التى تقدم ذكرها ، و بعد أن تعرض لكافور فى مدح فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبى الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة



عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحيا فى نفسه الرجاء فعاد يلقى آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهى :

مُنًى كن لى إن البياض خضابُ فيخفى بتبييض القرون شبابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له فى غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثنى عشر بيتاً .

ثم بقى أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه فى الطريق لئلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه فى مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبى فى كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا فحسب ، بالغاً ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إذا لم تَنُطْ بى ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، ألوفاً مؤلفة ، ونحسب أن كافوراً لم يدر بذهنه أن يقطعه هذا الذى يريد ، وإن كان يعده ويمطله فذلك شىء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبى الطيب : « أنت فى حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقك؟» ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوى إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده فى قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً



معقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد الممدوح فى مواضع طرب لها كافور واهتزّ لها وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فلو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرره فى قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه فى طلبه ومداومته على التذكير بالوعد فى لغة يصح أن تسمى توبيخاً وتأنيباً ، فصح فى عزمه ألا ينيله طلبته ، ثم إن تمادى الشاعر فى أشباه ذلك ، ورثائه لشبيب فى القصيدة التى تقدم ذكرها ، وتعريضه بكافور فى قصيدة الحمى ، ومدحه لفاتك ـ كل أولئك كان سبباً فى أن يخيب أمل الشاعر فى بغيته ، وأن يجعل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة المتنبى وعلو نفسه ، يأبيان له إلا أن يقول ما يجول بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ، داخلا فى نطاق التوبيخ ، لا الاستعطاف والطلب الذليل .

ومما كان له أثر بين فى خيبة الشاعر فى أمله فى كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً أديباً ميالا لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب فى آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبغى الفكاك من ذلك النطاق المضروب ، فلقد طالما ردد ذلك فى قصائده ، ولقد طالما تبرم بمطل كافور وضاق به ذرعاً . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً ـ لما نزل الشاعر بمصر ـ أنزله داراً ، وأغدق عليه من ماله وأغرقه فى عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفيه ، فلما طالبه الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعدم إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حفل به ماضيه من حبس وادّعاء



النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمماطلة ، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور — بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة — سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل فى شعره مرات عِدّة ، كأنما كان كافور يحرص على ألاّ يفلته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففى هجاء الشاعر له من بَعْد ما ينطق بذلك فى صراحة و بيان ، وجاء فى شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه فى المسير إلى الرملة ليتنجز مالاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه فى مسيره فأجابه : لا ، والله ، أطال الله بقاءك ، لا نكلفك المسير ، ولكن ننفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : أبياته التى أولها :

أتحلف لا تكلفنى مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذى لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبى شجاع فاتك ، الذى اتخذه صديقاً مؤنساً طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور ، وكانت وفاة فاتك فى شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء فى شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على مر الأيام فى لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة فى المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماح فى الرمل ، وحمل الماء على الإبل فى الليل من النيل لعشر ليال ، وتزود لعشرين » .

وفى ليلة عيد الأضحى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التى مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد



وقد هجا فيها كافوراً هجاء مراً ، وعرض بإمساكه إياه عن الرحيل .

وقد انتهز أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد و بما يصحب العيد من سنن ، وهمّ بأخذ طريقه التى بيَّت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبيس نزل على عبد العزيز بن يوسف القيسى فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته التى أولها :

جزى عرباً أمست بِبُلبَيْسَ ربها بمسعاتها تَقْرِرْ بذاك عيونها

وكان الشاعر يعرف عبد العزيز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التى أولها :

لئن مر بالفسطاط عيشى فقد حلا بعبد العزيز الماجد الطرفين

ولا ريب فى أن كافورا ثار لما بلغته القصيدة التى قالها الشاعر ليلة العيد ، ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذى سوف يلاحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخيل والرجل ، وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجة الطير حتى خرج إلى ماء يعرف بنحل بعد أيام ، فلقى عنده فى الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهم وتركهم ، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبنى سليم على قلوصين ، فركب الخيل وطردها حتى أخذهما ، فذكرا له أن أهلهما أرسلوهما رائدين ، فلما أمنهما استبقاهما ورد عليهما متاعهما . وسار معهما حتى توسط بيوت بنى سليم آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبى النجم وذبح له ، ثم غدا فسار إلى النقع فنزل ببادية من معن وسُنْبُس ، وهناك أكرمه عَفيف المعنّى وذبح له . ثم غدا من عنده فسار يومه و بعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِسْمى . وهى أرض طيبة خصبة ، و بها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطاب له المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده ـ وكان كافور قد كتب لمن حوله



من العرب ووعدهم ـ فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ، وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه فى الليل ، والقوم لا يعلمون رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن يخونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وفى ذلك العبد قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . . . الخ

ويقول ارتجالا فى هجاء وردان :

إن تك طيىء كانت لئاماً فألأمهم ربيعة أو بنوه

إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبى الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التى طلبها ، فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون عليه عيون بِحَسْمَى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة ـ وهى أرض بقرب الكوفة ـ رأى بعض عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة ، فقال : هذه نخلة ، فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى

إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز ببنى جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ، ثم دخل الكوفة فى شهر ربيع الثانى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار « على الحلل والأحياء والمفاوز المجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى فى شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر فى الكوفة هى التى أولها :

ألا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيدبى

وقد عدد فيها المواضع التى مر بها فى سيره ، ونخر ، وهجا كافوراً . . وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومسقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر — وقد بارح الديار المصرية — أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحرر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نقمة على كافور وكراهة و بغضاء . وقد رثى فاتكا فى ثلاث قصائد . أنشأ أولاها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصىٌّ طيع

وأنشأ ثانيتها فى الكوفة ، وقد أخرج تفاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :

يذكرنى فاتكا حلمه وشىء من الند فيه اسمه

وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جذوة مشتعلة من النقمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغى ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه — فى كل ذلك — أهله لشماتة الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد — تضمنت أغراضاً أخرى — هجاء كافور



وهى قصيدة العيد التى تقدم ذكرها ، والقصيدة التى وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التى رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التى رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك — لهجاء كافور — ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التى أولها :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسى ولا عنك راضيا

ومنها القطعة التى أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه

ومنها القطعة التى أولها :

وأسودَ أما القلب منه فضيِّق نخيب وأما بطنه فرحيب

وقد نظمت فى شوال سنة خمسين وثلثمائة .

ومنها القطعة التى أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا

وقد نظمت حينما همَّ بالرحيل عن مصر .

* * *

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب فى أيدى بنى بويه ، وقد نشأت دولة بنى بويه هذه فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، فتعاون الإخوة الثلاثة : على والحسن وأحمد على التسلط فى فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فمنحهم الخليفة المستكفى بالله الولاية على ما بأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بنى بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكد معز الدولة يمكث فى العراق أسابيع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدى الخلفاء إلى أيدى البويهيين . وكان ذلك إيذانا بالخراب والدمار وانتشار الظلم والطغيان والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفه التى هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بنى كلاب عليها وشارك هو فى الحرب والدفاع عنها .

وكان يلى الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلبى . وكان أديبا شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضى التنوخى ، وأبو الفرج الأصفهانى وشعراء منهم السرى الرفّاء ، وكان جواداً مسرفا كَلِفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين — وكانت إقامته بالكوفة — وقد سافر فى أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد فى طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . فنى جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجا ضبة بن يزيد العينى ، ويروى أن ابن يزيد العينى هـذا جاء من سفاح ، يغدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخـذ يشتمهم أياما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لوسبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح نخاطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . . الخ » .

وفى هذه القصيدة أقذع المتنبى غاية الإقذاع . وفاض حقده فغمر القصيدة وأفعمها .



وجاء فى شرح ابن جنى : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصد غارة الأعراب من بنى كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأنفذ إلى أبى الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة فى الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ... ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة — قبل أن يبرحها إلى فارس — فى شعبان سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقى الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، و بقى ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذه سبيلا إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه فى السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فعلق بلجام دابته وقد تكأكأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن ... يلزم أهل العلم توقيره



فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .

وقد كان الوزير المهلبي راغباً فى مدح أبى الطيب ، مغيظاً مُحْنَقاً من إغفاله إياه ، وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده فى حضرة المتنبي ، فقال المتنبي : « ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .

ولما كان الوزير المهلبي وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبي أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا فى هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ، وابن سكرة الهاشمى ، والحاتمى . فلم يجبهم المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له فى ذلك ، فقال : إنى قد فرغت من إجابتهم بقولى لمن هم أرفع طبقة منهم فى الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمى ... ومن ذا يحمد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا

وقولى :

أفى كل يوم تحت ضبنى شويعر ... ضعيف يقاوينى قصير يطاول

إلى آخر الأبيات .

وقولى :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومما كان بين أبى الطيب وبين أعوان المهلبي ما حكاه الحاتمى من مناظرته لأبى الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمى كذب فى ذلك على خصمه وبالغ فى دعواه إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمى هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ، وفى الفترة التى أقامها الشاعر ببغداد ، قرىء عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن حمزة البصرى ، وابن جنى ، والقاضى أبو الحسن المحاملى .



وشاء الله أن يعاود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربى الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بخروج أبى الطيب من مصر مراغماً كافوراً ، و بلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب فى شوال سنة اثنتين وخمسين بقصيدته التى مطلعها :

مالنا كلنا جو يا رسول ... أنا أهوى وقلبك المتبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير الهمام . وقد قالها لما بلغه خروج سيف الدولة — وهو مريض — للقاء الروم ورجوعهم عن غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى فى جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر فى شعبان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب ... كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر فى نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب فى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين قصيدته التى مطلعها :

فهمت الكتاب أبر الكتب ... فسمعاً لأمر أمير العرب

و بعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بغداد ، فى طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بغداد للمرة الثانية فى صفر سنة أربع وخمسين ، وذلك بعد مبارحته لها فى المرة الأولى بسنة وخمسة أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخى . و بلغ أرجان فى الشهر نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ؛ فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتعبدون بى وقصدت رب هذه المدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته



إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاى أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه فى الطريق ، فتلقوا الشـاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبى الفضل بن العميد فقلم له ، وطُرح له كرسىٌ عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يغشى أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هـذا ـ كما لا يخفى ـ هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد ـ وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبى فوجده واجماً ـ وكانت أخته قد ماتت ـ فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليغيظنى أمر هذا المتنبى واجتهادى فى أن أخمل ذكره ، وقد ورد علىّ نيف وستون كتاباً فى التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبى ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملا من آماله وأمنية من أمنياته المعسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولاها القصيدة التى مطلعها :

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك مالم يجر دمعك أو جرى

وكانت ثانيتها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :



جاء نَيروزُنا وأنتَ مُراده ووَرَتْ بالذى أرادَ زِنادُه

وفيها يتواضع الشاعر ويتحذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً على غيره من الممدوحين :

وبعد هذه القصيدة – وقبل القصيدة الثالثة – قطعتان قال الشاعر إحداهما حين ورد ، كتاب من أبى الفتح بن أبى الفضل ابن العميد وأولها :

بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد

وثانيتهما قالها يصف مجمرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرىء حبّت الأنفس وأطيب ما شمه معْطِسُ

ثم تأتى بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التى يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد وهى التى مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد

وما كاد المتنبى – بعد قصيدة الوداع – يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة فى طلب المتنبى ، فأنبأه ابن العميد به فقال : مالى وللديلم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منى ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به ، فأجاب : بأنى ملقى من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين ويعطوننى عرضاً فانياً ، ولى ضجرات واختيارات فيعوقوننى عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده فى المقام والظعن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بنى بويه عامة دولة للأدب العربى ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبى من أرّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حدائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل



داراً مفروشة ، ولما نفض غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فتوسط الدار وانتهى إلى قرب السرير فقبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية حملتنى إليك ، وأملا وقف بى عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه القصائد هى :

أوْهِ بديل من قولتى واها　　لمن نأت والبديل ذكراها

وهى التى يعزى بها عضد الدولة فى وفاة عمته ـ وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية القصائد هى التى أولها :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى　　بمنزلة الربيع من الزمان

وفيها يحن الشاعر إلى العربية التى افتقدها فى فارس فما وجد لها أثراً .

ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتى ألف درهم ، ولما استأذنه فى المسير أمر أن يخلع عليه و يقاد إليه و يوصل بالمال الكثير ـ وقد ظهر أثر ذلك فى شعر المتنبى .

وأقام أبو الطيب فى شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد قصيدة الوداع فى شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطنب فى شكر الأمير ، ويرغب فى الرجوع إليه ، ويحن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شراً سيصيبه فى طريقه ، وهى القصيدة التى أولها :

فِدًى لك مَن يُقَصِّرُ عن مَدَاكا　　فلا مَلِكٌ إذَنْ إلا فَدَاكا

***

وكان خروج أبى الطيب من شيراز ، فى الثامن من شعبان ، قاصداً بغداد فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلمانه حتى بلغ الأهواز ، فقطع بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط ونزل بها ، و بين واسط و بغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن



يجتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها فى الروايات التى وردت عن مقتل أبى الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهى فى وسط الطريق ، وهى قائمة اليوم على الشاطىء الغربى من دجلة ، وإلى الجنوب الشرقى من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنى أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطىء قليلا ، و بينه و بين بغداد ستة عشر فرسخاً . وأمام دير العاقول « الصافية » وهى على فرسخين جنوب شرقى دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد فى طريقه إلى الكوفة فى اليوم السابع عشر من رمضان ، وفى ذلك اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى — على روايته — القصيدتين الأخيرتين فى شعره .

و بلغ جبّل بعد أن قطع زُهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبى نصر الجبّلى ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فمر بجرجرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقى من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية و بينه و بين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهنالك خرج عليه فاتك بن أبى جهل الأسدى خال ضبة بن يزيد الذى هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك فى نيف وثلاثين فارساً رامحين وناشبين ، ولا ريب أنه كان يتربص لأبى الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبى الطيب ابنه محسد وغلمانه ، وقد وصفهم من قبل فى قصيدة رثاء فاتك الميمية ، وفى قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً » .



ومن المرجح أن اليوم الذى أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحة الكتب[1]

ورثاه أبو القاسم المظفر بن على الطَبسى بأربعة أبيات رواها الثعالبى فى اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان

ورثاه ثابت بن هارون الرقى النصرانى ، وحرض عضد الدولة على عقاب من قتلوه بقصيدة أولها :

الدهر أخبث والليالى أنكد من أن تعيش لأهلها يا أحمد

* * *

وقبل أن نختم سيرة المتنبى ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حنّ إليهم فى شعره وتشوق للقائهم ، وقد ورد فى أخبار المتنبى ذكر لابنه محسد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن زوجه كانت من الشام .

* * *

ذلكم كان أبو الطيب المتنبى ، الشاعر الذى خُلِّدَ مع فنه الخالد وشعره الشاعر ، ولا ريب أن القارىء أدرك من مجمل سيرته ما كان يدين به من خلق واضح الحدود ، بيِّن المعالم ، فقد كان الشاعر — كما يبين فى شعره — متكبراً

(١) انظر ترجمة ابن جنى .



أبيًّا معجبًا بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجعلته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم فى اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال على بن حمـــزة : إنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان ينفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كشحه لهم على الموجدة والضغينة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه – برغم هذا – كان وفيًّا لأصدقائه محبًا لهم متأسياً لفراقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان فى كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزّى قلبه ألمـاً وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبى أنه كان بخيلا ، حريصاً على المـال ليبلغ به غايتـه ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر – ولم تسعده الحال فى حياته على تحقيق مراده – إلا بالغاً المبالغ فى مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقى بقاء الضاد .

ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسنا ـ لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ـ أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جني لديوان لمتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو ممن عاصر ابن جني ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومُغْتَرَبه ، وما دل عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومَقْدَمِه على الملك ـ نضر الله وجهه ـ بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتلته بين دَيرِ قنة ، والنعمانية واقتسام عقائله وصفاياه . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلةٍ تعرف بِكِنْدَة بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوّاء ونسّاج .

واختلف إلى كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية[1] شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيًّا ، ثم وقع إلى خير بادية ـ بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نُبز به ، فنمى خبره إلى أمير بعض أطرافها ـ فأشخص إليه مَنْ قيّدَه وسار به إلى محبسه ، فبقي يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادةِ قدر الشهود

وفي جود كفك ما جُدْتَ لي بنفسي ولو كُنْتُ أشقى ثمود

---

(١) كذا في الأصل ويحتمل أن تكون « العربية » .

وقد هجاه شعراء وقته ، فقال الضبي :

الزَمْ مقـالَ الشعر تَحْظَ بقربةٍ   وعن النبوّة ، لا أبالك ، فانتزح
تربح دماً قد كنت توجبُ سفكه   إن التمتع بالحياة لمن ربحْ

فأجابه المتنبي :

أمرى إلىّ فإنْ سمحتُ بمهجة   كرُمَتْ علىَّ فإن مثلى من سمح

وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيهـا الشقىُّ دمَك   بالهـذيان الذى ملأْت فمك
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على   قتلك قبـل العشاء ما ظلمك

فأجابه المتنبي :

همك فى أمردٍ تقلّب فى   عين دواةٍ من صُلبـه قلمك
وهمتى فى انتضاء ذى شُطَب   أقدُّ يوماً بحـدِّه أدَمك
فاخسَ كليبا واقعدْ على ذَنب   وأطْلِ بمـا بين أليتيك فمك

وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان فى صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليـه شعره فمتلوّن ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره   فإنمـا يقظات العين كالحُلِم

مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تَمَتَّع من سُهادٍ أو رُقادٍ   ولا تأمل كَرًى تحت الرِجام
فإن لثالث الحالَيْنِ معنى   سوى معنى انتباهِك والمنام

مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فمـا بالنا   نعافُ ما لابدَّ من شُربِهِ

فهذه الأرواح من جَـوِّه وهـــذه الأجسامُ من تُربه

مذهب الفضائية . وقوله فى أبى الفضل بن العميد :

فإن يكن المهدىُّ مَنْ بان هَديُه فهذا ، و إلا فالهدى ذا ، فما المهدى

مذهب الشيعة . وقوله :

تخالَف الناسُ حتى لا اتفاق لهم إلا على شَجَبٍ، والخُلفُ فى الشجب

فقيل : تخلُدُ نفس المرء باقية وقيل : تشرَكُ جسمَ المرء فى العطب

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، و يتشعب بعضه إلى قول الحشيشيّة . والإنسان إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزّ وجل إلى حوله وقوّته ، وجد فى الضلالات مجالا واسعاً ، وفى البدع والجهالات مناديحَ وفُسحا . ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقته الكوفة أصلا ، وتطوافه فى أطراف الشام ، واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة ما يوصل به ، حتى إنه أخبرنى أبوالحسن الطرائفى ببغداد — وكان لقى المتنبى دفعات فى حال عسره و يسره — أنّ المتنبى قد مدَح بدون العشرة والخمسة من الدراهم وأنشد فى قوله مصداقاً لحكايته :

انصُرْ بجودك ألفاظاً تركتُ بها فى الشرق والغرب من عاداك مكبوتا

فقد نظرتك حتى حان مرتحَلٌ وذا الوَداعُ ، فكن أهلا لما شيتا

وأخبرنى أبو الحسن الطرائفى قال : سمعت المتنبي يقول : أوّل شعر قلته وابيضت أيامى بعده ، قولى :

أنَا لائمى إن كنتُ وقتَ اللوائم

علمتُ بمــا بى بين تلك المعــالم

فإنى أعطِيتُ بها بدمشق مائة دينار . . . ثم اتصلَ بأبى العشائر ، فأقام ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة، فاشترطأنه لاينشد إلاّ قاعداً وعلى الوحدة ،فاستحملوه وأجابوه إليه . فلمّا سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل ، وعدَّ ماطَلَبه استحقاقاً .



وأخبرنى أبو الفتح عثمان بن جنى : أن المتنبى أسقط من شعره الكثير و بقى ما تداوله الناس . . . وأخبرنى الحلبي أنه قيل المتنبي : معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائى . فأجاب المتنبي : الشعر جادّة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديوانى الطائيّينِ ، ويستصحبهما فى أسفاره ويجحدهما ، فلما قتل توزعت دفاتره ، فوقع ديوان البحترى إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إذا لم تَنُطْ بى ضيعةً أو ولاية　　لجودُكَ يكسونى وشُغْلك يَسْلُبُ

يلتمس ولاية صَيدَاء . فأجابه : لستُ أجسُر على توليتك صيداء ، لأنك على ما أنت عليه ، تحدّث نفسك بما تحدث ؛ فإن ولّيتك صيداء ، فمن يطيقك ؟!

وسمعتُ أنه قيل للمتنبى : قولك لكافور :

فَارْمِ بى حيثما أرَدْتَ فإنى　　أسَدُ القلب آدَمِىُّ الرُّواء

وفؤادى من الملوكِ وإن كا　　ن لسانى يُرَى من الشعراء

ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضادّ ! فأجاب المتنبى إلى أن قال : هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يَقرُّ بعينى أن أرى قِصَد القَنَا　　وصَرْعى رجالٍ فى وغى أنا حاضرهُ

وأحدها يقول :

يقرُّ بعينى أن أرى من مكانها　　ذرا عَقدات الأجْرَع المتقاودِ

ثم أقام المتنبى عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : فى إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأثّل حالاً فى جنبته بعد أن كان حويلة . وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان



مُلَقى من هذه الحال ، يشكوها أبداً ؛ وبها فارقه حيث أنشده :

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظرِه   إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُلَمُ

وآخرها :

بأىِّ لفظ يقول الشعرَ زِعْنِفَةٌ   تجوز عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ

وقال فى أخرى :

إذا شاء أنْ يلهو بلحية أحمقٍ   أراه غُبارِى ثم قال له الحق !

فلما انتهت مدّته عند سيف الدولة استأذنه فى المسير إلى أقطاعه ؛ فأذن له وامتدَّ باسطاً عنانه إلى دمشق ، إلى أن قصد مصر فألَمَّ بكافور ، فأنزله وأقام ما أقام ، إلا أن أول شعره فيه دليلٌ على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً   وحسبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيا

حتى انتهى إلى قوله :

قواصدَ كافور توارِكَ غيره   ومن قصدَ البحر استقلَّ السواقيا

وأخبرنى بعض المولدين ببغداد ، وخالهُ أبو الفتح يتوزَّر لسيف الدولة . أن سيف الدولة رسم لى التوقيع إلى ديوان البر بإخراج الحال فيما وصل به المتنبى ، فخرجتْ بخمسة وثلاثين ألف دينار فى مدة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانية كافوراً خرجت موجّهة يشتاق سيف الدولة . وأوّلها :

فراقٌ ، ومَنْ فارقت غيرُ مذمَّم   وأمٌّ ، ومن يمَّمت خيرُ مُيَمَّم

وأقام على كره بمصر إلى أن ورد فاتك غلام الأخشيدى من الفيوم — وهى وبيئةٌ ، فنبتْ به واجتواها — وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر أربعة آلاف جَنيبة مُنَعَّلة بالذهب ؛ فسماه أهل مصر بفاتك المجنون . فلقيه المتنبى فى الميدان على رِقبَةٍ من كافور فقال :

لا خيل عندكَ تهديها ولا مالُ   فليُسْعِد النطق إن لم يُسعدِ الحال



فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ، ثم مضى فاتك لسبيله ، فرثاه المتنبي وذمّ كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فاتكٍ ويعيشُ حاسدُهُ الخصيُّ الأوكَعُ!

فاحتال بعده فى الخلاص من كافور ، فانتهز الفرصة فى العيد — وكان رسم السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخِلَع والحملانات وأنواعُ المبارّ ، لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثانى اليوم يذكر له مَنْ قَبِل ومن ردّ واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برًّا ، وسار لياته وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيراً وسُرًى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع فى تِيه بنى إسرائيل ؛ إلى أن جازه على الحلل والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن ، ونزل الكوفة ، وقال يقص حاله :

ألا ، كل ماشية الخيزلى فِدًا كلِّ ماشيةِ الهَيذَبَى

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما رِ : إمَّا لهـذا ، وإما لذا

ثم مدح بالكوفة دلِّير بن لشكَرَوَّز ، وأنشده فى الميدان ؛ فحمله على فرس بمركب ذهب .

وكان السبب فى قَصْدِهِ ، أبا الفضل بن العميد ـ على ما أخبرنى أبو علىّ بن شبيب القاشانى ـ وكان أحد تلامذتى ، ودرس علىّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر للأصبهبد بالجبل وأبوه أبو القاسم توزر لوشمكير بجرجان ـ عن العلوى العباسى نديم أبى الفضل بن العميد الذى يقول فيه :

أبلغ رسالاتى الشريفَ ، وقلْ له : قدكَ اتئدْ أربيتَ فى الغُـلواء

إن المعروفَ المطوّق الشاشِي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته فى كافور :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل،وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة



المتنبي إلى أبي الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفي درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبي ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعرى هذا ، فما تكون صلته لى؟

وكان ابن العميد يخرج فى السنة من الرىّ خرجتين إلى أرّجان ، يَجْبِي بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فنما حديثه إلى المتنبي بحصوله بأرّجان ، فلما حصَل المتنبي ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلّبي ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواهاً عرَفتُ مكانها جُرَاماً ومَلْكوماً و بَذّرَ فالغمرا

وقال المتنبي : هو جُراباً ، وهذه أمكنة قتلتها علماً وإنما الخطأ وقع من النقلة ! فأنكرَه أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه فى كتابه جراماً ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجملة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبي إنشاده فلم يفعلْ وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبي مُرّ النفس صعبَ الشكيمة حادًّا مجداً فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجّاج حتى علّق لجامَ دابته فى صينية الكرخ وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلم فينا ومن يلزم أهلَ العلم توقيرُه

فصبر عليه المتنبي ساكناً ساكتاً ، إلى أن نجزّها ، ثم خلّى عنان دابته ، وانصرف المتنبي إلى منزله ، وقد تيقن استقرارَ أبى الفضل ابن العميد بأرّجان وانتظاره له فاستعدّ للمسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن علىّ بن حمزة البصرىّ قال : كنت مع المتنبي لما ورد أرّجان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بى ، وقصدتُ



ربّ هذه المدَرَة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاى أبو الطيّب المتنبى خارجَ البلد ـ وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع فى دَسته ـ فثار من مضجعه واستثبته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركبَ من لقيه فى الطريق ، ففصل عن البلد بجمعٍ كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبى الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستوياً ،وطُرِح له كرسى عليه مَخِدةُ ديباج ، وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقا إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبى فى حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه، وأخرج من كمه عُقَيب هذه المفاوضة دَرْجاً فيه قصيدته :

* بادٍ هواكَ صَبرتَ أو لم تصبرا *

فوحَى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاسٍ فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤهُ فضة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تعب السفر كان يَغشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أزورك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأُ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلهم النيروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبى : كان يبلغُنى شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُحِرْ جواباً ، إلى أن حضره النيروز وأنشده مهنئاً ومعتذراً فقال :

هل لعُـذرى إلى الهمام أبى الفضـــل قبولٌ ، ســـواد عينى مدادُهْ

فأخبرنى البديهىّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبى قال بأرّجان : الملوك قرود يشبه بعضهم بعضا ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجاود زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمّـله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أأقــلامٌ بِكفّـك أم رماح وعزمٌ ذاك، أم أجلٌ متاح

فقال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار ، وكذلك أبو الفضل البلعَميّ وزير بُخارى أعطى المطرانى الشاعر على قصيدته التى أولها :

* لا شُرْب إلا بسير النّاىِ والعُودِ *

خمسة عشر ألف دينار ، وكذلك خلف صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبليّ خمسة آلاف دينار على كلمة فيه ، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ، وكان يأتيه علوىّ من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جاريًا على التأبيد ، فأتاه وهو فى بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلق له ما فى الخزانة ، فبلغ أربعين ألف دينار ، فشاطر الخازنَ وقبض عشرين ألف دينار ، إشفاقًا من خلل يقع على عسكره فى الحرب ، وأخبرنى بعض أهل الأدب أنه تعرض سائلٌ لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده فى طريقه :

أنت علىٌّ وهــذه حَلَبُ قد فَنِى الزادُ وانتهى الطلبُ

فأطلق له ألف دينار ، وتعرض سائل لأبى علىّ بن إلياس وهو فى موكبه فأمر له بخمسمائة دينار ، فجاءه الخازن بالدواة والبياض ، فوقع بألفى دينار ؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علىّ : الـكلام ريح ، والخط شهادة ، ولا يجوز أن يشهد علىّ بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبى لما ودّع أبا الفضل بن العميد ، ورد كتابُ عضدِ الدولة يستدعيه ، فعرّفه ابن العميد فقال المتنبي : مالِى وللديلم ؟ فقال أبو الفضل عَضُدُ الدولة أفضـــل منى ، ويصلك بأضعاف ما وصـــلتك به ، فأجاب بأنى مُلقى من هؤلاء الملوك : أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملّكهم شـيئًا يبقى ببقاء النيرين ، ويعطوننى عَرَضاً فانياً ، ولى ضـجَرات واختيارات ، فيعوقوننى عن مرادى ، فأحتاج



إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ! فكاتب ابنُ العميد عضد الدولة بهذا الحديث . فورد الجواب بأنه مملك مُرادَه فى المقام والظَّعن . فسار المتنبى من أرّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصباغ أخى أبى محمد الأبهرى صاحب كتاب حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده فقال المتنبى : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالى . فبدأ بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كُل ماشيةِ الخيزَلى فِدَا كلِّ ماشية الهيدبى

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصبّاغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته وهى :

فلما أنخْنا ركزْنا الرما ح حولَ مكارمنا والعُلا
وبتنا نُقبّلُ أسيافنا ونمسحها من دماء العِدا
لِتعلمَ مصر ومن بالعراق ومَن بالعواصم أنّى الفتى
وأنى وفيتُ وأنّى أبيت وأنى عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هوناً ، يتهدّدنا المتنبى ! . . .

ثم لما نفضَ غبارَ السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقبّل الأرض واستوى قائماً وقال : شكرتُ مَطية حملتنى إليك ، وأملاً وقف بى عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر ، وعن على بن حمدان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السماط وقام بيده دَرْج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى

فلما أنشدها وفرغوا من السماط ، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب فى الأردية الأمنان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقّب



بالمجروح — وكان اشترى له بخمسين ألف شاة — وبَدْرة دراهمُها عدلية ، ورداء حشوهُ ديباجٌ روميّ مفصّل ، وعمامةٌ قوّمت بخمسمائة دينار ، ونصلا هِنْدِيًّا مرصّع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده فى كل حدَث يحدث قصيدة ، إلى أن حدث يوم نثرِ الورد . فدخل عليه والملك على السرير فى قبة يَحسِر البصر فى ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فمثل المتنبى بين يديه وقال : ما خدمَتْ عينى قلبى كاليوم ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد فى الذى زعما   أنك صيّرت نثره دِيما
كأنما مائجُ الهواء به   بحرٌ حوى مثلَ مائِه عَنَما

فحُمل على فرس بمركب ، وأُلبِس خِلعة ملكية ، وبدرةٌ بين يديه محمولة . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحَفِظ المنازلَ والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرّفها منه ، فقال : كنت حاضرَه ، وقام ابنهُ يلتمس أجرةَ الغسّال ، فأحدّ المتنبى إليه النظر بتحديق فقال : ما للصّعلوك والغسال ! يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قِدْرَه ، ويُنْعِل فرسه ، ويغسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتابُ أبى الفتح ذى الكفايتين بن أبى الفضل — وكان من أجاود زمان الديلم ، فرّق فى يوم واحد بِشبْدِيز قرميسِينَ ، ألفين وخمسمائة قطعة إبريسَم — ومضمونُهُ كتاب الشوق إلى لقاء المتنبى وتشوّقه إلى نظرته فأجابه المتنبى :

يكتب الأنام كتابٌ وَرَدْ   فدتْ يدَ كاتبهِ كلُّ يدْ

فلما عاد الجواب إلى أبى الفتح ، جعل الأبياتَ سورة يدرسها ، ويحكم للمتنبى بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبى الثبات البغداديّ :

لوَاردُ شِعرٍ كَذُوبِ البَرَدَ   أتانا به خاطر قد جَمَدَ
فأقبل يمضُغـــه بعضُنا   وهمُّ السنانير أكل الغُدَدْ



وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المقتصدْ
ولو ولىَ النقـــد أمثالُه لظلّتْ خفافيشُنا تنتقِدْ

فاستخفّ أبو الفتح به وجرّه برجله ففارقهم وهاجر إلى أذرِبيجان ، والأميرُ أبو سالم ديسم بن شادكويه على الإمْرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام.

وقال عضد الدولة : إن المتنبى كان جيدَ شعره بالغرْب فأخبر المتنبى به فقال الشعر على قدر البقاع . . . .

وكان عضد الدولة جالساً فى البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه وُقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكارىّ : ما يُعوِز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبى لناب عنهما فلما أقام مدّة مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسىّ فى دار الوقف بين السوُرَين ، قال : كنت أتولى الأهوازَ من قبل المهلّبىّ ، وورد علينا المتنبى ونزل عن فرسه ومِقوُده بيده ، وفتح عِيابَه وصناديقَه لبللٍ مسّها فى الطريق ، وصارت الأرضُ كأنها مَطارفُ منشورة ـحضرتهُ أنا وقلت : قد أقمت للشيخ نُزُلا . فقال المتنبى : إن كان ثمّ فآتيه . ثم جاءه فاتك الأسد بجَمْع وقال : قدم الشيخ فى هـذه الديار وشرّفها بشعره ، والطريق بينه و بين دَيرقُنّة خشِنٌ قد احتوشَتْهُ الصعالـكة ، و بنو أسدٍ يسيرون فى خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة ويبر كلّ واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبى : ما أبقى الله بيدى هذا الأدهم وذبابَ الجراز الذى أنا متقلدّه فإنى لا أفكر فى مخلوق ! فقام فاتك ونفض ثوبه وجمع من رُتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حَسْواً ، سبعين رجلا ورصد له ، فلما توسط المتنبى الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان فى صحبته ، وحَمل فاتك على المتنبى وطعنه فى يساره ونـكّسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا



أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنع خلفه الفرسَ أحدُهم وجزّ رأسه ، وصبّوا أمواله يتقاسمونها بطُرْطُورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تسكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيف الدولة سلمه إلى النخّاسين والروّاضِ بحلب ، فاستجرأ على الركض والُحضر فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما فى كلامه من (الغريب المصنف) سوى حرف واحد هو فى (كتاب الجمهرة) وهو قوله :

يَطْوِى الُمجَلَّحَةُ العُقُدُ(١)

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعانى ، ونعتُ الخيل والحرب من خصائصه ؛ وما كان يرادّ طبعَه فى شىء مما يسمح به ، يقبل الساقط الردىء كما يقبل النادر البدع ، وفى متن شعره وَهْى ، وفى ألفاظه تعقيد وتعويص اهـ كلامه مع بعض اختصار .

---

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضِي كما يَمضِى السنانُ لِطِيَّتِى   وَأَطْوى كما تَطْوِى الُمجلِّحَةُ العُقُدُ



شراح المتنبي

وإليك تراجم بعض شراح المتنبي، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا: « شراح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف، أي أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الأبيات. أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي، مثل أبي السعادات بن الشجري، وابن فورّجه، وأبي الفضل العروضي. وابن وكيع، والصاحب ابن عباد، وأبي بكر الخوارزمي. ولم نتبسط في هذه التراجم. ولم ننهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتعثر بأسمائهم في هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المحظوظ، ومن ثم لم نَعْدُ أن نسرد لك في هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليفه ومكانته العلمية وآراء الناس فيه.

ابن جني

أظنني في غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جني هو أول من شرح المتنبي، فله بذلك فضل السبق، ومن ثَمّ كان حقيقا بأن نبدأ بترجمته . . .

***

جاء في معجم الأدباء لياقوت وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه:

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي: كان أبوه جني مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي - أقول: فهو إذن من أبناء يونان، لا من

أبناء عدنان . . و بعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ، ونوابغ الشعراء والأدباء فى الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فإنْ أُصْبِحْ بلاَ نَسَبٍ   فَعِلْمِى فى الورَى نَسَبِى
على أنِّى أَؤُولُ إلى   قُرُومٍ سَادَةٍ نُجُبِ
قَيَاصِرَةٌ إذا نَطَقُوا   أَرَمَّ الدَّهْرُ ذو الخُطَب[1]
أولاكَ دَعَا النبىُّ لَهُمْ   كَفَى شَرَفًا دُعاءُ نَبى

ولد ابن جنى بالموصل قبل الثلاثين والثلثمائة للهجرة ، وتوفى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح مُمَتَّعاً بإحدى عينيه ، وما أظرفه حين يقول لأحد أصدقائه :

صدودكَ عَنِّى ولا ذَنْبَ لى   دليل على نِيَّةٍ فاسِدِه
فقَدْ وحياتك مما بَكَيْتُ   خَشِيتُ على عَيْنِىَ الواحِدَه
ولولاَ مخافة ألاَّ أراكَ   لمـا كان فى تَرْكِها فَائِدَه

وَحَدَّثوا أنه صحب أبا على الفارسى[2] أربعين سنة ، وكان السبب فى

---

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كلمه فما ترمرم : أى مارد جوابا وما ترمرم فلان بحرف : أى ما نطق ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها ـ : كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج ـ أى رسول الله ـ لعب ـ أى الوحش ـ وجاء وذهب ، فاذا جاء ربض ولم يترمرم مادام فى البيت: أى سكن ولم يتحرك

(٢) كان أبو على الفارسى إمام وقته فى علم النحو ولد سنة ٢٨٨ وتوفى سنه ٣٧٧ ببغداد : وأقام بحلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ وجرت بينه وبين أبى الطيب المتنبى مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن بويه ، وحظى لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبى على فى النحو وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة فى النحو . يحكى أنه كان يوما فى ميدان شيراز يساير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى فى قولنا قام القوم إلا زيدا؟



صحبته له : أن أبا على اجتاز بالموصل ، فمر بالجامع وأبو الفتح فى حلقة يُقرِىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علىّ عن مسألة فى التصريف فقصّر فيها ، فقال له أبو علىّ : تَزَبَّبْتَ وأنت حِصرِم . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علىّ الفارسىّ ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه فى تصنيفه ؛ فلما مات أبو علىّ تصدر أبو الفتح فى مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدّث أبو الحسن الطرائفى قال : كان أبو الفتح عثمان بن جنى يحضر بحلب عند المتنبى كثيراً ويناظره فى شىء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنَفَةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبى يقول فى أبى الفتح : هذا رجل لايعرف قدرَه كثير من الناس . . . وسئل المتنبى بشيراز عن قوله :

وكان ابنَا عَدُوٍّ كاثرَاهُ له يَاءَىْ حُروفِ انَيسيانِ[1]

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسرَه . . . وكان لابن جنى من الولد علىّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وحَسن خطوطهم ، فهم معدودون فى الصحيحى الضبط وحسنى الخط . . . ولابن جنى شعر ــ ولكنه كسائر شعر العلماء ــ فمنه :

فقال أبو على : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو على وقال له : هذا الجواب ميدانى . . . ولما رجع إلى منزله وضع فى ذلك كلاما حسنا وحمله إليه فاستحسنه . . وذكر فى كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . .

(١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التى مطلعها :

مغانِى الشعبِ طِيباً فى المغانى بمنزلة الربيــــع من الزمان



غَزالٌ غَـيرُ وَحشِيٍّ ‏ حَـكى الوحشِيَّ مُـقْلتَهُ
رآهُ الوَرْدُ يجنِي الوَر ‏ دَ فاستَـكساهُ حُلّتَهُ
وَشَمّ بأنفِهِ الرّيحا ‏ نَ فاستَـهداه زَهرتَهُ
وذاقت رِيحَهُ الصهباَ ‏ ءُ فاختلسـته نَـكْهتَهُ (١)

وقال الباخَرْزى فى دمية القصر : ليس لأحد من أئمة الأدب فى فتح المقفلات ، وشرح المشـكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسيغ ذلك الجريض (٢) حتى قرأت له مرثية فى المتنبي أولها :

غاضَ القَرِيضُ وأودَت نضْرَةُ الأدَبِ
وصَوّحَت بعد رِيٍّ دَوحةُ الـكُتبِ (٣)
ما زِلتَ تَصحَبُ فى الجُلّى إذا انْشَعَبَت
قَلْبًا جميعًا وعَزمًا غيْرَمُنْشَـــعِبِ (٤)
وَقد حَلَبتَ لعَمرِى الدّهرَ أشـطُرَهُ
تَمطُو بِهِمّـةِ لاَوَانٍ وَلاَ نَصِـبِ (٥)

---

(١) الصهباء من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .
(٢) الريق الذى يغص به
(٣) صوح النبات يبس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .
(٤) الجلى الأمر العظيم وجمعها جلل مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع ومجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .
(٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطو الجد والنجاء فى السير ، ووان : متمهل ، ونصب : تعب .



مَنْ لِلْهَوَاجِلِ يُحْيِي مَيْتَ أَرْسُمِهَا
بِكُلِّ جَائِلَةِ التَّصْدِيرِ والحَقَبِ (١)

قَبَّاء خَوْصاء مَحْمُودٍ عُلالَتُهَا
تَنْبُو عَرِيكَتُهَا بِالحِلْسِ وَالقَتَبِ (٢)

أَمْ مَنْ لِبِيضِ الظُّبَا تَوْكَافُهُنَّ دَمٌ
أَمْ مَنْ لِسُمْرِ القَنَا وَالزَّغْفِ واليَلَبِ (٣)

أَمْ لِلْجَحَافِلِ يُذْكِي جَمْرَ جَاحِمِهَا
حَتَّى يُقَرِّبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهَبِ (٤)

أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لِتَعْمُرَهَا
بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالأَمْثَالِ وَالخُطَبِ

أَم لِلصَّوَاهِلِ مُحْمَرًّا سَرَابِلُهَا
من بَعدِ مَا غَرَبَت مَعرُوفَةُ الشُّهُبِ (٥)

أَم لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاء عَاطِفَةٌ
يُوَاصِلُ الكَرَّ بَيْنَ الوِرْدِ والقَرَبِ (٦)

---

(١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها ويقال صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : حبل يشد به الرحل فى بطنه .

(٢) القباء من الخيل : الخميصة البطن . والأقب الضامر البطن : والخوصاء الغائرة العينين ، والحلس : كساء تجلل به الدابة يوضع تحت البرذعة .

(٣) الظبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى الدمع والمطر إذا نزلا ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية

(٤) الجحفل الجيش العظيم .

(٥) محمراً سرابلها : فالسرابيل : الثياب. يقول : مضرجة بالدماء

(٦) المناهل موارد الماء . والقرب : طلب الماء ليلا .

أم لِلقَساطِلِ تعتَمُّ الحُــزُونُ بِها
أم مَن لِضَغْمِ الهِزَبْرِ الضَّيغَمِ الحَرِبِ (١)

أم لِلملوكِ يُحَلِّيهَا وَيُلبِسُها حتَّى تَمايَسُ فى أبرادِها القُشُبِ (٢)

بَاتَت وِسادِىَ أطْرَابٌ تُورِّقُنِى لَمَّا غدوتَ لَقًى فى قبضةِ النُّوَبِ (٣)

عُمِّرتَ خِدنَ المساعِى غيرَ مُضطَهَدٍ كالنَّصلِ لم يَدَّنِس يوماً ولم يُصَبِ

فاذهَب عَليكَ سَــلامُ المَجدِ ما قَلِقَت
خُوصُ الرَّكائبِ بالأكْوارِ وَالشُّعُبِ

ومن شعر ابن جنى :

رأيتُ محاسِنَ ضِحكِ الرَّبيعِ أطالَ عليها بُكاءُ السَّحاب

وَقَد ضَحِكَ الشَّيبُ فى لِمَّتِى فلِمْ لا أُبكِّى رَبيعَ الشَّباب

أأشْرَبُ فى الكأسِ ـ كلاَّ وحاشا ـ لِأُبصِرَهُ فى صَفاءِ الشراب

ومنه :

تحبَّبْ أو تذرَّعْ أو تأبَّى فلا وَاللهِ لا أزدادُ حُبَّا

أخَذْتَ ببعضِ حُبك كل قلبى فإنْ رُمتَ المَزيدَ فَهاتِ قَلبا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبى منصور بن الجواليقى : قال لنا

(١) القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرؤس فى حومة الوغى ، والضغم العض أو النهش ، والهزبر الضيغم الحرب : الأسد .

(٢) تمايس : بحذف إحدى التاءين . أى تتمايس وتتخايل

(٣) اللقى ، الشىء الملقى فى الطريق ونحوه .



أبو زكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني عن أبى بكر محمد بن هارون الروياني عن أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى قال : قرأ علىّ أعرابى « طِيْبَى لهم وَحُسنُ مآب » فقلت « طُوبَى » فقال « طِيبَى » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طِيبَى » فلما طال علىّ قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابى « طِيطِي » أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشد محافظة هذا البَدَوى عليها حتى أنه استُكره على تركها فأبى إلا إخْلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبى وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نَعيمةُ والدنيا مفرَّقَةٌ وحال من دونها غَيرانُ مزعوجُ

فقيل له : لا يقال مزعُوج ، إنما يقال مُزعَجٌ ، لجفا ذلك عليه ، وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية بِكراً يكون بها بيت خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا لَحَنتَ وهذا ليس منتصبا وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وَحرّضُوا بين عبد الله من حُمُقٍ وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طُبعوا
ما كل قولِىَ مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضِىَ أرض لا تُشَبُّ بها نار المجوس ولا تبنى بها البِيَع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرنى قديماً بالموصل أعرابى عَقِيلى جَوْثِىٌّ تميمىٌّ ، يقال له محمدُ بنُ العسَّافِ الشَّجَرِىّ ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً ـ شغفاً بفصاحتهِ والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه فى إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدِ فِطنتهِ : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذاك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبداً فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت : أَلَسْتَ تزعُم أنك لا تقول « أبوك » أبداً ؟ فقال « إيْش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام .إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولا! فانظر إلى قيام معانى هذا الأمر فى أنفسهم و إن لم تقطع بعبارتهم.

أخبرنى أبو علىّ عن أبى بكر عن أبى العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلاَ اللَّيلُ سَابِقٌ النهَار » فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت سابقَ النهارِ ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح ، ففى هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها : أنهم قد يراعون من معانيهم ما تنسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثانى : أنهم قد ينطقون بالشىء وفى أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشىء وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزنَ ، أى أقوى وأعربَ .

قال ابن جِنىّ : وسألت الشجرىّ صاحبنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له : كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت : فكيف تقول «اليوم إن زيدا قائم ؟» فأباها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها ، لأنها إنما تأتى أبداً مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها قلت له يوماً ولابن عمّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سناً وألين لساناً : كيف تحقران « حَمْرَاء » فقالا : حُميرَاء ، قلت : فصفراء قالا : «صفيراء» قلت : « فسوداء » قالا : « سويداء » واستمررت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دسست بين ذلك « عِلْبَاء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : « علبياء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكرا



فقال إهْ « عُلَيْبَى » وأشم الفتحة دائماً للحركة فى الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : ياأبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَنْجماً ـ وكان غرضى من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصحح فيقول محرنجمات؟ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصَدَق ، وذلك أن المحرنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحِسٍّ لما أريده منه والجماعة معى على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرنجمةٍ وأخرى مُحرَنْجمَةٍ ، وأخرى محرنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال ـ وقد أحس الموضع ـ « ياهذا هكذا أقول : مررت بإبل محرنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبتة استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لِمُصاقبتها ذوات الخمسة التى لا سبيل إلى تكسيرها لا سيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتَدُّ فى كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب[1] ، وضَيْوَن[2] ، وهزَنبرَان[3] ، ودَودرّى[4] ، وقرنفُلَ ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكاكين قلت : فقُرطَاناً ، قال : قراطين ، قلتُ : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت ، هلا قلت عثامين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأباها ألبتة وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته ؟ والله لا أقولها أبداً . . استوحش من تكسير العلم إكثاراً له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذى لايجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

---

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دويبة تشبهه (٣) يقال : رجل هزنبر وهزنبران ، أى حديد وثاب (٤) الذى يذهب ويجيء من غير حاجة .



ونكتفى بهذا المقدار من التعريف بأبى الفتح بن جنى شارح المتنبى ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعى .

الواحـــدى

وهذا الإمام أبو الحسن علىّ بن أحمد بن محمد بن علىّ الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبى هو ـ كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما ـ الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتتلمذ لأبى الفضل العروضى[1] ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القَهَنْدَزى ، ولازم مجالس الثعلبى[2] فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحـد　　　عالمنا المعروف بالواحدى

---

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق احمد بن محمد إبراهيم الثعلبى النيسابورى المفسر المشهور : كان أوحد زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعلبى والثعالبى وهو لقب له وليس بنسب، توفى سنة ٤٢٧ وهو ـ طبعاً ـ غير الثعالبى صاحب يتيمه الدهر



قال ومن غرر شعره :

أيا قادِماً من طُوسَ أهلا ومرحباً بَقيت على الأيام ما هبت الصبا
لعمرى لئن أحيا قُدُومُك مُدنَفاً بحُبِّكَ صبًّا فى هــواك مُعذَّبا
يَظَلُّ أسيرَ الوجدِ نَهبَ صَبابَةٍ وَيُمسى على جَمرِ الغضا مُتَقلِّبا
فكم زَفرةٍ قد هِجتَهَا لو زفرتُهَا على سَدِّ ذى القرنين أمسى مُذَوَّبا
وكم لوعةٍ قاسيتُ يومَ تركتَنى ألاَحِظ مِنك البدرَ حين تغيَّبا
وَعادَ النهارُ الطلق أسوَدَ مُظلِماً وعادَ سناَ الإصباحِ بعدك غَيهبَا
وَأصبح حُسن الصبرِ عَنِّىَ ظاعناً وَحَدَّد نحوِى البينُ ناباً وَمِخلبَا
فأُقسِم لو أبصرتَ طَرفِىَ باكياً لشاهدتَ دَمعاً بالدِّماء مُخضَّبا
مسالِكُ لَهوٍ سدَّهَا الوَجدُ وَالجوَى وَرَوضُ سُرُورٍ عاد بَعدك مُجدِبا
فِدَاؤُك رُوحى يا ابنَ أكرمِ والدٍ ويامَن فؤادى غير حُبِّيهِ قد أبَى

وأنشد له :

تشوَّهَتِ الدنيا وَأبدَت عَوارَها
وضاقت علىَّ الأرضُ بالرَّحبِ وَالسَّعه
وأظلَمَ فى عينى ضياء نهارها
لِتوديع من قد بان عنى بِأربعَه
فؤادى وعيشى والمسرة والكرى
فإن عاد عادَ الكلُّ والأنسُ والدَّعه

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمننا هذا وتسعه سِنو عُمرى على قلة أعدادها ، فقد وفق الله — وله الحمد — حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه فى هذا الباب من مَظَانّه ، وأخذته من معادِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبى الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضى رحمه الله[1] .

وكان قد خنق التسعين فى خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبى منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدْخُل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتيه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — فقلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كثب ، ثم لم أُغِبَّ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

---

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن مالك النهشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطبقة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .



وأما النحو فإنى لما كنت فى ميعة صباى وشرخ شبيبتى وقعت إلى الشيخ أبى الحسن على بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه فى لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضايق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس فىَّ ، وتوسم الخير لدىّ ، فتجرد لتخريجى ، وصرف وُكْدَه إلى تأديبى ، ولم يدخر عنى شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرنى بأفلَاذِه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعانى ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء فى المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته فى النحو والعروض والعلل ، وخصنى بكتابه الكبير فى علل القراءة المرتبة فى كتاب الغاية لابن مِهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربى المالكى ، وكان واحد دهره ، وباقعة عصره ، فى علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه فى معرفة الإعراب . ولقد صحبته مدة فى مقامه عندنا حتى استَنْزَفْت غرر ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإنى اختلفت إلى الأستاذ أبى القاسم على بن أحمد البستى رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبى بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبى عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، وأبى الحسن على بن محمد الفارسى ، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة فى هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع فى علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبى على الفسوى عنه [1] وقرأت عليه بلفظى كتاب الزجّاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتى الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى رحمه الله وكان خير العلماء

---

(١) هو أبو على الفارسى .

بل بَحرهم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل فخرهم ، وأوحد الأمة بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى رفعت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب الريح فى الأقطار .

فسَارَ مَسِيرَ الشمس فى كلِّ بلدةٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فى البَرِّ وَالْبَحرِ

وأصفقَت عليه كافة الأمة على اختلاف نِحَلِهِم ، وَأَقرُّوا له بالفضيلة فى تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فمن أدركه وَصَحِبَهُ عَلِمَ أنه منقطع القرين ، ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدلَّ بها على أنه كان بحراً لا يُنْزَف وَغمراً لا يُسبَرُ ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، مِنْهَا تفسيره الكبيرُ وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرهما ، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها طال الخطب وَملَّ الناظرُ ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقمتُ على غيرى إهماله ، ونعيت عَلَيْهِ إغفاله ، لا يدعُ لمن تأمله حَارَّةً فى صدره حتى يخرجه من ظلمة الرِّيَبِ والتخمين ، إلى نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأمِّل مُرتَاضاً فى صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحِجَاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الجِّذْع المُرخَى من المقتبسين ، والرَّيِّض الكَزّ من المبتدئين ، فإنَّهُ مع هذا الكتاب كمزاولٍ غَلَقاً ضاع عَنْهُ المفتاح ؛ ومتخبط فى ظلماء لَيْل خَانَهُ المصباح :

يُحَاوِلُ فَتقَ غَيْمٍ وَهو يأبى كعِنِّينٍ يُرِيدُ نِكاح بِكْرِ

ثُمَّ قال بعد كلاَمٍ : إنَّ هذا الكتاب عُجالة الوقتِ ، وَقبسَةُ العَجلانِ ، وَتَذْكِرَةٌ يستصحِبُهَا الرجل حيث حل وارتحل وَإن أُنسِئَ الأجل ،



وأُرخِيَ الطِوَلُ ، وأنظَرَنى الليلُ والنهارُ ، حتى يتلفع بالمشيب العِـذارُ أردفته بكتابٍ أُنْضِجُهُ بنار الرّوية ، وأُرَدِّده على رُواق الفـكرة ، وأضمنه عجائب ما كتبته ، ولطائف ما جمعته ، وعلى الله المعول فى تيسير ما رُمت ، وله الحَمْدُ كلما قعَدتُ أو قمتُ .

ابن فورجه

قال ياقوت ــ ونقله السيوطى فى بغية الوعاة ــ : هو محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجه ــ بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم ــ البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبى الفتح ، والتجنى على ابن جنى ، يرد فيه على أبى الفتح بن جنى فى شرح شعر المتنبى ، ومولده فى ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، ومن شعره :

أيها القاتلى بعينيه رفقـا إنما يستحق ذا من قلاكا
أكثر اللائمون فيك عتابى أنا واللائمون فيك فداكا
إن لى غيرة عليك من اسمى إنه دائمـــا يقبل فاكا

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات . هكذا : ابن فورَّجَّه فقال : بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاى وتشديد الجيم .

ابن القطاع الصقلى

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم على بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، و إن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدرة الخطيرة فى المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح الملح ، جمع فيه خَلْقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته فى العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوى وأمثاله ، وأجاد فى النحو غاية الإجادة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر فى حدود سنة خمسمائة وبالغ أهل مصر فى إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل فى الرواية ومن شعره فى ألثغ :

وشادِنٍ فى لسانه عُقَدٌ ... حَلت عقودى وأوهنت جَلدى
عابوه جهلا بها فقلت لهم ... أما سَمِعتم بالنَّفْث فى العقد

وله من قصيدة :

فلا تُنْفدن العمر فى طلب الصبا ... ولا تشقيَن يوما بِسُعْدَى ولا نعم
ولا تندبن أطلال ميـــة باللوى ... ولا تسفحن ماء الشؤون على رَسم
فإن قُصارَى المرء إدراك حاجة ... وتبقى مذمات الأحاديث والإثم

ومن شعره فى غلام اسمه حمزة :

يامن رمى النار فى فؤادى ... وأنبط العين بالبـــكاء
إسمك تصحيفه بقلبى ... وفى ثناياك برء دائى
أُردُد سلامى فإن نفسى ... لم يبق منها سوى الذماء

وارفق بصب أتى ذليلا قد مزّج اليأسَ بالرجاء
أنهكه فى الهوى التجنّى فصـــار فى رقة الهواء

وله شعر كثير ، وتوفى بمصر فى صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى .

ابن الإفليـــلى

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبى وقاص القرشى الزهرى المعروف بابن الإفليلى[1] إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان فى بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام عرضاً كذلك ، قال فى بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له فى رسالة التوابع والزوابع إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفليلى فإنه من نفسى مكين ، وحبه بفؤادى دخيل ، على أنه متحامل علىّ ، ومنتسب إلىّ . . . فقال ابن بسام نقلا عن ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفليلى الذى به عرّض قد بذّ أهل زمانه بقرطبة فى علم اللسان العربى والضبط لغريب اللغة فى أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة فى بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفنّ كثير الحسد فيه ، راكباً رأسه فى الخطإ البيّن إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعَدِمَ علم العروض ومعرفته مع احتياجه إليه وكمال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ، وكان لحق الفتنة البربرية وَمَضَى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء الكائنين بقرطبة من آل حَمود إلى أن نال الجـاه ؛ واستكتبه محمد بن

---

(١) الإفليلى ـ بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء ـ المثناة من تحتها وبعدها لام ثانية،هذه النسبة إلى الإفليل وهى قرية بالشام كان أصله منها .



عبد الرحمن المستكفى بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يجْرِ فى أساليب الكتاب المطبوعين ، فزَهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف فى شىء من فنون المعرفة إلا شَرْحَه ديوان المتنبى لاغير ، ولحقته تهمة فى دينه أيام هِشام المروانى فى جملة من تتبع من الأطباء فى وقته كابن عاصم والسامى والحمار وغيرهم ، وطلب ابن الإفليلى وسجن بالمُطْبِق ، ثم أطلق . . . . وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المغيب ، صافى الضمير ، وكانت ولادته فى شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفى يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن فى صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر فى فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبى الحسين أحمد بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل فى اللغة ، وأخذ عن أبى الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبى فى كتابه اليتيمة فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله فى العلم والأدب وجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بالغايات فى المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجَهدُ وَصْفى يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ... ثم شرع فى شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .



وقال أبو بكر الخوارزمى فى حقه : الصاحب نشأ من الوزارة فى حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، ورضع أفاويق درّها ، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمى فى حقه :

وَرِثَ الوزارة كابِراً عن كابرٍ — موصولةَ الإســـناد بالإسناد

يروى عن العباس عبـــاد وزا — رته وإسماعيـل عن عباد

وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى علَماً عليه .

وذكر أبو إسحاق الصابى فى كتاب التاجى : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ثم سمى به كل من ولى الوزارة بعده ، وكان أولا وزير مؤيد الدولة أبى منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمى ، تولى وزارته بعد أبى الفتح على بن أبى الفضل بن العميد ، فلما توفى مؤيد الدولة فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه فخر الدولة أبو الحسن على فأقر الصاحب على وزارته ، وكان مبجلا عنده ومعظماً نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفرانى يوماً أبياتاً نونية من جملتها :

أيا من عطاياه تُهدى الغِنَى — إلى راحَتَىْ مَن نأى أودنا

كسوت المقيمين والزائرين — كِسًى لم نخَلْ مِثلَها ممكنا

وحاشيةُ الدار يمشون فى — صُنوفٍ من الخزِّ إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة الشيبانى أن رجلا قال له: احملنى أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس و بغل وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوباً غير هذا لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخزِّ بجُبّةٍ وقميص ، وعمامة ، ودُرّاعة ، وسراويل ، ومنديل ، ومطرف ، ورداء ، وكساء ،



وجورب ، وكيس ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من المز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغُرَرِ المدائح ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة فى مظلمة مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها : فى حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقّع فيها : هذه بضاعتنا ردّت إلينا ؛ وحبس بعض عماله فى مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخسَؤُا فيها ولا تكلمون ، ونوادره كثيرة ، وصنف فى اللغة كتاباً سماه المحيط وهو فى سبعة مجلدات رتبهُ على حروف المعجم كثّر فيه الألفاظ وقلّل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافى فى الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبى ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فمنه قوله :

وشــادِنٍ جمالُه ... تَقْصُرُ عنه صِفَتِى
أهْوَى لِتقبيل يدى ... فقلت قبِّل شفتى

وله فى رقة الخمر :

رَقّ الزُّجاجُ وَرَاقَتِ الخمْرُ ... وتَشَابها فتشَــاكل الأمْرُ
فكأنما خمــرٌ ولا قدحٌ ... وكأنما قدح ولا خمــر

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسى النحوى : أن نوح بن منصور أحد ملوك بنى سامان كتب إليه ورقة فى السر يستدعيه ليفوضَ إليه وزارته وتدبيرَ أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .



قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن فى قبة بمحلة تعرف بباب دزيه وهى عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض .

قال أبو القاسم بن أبى العلاء الشاعر الأصبهانى : رأيت فى المنام قائلا يقول لى لِمَ لَمْ ترثِ الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت ألجمتنى كثرة محاسنه فلم أدرِ بما أبدأ منها ؟ وقد خفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها ، فقال أجز ما أقوله فقلت قل ، فقال :

* ثوى الجود والكافى معاً فى حفيرة *

فقلت : * ليأنس كل منهما بأخيه *

فقال : * هما اصطحبا حيَّيْنِ ثم تعانقا

فقلت : ضجيعين فى لحد بباب دزيه

فقال : * إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

فقلت : * أقاما إلى يوم القيامة فيه

ذكر هذا البيّاسى فى حماسته ، ورأيت فى أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفى أغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، ورثاه أبو سعيد الرستمى بقوله :

أَبعْدَ ابن عبّاد يَهَشُّ إلى السُّرَى أخُو أملٍ أو يُستَماحُ جَوادُ

أبى الله إلا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعادِ معادُ



وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس فى سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد فخر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبي ، وتوفى فخر الدولة فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده فى سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطالقانى ـ بفتح الطاء المهملة و بعد الألف لام مفتوحة ثم قاف ـ و بعد الألف الثانية نون : هـذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوين ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين ، لا طالقان خراسان .

أبو بكر الخوارزمى

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى ـ وهو كما قال ابن خلـكان ـ ابن أخت أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ ـ قال ابن خلـكان : كان أحد الشعراء المجيدين الـكبار المشاهير ، وكان إماماً فى اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحى حلب ، وكان يشار إليه فى عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بِأرّجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه : قل للصاحب عَلَى البابِ أحد الأدباء ، وهو يستأذن فى الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسى أن لا يدخل علىّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمى فأذن له فى الدخول ، فدخل عليه فعرفه وانبسط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشىء من نظمه فمن ذلك قوله :



رأيتُكَ إنْ أيسَرْتَ خَيَّمتَ عندنا
مُقيماً وإنْ أعْسَرْتَ زُرْتَ لِماما
فما أنتَ إلاَّ البَدْرُ إنْ قَلَّ ضَوْؤُه
أغَبَّ وإنْ زادَ الضياء أقاما

ومن شعره أيضاً :

يا مَنْ يُحاوِل صرفَ الراح يَشرَبُها
ولا يَفُكُّ لِما يَلقاهُ قِرطاسا
الكاسُ والكِيسُ لم يُقضَ امتلاؤُهما
فَفَرِّغ الكِيسَ حتَّى تملأ الكاسا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شهيب الخوارزمى :

أبُو بَكْرٍ لَهُ أدَب وَفضْل ولكن لا يَدُوم على الوَفاء
مَوَدَّتُه إذا دامت لِخِلٍ فَمِنْ وَقْتِ الصباح إلى المَساء

وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها فى منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير فى تاريخه : أنه توفى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه :

لا تَحمَدَنَّ ابن عَباد وإن هطلت يداه بالجود حتى أخْجَل الدِّيَما
فإنه خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِه يُعْطِى ويَمنع لا بُخْلاً ولا كَرَما

فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أقول لِرَكْبٍ من خراسانَ قَافِلٍ أمات خُوَارِزْمِيكُمْ قيل لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص مِنْ فوقِ قبره ألا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَم

العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العَمِيدى : أديب نحوى لغوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أدبيات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيته بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرىء عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائةٍ ، وكتاب الإرشاد إلى حَلِّ المنظوم والهداية إلى نظم المنثور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجد لى   مقرَّ عبادةٍ إلاَّ القَرَافَهْ
لئن لم يَرْحم المولى اجتهادِى   وقلة ناصرى لم ألق رَافَهْ



ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو – كما قال ابن خلكان والثعلبي – أبو محمد الحسن ابن على بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسى . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد فى أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بَيَّنَ فيه سرقات أبى الطيب ، سماه المنصف ، وكان فى لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق ... فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء ... وقد يُسْلِى عن الولد العقوق

وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا ... باق ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصل يؤمن ودّه ... ومواصل بوداده يرتاب

وله أيضاً :

لقد شمت بقلبى ... لا فرّج الله عنه
كم لمتهُ فى هواه ... فقال لا بد منه

وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رَعى الله عزمة ضمنت لى ... سلوة القلب والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت ... مثل قلبى تقول لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستعر جلداً على هِجْرَانِهم ... فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم ... طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد ابن مقلد القضاعى الشيزرى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همتى بالخمول ... وصدّت عن الرتب العاليه

وما جهلت طَعْم طيب العلا ... ولكنها تؤثر العافيه

فأنشدنى لنفسه على البديهة :

بقدر الصعود يكون الهبوط ... فإياك والرتب العاليه

وكن فى مكان إذا ما سقطت ... تقوم ورجلاك فى العافيه

ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ... ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لى : لو هويت هذا ... ما لامك الناس فى هواه

قل لى إلى من عدلت عنه ... فليس أهل الهوى سواه

فظل من حيث ليس يدرى ... يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبى عاذلى ... لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ، ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تِنِّيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . ووَكِيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها و بعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى ، وكان فاضلا نبيلا فصيحا من



أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، فمنها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آى القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمى والنضال وكتاب المكاييل والموازين وغير ذلك ، وله شعر كشعر العلماء ، وتوفى يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفى عبدان الأهوازى سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتنيسى بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها و بعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

الخطيب التبريزى

هو أبو زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبى العلاء المعرى . وأبى القاسم عبد الله بن على الرقى ، وأبى محمد الدهان اللغوى وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبى الفتح سليم بن أيوب الرازى ومن أبى القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوى البغدادى وأبى القاسم عبد الله بن على وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجو اليقى ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسى وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعانى فى كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون



المقرىء يقول : أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ما كان بِمَرضِيِّ الطريقة ، وذكر عنه أشياء . ثم قال : وذاكرت أنا مع أبى الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ، ولكن كان ثقة فى اللغة وما كان ينقله ، وصنف فى الأدب كتبا كثيرة مفيدة : منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبى ، وكتاب شرح سقطِ الزند وهو ديوان أبى العلاء المعرى ، وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات ، وله تهذيب غريب الحديث ، وتهذيب إصلاح المنطق ، وله فى النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهى عزيزة الوجود ، وله كتاب الكافى فى علم العروض والقوافى ، وكتاب فى إعراب القرآن سماه الملخص رأيته فى أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحماسة ثلاث أكبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التآليف ، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان سبب توجهه إلى أبى العلاء المعرى : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة تأليف أبى منصور الأزهرى فى عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل ، وهى ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، وكان الخطيب قد دخل مصر فى عنفوان شبابه فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى الممات .

وكان يَرْوِى عن أبى الحسن محمد بن المظفر بن محيريز البغدادى جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعانى فى كتاب الذيل فى ترجمة الخطيب وهى من أشهر أشعاره :

خليلى ما أحلى صبوحى بدجلة   وأطيب منه بالصراة غبوق



شربت على اللاءين من ماء كرمة فكانا كدر ذائب وعقيق
على قمرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلو الهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هـذا أخى وشقيقى

وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمدّ من معنى قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة الأندلسى فى مدح المعتمد ابن عباد صاحب إشبيليه من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاهُ البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب

ما كفاه أنه جعله شقيق البحر حتى رجحهُ عليه فقال : الساكن العذب والبحر مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هـذه القصيدة :

بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وَإنى لخطىء نجوم الدياجى لا يقال لها سرب

وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمَن يَسأم من الأسفار يوما فإنى قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال لئام ينتمون إلى لئام

وقال الخطيب : كتب إلىّ العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأقاويل فنون
غير أنى لست من يكـذبُ فيها ويخون
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون
أنت مَن عَز به الفضـل وقد كاد يهون
فقت من كان وأتعبت لعمرى من يكون
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجون

وإذا فتش عنهم فالأحاديث شجون
قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون
ووزنّا بك من كا ن فقيلٌ وقبون
أين شيبان وأزدٌ كل ما زال ظنون
إنك الأصل ومن دو نكَ فى العلم غصون
إنك البحر وأعيا ن ذوى الفضل عيون
ليس كالسيف وإن حلـ ـل فى الحكم جفون
ليس كالقدح المعلى ليس كالبيت الحُجون
ليس كالجِدّ وإن آ نسَ هَزلٌ ومجون
ليس فى الحسن سواء أبداً بيض وجون
ليس كالأبكار فى اللـ ـطف وإن راقتك عُون
قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا
سبق الزائد بالفضل فعزُّوا أو فهُونوا
دُمتَ ما خالف فى الحدّ حراكٌ وسكون
وتلقاك المنى ما قرّ بالطير الوُكون
إنّ وُدّى لك عما يَصِيم الوُدّ مَصونُ
ليس لى فيه ظهور تتنافى أو بطون
بل لقلبى فيك صَبٌّ بالمصافاة يكون
غلق الرهن وقد تغلـ ـق فى الحب رهون
ومن الناس أمين فى هواه وخؤون

وقال ابن الجواليقى : قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلا الفياض أنا قطرة من بحرك الفياض

شرفتني ورفعت ذكرى بالذى ... أبستنيه من الثنا الفضفاض
ألبستنى حلل القريض تفضلا ... فرفلت منها فى علا ورياض
إنى أتيتك بالحصى عن لؤلؤ ... أبرزته من خاطر مرتاض
وبخاطرى عن مثل ذاك توقف ... ما إن يكاد يجود بالابعاض
العارض البحر الغُطَامِطُ جدول ... أم درة تتقاس بالرضراض
يا فارس النظم المرصع جوهرا ... والنثر يكشف غمة الأمراض
يرمى به الغرض البعيد وقد غدا ... فكرى يقصر عن مدى الأغراض
لا تلزمنى من ثنائك موجباً ... حقا فلست لحقه بالقاضى
فلقد عجزت عن القريض وربما ... أعرضت عنه أيما إعراض
أنعم علىّ ببسط عذرى إننى ... أقررت عند نداك بالإنفاض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفى فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن فى مقبرة باب أبرز رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم .

العكبرى

أما الإمام العُكبَرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبى عبد الله الحسين بن أبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى الأصل البغدادى المولد والدار الفقيه الحنبلى الحاسب الفرضى النحوى الضرير الملقب محب الدين ، أخذ النحو عن أبى محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من أبى الفتح محمد بن عبد الباقى بن أحمد المعروف بابن البطى ومن أبى زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى وغيرهما ، ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله فى فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وديوان المتنبى ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم فى مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللُّمَع لابن جِنِّى وكتاب اللباب فى علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصّل للزمخشرى شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النُّباتِيّة والمقامات الحريرية وصنف فى النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه فى البلاد وهو حىّ وبَعُدَ صِيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبرى بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عُكْبَرا وهى بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

ابن الشجرى

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسنى المعروف بابن الشجرى البغدادى . قال ابن خلكان : كان إماماً فى النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من الأدب صنّف فيه عدّة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تآليفه وأكثرها إفادة أملاه فى أربعة وثمانين مجلسا ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قَصَرَه على أبيات من شعر أبى الطيب المتنبى تكلم عليها وذكر ما قاله الشرّاح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن



الخشاب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه فى مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه فى ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الانتصار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسمعه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبى تمام الطائى ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله فى النحو عدة تصانيف : ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف الملوكى ، وكان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبى الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفى ، وأبى على محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعانى فى كتاب الذيل وقال : اجْتمعنا فى دار الوزير أبى القاسم على بن طراد الزينبى وقت قراءتى عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر فى المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالى أبى العباس ثعلب النحوى .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى النحوى فى كتابه الذى سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشرى لما قدم بغداد قاصداً الحج فى بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبى السعادات ابن الشجرى فمضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبى .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغّر الخَبَرَ الخُبْرُ

ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر

ثم التقينا فلا والله ما سمعت ... أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

وهذان البيتان منسوبان إلى أبى القاسم محمد بن هانىء الأندلسى وينسبان



إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنبارى : فقال العلامة الزمخشرى : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له : يا زيدما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لى ، غيرك ؛ قال ابن الأنبارى : فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشرى بالحديث وهو رجل أعجمى ؟ وكان ابن الشجرى نقيبَ الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن على ابن محمد بن جهير وأولها :

هذى السديرة والغدير الطافح ... فاحفظ فؤادك إننى لك ناصح
ياسِدْرَةَ الوادى الذى إن ضله الـ ... ـسارى هداه نشره المتفاوح
هل عائد قبل الممات لمغرم ... عيش تقضى فى ظلالك صالح
ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة ... لما دعى مُضْنَى الصبابة طامح
شط المزار به وبُوِّىء منزلا ... بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه ... قمر يحف به ظلام جانح
وإذا العيون تساهمته لحاظها ... لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا ... فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكى فكم من مضمر ... وجداً أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما ... تلك العراصُ المقفرات نواضح
يا صاحِبَىَّ تأملا حُيِّيتما ... وسقى دياركما المُلِثُّ الرائح
أدُمًى بدت لعيوننا أم رَبْرَبٌ ... أم خُرَّد أكفالهنَّ رواجح
أم هذه مُقَل الصوارِ رَنَت لنا ... خِلَلَ البراقع أم قناً وصفائح
لم يبق جارحة وقد واجهننا ... إلا وهن لهـا بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى ... ومِنَ الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة ... ما أثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود … وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تُفْنِي شئونك بالبكا … وقد حَدَّ حدّاً لِلبُكاء لَبيدُ
وإني وإن خَفَّتْ قَنَاتِيَ كَبْرَةً … لذو مِرّةٍ في النائبات جليد

وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما … وهل أنا إلا من رَبيعَة أو مُضَر
فقُوما فنُوحَا بالذي تعلمانه … ولا تَخْمِشَا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه … أضاع ولا خان العهود ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما … ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظعنوا فكان بكاء حول بعدهم … ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدني أبو إسمعيل الحسين الطغرائي لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكا مطاعا … فكن عبداً لمالكه مطيعا
وإن لم تملك الدنيا جميعا … كما تهواه فاتركها جميعا
هما سببان من ملك وتركٍ … ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشيء … سوى هذين عاش بها وضيعا

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكينا البغدادي الحريمي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعيذك من نَظم قَرِيض يَصْدَا بهِ الفِكْر
مالك من جدك النبى سوى أنك ما ينبغى لك الشعر

وكانت ولادته فى شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفى يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من الغد فى داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرى بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء : هذه النسبة إلى شجرة وهى قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمّت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدرى إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

القاضى الجرجانى

هو أبو الحسن على بن عبد العزيز بن الحسن بن على بن إسماعيل الجرجانى قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلاملا ، مات بالرّىّ يوم الثلاثاء لست بقين من ذى الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضى القضاة بالرى حينئذ ، وذكره الحاكم فى تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبى بكر ، وأخُوه إذ ذاك فقيهٌ مناظر ، وأبو الحسن قد ناهز الحُلُم ، فسمعامعاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكِرَ فى الدنيا[1] . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضى أبو الحسن عبد الجبار

---

(١) يريد إلى أن مات .



ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو على القاسم بن على بن القاسم وزير مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، رَاجِلين ، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمى ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى وله يقول الصاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضى عبد الجبار على قاضى الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله ... فدعنا وهذِى الكتبَ نحسِنْ صدورها
فإنهم لا يرتضون مجيئنا ... بجزع إذا نَظَّمت أنت شذورها[1]

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجانى قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا ذكره فى كتبه تبخبخ به[2] وشمخ بأنفه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وَقْتِهِ وعلماء عصره . وله رسائل مدونة ، وأشعار مُفَنَّنة ، وكان جيد الخط مليحا يشبه بخط ابن مقلة ؛ ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه ... مثل الذى أشرب من فيه
الورد قد أينع فى وجنتى ... قلت : فمى باللثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا فى موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهُمُ هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ومازلت منحازاً بِعِرضِىَ جانبا ... من الذم أَعْتَدُّ الصيانة مَغْنما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ... ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظمَا
وما كل بَرقٍ لاح لى يَسْتَفِزُّنِى ... ولا كلُّ أهل الأرض أرضاه مُنْعِما

---

(١) الجزع : الخرز اليمانى .
(٢) أى قال : بخ بخ .



ولم أقضِ حق العلم إنْ كان كلَّمَا بَدا طَمعٌ صيّرتُه لِيَ سُلَّمَا
ولم أبْتذل فى خدمة العلم مهجتى لأخْدُم من لاقيت لكن لأُخْدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذِلَّةً؟ إذَنْ فابْتِياعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانُوه صانَهُم ولو عظّموه فى النفوس تعظّما
ولكن أذَلوه جهاراً ودَنسوا مُحيّاه بالأطماع حتى تجهّما

ومنه:

وقالوا: اضطرب فى الأرض فالرزق واسع
فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن فى الأرض حرٌ يُعيننى ولم يك لى كسب فمن أين أرْزَق؟

ومنه:

أحِبُّ اسمه من أجله وسَمِيَّه ويتبعه فى كل أخلاقه قلبى
ويجتاز بالقوم العدا فأُحِبهم وكلهمُ طاوى الضمير على حربى

ومنه:

قد برّح الشوق بمشتاقك فأوْلِهِ أحسن أخلاقك
لاتجفُه وارعَ له حقه فإنه خاتمُ عُشّاقك

وللقاضى عدة تصانيف منها: كتاب تفسير القرآن المجيد، كتاب تهذيب التاريخ كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وفى هذا الكتاب يقول بعض أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دَنَت كُتْبه وإن أصبحت داره شاحِطَهْ
كتاب الوساطة فى حسنه لِعِقدِ معاليك كالواسطه

ومن شعره:

وماتطعمت لذة العيش حتى صرتُ لِلبيتِ والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندى من العلْـ ـمِ فلِمْ أبتغى سواه أنيسا!!

إنما الذل فى مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا
على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها
عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فعلَتَ كُنْت الغنيَّ وإن أبت
فكل مَنوعٍ بعدها واسعُ العذر

وحدث الثعالبى عن أبى نصر التهذيبى قال : سمعت القاضى أبا الحسن على ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجاءنى رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يأيها القاضى الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهْدَيْتُ عِطراً مِثْلَ طيب ثنائه فكأنما أهْدى له أخلاقه

قال وسمعته يقول : إن الصاحب يقسم لى من إقباله وإكرامه لى بجرجان أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلاد ، وقد استعفيته يوما من فرط تحفيه بى وتواضعه لى ؛ فأنشدنى :

أكرم أخاك بِأَرض مولده وأمده من فعلك الحسنِ
فالعز مطلوب ومُلتمس وأعزه مانيل فى الوطن

ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى فى العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولى :

وَشيّدتُ مجدى بين قومى فلم أقل ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

فقال : ماأردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « ياليْتَ قَوْمِى يعلمُونَ بما غَفرَ لِى رَبِّى وجَعَلَنى منَ المُكرَمين » قال الثعالبى : القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز ، حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عقد الإتقان ، والإحسان فى كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت الصاحب المقدمْ ذكره » وقد كان فى صباه خاف الخضر فى قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به فى العلماء عَلَماً ، وفى الكمال عالماً ، ثم عرج على حضرة الصاحب فألقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلا بعيداً فى رفعته ، قريباً فى أُسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قَصْد ، وفَرَائِدَ أتت من فَرْدٍ ، وما منها إلا صوب العقل ، وذوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال فى حياة الصاحب و بعد وفاته ، من الولاية والعُطْلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض علىّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبى العباس تاش الحاجب ، فى معنى القاضى أبى الحسن نسخته بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصفى للقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتبى ما أعلم أنى لم أُؤَدِّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب ، وعادته معى ألا يفارقنى مقيما وظاعناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإلمام . فطالبنى مكاتبة بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عَنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله ، ليتعجل انكفاؤه إلىّ بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من



بَذْرَقَةٍ[1] إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من فى الطريق بتعرف النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يجمل من حظوظى الجسيمة عنده تعهد القاضى أبى الحسن بما يعجل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغانم الواجد ، فعل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة فى إظهار مساوىء المتنبى ، عمل القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه فى شعره ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد فى فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره فى الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار فى البلاد بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أنثرْ على خدّى من وردك أودِعْ فمَن يَقْطِفه من خدك
اِرحَمْ قضيبَ البان وارفقْ به قد خِفْتُ أن يَنقَدَّ مِنْ قَدِّك
وقل لعينيك — بنفسى هما — يخففان السقم عن عبدك

وله :

وفارَقْتُ حتى ما أسَرُّ بمن دنا مخافةَ نأيٍ أو حِذارَ صدود
فقد جعلتْ نفسى تقول لِمُقْلتى وقد قرّبوا — خوفَ التباعد — جودى
فليس قريباً من يُخاف بِعادُه ولا مَنْ يُرَجَّى قُرْبه ببعيد

وله يستطرد :

من عاذِرِى مِنْ زَمنٍ ظالم ليس بمستحيٍ ولا راحم ؟

---

(١) الخفارة فى الطريق .

يفعل بالإخوانَ أحـداثه فِعـل الهوى بالدنِفِ الهائم
كأنما أصبح يَرميهمُ عن جَفنِ مولاى أبي القاسم

وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

يا نسيم الجنوب بالله بلغ ما يقول المتيم المستهام
قل لأحبـابه فدا كم فؤاد ليس يسـلو ومُقلةٌ لا تنام
بنتم فالرقاد عنـدى سهاد مذْ نأيتم والعيش عندى لِمَامُ
فعلى الـكرخِ فالقطيعة فالشـ ـطّ فباب الشعير مِـنى السلام
يا دِيارَ السرور لازال يبكى بك فى مَضحَكِ الرياض غمامُ
رُبَّ عيشٍ صَحِبته فيك غَضٍّ وجفونُ الخطوب عنى نيام
فى ليال كأنهن أمانٌ من زمان كأنه أحـلام
وكأن الأوقاتَ فيها كئوسٌ دائرات وأنسهن مُدَام
زمن مُسْعِدٌ وإلفٌ وَصول ومُنًى يستلذها الأوهام
كل أنسٍ ولذة وسرور بعد ما بنتم علىّ حـرام

وله فى ذلك :

سقَى جانبى بغداد أخلافُ مزنةٍ تحاكى دموعى صوبها وانحدارها
فلى منهما قلب شجانى اشتياقه ومهجة نفس ما أمل ادّكارها
سأغفر للأيام كل عظيمـة لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كعهدها إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟
وصحبة أحباب لبست لفقدهم ثياب حداد يُستجد خليعها
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق تجافت جفونى واستطير هجوعها !
وإن أخلفتها الغاديات رعودَها تكلف تصديق الغمام دموعها

سقى جانبى بغداد كل غمامةٍ يحاكى دموع المستهام هموعها
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت لواحظها ألا يداوى صريعها
بها تسكن النفس النفور ويغتدى بآنَسَ من قلب المقيم نزيعها
يحن إليها كل قلب كأنما يشاد بحبات القلوب ربوعها
فكل ليالى عيشها زمن الصبا وكل فصول الدهر فيها ربيعها

وله فى ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لى سكن لولا التحمل لم أنفكّ أندبه
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت دياره وأرانى لست أصحبه
فى كل يوم لعينى ما يؤرقها من ذكره ولقلبى ما يعذبه
ما زال يبعدنى عنه وأتبعه ويستمر على ظلمى وأعتبه
حتى أوت لى النوى من طول جفوته وسهلت لى سبيلا كنت أرهبه
وما البعاد دهانى بل خلائقه ولا الفراق شجانى بل تجنبه

وله فى التخلص :

أوَ ما انثنيت عن الوداع بلوعةٍ ملأت حشاك صبابة وغليلا ؟
ومدامع تجرى فتحسب أن فى آماقهن بنان إسماعيلا

وله من قصيدة فى الأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرِّب
تلقين أطراف السجوف بِمُشْرِق لهن وأعطافَ الخدور بِمغرب
فما سرن إلا بين دمع مضيع ولا قمن إلا بين قلب معذب
كأن فؤادى قِرْنُ قابوس راعه تلاعبه بالفيلقِ المتناشب

وله فى الصاحب من قصيدة :

وما بال هذا الدهر يطوى جوانحى ... على نفس محزون وقلب كئيب
تقسمنى الأيام قسمة جائرٍ ... على نضرة من حالها وشحوب
كأنى فى كف الوزير رغيبة ... تقسم فى جدوى أغرّ وهوب

وله من قصيدة فى الصاحب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها ... إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعانى وألفت ... خواطرك الألفاظ بعد شِرّادها
وإن نحن حاولنا اختراع بديعة ... حصلنا على مسروقها ومُعادها

وله فى الصاحب من قصيدة يهنئه بالبرء من المرض :

بك الدهر يبدى ظله ويطيب ... ويقلع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ... ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أفى كل يوم للمكارم روعة ... لها فى قلوب المكرمات وجيب ؟
تقسمت العلياء جسمك كله ... فن أين فيه للسقام نصيب ؟
إذا ألِمَتْ نفس الوزير تألمت ... لها أنفس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه ... حياتى وفى وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ... ولكنه فى المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت ... وعما قليل تبتدى فتصوب
تهلل وجه المجد وابتسم الندى ... وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
فلا زالت الدنيا بِمُلكك طلقةً ... ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتى تجنى الحوادث والدهر ... فأما اصطبارى فهو ممتنع وعر
كأنى ألاقى كل يوم ينوبنى ... بذنب وما ذنبى سوى أننى حر
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذى ... أضيق به ذرعا فعندى له الصبر

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى ... وما علموا أن الخضوع هو الفقر
و بينى و بين المـال بابان حرما ... علىَّ الغنى : نفسى الأبية والدهر
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دونه ... مواقف خير من وقوفى بها العسر
إذا قدّموا بالوفر قدمت قبلهم ... بنفسٍ فقير كل أخلاقه وفر
وماذا على مثلى إذا خضعت له ... مطامعه فى كفّ من حصل التبر

وله :

سقى الغيث أو دمعى ـ وقلّ كلاهما ـ ... لها أربعا ، جور الهوى بينها عدل
بحيث استرقّ الدِّعصُ وانبسط النقَى ... وحيث تناهى الحِقف وانقطع الرمل
أُ كثّر من أوصافها وهى واحـد ... ولـكن أرى أسماءها فى فمى تحلو
وفى ذلك الخِدْرِ المـكلّل ظبية ... لـكل فؤاد عند أجفانها ذَحل
إذا خطرات الريح بين سجوفها ... أباحت لطرف العين ماحَظَرَ البُخْل
تلقت بأثنـاء النصيف لحاظنا ... وقالت لأخرى : ما لمستهتر عقل ؟
أفى مثل هذا اليوم يمرح طرفه ... وأعداؤنا حُوَلٌ وحسادنا قُبْل ؟
ومدت لإسبال السجوف بنانها ... فغازلنا عنها الشمائل والشـكل

أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارئ هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته وعبقريته علماً ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفى سنة ٤٤٩ ، وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العزيزي . واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب ، وديوان البحتري وسماه « عبث الوليد » وديوان المتنبي ، وسماه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .

قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم على بن المحسن التنوخي ، وأبو زكريا التبريزي ـ أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له ـ وغيرهما ، والله أعلم .

« امثال المتنبي وحكمه »

انظر أمثال المتنبي وحكمه فى ذيل الجزء الرابع
من هذا الديوان



قافيـة الهمزة

قال ـ وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبى ذر سهل بن محمد الكاتب(*) ـ :

أَلْقَلْبُ أَعْلَمُ يا عَذُولُ بِدائِهِ ... وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمائِهِ(١)

فَوَمَنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّكَ فِى الْهَوَى ... قَسَماً بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبَهائِهِ(٢)

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً ... إِنَّ الْمَلامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدائِهِ(٣)

(*) وهذه هى أبيات أبى ذر المذكور . وكان شيخ سيف الدولة :

يا لائِمِى كُفَّ المَلامَ عَنِ الذى ... أَضْناهُ طُولُ سَقامِهِ وَشَقائِهِ

إِنْ كُنْتَ ناصِحَهُ فَداوِ سَقامَهُ ... وَأَعِنْهُ مُلْتَمِسًا لأَمْرِ شِفائِهِ

حَتَّى يُقالَ بِأَنَّكَ الْخِلُّ الذى ... يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخائِهِ

أَوْ لا ، فَدَعْهُ فَما بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ ... طُولِ المَلامِ فَلَسْتَ مِنْ نُصَحائِهِ

نَفْسِى الفِداءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَواذِلِى ... فى حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقَبائِهِ

الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... وَالبَدْرُ يطلع مِنْ خِلالِ قَبائِهِ

(١) الضمير فى مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه دموعه يقول : القلب أدرى منك أيها اللائم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتمس شفاءه فى البكاء ويأمر الجفن به * وإن شفائى عبرة مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليق بأن تعصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطعتك أيها اللائم فيه .

(٣) الاستفهام فى أأحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبى الشيص :

عَجِبَ الوُشَاةُ مِنَ اللُّحَاةِ وَقَولِهِمْ دَعْ مَا بَرَاكَ ضَعُفْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ (١)

مَا الخِـــلُّ إِلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لاَ يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)

إِنَّ المُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالأَسَى أَوْلَى بِرَحْمَـةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٣)

أَجِدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَـلُمْنِي اللُّوَّمُ

وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللائم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا تكلف لا موجب له . فالمتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين حبه إياه ، أى أنه لا يصغى للوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو النمام ، لأنه يشى الكذب أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللائم . يقول : ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانه ، والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانه كان عن تركه أعجز . يعنى : إنى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أنى لا أتركه .

(٢) الخل والخليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرته وإذا مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود بقلبه وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من وافقك فى كل شىء فيود ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ماخليلى إلا الذى يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود بقلبي. وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَليلكَ أنت لا مَنْ قلتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ والـكلامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذكر ما يسوؤه وكان أجدر فى إعانته بأن يرحمه ويرثى لحاله ويؤاخيه فى بلواه أو تقول: إن الذى يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سقامه



مَهْلاً فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقاً فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ [(١)]
وَهَبِ الْمَلاَمَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ [(٢)]

وجعل إيراده الحزن عليه عونا على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى يمدح رجلا .

تَضَيَّفْتَهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ [(١)] قَائِدَا

أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانة قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإنى سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وترفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى النعاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذ كها كالنوم فى لذاذته فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلتزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيبا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فنى الحق أن البيت من مشكلات الأبيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبق له دخل فيا يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامة وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكر لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالا

---

(١) الزمانة . العاهة .



لاَ تَعْذُلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ (١)
إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ (٢)
وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ (٣)
لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَأَغَــــرْتَهُ بِفِدَائِهِ (٤)
وُقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَالاَ يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ (٥)

عنه . على أن جعل ملام العاذل فى قول ابن جنى أو نومه فى قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى المتنبي إلا أنه قد غلط فى هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤنث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذيذة عند العاشق كنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ،أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . ويروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل مايحب وهذا من قول البحترى .

إذا شئتَ أن لا تعذُل الدهرَ عاشقاً على كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَاعْشَقِ

(٢) مضرجا فى الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملطخ بالدم من ضرجت الثوب إذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول تهويلا لأمر الهوى يقول: إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذي امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو فى قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى يتلفها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت مابك من برح الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم مايلاقيه .

(٥) وقى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من



يَسْتَاسِرُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ (١)
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ (٢)
فَأَتَيْتَ مِنْ فَوقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَصَلْصِلاً وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ (٣)
مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سَمِيَّهَا فِي أَصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ (٤)

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى ألطف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلد يقول : إن الهوى يأسر البطل الشجاع المستلئم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصبره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لاحَرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانا

(٢) النوائب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير . يقول : إنى دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتصاصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحميتنى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِى بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِى وليس يَرَانِي

(٤) ضمير تكون للسيوف أى بأن تكون السيوف سميها ، أى مثل سميها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو مايرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيوف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

* تظن سيوف الهند أصلك أصلها *



طُبِعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْنَاسِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَعَلِيٌّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ (١)

واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذْلُ الْعَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَهَوَى الْأَحِبَّةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ (٢)

---

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور فى موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه فى موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبى الهيجاء بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهى تنزع إلى أصلها الذى صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المعرق له فى الكرم فإنه ينزع إلى أصله فى المجد والفعال ، فهى وإن شاركته فى الاسم تخالفه فى الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعنى بالتائه نفسه . وعذل العواذل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعواذل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عذال وعذل، والتائه المتحير وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التى فى جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار فى سويدائه ، وإذاً لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَلْغَلَ حَيْثُ لم يبلُغ شرابٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وَلا حُـزنٌ ولم يبلغ سرور

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يتيه على عذلهم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبرى : عيب على أبى الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريع (١) لأن الهاء فى القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة فى حرف الهاء لجهلهم القوافى وقد جعلها ابن جنى والخطيب التبريزى فى أول حرف الهمزة فاقتدينا بفعلهما والقوافى خمس يجمعهما سكبرف كل حرف لقافية ، وهى متكاوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

---

(١) التصريع تقفية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريع فى الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدىء إما قصيدة وإما قصة .



. . . .

ومترادف ، فالمتكاوس[١] أربع حركات بين ساكنين كقوله .

* قدْ جَبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ * [٢]

والمتدارك[٣] حركتان بين ساكنان كما فى هذه القصيدة والمتراكب[٤] ثلاث حركات بين ساكنين كقول المتنبي :

* بِمَ التعلُّل لا أهْـلٌ وَلا وَطَنُ *

والمتواتر [٥] حركة واحدة بين ساكنين كقوله ـ أى المتنبي ـ :

(١) مأخوذ من تكاوس النبت والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت .

(٢) هو للعجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع العجاج فى هذا بين المتعدى واللازم .

(٣) قال ابن سيده والمتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهى متفاعلن ومستفعلن ومتفاعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام فى فعل ساكنة ، وفل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنة سمى بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكأن بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) المتراكب كل قافيـــة توالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهى مفاعلتن ومفتعلن وفعلن لأن فى فعلن نونا ساكنة وآخر الحرف الذى قبل فعلن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو فى فعول ساكنة .

(٥) المتواتر كل قافية فيهـــا حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفعلن وفل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حـــذاء سهل رويها كسرد الصناع ليس فيها تواتر

أى ليس فيها توقف ولا فتور .



يَشْكُو الْمَلَامُ إِلَى اللَّوَائِمِ حَرَّهُ ۝ وَيَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحَائِهِ[1]
وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِي ۝ أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَائِهِ[2]

* صِلَةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ *

والترادف[1] اجتماع ساكنين كقوله ـ أى المتنبي ـ:

لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى ۝ مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ القِتَالْ

أقول : وهذا كله من العكبرى لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هى التى قالها المتنبي بادىء ذى بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبى ذر ، ولكن الذى تحقق لدينا هو أن المتنبي قال الأبيات السابقة أولا ثم أردفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذى توركه بعضهم على المتنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرحاء الشدة وتباريح الشوق توهجه . وتقول : لقيت منه برحا بارحا أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرحاء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبي إلى اللوائم كأنه يقول لهن: لا تبعثنى إليه لأنى أخشى برحاء قلبه وإذا لمنى أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطيق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب. فالضمير فى حره وبرحائه للقلب فى البيت السابق . وليس يخفى ما فى هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء فى بمهجتى للتفدية ، والملك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتى خبرا مقدما والملك مبتدأ ولك أن تجعل الملك مفعولا لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : ياعاذلى يامن يعذلنى فليس لك أن

(١) الترادف كل قافية اجتمع فى آخرها ساكنان وهى متفاعلان ومستفعلان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفعول ، سمى بذلك لأن غالب العادة فى أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويا مقيدا كان أو وصلا أو خروجا فلما اجتمع فى هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولاحقاً به .



إنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (١)

الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٢)

أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٣)

مَضَتْ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ (٤)

تقول كان ينبغى أن يقول ياعاذلى لأنه قال العواذل فى الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن يعذلنى ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل بهعن النسيب إلى المديح . يقول : إنى يالائمى أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى حبه عليها ما دام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم : أراد بالسماء الأفلاك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرنائه ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف بسيف الدولة .

(٣) الخلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائه ؟ أى أنه أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فان الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا الغلو ، والمتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الشعراء .



وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخى ، وكان قوم قد هَجَوْه ، وعزوا الهجاء إلى أبى الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقٍ إِخَائِي ... وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إِنَائِي[1]

أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْراً بَعْدَ عِلْمِي ... بِأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ[2]

وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْماً ... وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ[3]

وَمَا أَرْبَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِّي ... فَكَيْفَ مَلِلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ[4]

وَمَا اسْتَغْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدِيحِي ... فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئاً بِالْهِجَاءِ[5]

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ ... أَيَعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ[6]

---

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإخاء الصادقة وتحسب تفتح عينه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتنكر مؤاخاتى إياك وتظن أن ما هجيت به صادر منى ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المحموم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علمى أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير فى البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأنفذ فيما تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبى المعروفة .

(٤) ما حرف نفى وأربت زادت ، والسن العمر ، ومللت سئمت . يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أنى بتعرضى لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ماقبله ، واستغرقت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستتمامها أولى منى بالأخذ فى الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأنى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعمى العالمون عن الضياء .



تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرْءٌ جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمُ فِدَائِي (١)
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ كَلاَمِي مِنْ كَلاَمِهِمِ الْهُرَاءِ (٢)
وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَتَعْدِلَ بِي أَقَلَّ مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

(١) مرء لغة فى امرؤ . يقول : تصغى إلى الحساد وتنزل على تهمتهم إياى بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوه مثلى لأنى فداء له لماله من الأيادى ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لى لأنى أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب الشراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفا لمرء وهو نكرة على تقدير محذوف ، أى مستحق لأن أسأل الله أن يجعلنى فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ حَتَى إِذَا جَاءَ الظَلاَمُ واختلط (*)
* جَاءوا بِضَيْحٍ هَل رأيْتَ الذِّئْبَ قط *

أى جاءوا بضيح يقول : من رآه هل رأيت الذئب قط .

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجى نفسه خبر مقدم ، والهراء الكلام الساقط الذى لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لها بَشَرٌ مِثلُ الحريرِ ومَنطقٌ رَخِيمُ الحواشى لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

يقول : إن من لم يفرق بين كلامى وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن ترانى مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعدل عطف على ترانى وأقل صفة لموصوف محذوف أى شيئا أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى فى شعاع الشمس من دق الغبار قال الشاعر :

بَرَانِي الهوى بَرْىَ المُدَى وأذَابَنِي صدودُكِ حتى صرتُ أنحلَ مِنْ أمْسِ
فلَستُ أرَى حَتى أرَاكَ وإنمَا يَبِينُ هَبَاءُ الذرِّ فى ألقِ الشمس

يقول : من العجب أن ترانى وتعرفنى ثم تسوى بينى وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

* الضيح اللبن المخلوط شبه لون الضيح بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيح .

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزِّنَاءِ(١)

وقال يمدح أبا عليّ هرون بن عبد العزيز الأوراجيّ الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف (*)

أَمِنَ ازْدِيَارَكِ فِي الدُّجَى الرُّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ(٢)

---

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء فى الأرض وكثر الموت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لى .

(*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين فى فصل من كتاب له ما ملخصه « هذه القصيدة تنبئنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا على الأوراجى من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجى هذا كان متصلا بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار فى طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء فى دمشق . فأقبل المتنبيء من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فمدحه بقصيدتين إحداها هذه الهمزية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التى يقول فى مطلعها .

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل

وللهمزية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبى فهى القصيدة الوحيدة التى يعمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزى ليرضى ممدوحه الذى كان يذهب مذهب التصوف وهى من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبى — فى الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب المتصوفة فى الكلام ومنهجهم فى الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتى وقد ملك ناصية الفن حقا ؛ إلى أن قال ؛ ولست أدرى أكان الأوراجى هذا قريباً أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبى أقام معه حينا على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجى هذا فيما أرى ببدر فلا تسل عن فرحته وابتهاج نفسه بالغبطة والرضى اهـ ملخصا .

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تعليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن فى من الظلام للبدل ويروى : إذ



قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا ۞ وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاءُ[١]

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أمنوا أن تزورينى ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذ ذاك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة العكوك :

بأبى مَنْ زَارَنى مُكْتَتِماً ۞ حَذِراً مِنْ كلِّ وَاشٍ فَزِعَا

طَارِقاً نَمَّ عَلَيْهِ نُورُه ۞ كَيفَ يُخفِى الليلُ بدراً طَلَعَا

رَصَدَ الخَلوة حتى أمْكَنَتْ ۞ وَرَعَى السَّامِرَ حتى هَجَعَا

كَابَدَ الأهْوَالَ فى زَوْرَتِهِ ۞ ثمَّ مَا سَلَّمَ حتى وَدَّعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبى تدعى غزال المسك ، وهتكها أى انتهاكها . وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انهتك سترها وافتضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قال البحترى :

وَحاوَلْنَ كِتمَانَ التَّرَحُّلِ فى الدُّجَى ۞ فنَمَّ بهنَّ المِسْكُ حِينَ تضوَّعَا

وقال :

وكانَ العَبِيرُ بها وَاشِياً ۞ وَجَرْسُ الحُلِيِّ عليها رقيبا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثلاثةٌ منعَتْها مِنْ زِيارتنا ۞ وقد دَجا الليلُ خَوفَ الكاشِحِ الحنِقِ

ضَوْءُ الجبين وَوَسواسُ الحُلِيِّ وما ۞ يفوحُ مِنْ عَرَق كالعنبر العَبِقِ

أَسَفِي عَلَى أَسَفِي الَّذِي دَلَّهتَنِي عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَيَّ خَفَاءُ[١]

وَشَكِيَّتِي فَقْدُ السَّقَامِ لأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ[٢]

هَبِ الجبينَ بفضل الكُمِّ تستره وَالحَلْيَ تنزعه ما الشأن فى العرق

هذا وقد قال ابن فورجه : الهتك مصدر متعد ولو اتى بمصدر لازم بأن قال انهتا كها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن . قال : وقوله وهى مسك زيادة على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذى استعملته بل جعل المسك نفسها فكأنه من قول امرىء القيس :

* وجدت بها طيبا وإن لم تَطَيَّبِ *

وقول الآخر :

دُرَّةٌ كيفما أديرت أضاءت وَمِشَمٌّ من حيثما شُمَّ فاحا

ومثله قول بشار :

وتوق الطيب ليلتنا إنهُ وَاشٍ إذا سطعا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره والأسف الحزن ، والمدله الذى أذهب العشق عقله وأذهله . يقول : إنى آسف على أن شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى : إنى أحزن لذهاب عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول: إنه كان يتأسف على زمان وصالها فلما أمعنت فى الهجر ذهب لبه حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول : إنما أشكو عدم السقم لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا المعنى أوضحه البستى بقوله :

ولو أبقى فِراقكَ لِي فُؤاداً وَجفناً كنتُ أجزَعُ مِنْ سُهادِي

وَلَكِنْ لا رُقَادَ بِغَيْرِ جَفْنٍ كما لا وَجْدَ إلا بالفُؤادِ



مَثَّلَتْ عَيْنَكِ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً ... فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ[1]
نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا ... تَنْدَقُّ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ[2]
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ ... وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ[3]

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب المتصوفة ومن ثم تراه ينهج منهجهم فى العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضا .

(١) جراحة مفعول ثان لمثلت أو تميز . وقوله: فتشابها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهتا حملا على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال .

إن السماحة والمروءة ضمّنا ... قبراً بمرو على الطريق الواضح

ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت فى قلبي مثال عينك جرحا واسعا فتشابهت عينك وذلك الجرح فى الاتساع .

(٢) نفذت أى العين والسابرى الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه ... على عصويها سابرى مشبرق

والصعدة القناة التى تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابرى الدرع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابرى الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى لمكانى من الشجاعة والشجاع موقى والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلا فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحمت لم يقدر على إزالتى عن موضعى كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطارد فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق .



وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ فَعَاذِرٌ   أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ[(١)]

شِيَمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي   صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ[(٢)]

---

(١) الغبي : الغافل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأنا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفى مكانى على الغبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأنا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لايرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك الغبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   إِلا عَلَى أَكْمَهٍ لا يعرفُ القَمَرَا[(١)]

(٢) صدرى يريد أصدرى ، لحذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفضى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبق فترمينى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفضى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناتى وتجلدى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قال لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقتى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفضى أفعل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفضى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء؟ فمرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

---

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا   تنمى وتسمو بك الفرعان من مضرا

قال ابن برى : الذى أورده الجوهرى وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحداً المستعمل بعد النفى فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .



فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً فِي نَيِّهَا ... إِسْآدَهَا فِي الْمَهْمَهِ الْإِنْضَاءِ[(١)]

أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا ... مَنْكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ[(٢)]

الطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودى بي إلى الهزال وعلى هذا أفضى فعل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضن بمثلها وهي ترى إتعابي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدرى أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاكي أم البيداء ؟ أي لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكي . قال الواحدي: والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى الليالي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .

قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة ... كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وقال البحتري :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه ... يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب

(١) الإسآد إدمان السير أو سير الليل خاصة والني الشحم والسمن والإنضاء مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله والمهمه الصحراء ومسئدا حال من ضمير تسئد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وإسآدها مفعول مطلق عامله مسئدا وتقدير البيت تبيت هذه الناقة تسئد مسئدا الإنضاء في نيها إسآدا مثل إسآدها في المهمه يقول : تبيت ناقتي تسير سائراً في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعَتْه الفيافي بَعْدَ ما كَانَ حِقْبَةً ... رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهُ

(٢) الأنساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرحل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحة أى مثقوبة بالحصى وكنى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحة أى مدمية من الحصى واستعار النكاح لوطئها الأرض وإدماء الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تفتض . ومن طريف ما ذكره الشراح هنا ما أورده العكبري قال : قال الشيخ أبو محمد عبد المنعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان وتوصلت إلى هذا البيت : سألني الملك الكامل أبو المعالي محمد بن أبي بكر

يَتَلَوَّنُ الخِرِّيتُ مِنْ خَوفِ التَّوَى ... فِيهَا كَمَا يَتَلَوَّنُ الحِرْبَاءُ [1]

بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مِثْلُهُ ... شُمُّ الجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ [2]

وَعِقَابُ لُبْنَانٍ وَكَيْفَ بِقَطْعِهَا ... وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ [3]

ابن أيوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت فى قوله وطريقها عذراء فقلت له : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لى : هذا يدل على أن الممدوح لا يعرف ولا له ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والممدوح إذا كان له عطاء وذكر ويعرفه القصاد ، كانت الطريق إليه لا تنقطع . . . ولقد أحسن فى هذا النقد .

(١) الخريت الدليل سمى خريتا لاهتدائه فى الطرق الخفية كخرت الإبرة كأنه يعرف كل ثقب فى الصحراء ، والتوى الهلاك ، والحرباء دويبة على شكل سام أبرص ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف دارت وتتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء ويتغير لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق وفى هذا المعنى يقول هدبة :

يظل بها الهادى يقلب طرفه ... من الهول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الطرماح :

إذا اجتابها الخريت قال لنفسه ... أتاك برجلى حائن بعد حائن

(٢) شم الجبال : بدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت للنكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول ذى الرمة :

وَتَحْتَ العَوَالِي وَالقَنَا مُسْتَظِلَّةً ... ظِبَاءٌ أَعَارَتْهَا العُيُونَ الجَآذِرُ

يقول بينى وبين هذا الممدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شم الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهى المرتقى الصعب من الجبل والباء فى بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن مثلا : وكيف استفهام فى المعنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن



لَبَسَ الثُّلُوجُ بِهَا عَلَيَّ مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِبَيَاضِهَا سَوْدَاءُ[(١)]
وَكَذَا الكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ المَاءُ[(٢)]
جَمَدَ القِطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الأَنْوَاءُ[(٣)]

يقول : وكذلك بينى وبينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟ !

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » والضمير فى بها للعقاب والضمير فى كأنها للثلوج أو للمسالك وباء ببياضها متعلقة بمعنى كأن أى التشبيه ، يقول : إن الثلوج فى هذه الجبال أخفت على طرقى فلم أهتد لكثرتها وبياضها فكأنها اسودت اسوداد الليل إذ ضللت فيها لأن الأسود لايهتدى فيه، وهذا معنى حسن كما ترى .

(٢) النضار الذهب ، والنضار أيضا الخالص من كل شىء ، وقام الماء جمد ومعنى هذا البيت متصل بالذى قبله لأنه يقول بياض الثلوج بمعنى فقام مقام السواد ،والبياض إذا عمل عمل السواد فقد نقض العادة كذلك الكريم إذا أقام ببلدة نقضت العادة فيكون الذهب سائلا والماء جامدا ، وإنما قال هذا لأنه أتاه فى الشتاء عند جمود الماء . يقول : إن الكريم إذا أقام ببلدة أعطى المال وتخرق فى الكرم حتى لكأن المال ماء سائل فلما رأى الماء هذا الكرم وقف متبلدا متلبدا جامدا ، وهو تخيل بديع.

(٣) الأنواء فاعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهتت وتتبجس على التنازع وفاعل ترى يعود على القطار ، ويروى بدل ترى«رأى» : أى القطار ولكن ترى أحسن لأن القطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهى المطر ، وبهتت دهشت وتحيرت ، وتتبجس تتفجر ،والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع رقيبه من الشرق وهى منازل القمر والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء كذا . ويريد بجمود القطار الثلوج يقول: إن المطر جمد لما رأى كرم هذا الممدوح ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تتفجر فلم تأت بمطر استحظاما لما يأتيه وخجلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ (١)
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الْأَقْذَاءُ (٢)
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا تَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَرَاءُ (٣)
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَافِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلِأُذْنِهِ إِصْغَاءُ (٤)
وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ (٥)

---

(١) المداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به وافتتاناً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجود يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أي أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقامرن إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن الناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يتهافتون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكاتبة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقذاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتتأذى بغيبته فكأن غيبته قذى للعيون .

(٣) من بمعنى الذى خبر ضمير محذوف يرجع إلى الممدوح وتقدير البيت : هو الذى يهتدى فى الفعل إلى مالا يهتدى الشعراء إليه فى القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من، والشعراء فاعل تهتدى، يقول: إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفعاله من المكارم والمساعى العظام فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضا أى يتبعه أو تسمية الكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالى فهو لا ينفك عن الإصغاء حبا للشعر وارتياحا إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أى جمعه واقتناه من مال والفيلق الكتيبة من الجيش أنثه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى غلب بياضها على سوادها ، يعنى صافية الحديد ، يقول : وللقوافى كل يوم إغارة على ماله حتى لكأن كل بيت كتيبة تنهب ما احتواه .



مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤَمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أَكْفَاءُ(١)
وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ(٢)

---

(١) من بمعنى الذى خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الذى يظلم الخ واللئيم الخسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللئام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرون على ذلك فكأنه ظلمهم ، إذ كلفهم أن يماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس فى هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ فى المدح أن يقول : الكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرون أن يكونوا ، مثله مما لا يليق بمذهبه فى إيثاره المبالغة . وروى الخوارزمى نظلم بالنون ، وقال : إذا كلفنا اللئام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم فى تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونذيمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمى فى روايته البيت السابق من نظلم بالنون ، يقول المتنبى : ونحن نذم اللئام ولولاهم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكُنَّ جَوَارِي الحيِّ ما دمتِ فيهم قِباحاً فلما غِبْتِ صِرْنَ مِلاحَا

وقال أبو تمام :

وَليس يَعْرِفُ طِيبَ الوصلِ صاحبُهُ حتى يُصابَ بنأيٍ أو بِهِجْرَانِ

وقال :

والحادثاتُ وإنْ أصابكَ بُؤْسُها فهو الذى أنباكَ كيف نَعِيمُها

وقال :

سَمُجَتْ ونبَّهنا عَلَى اسْتِسْماجِها ما حولها من نضرةٍ وَجَمالِ
وَكذاكَ لم تُفْرِطْ كآبةُ عاطِلٍ حتى يُجاوِرَها الزمانُ بِحالى

وقال البحترى :

وقدْ زادها أفراطَ حُسنٍ جِوارُها خَلائقَ أصفارٍ من المجدِ خُيَّبِ
وَحُسْنُ دَرَارِيِّ الكواكبِ أنْ تُرَى طَوالعَ فى داجٍ منَ الليلِ غَيْهبِ

مَنْ نَفْعُهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرُّهُ ... فِي تَرْكِهِ لَوْ تَفْطَنُ الأَعْدَاءُ (١)

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ ... بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ (٢)

يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهَى يَدِهِ اللُّهَى ... وَتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الآرَاءُ (٣)

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ القُوَى ... فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ (٤)

بيد أن المتنبي صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه

(١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستثاروه للحرب استباح أموالهم وحريمهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو فطن أعداؤه لهذا منه لسالموه فتسببوا إلى مضرته .

(٢) السلم بفتح السين وكسرها ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووْا مال معشر ... أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القبضة من الحبوب يلقيها الطاحن في فم الرحى فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطي عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولا وهو من جودة الرأى وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء.

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكنه مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفعاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدة مترتب على المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُمْقِرٌ مُرٌّ على أعدائه ... وعلى الأدْنَيْنَ حُلْوٌ كالعسل

« ممقر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فتًى تم فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّ فِيهِ ما يَسُوءُ الأعادِيا



وَكَأَنَّهُ مَا لاَ تَشَاءُ عُـدَاتُهُ ... مُتَمَثِّلاً لِوُفُودِهِ مَا شَـاءُوا(١)

يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ ... إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ(٢)

احْمَدْ عُفَاتَكَ لاَ فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ ... فَلَتَرْكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ(٣)

لاَ تَكْثُرُ الأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةٍ ... إِلاَّ إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الأَحْيَاءُ(٤)

وأخذه المسيب بن علس فقال :

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلَهُمْ ... وَفِى الْعَدُوِّ مَنَا كِيـدٌ مَشَائِيمُ

وقال علاثة :

وكنتم قديماً فى الحروب وغيرها ... ميامِينَ للأدنى لأعدائِكم نُكدُ

(١) ما ، فى الشطرين موصولة وهى فى الأول خبر كأن، ومتمثلا منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم وحملهم على الحسد حالة تمثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .

(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء ، يقول يامن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه فى الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن فى كفه غير رُوحِهِ ... لجادَ بهاَ فليتقِ اللهَ سائِلُهْ

(٣) هذا البيت إتمام لمعنى البيت قبله وتأكيد له والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فجعت بفقدهم دعاء له واللام فى قوله فلترك لام الابتداء ، يقول: اشكر هذا لعفاتك لا أفجعك الله بفقدهم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فجعت بحمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك

(٤) اضطربت أقوال الشراح فى هذا البيت، فذهب المعرى والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شقى الأحياء بغضبك وقتلك إياهم فإذا غضبت عليهم وقاتلتهم عصفت بهم فزدت فى الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء نقصاً بيناً ، وإليك نص عبارة أبى العلاء : شقوا به أى بقتله إياهم وأن الأحياء إذا شقيت بك كثرت الأموات وتلك الكثرة تؤدى إلى القلة ، إما لأن الأحياء يقلون بمن

وَالْقَلْبُ لاَ يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ(١)

لَمْ تُسْمَ يَاهَرُونُ إِلاَّ بَعْدَمَا اقْـ ـتَرَعَتْ وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الأَسْمَاءُ(٢)

فَغَدَوْتَ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارَكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءُ(٣)

يموت منهم وإما لأن الميت يقل فى نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات الممدوح ، يقول : إنك نعمة على الأحياء وفقدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلاَ شَاةٌ تَمُوتُ وَلاَ بَعِيرُ

وَلَـكِنِ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلَـكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى القدر والشرف

(١) الشحناء العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك فيضمر لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشق قلبه فمات خوفا وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى . ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشق قلبه فإذا أضمر لك العداوة انشق قلبه وبان أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضمر القلب أمراً يتصدع به وينشق حتى تحل عداوتك فيه . فاذا حلت ضاق بها وانشق عنها لشدة مايناله من الخوف والجزع .

(٢) اقترعت تساهمت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال المعرى : أراد بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشارك . أى لم يشارك اسمك فيك اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى مالك سواء قد تساووا فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء . هذا قول الواحدى وغيره ، وقال



لَعَمَمْتَ حَتَّى المُدْنُ مِنْكَ مِلاَءٌ ... وَلَفُتَّ حَتَّى ذَا الثَّنَاءِ لَفَاءُ (١)

وَلَجُدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبخَلُ حَائِلاً ... لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السُّرُورِ بُكَاءُ (٢)

أَبْدَأْتَ شَيْئاً مِنْكَ يُعْرَفُ بَدْؤُهُ ... وَأَعَدْتَ حَتَّى أُنْكِرَ الإِبْدَاءُ (٣)

فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ ... وَالمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ (٤)

فَإِذَا سُئِلْتَ فَلاَ لِأَنَّكَ مُحْوِجٌ ... وَإِذَا كُتِمْتَ وَشَتْ بِكَ الآلاَءُ (٥)

المعرى : يريد بالاسم الصيت أى لم يشركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى الناس أى صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم

(١) اللام فى لعممت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وفت تجاوزت وذا الثناء أى هذا الثناء واللفاء الحقير الخسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء المثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء يعد حقيرا فى جانب ماتستحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه للصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، وللمنتهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تناهيت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

(٣) أبدأت أحدثت وجددت ، وأعدت كررت ، ومنك متعلق بيعرف أو بدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم مالا يعرف ابتداؤه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم أتبعت ذلك من الزيادة فيه بما غطى على الأول وأنساه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بناكب أو بتقصير ، وبراء برىء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل النميمة والمراد هنا دلت ، والآلاء النعم والعطايا وكتمت

وَإِذَا مُدِحْتَ فَلاَ لِتَكْسِبَ رِفْعَةً ‌ ‌ لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الإِلٰهِ ثَنَاءُ(١)
وَإِذَا مُطِرْتَ فَلاَ لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ ‌ ‌ يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ(٢)
لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا ‌ ‌ حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ(٣)

حجبت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن ذلك لكى تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكى يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام

مازِلتُ مُنتظِراً أُعجُوبة زَمَناً ‌ ‌ حَتى رَأَيْتُ سُؤالا يَجْتنى شَرَفا

وإذا كتمت أى حجبت عن أنظار الناس دلت عليك نعمك وصنائعك فقصد إليك العفاة كما قال :

من كان ضوء جبينه ونَوَالُهُ ‌ ‌ لم يُحْجَبا لم يَحْتَجِبْ عَن ناظر

(١) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان وإن شئت قلت مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على المنعم بلسانه ويذيب نفسه فى طاعته ويعتقد أنه موليها . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ مؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد بلغت من الرفعة غاية لا تزيدها مدح مادح ولكن تمدح لتجيز العفاة وليعد الشاعر فى جملة مداحك كالشاكر لله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومثوبة لا أنه سبحانه محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجدب المحل ضد الخصب . والدأماء البحر على فعلاء قال الأفوه الأودى

وَالليلُ كالدَّأْمَاءِ مُسْتَشْعِرٌ ‌ ‌ مِنْ دُونِهِ لوْناً كلوْنِ السُّنْدُوسِ(١)

يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجداب محلك ولكن كما يمطر المكان الخصيب والبحر وهما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول المعرى .

وَالبحرُ يُمْطِرُهُ السحَابُ وَمَالَهُ ‌ ‌ فضـــلٌ عَليْهِ لأنَّهُ مِنْ مائِهِ

(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب جمع الجمع قال تعالى . « حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا » والرحضاء العرق أثر الحمى يقول : ليست تحكى السحاب بمائها عطاءك المتتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت حسدا لك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبى نواس:

---

(١) السندوس : الطيلسان

لَمْ تَلْقَ هٰذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا ... إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ (١)

فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعُلَا ... أُدُمُ الْهِلَالِ لِأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ (٢)

وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ ... وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ (٣)

لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوَ ... عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ (٤)

إن السحابَ لتستحيي إذا نظرتْ ... إلى نداكَ فقاستْهُ بما فيها

قال البديعيون . وفى هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها فى العادة علة وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رأى المُزْنُ ما تُعْطِي فضمَّ على الأسى ... فؤاداً كأن البرْقَ فيهِ لهيبُ

(١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخمص باطن القدم ومارق من أسفلها وتجافى عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها القدم كلها وقوله فبأيما قدم . استفهام معناه التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نعلا لقدميه يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ تستحق أن يكون الهلال نعلا لها

(٣) الحمام . الموت يدعو له ، يقول : ليكن الزمان وقاية لك من عواديه أى ليهلك الزمان بها دونك وليمت الموت فداء لك من نفسه . وكل هذا كما ترى مبالغة فى الدعاء .

(٤) اللذ : لغة فى الذى وتسكن الواو من هو ضرورة، أو على لغة،والعقم عدم الولد يقول : لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشطر الأول ردىء ولكن الثانى جميل على أنه يلاحظ أن المتنبي يخاطب ــ كما أسلفنا ــ رجلا يذهب مذهب الصوفية .

وغنى المغنى فى دار الأمير أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طَغْج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِى يُغَنِّى ... يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتَ ذِى السَّمَاءِ[1]

شَغَلْتَ قَلْبِى بِلَحْظِ عَيْنِى ... إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الغِنَاءِ[2]

وبنى كافور دارًا بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلأَكْفَاءِ ... وَلِمَنْ يَدَّنِى مِنَ البُعَدَاءِ[3]

وَأَنَا مِنْكَ لا يُهَنِّئُ عُضْوٌ ... بِالمَسَرَّاتِ سَائِرَ الأَعْضَاءِ[4]

مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا ... نَ نُجُومًا آجُرُّ هٰذَا البِنَاءِ[5]

وَلَوَ انَّ الَّذِى يَخِرُّ مِنَ الأَمْـ ... ـوَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ[6]

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى ... بِمَكَانٍ فِى الأَرْضِ أَوْ فِى السَّمَاءِ[7]

---

(١) و (٢) الاستفهام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى ما يقول هذا المغنى لأن قلبى وجوارحى مشتغلة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن غناء هذا المغنى .

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقترب ، وأنا منك مبتدأ وخبر ، ولا يهنئ عضو كلام مستأنف يقول : إنما يهنئ الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتركت فى ذلك جميع أعضائه فلم يهنئ بعضها بعضا . قال الواحدى : وهذا طريق المتنبى يدعى لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى لم احتمل ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتدأ محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر . الطوب المشوى ، ويخر . من خرير الماء ، يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهنى ، فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهنى

وَلَكَ النَّاسُ وَالبِلَادُ وَمَا يَسْـ ـرَحُ بَيْنَ الغَبْرَاءِ وَالخَضْرَاءِ(١)
وبَسَاتِينُكَ الجِيَادُ وَمَا تَحْـ ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْرَاءِ(٢)
إِنَّمَا يَفْخَرُ الكَرِيمُ أَبُو المِسْـ ـكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ العَلْيَاءِ(٣)
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْـ ـهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الهَيْجَاءِ(٤)
وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ البِيـ ـضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الأَعْدَاءِ(٥)
وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالمِسْـ ـكِ وَلَكِنَّهُ أَرِيجُ الثَّنَاءِ(٦)
لاَ بِمَا يَبْتَنِي الحَوَاضِرُ فِي الرِّيـ ـفِ وَمَا يَطَّبِي قُلُوبَ النِّسَاءِ(٧)

---

(١) و (٢) الغبراء : الأرض . والخضراء : السماء . وفى الحديث : ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر . والسمهرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تهنأ بمكان والبلاد كلها والناس وكل مابين السماء والأرض ملك لك ونزهتك إنما هى الخيل وما تحمله من الرماح فهى بساتينك . جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر .

(٣) يقول : إنما فخره بما يبتنى من العلياء ، لا بما يبتنى من الدور كما قال :

بَنَى البُنَاةُ لَنَا مَجْداً وَمَكْرُمَةً لا كالبناءِ مِنَ الآجُرِّ والطين

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتنى ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وانسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما فخر أبى المسك بما يبتنى من العلياء وبأيامه التى مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادى ، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياءه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتنى . ويكنى به صفة لمسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأريج فوحان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذى يكنى به والذى ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب الثناء والذكر الجميل والصيت الحسن . «هذا» وهو معلوم أن كافور الأخشيدى كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتنى الحواضر . أى أهل الحواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف.

نَزَلَتْ إذْ نَزَلْتَها الدَّارُ فى أَحْسَنَ مِنها مِنَ السَّنا وَالسَّناءِ (١)

حَلَّ فى مَنْبِتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبِتُ المَكْرُمَاتِ وَالآلاءِ (٢)

تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ (٣)

إنَّ فى ثَوْبِكَ الَّذِى المَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءً يُزْرِى بِكُلِّ ضِيَاءِ (٤)

إنَّمَا الجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ ابْيِضَاضِ القَبَاءِ (٥)

المكان الخصب الكثير الزرع والخضرة . ويطبى : يستميل . قال كثير :

لَهُ نَعَلٌ لا يَطَّبِى الكلبَ رِيحُها وَإنْ وُضِعَتْ وَسْطَ المَجالِسِ شُمَّتِ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والنعل بسكون العين مؤنثة ؛ ولكن كثيرا فتحها لانفتاح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إتباع » يقول المتنبى : إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الأعداء وطيب الثناء ، لا بما يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستميل قلوب النساء .

(١) السنا ، المقصور : الضوء والنور . والممدود الشرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونوراً ، فكأنك أنزلت الدار فى دار أجمل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحان جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول طلوعها . قال الواحدى : يريد أنه فى سواده مشرق فهو بإشراقه فى سواده يفضح الشمس ، ويجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس ذكراً . أو يريد نقاءه من العيوب ، ويقال للمشهور : منير وللنقى من العيوب منير ؛ ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بإنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يعاب به . وأن ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو يزرى : أى يستهين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المعول عليه بياض النفس ونقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بنى الحسحاس :



كَرَمٌ فِى شَجَاعَةٍ وَذَكَاء فِى بَهَاء وَقُدْرَةٌ فِى وَفَاء (١)
مَنْ لِبِيضِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ نَ بِلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاء (٢)
فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا نٍ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللِّقَاء (٣)
يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِى كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِى
وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِى قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِى وَزَادِى وَمَائِى (٤)
فَارْمِ بِى مَا أَرَدْتَ مِنِّى فَإِنِّى أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِىُّ الرُّوَاء (٥)
وَفُؤَادِى مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِى يُرَى مِنَ الشُّعَرَاء (٦)

إن كنت عبداً فنفسى حرة كرماً أو أسود اللون إنى أبيض الخلق

(١) أى لك كرم فى شجاعة الخ . يقول : إنك كريم شجاع ، ذكى الطبع ، بهى المنظر ، ذو قدرة على ما تريد ، واف بالعهد والوعد فيما تقول .

(٢) و (٣) السحناء : السحنة أى المنظر والهيئة ، والأعيان : من جموع العين كطير وأطيار ؛ وفى أكثر الكلام عيون وأعين . يقول : إن الملوك البيض الألوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحنتك ليراهم أهل الحرب بالعيون التى يرونك بها وذلك أن الأسود مهيب فى الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من يكفل لهم بهذه الأمنية ؟

(٤) المفاوز : الصحراوات المهلكة ؛ وسميت مفازة على سبيل الفأل بالسلامة كما قيل للديغ سليم . يقول : لقد أفنت المفاوز — التى جبتها إليك — خيلى وزادى ومائى . يذكر طول الطريق إليه وأنه صمد إليه من شقة بعيدة :

(٥) و (٦) الرواء : المنظر والشارة . يقول : استكفنى ما شئت من أى أمر عظيم تقذف بى إليه فإن قلبى قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمى الصورة وفؤادى فؤاد الملوك عزماً ورأيا ودهاء وإن كان لسانى لسان شاعر . قيل: إن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض إلى طلب ولاية من كافور ، وقالوا: إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يبلغه مافى نفسه .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقى فى طريقه ويهجو كافورا:

أَلا كُلُّ ماشِيَةِ الخَيْزَلَى　　فِدَا كُلِّ ماشِيَةِ الهَيْذَبَى(١)

وَكُلِّ نَجاةٍ بُجاوِيَّةٍ　　خَنُوفٍ وَما بِى حُسْنُ المِشَى(٢)

---

(١) الخيزلى : مشية للنساء فيها استرخاء وتثاقل وتفكك ، قال الفرزدق :

حَوَارِيَّةٌ تَمشى الضُّحَى مُرْجَحِنَّةً　　وتَمشِي العَشيَّ الخَيْزَلَى رِخْوَةَ اليدِ(١)

والهيذبى : ضرب من مشى الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهذب الظليم إذا أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشى الخيزلى كل فرس تمشى الهيذبى : يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولعا بالخيل ، وهذا من قول أبى تمام :

يَرَى بالكعابِ الرَّوْدِ طَلْعَةَ ثائرٍ　　وبالعِرْمِسِ الوَجْناءِ غُرَّةَ آيبِ(٢)

(٢) وكل : عطف على كل ماشية الهيذبى . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها قالوا: ولا يوصف بذلك البعير . وبجاوية : منسوبة إلى بجاوة وهى أرض بالنوبة تعرف نوقها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرماح :

بُجاوِيَّةٌ لم تَسْتَدِرْ حولَ مَثْبِرٍ　　ولم يَتَخَوَّنْ دَرَّها ضَبُّ آفِنِ(٣)

---

(١) حوارية يريد الشديدة البياض النقية ، ومرجحنة : يريد سمينة ثقيلة فإذا مشت تفيأت فى مشيتها . ورخوة اليد : أى مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يديك واسترخ إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام

(٢) الكعاب : الجارية الناهد : والرود: الشابة الحسنة الشباب، والعرمس : الناقة الصلبة، والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذى تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة وأكثر ما يقال فى الإبل ؛ ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر والتخون : التنقص ، والآفن : الذى يحلب الناقة فى غير وقت الحلب ، أو الذى يستخرج جميع ما فى ضرعها ، والدر اللبن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .



. . . .

قالوا : وكان أهل بجاوة هذه يتطاردون على النوق فى الحروب وغـيرها ، وكانت النوق تنعطف معهم كيفما أرادوا ، فإذا وقعت الحربة فى رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت فى غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تنعطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن المتنبي قال : يرمى الرجل من أهل بجاوة بالحربة فإذا وقعت فى الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .

ويقال : خنف البعير فى مشيه إذا سار فقلب خف يده إلى وحشيه وناقة خنوف قال الأعشى :

وأَذْرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّفِىَّ ورَاجَعَتْ
يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غـير أَحْرَدَا[١]

وقال فى الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أنفه من الزمام ، والخانف الذى يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبى وجزة :

قد قُلْتُ والعيسُ النَّجَائِبُ تغتَلِى
بالقَوْمِ عَاصِفَةً خوانِفَ فى البُرَى[٢]

والخنوف من الإبل اللينة اليدين فى السير والمشى جمع مشية كسدرة وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء وما بى شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى وميلى إلى كل ناقة خفيفة المشى ، أو تقول : إن قوله ومابى حسن المشى كالاستدراك على قوله خنوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيها لأنى لست أنظر إلى حسن المشى ولكنى أستعين بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

---

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقال أو يكون خلقة حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغتلت الدابة فى سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .





وَلٰكِنَّهُنَّ حِبَالُ الْحَيَاةِ ... وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى[(١)]

ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ الْقِمَا ... رِ إِمَّا لِهٰذَا وَإِمَّا لِذَا[(٢)]

إِذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْهَا الْجِيَادُ ... وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا[(٣)]

فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا ... عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى[(٤)]

وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنِّقَا ... بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى[(٥)]

---

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للمشى سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوعى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) التيه : هنا تيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القلزم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها الفلاة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهام وهو لا يدرى ما يقسم له من غنم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقتى القفار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله بيض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعت هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يجنبون الخيل ويركبون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيوف والرماح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظمأ .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونا من تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت: إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والاتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ هَا[١]
وَهَبَّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا[٢]
رَوَامِى الْكِفَافِ وَكِبْدِ الْوِهَادِ وَجَارِ الْبُوَيْرَةِ وَادِى الْغَضَى[٣]
وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا[٤]

فى التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادى من الخيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثانى: أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

* يشكو إلىَّ جملى طول السُّرَى *

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشتكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقلنا للابل أين أرض العراق ؟ — لأنا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هى ذه : أى دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة المترامية ليست فى نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أى الإبل ، يريد نشطت فى سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من المغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت فى هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) روامى : أى قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الياء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادى الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادى الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سائرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناسى ، ومن ثم تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ ... بِمَاءِ الْجُرَاوِىِّ بَعْضَ الصَّدَى (١)
وَلَاحَ لَهَا صَوَرٌ وَالصَّبَاحَ ... وَلَاحَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى (٢)
وَمَسَّى الْجُمَيْعِىَّ دِئْدَاؤُهَا ... وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا (٣)
فَيَالَكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكُشٍ ... أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِىَّ الصُّوَى (٤)
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِى جَوْزِهِ ... وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى (٥)

---

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِىِّ شَافِيًا ... صَدَاىَ وَإِنْ رَوَّى غَلِيلَ الرَّكَائِبِ

والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو الجرمى ، والشغور : موضع بالسماوة قال العكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب : إذا وردت شغوراً فقد أعرقت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة ، إذا لم يكن لها من يحميها ، والصباح والضحى : إما منصوبان على معنى المعية ، وإما مرفوعان على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهرلها الشغور مع وقت الضحى .

(٣) الجميعى والأضارع والدنا : مواضع . والدئداء : سير سريع أرفع من الخبب يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميعى ، وفى الغداة بلغ الأضارع والدنا .

(٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخفى : صفتان لليلا ، وليلا تميز ؛ ويالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب فى الطريق ليهتدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمة : موضع قرب الكوفة . والجوز فى الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا صدر الليل لقوله: وباقيه أكثر ؛ والضمير فى الموضعين لليل ، يقول : وردنا هذا المكان صدر الليل وباقيه أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهيمة



فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا ... حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلاَ (١)
وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ... وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا (٢)
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ... وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى (٣)
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ ... وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا (٤)
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى ... وَلاَ كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفاً أَبَى (٥)

ماء وسط أعكش : أي وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان« أعكش »وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوهم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة في النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثاني كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثاني الذي كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربعه وبقي ثلاثة أرباعه ؟ وهذا أبين وأوضح، ويجوز أن يكون الضمير في باقيه لليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى في الكوفة وأنخنا ركابنا بها وركزنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا في الطريق وظفرنا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأنا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بتنا نقبل أسيافنا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك لجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بتنا ثبنا ، أي رجعنا نقبل الخ .

(٣) لتعلم مصر : أي أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية ، وهي من حلب إلى حماه . وأل في الفتى للاستغراق . أي الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أي لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أي بعاقلته من أني سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أي ضيم كافور ؛ وعتوت . أي تجبرت على من تجبر علي .

(٥) سامه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والخسف : الضيم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلاَ بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأْيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا[١]

وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى[٢]

وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا[٣]

وَنَامَ الْخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمًى لاَ كَرَى[٤]

وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا بَيْنَنَا مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى[٥]

لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيِّ أَنَّ الرُّءُوسَ مَقَرُّ النُّهَى[٦]

فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهَى كُلَّهَا فِي الْخُصَى[٧]

---

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القويه وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأى والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضامت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي فى الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويخوض شدائده حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة ــ بضم الخاء ــ وهى مابين القدمين

(٤) الخويدم : تصغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنعاس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذى خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وخَبَّرَنِى البَوَّابُ أنكَ نَائِمٌ وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بينى وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأنى بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشىء وإن قرب منه

(٦) و (٧) النهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل



وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ ... وَلٰكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا(١)
بِهَا نَبَطِيٌّ مِنَ أَهْلِ السَّوَادِ ... يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا(٢)
وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ ... يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى(٣)
وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنَّ ... بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى(٤)

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظنى وقلت إن العقول كلها فى الخصى ، فإنه لما خصى ذهب عقله وحمق .

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التى تستدعى الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط ، وهم جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين ، قال المعرى :

أين امرُؤُ القيس والعذارَى ... إذْ مَالَ مِنْ تحتِهِ الغَبِيطُ
استنبطَ العُرْبُ فى المَوَامِى ... بَعْدَكَ وَاستَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا الفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المادرانى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر فى الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود ـ يريد كافورا ـ عظيم الشفة حتى لكأنها قدر نصفه ، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ماهو جمالا وإشراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويغتبط بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامة ـ كما فى القاموس ـ تشدد النون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، على أنفه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المرميس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقيه به وأحتال لأجتلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحاً لَهُ وَلَـكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى (١)
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَامِهِمْ فَأَمَّا بِزِقٍّ رِيَاحٍ فَلاَ (٢)
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَّكُوهُ فَسَا أَوْ هَذَى (٣)
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَالاَ يَرَى (٤)

وعاب قوم عليه علوّ الخيام ، فقال(*) :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلاَءِ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الإِبَاءِ (٥)
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثُّرَيَّا وَلاَ سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ (٦)

---

(١) قال ابن جنى : إذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفالا ثم مدح فذلك هجولهم ؛ لأن فيه إرغامالهم ومدحا لمن ينافى طباعهم . وقال غيره : يعنى لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولـكنه فى الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجونى إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا عتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولـكن أن يضل ناس بزق ريح — يعنى كافورا — وينقادوا إليه ويعظموه فذلك مالم أره إلا فى مصر وأهلها — والزق أسود ، وإذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أى الأصنام ، وذا : أى زق الريح ، أى كافور

(٤) هذا هو بيت القصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه مالا يرى واستقبحوا منه ما استحسن ، وإنه لبلاء عظيم . .

* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه و هو على الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارتحلتَ لكَ الـ خيلُ وأنا إذا نزلتَ الخيامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى آبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسماء



وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى   سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ (١)
تَنَفَّسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ   فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِى الْهَوَاءِ (٢)

وقال يهجو السامرى (*) :

أَسَامِرِىُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءٍ   فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الْأَغْبِيَاءِ (٣)

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الخيام فوقك ؟ يريد أن رتبتك فوق كل شىء ؛ فليس ثم شىء يعلوك رتبة وقدرا :

(١) يقول : لما زايلت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجمال الذى كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جمالها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالى منك عرف أهلوها والمقيمون بها طيب نفسك فى الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبى عيينة :

تَطِيبُ دنيانا إذا ما تنفَّسَتْ   كأن فَتِيتَ المِسْكِ فى دورنا هَبَّا

وتنفس — بحذف إحدى التاءين — أى تتنفس ، والعواصم بلاد منها حلب وقنسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

* أنشد المتنبى سيف الدولة يوما قوله :

واحرَّ قلباه ممن قلبه شبم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه نبطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامرى فقال لسيف الدولة : ألحقه فآخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبى هذه الأبيات يهجوه بها .

(٣) يقول : ياسامرى يامن يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغبى الأغبياء ، والسامرى نسبة إلى سامرى بلد بناه المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ فى بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسرمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .



صَغُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتَ أُهْجَى ... كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهِجَاءِ[١]

وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ ... وَلَا جَرَّبْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءِ[٢]

---

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لاتدرى أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يرونه أهلا حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لى أن أهجوك وما فكرت قبلك فى باطل حتى أكترث له ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حاك فى صدري ذلك ، وهل يليق بمثلى أن يجرب سيفه فى قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونه ... والمدحُ فِيكَ كما علمت جَلِيلُ

فاذْهَبْ فأنت طليقُ عِرْضِكَ إنَّهُ ... عِرْضٌ عززتَ بِهِ وأنت ذليلُ

وقول الآخر :

قُلْ كَيْفَ شِئْت وأنى تشا ... وأَبْرِقْ يَميناً وَأَرْعِدْ شِمَالا

نَجَا بك لُؤْمُكَ مَنْجَى الذُّبَاب ... حَمَتْهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنالا

وقول بعضهم :

إنى لأُكْرِم نَفْسى أَنْ أُكَلِّفهَا ... هجاء جَرْم وَمَا يَهْجُوهم أحد

ماذا يقولُ لهم من كان هَاجِيَهُمْ ... لا يبلغ النَّاسُ ما فيهم و إن جَهدوا

قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين :

لِعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنكَ حَظٌّ   تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرٍ عُجَابِ (١)

حِمَالَةُ ذَا ٱلْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ   وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ (٢)

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ ٱلْأَرْضُ مِنْ هٰذَا الرَّبَابِ   وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ (٣)

وَمَا يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا   وَلَا يَنْفَكُّ غَيْثُكَ فِي انْسِكَابِ (٤)

تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي   مُسَايَرَةَ ٱلْأَحِبَّاءِ الطِّرَابِ (٥)

تُفِيدُ ٱلْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ   وَتَعْجِزُ عَنْ خَلَائِقِكَ الْعِذَابِ (٦)

---

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أنى أرى سيفا يحمل سيفا وسحابا يمطره سحاب ، والحمالة التى يحمل بها السيف ، والحسام الأول هو السيف ، والثانى هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويبلى . يقول : أنت أفضل من السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى نبات الأرض تبلى ـ وذلك عند هيجه ـ ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا به فأنت خالد وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين لهم كما قال البحترى :

أشرقن حتى كاد يختبس الدجى   ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

فجعل الصخر يكاد يجرى للينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والغوادى السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفرِ أعترضُ الدُّمَى فَلَمْ أرَ أحْلَى مِنْكَ فى العَيْنِ وَالقَلْبِ (١)

فقال :

فَدَيْنَاكَ أهْدَى النَّاسِ سَهْماً إلى قَلْبِى وَأقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلاَ حَرْبِ (٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والخلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كى تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجيج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذى حجَّ المُلبُّونَ بَيْتَه وَعَلَّمَ أيامَ الذَّبائحِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِى لِلغَمْرِ حُبّاً وَأهْلِهِ لَيالٍ أقَامَتْهُنَّ لَيْلَى عَلَى الغَمْرِ
وَهَلْ يَأثَمَنِّى اللهُ فى أنْ ذَكَرْتها وَعَلَّلْتُ أصْحَابِى بها لَيْلَةَ النفرِ
وَسَكَّنْتُ ما بِى مِنْ كلالٍ وَمِنْ كَرًى وَمَا بالمطايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلا فَتْرِ

وأعترض : أستقبل ، والدمى : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فديناك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى منادى باسقاط حرف النداء قال الواحدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث: واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : ياأقصد الناس سهما إلى قلبي يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تخطئه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى النزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التميز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة العكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفعل إذا كان للتفضيل فبينه وبين أفعل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرته

تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فى أَهْلِهِ الْهوَى
فأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ[١]
وَإِنِّى لَمَنْوعُ الْمَقَاتِلِ فى الْوَغَى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فى الْحُبِّ[٢]

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية،فعل بفتح العين، وفعل بكسرها ، وفعل بضمها ولا يبنى إلا من فعل قد سمى فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذى ضربه أخوك ؛ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش[١] إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولا وكذلك أفعل الذى للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكَرُّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا فى اللِّقَاءِ الْقَوانِسا[٢]

فنصب القوانس بفعل مضمر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلا نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاما تخالف سائر الأحكام لأن الخلف فى الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب *

(٢) يقول : إنى من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى فى الحرب ولكنى مع ذلك يصاب مقتلى فى الحب فلست أستطيع الدفاع عن نفسى فى ميدان الهوى وهذا من قول أبى تمام :

---

(١) يقال هدت الإبل والوحش والخيل تهدى إذا تقدمت وهاديات الوحش أوائلها وهى هواديها .

(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح



وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ
أَصَابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ فى الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ (١)

« وقال يعزيه عن عبده يماك التركى وقد مات بحلب سنة أربعين وثلثمائة » :

لاَ يُحْزِنُ اللهُ الأَمِيرَ فَإِنَّنِي سَآخُذُ مِنْ حَالاَتِهِ بِنَصِيبِ (٢)
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ (٣)

كَمْ من دَمٍ يعجِزُ الْجَيْشَ اللهامَ إذا بانوا تحكَّمُ فيهِ العِرْمِسُ الأُجُدُ

« جيش لهام: كثير يلتهم كل شيء ، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم الهمزة والجيم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التى تحمل الحبيب ، والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس بأهون سعى فقوله أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله الأمير فإن حزنه يستتبع حزنى لمشاركتى إياه فى أحواله فلا أصابه الله بحزن لئلا أحزن ؛ والمعنى واضح وجيل. ومن ثم كان نقد الصاحب هذا البيت ـ بقوله . لا أدرى لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق ـ فى غير موضعه . ويجوز فى يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سآخذ هى رواية ابن جنى وعليها مضينا ، وفى رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكاك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفى البيت حذف لا يخفى ، فهو من قبيل * علفتها تبناً وماء باردا * قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء فى بعيون للتعدية أى أبكاها . والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونا جميعاً فى سرورِكُمُ فلهُونا إذ حَزِنتمْ غَيْرُ إنصافِ



وَإِنِّى وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ ... حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِى حَبِيبُ حَبِيبِى (١)

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبْلَنَا ... وَأَعْيَا دَوَاءُ المَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا ... مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبِ (٢)

تَمَلَّكَهَا الآتِى تَمَلُّكَ سَالِبٍ ... وَفَارَقَهَا المَاضِى فِرَاقَ سَلِيبِ (٣)

وَلاَ فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى ... وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ (٤)

---

(١) الدفين المدفون ، وحبيب حبيبي مبتدأ مؤخر ، وحبيب إلى قلبي خبر مقدم ، والجملة خبر إني يقول : إني أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبيبا إلى قلبي وإن كان غريبا مني .

(٢) يقول : لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا لغصت بنا الدنيا وضاقت علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والمجيء لشدة الزحام وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئا وجيئة وكذلك الذهوب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى عنها الميت تخلى المسلوب ؛ وعبارة الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب سلب ما كان فى يده وهذا المعنى — كما قال العكبرى — مأخوذ من قولهم إنما فى أيديكم أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء المنية وهى معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا يحمد على شجاعته ، وكذلك لا فضل للجواد على البخيل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبٍ حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ (١)

لَأَبْقَى يَمَاكٌ فِي حَشَايَ صَبَابَةً إِلَى كُلِّ تُرْكِيِّ النِّجَارِ جَلِيبِ (٢)

وَمَا كُلُّ وَجْهٍ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكٍ وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ (٣)

لَئِنْ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَآبَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ (٤)

وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلَّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ وَفِي كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمِ رُكُوبِ (٥)

---

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضى وبمعنى الباقى ، والمراد هنا الأول . يقول: إن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهى لا محالة وإن طالت مفارقته ولكن أوفاها له تلك التى تصحبه إلى وقت المشيب فلا تزايله حتى يطول استمتاعه ويستوفى لذة العيش ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزى : يريد أن الدنيا تخترم الشباب لقلة الوفاء فاذا أبقتهم كان قصاراها أن تفنيهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو تفسير حسن .

(٢) لأبقى . جواب قسم محذوف . أى والله لقد أبقى ؛ ويماك اسم مملوك سيف الدولة وهو تركى ؛ والنجار الأصل ، وجليب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى يماك بموته فى قلبى صبابة وميلا إلى كل تركى أى إلى كل من هو من جنسه

(٣) النجيب الكريم « ضد اللئيم » والفاضل النفيس فى نوعه . يقول : إن يماك ترك فى قلبى هذا الميل إلى جنسه لذلك الشبه الذى بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه فى الصورة يشبهه فى اليمن والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول فى الأول: إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون ثم قال: إنه ليس كل تركى مباركا ولا كل تركى نجيبا كالمرثى وإذن فهو يحبهم لأنهم يشبهونه فى الصورة وإن لم يشبهوه فى اليمن والنجابة .

(٤) و (٥) القضيب السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامى بالسهام . قال العكبرى : فى الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون فى الحرب بسهامهم يرمى بعضهم بعضا وفى غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رمياً ؛ والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمى وقت النزال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطعان ومن ثم حزنت عليه السيوف والقسى والخيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه . واللام فى قوله لئن ظهرت لام القسم

يَعِـــزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخِلَّ بِعَادَةٍ ... وَتَدْعُو لِأَمْرٍ وَهْوَ غَيْرُ مُجِيبِ (١)
وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا ... نَظَرْتُ إِلَى ذِى لِبْدَتَيْنِ أَدِيبِ (٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ ... فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَغَرَّ وَهُوبِ (٣)
كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَاجِدٍ ... إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ (٤)

دخلت على حرف الشرط وأتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير فى القرآن الكريم ، وفى الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على عماك أن يغير عادته فى خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك

(٢) ذى لبدتين أى أسد واللبدة الشعر المتراكب على كتف الاسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أسداً وفتى أديبا أى إنه كان جامعا بين الأدب فى الخدمة وقوة الأسد لدى البأس . والتاء فى كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمتكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العلق هو النفيس من كل شىء ، وهو خبر يكن وجملة فقدته حال ؛ والمتلاف الذى يتلف أمواله سخاء وجوداً والأغر الشريف يقول : فان يكن عماك العلق النفيس قد فقدته فإنما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالى بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطاب لسيف الدولة ويكون العلق منصوبا على الاشتغال أو بفعل مضمر دل عليه قوله فقدته ، والتقدير ، فإن تكن فقدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم معتد . والمراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العوذة وهى الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان الدهر ونوائبه حتى يجعل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الأنامُ إلى كمالكَ فاسْتَعِذْ ... من شرِّ أعينهم بِعَيْبٍ وَاحِـــدِ

وقول الآخر :

قد قلت حينَ تكاملتْ وغدَتْ ... أفعـــالُهُ زَيْنـــاً من الزينِ
ما كانَ أحْوجَ ذا الكمال إلى ... عَيْبٍ يُوَقِّيـهِ منَ العَـــينِ

« كان زائدة ، وذا الكمال . أى هذا الكمال » .



وَلَوْلاَ أَيَادِى الدَّهْرِ فى الجَمْعِ بَيْنَنَا ... غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ (١)

وَلَلتَّرْكُ لِلإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ ... إِذا جَعَلَ الإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ (٢)

وَإِنَّ الَّذِى أَمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ ... غَنِىٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ (٣)

كَفَى بِصَفَاءِ الوُدِّ رِقًّا لِمِثْلِهِ ... وَبِالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَراً لِلَبِيبِ (٤)

فَعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الأَجْرَ إِنَّهُ ... أَجَلُّ مُثَابٍ مِنْ أَجَلِّ مُثِيبِ (٥)

---

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساآته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسىء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا فبإحسانه عرفنا إساءته . والأيادى : النعم

(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذ أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتربيته وتعهده وإتمامه فترك المحسن إحسانه أجمل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :

أبداً تسْتَرِدُّ ما تهَبُ الدنيـــا فياليت جودَها كان بُخْــلا

واللام فى قوله وللترك لام الابتداء ، وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وأتمه .

(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركى ، وخص نزاراً لأنه أبو القبائل الأشراف كقريش وغير قريش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء فى قوله بصفاء وبالقرب زائدة ، وصفاء والقرب فى محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واللبيب العاقل . يقول : إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكثرة الإحسان إليه . وإن لم يبتعه كما يبتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من عاك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله فضمير إنه إما عائد على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الإثابة .



فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَّ النَّجِيعُ نُحُورَهَا ... يُطَاعِنُ فِى ضَنْكِ الْمَقَامِ عصِيبِ [١]

يَعَافُ خِيَامَ الرَّيْطِ فِى غَزَوَاتِهِ ... فَمَا خَيْمُهُ إِلاَّ غُبَارُ حُرُوبِ [٢]

عَلَيْنَا لَكَ الإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعاً ... بِشَقِّ قُلُوبٍ لاَ بِشَقِّ جُيُوبِ [٣]

فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ ... وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَئِيبِ [٤]

---

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجملة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوصب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصبصب شديد وليلة عصبصب كذلك ولم يقولوا عصبصبة ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جعلت فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرئة تعصب بالأمعاء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أولئك لم يدرين ما سَمَكُ القُرَى ... ولا عُصُبٌ فيها رِئاتُ العمارسِ [١]

يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت الدماء نحور الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطة وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والخيم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستظلال بالخيام المتخذة من النسيج وإنما يستظل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إياك على هذه الرزية نافعة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شق جيوباً من رجال لو اسطا ... عوا لشقوا ما وراء الجيوب

وجيب القميص ما انفتح منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالبكاء يعلم الحزن ، فرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب باك

---

(١) العمارس جمع عمروس والعمروس والطمروس الخروف والعصب جمع عصيب وهو ما عرفت .



تَسَلَّ بِفِكْرٍ فى أَبَيْكَ فَإِنَّمَا ... بَكَيْتَ فَكَانَ الضِّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ (١)

إذا استَقْبَلَتْ نَفْسُ الكَرِيمِ مُصَابَهَا ... بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ (٢)

تنسكب دموعه وليس بمحزون . قال العكبرى : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو على فى آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِى لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصحَه ... وما كلُّ مُؤْتٍ نُصحَه بلبيب

(١) فى أبيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد فى أبويك ، وهى لغة للعرب صحيحة فإن بعض العرب يقول فى تثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفى الإضافة أبيك وإذا جمعت بالواو والنون قالوا : أبون، قال الشاعر :

فلما تبيَّنَّ أصواتنا ... بَكَيْنَ وَفَدَّيْننا بالأَبِينا (١)

وعلى هذا قرأ بعضهم: إله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. يريد جمع أب أى أبينك فحذف النون للاضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكر فى مصابك بأبويك فقد بكيت لفقدها ثم ضحكت بعد ذلك بمدة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيذهب عن قريب وعبارة بعض الشراح : تفكر فى آبائك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب كذهابهم فلا يجب الحزن . وفى معناه :

فَمَضى اللُّومَ عاذِلَتى فإنى ... سيكفينى التجارِبُ وانتِسابى

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فإن أنت لم يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فانتَسِبْ ... لعلك تهديك القرونُ الأوائلُ

(٢) المصاب ههنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالخبث الجزع وبالطيب الصبر ، ويقال بات فلان خبيث النفس : أى ثقيلها كريه الحال وفى حديث هرقل : فأصبح يوما وهو خبيث النفس ، أى ثقيلها كريه الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ، أى ثقلت وغثت كأنه كره اسم الخبث وفاعل ثنت يعود على النفس أى صرفت الخبث ، أو تقول ثنت أى انثنت يقول :

---

(١) يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن فبكين إليهم وفدينهم بآبائهن سروراً بوفودهم عليهن .



وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ ... سُكُونُ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ (١)
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ ... فَلَمْ تَجْرِ فِى آثَارِهِ بِغُرُوبِ (٢)
فَدَتْكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا ... مُعَذَّبَةٌ فِى حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ
وَفِى تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِى لَهَا بِضَرِيبِ (٣)

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعلمه أن الجزع لا يفيد. قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمه أنه من كونها فهان عليه ذلك لعجز الكل عن دفع ذلك .

(١) الواجد المحزون ، والزفرة تصعيد النفس بعد مده ، واللغوب الإعياء . يقول : لا بد للمحزون من سكون فإما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء ، فالعاقل من يتعزى ، وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

ويقول محمود الوراق .

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة ... سلوت على الأيام مثل البهائم

(٢) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الجر . وغروب جمع غرب وهو الدمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك ، والغائب عن قرب كالغائب الذى طال عليه العهد . قال الخطيب : وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويعاك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول : ونقد الخطيب واضح وفى محله كما ترى .

(٣) من يحسد مبتدأ مؤخر ، وفى تعب خبر مقدم ، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثان ليحسد ، وأسكن الياء من يأتى ضرورة . وأكثر ما يكون ذلك فى الياء والواو . والضريب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتى للشمس بنظير وهذا فى تعب لازب لأنه يعالج المحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس .



وقال يمدحه ويذكر بناء مَرْعَشَ سنة إحدى وأربعين وثلثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا ... فإنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا (١)

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا ... فُؤَاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلاَ لُبَّا (٢)

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً ... لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا (٣)

نَذُمُّ السَّحَابَ الْغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ ... وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا (٤)

وَمَن صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ ... عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا (٥)

---

(١) يخاطب ربع الحبيب ويدعو له . وقوله من ربع تمييز ، ومن زائدة ، والربع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما الربع ومثله المرتبع والمتربع فهو للوضع الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويعود إليك وكنت له كالمشرق حين يظهر وكالمغرب حين يحتجب .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأن المقصود بمن، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم به ركباناً ، ونلم ننزل يقول : لما أتينا هذا الربع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن ننزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ أجابَ دُثُورُهُ ... يَوْمَ العقيق سؤالَ دَمْعٍ سائل

نحْنِى وننزل وهو أعظم حرمة ... مِن أن يُذالَ براكبٍ أو ناعِل

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالغر : أى البيض : وإنما قال الغر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربع وغيرت معالمه بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتها الرسوم وفعلها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربع ولا حق

وَكَيْفَ ٱلتِذَاذِى بِالأَصَائِلِ وَالضُّحَى ... إذا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ ٱلَّذِى هَبَّا(٥)

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ ... وَعَيْشاً كَأَنِّى كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا(١)

لنا فى هذا الذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفائها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغن بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبى نواس :

إذا امتَحَنَ الدنيا لبيب تكَشفَتْ ... لهُ عَنْ عدُوٍّ فى ثياب صَدِيق

قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستنشق ذلك النسيم الذى كنت أجده من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحى قال الجوهرى : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنث ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهرى : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعته بالوثوب ، ووثب قفز وطفر ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بديع ما قيل فى قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت ... نامت وقد أسهرت عينىّ عيناها

فالليل أطول شىء حين أفقدها ... والليل أقصر شىء حين ألقاها

والشعراء أبداً يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَّانَةَ الْعَيْنَيْنِ قَتَّالَةَ الْهَوَى ... إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَائِحُهَا شَبَّا[١]

لَهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِى قُلِّدَتْ بِهِ ... وَلَمْ أَرَ بَدْراً قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّهْبَا[٢]

ليلى وليلىَ نَفى نومى اختلافُهما ... حتى لقد تركانِى فى الهوَى مَثَلا

يجودُ بالطولِ ليلى كلما بخلت ... بالطول ليلىَ وإن جادت به بخلا

وفى هذا البيت من الجناس الذى ترى ما يعجز عنه . وقال البحترى :

فلا تذكُرَا عهد التَّصَابى فإنهُ ... تقضَّى ولم نشعُرْ به ذلك العَصْرُ

وما أبدع ما يقول الرضى :

يا ليــلةً كادَ مِن تقاصُرِها ... أَنْ يَعثُرَ فيها العشىُّ بالسَّحَرِ

وقال بعضهم :

ظَـلِلْنَا عند دار أبى نعيم ... بيوم مثل سالفةِ الذباب

شبهه فى القصر بعنق الذباب ، ومثله لجرير :

ويوم كأبهام القطاة مزَيَّنٍ ... إلى صباهُ غالبٍ لىَ باطِـلهُ

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

ليلة كاد يلتقى طرفاها ... قصراً وهى ليـلة الميـلاد

ويقول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كأنى ومالـكا ... لِطُول اجتماع لم نَبِت ليلةً معا

(١) النفح تضوع رائحة الطيب يقال نفح الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى النفح على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفتانة عطف على وصلا فى البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا نفحت روائحها شيخا تصابى وعاد شابا وهذا مثل قول الصنوبرى :

بِلَفْظٍ لو بَدَا لِحليفِ شَيْبٍ ... لفارَقه وعادَ إلى شـــبابهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدر اللآلىء العظام ، والشهب الدرارى من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذى تقلدته ، وهى كالبدر حسنا وجمالا ، وقلائدها كدرارى النجوم ولم أر قبلها بدرا قلد النجوم .

فَيَا شَوْقِ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى وَيَادَمعِ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبِ مَا أَصْبَى[١]
لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِهَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّا[٢]
وَمَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبَا[٣]

---

(١) ويالى : يروى وبالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوق ما أبقاك فلست تنفد ويا من لى يمنعنى من ظلم الفراق ويادمعى ما أجراك وياقلبى ما أصباك وأشوقك وقد حذف كما ترى ياآت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفا لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبنية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء المتكلم وحذف الكاف المنصوبة من أبقى وأجرى وأصبى للمخاطبة التى قبلها بالنداء . وقوله ويالى استغاثة قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاستغاثة كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : ياقوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت المفرق ، والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحير من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوبته يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لايحتاج إلى الماء أبدا فكذا لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيبته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الأَحبابُ للأَحبابِ ضَمّاً والتزاماً
وَسُلَيْمَى زَوَّدَتْنِي يَوْمَ تَوْدِيعِي السقاما

وقال ابن فورجه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعبارة الواحدى يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها يقول : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لاينفى إياهما .

(٣) الضوارى المضراة والمولعة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشجعان وكان آباؤه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهاراً فلا تعوقه



وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِيَ الْعُلَا ... أَ كَانَ تُرَاثاً مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبَا(١)

فَرُبَّ غُلَامٍ عَلَّمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ ... كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا(٢)

إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ ... كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا(٣)

تُهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدٌ ... فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا(٤)

الظلمة عن بلوغه مآربه وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جنى : قوله يكن ليله صبحا من قول الآخر :

فبَادِرِ الليـلَ وَلذَّاتهِ ... فإنما الليلُ نهارُ الأريب

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذى ذكر فى البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالى الأمور فلست أبالى بعد إدراكها أكان ما يحصل فى يدى إرثا أم كسبا فالتراث المال الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أتراثا كان لأن الهمزة لا يليها إلا المسئول عنه فأخره لإقامة الوزن.

(٢) فرب غلام يعنى نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدة الأبطال بشجاعته وحذقه ، ويروى * كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا * أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال . والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى ، وقيل لا يكون إلا بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبعت وامتلأت بطونها علفا وأمجدها راعيها ويقال من هذا أمجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس المجد كثرة المآثر والمساعى كان مأخوذا من ذاك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعنته عليه وقمت به دونه ، وقد استكفانى أمره فكفيته وعداه هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به فى أية مهمة أو نازلة كفاها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفا لها على أعدائها وكفا تضرب بها وقلبا تقتحم به الأهوال ؛ قال العكبرى : يريد بهذا أن يفضله على سيف الحديد فإنه لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟! أى تقطع بنفسها دون استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربى نزارى ، فيكون أحق بالخوف منه .



وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ	فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا (١)
وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانَهُ	فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَّا (٢)
عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى	لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكُتْبَا (٣)
فَبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنَا	بِهِ تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصْبَا (٤)
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلاً وَمِنْ زَاجِرٍ هَلاً	وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعاً وَمِنْ نَاثِرٍ قُصْبَا (٥)
هَنِيئاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمِ	وَأَنَّكَ حِزْبَ اللهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا (٦)

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترىء أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليوث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطى وعب زخر وتدفق وقد سمى الفرس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوبا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) اللغى جمع لغة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله فى ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا فى العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بوركت وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء ومن غيث تمييز والديباج فارسى معرب وهو الثوب الذى سداه ولحمته حرير . والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتنبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥ الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب المعى والجمع أقصاب ؛ وفى الحديث : الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه فى النار قيل اسم للأمعاء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبوركت من رجل يهب العطاء جزلا ويزجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأمعاء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئاً وأصله ثبت رأيك هنيئاً لهم فحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئاً » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وأنك صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — فى حال أنك حزب الله .

وَأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَيْبَهُ ... فَإِنْ شَكَّ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا(١)
فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ ... وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا(٢)
سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ ... وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى(٣)
أَتَى مَرْعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً ... وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا(٤)
كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا ... وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا(٥)

---

(١) وأنك عطف على وأنك حزب الله فى البيت السابق والضمير فى فيها وفى بساحتها للأرض وأرجعه إلى غير مذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفزعت وريب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنك صرت لهم حزبا وأنك فعلت فى الأرض أفعالا أفزعت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر فى قولى فليحدث فى الأرض خطبا . يعنى أن الناس آمنون من تصاريف الدهر فليس فى استطاعته أن يمسهم بسوء هيبة لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجدب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشىء السرى أى النفيس وقيل لأنهم ينفذون سراً وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهرى تترى فيها لغتان تنون ولا تنون فمن ترك صرفها فى المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا التى يخلف بعضها بعضا ونهبى أى منهوبة والدمستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : أتى الدمستق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قريباً فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب بعيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جئتكم زائراً ... إلاَّ رأيتُ الأرضَ تُطوى لِي
ولا انثنى عزمِى عن بابِكم ... إلا تعــثَّرتُ بأذيالِى

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاد جبنا يترك أعداءه ويخيم



وَهَلْ رَدَّ عَنْــــهُ بِاللُّقَانِ وُقُوفُهُ صُــدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةَ الْقُبَّا(١)
مَضَى بَعْدَ مَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا(٢)
وَلٰكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَــوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا(٣)
وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا(٤)

عن اللقاء وينكص على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغنم سوى الرعب : أى أن الدمستق عاد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره .

(١) اللقان ثغر ببلاد الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل فى السنان إلى ثلثه والخيل المطهمة التامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد ؟ قال الواحدى : كان الدمستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والخيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرماحين رماح الفريقين فثنى الجمع كما قال أبو النجم :

* بين رِماحَىْ مالك ونهشل

والهدب : أشفار العين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الأهداب الأعالى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

ما التقينا بحمد ربِّىَ إلا مِثلَ ما تلتقى جُفونُ السليم

(٣) السورة الحدة يقول : ولكنه انهزم وللطعن فى أصحابه حدة إذا تذكرها لمس جنبه قائلا : هل أصابه شىء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدرى ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشراح : إنه هرب وبقى من دهشه لا يدرى ما يصنع فكان يلمس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الذهول والفزع وهذا من قول أبى نواس :

إذا تفكرتُ فى هَــوَاىَ له مسّستُ رأسى هل طار عن بدنى

(٤) العذارى جمع عذراء وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرابين جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لغة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِى الْحَيَــاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهاماً بِهَا صَــبَّا[(١)]
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا[(٢)]
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِــدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هٰذَا لِذَا ذَنْبَا[(٣)]

---

(١) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهام على وجهه ، والصبابة رقة الشوق : يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وإن اختلف فعلهما فالجبان حباً لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على الحرب دفاعا عن نفسه وذودا عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه كما قال الحماسى — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

وتقول الخنساء .

نُهين النفــوس وهون النفــوس يوم الكريهة أبقى لها

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهب مرهوب لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حى كما قال حبيب :

سلفوا يَرَوْن الذكر عُقْباً صالحاً ومَضوا يَعدون الثناء خــلودا

وإما أنه إذا استشهد صار حيا كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال العكبرى : وهذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذل كل الإباء وترى فناءها فى طلب العز حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثال ذلك أن يحضر الحرب اثنان يغنم أحدهما ويحرم الآخر لحضور الحرب إحسان من الغانم ذنب للمحروم وكلاهما فعل فعلا واحداً وكذلك مسافران مثلا سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر من الرابح إحسانا يحمد عليه ومن الخاسر ذنبا يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابى :



. . . .

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه

وفى هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ وأثره فى تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين المحبسين :

لا تَطْلبنَّ بآلةٍ لك رُتْبة قلمُ البليغ بغير حَـــظ مِغزَلُ
سَكَن السماكان السماء كلاهما هَذَا له رُمحٌ وهــذا أعزلُ

وقال :

سَيطلبنى رزقى الذى لوْ طَلبتهُ لما زاد وَالدُّنيا حُظوظ وَإقبالُ
إذا صَدَقَ الجدُّ افترى العَمُّ لِلفتى مكارمَ لاتُكرى وإن كذبَ الخالُ

« الجد هنا الحظ والعم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، وافترى كذب والحال المخيلة » . ويقول أبو تمام :

ينال الفتى منْ دَهْره وَهْوَ جاهلٌ وَيُكْدِى الفتى فِى دَهْرِه وَهْوَ عالم[1]
وَلوْ كانَت الأرْزَاقُ تأتِى على الحجا إذَنْ هَلكْت مِنْ جَهْلهن البَهائمُ

ويقول أبو إسحاق الصابى :

إذا جَمعتْ بين امْرَأيْنِ صِناعَة فأحبَبْتَ أن تَدْرِى الذى هُوأحْذَقُ
فلا تَتفقَّدْ مِنهُما غيْرَ ما جَرتْ به لهما الأرزاق حــين تفرّقُ
فحيْثُ يكونُ الجهل فالرزْقُ واسعٌ وَحَيْثُ يكونُ العِلمُ فالرزْقُ ضَيّقُ

وقال الإمام الشافعى :

لو أن بالحيل الغِنى لو جدتنى بنجوم أفــلاك السماء تَعلّقى
لكنَّ من رُزق الحِجا حُرِم الغِنى ضِـدّان مُفترقانِ أىَّ تفرق

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشىء وأصله من حافر البئر ينتهى إلى كدية أى صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فيتركه .

فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْئِهِ ... إِلَى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرْبَا (١)
تَصُدُّ الرِّيَاحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةً ... وَتَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا (٢)

فإذا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُوماً أتى ... ماءً لِيَشْرَبَهُ فغاض فصدِّقِ
أو أن محظوظاً غداً في كفه ... عُود فأورق في يديه فحقِّقِ
ومِن الدليل على القضاء وكونه ... بُؤْسُ اللبيب وَطِيب عَيش الأحمَقِ

والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرزوق والمحروم المفهومين من قوله ويختلف الرزقان .

(١) فأضحت أي قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتابعه جماعة من الشراح — : إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدى بها من الجو فأسست هناك فشقت الكواكب والترب : يعنى الذي ارتفع منها إلى الجو حواليها فكأنها مقلوبة أسها في السماء وأعلى حائطها إلى الأرض. وروى ابن جنى من فوق برفع القاف وبدؤه بالرفع أيضا جعل فوق معرفة وبناه كقبل وبعد وأراد فوقه فلما حذف الهاء بناه كقبل وبعد ورفع بدؤه على الابتداء ، قال الواحدى : على رواية ابن جنى لا يستقيم لفظ البيت ولا معناه لأنه — أي المتنبي — يقول : أضحت هذه القلعة — يعنى مرعشا — كأن سورها من فوق بدئه أي من أعلى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء وشق التراب برسوخه في الأرض وهو كقول السموأل :

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرع لا يرام طويل

(٢) تصد تعرض والهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحمقاء التى تارة تأتى من هنا وتارة تأتى من هنا وعنها متعلق بتصد ومخافة مفعول من أجله وأن تلقط في موضع نصب على حذف حرف الجر أي من أن تلقط : يقول : إن الرياح الهوج تعرض عنها مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن الارتقاء إليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجانى : يريد أن الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها



وَتَرْدِى الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرْقِهَا الْعُطْبَا(١)

كَفَى عَجَباً أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرْعَشـاً تَبًّا لِآرَائِهِمْ تَبًّا(٢)

إذا هى التقطت الحب ما توجبه حال المتناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

فقد بَثّ عَبْدُ اللهِ خَوْفَ انْتِقامِهِ على الليلِ حَتى ما تَدِبُّ عقارِبُه

وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطـير الطـير فيها ولا يسرى بها للجن سـارى

(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بحوافرها ، والجرد اقصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح فى غيم وأيضا اسم اليوم الثانى من أيام العجوز قالوا وهى سبعة أيام وأنشدوا لابن أحمر وقيل لابن شبل الأعرابى :

كُسِعَ الشّتاءُ بِسَبْعةٍ غُبْرِ أَيّامِ شَهْلَتِنا من الشهْرِ

فإذا انقَضَتْ أيامُها وَمَضَتْ صِنٌّ وَصِنَّبْرٌ مَعَ الوَبْرِ

وَبآمِرٍ وأخيه مُؤْتَمِرٍ ومُعَلِّلٍ وبمُطفِىءِ الجَمْـرِ

ذَهَبَ الشتاء مُوَلياً هَرَبا وأتتكَ وافِدَةٌ مِنَ النجْرِ(١)

يقال إن عجوزا كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم فى يوم من هذه الأيام فقتله البرد . والعطب القطن والعطب مثله كعسر وعسر.

قال الشاعر :

كأنه فى ذُرَى عمائمهـم مُوَضَّعٌ مِنْ مَنادِفِ العُطبِ

يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كفى وعجبا تميز وتبا : أى خسرا وهلاكا . يقول : من العجب

---

(١) الكسع شدة المر ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جعله تابعاً له ومذهبا به والشهلة العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر فى صميم الحر ناجر للعطش الذى يسببه



وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الأَنَامِ وَبَيْنَهُ ... إِذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا(١)

لِأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا ... وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا(٢)

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَسِنَّةُ رَحْمَةً ... وَلَمْ يَتْرُكِ الشَّامَ الأَعَادِي لَهُ حُبَّا(٣)

وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ ... كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبَّا(٤)

وَجَيْشٌ يُثَنِّي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ ... خَرِيقُ رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصُنًا رَطْبَا(٥)

أن يعجب الناس ممن بنى هذه القلعة وتبا لآرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد إليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ إنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم العضب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ماأعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغا لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وينهزموا أمامه رحمة له وإشفاقا ولم يجلوا عن الشام محبة له ورغبا ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان بن أبى حفصة :

وما أحجم الأعداء عنكَ بَقيَّةً ... عليكَ ولكن لم يَروا فيك مَطْمَعا

(٤) قوله غير كريمة حال أى نفى هذه الأسنة عنه فى حال كونها غير كريمة كريم الثناء الخ والمراد نفى أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حبا له وإنما تفاهم عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم الثناء ماسبه أحد لأنه لا يفعل مايسب عليه ولا سب أحدا لأدبه وكرمه . والثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب فى المدح ويروى النثا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أى نفاها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والخريق الريح الشديدة كأنها الإعصار يقول : ونفاها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرته كأنه جبل



كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا(١)

فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكُفْرَ مُلْكُهُ
فَهٰذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّا(٢)

آخر فصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثنى كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه الكثرة والكثافة إذا لاقى عدواً كان لشدته كأنه عاصف من الريح لقى غصناً رطباً فصفه وحطمه وعبارة الشراح أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرته له صلصلة تسمع كالريح الخريق إذا مرت بغصن رطب قال الشاعر :

كأن هُبوبَها خفقانُ ريحٍ خريقٍ بين أعـــلامٍ طِوالِ

وهذه العبارة من الغموض بحيث تحتاج هى الأخرى إلى شرح . . .

(١) مغاره أى إغارته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيص بيص فقال :

نفى واضحَ التشريقِ عنْ أرضِ رَبْعِه دُخَانُ قُدُورٍ أوْ عَجَاجَةُ مِصْدَمِ(١)

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمهما ويعمل ما يقتضيانه فهذا يرضي المكارم بجوده وسخائه ويرضى الله بجهاده فى سبيله . وقال الشريف بن الشجرى فى أماليه : الإشارة فى قوله فهذا إلى الملك لا إلى الممدوح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد الممدوح لقال فأنت الذى ترضى لأن الخطاب فى مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه قد دل عليه كما توجهت الإشارة فى الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولمن صبر وغفر إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامى :

هم الملوك وأبناء الملوك هم والآخذون به والساسة الأول

---

(١) رجل مصدم: محرب. من التصادم



وقال فيما كان يجرى بينهما من معاتبة مستعتباً(*) :

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول فى المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرته القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك فى غاية الحسن لأن المراد فى الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(*) مستعتبا : مسترضيا. قال الواحدى : لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجالة فى طريقه ليغتالوه فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونمى ذلك إلى أبى العشائر فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بباب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبى الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الخيل وعبرت قنطرة كانت بين يديه واجترهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم فقطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب فسار وتركهم فلما يئسوا منه قال له أحدهم فى آخر الليلة نحن غلمان أبى العشائر ولذلك قال : ومنتسب عندى إلى من أحبه . . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة فى الليلة الثانية مستخفيا فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الأبيات وجاء فى الصبح المنبى ما يأتى : قال أبو فراس الحمدانى يوماً لسيف الدولة : ان هذا المتشدق — يعنى المتنبى — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبى غائبا وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً   فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

الأبيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج المتنبى من عنده متغيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الوقيعة فى حق المتنبى وانقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التى أولها



. . . .

---

* واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه بقوله :

ما لى أكتم حباً قد برى جسدى   وتدعى حب سيف الدولة الأمم

إلى أن قال :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة   وقد نظرت إليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله فى حضرة سيف الدولة لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه فلما وصل فى إنشاده إلى قوله :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى   فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو انتصافاً منك ماذرفت   عينى دموعاً وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبى :

أعيذها نظرات منك صادقة   أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم أبو فراس أنه يعنيه فقال ومن أنت يادعى كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير فى مجلسه ؟ فاستمر المتنبى فى إنشاده ولم يرد عليه إلى أن قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا   بأننى خير من تسعى به قدم

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى   وأسمعت كلماتى من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظا وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت   دهراً وأظهرت إغراباً و إبداعا

حتى فتحت بإعجاز خصصت به   للعمى والصم أبصاراً وأسماعا

ولما انتهى إلى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

. . . .

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وصفت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني :

أعاذلتي كم مهمه قد قطعته ... أليف وحوش ساكناً غير هائب

أنا ابن الفلا والطعن والضرب والسُّرى ... وجرد المذاكى والقنا والقواضب

حليم وقور فى البلاد وهيبتى ... لها فى قلوب الناس بطش الكتائب

فقال المتنبي :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

فقال أبو فراس وهذا سرقته من قول معقل العجلى :

إذا لم أميز بين نور وظلمة ... بعينىّ فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن أحمد بن أبى مرة المكى :

إذا المرء لم يدرك بعينيه ما يرى ... فما الفرق بين العمى والبصراء

وضجر سيف الدولة من كثرة مناقشته فى هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه بالدواة التى بين يديه فقال المتنبي فى الحال :

إن كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم

قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجفَى وسركم ... قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

ومثله قول ابن الرومى :

إذا ما الفجائع أكسبننى ... رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ماقال أبو فراس وأعجبه بيت المتنبي ورضى عنه فى الحال وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنانيرك مختومة ... عاجلة ألفاً على ألف

أشبهها فعلك فى فيلق ... قلبته صفاً على صف

من القصيدة الميمية :

أَلاَ مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا ... فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا[١]

وَمَالِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ ... تَنَائِفَ لاَ أَشْتَاقُهَا وَسَبَاسِبَا[٢]

وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ ... أُحَادِثُ فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَا[٣]

حَنَانَيْكَ مَسْئُولاً وَلَبَّيْكَ دَاعِيًا ... وَحَسْبِيَ مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبَا[٤]

---

(١) فداه الورى : دعاء . وعاتبا حال ، وأمضى السيوف خبر مبتدإ محذوف : أى هو أمضى السيوف مضاربا ، أو تقول إنه منصوب على المدح ومضاربا تمييز، ومضارب السيوف حدودها . يقول : مالسيف الدولة غضبان ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنبا يوجب ذلك ، ثم دعا له ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضربا .

(٢) التنائف جمع تنوفة وهى المفازة ، والسباسب جمع سبسب وهى الفلاة القفر . يقول : مالى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوات بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكواكب ؛ وعبارة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسماء وجعله بدراً وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أقلب منك طرفى فى سماء ... وإن طلعت كواكبها خصالا

(٤) حنانيك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان أى تحننا بعد تحنن ، ومثلها لبيك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدآها محذوفان : أى وأنت حسبى وأنا حسبك والمنصوبات كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تحنن على تحننا بعد تحنن إذا كنت مسئولا ولك الإجابة إذا كنت داعيا وكفى بى موهوبا : أى إنى أشكر من يهبنى وأشيد بذكره وكفى بك واهبا ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهٰــذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا
أَهٰذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا[١]

وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْــوِ مَنْ جَاءَ تَائِبَا[٢]

وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة وفيها سيف غير مذهب فأمر بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِبَيْهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ[٣]

---

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقا فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء لصدق . وإن كنت كاذبا فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت فقد تجملت لك فى القول فتجمل لى أنت أيضا فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبي ذنبا ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لاذنب له ».

(٣) الذى صح عن المتنبي : وخاضبيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى وأحسن خاضبيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما الدم ، وهناك خاضبان الصناعة والغضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا بصناعة الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب ، وروى : وخاضبيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن جنى : وخاضبيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » الآية : كأنه خلط الجميع وكنى عنهم بما يكنى به عمن يعقل : وذكر الغضب مجازا وأرادصاحبه . وقال ابن فورجه : خفض خاضبيه على القسم أى وحق خاضبيه وجعل الغضب خضابا للحديد لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الغضب يحمر منه الإنسان ، وهذا كقولك أحسن ما يخضب الخدود الحمرة والخجل لأن الخجل يصبغ الخد أحمر ، فلما كانت الحمرة تابعة للخجل جمعهما تأكيدا ؛ كذلك لما كان النجيع تابعا للغضب جمعهما وهو يريد للدم وحده ويكون الغضب تأكيداً للنجيع : أتى به للقافية .



فَلَا تَشِينَنْهُ بِالنُّضَارِ فَمَا ... يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ(١)

وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه :

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ ... وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْخُطُوبُ(٢)

وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ ... فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ(٣)

يُجَمِّشُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا ... وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ الْمِقَةِ الْحَبِيبُ(٤)

وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ(٥)

---

(١) شانه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إحمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أرابه : أفزعه وأوقع به شيئاً يشك فى عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدرى هذا الدمل أى الناس قد أقلق ؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل ترقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جعله كالفلك لعلو قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير فى أقلها يعود إلى كل داء : كما فى قوله تعالى « وكل فى فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أقل الأدواء يقول : إن جسمك لا ينبغى أن تنال منه الأدواء ، فمن العجب أن يقربك أقل الأدواء . وجعل للأدواء همة مجازا .

(٤) التجميش : شبه المغازلة والملاعبة بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للمغازلة تجميش من الجمش وهو الكلام الخفى وقيل من الجمش الذى هو ضرب من الحلب لجمشها بأطراف الأصابع ؛ والمقة : المحبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لحبه إياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طبيب الدنيا الذى تشفى أدواءها فتقوم المعوج وتطرد الظلم والعيث والفساد فكيف تعلك وأنت طبيبها ؟



وَكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ … وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ[1]

مَلِلْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ … طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبُ[2]

وَأَنْتَ الْمَلْكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا … لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ[3]

وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا … وَعِثْيَرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ[4]

مُجَلِّحَةً لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي … وَلِلسُّمْرِ الْمَنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ[5]

---

(١) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى ؟

(٢) و (٣) مقام : مصدر ميمى بمعنى الإقامة ، يفتح ويضم . وصبيب : مصبوب ويقال ماء صبيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور ، قال دكين بن رجاء :

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءٍ صَبٍّ … مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرُّبِّ[1]

والحشايا جمع حشية معدولة عن المحشوة وهى الفرش المحشوة . يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا فى ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب .

(٤) الضمير فى تراها للخيل وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها ؛ والعثير مثال درهم الغبار ، والجنيب الذى تقوده إلى جنبك . يقول : ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقاة العدو بخيل يتبع الغبار قوائمها كأنه جنيب تقوده ، أى أنك انقطعت عن ذلك فنال منك حبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه .

(٥) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وغثيرها لأرجلها جنيب ، ومجلحة

---

(١) الذفرى الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل النفط الذى تطلى به الإبل الجرباء ، ورب السمن والزيت : ثفله الأسود ، وعقيده ما غلظ منه .



فَقَرِّطْهَا الْأَعِنَّـــةَ رَاجِعَاتٍ ... فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبَتْ قَرِيبُ[(١)]

أَذَا دَاءٌ هَفَا بُقْرَاطُ عَنْــهُ ... فَلَمْ يُعْرَفْ لِصَـاحِبِهِ ضَرِيبُ[(٢)]

بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْوُضَّاءِ تُمْسِي ... جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ[(٣)]

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ ويروى محجلة ، وعلى هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ وروى الخوارزمى محللة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ والسمر الرماح ؛ والمناحر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ والجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعادى تطؤها وتجتاحها وأحلت للرماح مناحرهم وجنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، وقرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر[(١)] فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعادى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير ، وذا اسم إشارة ، وهفا زل . والضريب النظير ، وبقراط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاءه وأنه لو قعد عنها يوما ضجر ومرض — أهذا داء معضل لم يهتد إليه بقراط وليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، ويروى إذا داء على أن إذا أداة شرط وداء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفى داء أو إذا أعضل داء ونحو ذلك ؛ وقوله فلم يعرف جواب إذا . والفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول : الداء الذى لم يذكره بقراط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء ويروى أذا داء — بجر داء — على أن الهمزة للنـــداء وذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء بضم الواو وتشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ المبالغة كحسان وكبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تغيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

---

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، والحضر : الجرى .

فَأَغْزُو مَنْ غَزَا وَبِهِ اقْتِدَارِى وَأَرْمِى مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ
وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا عَلَى نَظَرِى إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا[١]
فَإِنِّى قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ[٢]

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة ـ وأنشده إياها فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بِغَيْرِكَ رَاعِياً عَبِثَ الذِّئَابُ وَغَيْرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ[٣]
وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ[٤]
وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوِرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ[٥]

---

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحهم ؛ أى بخلهم بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر الممدوح فإذا حسده على ذلك أحد فهو معذور .

(٣) راعيا وصارما منصوبان على التميز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا ابتذله واستباح حرمته ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبهه بالراعى وشبه هؤلاء الثائرين بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبث بغيرك فى حال رعيه وسياسته وبثلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذئاب بسوامك وإذا كنت أنت الصارم لم يثلمك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيتك لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك.

(٤) طرا أى جميعا نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفس الإنس والجن جميعا فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك



طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاهِ حَتَّى ... تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ[١]

فَبِتَّ لَيَالِيًا لَا نَوْمَ فِيهَا ... تَخُبُّ بِكَ الْمُسَوَّمَةُ الْعِرَابُ[٢]

يَهُزُّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ ... كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ[٣]

وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الْفَلَوَاتِ حَتَّى ... أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمُ الْجَوَابُ[٤]

فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمِ وَفَرُّوا ... نَدَى كَفَّيْكَ وَالنَّسَبُ الْقُرَابُ[٥]

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وتمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تتبعت أمواه البادية فى طلبهم حتى خشى السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؛ وقيل : الخبب أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلمة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد فى قوله تعالى « والخيل المسومة » : الخيل المسومة ، المرسلة وعليها ركبانها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خليته وسومه ، أى وما يريد والعراب العربية . يقول تعدو بك الخيل العربية المعلمة فى طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى المخالب له منقار أعقف . شبهه — وهو فى قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير — بعقاب تهز جناحيها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى . جعل طلبه إياهم فى الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنها لاستعارة رائعة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم فى الفلوات حتى أدركتهم فى إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحريم ما يحميه الرجل ويذود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقراب القريب . يقول إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحريم وحات دون سبيه وصنته فكأن جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم .

وَحِفْظُكَ فِيهِمِ سَلَفَىْ مَعَدٍّ وَأَنَّهُمُ العَشَائِرُ وَالصِّحَابُ (١)

تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ العَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمِ الشِّعَابُ (٢)

وَأُسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ فِي الوَلَايَا وَأُجْهِضَتِ الحَوَائِلُ وَالسِّقَابُ (٣)

وَعَمْرٌو فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعْبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ (٤)

---

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافي معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تغلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قيس وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرك وأنهم أصحابك .

(٢) تكفكف تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرماح ، وشرقت غصت والظعن جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظعائنهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولايا جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يجعل تحت البرذعة وقيل كل ماولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمرو عمورا وكذلك كعبا ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيتُ الشَّعْبَ مِن كَعبٍ وكانوا من الشنآنِ قد صاروا كعابا (١)

---

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأي منهم قبيلا على حدته فلذلك قال صاروا كعابا .



وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَنِيهَا ... وَخَاذَلَهَا قُرَيْظٌ وَالضِّبَابُ[1]

إِذَا مَا سِرْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ ... تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ[2]

فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ ... عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ وَالْمَلَابُ[3]

---

(١) هؤلاء بطون بنى كلاب ، وأنث أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول : إنهم لما انهزموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .

(٢) قال ابن جنى : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان : أى لما سرت وراءهم تأخرت رءوسهم لإدراكك إياهم وإن كانت فى الواقع قد أسرعت واستبعد العروضى هذا المعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف فيقطعها ويفصل بينهما فتتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى : الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفاً منك فلا يبقى بينهما تعاون . وهذا المعنى أراده الخوارزمى فقال :

وكنت إذا نهدت لغزو قوم ... وأوجبت السياسة أن يبيدوا

تبرأت الحياة إليك منهم ... وجاء إليك يعتذر الحديد

وطلقت الجماجم كل نحذ ... وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من سيفك وكذلك عند العكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبغ الفرار بنفسه ويترك الآخر.

(٣) الملاب : ضرب من الطيب ، فارسى معرب . قال الجوهرى : كالخلوق ، قال جرير يهجو نساء بنى تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بنى تميم ... عَلَى تِبْرَاكَ أَخْبَثْنَ التُّرَابَا

تَطَلَّى وهى سَيِّئَةُ الْمُعَرَّى ... بِصِنِّ الْوَبْرِ تَحْسَبُهُ مَلَابَا[1]

يقول : لما ظفرت ببنى كلاب أخذت نساءهم إلى أن كنهن مكرمات مصونات من من الابتذال ، عليهن قلائدهن وطيبهن لم يضع منهن شىء فالضمير فى عدن وما بعده

---

(١) تبراك : ماء لبنى العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبر يخثر للأدوية وهو منتن جداً .

يُثْنِينَكَ بالّذِى أَوْلَيْتَ شُكْراً وَأَيْنَ مِنَ الّذِى تُولِى الثَّوَابُ[1]
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْناً وَلَا فِى صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ[2]
وَلَا فِى فَقْدِهِنَّ بَنِى كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابُ[3]
وَكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ فِى أُنَاسٍ تُصِيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ المُصَابُ[4]

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر فى البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس فى مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن بإكرامك إياهن كأنهن عند أهليهن وأزواجهن .

(٣) الغرة الوجه . يقول : لاغربة عليهن إذا رأينك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمى بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فبإصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبسى :

فإن أكُ قد بَرِدْتُ بهم غليلى فلم أقطع بهم إلا بنانى

وقال الحماسى — الحارث بن وعلة الجرمى — :

قومِى هُمُ قتلوا أُمَيمَ * أَخِى فإذا رَمَيْتُ يُصيبُنى سَهمى
وَلَئن عفوْتُ لأعفوَنْ جَللا ولئن سطوت لأُوهِنَنْ عظمى[1]

وقال العديل :

وإنى وإن عاديتهم أو جفوتهم لتألم مما عَضَّ أكبادَهم كبدى

وقال النميرى :

فإنك — حين تبلغهم أذاة وإن ظلموا — لمحترق الضمير

---

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ[1]
وَإِنَّهُمُ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا[2]
وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا[3]

---

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفح عن الجانى يجعله عبداً لك * وما قتل الأحرار كالعفو عنهم *

(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ يخطىء إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الخاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ يخطأ خطأ وخطأة كفعلة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أوواو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للمد لا للألحاق ولا هما من نفس الكلمة فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول فى مقروء مقرو وفى خبىء خبى بتشديد الواو والياء : وجمع الخطيئة خطايا . وكأن الأصل خطائى بهمزتين على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة واستثقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطىء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لغتان ؛ قال امرؤ القيس :

يا لهفَ هِندٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلا القاتلين الملكَ الحلاحِلا[1]

وقال غيره : المخطىء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخاطىء من تعمد لما لا ينبغى وتخاطأه وتخطأه أى أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازنى :

ألا أبلغا خُلَّتِى جابراً بأنَّ خَلِيلكَ لم يُقْتَلِ[2]
تخطَّأتِ النَّبلُ أحشاءهُ وَأَخَّرَ يَوْمِى فلم يَعْجَلِ

---

(١) خطئن أى أخطأن ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حجر شيئا ، فخلف عليها امرأ القيس وخرج فى طلب بنى كاهل فأوقع بحى من بنى كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بنى أسد ، والحلاحل السيد فى عشيرته الشجاع الضخم المروءة .

(٢) الخلة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع فى ذلك سواء .



وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِمْ ... وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقَابُ(١)

وَمَا جَهِلَتْ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي ... وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ(٢)

وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلَالٌ ... وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ(٣)

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ ... وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ(٤)

يقول : إن كانوا مخطئين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع » ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .

(١) يقول : أنت الذى بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولا عقاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أياديك نعمك والبوادى خلاف للدن ؛ يريد أهل البوادى ، والبوادى : فاعل جهلت ؛ وأياديك مفعوله ، وقال العكبرى : سألت شيخنا أبا محمد عبد المنعم النحوى عند قراءتى عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادى نعتا للأيادى والبوادى فى نصف البيت ، فكأنه عنى الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجبت الداعى ؛ وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يتبعون الداعى » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت مضمراً فيها . فقال لى : أنت مقرئ وقد قست ، ومع هذا أنت حفى(١) ، فصوب ما قلت ؛ ويكون البوادى على هذا : السابقات التى بدت إليهم . يقول : إنهم لم يجهلوا بعصيانك سوابق نعمك ، ولكن قد يخفى الصواب على المرء فيأتى غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتى المدل بالذنب يظنه دلالا ، وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أى أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا فى ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو نقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفيه فنزل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقه الشعراء كثيراً قال :

رأيت الحرب يجنيها رجالٌ ... ويَصْلَى حرَّها قوم بَراء

وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به ... إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

---

(١) لعله يريد الحفى بمعنى المستقصى فى السؤال .



فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمِ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ[(١)]
وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ[(٢)]
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا[(٣)]

وقال النابغة :

وَحملتنى ذنبَ امرىء وتركته كذى العُرِّ يُكوَى غيره وهو راتع[(١)]

وقال البحترى :

نصد حياء أن نراك بأعين جنى الذنبَ عاصيها فليم مطيعها

وأروع الجميع — ولله المثل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

(١) على : اسم سيف الدولة . يقول: إن خافوه بسبب جرمهم فإنه يرجى العفو عنده كما يهاب ، لأنه جواد مهيب .

(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تغلب لا من قيس فهو ولى نعمتهم ؛ لأن جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .

(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن ابن حسان :

كأن الرَّبابَ دُوينَ السحابِ نَعامٌ تَعلقَ بالأرجُـل

وأثوا : تقووا وكثروا ، من أث النبات : كثر والتف ، وهو أثيث ، ويقال كذلك شعر أثيث ، وامرأة أثيثة : كثيرة اللحم ، ونسوة أثائث ، قال رؤبة :

ومِنْ هَوَاىَ الرُّجُحُ الأثائثُ تُميلها أعجـازُها الأواعث

« الرجح : جمع رجاح ، وهى الثقيلة العجيزة ، والأواعث : اللينات : فكأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا فى نعمته وقووا وعزوا

---

(٢) العر : قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة فى مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض .



وَتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعادِى　　وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصِّعَابُ(١)
وَلَوْ غَيْرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلاَباً　　ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمِ ضَبَابُ(٢)
وَلاَقَى دُونَ ثَايِهِمِ طِعَاناً　　يُلاَقِى عِنْدَهُ الذِّئْبَ الْغُرَابُ(٣)
وَخَيْــلاً تَغْتَذِى رِيحَ الْمَوَامِى　　وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ(٤)

بإحسانه كالنبات الذى نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاحسان ، والنبات للمحسن إليه .

(١) يقول : بانتسابهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم وانقاد لهم من العرب من لا ينقاد لأحد :

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم ، وكنى بالشموس عن النساء وبالضباب عن المحاماة دونهم : لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلا معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلا للرعاع ، والشموس مثلا للسادة ، وقال ابن الإفليلى : يريد شموس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولاقى : عطف على ثناه ، والثاى : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلا ، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول : لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شموسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حربا يكثر فيها القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلبا للحوم القتلى ، فكيف له بالوصول إلى استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على المتنبى أن الذئب لا يأكل إلا ما افترسه، بخلاف الضبع والكلب ؛ وأنشد فى ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ فى قومه　　دُعَرٌ يُدَنِّسُ عِرضَه ويعيب
لولا سواه تجزرت أوصاله　　عُرجُ الضباع وصَدّ عنه الذيب

« الدعر : الخائن الذى يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلا : عطف على طعانا . والموامى : جمع موماة ، وهى المفازة يقول : وكان يلاقى خيلا تعودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها عراب مضمرة معودة قلة العلف والماء .



وَلٰكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ ... فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ(١)

وَلَا لَيْلٌ أَجَنَّ وَلَا نَهَارٌ ... وَلَا خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلَا رِكَابُ(٢)

رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ ... لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ(٣)

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ... وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ(٤)

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ... كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ(٥)

بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ ... وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ(٦)

عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا ... وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ(٧)

---

(١) ربُّ كل شيء : مالكه ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهاراً وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما نفعهم الوقوف فى ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهاب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا.

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يستترون تحته ، ولا نهار يكاشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لهيبتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينجِهم شىء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جعل جيشه بحراً من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يموجون خلفهم فى سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم .

(٤) يقول : طرقهم ليلا وهم يفترشون الحرير آمنون فبيتهم وقتلهم حتى جدلوا على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال المعرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يقعدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلا واستخذاء وانقيادا .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أى هم بنو قتلى أبيك ؛ ومن أبقى : عطف عليه ، وفاعل أبقى : ضمير يعود على أبيك : يشير إلى ما كان من أبى الهيجاء والد سيف الدولة مع بنى كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم فى أرض نجد وفتك بهم . فهؤلاء هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شىء يلبسها الصبيان،

وَكُلُّكُمُ أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ فَكُلٌّ فَعَالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ[١]
كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ[٢]

وجمعها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فعاشوا عتقاء سيفه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيلوا آباءهم فى التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك فى العفو والغفران ؛ ففعلهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يعتبروا بآبائهم ؛ وفعالك أيضاً عجيب إذ صفحت عنهم وأبقيت على باقيهم وأتى مأتى فلان أى فعل فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة فى الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لئيم الفعال ، وذلك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فليفعل من يطلب الأعادى ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا فى موضع نصب بقوله فليسر ، والفاء إنما تعطف أو تكون جوابا. فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليعلموا أن الخبر وضع فى غير موضعه ، وبعض الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره اقصد أخاك فاضرب،وهذا يحسن فى المفعول ، وأما فى الخبر فيبعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .



وقال يرثى أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميّافارقين وورد خبرها إلى الكوفة فكتب أبو الطيب بهذه المرثية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ ... كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)

أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمَىْ مُؤَبَّنَةً ... وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ (٢)

لاَ يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْمَحْزُونُ مَنْطِقَهُ ... وَدَمْعَهُ وَهُمَا فى قَبْضَةِ الطَّرَبِ (٣)

---

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنيت كناية . يقول : ياأخت سيف الدولة ويابنت أبى الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكنى عن ذلك ، يريد أن نسبها من أشرف الأنساب ، فاذا كنيت بهما عرفت لأنهما خير الناس : فاذا قلت ياأخت خير أخ ويابنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الياء فى تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مرثية من التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك يعرفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست فى غيرك ، وهذا يغنى عن تسميتك ، كما قال أبو نواس :

فهى إذا سُمِّيَتْ لقد وُصِفتْ ... فيجمعُ الاسمُ مَعنيين معاً

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم . قال النابغة الجعدى فى الهم :

سألتنى أَمَتى عن جارَتى ... وإذا ما عَيَّ ذو اللبِّ سَألْ

سألتنى عَنْ أُنَاسٍ هلكوا ... شَرِبَ الدهرُ عليهم وأكلْ

وأرانى طَـرِباً فى إثرِهم ... طَرَبَ الواله أو كالمختبلْ

« الواله : الثاكل ، والمختبل : الذى اختبل عقله : أى جن » يقول المتنبي : من استخفه الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان فى قبضة الطرب أى الحزن — يصرفهما كما يشاء .

٤ غَـــدَرْتَ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
بِمَنْ أَصَـــبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ[1]

٥ وَكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فِى مُنَازَلَةٍ   وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ تَخِبِ[2]

٦ طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِى خَبَرٌ   فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِى إِلَى الْكَذِبِ[3]

٧ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِى صِدْقُهُ أَمَلاً   شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرَقُ بِى[4]

---

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذو جلبة وكثرة ، وبحر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تفنى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حقك أن ترعى ذمته ولا تفجعه بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددهم فى خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأضمر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلكوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هُلْكُهُ هلكَ واحد   ولكنه بنيـــان قوم تهدما

وكقول ابن المقفع :

وأنت تموت وحدك ليس يَدرِى   بموتك لا الصغير ولا الكبير
وتقتلنى فتقتـــل بى كريماً   يموت بمـــوته بشر كثير

(٢) يقول : وكم صحبت أخاها يا موت فى غزواته وطلبت إليه أن يمكنك من إهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك ومكنك بسيفه ممن أردت ؟ وهذا كقوله الآتى فى قافية اللام :

شريك المنايا والنفوس غنيمـــة   فكل ممات لم يمته غـــلول

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النعى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعللت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع



٨ تَعَثَّرَتْ بِهِ فى الأفْوَاهِ أَلْسُنُهَا
وَالْبُرْدُ فى الطُّرْقِ وَالأقْلَامُ فى الْكُتُبِ (١)

٩ كَأَنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمْلأْ مَوَاكِبُهَا ... دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ (٢)

١٠ وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ ... وَلَمْ تُغِثْ دَاعِياً بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ (٣)

١١ أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ ... فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فى حَلَبِ (٤)

١٢ يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِى غَيْرُ مُلْتَهِبٍ ... وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِى غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٥)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بى : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشىء الذى يغص به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . ومحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بى أن يكون كأنه غص بى .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لغة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريده دم : أى محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها ، ثم سمى الرسول الذى يركب دواب البريد بريداً . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته .

(٢) فعلة : كناية عن اسم المرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتى كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتغيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق مذ أتاهم نعيها حزنا عليها ، فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سماجة . . .

(٥) أراد : أيظن ، فحذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أتظن أنى غير حزين .

بَلَى وَحُرْمَةِ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً ... لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَّادِ وَالْأَدَبِ (١)
وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَائِقُهَا ... وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةَ النَّشَبِ (٢)
وَهَمُّهَا فِى الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً ... وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)
يَعْلَمْنَ حِينَ تُحَيَّا حُسْنَ مَبْسِمِهَا ... وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنَبِ (٤)

---

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفى وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمعى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، فقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت — فى البيت السابق — والخلائق : جمع خليقة بمعنى الخلق ، والنشب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لداتها ونظيراتها فى العمر : جمع ترب — بكسر التاء — للمذكر والمؤنث. يقول : همها منذ صباها منصب فى العلا وتدبير الملك بينما أقرانها همهن فى اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن بيض :

فهمكُ فيها جسام الأمور ... وهمّ لداتك أن يلعبوا

(٤) الشنب : قيل هو تحزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها ونقاؤها وقيل تفليجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمى : سمعت الأصمعى يقول : الشنب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حدتها حين تطلع ، فيراد بذلك حداثتها وطراوتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتكت ، فقال: ماهو إلا بردها ، وقول ذى الرمة

لمياء فى شَفَتيْها حُوّة لَعَسٌ ... وَفى اللثاتِ وَفى أنيابها شَنَبُ

يؤيد قول الأصمعى ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من الشنب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدى : وأساء فى ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء فى مراثيهن . قال ابن جنى : كان المتنبى يتجاسر فى ألفاظه جدا وفى معنى بيت المتنبى

لا والذى تَسْجُدُ الجِباهُ له ... مَالِي بِمَا ضَمّ ثَوْبُهَا خَبَرُ
وَلا بفيها ولا هممت بها ... ما كَانَ إلا الحديثُ والنظرُ

(١٧) مَسَرَّةٌ فى قُلوبِ الطِّيبِ مَفرِقُهَا   وَحَسْرَةٌ فى قلوبِ البَيْضِ وَاليَلَبِ (١)
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَآهَا رَأْسَ لَابِسِهِ   رَأَى المَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فى الرُّتَبِ (٢)

---

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى: وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة فى قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أى وهى مسرة فى قلوب الطيب مفرقها ، وهى حسرة فى قلوب البيض واليلب، واليلب : الدروع اليمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة تحت البيض ؛ واحدتها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلينَا البَيْضُ واليَلبُ اليمَانى   وأسياف يقمْن وينحنينَا

قال الجوهرى : ويقال اليلب ماكان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للدرق يلب . قال الشاعر :

عليهم كل سابغةٍ دِلاص   وفى أيديهم اليَلبُ المُدار

قال : واليلب فى الأصل ذلك الجلد قال أبو دهبل الجمحى :

دِرْعى دِلاصٌ شَكُّهَا شَكٌّ عجَبْ   وجَوبُهَا القاتِرُ مِنْ سَيْرِ اليلبْ

« جوبها : أى ترسها، وجوب قاتر : أى ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه والبيض واليلب يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفه لهما بالمسرة والحسرة .

(٢) المقانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسه ورآها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابسه ورأى هذه المرأة وهى تلبس المقانع رأى المقانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩) وَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثَى لَقَدْ خُلِقَتْ
كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ [١]

(٢٠) وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا ... فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ [٢]

(٢١) فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ ... وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ [٣]

(٢٢) وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا ... فِدَاءُ عَيْنِ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَؤُبِ [٤]

(٢٣) فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشْبِهُهَا ... وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضُبِ [٥]

---

(١) الحسب : شرف الآباء أو الفعال الصالح : أى شرف الفعل وأنشد ثعلب .

* وَرُبَّ حَسِيبِ الأَصْلِ غيرُ حَسِيبِ *

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنثى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقبة . والمراد العزيزة الأبية الممتنعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : الغلاظ القلوب ، نعتهم بغلظ الرقبة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينقادون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالعز والمنعة — بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تماز به عنهم وتفضلهم ، كالخمر أصلها العنب ، ولكن فى الخمر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم الغزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتهما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتهما — وهى المرثية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمة، فليتها بقيت وفقدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرثية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف يقول . ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .



وَلاَ ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا ... إلاَّ بَكَيْتُ وَلاَ وُدٌّ بِلاَ سَبَبِ (١)
قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَتِهَا ... فَمَا قَنِعْتِ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)
وَلاَ رَأَيْتِ عُيُونَ الإِنْسِ تُدْرِكُهَا ... فَهَلْ حَسَدْتِ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ (٣)
وَهَلْ سَمِعْتِ سَلاَماً لِي أَلَمَّ بِهَا ... فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ (٤)
وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ ... وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيَبِ (٥)

---

(١) الصنائع : جمع صنيعة ، وهي الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لحبق إياها ، وسبب محبق هو صنائعها لدىَّ وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكائى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكى .

(٢) يقول : كانت محجوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكأن الأرض لم تقنع بما حولها من الحجاب حتى حجبتها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاما لى أتاها ؟ يريد أنه يجهز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التأبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول: إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتنى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتنى قريبا منها فحسدتنى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكاراً وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا بعيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريبا منها ؟

(٥) الغيب : جمع غائب ، مثل خدم وخادم . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا المدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومه ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعريض بسيف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

(٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا
وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ (١)

(٣٠) وَأَكْرَمَ النَّاسِ لاَ مُسْتَثْنِياً أَحَدًا مِنَ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النُّجُبِ (٢)

(٣١) قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)

(٣٢) وَعَادَ فِى طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِى الطَّلَبِ (٤)

---

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها — أى سيف الدولة — والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب : أى أن عطاءه أهنأ لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنفع السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شىء ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجابة ، والنجبة مثال الهمزة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولداً نجيباً . قال الأعشى :

أَنجبَ أزمانَ والِدَاهُ بِهِ إذْ نَجَلاهُ فنعم ما نجــلا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تلد النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدا سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات المتنبي القبيحة .

(٣) يريد بالشخصين : أختيه . ماتت إحداها — وهى الصغرى — وبقيت الكبرى ، فكانت كدر فدى بذهب ، جعل الكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدهر . يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت والذى قبله كأنهما من قول الأعرابى :

وقاسمنى دهرى بنىّ مشاطراً فلما تقضى شطرُهُ عاد فى شطرى

(٣٣) مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتـــاً كَانَ بَيْنَهُمَا
كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوِرْدِ وَالْقَرَبِ (١)

(٣٤) جَـــزَاكَ رَبُّكَ بِالأَحْزَانِ مَغْفِرَةً
فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ (٢)

(٣٥) وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَســـخُو نُفُوسُكُمُ بِمَا يَهَبْنَ وَلاَ يَسْـــخُونَ بِالسَّلَبِ (٣)

(٣٦) حَـــلَلْتُمُ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمِ مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ (٤)

(٣٧) فَلاَ تَنَلْكَ اللَّيَـــالِي إِنَّ أَيْدِيَهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ (٥)

---

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم فى ذلك يسيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أجليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التى بينهما كانت لقصرها كأنها المدة التى بين الورد والقرب ؛ وهى ليلة .

(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للمصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يجر بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يفعلن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإضمار وجمع التأنيث ، وهو مثل « إلا أن يعفون » أى النساء ، ويروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب : ما يؤخذ من القتيل من ثياب وسلاح ، وفى الحديث الصحيح : من قتل قتيلا فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المرثية وأنتم قوم أهل عزة وأنفة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لا جَـــزَعاً بل أنفاً شابَهُ أن يقدرَ الدهر على غصْبِه

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أنتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أنتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال تتخذ منه القسى ، والغرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالى بسوء ، فإنها تغلب القوى بالضعيف .



٣٨ وَلاَ يُعِنَّ عَدُوًّا أَنتَ قَاهِرُهُ	فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ[١]
٣٩ وَإِنْ سَرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ	وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِى الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ[٢]
٤٠ وَرُبَّمَا احْتَسَبَ الإِنْسَانُ غَايَتَهَا	وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ[٣]
٤١ وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ	وَلاَ انْتَهَى أَرَبٌ إِلاَّ إِلَى أَرَبِ[٤]
٤٢ تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لاَ اتِّفَاقَ لَهُمْ	إِلاَّ عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِى الشَّجَبِ[٥]
٤٣ فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً	وَقِيلَ تَشْرَكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِى الْعَطَبِ[٦]

(١) الخرب ذكر الحبارى[١] وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تعين الليالى من عاداه فإنهن يصدن القوى بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .

(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجعتك بفقده إذا استردته وقد أرينك العجب حيث سررنك بها ثم فجعنك بفقدها فكانت سببا للسرور والفجيعة ، وهذا عجب أن يكون شىء واحد سبباً للمسرة والمساءة .

(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فيلم به شىء لم يكن فى حسبانه ، وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .

(٤) اللبانة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضى ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبى الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح . يقول : جرى خلف الناس فى كل شىء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أى أن منتهى كل حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا فى حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الحبارى : طائر أكبر من الدجاج الأهلى وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ، ويضرب به المثل فى البلاهة فيقال : أبله من الحبارى ؛ قيل : لأنه إذا غير عشه ذهل وحضن بيض غيره .



(٤٤) وَمَنْ تَفَكَّرَ فى الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الفِكْرُ بَيْنَ العَجْزِ وَالتَّعَبِ (١)

* * *

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه فى ميَّافارِقِينَ وكان ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (٢) :

فَهِمْتُ الكِتَابَ أَبَرَّ الكُتُبْ فَسَمْعاً لِأَمْرِ أَمِيرِ العَرَبْ (٣)

وَطَوْعاً لَهُ وَابْتِهَاجاً بِهِ وَإِنْ قَصَّرَ الفِعْلُ عَمَّا وَجَبْ (٤)

وَمَا عَاقَنِى غَيْرُ خَوْفِ الوُشَاةِ وَإِنَّ الوِشَايَاتِ طُرْقُ الكَذِبْ (٥)

---

(١) المهجة : الروح . يقول : من فكر فى الدنيا وأنه مفارقها ألبتة أتعبه هذا الفكر لما يجد فى ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ، ثم رأى فى الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطيعها فعولن أربع مرات ، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعلْ ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناد التوجيه ، وهو المخالفة فى حركة ما قبل الروى المقيد ، ومن الناس من لا يعده سناداً اكتفاء باتفاق الروى .

(٣) (٤) سمعا وطوعا وابتهاجاً : ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سمعا ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجا ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشىء وله — بالكسر — بهاجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كانَ الشبابُ رِداءً قد بَهِجْتُ به فقد تطاير منه لِلْبِلَى خِرَقُ

يقول : إنى سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابك بيد أن فعلى فى طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أننى قصرت بتخلفى عن المجىء إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمنعنى من النهوض إليك غير خوفى الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البرىء .



وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَنَا وَالْخَبَبْ (١)
وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِى قَلْبُهُ وَالْحَسَبْ (٢)
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْنُ وَلاَ قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبْ (٣)
فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاةِ وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطِىءُ الْغَضَبْ (٤)
وَمَا لاَقَنِى بَلَدٌ بَعْدَكُمْ وَلاَ اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَاىَ رَبْ (٥)

---

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والخبب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقنى أيضاً خوف تكثير قوم معائبى وتقليلهم مناقبى وسعيهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصغى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال معى يعضده فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصرا لهم . ونزاعه إليه نصراً له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناة : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفى فى البيت الأول ، والضمير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إنى لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئاً كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهجك فتنكر على ولم آت فى حقك ما يوجب أن ينزعج لهمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبسنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يمسكه . قال الأصمعى للرشيد : ما ألاقتنى أرض حتى أتيتك ياأمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كَفَاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا جُوداً وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدِّمَا

ورب نعماى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب — وهى موضع نصب — ضرورة للقافية ، وخففها — وحكمها التشديد — لوقوعها رويا . يقول : ما أخذت عوضا منكم ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبنى ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

ومَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بعدَ الجَوا دِ أنكَرَ أَظْلافَهُ والغَبَبْ (١)
وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ البِلَادِ فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ بِمَنْ فى حَلَبْ (٢)
وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ باسْمِهِ لَكَانَ الحَدِيدَ وكَانُوا الخَشَبْ (٣)
أفى الرَّأْى يُشْبَهُ أمْ فى السَّخا ءِ أمْ فى الشَّجَاعَةِ أمْ فى الأَدَبْ (٤)
مُبَارَكُ الاِسْمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ (٥)
أخو الحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ (٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضا ممن أنعم على ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم للانسان والخف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والحمار ، والغبب والغبغب : للبقر والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلا لسيف الدولة ، والثور مثلا لمن لقى بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خداش بن زهير :

ولا أكون كمن ألقى رحالته على الحمار وخلى صهوة الفرس

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن فى حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلا أن أقيس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفا — كما يسمى هو سيف الدولة — لكانوا سيوفا من خشب ، وكان هو سيفا من حديد : يعنى أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك فى شىء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه سمى على بن أبى طالب ، وهو من هو ؟ وأغر اللقب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر : أى متعالم مشهور أبلج . وكريم الجرشى : أى النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشى : من قبيح ألفاظ المتنبى .

(٦) أخو الحرب : أى عرفت به وعرف بها فصار لها أخا ؛ وقناه : فاعل سبى : أى رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحدا خادما فهو مما سباه

إذا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ فَتًى لاَ يُسَرُّ بِمَا لا يَهَبْ(١)

وإنِّى لَأُتْبِـعُ تَذْكَارَهُ صَلاَةَ ٱلإِلٰهِ وسَقْىَ السُّحُبْ(٢)

وَأُثْنِى عَلَيْـــهِ بِآلائِهِ وَأَقْرُبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبْ(٣)

وَإِنْ فَارَقَتْـــنِى أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُدْرَانِهَا مَا نَضَبْ(٤)

أَيَا سَـــيْفَ رَبِّكَ لاَ خَلْقِهِ ويَاذَا الْمَكَارِمِ لاَذَا الشُّطَبْ(٥)

بنفسه ، لا مما اشتراه ، لأن مماليكه جميعا من سباياه ؛ وإذا خلع على إنسان ثوبا فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكايته فى الأعداء .

(١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحترى :

لا يَتمطى كما احتج البخيل ولا يحب من ماله إلا الذى يَهَبُ

(٢) يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسقى أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء ديدنهم المبالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد قال ابن الرقاع :

صلى الإله على امرىء ودّعته وأتم نعمته عليه وزادها

وقال الراعى :

صلى على عَزّةَ الرحمنُ وابنتِها ليلى وصلى على جاراتها الأُخَرِ

(٣) يقول : أثنى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمحبة : أقربت محلته أم بعدت .

(٤) الغدران : جمع غدير ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزى : سمى الغدير غديراً لمعنيين : أحدهما لأن الغيث تركه ، والثانى لأنه يغدر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار فى الأرض وبعد ، وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان بره قد انقطع عنى فإن ماسبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وبفتح الطاء — جمع شطبة وهى الطرائق



وَأَبْعَدَ ذِى هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِى رُتْبَةٍ بِالرُّتَبْ(١)

وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ(٢)

بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضُبْ(٣)

وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَعَيْنٌ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ(٤)

وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْعُدَا ةِ أَنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ(٥)

وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ(٦)

التى فى متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب . يقول : لست سيفا كسائر السيوف . فأنت سيف الله لاسيف الناس . وأنت صاحب المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية : الرماح . يقول : يا أبعد الناس همة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم فتعطى كلا منهم المنزلة التى يستحقها ، ويا أطعن من مس رمحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذا : أى بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع المخافة من فروج البلدان ؛ والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت فى الرأس : أى من شدة الرعب . والوجيب خفقان القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يئسوا من الحياة ، فهم فى خوف ورعب واضطراب حتى أنقذتهم .

(٥) الدمستق : قائد الروم ، والعداة ، جمع عاد بمعنى عدو ، والثقيل : الشديد المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجترأ الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما أرجف به الأعداء من أنك مريض لاتستطيع إغاثتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغى للدمستق أن يغتر لأن سيف الدولة إذا هم بالغارة وهو عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .



أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ (١)
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِى جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَاراً إِذَا لَمْ تَغِبْ (٢)
وَلَا تَعبُرُ الرِّيحُ فِى جَوِّهِ إِذَا لَمْ تَخَطَّ الْقَنَا أَوْ تَثِبْ (٣)
فَغَرَّقَ مُدْنَهُمُ بِالْجُيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبْ (٤)
فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِبًا قَهْرَهُمْ وَأَخْيِبْ بِهِ تَارِكاً مَا طَلَبْ (٥)
نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبْ (٦)

---

(١) أتاهم : أى الدمستق ، وبأوسع : أى بخيل أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبيب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعسب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أتاهم الدمستق بخيل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ يصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جياد الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه، مما يستحب فى الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهق ـ أى الجبال العالية ـ غطاها لكثرته فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صغاراً بالإضافة إليه وإلى سعته وانتشاره حولها .

(٣) تخط ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غص الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقا منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكأنها أغرقتها ، وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها .

(٥) أخبث به : صيغة تعجب : أى ما أخبثه فى الحالين ، ويروى الثانى ؛ وأخيب به تاركا ، من الخيبة ؛ وطالبا وتاركا : حالان . يقول : ما أخبثه حين يحاول قتلهم لأنه استدبر فى ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخيبه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل الثغور أتاهم فقاتلهم بالمبارزة ، فلما جئت جعل الهرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالهرب ، فكأنما قاتلهم به كى ينجو .



وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى ... وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبْ(١)

سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمُ ... وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ(٢)

فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّداً ... وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ(٣)

وَكَمْ ذُدْتَ عَنْهُمْ رَدًى بِالرَّدَى ... وَكَشَّفْتَ مِنْ كُرَبٍ بِالْكُرَبْ(٤)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدْ ... يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبْ(٥)

---

(١) يقول : إنه كان يفتخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له فى ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا ، وإنما ينفع الغوث إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للغوث ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبى تمام :

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالأمس ظَامِئاً ... إذا ما سماء اليوم طال انهمارها

وقول البحترى :

واعْلم بأن الغيثَ ليس بنافعٍ ... للناسِ ما لم يأتِ فى إبَّانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذى يتخذه المسيحيون فى بيوتهم وبيعهم على شكل المصلوب . يقول : لما أنقذتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفا منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك بإهلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التى أنزلتها بأعدائهم ؟

(٥) المعتصب : أى المتوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجىء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم — للمشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قد يراد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فإن تكنِ الأيام أحسنَّ مرةً ... إلىَّ فقد عادَتْ لهن ذُنوبُ

أى أتتنى .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِى يَعْبُدَانِ   وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبْ.(١)
لِيَدْفَعَ مَا نَالَه عَنْهُمَا   فَيَالَلرِّجَالِ لِهَذَا الْعَجَبْ.(٢)
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِيـ   ـنَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ.(٣)
وَأَنْتَ مَعَ اللهِ فِى جَانِبٍ   قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبْ.(٤)
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ   وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِابْنٍ وَأَبْ.(٥)
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِى حَاسِدٍ   إِذَا مَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ كَئِبْ.(٦)
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِى جِسْمِهِ   وَلَيْتَكَ تَجْزِى بِبُغْضٍ وَحُبْ.(٧)
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِى بِهِ نِلْتُ مِنْـ   ـكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبْ.(٨)

---

(١) يقول : إن الدمستق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصرة على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل فى اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام فيا للرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهى مكسورة ، أنشد سيبويه لقيس بن ذريح :

تكنَّفنى الوشاةُ فأزعجونى   فيالَلنَّاسِ لِلْوَاشِى المطَاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا المشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما عجزاً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله فى جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادنين والموادعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكئب كآبة :حزن وظهر فيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذى يكتئب لظفرك بالروم يقتل بسيوفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذى يشكوه ، وقوله تجزى به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو فى قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض



وقال فى صِباه ارتجالا وقد عذل له أبو سعيد المجَيْمرى(*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَـــعِيدٍ جَنِّبِ العِتَابَا   فَرُبَّ رَائٍ خَطِأٍ صَوَابَا(١)

فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحُجَّابَا   وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنَا الْبوَّابَا(٢)

وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ القِرْضَابَا   وَالذَّابِلَاتِ السُّمْرَ وَالْعِرَابَا

يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحِجَابَا(٣)

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة، يقول : ليت المرض الذى تشكوه فى جسم الحاسد وليتك تجزى من أبغضك يبغضه ومن أحبك بحبه كى أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيتنى على حبى لك ـ وهو أقوى سبب ، لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى ـ لنلت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حباً له . وعبارة ابن جنى : لو تناهيت فى جزائك إياى على حبى إياك لـكان ضعيفاً بالإضافة إلى قوة حبى لك قال أبو الفضل العروضى : وهذالا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولمن هو دونه فـكيف ينسب المتنبى سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف فى جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذى لاحظه العروضى لم يوفق فيه .

* هو أبو سعيد النبجى من بنى المجيمر ، قبيلة بمنبج من طيء .

(١) رائى خطأ : يروى راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين * فرب رأى أخطأ الصوابا * يقول : أبعد عنى ياأباسعيدعتابك فلا تعاتبنى ، لأنك ترى الخطأ فى زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :

(٢) فإنهم : أى الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراب الخيل العربية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض مايشف عن طموح المتنبى وآماله الـكبار



وقال فى صباه ارتجالا لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لِأَحِبَّتِي أَنْ يَمْلَأُوا   بِالصَّافِيَاتِ الْأَكْوُبَا[١]
وَعَلَيْهِمِ أَنْ يَبْذُلُوا[٢]   وَعَلَيَّ أَنْ لَا أَشْرَبَا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا   تُ الْمُسْمِعَاتِ فَأَطْرَبَا[٣]

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى وينفى الشماتة عن بنى عمه(*) :

لِأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ   وَأَيَّ رَزَايَاهُ بِوِتْرٍ نُطَالِبُ[٤]

---

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهى الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف القواطع ؛ يريد : أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد همته ، ولا سيما اذا لوحظ أنه مما قاله فى صباه، مثل الأبيات التى قبلها .

* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبى بأبيات مطلعها :

إنى لأعلم واللبيب خبير

وستأتى ، ثم استزاده بنوعم الميت فقال هذه الأبيات :

غاضت أنامله وهن بحور

وستمر بك ، ثم سألوه أن ينفى الشلاثة عنهم فقال :

الآل إبراهيم بعد محمد   إلا حنين دائم وزفير

وتراها فى قافية الراء ، ثم سألوه زيادة فى نفى الشماتة عنهم فقال هذه الأبيات التى نحن بصددها

(٤) اللام فى قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم للرؤيا تعبرون » أى أى صروف الدهر نعاتب ؛ والوتر : الثأر . يشكو الدهر يقول : إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن معاتبتها ولا طلب الثأر منها .



مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ
وَقَدْ كَانَ يُعْطِى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ(١)

يَزُورُ الْأَعَادِى فى سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فى جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ(٢)

فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ(٣)

طَلَعْنَ شُمُوساً وَالْغُمُودُ مَشَارِقٌ لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ(٤)

---

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان فى حياته إذا فقد الناس الصبر فى الشدائد يعينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى — بفتح الطاء — فيكون معناه أنه كان يصبر فى المواطن التى كان يصعب فيها الصبر .

(٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع فى الهواء سماء ، وجعل الأسنة لامعة فيها كالكواكب ، وهذا من قول بشار :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسنا وأَسْيافَنا لَيلٌ تهاوَى كواكبُهْ

وقال أيضاً :

خلقنا سماء فوقنا بنجومها سُيوفاً ونقعاً يَقْبِضُ الطرْف أقتما

وقال آخر :

نَسَجَتْ حوافرُها سماء فوقها جَعَلَتْ أسنَّتنا نجومَ سمائها

(٣) تسفر : تنجلى ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وظبته وانفللن : انثلمن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهى الشىء المضروب بالسيف يقول : إن هذه العجاجة تنجلى عنه ، وقد تثلمت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم بهن فُلولٌ من قِراعِ الكتائب

وفى هذا البيت — بيت النابغة — من البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أغمادها كالشمس فى بريقها ثم غربت فى رؤوس المضروبين ، فصارت رءوسهم مغارب لها، وهذا من قول أبى نواس فى الخمر :

طالعات مع السُّقاةِ علينا فإذا ما غَرَبن يَغرُبنَ فينا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِّعَتْ فى مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكْفِنِهَا حَتَّى قَفَتْهَا مَصَائِبُ[1]

رَثَى ابْنَ أَبِينَا غَيْرُ ذِى رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ[2]

وَعَرَّضَ أَنَّا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضَيْهِ الْقَوَاضِبُ[3]

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْنَ بَنِى أَبٍ لِنَجْلِ يَهُودِىٍّ تَدِبُّ الْعَقَارِبُ[4]

أَلاَ إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلاً عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبُ[5]

---

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفتها : تبعتها . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هى لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكفنا ذلك حتى تبعتها مصائب أخرى ، وهى اتهام الحسدين إيانا بأنا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذى رحم له : يروى ، غير ذى رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بآصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالشماتة ونحن أقرباؤه ، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض فى مرثيته بأنا شامتون ، والتعريض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانبا اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله « وإلا فزارت يجوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتنى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من شماتتهم ؛ ويجوز أن يكون من كلام الذين ينفون الشماتة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لنفى الشماتة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، ودبيب العقارب : كناية عن النميمة . يقول : أليس عجيباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمشى بينهم بالنميمة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه بيهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كفى فقتلُ محمد لىَ شاهدٌ أن العزيزَ مع القضاء ذليل



وقال يمدح المغيث بن علىّ بن بشر العجلى :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فى الرَّبْعِ مَاوَجَبَا ... لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنَّى وَلاَ كَرَبَا(١)

عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا ... مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِى ذَهَبَا(٢)

سَقَيْتُهُ عَبَرَاتٍ ظَنَّهَا مَطَراً ... سَوَائِلاً مِنْ جُفُونٍ ظَنَّهَا سُحُبَا(٣)

دَارُ الْمُلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِى ... لَيْلاً فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِى وَلاَ كَذَبَا(٤)

هذا وقال العكبرى — تعليقاً على قوله : أن ليس — ؛ أن هى المخففة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولاتدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلابد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت ههنا على ليس — وهى فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحى هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب . يقول : إنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه مما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكائى قضى مايجب وشفى مافى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع مايسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بالدِّيارِ التى لم يعفها القِدَمُ ... بَلى وغــيَّرها الأرواحُ والديم

(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : عطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحبة فضلا عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعا سوائل ظنها مطراً من جفون ظنها سحبا .

(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَاءَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَـأَى ... جَمَّشْـتُهُ فَنَبَا قَبَّلْتُهُ فَأَبَى (١)

هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّـةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا (٢)

مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فى تَشْبِيهِهِ غُصُنًا ... مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فى تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا (٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — فى اللم — بمعنى التى ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف . أوعدنى ليلا . أى هددنى بالهجر فما صدقت عينى لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ، ولا كذب الطيف فى تهديده لأنه هجرنى بعد ذلك ، إذ لم أنم بعدها .

(١) نا أيته باعدته : ويروى أنأيته : أى أبعدته ؛ ودنا : قرب ، وجمشته : غازلته وداعبته ، ونبا : تجافى وتباعد ؛ وأنبيته أنا : دفعته عن نفسى ؛ وفى المثل :

الصدق ينبى عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحرب دون التهديد ؛ ونبا السيف : إذا لم يعمل فى الضريبة ؛ ونبا بصرى عن الشىء ونبا به منزله : إذا لم يوافقه ؛ وأبى : امتنع ، يقول : كلما أردت من هذا الطيف شيئاً قابلنى بضده ، وهذا قريب من قوله :

* صدت وعلمت الصدود خيالها *

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه ؛ والطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن سكن بيتاً لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال : اتخذت بيتا من قلبى فنزلته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هى مظلومة القد — إذا شبه بالغصن ، لأنه أحسن منه — وهى مظلومة الريق — إذا شبه بالعسل لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض الغليظ — يذكر ويؤنث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى فى تأنيثه :

وما ضَرَبٌ بيضاء يأوى مليكُها ... إلى طُنُفٍ أعْيَـا بِرَاقٍ ونازل

بِأَطيَبَ مِنْ فيها إذا جئتَ طارقاً ... وأشهى إذا نامَتْ كلابُ الأسافِلِ (١)

---

(١) يأوى مليكها : أى يعسوبها ؛ ويعسوب النحل : أميره ؛ والطنف : حيد يندر



بَيْضَاء تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا[١]
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا[٢]
مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تِرْبَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا
مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا[٣]
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُغِيثِ يُرَى
لَيْثَ الشَّرَى وَهْوَ مِنْ عِجْلٍ إِذَا انْتَسَبَا[٤]

---

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنسها ولين حديثها تطمع العاشق فى نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطابه لعفتها وصيانتها ؛ ومثل هذا قول بعضهم :

يَحْسَبْنَ من لينِ الحديثِ دَوانياً وبِهِنَّ عنْ رفَثِ الرجالِ نِفارُ

(٢) يعي : يعجز ، والضمير فى قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف : النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس فى قربه من الطرف وبعده عن القبض عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عيينة :

وَقُلتُ لِأَصحَابِي هِيَ الشَّمسُ ضَوْؤُها قريبٌ ولـكِنْ فى تناوُلِها بُعْدُ

ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمسُ لما أن تغيبَ ليلها وَغارتْ فما تبدُو لعيْنٍ نجُومُها
تَرَاها عيُونُ النَّاظِرِين إذَا بدَتْ قريباً ولا يسطيعُها مَنْ يرُومها

وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هى الشمسُ مَسكنُها فى السَّماء فعزِّ الفؤادَ عَزاءً جَميلا
فلن تستطيعَ إليها الصُّعُودَ ولن تستطيعَ إليك النزُولا

(٣) و (٤) الترب : المساوى لغيره فى العمر ؛ ويقال اللدة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحى لأن مواشيهم لاتبيت معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لاينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءتْ بِأَشْجَعَ مَنْ يُسْمَى وَأَسْمَحَ مَنْ
أعطى وَأَبْلَغَ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا[(١)]

لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمَشَى
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا[(٢)]

إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَا[(٣)]

الذى قوى وترعرع واستغنى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ، والمغيث : اسم الممدوح ، وكالمغيث : أى أنا كالمغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة الممدوح . يقول : مرت بنا بين تربيها فقلت لها : أنت من الظباء وترباك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت ثم قالت : لاتعجب من ذلك فإنى كالمغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؛ وكذلك أنا : ترانى من الظباء وأنا عربية . وفى هذين البيتين من البديع مايسمونه حسن التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما .

(١) أى جاءت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة التى هى عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان فى زمن[(١)] لمشى ، أو فى جاهل لصحا من جهله وصار عالما . أو فى أخرس لقدر على النطق .

(٣) يقول فى الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجبت هيبته عيونهم عن النظر إليه لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُغضِي حياءً وَيُغضَى مِنْ مهَابَتِهِ   فما يُكلَّمُ إلا حِينَ يَبْتَسِمُ

---

(١) الزمن ذو الزمانة : أى العاهة ، وهو هنا فى معنى المقعد .



بَيَاضُ وَجْـــهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً
وَدُرُّ لَفْـظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَـــلَبَا[1]

وَسَيْفُ عَزْمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هِبَّتُهُ رَطْبَ الْغِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبَا[2]

وقوله أيضاً :

وإذا الرِّجَالُ رَأَوْا يزيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرقابِ نَوَاكِسَ الأبصارِ[1]

ويقول أبو نواس :

إن العُيُونَ حُجِبْنَ عنك لهيبةٍ فإذا بَدَوْتَ لهُن نُكِّسَ نَاظِرُ

ويقول فى الشطر الثانى : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورائها فلم تستطع حجبه ، وهذا كقول القائل :

أَصْبَحْتَ تأمُرُ بالحجابِ لخلوةٍ هيهاتَ لستَ على الحجابِ بقادرِ

وقال ابن جنى : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابه قريب لما فيه من التواضع فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبارة الخطيب : الذى أراده المتنبى أن حسنه وبهاءه لا يحجبه شىء ، والبيت الذى يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشلب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب تسميه الخضض ؛ أما المخشلب فهى كلة نبطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق كأنه خرز .

(٢) هبته: مضاؤه ؛ والغرار : الحد ؛ والتأمور : دم القلب . قال أوس بن حجر .

أُنبئْتُ أنَّ بنِي سُحَيمٍ أَوْلَجُوا أبياتَهُمْ تأمورَ نفسِ المنـــذِرِ

« أى مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبى : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب الحد من دم الأعداء .

---

(١) خضع: جمع خضوع أى خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى: نواكس أى مطأطئ رؤسهم منكسى أبصارهم إجلالا له وهيبة وللنحو بين فى نواكس كلام طريف فانظره



عُمْرُ العَدُوِّ إذا لاقاهُ فى رَهَجٍ ... أَقَلُّ مِنْ عُمْرِ ما يَحْوِى إذا وَهَبا[1]

تَوَقَّهُ فَمَتَى ما شِئْتَ تَبْــلُوَهُ ... فَــكُنْ مُعادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبا[2]

تَحْلُو مَذاقَتُهُ حَتَّى إذا غَضِبا ... حالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فى الماءِ ما شُرِبا[3]

---

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقى عدوه فى غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ فى العطاء .

وقال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهبه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال،وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لايبقيان.وقوله إذ وهبا :أى إذا أرادأن يهب.

(٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، فحذف أن وبقى عملها . قال العكبرى : تبلوه : انتصب بإضمار أن ، وهو على مذهبنا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :

* ونَهْنهتُ نفسى بَعْدَ ما كِدْتُ أَفْعَلَه *

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : المال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالا فى يده حتى ترى ما يحل بك من الإبادة والإفناء ، وفى معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظلم المال والأعداء من يده ... لا زال للمال والأعداء ظلاّما

وما أحلى قول أبى نواس :

ليت من كانَ عَدوِّى ... كان لإبراهِـــيمَ مالا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعنى أن فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه ، وفى الماء يروى فى البحر قال العكبرى : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد الملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفى البيت تصريع ، وهو مما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .



وَتَغبِطُ الْأَرْضُ مِنهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنهَا أَيَّهَا رَكِبَا[(١)]

---

(١) الغبطة والحسد : كلاهما بمعنى التمنى ، بيد أن الغبطه أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تتمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالغبطة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغتبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذرى :

وبينما المرء فى الأَحْيـاء مُغْتبِطٌ إذا هُوَ الرَّمْسُ تعفوه الأعاصـير

وغبطت الكبش أغبطه غبطا : إذا جسست إليته لتنظر أبه طرق أم لا؟[(١)] وغبط الشاة والناقة : جسهما لينظر سمنهما من هزالهما . قال رجل من بنى عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إذا تجليتَ غَـلاَّقًا[(٢)] لِتَعرِفهـا لاحَتْ مِنَ اللؤمِ فى أعناقِها الكُتُبُ

إنى وَأَتـيِى ابنَ غَلاَّقٍ لِيَقْـرِيَنى كغابِطِ الكلبِ يَبْغِى الطِّرْقَ فى الذنَبِ

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟قال :لا ، إلا كما يضر العضاة الخبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لايضر ضرر الحسد ، وأن مايلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاه من خبط ورقها الذى هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الخبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه فى الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبطورقها استخلف دون يبس الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذى يقع مفعولا به لتغبط ، وضمير منها الثانية : للخيل ، وأيها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض يغبط بعضها البعض الذى يحل فيه ، والخيل يحسد بعضها البعض الذى يركبه . قال ابن جنى : وجعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاعها فهى كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

---

(١) الطرق : ــ الشحم أو السمن .
(٢) غلاق : ــ كشداد رجل أبو حى .



وَلاَ يَرُدُّ بِفِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبا(١)

وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِى مُلْكِهِ افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبا(٢)

مالٌ كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكُلَّمَا قِيلَ هٰذَا مُجْتَدٍ نَعَبا(٣)

والخيل ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد ، والبيت مأخوذ من قول أبى تمام :

مَضَى طاهرَ الأثوابِ لم تَبْقَ بُقعة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد شجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .

(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، فحذف أن وأبقى عملها ، يقول : إذا التقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لا مصطحبين وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقى الممدوح الدينار مصاحبا له ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر فى هذا المعنى :

قالت طَريفةُ ما تُبقِى دراهمَنا وما بنا سَرَف فيها ولا خَــرُقُ

إنا إذا اجْتَمَعَتْ يَوْماً دراهمُنا ظَلَّتْ إلى طُرُق المعروف تَسْتبقُ

لا يألف الدرهمُ المضروبُ صُرَّتَنا لكن يمرُّ عليها وهْوَ مُنطلِقُ

حتى يصِيرَ إلى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ يكادُ مِنْ صَرِّهِ إيَّاهُ يَنْمزِقُ

(٣) المجتدى : السائل ، ونعيب الغراب : صياحه ، والبين : الفراق يقول : هذا المال كأن غراب البين يرقبه ، فكلما جاء مجتد صاح فيه فتفرق شمله ، وعبارة الواحدى إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق الممدوح ماله ، فكأن غراب البين نصب فى مال الممدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعيبه بيان ومثال لتفريقه المال عند مجىء السائل ، والأصل فى هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح فى ديار قوم تفرقوا ، أما ماقاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح كذلك هذا لا يفتر عن العطاء : فهو بعيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟ هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة فى غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فمنها غراب الفأس : أى حدها . قال الشماخ يصف رجلا قطع نبعة :

بَحْرٌ عَجَائِبُهُ لَمْ تُبْقِ فى سَمَرٍ وَلا عَجائِبِ بَحْرٍ بَعْدَهَا عَجَبا(١)

لا يُقْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَيْلُ مَنْزِلَةٍ يَشْكُو مُحَاوِلُهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعَبا(٢)

هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلٍ بِهِ فَغَدَا رَأْساً لَهُمْ وَغَدَا كُلٌّ لَهُمْ ذَنَبا(٣)

فأنحى عليها ذاتَ حدٍّ غُرَابها عَدُوٌّ لأوساطِ العِضاهِ مُشارِزُ

« أى أمال على النبعة فأسا ذات حد ، غرابها — أى حدها — مشارز : أى معاد أو سيء الخلق ، والمشارزة هى المشارسة » ومنها الغراب : قذال الرأس يقال شاب غرابه : أى شعر قذاله . والغرابان من الفرس والبعير حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، قال الراجز .

يا عَجَبا لِلعَجَبِ العُجاب خمسة غربان على غُراب

(١) السمر : المسامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون فى ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمرة مأخوذة من هـذا ، وسمر يسمر سمراً وسموراً لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامر أيضاً السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهرى : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهى جمع ، فمنها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على المـاء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قالوا: والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

* وَسَامِرٍ طَالَ فيه اللهوُ والسَمَرُ *

وابنا سمير الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب فى باب الفضل والشجاعة لاتحاكيها عجائب البحار ولا مايتحدث به السمار ، إذ هى بالقياس إليها كالشىء المألوف لغرابة مايبدو منه ويتحدث عنه ، وعبارة ابن جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسمار والبحار

(٢) محاولها : أى طالبها ، وأصله طلب الشىء بالحيلة . يقول : لايقنع الممدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائما يطمح إلى مايعجز عنه الطالبون .

(٣) اللواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة الممدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه — أى

التَّارِكينَ مِنَ ٱلأَشْياءِ أَهْوَنَهَا
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ ٱلأَشْيَاءِ مَا صَعُبَا[1]

مُبَرْقِعِي خَيْلِهِمْ بِالْبِيضِ مُتَّخِذِي
هَامِ الْكُمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَبَا[2]

جعلوه سيدهم وقائدهم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدهم وصاروا هم به سادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنابا لهم وتبعا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم ـ لبعد همتهم ـ يتركون ماهان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفى هذا يقول الطهوى :

ولا يَرْعَوْنَ أكناف الهُوَيْنَا إذا حلُّوا ولا روضَ الهُدُون[1]

(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والكماة : الأبطال المدججون فى السلاح والعذب : جمع عذبة وهى الريش المعلق فى طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطعن أو ضرب : إما لمنازلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبارة أبى الفضل العروضى : أن سيوفهم مكان البراقع لخيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام الكماة : معناه أنهم يأخذون رءوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التى تعلق بالرماح . وقال جرير فى هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءوسَ القَومِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
غَدَاةَ الوَغَى تيجانُ كِسْرَى وَقَيصَرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يكسُو السُّيُوفَ نفوسَ النَاكِثينَ بهِ وَيجعَلُ الهامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ

---

(١) الهدون : الدعة والسكون .



إنَّ المَنِيَّةَ لَوْ لاقَتْهُمُ وَقَفَتْ خَرْقَاءَ تَتَّهِمُ الإِقْدَامَ والهَرَبَا[١]
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالفِكْرُ يَتْبَعُهَا فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهُبَا[٢]
مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِى لِيَمْلَأَهَا فَآلَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا[٣]
مَكَارِمٌ لَكَ فُتَّ العَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرٍ فَائِتٍ طَلَبَا[٤]

---

(١) الخرقاء : الحمقاء ، مؤنث الأخرق. يقول: لو لاقتهم المنية يوم الوغى للبطت بالأرض خوفا وفزعا لايتجه لها رأى فى السلامة فهى تتهم الإقدام وتتهم الهرب خشية الإدراك : أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

وقال أبو تمام :
أَبدَلَتَ أَرْؤسهم يَوْمَ الكَرِيهَةِ مِنْ قنا الظهورِ قنا الخطِّىِّ مُدَّعِما
مِنْ كلِّ ذِى لِمَةٍ غطتْ ضفائرُها صَدْرَ القناة فقد كادت تُرَى عَلَما

مِنْ كل أَرْوَعَ ترتاعُ المنونُ له إذا تجردَ لانِكسٌ وَلا حَذِرُ
وقال أيضاً :
شُوسٌ إذا خفقتْ عُقابُ لِوائهم ظَلَّتْ قلوبُ الموتِ منها تخفقُ

(٢) الشهب : الكواكب . يقول: إن لهم مراتب عالية علت فى السماء فصارت أعلى من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نزفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؛ ونضب : جف . قال الواحدى : جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — منزوفا . يقول : لم تمتلىء هذه المحامد من شعرى : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعرى ، ولا شعرى فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : وبيان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعرى لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائحه لهم يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مديحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغراق محامدهم فى الشعر كالمئها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوباً .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع إدراك أمر فائت ؟

لَمَّا أَقَمْتَ بِإِنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفَتْ ... إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِى حَلَبَا (١)

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لا أَلْوِى عَلَى أَحَدٍ ... أَحُثُّ رَاحِلَتَىَّ الْفَقْرَ وَالأَدَبَا (٢)

أَذَاقَنِى زَمَنِى بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا ... لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا (٣)

وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِىَّ أَخاً وَالْمَشْرَفِىَّ أَبَا (٤)

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِماً ... حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِى قَتْلِهِ أَرَبَا (٥)

قُحٍّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ ... عَنْ سَرْجِهِ مَرَحاً بِالْعِزِّ أَوْ طَرَبَا (٦)

---

(١) و (٢) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صمدوا إلى الممدوح فآبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتنى ركبان العفاة — الذين قصدوا إليك وأنا فى حلب — فما عتمت أن سرت نحوك لا أعرج فى سيرى ولا أقف ، حتى وصلت إليك محمولا على راحلتين من فقرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجدواك وأدبى الذى تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ماعاش . أى مابقى وامتد . والانتحاب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيئاً لو ذاقه هو لبكى وانتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبراً لأنه الغاية فى الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسمهرى : الرمح ، والمشرفى : السيف ، كنى بهذه القرابات عن ملازمة هذه المذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبتى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمراً وعمارة وعمرا ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقى زمانا طويلا ومنه قولهم: أطال الله عمرك وعمرك وهما وإن كانا مصدرين بمعنى، إلا أنه استعمل فى القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المغبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقح : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقح : نعت لأشعث ، والمرح : النشاط . يقول : للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهالك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن جنى بدل صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا[1]

صهيل الجرد — جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر — وذلك مما يحمد فى الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل فى معنى البيت الأول قول أبى تمام :

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَيْنَهُم أَرْحَامُ

وقول البحترى :

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الحُتُوفُ كَأَنها وَفْرٌ بِأَرضِ عَدُوِّهم يُتَنَهَّبُ

(١) يقول : الموت أعذر لى من أن أعيش ذليلا ، فاذا قتلت فى طلب المعالى قام الموت بعذرى ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللئام ، والبر أوسع لى من بلد يضيق بى رزقه فأنا أسافر وأضطرب فى مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قال العكبرى : وهذه الأبيات التى أتى بها فى آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه يمدح رجلا ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقدجاء يستجدى منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطى

وقد غاب عن العكبرى — رحمه الله — خلائق المتنبى وأنه لا يمدح الناس إلا ليمدح نفسه وينوه بما تنطوى عليه من المطامع والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال .



وقال يمدح على بن منصور الحاجب *

بأبى الشُّمُوسُ ٱلْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا ٱللاَّبِسَاتُ مِنَ ٱلْحَرِيرِ جَلاَبِبَا (١)

ٱلْمُنْهِبَاتُ قُلُوبَنَــا وَعُقُولَنَا وَجَنَاتِهِنَّ ٱلنَّاهِبَاتِ ٱلنَّاهِبَا (٢)

ٱلنَّاعِمَاتُ ٱلْقَاتِلاَتُ ٱلْمُحْيِيَا تُ ٱلْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلاَلِ غَرَائِبَا (٣)

حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِى وَخِفْنَ مُرَاقِبًا فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا (٤)

---

* قيل: إنه لم يجزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .

(١) الباء للتفدية ؛ والشموس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير : الشموس مفديات بأبى ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى الشموس بأبى ؛ والجانحات : المـائلات ؛ والجلابب : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف به من الثياب ، وأصله جلابيب : قال تعالى « يدنين عليهن من جلا بيبهن » فحذف الياء ضرورة ؛ كنى بالشموس عن النساء ، وبغروبهن . عن بعدهن . وعبارة الواحدى : لما سماهن شموسا كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشموس عن العيون لا يكون إلا بالغروب، وقد بين فى آخر البيت أن الشموس : النساء الحسان ؛ إذ قال : اللابسات الخ. وقال ابن جنى : غبن عنك فى الخدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، ووجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ، وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها فاعل المنهبات : أى اللاتى أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيـكون قد اقتصر على مفعول واحد؛ ويقال أنهبته الشىء إذا جعلته نهباله . يقول : اللواتى جعلن قلوبنا وعقولنا نهبا لوجناتهن يسبينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أى الرجل الشجاع المغوار الذى ينهب الناس بعد أن أبلى البلاء الحسن فى الحرب ، وهذا من قول أبى تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الحُسنِ عَنْ حُرِّ أَوْجُهٍ تَظَلُّ لِلُبِّ الســالبيها سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أى اللينات المفاصل ، والقاتلات : أى بهجرهن ، والمحييات : بوصلهن ، والمبديات : أى المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرأة المرأة على الرجل فى تـكسر وتغنج .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لى نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جنى : أشرن



وَبسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشِيتُ أُذِيبَهُ ... مِنْ حَرِّ أَنفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا[1]
يَا حَبَّذَا الْمُتحمّلونَ وَحبَّذَا ... وَادٍ لَثَمْتُ بِهِ الْغَزَالَةَ كَاعِبَا[2]
كَيْفَ الرَّجَاءِ مِنَ الْخُطُوبِ تَخَلُّصاً ... مِنْ بَعْدِ مَا أَنشَبْنَ فِيَّ مَخَالِبَا[3]

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جنى هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن نفديك بأنفسنا وخفن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جنى لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائبهن تسكينا للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ماقاله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى يجانِبنى مُجَانبــةَ العِدا ... ويبيتُ وَهْوَ إلى الصباح نَديم
وَيمرُّ بى خَوفَ الوُشاةِ وَلفظه ... شتمٌ وَحَشْوُ لحاظــه تسليمُ

(١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها ، وقوله خشيت أذيبه : أى أن أذيبه . يقول : إنى كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى ، فلما رحلن ذبت أنا من شوق إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وضاحِكٍ عن بَرَدٍ مُشرِق ... أبا حَنيهِ دونَ جُلاّسى
فكلماَ قبلتهُ خِفْتُ أنْ ... يَذوبَ مِن نِيرانِ أنفاسى

وقول بعضهم :

وَمِن العجائِبِ أنْ يُذيبَ مَفاصلى ... مَن لو جرَى نَفَسى عليهِ لذَابا

(٢) المتحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : التى بدا ثديها للنهود . يقول : قبلت غزالة فى صورة كاعب من النساء .

(٣) الخطوب : الأمور الثقال ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيبويه :

أَوْحَدْنَنِي وَوَجَدْنَ حُزْنًا وَاحِدًا مُتَنَاهِيًا فَجَعَلْنَهُ لِي صَاحِبًا[١]
وَنَصَبْنَنِي غَرَضَ الرُّمَاةِ تُصِيبُنِي مِحَنٌ أَحَدُّ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبًا[٢]
أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا[٣]
وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ
مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا[٤]
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا[٥]

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أعداءه يَخَالُ الفِرَارَ يُرَاخِي الأَجَلْ[١]

وأنشبن : علقن ، والمخالب : جمع المخلب — بكسر الميم — وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت منى وتمكنت فى حكمها ؟

(١) أوحدنى : أى الخطوب — أى صيرنى واحدا . يقول : تركتنى الخطوب وحيداً بعد أن فرقت بينى وبين الأحبة ، وجعلت صاحبى بعدهم ما أجده من الحزن المتناهى الذى هو واحد الأحزان ، وهو حزن الفراق .

(٢) الغرض : الهدف يرمى بالسهام ؛ ومضاربا : تمييز جمع مضرب — بفتح الراء وكسرها — حد السيف . يقول : إن الخطوب نصبته هدفا للمحن .

(٣) أظمتنى من الظمأ : العطش : فأصلها أظمأتنى ، فأبدل الهمزة ألفا ثم حذفها . يقول : كان حظى من الدنيا الحرمان . فلما التمست عطاءها أفرغت على المصائب .

(٤) قوله من خوص الركاب : أى بدلا من خوص الركاب ، والخوص جمع الخوصاء ، وهى الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء ، والركاب : الإبل ، والدارش : ضرب من السختيان ، وهو جلد أسود : يقول أعطيت عوضا من الإبل خفا أسود ، فأنا راكب ماش .

(٥) حال : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه حال ، ويروى حالا — بالنصب — على

---

(١) يهجو رجلا يقول : هو ضعيف عن أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ولكنه يلجأ إلى الفرار ويخاله مؤخراً لأجله .



مَلِكٌ سِنــانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارَيَانِ دَماً وَعُرْفاً سَاكِبَا[1]
يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لِوَفْدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِى شَارِبَا[2]
كَرَماً فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمِ مَا صَنَعَتْ لَظَنَّكَ كَاذِبَا[3]

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هــذه لو علم بها ابن منصور تلافاها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كثرت خطايا الدهرِ فىَّ وقد يُرَى بِنداك وَهْوَ إلىَّ مِنها تائبُ

وقال أيضاً :

عَضبٌ إذا هَزه فى وَجْهِ نائبةٍ جاءت إليه صروفُ الدهْر تعتذرُ

(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تمييز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المعروف والمراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رمحه يقطر دماً من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحترى :

تلقاه يقطر سَيفه وسِنانُه وبنانُ رَاحتِهِ دماً ونجيعا

(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصغر الشىء العظيم لمن يقصده وينتجع إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكفى شاربا . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فرأيتَ أكثرَ ماحبوتَ مِن اللُّهَا نَزْراً وأصغرَ ما شكرتُ جَزِيلا

(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرما ، أومفعول له عامله. يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الأفعال عن طوق المقدرة . قال الواحدى — ناقدا — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وبضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام :

تَجاوز غاياتِ العقول رغائبُ تَكادُ بها لولا العِيانُ تُكذَّب

وقال البحترى :

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِماً ... وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِباً[1]

فالمَوْتُ تُعْرَفُ بالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ ... لَمْ تَلْقَ خَلْقاً ذَاقَ مَوْتاً آيِباً[2]

إنْ تَلْقَهُ لاَ تَلْقَ إلاَّ قَسْطَلاً ... أَوْ جَحْفَلاً أَوْطَاعِناً أَوْ ضَارِباً[3]

أَوْ هَارِباً أَوْ طَالِباً أَوْ رَاغِباً ... أَوْ رَاهِباً أَوْ هَالِكاً أَوْ نَادِباً[4]

وَحَدِيث مَجدٍ عَنكَ أفرَط حُسنه ... حَتى ظَننـــا أنه مَوضُوع

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولاتحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لاتحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثلا لذلك .

(٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالموت إن عرف بالمشاهدة أهلك ألبتة ، وكذلك شجاعة الممدوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآيبا : مفعول ثان .

(٣) القسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو القسطل ، والقسطال والقسطول والقسطلان والقصطل — بالصاد — كله . الغبار الساطع . وقال الجوهرى : القسطال لغة فيه كأنه ممدود منه مع قلة فعلال فى غير المضاعف ؛ وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلا :

وَلَنِعمَ رِفدُ القوم يَنتَظِرونَه ... ولنعم حَشوُ الدِرْع والسِرْبالِ

ولنعم مأوى المستضيف إذا دعا ... والخيل خارجة من القسطال

وقال آخر :

* كأنه قسطال رِيح ذِى رَهَجْ *

الجحفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبيين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفده ، أو راغبا فى إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرهم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال الممدوح : أى تلقاه هاربا من الدنايا ، وطالبا للعلى ، وراغبا فى المكارم ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :



وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا   فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلاً وَقَوَاضِبَا[1]
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا   تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِساً وَجَنَائِبَا[2]
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا   زِنْجاً تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالاً شَائِبَا[3]

وَمَهْمَهٍ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا[1]

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .

(١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنائب : جمع الجنيبة ، وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنائب : أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ماتقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتبسم ، والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقال ابن الأعرابى: القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهرى : القمحدوة ما أشرف على القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلى القذ ، ويقال : القذالان ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج ـ بفتح الزاى وكسرها ـ جيل من السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أوشيب القذال ، ولمحمود الوراق :

حتى تبدّى الصبح يتلو الدُّجَى   كالحَبَشِىِّ افترَّ للضحك

ولأبى نواس :

لما تَبَدَّى الصبح من حجابِهِ   كطلعةِ الأشمط من جلبابه

وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

---

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدلجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم كما يقال : ليل غاض أى مغض ، وقال الأصمعى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك المتعرجين إن لم يهذبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .



فَكَأَنَّمَا كُسِىَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى ... لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا[١]

قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرَّزَايَا عَسْكَراً ... وَتَكَتَّبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كَتَائِبَا[٢]

أُسُدٌ فَرَائِسُهَا الْأُسُودُ يَقُودُهَا ... أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأُسُودُ ثَعَالِبَا

فِى رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا ... وَعَلاً فَسَمَّوْهُ عَلِىَّ الْحَاجِبَا[٣]

وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذِّراً ... وَدَعَوْهُ مِنْ غَصْبِ النُّفُوسِ الْغَاصِبَا

هٰذَا الَّذِى أَفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِباً ... وَعِدَاهُ قَتْلاً وَالزَّمَانَ تَجَارِبَا[٤]

وَمُخَيِّبُ الْعُذَّالِ فِيمَا أَمَّلُوا ... مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبَا[٥]

---

(١) شبه بياض الحديد فى ظلمة العجاجة بكواكب فى ليل . يقول : كأن النهار ألبس تلك العجاجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب، أو أطلعت هى كواكب فى تلك الظلمة . فقوله : أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لمشاكلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغوانى :

فى عَسْكَرٍ شَرِقَ الأرضُ الفضاء بهِ ... كالليلِ أنجُمُهُ القُضبانُ والأَسَلُ

وقول بشار :

كأن مُثارَ النَّقْعِ فوق رءوسنا ... وأسيافَنا ليل تهاوَى كواكبه

(٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتائب ، والكتائب : جمع كتيبة ـ الفرقة من الجيش ـ وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالعدو ، وتكاثرت فيها رجال الممدوح حتى صارت كتائب .

(٣) هذا مثل قول ابن الرومى :

كأن أباهُ حينَ سَمّاهُ صاعِداً ... دَرَى كيفَ يَرْقَى فى المَعالى ويَصْعَدُ

وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام فى الحاجب : ومثله كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد الله » بغير تنوين ، حذفه لا لتقاء الساكنين .

(٤) النضار : الذهب ، ومواهبا وما بعده : تمييز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجاريب ما يعرف به ما يأتى فيما يستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لانه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .

(٥) ومخيب : عطف على « هذا الذى أفنى » فى البيت قبله، وذكر الكف ـ وإن كان

هٰذا الَّذِى أَبْصَرْتُ مِنْهُ حاضِراً مِثْلُ الَّذِى أَبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبا(١)

كالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ يُهْدِى إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِبا(٢)

كالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَواهِراً جُوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحائِبا

كالشَّمْسِ فى كَبِدِ السَّماءِ وَضَوْؤُها يَغْشَى الْبِلادَ مَشارِقاً وَمَغارِبا

الأفصح تأنيثها – على معنى العضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للمراد خائبا صاحبها . وبعد : فان أكثر ما استعمل العرب الكف مؤنثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

له كفّان كفٌّ كفُّ ضُرٍّ وَكفٌّ فواضِلٍ خَضِلٌ نَداها

وقال الأعشى :

يداكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وأخرى إذا ما ضُنَّ بالمال تُنْفِقُ

وقالت الخنساء :

فما بَلَغَتْ كفُّ امرىء متناوِلٍ بها المجدَ إلا حَيْثُ ما نِلْتَ أطْوَلُ

وَما بَلَغَ المُهْدُون نحوك مِدحةً وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضلُ

أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلا منهم أسيفاً كأنما يَضُمُّ إلى كَشْحَيْهِ كفّاً مُخَضَّبا

فانه أراد العضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كشحيه .

(١) أبصرت – بتاء المتكلم – يعنى المتنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضراً وغائبا على الروايتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ،والجملة خبر هذا ، والعائد على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الهاء فى منه . والنصب بجعل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل بأبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حيثما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شهدتُ جَسِيمات العُلا وَهوَ غائبٌ ولو كان أيضاً حاضِراً كان غائبا

(٢) الثاقب : المضىء . يقول : حيثما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس — قريبهم

أَمُهَجِّنَ الكُرَمَاءِ وَالمُزْرِى بِهِمْ   وَتَرُوكَ كُلِّ كَرِيمِ قَوْمٍ عَاتِبا[١]

وبعيدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان فى معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبى تمـام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِى المَحَلِّ كَأَنَّهُ   هِلالٌ قَرِيبُ النورِ نَائِى مَنازِلِهِ

وللبحترى :

كالبَدْرِ أَفْرَطَ فى العُلُوِّ وَضَوْؤُهُ   لِلعُصْبَةِ السَّارِينَ جِـدُّ قَرِيبِ

وله أيضا :

عَطاء كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ   يَكُونُ سَوَاء فى سَناهُ وَمَشْرِقُ

وقال العباس بن الأحنف :

نعمةٌ كالشَّمْسِ لما طلعَتْ   ثبتَ الإشراقُ فى كلِّ بَلَد

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجنه : قبحه ، قال صاحب اللسان : الهجنة من الكلام مايعيبك ، والهجين : العربى ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذه المناسبة تقول : إن الهجنة فى الناس والخيل إنمـا تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

العبدُ والهجِينُ وَالفَلَنْقَسُ   ثلاثةٌ فأيَّهـم تلَمَّسُ

والأقراف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زنباع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وهل هندُ إلا مُهْرَة عربيــة   سَليلةُ أفْرَاسٍ تَجـلَّلها بَغْـلُ

فإنْ نُتِجَتْ مُهْراً كَريماً فبالحَرَى   وإنْ يَكُ إقْرافٌ فَمِنْ قِبَلِ الفَحلِ

وأزرى به : عابه ، قال فى اللسان : الإزراء : التهاون بالشىء ، يقال أزريت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهونته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية، ومزراة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يا أيُّها الزَّارِى على عُمَـرٍ   قد قلتَ فيه غَيْرَ ما تعْـلَمْ

وقال الآخر :

وَإِنِّى عَلَى لَيلَى لَزارٍ وَإِنَّنى   على ذاكَ فيما بيننا مُسْتَدِيمُها

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدْتَ مَنَاقِبًا   وُجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبَا(١)
لَبَّيْكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّاتِبَا   إِنَّا لَنَخْبُرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبَا(٢)
تَدْبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ   وَهُجُومُ غِرٍّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا(٣)

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وتروك مبالغه فى تارك ، وهو مضاف لكل — الذى هو مفعوله الأول — وعاتبا مفعول ثان ، ويروى عائبا . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا مافعلت ، أو تركتهم عائبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشييد البناء : إحكامه ورفعه ، والبناء المشيد بالتشديد المطول ، أما المشيد فهو : المبنى بالشيد ، والشيد كل ماطلى به الحائط من جص أو بلاط. قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، ومنهم من يجعل المشيد والمشيد بمعنى ، ومما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالشىء : عرفته . والمناقب : المفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرِنُوا بِهَا   مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(٢) لبيك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيظ الحاسدين : منادى ، والراتب : الثابت المقيم ، ونخبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدى : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه بنداء مناد . أى كأن الممدوح يناديه بلسان كرمه للتنويه به . وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ فى غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرع البيت لا نتقاله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدبير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدبير . وروى تدبير وهجوم : منصوبين، على أن تدبير بدل من عجائب — فى البيت السابق — وهجوم : عطف عليه . وحنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الغر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدبير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعطَاء مَالٍ لَوْ عَــدَاهُ طَالِبٌ   أَنفَقتَهُ فى أَنْ تُلاَقِىَ طَالِبا[١]
خُذْ مِنْ ثنَاىَ عَلَيْك مَا أَسْطِيعُهُ   لاَ تُلْزِمَنِّى فى الثَّنَاء الْوَاجبَا[٢]
فَلَقَدْ دَهِشْتُ لِمَا فعَلْتَ وَدُونَهُ   مَا يُدْهِشُ الْمَلَكَ الْحَفِيظَ الْكاتِبَا[٣]

هجمت فى الوغى هجمت هجوم الغر : أى أنك تفعل كلا فى موضعه ، فتدبر الملك تدبير مجرب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم فى الحرب إقدام الغر ؛ وهذا من قول أبى تمام :

وَمُجَرَّبونَ سقَاهُمُ مِنْ بأسه   فإذا لُقُوا فكأنهم أغمارُ

وقوله :

كَهلُ الأناةِ فتَى الشَّدَّاتِ إذا غدا   للحربِ كان الماجــدَ الغِطْرِيفا

وقال البحترى :

ملكٌ له فى كلِّ يوم كريهةٍ   إقْدَامُ غِرٍّ واعتزَامُ مجربِ

(١) وعطاء : عطف على تدبير ؛ وعداه : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب أنفقت مالك فى البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التنزيل الحكيم . يقول : إنى إنما أثنى عليك بقدر ماأستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتى ، فاعذرنى فى ذلك ، ثم بين عذره فى البيت التالى . وقد قصر أبو الطيب الثناء فى قوله ثناى ـ وهو ممدود ـ ضرورة . قال العكبرى : حكى ابن سعد عن أبى الطيب ـ وهو على بن سعد ، وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفى بعد المائتين ، وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلثمائة ـ قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً فى شعرى إلا هذا الموضع ـ خذ من ثناى ـ وذلك أنه رأى بخط أبى الفتح ـ ابن جنى ـ :

* وقد فارقت دارك واصطفاك *

بكسر الطاء ـ هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ماتصف به الإنسان من مدح أو ذم أى أنه يستعمل فى الخير والشر ، وأنشدوا :

أثنى عَلَىَّ بما علمتِ فإننى   أُثنِى عليكِ بمثل ريح الجورب

وخص بعضهم به المدح .

(٣) دهش : تحير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشا ، فهو دهش

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب والفاكهة والنرجس حوله :

إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابُ هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابُ (١)

إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابُ (٢)

مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلاَّ حَمِدَتْهُ جُهْدَهَا الأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ (٣)

ودهش فهو مدهوش ، وكرهها بعضهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش الرجل — بالكسر — دهشاً : تحير ويقال : دهش وشده ، واللغة العالية : دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسناته وسيآته . يقول : لقد تحيرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحصيا وأتى بها ، وأقل من ذلك ما يحير الملك الموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرته يعجز عن كتابته .

(١) يقول : هو نفاع ضرار ، مثله فى ذلك مثل السحاب الذى ينهل بالمطر وتنقض منه الصواعق ، ففيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدى : هذه الأبيات مضطربة الوزن ، وهى من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو فى الأصل فى الدائرة ، ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :

مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عَفَّى بَعْدَكِ الْـ ـقَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ (١)

غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فتبعت عروضه ضربه .

(٢) جعله هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صارو إياها كالشىء الواحد ، على حد قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِىَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

« تصف الخنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا لكثرتهما منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو المشقة ، وقيل هما لغتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حمدته . يقول : إنه لا يجيل طرفه إلا على إحسان وإساءة ، فله فى كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدى جهدها لأنه

---

(١) السحق : الثوب الخلق الذى انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الانتفاع به



مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلٰكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ(١)

فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لَا يُتَرَجَّى وَلَهُ جُودُ مُرَجًّى لَا يُهَابُ(٢)

طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَحْدَاقِ شَزْراً

وَعَجَاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ(٣)

بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ(٤)

بِأَبِي رِيحُكَ لَا نَرْجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هٰذَا الشَّرَابُ(٥)

علوها بالعطاء ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء ـ أى الفرس الكريم .
قال : يقول المتنبى : إنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فحمدته جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فذمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعاديه ليستريح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهمه بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتعود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :

قَدْ عَوَّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كل مُرْتَحَلِ

(٢) يقول: إنه مهيب كل الهيبة ، وجواد غاية فى الجود ، فإنه يهاب هيبة من لا يرجى العفو عنده ، ويجود جود سمح كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهابته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ما تستر به المرأة وجهها . يصفه بالحذق فى الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

* يضع السنان بحيث شاء محاولا *

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن وقع فيه .

(٥) بأبى : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح النرجس « الذى بين يديه » وحديثه ألذ من الشراب ، وليس هذا مما يمدح به الرجال : أى وإنما يخاطب بمثله المحبوب .



لَيسَ بالمُنكَرِ إنْ بَرَّزْتَ سَبْقاً ... غَيرُ مَدْفوعٍ عَنِ السَّبْقِ العِرَابُ[(١)]

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى ... عَجائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحابِ

تَشَكَّى الأرْضُ غَيْبَتَهُ إلَيْهِ ... وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضابِ ؟[(٢)]

وَأوهِمُ أنَّ فى الشِّطْرَنْجِ هَمِّى ... وَفِيكَ تَأَمُّلِى وَلَكَ انْتِصَابِى[(٣)]

---

(١) برز : بذ وسبق ، وسبقا : مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعراب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستنكر أن تسبق الناس وتبذهم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لاتدفع عن السبق . هـذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العراب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولـكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العراب جنس غير مدفوع . قال ابن جنى : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لاتدفع عن السبق العراب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يتزن البيت بأن يقول :

* قط لا يدفع عن سَبقٍ عراب *

أقول : وأين قط لايدفع عن سبق عراب من غـير مدفوع عن السبق العراب ؟ ولـكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تتشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير فى غيبته وفى إليه : للسحاب ؛ والرشف : المص ، وأصله أن تستقصى مافى الإناء حتى لاتدع فيه شيئا ، والرضاب : الريق . يريد بيان ماذكره فى البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف ماءه كما يرشف العاشق ريق المعشوق .

(٣) يقول : إنى إنما أتأمل فى محاسنك لافى الشطرنج ، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسى معرب من شدرنج ، ومعناه — كما قال العكبرى — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جردحل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جنى : إن هـذه الأبيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندى أجود منها ، وقال غيره هى مقروءة عليه بمصر وبغداد .



سَأَمْضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَداً إِيَابِي[١]

وقال فى لعبة أحضرت مجلس بدر على صورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَاذَا المَعَالِي وَمَعْدِنَ الْأَدَبِ سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ[٢]
أَهَــذِهِ قَابَلَتْكَ رَاقِصَةً أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنَ التَّعَبِ ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرَم التميمى ، وكان يحب الرمى بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأنفذه إلى أبى الطيب يناشده ، فتلقاه وأجلسه فى مجلسه ، ثم كتب إلى علىّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا فَأَعْــذَرُهُمْ أَشَفُّهُمُ حَبِيبَا[٣]
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا ؟[٤]

---

(١) يقول: إننى سأمضى وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أى بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبرى : هــذه أبيات رديئة عملها ارتجالا فى معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأحقهم بأن يعذر فى العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتمهيد للبيت التالى . هــذا وقد ذهب بعض الشراح إلى أن ضروبا : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين فى عشقهم . ولــكن الأجود أن يكون منصوبا بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أى ضروب الناس يعشقون ضروبا .

(٤) السكن : ماتسكن نفسك إليه وتهواه . يقول : فالذى أحبه أنا وتسكن إليه نفسى هو قتل أعدائى ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أى هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفى قلبى كما يشفى قلب المحب زورته الحبيب ؟



تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فى حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَا(١)
وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمُ عَلَيْهِمْ حِدَاداً لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبَا(٢)
أَدِمْنَا طَعْنَهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فى عِظَامِهِمِ الْكُعُوبَا(٣)
كَأَنَّ خُيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسَقَّى فى قُحُوفِهِمِ الْحَلِيبَا(٤)
فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيبَا(٥)
يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتًى تَرْمِى الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا(٦)

---

(١) ترد : أى تردد : والصراصر : جمع صرصرة ، وهو صوت النسر والبازى ونحوهما ، والنعيب : صوت الغراب . يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتلى فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينعب الغراب ؟ جعل صياح الطيور المجتمعة على القتلى كأنه حديث يتحدثن به .

(٢) وقد لبست : أى الطير ؛ وعليهم : متعلق بحدادا ؛ والحداد : الثياب السود تلبس عند المصيبة ؛ والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق القميص ؛ وعند العامة : كيس يخاط فى جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج . يقول : إن هذه الطير تغوص فى دماء القتلى فتتلطخ بها وتجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتلى . بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تفعل ربات الحداد . هذا وقد روى دماؤهم — بالرفع — فيكون المعنى أن الدماء اسودت على القتلى ، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحمرة .

(٣) الكعوب : جمع كعب ، وهو مابين الأنبوبتين من القناة . يقول : لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت فى أبدانهم بعظامهم .

(٤) و (٥) القحوف : جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذى فوق الدماغ ؛ والجمجمة : العظم الذى فيه الدماغ ؛ والتريب : عظم الصدر ، والجمع : الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت فى صغرها تسقى اللبن فى أقحاف رءوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتنفر منهم ... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها .

(٦) الشوى من الخيل : قوائمها . يقال : فرس عبل الشوى ، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان ؛ وقيل اليدان والرجلان والرأس ، وكل ماليس مقتلا ؛ ومن هذا



شَـــدِيدُ الْخُنْزُوَانَةِ لَا يُبَالِى أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أُصِيبَا[١]
أَعَزْمِى طَالَ هَــذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَئُوبَا ؟[٢]
كَأَنَّ الْفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزَارٌ يُرَاعِى مِنْ دُجُنَّتِهِ رَقِيبَا[٣]

قولهم : رماه فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلى :

فإنّ من القَوْل التى لا شَوَى لها إذا زَلّ عن ظَهْر اللسانِ انْفلاتُها

« أى إن من القول كلمة لاتشوى ولـكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى « كلا إنها لظى * نزاعة للشوى » — : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شـوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء للمعلوم ، والضمير للخيل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلما فرغ من حرب : خاض حربا أخرى .

(١) الخنزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمخ لها بأنفه ، واستعيرت للـكبر . وتنمر . صار كالنمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أأصاب — بهمزة التسوية — يقول : إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لايبالى أقتلهم أم قتلوه .

(٢) الهمزة فى أعزمى : للنداء ، ويفرق : يخاف ، ويئوب : يرجع ، يقول . — مخاطبا عزمه — انظر ياعزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب فى جمـلة أعدائى ؟ وعبارة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قمت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويخشى أن يصيبه بمكروه ، فهو يتأخر ولايئوب.

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من الغيم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيـه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : لليل . شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فـكأنه حبيب يخاف رقيبا .



كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلْيٌ عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجَبُوبَا(١)
كَأَنَّ الْجَوَّ قَاسَى مَا أُقَاسِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبَا(٢)
كَأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي فَلَيْسَ تَغِيبُ إِلاَّ أَنْ يَغِيبَا(٣)
أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي
أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا(٤)

---

(١) الجبوب : وجه الأرض ومتنها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ماتزين به من الذهب والفضة وغيرهما ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدى ؛ وحذيت قوائمه الجبوب : أى جعل الجبوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضمير من سواده لليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفعت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سهاده يطول والليل يطول معه ، فكأن سهاده يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسهاده لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إنى أقلب أجفانى فى ذلك الليل ، ولكثرة تقليبى إياها كأنى أعد على الدهر ذنوبه ، فكما أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تفنى . كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفنى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرعى نجومه كأنى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أُحْصِي فِيكَ النجومَ وَلَكِنْ لِذُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحِصِ



وَمَا لَيْـــلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ   يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِي مَشُوبَا[١]
وَمَا مَوْتٌ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ   أَرَى لَهُمُ مَعِي فِيهَا نَصِيبَا[٢]
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى   لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبَا[٣]
وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ امْتَطَيْنَا   إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا[٤]
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا   وَلَا يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبَا[٥]
وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الْأَرْضِ فِينَا   فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَـــدِيبَا[٦]
إِلَى ذِي شِيمَةٍ شَغَفَتْ فُؤَادِي   فَلَوْلَاهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبَا[٧]

---

(١) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى . يقول : ليس ليلى وإن طال بأطول من نهار يشوبه — أى يخالطه — أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى .

(٢) يقول : إذا كان لحسادى نصيب معى فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أى أنه لا تحلو له الحياة حتى يقتل حساده .

(٣) الحدثان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال: انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الخبير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ماأصابنى من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .

(٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وفقدناها لقلة ذات اليد أدتنى المحن والشدائد إلى الممدوح ، فكأنها كانت مطايا ركبناها إليه .

(٥) و (٦) رتعت الإبل : رعت فى بحبوحة وخصب ؛ والجدب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا يبغى أحد ركوبها ، وهى لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتنال منا . فما فارقتها عند وصولى إليك إلا جديبا لأنها رعتنى وأتت على فلم تترك منى شيئا .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شعفتنى حبا وشغفتنى ؛ والمعنى تيمتنى وبلغت منى ، وشغفتنى : من شغاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء فى الشعر . يقول : إن أخلاق الممدوح شغفتنى بحسنها . فلو لا مهابته واحتشامه لتغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .



تُنَازِعُنِى هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ ... وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَأَ الرَّبِيبَا[١]

عَجِيبٌ فى الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ ... أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا[٢]

وَشَيْخٌ فِى الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخاً ... يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيبَا[٣]

قَسَا فَالْأُسْدُ تَفْزَعُ مِنْ قُوَاهُ ... وَرَقَّ فَنَحْنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا[٤]

أَشَدُّ مِنَ الرِّيَاحِ الْهُوجِ بَطْشاً ... وَأَسْرَعُ فى النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا[٥]

وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا ... فَقُلْتُ رَأَيْتُمُ الْغَرَضَ الْقَرِيبَا[٦]

---

(١) الضمير فى هواها : للشيمة ؛ والرشأ : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والربيب المربى . يقول : إن كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقها أنا . فهى محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشأ شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التى تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى الممدوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب فى الزمان ، وليس ما يأتى من آل سيار عجيبا ، لأنهم الغاية فى المجد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أى ليس كل من بلغ المشيب يسمى شيخا ؛ فشيخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هو مع أنه شاب — فى حنكة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ المشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه فى الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك فى مجلسه قد رق طبعا وكرما حتى لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلولت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء : وهى الشديدة العصف فى حمق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبطشا وهبوبا : نصبا على التميز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها فى العطاء .

(٦) الغرض : الهدف يرمى بالسهام . يقول : إن الناس يقولون: إنه أرمى من رأيناه

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا ... وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الغُيُوبَا[1]

إذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبَنَّا ... بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نُدُوبَا[2]

يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ ... فَلَوْلاَ الكَسْرُ لاَتَّصَلَتْ قَضِيبَا[3]

بِكُلِّ مُقَوَّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْراً ... لَهُ حَتَّى ظَنَنَّاهُ لَبِيبَا[4]

يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ القَوْسِ مِنْهُ ... وَبَيْنَ رَمِيِّهِ الهَدَفَ اللَّهِيبَا[5]

يرمى السهام ، فقلت: إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول : إنه صائب الفكرة فهو يرمى المغيبات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره ، فكيف لا يصيب المحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التى توضع فيها السهام ؛ ونكبت : قلبت على رأسها لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب فى الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا مطلق الأثر ؛ والأفواق ؛ جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً فى نصوله لسرعة رميه ورميه إياها على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضا من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها فوق السابق ، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية كالقضيب . وكان الوجه أن يقول : بأفوقها لأنصلها ندوبا بدليل البيت الثانى ، ولأن النصال إذ ذاك لا تتقابل ، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل : السهام ، لا الحديد بخصوصه.

(٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أى يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول : إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فعيل بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه ناراً بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم فى سرعة مروره يشبه حفيف النار فى التهابها ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف سرعة مشى الحمار والأتان :



أَلَسْتَ ابْنَ الأُولَى سَعِدُوا وَسَادُوا ... وَلَمْ يَلِدُوا امْرَأً إِلاَّ نَجِيبا[1]

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا ... وَصَادَ الْوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبا[2]

وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ ... كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِى التُّرْبِ طِيبا[3]

أَيَا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ ... وَعَادَ زَمَانُهُ الْبَالِى قَشِيبا[4]

كأنما يستضرمان العرفجا[1]

(١) الأولى بمعنى الذين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدركوا بحزمهم ماطلبوا فى رفق وأناة وتؤدة فأدركوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلا لرفقهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها فى الحقيقة ولكنه شىء أفادته من دفن آبائه فى التراب ، وهذا من قول أبى تمام :

أرادُوا لِيُخْفُوا قبرَهُ عَنْ عَدوِّهِ ... فطِيبُ تُرَابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ

(٤) الضمير فى زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آبائه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد فى المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سألت الندى والمجد حَيَّانِ أنتما ... وهل عشتما من بعد آل محمد

فقالا نعم متنا جميعاً وضمنا ... ضريح وأحيانا دبيس بن مزْيَدِ

---

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبالغ بحمرته فيقال : كأن لحيته ضرام عرفجة .

تَيَمَّمَنى وَكِيلُكَ مَادِحاً لِى ... وَأَنْشَدَنِى مِنَ الشِّعْرِ الْغَرِيبا(١)

فَآجَرَكَ الْإِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ ... بَعَثْتَ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَبِيبا(٢)

وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا ... وَلٰكِنْ زِدْتَنِى فِيهَا أَدِيبا

فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ ... وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبا(٣)

لِأُصْبِحَ آمِناً فِيكَ الرَّزَايَا ... كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبا(٤)

---

(١) تيممنى قصدنى ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل رحمه الله قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الشامى الملقب بالمشوق قال : كنت عند المتنبي فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فؤادى قد انصدع ... وضرسى قد انقلع

ولبالى عقلى ... قد انهوى وما رجع

يا حب ظبى غنج ... كالبدر لما أن طلع

رأيته فى بيته ... من كوة قد اطلع

فقلت ته ته ته وته ... فقال لى مر يالكع

هات قطع ثم قطع ... ثم قطع ثم قطع

وضع بكفى وفى ... جيبى أدعك أن تضع

فهذا الذى عناه المتنبي بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريبا .

(٢) آجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالمسيح ؛ وهذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوى المسيح الذى يحى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، وإذاً فلا حاجة به إلى طبيب ؛ ولاسيما إذا كان الطبيب عليلا .

(٣) جعله شمسا لشرفه وعموم منفعته ، يدعو له بأن لاتزال دياره مشرقات بنوره وبأن لايشرف على الغروب : أى لايموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإنها لاتعريك ، ولكن الذى أخشاه أن نرزأ فيك ، فأنا أدعو الله أن يقيك الرزايا لأصبح آمنا فيك المحذورين معا .



وقال يصف مجلسين لأبى محمد الحسن بن عبد الله بن طُغْج ، قد انزوى أحدهما عن الآخر ليُرَى من كل واحد منهما ما لا يُرى من صاحبه :

لِلْمَجْلِسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا ... مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الْأَدَبَا[1]
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالَ ذَا رَهَبًا ... وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالَ ذَا رَهَبَا[2]
فَلِمْ يَهَابُكَ مَا لَا حِسَّ يَرْدَعُهُ ... إِنِّى لَأُبْصِرُ مِنْ شَأْنِيهِمَا عَجَبَا[3]

وقال وقد استقل فى القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِى السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا ... فَقُلْتُ إِلَيْكَ إِنَّ مَعِى السَّحَابَا[4]
فَشِمْ فى الْقُبَّةِ الْمَلِكَ الْمُرَجَّى ... فَأَمْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ انْسِكَابَا[5]

وأشار إليه طاهر العلوى بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

أَلطِّيبُ مِمَّا غَنِيتُ عَنْهُ ... كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طِيبَا
يَبْنِى بِهِ رَبُّنَا الْمَعَالِى ... كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَا[6]

---

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما فى وضعه عن الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا فإنك إذا صعدت إلى أحدهما لجلست عليه مال الآخر عنه هيبة لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلنا : رجعنا ، وإليك بمعنى اكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله فشم — البيت — يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة فى جود الأمير حتى صار السحاب مفتقراً إلى سقياه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب فى بكم لطاهر العلوى ، وهو من نسل الزهراء كريمة سيدنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بكم يغفر الذنوبا .



وقال وقد استحسن عين باز فى مجلسه :

أَيَا مَا أُحَيْسِنَهَا مُقْلَةً ... وَلَوْلاَ المَلاَحَةُ لَمْ أَعْجَبِ [١]

خَلُوقِيَّةٌ فى خَلُوقِيِّهَا ... سُوَيْدَاءُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ [٢]

إِذَا نَظَرَ البَازُ فى عِطْفِهِ ... كَسَتْهُ شُعَاعاً عَلَى المَنْكِبِ [٣]

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى [*] :

أَعِيدُوا صَبَاحِى فَهْوَ عِنْدَ الكَوَاعِبِ

وَرُدُّوا رُقَادِى فَهْوَ لَحْظُ الحَبَائِبِ [٤]

---

(١) التصغير فى ما أحيسنها : مبالغة فى الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أى لم أقل ما أحيسنها : أى لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلوق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفى خلوقيها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه المقلة صفراء مثل لون الخلوق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .

* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طغج لم يزل يسأل المتنبى أن يخص أبا القاسم طاهراً العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتهى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الامير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها فى فاجعلها فيه . وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفى : فسرت أنا والمطلبى برسالة طاهر إلى أبى الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريره والتقاه مسلما عليه ؛ ثم أخذه بيده فأجلسه فى المرتبة التى كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلا . ثم أنشده أبو الطيب فخلع عليه — للوقت — خلعا نفيسة . قال على بن القاسم الكاتب : كنت حاضرا هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعرا جلس الممدوح بين يديه مستمعا لمدحه غير أبى الطيب ؛ فإنى رأيت هذا الشريف قد أجلسه فى مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى التى بدا ثدياها للنهود ، والحبائب : جمع حبيبة ولحظ الحبائب أى رؤيتهن . تقول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظعن الأحبة فليس هناك



فَإِنَّ نَهَارِى لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فى غَيَاهِبِ (١)
بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِىَ كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ (٢)
وَأَحْسَبُ أَنِّى لَوْ هَوِيتُ فِرَاقَكُمْ
لَفَارَقْتُهُ وَالدَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ (٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفى عنى الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حتى يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدلهمة: شديدة السواد ، والغياهب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره فى البيت السابق . يقول : لما رحلتم لم أبصر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأضى نهارى ليلا حالك السواد . وعبارة الواحدى : يريد أن جفونه مختومة بعدهن لم تفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غاب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن ، لأن الدنيا تظلم فى عين المحزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومى وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . والعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر النابت على أشفار العين ولكن المراد بأعالى كل هدب : مانبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هدب على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأنا إذا حملنا الحاجب على المعهود كان مغمضا لأن هدب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا جعلنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن جعلنا الحاجب المعهود حملنا قوله كل هدب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِىَ مَرْفُوعٌ لِنجم كأنما قفاه إلى صُلبى بِخَيطٍ مُخَيَّطُ

يقول : إن عينيه لا تنطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكأن أعالى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جفَتْ عَينى عَنِ التغميض حتى كأنّ جُفُونَهَا عَنها قِصَارُ

(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لواصلتمونى : يعنى أن



فَيَالَيْتَ ما بَيْنى وَبَيْنَ أَحِبَّتِى　　مِنَ البُعْدِ ما بَيْنِى وَبَيْنَ المَصائِبِ [١]
أَرَاكِ ظَنَنْتِ السِّلْكَ جِسْمِى فَعُقْتِهِ　　عَلَيْكِ بِدُرٍّ عَنْ لِقَاءِ التَّرائِبِ [٢]
وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فى شَقِّ رَأْسِهِ　　مِنَ السُّقْمِ ما غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كاتِبِ [٣]

من أهواه يبعد عنى ، ومن أجتويه يقرب منى لسوء صحبة الدهر إياى ، فقوله لفارقته : أى لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر — وفى هذا يقول بعضهم :

أَرَى ما أَشْتَهِيهِ يَفِرُّ مِنِّى　　وما لا أَشْتَهِيهِ إِلَىَّ يَأْتِى
وَمَنْ أَهْواه يُبْغِضُنِى عِناداً　　وَمَنْ أَشْناهُ يَشْبَثُ فى لَهاتِى
كَأَنَّ الدَّهرَ يَطلُبُنِى بِثَأْرٍ　　فليس يَسُرُّهُ إِلا وَفَاتِى

وقال العكبرى : قوله لفارقته : كان الوجه أن يقول لفارقنى ، لكنه قلبه لأن من فارقك فقد فارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبث الأصحاب لأنه أراد خبث من يصحبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل فى مثل هذا يجوز فيه الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافر به » أى أول من يكفر :
وأنشد الفراء :

وإذا هُمُ طَعِمُوا فألأمُ طَاعِمٍ　　وإذا هم جاعوا فشَرُّ جياع

فأتى الأمرين جميعا :

(١) يقول : ليت أحبتى واصلونى مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت عنى بعدهم . يعنى أن المصائب ملازمة له فهو يتمنى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما قال أيضا :

ليتَ الحبيبَ الهاجرى هَجْرَ الكرى　　من غير جرم واصلى صلة الضنا

(٢) أراك أظنك ، والسلك الخيط الذى ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر يريد بدر عليك فقدم الجار والمجرور ، والترائب موضع القلادة من الصدر يقول : أظنك حسبت السلك الذى فى قلادتك جسمى لمشابهته إياه فى الدقة فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه لئلا يلامس صدرك ، أى أن ولوعك بمشاقتى حملك على منافرة كل ما يشاكلنى ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معانى المتنبى البديعة .

(٣) يقول : لشدة سقمى نحلت حتى لم يبق لى جثمان يحس به فلو ألقيت فى شق

تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرَتْ بِهِ ... وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ (١)

وَلاَ بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ ... يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ (٢)

يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً ... وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ (٣)

كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا ... يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ (٤)

قلم ، لم يتغير بى خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد افتنوا فى هذا المعنى كل الافتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذبْتُ مِنَ الوَجْدِ فلو زُجَّ بى ... فى مُقلة الوَسْنانِ لم ينتبهِ

وقول الآخر :

فاسْتبقِ ما أبقيْتَ لى فلعلَّنى ... يَوْماً أقِيكَ بِهِ مِنَ الأعْداء

مِنْ مُهجَةٍ ذابَتْ أسًى فلوانَّها ... فى العيْنِ لم تَمنَع من الإغفاء

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشىء دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة : وعبارة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لابد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه بياض ، والمحجل : قال أبو عبيدة : المحجل من الخيل أن تكون قوائمه الأربع بيضا يبلغ البياض منها ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، العرقوبين — وأغر محجل كما ترى من صفات الخيل — استعارهما لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما يمتاز الفرس بالغرة والتحجيل .

(٣) العوالى : صدور الرماح : أى الأسنة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف : يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان : يحث على الشجاعة

إلَيْكِ فَإِنِّى لَسْتُ مِمَّنْ إذَا اتَّقَى
عِضَاضَ الْأَفَاعِى نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ [١]

أَتَانِى وَعِيدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ أَعَدُّوا لِىَ السُّودَانَ فى كَفْرِ عَاقِبِ [٢]

وَلَوْ صَدَقُوا فى جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ فَهَلْ فِيَّ وَحْدِى قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ [٣]

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقى من العيش لاحق بما ذهب فهو فى حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومى :

رأيتُ طويلَ العمْرِ مثلَ قصيرِهِ إذا كان مُفضاهُ إلى غايةٍ ترى

قال العكبرى : وهذا من كلام الحكماء قال الحكيم : أواخر حركات الفلك كأوائلها وناشىء العالم كلاشيه فى الحقيقة لا فى الحس :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عنى فإنى لست ممن إذا خشى الهلاك صبر على الذل والهوان . جعل الأفاعى مثلا للهلاك لأنها تقتل بسمها دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قال ابن جنى : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فشبه الأفاعى بالعظيمة والعقارب بالذل . وقال الواحدى : جعل عض الأفاعى لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تعليقا على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدى الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعيير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعى مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءا وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا فى دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم فى الوعيد أيضا فحذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا فى نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم فى وحدى صادقا ؟



إِلَىَّ لَعَمْرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ ... كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ (١)

بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجُرَّ ذُؤَابَتِي ... وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رَكَائِبِي (٢)

كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ ... فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)

فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فِنَاءَهُ ... وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وُرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)

فَتًى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُودُهُ ... قِرَاعَ الْأَعَادِي وَابْتِذَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

---

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإنى لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبرى وأناتى وعلو همتى فهى تيممنى وتنسل إلى من كل حدب .

(٢) ذؤابة النعل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروى بدل ذؤابتى ذوائبى ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إننى لم أدع موضعا من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرحل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوى الذى قال فيه المتنبى هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل فى حسن التخلص . يقول . كما أن مواهب الممدوح لم تدع مكانا إلا أتته كذلك أنا لم أدع مكانا إلا أتيته ، فكأنى امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هى العادة — أن يردها الشاربون ولكنها هى ترد الشاربين ، فقوله يردن أى المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والمنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعبارة الخطيب التبريزى : كأنهن قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعنى أن هذه منفعة للخلق الذى ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوا شكرتهم عليه ... وإن سكتوا سألتهم السؤالا

(٥) الابتذال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغيبة ، وهى الشىء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان ؛ والأعادى : يروى العوالى ، وهى صدور الرماح .

فَقَدْ غَيَّبَ الشُّهَّادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلَّ غَائِبِ (١)

كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِى بَنَانِهِمْ أَعَزُّ امِّحَاءً مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ (٢)

أُنَاسٌ إِذَا لَاقَوْا عِدًى فَكَأَنَّمَا سِلَاحُ الَّذِى لَاقَوْا غُبَارُ السَّلَاهِبِ (٣)

---

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من ديدنه السفر لأن سخاءه يدعوهم إليه ، وردهم إلى الأوطان بعد أن غمرهم بنعمه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعز : خبر ؛ وأصل البنان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأكف . وقد روى بدل فى بنانهم : فى أكفهم ؛ والممدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على ابن أبى طالب ، ومن ثم قال: كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لا يمحى من أكفهم ، هذا وثمت فرق بين الفاطميين وبين العلويين ؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولدها الحسن والحسين ، فكل فاطمى هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما العلويون فهم من ولد على يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن على وعمر بن على ومحمد بن على بن الحنفية ، والرواجب : واحدتها راجبة ، وهى مفاصل أصول الأصابع التى تلى الأنامل وقيل : هى بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هى ظهور السلاميات وقيل هى ما بين البراجم من السلاميات وقيل هى مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التى تلى الكف ؛ وقال ابن الأعرابى : الراجبة البقعة الملساء بين البراجم ، والبراجم الشنجات فى مفاصل الأصابع فى كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاهب : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم فى نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يعبأون به ولايكترثون، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم : وخص السلاهب لأنها أسرع وغبارها أرق وألطف. وقال الواحدى : يجوز أن يكون السلاهب خيل للمدوحين ويقال : فرس مسلهب أى ماض ، ولذا قال الجوهرى : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابى فى صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلعب ، وإذا انتصب اتلأب .. « اسلهب : امتد ، واجلعب انبسط ولم ينقبض : واتلأب ؛ أقام صدره ورأسه »



رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجِئْنَهَا ... دَوَامِي الْهَوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ (١)
أُولَئِكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ ... وَأَكْثَرُ ذِكْراً مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ (٢)
نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ ... مِنَ الْفِعْلِ لاَ فَلٌّ لَهَا فِى الْمَضَارِبِ (٣)
وَأَبْهَرُ آيَاتِ التِّهَامِيِّ أَنَّهُ ... أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ (٤)

---

(١) الضمير فى نواصيها : للسلاهب ؛ وهى جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصى الناس أى أشرافهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشهَدٍ قد كَفَيتُ الغائبين به ... فى مجمع من نواصى الناس مشهود

وجئنها : أى جئن القسى : أى بلغت السلاهب القسى ؛ والهوادى الأعناق .
ودوامى : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تنثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطافها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وسلمت سائر أعضائها ، وفى سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرتْ جيادُكَ مِنك بَرْدَ مَقِيلها ... فى الحرِّ بين براقع وجِلال
فجزتك صبراً فى الوغى حتى انثنت ... جرْحى الصدور سوالم الأكفال

(٢) الشبائب : جمع شبيبة ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شبائب وشواب ، قال الراجز :

عجائزاً يطلبن شيئاً ذاهباً ... يَخْضِبْنَ بالحنّاء شيباً شائبا
* يَقُلْنَ كنّا مرّةً شبائبا *

يقول : هم أحلى فى القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بعلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن الممدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع : والفل ؛ الثلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أبيك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول فى مضاربها .

(٤) التهامى : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول



. . . .

فى هـذا البيت ، وهو فى الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف فى الاحتجاج له والاعتـذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات فى الدين مما يقدح فى جودة الشعر ورداءته . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة — على رواية إحدى بدل أجدى — وروى بعضهم البيت هكذا

وأكبر آيات التهامى آية

أبوك : يعنى أن على بن أبى طالب أبا الممدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضى : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت فى الشعر لم أبعد عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن محمدا صنبور — أى منفرد أبتر لا عقب له — فإذا مات استرحنا منه ، فأنزل الله تعالى — إنا أعطيناك الكوثر — أى الكثير ، ولست بأبتر كما قالوا ؛ ما شانئك : فهو الأبتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فإن قيل : الأنساب إنما تنعقد بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنونا بَنُو أبْنائنا — وبَناتُنا بَنُوهُنَّ أبناء الرجالِ الأباعِدِ[1]

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان — إلى قوله — ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامى ؛ فإن الله أنزل فى التوراة على موسى : إنى باعث نبياً من تهامة من ولد إسماعيل فى آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامى الأمى الأبطحى ، فلا أدرى كيف نقموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

---

(١) قيل إنه للفرزدق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبنائنا مبتدأ مؤخر أى أن بنى أبنائنا مثل بنينا .



إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامُ المَنَاصِبِ (١)

وَمَا قَرُبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدٍ وَلاَ بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ (٢)

---

(١) النسيب : ذو النسب الشريف ، والمناصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسيب مشابهة لأصله فى الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كريم . يعنى : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :

وما يَنْفَعُ الأصلُ مِن هاشِمٍ إذا كانَتِ النفسُ مِنْ باهِلَه

وقال أبو يعقوب الخريمى :

إذا أنْت لم تحْمِ القَديمَ بحادِثٍ مِنَ المجدِ لم يَنفعكَما كان مِن قَبلُ

وقال البحترى :

ولستُ أعتدُّ لِلفتى حَسباً حَتى يُرى فى فَعالِهِ حَسَبُهْ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيه والبيت كالتتمة لما ذكره فى البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لاتتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسبا وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول فى الأقارب وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأدعياء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد فى هذا البيت بياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيرا للبيت والذى يصح فى تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب فى النسب والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضا كقوله :

* الناس مالم يروك أشباه *

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فمعنى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون فى الشبه ولا يشبه بعضهم بعضا ولا يبعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا فى النسب تقاربوا فى الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إذَا عَلَوِىٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إلاَّ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ [1]
يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِى الْوَرَى
فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِى الْكَوَاكِبِ [2]
عَلاَ كَتَدَ الدُّنْيَا إلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ [3]
وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِساً وَيُدْرِكَ مَالَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ [4]

---

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبى طالب رضى الله عنه. يقول: إذا لم يكن العلوى تقيا ورعا كطاهر — وهو الممدوح — كان حجة لأعداء أبى تراب ، لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفى المثل من أشبه أباه فما ظلم وقال بعضهم ؛

شريف أصْله أصلٌ شريف ولكن فِعْلهُ غيرُ الحميد
كأن الله لم يَخْلُقه إلا لتنعطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر فى الخلق — يريد ما يذهب إليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن الممدوح يؤثر فى الكواكب ، إذ يجعل المنحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوساً بما ينزله به من نقمته ، فلا تستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه : تأثيره فى الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أى قوله فى الورى :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والذلول المنقادة التى تذل لراكبها. يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلا ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد بعلى الجارة فهى متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خليق به أن يسبق الناس فى سبيل المعالى وهو لا يتكلف لذلك جهداً، ويدرك مالم يدركوه من غير ما طلب وسعى ؛ يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه



وَيُحْذَى عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّهَا ... لِمَنْ قَدَمَيْهِ فِي أَجَلِّ الْمَرَاتِبِ[(١)]

يَدٌ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ[(٢)]

هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ ... وَشِبْهُهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ[(٣)]

يَرَى أَنَّ مَا مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ ... بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ[(٤)]

الله عليه من الفضل وعلو الهمة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسعى والاجتهاد . هذا وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإنى لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك

(١) العرانين : الأنوف ، وعرانين : مفعول ثان ليحذى ؛ والمفعول الأول : نائب فاعل يحذى — الذى يعود على الممدوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرانين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه ، ولو هو فعل ذلك لكانت فى أجل المراتب لأنها تتشرف بوطأته .

(٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ من قول أبى تمام :

إذا العيسُ لاقَتْ بى أبا دُلَف فقدْ ... تقطَّعَ ما بينى وبينَ النَّوائِبِ

(٣) هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله، وابن وصيه لأنه ابن سيدنا على كرم الله وجهه ، وسيدنا على هو وصى سيدنا رسول الله. وقوله وشبهما : أى وهو شبههما ، وقوله شبهت بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول :شبهته بهما بعد تجربتى واختبارى إياه ، فليس تشبيهى عبثا .

(٤) اسم أن محذوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية : بمعنى الذى ، والتقدير : يرى أنه ليس الذى ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالعنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لطعن عائب. يقول : إنه يرى العيب أشد من القتل ، وهذا من قول أبى تمام :

فَتًى لا يَرَى أنَّ الفَرِيصةَ[(١)] مَقتَلٌ ... ولكن يَرَى أن العيوبَ المقاتلُ

وقال ابن جنى : ما الأولى زائدة ، والثانية بمعنى الذى ؛ واسم أن مضمر فيها .

---

(١) الفريصة : لحمة عند نغض الكتف فى وسط الجنب عند منبض القلب وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع .



أَلاَ أَيُّهَا الْمَـالُ الَّذِى قَدْ أَبَادَهُ تَعزَّ فَهٰذَا فِعْلُهُ فِى الْـكَتَائِبِ[(١)]

لَعَلَّكَ فِى وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤَادَهُ عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَارِبِ[(٢)]

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَـانِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الحِجَى سَقْىَ الرِّيَاضَ السَّحَائِبِ[(٣)]

---

(١) تعز : يروى تسل ، والـكتائب : جمع كتيبة ، وهى الفرقة من الجيش . يقول : تأس أيها المـال الذى أباده الممدوح ، فلست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسراً .

(٢) يقول : لعلك أيهذا المال المباد شغلت فؤاد الممدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك أو أطمعت الأعداء فى محاربته رغبة فيك ، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه يلتمس للمـال ذنباً عند الممدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحدق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجى : العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعانى التى فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل ساقيها كما تسقى السحائب . وقوله : سقى الرياض السحائب : أراد سقى السحائب الرياض، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً فى الشعر ــ كقول أبى حية النميرى :

كَمَا خُطَّ الْـكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً يَهُودِىٍّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ[(١)]

وقول عمرة الخثعمية ترثى ابنيها :

هُمَا أَخَوَا فِى الْحَرْبِ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْماً نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا[(٢)]

---

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الـكتاب الذى كتبه ماهر حاذق فى الـكتابة ؛ وخص اليهودى لأنه من أهل الـكتاب ، وقيل : المراد التشبيه فى عدم الانتظام . وقوله يقارب : أى يدنى الـكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أى يباعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودى ، وفصل بينهما يوما ، وهوالشاهد.

(٢) من أبيات فى باب الرثاء من حماسة أبى تمام . فصل بين المضاف والمضاف



فَحُيِّيتَ خَيْرَ ابْنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِهَا ... لِأَشْرَفِ بَيْتٍ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ (١)

وقول جرير :

تَسْقِي امْتِيَاحاً نَدَى الْمِسْوَاكَ رِيقَتِهَا ... كَمَا تَضَمَّنَ مَاءَ الْمُزْنَةِ الرَّصَفُ (١)

وقول الأعشى فى كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :

أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ ... إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا (٢)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحيوا بالزهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير فى بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزى : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : فى الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لا غوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقبله :

ما استوْصَفَ الناسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمُ ... إلا أرَى أُمَّ عَمْرٍو فوْق ما وَصَفُوا

كأنها مُزْنَةٌ غَرَّاءُ وَاضِحَةٌ ... أَوْ دُرَّةٌ لا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدَفُ

والامتياح : الاستياك ؛ والندى : البلل ؛ والمزنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة — حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحاً ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والمسواك : مفعول أول لتسق ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقتها ؛ وقد فصل بينهما بالمسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولداً نجيبا ، ونجلاه : ولداه ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متعلق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .



وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلثمائة : وهى من محاسن شعره :

مَنِ الْجَــآذِرُ فى زِىِّ الْأَعَارِيبِ ... حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ [١]

إنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَــكًّا فى مَعَارِفِهَا ... فَمَنْ بَلَاكَ بِتَسْــهِيدٍ وَتَعْذِيبِ [٢]

---

(١) من : استفهام ، والجــآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء فى حسن العيون . والأعاريب : جمع أعراب ، وهم سكان الخيام والوبر . وقوله فى زى : حال من الجــآذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب ـ الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها ـ قالت جنوب أخت عمرو ذى الــكلب ترثيه ، وكان قد قتل :

تَمْشِى النسورُ إليهِ وَهْىَ لاهِيَةٌ ... مَشْىَ الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الجلابِيبُ [١]

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبيهات بالجــآذر : وهن فى زى الأعاريب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتطيات النياق الحمر ، ومشتملات فى الثياب الحمراء — يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول — مخاطبا نفسه — : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك فى معرفتهن ، فمن الذى امتحنك بالسهر والعذاب ؟ يعنى أنهن دلهنك بحبهن حتى صرت مسهدا معذبا ، فــكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجــآذر حتى كأنهن جآذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أيا ظبيةَ الوَعْــساءِ بينَ جُلاجِلٍ ... وَبين النَّقا آأنْتِ أمْ أمُّ سالمِ [١]

---

(١) قوله وهى لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لــكونه ميتاً ، فهى تمشى إليه مشى العذارى .

(١) جلاجل : روى حلاحل ـ بالحاء المضمومة ـ وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت فى كتاب سيبويه : جلاجل ـ بضم الجيم لا غير ـ



لاَ تَجْزِنِي بِضَـــنًى بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ
تَجْزِى دُمُـــوعِيَ مَسْكُوباً بِمَسْكُوبِ (١)

سَوَائِرٌ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ (٢)

وَرُبَّمَا وَخَدَتْ أَيْدِي الْمَطِيِّ بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ (٣)

---

(١) المراد بالبقر : النساء التي وصفها : يدعو لهن يقول : لا جزينني مقابل الضنا الذى حل بى بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعى دموعا مثلها : يعنى لا أورثهن الله السقام بعدى كما أورثنى بعدهن ، وإن كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . فقوله لا تجزنى : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهى ؛ فحكمه فى الجزم حكم النهى كقول مالك بن الريب من كلمة يرثى بها نفسه :

يَقُولُونَ لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنُونَنِي وأَيْنَ مَكانُ الْبُعْدِ إلا مَكانِيا؟(١)

والباء فى قوله بضنى : للمقابلة ، وبى : صفة لضنى : أى ضنى حال بى أو واقع بى ، وبقر : فاعل تجزنى : أى لا تجزنى بقر بضنى حل بى ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والهاء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعى الخ صفة لبقر ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعى : أى تجزى دموعى مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتعبيره ببقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول: إنهن من قومهن فى عز ومنعة ، فمن تصدى لهن طعن أو ضرب ، فسارت هوادجهن ما بين مطعون ومضروب .

(٣) الوخد : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو فى المشى . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان .
يريد أنهن فى منعة، دونهن طعان وضراب وقتال ، فالبيت فى معنى البيت السابق .

---

(١) الاستفهام : فى قوله : وأين الخ بمعنى النفى ، ولذا وقعت «إلا» بعده .



كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فى ٱلْأَعْـرَابِ خَافِيَـةٍ
أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ (١)

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي (٢)

قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا
وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ (٣)

جِيرَانُهَا وَهُمُ شَرُّ الْجِوَارِ لَهَا
وَصَحْبُهَا وَهُمُ شَرُّ ٱلْأَصَاحِيبِ (٤)

فُؤَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فى بُيُوتِهِمِ
وَمَالُ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ (٥)

---

(١) يصف جرأته فى زيارة الحبائب بعد أن ذكر منعتهن يقول ــ مخاطبا نفسه ــ كم قد زرتهن زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أدهى ومن زورة الذيب .

(٢) جمع فى هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانثناء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولى وبى . وأنثنى : أى أعود ، وأغراه به : ضراه به وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيع لأنه يسترنى عنهم ، وأنصرف وكأن الصبح يغرى بى ، إذ يشهرنى ويدلهم على مكانى . وهذا البيت ــ كما ترى ــ من معجزات المتنبى .

(٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش فى سكنى البرارى وخالفوها فى أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمراتع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .

(٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار ــ على حد قوله تعالى « ولكن البر من آمن بالله » والأصاحيب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .

(٥) أخيذ : أى مأخوذ ؛ والمحروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشجاعة : فنساؤهم ينهبن القلوب ، ورجالهم ينهبون الأموال

وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال ــ أى بالسخاء ــ وأموال الأعداء .



مَا أَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ   كَأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ (١)
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ   وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ (٢)
أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْآرَامِ نَاظِرَةً   وَغَيْرَ نَاظِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطِّيبِ (٣)

---

(١) الرعابيب : جمع رعبوبة ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر يقول : ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء الحضر ، ويبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة ـ بكسر الحاء ، أو فتحها ـ الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى البدو ؛ والتطرية : المعالجة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، وطرى الطعام : خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقة ، لا يعرفن التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) المعيز : اسم لجماعة المعز ـ كالكليب والعبيد ـ قال العكبرى : المعيز : اسم للمعزى ، وهو خلاف الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول المعز والمعيز والأمعوز ، وواحد المعز : ماعز : مثل صحب وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العنز والجمع مواعز . والمعز بالفتح والمعز بسكون العين لغتان فصيحتان قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين ، وقرأ الباقون بفتحها . وقال سيبويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف للالحاق ـ لا للتأنيث ـ وهو ملحق بدرهم على فعلل ، لأن الألف الملحقة تجرى مجرى ما هو من نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط ـ فى تصغيرى معزى وأرطى ـ فى قول من نون فكسروا مابعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير حبلى وأخرى . وقال الفراء : المعزى مؤنثة وقال بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون المعزى فى النكرة ، والآرام : لظباء الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو فى حال إقبالهن . وقال بعض الشراح : ناظرة : تمييز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير من حسن الآرام عيونا . شبه نساء الحضر بالمعيز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين تقع المعيز من الظباء فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالظباء تفضلها عيوناً وغير عيون .

أَفَدِى ظِبَــاء فَلاَةٍ مَا عَــرَفْنَ بِهَا
مَضْغَ الْــكَلاَمِ وَلاَ صَــبْغَ الْحَوَاجِيبِ [(١)]

وَلاَ بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَاثِلَةً أَوْرَا كُهُنَّ صَقِيلاَتِ الْعَرَاقِيبِ [(٢)]

وَمِنْ هَــوَى كلِّ مَنْ لَيْسَــتْ مُمَوِّهَةً
تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِــيبِى غَيْرَ مَخْضُــوبِ [(٣)]

---

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعاريب . ومضغ الـكلام : ترك إبانته ، كأن المتـكلم يمضغ شيئا : يقول : هن فصيحات مبينات ، لايمضغن كلامهن غنجا وتخنثا كنساء الحضر ، ولا يصبغن حواجبهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشبع الـكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

* نَفْىَ الدنانيرِ تَنقادُ الصياريف [(١)]

(٢) ماثلة : شاخصة ؛ ويروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التمويه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير. وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أنى لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت بياض شيبى دون خضاب : أى لم أموه شيبى كما لم يموهن حسنهن .

---

(١) صدره :

* تَنفى يداها الحَصَى فى كلِّ هاجرةٍ *

يصف ناقة تسرع فى الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعهما الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفى رديئها عن جيدها وخص الهاجرة لتعذر السير فيها والشاهد فى الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهيم فيكون الشاهد فى الصياريف والدراهيم



وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فى قَوْلِى وَعَادَتِهِ
رَغِبْتُ عَنْ شَعَرٍ فى الرَّأْسِ مَكْذُوبِ (١)

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِى الَّذِى أَخَذَتْ
مِنِّى بِحِلْمِى الَّذِى أَعْطَتْ وَتَجْرِيبِى (٢)

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ   قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فى الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ (٣)
تَرَعْرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً   قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ (٤)

---

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير فى قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أنى أحب الصدق وقد تعودته لم أجعل شعر رأسى مكذوبا : أى مسودا بالخضاب ، إذ هو غير لونه . فقوله: ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر فى الرأس : عن شعر فى الوجه .

(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخذت منى الشباب وأعطتنى الحلم والتجاريب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت منى بما أعطت : أى ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول على بن جبلة :

وَأَرَى اللَّيَالِىَ مَا طَوَتْ مِنْ قوَّتِى   زَادَتْهُ فى عَقْلِى وفى أفهامى

وقول ابن المعتز :

وَما يُنْتَقَصْ من شباب الرجال   يُزَدْ فى نهاها وألبابها

(٣) الحداثة : حداثة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه . يقول : إن حداثة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما فى الشباب كما يكون حليما فى المشيب — كما قال أبو تمام :

حلَّمَتْنِى زَعَمْتُمُ وَأَرَانى   قبل هذا التحليم كنتُ حليما

(٤) ترعرع الصبى : نشأ وشب ، والأستاذ : لقب كافور ؛ وهى كلة فارسية ، من معانيها : المعلم ، والمدبر ، والعالم . يريد المتنبى أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أى حلم الكهول — قبل أن يكتهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أى أنه ترعرع على ذلك

مُجَرَّبًا فَهَمًا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ   مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبِ (١)
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَايَتَهَا   وَهَمُّهُ فِى ابْتِدَاآتٍ وَتَشْبِيبِ (٢)
يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ   إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٣)
إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
فَمَا تَهُبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبِ (٤)

طبعاً دون أن يفيده من كر الغداة ومر العشى ، وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمانعة من حلم .

(١) قال صاحب اللسان : رجل مجرب كمعظم — بالفتح — جرب فى الأمور وعرف ما عنده ، كأن الأمور جربته وأحكمته ؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور وجربها . ثم قال : إلا أن العرب تكلمت به بالفتح . يقول المتنبى : نشأ كافور مجربا قبل أن يجرب — لما جبل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه من الكرم — ففهما وكرما : مفعول لهما .

(٢) التشبيب فى الأصل : ذكر أيام الشباب : وهو يكون فى ابتداء القصائد ، ثم سمى ابتداء كل أمر تشبيبا ، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب ، ويريد بنهاية الدنيا : الملك ، لأنه لا شىء إلا والملك فوقه يقول : إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك ، ومع ذلك لا تزال همته فى بداية أمرها : أى أنه بعيد مرتقى الهمة .

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وترامى حدودها إلى هذه الأطراف ، لا أنها داخلة فى مملكته ، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول — ولا النوب ، إنما مملكته تحد بهذه البلاد ؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام فحسب .

(٤) يقول : إنه لهيبته وعظمه فى النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الهوج فى بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا ، والرياح مثل أراد به المبالغة فى إعظام الناس إياه وتنكبهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له .
وعبارة الخطيب التبريزى : يعظم أمره وسياسته ، ولم يرد الرياح بعينها ، بل يريد أن الناس له هائبون ، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هيبة له . فالضمير فى أتتها : يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب : جمع نكباء ، وهى الريح تهب فى غير استواء .



وَلا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إذا شَرَقَتْ ... إلاَّ وَمِنهُ لَهَا إذْنٌ بِتَغْرِيبِ (١)

يُصَرِّفُ الأمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ ... وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنهُ كُلُّ مَكْتُوبِ (٢)

يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ ... مِنْ سَرْجِ كلِّ طَوِيلِ البَاعِ يَعْبُوبِ (٣)

كَأنَّ كلَّ سُؤالٍ فى مَسَامِعِهِ ... قَمِيصُ يُوسُفَ فى أجْفَانِ يَعْقُوبِ (٤)

إذا غَزَتْهُ أعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ ... فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ (٥)

---

(١) هذا البيت فى معنى الذى سبقه . يقول : ولاتغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طمسه ومحاه ، كطرسه . يقول : إن أمره ممتثل مطاع فى بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هى عادتهم إذ ذاك — ثم انمحى كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امتثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظاماً وإجلالا . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرها ، وفيه خاتام وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير فى حامله : يعود إلى الخاتم ، واليعبوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى : أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظاماً فنزل عن فرسه ، والمعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبارة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء فى شىء ؛ والمعنى : يريد نفاذ أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويبتهج إذا سمع سؤال سائل ـ يستجديه ـ ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أيا كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها ، فكأنها غزته بجيش لا يغلب .

أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَـةٍ ... مِمَّا أَرَادَ وَلاَ تَنْجُـو بِتَجْبِيبِ (١)

أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ ... عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ (٢)

قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُم

إِلَى غُيُـوثِ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ (٣)

إِلَى الَّذِى تَهَبُ الدَّوْلاتِ رَاحَتُهُ ... وَلا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُـوبِ (٤)

---

(١) التقدمة : التقدم ؛ والتجبيب : الهرب . قال صاحب اللسان : التجبيب النفار ، وجبب الرجل تجبيبا إذا فر وعرد ، وفى الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جبب الناس عنها كالكار بعد الفار : أى إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جبب الرجل . إذا مضى مسرعا فارا من الشيء . يقول : إذا قصده أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يفيدهم الإقدام لأنهم لا يقدرون عليه ولا الهرب لأنه يدركهم لامحالة .

(٢) أضرت : من الضراوة ، وهى الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألهجه به ؛ وفى الأثر : إن للحم ضراوة كضراوة الخمر : أى إن له عادة طلابة لأكله كعادة الخمر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتائبه الجبناء الذين لا يشهدون القتال ؛ والحمام : الموت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء الموت وجرأتهم عليه فليس للموت مرهوباً عندهم .

(٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل فى الشآبيب تقوم مقام الضمير : أى إلى غيوث يديه وشآبيبهما . يعرض المتنبي ـ فيما يظهر ـ بسيف الدولة ، يقول ؛ يلومنى الناس على هجرى الغيث ـ يعنى سيف الدولة ـ وهم واهمون فى هذا اللوم ؛ لأنى تركت غيثاً إلى غيوث : أى أننى فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه: أراد أن مصر لا تمطر فيقول : لا منى الناس فى هجرى بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تعسف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالى .

(٤) يقول : إنى هجرت إلى من يعطى العطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن . وهذا تعريض بين بسيف الدولة . والدولات : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لذلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .



وَلا يَرُوعُ بمَغْدُورٍ بِهِ أَحَداً ... وَلا يُفَزِّعُ مَوْفُوراً بمَنْكُوبِ (١)

بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ... ذا مِثْلِهِ فى أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ (٢)

وَجَدْتُ أَنفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ ... مَا فى السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ (٣)

لمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي ... وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الأَنَابِيبِ (٤)

فُتْنَ المَهالِكَ حتَّى قَالَ قَائِلُهَا ... مَاذا لَقِينَا مِنَ الجُرْدِ السَّرَاحِيبِ (٥)

---

(١) راعه : خوفه وأفزعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذى لم يصب فى ماله ولم يؤخذ منه شىء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يغدر بأحد كى يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحيفه أو يسلب ماله ليفزع به الموفور الذى لم ينكب . يعنى أنه حسن السيرة فى رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يغدر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أى ينكل بصاحب جيش ليعتبر به صاحب جيش آخر ، وهو — أى كافور — فى جيش أسود الغبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفى وتفيد إبطاله ، ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الأرض — وجملة يجدله : صفة لذى جيش ؛ وذا مثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله فى أحم : أى فى جيش أحم النقع : أى أسود الغبار ؛ والغربيب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غربيب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إنى وجدت مافى الخيل من عدو وجرى أنفع الأشياء التى ادخرتها لأنها حملتنى إلى كافور وأخرجتنى من بين الغادرين بى كما بين ذلك فى البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدر بى — يريد الناس — وفت لى بحملها إياى عن موطن الغدر إلى كافور ؛ وكذلك وفت لى الرماح لأنى استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنابيب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكله .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المفاوز وفاتتها حتى لو كان لها — أى للمفاوز — قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذللت الصعب منا ونجت من غوائلنا ،

تَهْوِى بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ ... لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ (١)

فالمراد بالمهالك: المفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك يحمد فى الخيل،والسراحيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبارة ابن جنى : ضجت المفاوز من سرعة خيلي وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها المفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعنى أن هذه الخيل لم يعلق بها شىء من الهلاك حتى تعجبت المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعنى نفسه ، والمنجرد : الجاد فى الأمور الماضى فيها لا يرده شىء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لمثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالى .

وهذا كقوله :

فَسِرتُ إليك فى طلب المعالى ... وسار سوایَ فى طلب المعاش

وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى مَعيشةٍ ... كفانى ـ ولم أطلبْ ـ قليلٌ من المال

ولكنما أسعَى لمجدٍ مُؤثَّلٍ ... وَقدْ يُدْرِكُ المجدَ المُؤثل أمثالى (١)

وقال حاتم الطائى :

لحا اللهُ صُعلوكاً مُناهُ وَهَمُّهُ ... من الدهر أنْ يَلقى لَبوساً ومَطعما (٢)

وقال آخر :

وليس فتى الفِتيانِ مَن راح واغتدَى ... لِشُرْبِ صَبوحٍ أوْ لِشُرْبِ غَبوقِ

ولكن فتى الفتيانِ مَن رَاحَ واغتدَى ... لضَرِّ عَدُوٍّ أوْ لِنَفعِ صَديقِ

---

(١) ما ـ فى قوله ماأسعى ـ مصدرية ومجد مؤثل قديم له أصل ، والتأثل اتخاذأصل مال ، وقيل المؤثل : المجموع وقيل : المستمر المثبت

(٢) لحاه الله : قبحه وأهلكه ، من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير الذى لا مال له ، وصعاليك العرب : ذؤبانها .



يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَىْ مَنْ يُحَاوِلُها ... كَأَنَّهَا سَلَبٌ فى عَيْنِ مَسْلُوبِ (١)

حَتَّى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ ... تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ (٢)

فى جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِى العَقْلِ تُضْحِكُهُ ... خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الأَعَاجِيبِ (٣)

فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا ... وَلِلْقَنَا وَلِإِدْلَاجِى وَتَأْوِيبِى (٤)

---

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع فى إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حتى وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يبتذلون أنفسهم للناس — بيد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لايبلغها كل أحد ، بدليل قوله فى البيت التالى: فى جسم أروع، وما أبدع قول أبى تمام :

لَيْسَ الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لى أَمَلاً ... إِنَّ السماء تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقبله يقول مسلم :

كذلكَ الغَيْثُ يُرْجَى فى تَحَجُّبِهِ ... حتى يُرَى مُسْفِراً عَنْ وَابِلِ المطَرِ

(٣) فى جسم : صفة لنفس — فى البيت السابق — أو حال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكى الفؤاد وفى غير هذا الموضع الذى يروعك حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هى عليه من الخسة والدناءة : ضحك منها هزؤا واستصغاراً ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أى لكافور ؛ ولها أى للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إنى أحمدك وأحمد خيلى ورماحى وإدلاجى وتأويبى إذ بلغتنى إليك — كما ذكر فى البيت التالى .

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا   وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبِي

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ   فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ[1]

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ   مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ[2]

---

(١) الغانى : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكرى النسابة فقال: من أنت ؟ قال: أنا رؤبة بن العجاج، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجّاجُ باسمى فادْعُنى   باسمى إذا الأنسابُ طالتْ يكفِنى

(٢) الضمير — فى قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إنى أحبك وأنت حبيب إلى ، وإنى أعوذ بك من أن لا تحبنى ، لأن من نكد الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ



وقال يمدحه فى شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة(*) :

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ ... وَأَعْجَبُ مِنْ ذا الهجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ (١)

أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى ... بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ (٢)

---

* قالوا : إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن المتنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها .

(١) يقول : إن بينى وبين الشوق مغالبة لأجلك ، والغلبة للشوق : إذ هو يغلب صبرى ، وإنى أعجب من هذا الهجر لتراخيه وطوله ، على أن الوصل لو وافقنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق . وقال الواحدى : الأغلب الغليظ الرقبة الذى لا يطاق ولا يغالب ، فكأنه قال : إن الشوق صعب شديد ممتنع .

(٢) تنائى تفاعل ، من النأى . وهو البعد ، يقال نأى وأنأيته على أفعل ؛ ولكنه نقله إلى فاعل ، كما يقال أبعدته وباعدته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول : إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغيض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطا من الدهر ، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر ؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس :

لَعَمْرُكَ إنى بالخليلِ الذى لهُ ... علىَّ دلالٌ وَاجِبٌ لَمُفَجَّعُ

وإنىَ بالمَولى الذى ليسَ نافعى ... ولا ضَائِرِى فُقدانه لَمُمَتَّعُ

ويقول الطرماح :

يُفرِّقُ مِنا مَنْ نُحِبُّ اجتماعَه ... ويَجْمعُ مِنا الدَّهْرُ بين الضغائن

ويقول الآخر :

عجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النوَى مَنْ أُحِبُّه ... وإدناء مَنْ لا يُسْتَلَذُّ له قُرْبُ

وقال المحدث :

ومَنْ أهْواهُ يُبْغِضِنِي عِناداً ... ومن أشْناهُ شِيصٌ فى لهَاتى

وَلِلهِ سَـيْرِى مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقِىَّ الْحَـدَالَى وَغُرَّبُ[(١)]

عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِى أَتَجَنَّبُ[(٢)]

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَـانَوِيَّةَ تَـكْذِبُ[(٣)]

وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاء تَسْرِى إِلَيْهِمِ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبُ[(٤)]

---

(١) التئية التلبث والتمكث قال الشاعر :

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ زَائِرْ وَتَأَىَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَـاغِرْ

وتئية : منصوبة على التمييز ، وأراد ما أقله تئية ، فحذف لضيق المقام والحدالى : موضع بالشام ، وغرب: جبل هناك معروف ، والحدالى : مبتدأ وشرقى : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — بثلاث ياءات — فحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتعجب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيرى وأقل لبثة عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرق : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحفى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية فى البيت السابق — وأحفى : أفعل تفضيل — من حفى به حفاوة : إذا بالغ فى إكرامه وإلطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحفى الناس بي فجفوته وغادرته ، وكانت أهدى طريق هى التى أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جنى : كان يترك القصد ويتعسف خوفاً على نفسه .

(٣) المـانوية : أصحاب مانى — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المـانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا! وقد بين تلك النعمة فى البيت التالى .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلا ، يقول : إن ظلام الليل وقاك غائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يبصرونك وزارك فيه المحبوب آمنا لم يخش الرقيب إذ حجبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قديزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز:

لا تَلْقَ إِلا بِلَيلٍ مَنْ تَوَاصِلُهُ فَالشمسُ نَمَّامَةٌ والليل قواد

هذا وقد ذكر شر النور فى البيت التالى



وَيَوْمٍ كَلَيْلِ العَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ(١)

وَعَيْنِي إِلَى أُذُنَيْ أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ(٢)

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِى إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ(٣)

شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِي عِنَانَهُ فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ(٤)

وَأَصْرَعُ أَىَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ(٥)

---

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفا من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من الكمين وآمن على نفسى . فالواو واو رب ؛ وكمنته: أى كمنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان فى مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئا من بعيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه فقال : كأنه فى سواده قطعة من الليل وكأن الغرة فى وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبى داود :

وَلَها جَبهةٌ تلألأ كالشعـرَى أضاءت وَغُمّ منها النجومُ

والغرة : البياض فى جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب ـ من كواكبه ـ أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مد يديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مد يديه ، وإذن فنى إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجىء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى يجذبه وثب وطغى مرحا ونشاطا ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطغيان الفرس : شدة النشاط والمرح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفيته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير فى عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْــلُ إلاَّ كالصَّدِيقِ قَلِيــلَةٌ
وَإِنْ كَثُرَتْ فِى عَيْنِ مَنْ لا يُجَرِّبُ(١)

إذا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ(٢)

لَحَا اللهُ ذِى الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ(٣)

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلاَ أَشْتَكِى فِيهَا وَلاَ أَتَعَتَّبُ(٤)

وَبِى مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّى أَقَلُّهُ وَلَكِنَّ قَلْبِى يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ قُلَّبُ(٥)

فى مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته ـ قتلته ـ وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لغب ولم ينقص من جريه ونشاطه شىء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن : المعتز

تخالُ آخِرَهُ فى الشــدِّ أوَّلَهُ وفيهِ عَدْوٌ وراءَ السبقِ مَذخورُ

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة فى عين من لم يجرب ، فبالتجربة تعرف الكوادن من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ماعنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذى يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان ـ جمع شية ـ يقول : إن مزايا الخيل فيما وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم تر منها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أى قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرته ، ومناخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بئس المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتنى أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأنال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرد ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . رووا أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال فى مرضه الذى مات فيه لا بنيه : إنكما لتبكيان حولا قلبا إن سلم من هول المطلع . يقول المتنبى : إن



وَأخْــلَاقُ كَافُورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ
وَإنْ لَمْ أشَــأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأكْتُبُ(١)

إذا تَرَكَ الإنْسَانُ أهْلاً وَرَاءهُ وَيَمَّمَ كَافُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ(٢)

فَتًى يَمْــلأ الأفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
وَنَادِرَةً أحْــيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ(٣)

بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبي حسن التقليب للأمور ؛ فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخمدمهاخطراته، وقوله ياابنه القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهم ، وإنما قالياابنة القوم إشارة إلى كثرة أهلها ، وقال ابن جنى : هو كناية عن قولهم ياابنة الكرام .

(١) يقول : إن خلائق كافور من الظهور والنباهة بحيث تنبىء عنه فما هو إلا أن تملى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم آت بشىء من عندى ، وإنما هى أخلاقه تملى على . وقد أخذ الصاحب بن عباد هــذا المعنى فقال :

وما هــــذه إلا وليدةُ ليلةٍ يغور لها شِعرُ الوليد وينضب
على أنها إملاء مجدك ليس لى سوىأنه يُملِي عَلَيَّ وأكتُبُ

(٢) يمم قصد يقول: إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه بعطاياه وتفقده إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم ؛ وفى هذا المعنى يقول الأول :

نزلت عَلَى آل المهلب شــاتياً غريباً عن الأوطانِ فى زَمَنِ المحل
فما زالَ بى إكرامُهم وافتقــادُهم وإلطــافهم حتى حسِــبتهُم أهْلى

ويقول أبو تمام :

هُمُ رَهطُ مَنْ أمسى بعيداً رَهْطه وبنو أبى رَجُــل بغيرِ بَنى أبِ

(٣) يقول : إن أفعاله منعمة عقلا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له فى حالى رضاه وغضبه لا يخلو منها فى حال وكل من نظر إلى أفعاله استشف منها العقل والسداد وأصالة الرأى . والنادرة : الشىء النادر الغريب ، ورواها ابن جنى بادرة : أى بديهة .



إذا ضَرَبْتَ فى الحَرْبِ بالسَّـيفِ كَفَّهُ
تَبيَّنْتَ أنَّ السَّـيفَ بالكَفِّ يَضْرِبُ[(١)]

تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللّبثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحابِ فَتَنْضَبُ[(٢)]

أبَا المِسْكِ هَلْ فى الكَأْسِ فَضْلٌ أنالُهُ
فإنِّى أُغَنِّى مُنْذُ حِـينٍ وَتَشْرَبُ[(٣)]

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّىْ زَمَانِنَا وَنَفْسِى عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ[(٤)]

---

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فاذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره فى الوغى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لا أن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضى فى يد الضعيف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحترى :

فلا تُغْـلِيَنْ بالسَّـيفِ كل غَـلائِهِ
ليمضى فإنَّ الكف ـ لا السيفَ ـ يقطع[(١)]

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث فى الأرض وأقام حيناً نضب وذهب فى الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ واللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب فى الأرض .

(٣) يعرض المتنبى بتقاضى ما يؤمل . يقول : إنى أغنى منذ حين : أى أطربك بمديحى ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذ سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل فى الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقعه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجبه همتك ويقتضيه كرمك .

---

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشىء وأغلى به إذا اشتراه بثمن غال ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبعط وجاوز الحد .



إذا لَمْ تنطْ بى ضَيْعَةً أوْ وِلاَيَةً ... فَجُودُكَ يَكْسُونى وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ[(١)]

يُضَاحِكُ فى ذَا الْعِيدِ كُلٌّ حَبِيبَهُ ... حِذَائِى وَأَبْكِى مَنْ أُحِبُّ وَأنْدُبُ[(٢)]

أحِنُّ إلَى أهْلِى وَأهْوَى لِقَاءَهُمْ ... وَأيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ[(٣)]

فَإنْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ أبُو الْمِسْكِ أوْهُمُ ... فَإنَّكَ أحْلَى فى فُؤادِى وَأعْذَبُ[(٤)]

(١) ناط به كذا : أسنده إليه ؛ والضيعة : ما نسميه الآن « عزبة » . يقول : إذا لم تقطعنى ضيعة أو تفوض إلى ولاية فإن ما تكسونى إياه بجودك — أى ما يحدثه جودك من الآمال — تسلبنى إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال .

(٢) يقول : أرى كل الناس فى هذا العيد فرحين مبتهجين يضاحكون من يحبون أمامى ؛ أما أنا فعلى العكس منهم : أبكى من أحب وأندبه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عنى . يقصد المتنبى أن يغرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألاقى التى يلاقيها من جراء اغترابه .

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب ، وقيل : طائر ضخم ليس بالعقاب ؛ وقيل : كلمة لا أصل لها : كالغول ، وقال ابن الكلبى : كان لأهل الرس نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمخ ، مصعده فى السماء ميل فكان ينتابه طائرة كأعظم ما يكون ، لها عنق طويل ، وكانت تقع منقضة ، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبى فذهبت به ، فسميت عنقاء مغربا ، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية « وليدة » ترعرعت ، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم . فدعا عليها . فسلط الله عليها آفة فهلكت . فضربتها العرب مثلا فى أشعارها : يقولون ألوت به العنقاء المغرب ، وطارت به العنقاء : يريدون هلاكه أو ذهوبه إلى حيث لا يرجع . قال :

ولولا سليمان الخليفةُ حلّقت ... بهِ من يد الحجّاج عنقاء مُغرِبُ

ومغرب — من أغرب فى البلاد : ذهب وأبعد . يذكر المتنبى تشوقه إلى أهله ، وبعد ما بينه وبينهم . بحيث لا يرجو لقاءهم .

(٤) يقول : إنى أوثر لقاءك على لقائهم حين لا يتيسر لقاؤكما معاً لأنك أحب إلى منهم .



وَكُلُّ امْرِىءٍ يُولِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ[(١)]

يُرِيدُ بِكَ الْحُسَّادُ مَا اللهُ دَافِعٌ وَسُمْرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُذَرَّبُ[(٢)]

وَدُونَ الَّذِي يَبْغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطِّفْلُ أَشْيَبُ[(٣)]

إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيِّبُوا[(٤)]

---

(١) أولاه جميلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلى لما أسديت إلى من الجميل ، وطابت لى الإقامة بساحتك لما لقيت فيها من العز كما قال البحترى :

وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريمَ المطلب

ومعنى بيت المتنبي مبنى على ماذكره فى عجز البيت السابق .

(٢) والحديد المذرب : أى المحدد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد — يريد السيوف — يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم الرماح والسيوف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون — من التياث الأمر عليك — أهوال أى أهوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو هم تخلصوا منها إلى الموت لبقيت أنت وشابت أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد — من زوال ملكك وفساد أمرك — الموت وهو قوله مالو تخلصوا منه — أى الموت — أى أنهم يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة ما يرون وصعوبة مايلحقهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون مايريدون من السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطاياك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل مايقترحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاكه الله فإنهم لا يدركونه ، لأنه لا ينال بالاكتساب ، وإنما ذلك شىء آثرك الله به . وعبارة ابن جنى : إن راموا فضلك منعتهم منه . قال ابن فورجه — معقباً على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان



وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلاَكَ وَهَبْتَهَا ۝ وَلَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَالَيْسَ يُوهَبُ[(١)]

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ۝ لِمَنْ بَاتَ فى نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ[(٢)]

وَأَنْتَ الَّذِى رَبَّيْتَ ذَا المُلْكِ مُرْضَعاً ۝ وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلاَ أَبُ[(٣)]

وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ العَرِينِ لِشِبْلِهِ ۝ وَمَا لَكَ إِلاَّ الهِنْدُوَانِىَّ مِخْلَبُ[(٤)]

لَقِيتَ القَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ ۝ إِلَى المَوْتِ فى الهَيْجَا مِنَ العَارِ تَهْرُبُ[(٥)]

أن يمنع آخر من أن يكون فى مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبى على مالم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤتى من بخل وشح ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل فى هذا المعنى قول الأول :

وإن يقتسمْ مالي بَنِيَّ وَنِسْوَتِي ۝ فلن يَقسِموا خُلُقَ الكريمَ ولا فضلي

ولله قول أبى تمام :

فانفَح لنا من طِيبِ خِيمِكَ نفحةً ۝ إن كانتِ الأخلاقُ مما يُوهَبُ[(١)]

(٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون فى نعائك ، فما كان ينبغى لهم أن يحسدوك، لأن أشد الظالمين ظلما من تقلب فى نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو على بن الأخشيد صاحب مصر الذى رباه كافور بعد أبيه — يقول: أنت الذى ربيته وقمت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مرضع ، فكنت له أباً وكنت له أماً فقوله ربيت ذا الملك : أى صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبى وأنت الذى ربى لكان أحسن ، ولكنه قال ربيت كما قال كثير :

وأنتِ التى حبَّبت كل قصيرة ۝ إلىّ وما تدرى بذاك القصائر

(٤) يقول : وكنت لذى الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذى هو لك بمنزلة المخلب للأسد يحمى أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندوانى : السيف الهندى ، والمخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .

(٥) يقول . ذدت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرما

---

(١) الخيم : الخلق وقيل سعة الخلق ، والخيم الأصل

وقد يَترُكُ النَّفسَ الَّتِي لا تَهابُهُ ويَخْتَرِمُ النَّفسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ(١)

وما عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأساً وشِدَّةً ولكِنَّ مَنْ لاقَوْا أَشَدُّ وأَنْجَبُ(٢)

ثَناهُمْ وَبَرْقُ البِيضِ في البَيْضِ صادِقٌ

عَلَيهِمْ وبَرْقُ البَيْضِ في البِيضِ خُلَّبُ(٣)

سَلَلْتَ سُيُوفاً عَلَّمَتْ كُلَّ خاطِبٍ

عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيفَ يَدعُو ويَخْطُبُ(٤)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب فى الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتمتام « تختار » ذلك على الهزيمة . فالقنا : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقصر .

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع المقدام الذى لا يهابه ولا يباليه ، ويلقى بنفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهيابة الذى يهاب الموت ويخشاه . فالضمير فى يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك فى الحرب لم يعدموا بأساً وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأنجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لزفر ابن الحارث :

سقيناهُمُ كأساً سَقَوْنا بمِثلها ولكنهُمْ كانوا على الموْتِ أصبرَا

(٣) البيض-بالكسر- السيوف ، وبالفتح :جمع بيضة،وهى الخوذة من حديد.والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطر فيه يقول: لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تقرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر ، غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لأنها تقطع الجماجم فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ فى السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعبارة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض فى السيوف ، فشبه بالبرق الخلب الذى لا مطر فيه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : المنبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ماصنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم رغبة ورهبة . وقال بعض الشراح :



وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ ... إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ(١)
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ ... مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ(٢)
وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً ... لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ(٣)
وَتَعْذِلُنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهِمَّتِي ... كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ(٤)

يريد أن سيوفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك فى الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ، فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتناهى . يقول : إنك فى غنى عن الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لان المكرمات تتناهى إليك وتعزى ـ إذ كنت أصلا لها ـ إليك ؛ وحسبك هذا شرفا يغنيك محوده عن النسب . وليلحظ أن هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبي الداهية ، وقد يكون غير مقصود ، ومن هنا قال التبريزي : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سيما الملوك ، لانه أشبه بنفى النسب عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَائِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبُ ... تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ

وقوله عما ينسب الناس ، فالناس : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لانك فوق كل أحد . قال التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبي يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء .

(٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لأنى كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على رؤية القرد وكل ما يستملح ويضحك منه ! . قال ابن جنى : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على أن جعلت الرجل أبازنة ـ وهى كنية القرد ـ فضحك !

(٤) يقول : إن شعرى وهمتى يلومانى على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى عليك ، فكأنى أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلا لأن ألام . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَحِي ... سِوَاكَ بِآمَالِي فَجِئْتُكَ تَائِبَا

وقال الواحدى : المصراع الأول هجاء صريح لولا الثانى . قال الخطيب التبريزى :

وَلٰكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ
أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الكَلاَمِ وَيُنْهَبُ(١)

فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ
وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ(٢)

إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ
جِدَارٌ مُعَلًّى أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ(٣)

***

ليس فى البيت هجاء ومعناه أن همته عذلته كيف قنع بغيره ؛ والقوافى لم صرفها فى مدح غيره ؟ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ وماملا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريقى إليك ، فجبت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت فى غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعرى لذلك كأنه ينهب نهبا . يعتذر المتنبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامى حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبى تمام :

فغَرَّبْتُ حتى لم أجِدْ ذِكرَ مَشرِقٍ ... وشرَّقتُ حتى قدْ نسيتُ المغاربا

(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضر سكان المدر ، والبدو سكان الوبر . وهذا كقوله :

قوَافٍ إذا سِرْنَ مِنْ مِقوَلِى ... وَثبنَ الجبالَ وخُضْنَ البحارا



وقال يمدحه ، وأنشده إياها فى شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهى آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مُنًى كُنَّ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ[1]

---

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكن لى : وصف لمنى ؛ والمنى : جمع منية ؛ والقرون : ضفائر الشعر ، قالقيس:

وهل مالت عليك قرون ليلى كميل الأقحـــوانة فى نداها

يقول : إن مشيبى هذا وكون البياض خضابا لى يخفى به سواد شعرى منى كانت لى قديما : يعنى أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفى شبابه بابيضاض شعره لأنه أوقر وأجل فى العين . وجمع المنى نظرا إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضابا .

(هذا) . ولا علينا فى أن نورد هنا تحقيقاً نحويا للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب

* منى كن لى أن البياض خضاب *

قال العكبرى:

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسما معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان المخبر عنه مجهولا كان الخبر حقيقا باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسما معرفا أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض فى كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال فى تقدير زيد ذو مال ، فالمبتدأ الذى هو مال هو الخبر فى الحقيقة ، ولزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كن لى مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير المتكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كن لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء



. . . .

كأنه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شيبته بقوله ليالى عند البيض وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع فى قوله تعالى « قل بل ملة إبراهيم » وإذا قيل إن التمنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقيلة لأنها للتحقيق ، فهى أشبه باليقين ، وإنما يقع التمنى وما شاكله على أن الخفيفة لأنها تخلص الفعل للاستقبال ، فهى أشبه بالطمع والرجاء والتمنى من حيث تعلقت هذه المعانى بما يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر[1]

قيل لا يمتنع وقوع التمنى على أن الثقيلة ، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت وتمنيت بمعنى واحد . وفى التنزيل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كن وأن واسمها وخبرها نعت لها ، فتتعلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كن لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك فى أن مذهبان : فمذهب سيبويه والاخفش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان هذا مذهب سيبويه ومن معه فالمنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر مناى أنك ذاهب، فتنصب أكبر بتقديرفى ، وأنشد:

أحقًّا بَنِي أبناءِ سَلمَى بن جَندلٍ تهدُّدكم إيَّاىَ وَسْطَ المجالسِ[2]

---

(١) من أبيات للبيد قالها قرب وفاته وبعده

فقوما فقـــولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان عهداً ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع سببها فى الأغانى وفى خزانة الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيَالِيَ عِنْدَ الْبِيضِ فَوْدَاىَ فِتْنَةٌ ... وَفَخْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِيَ عَابُ(١)

فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ(٢)

جَلاَ اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ
كَمَا انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ(٣)

والمذهب الأخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف المتقدم حكاه عنه سيبويه قال : وزعم الخليل أن التهدد هنا بمنزلة الرحيل فى غد وأن أن بمنزلته وموضعها كموضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانبا الرأس ؛ والعاب : هو العيب . يقول : إن تمنى المشيب كان فى الليالى التى كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده، وكن يفخرن بوصلى ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندى ، لأنى ممن يعف عن النساء ويرغب عن وصالهن .

* والشَّيبُ أَوْقرُ والشَّبيبةُ أنزقُ *

وقوله ليالى : منصوب بفعل مضمر دل عليه منى كأنه قال تمنيت ذلك ليالى فوداى عند النساء فتنة وليالى مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح

(٢) يقول : فكيف أذم المشيب اليوم ، وقد كنت أتمناه وأشتهيه ؟ وكيف أدعو لنفسى وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعنى لا ينبغى أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سمت فى هذا سمت ابن الرومى فى قوله :

هِىَ الأَعْيُنُ النُّجْلُ التى كنت تَشْتَكِى ... مَوَاقِعَهَا فى القلبِ والرَّأْسُ أَسْوَدُ

فمالكَ تأسَى الآنَ لما رَأَيْتَهَا ... وقد جعلت مَرْمىً سواكَ تَعَمَّدُ

(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا . وانجاب : انكشف ، والضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يومنا : أى صعد فيه الضباب يقول : إن بياض الشيب كان

بعده ، وتجد فى الخزانة تحقيقا وافيا لهذا الموضوع الذى تعرض له الإمام العكبرى فراجعه إن شئت

وَفِى الْجِسْمِ نَفْسٌ لاَ تَشِيبُ بِشَيْبِهِ
وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ(١)

لَهَا ظُفُرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ
وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِى الْفَمِ نَابُ(٢)

يُغَيِّرُ مِنِّى الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهْىَ كَعَابُ(٣)

وَإِنِّى لَنَجْمٌ تَهْتَدِى بِى صُحْبَتِى
إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ(٤)

غَنِىٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لاَ يَسْتَفِزُّنِى
إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ(٥)

كأنه كامن فى السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك فى ضوئه .

(١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه، ولو أن الشعرات البيض فى وجهه كانت حرابا . والهاء فى قوله منه : للجسم .

(٢) يقول : إن كل ظفرى ولم يبق فى فمى ناب من الكبر ، فهمتى لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبرى : قوله أعده فى موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيبويه فى المضاعف الرفع فى موضع الجزم

(٣) غيرها استثناء ، والكعاب : الجارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسى شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمى .

(٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بى أصحابى وكنت لهم كالنجم الذى يهتدى به ، يريد أنه خريت خبير بالفلوات . والصحبة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، ويروى تهتدى صحبتى به .

(٥) يستفزنى : يستخفنى ويحركنى . يقول : إنى غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندى سواء ، فاذا غادرت وطنا لم يستخفنى حب الرجوع إليه .



وَعَنْ ذَمَلاَنِ الْعِيسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ وَإِلاَّ فَفِي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ[١]

وَأَصْدَى فَلاَ أُبْدِى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمُلاَتِ لُعَابُ[٢]

وَلِلسِّرِّ مِنِّى مَوْضِعٌ لاَ يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلاَ يُفْضِى إِلَيْهِ شَرَابُ[٣]

وَلِلْخَوْدِ مِنِّى سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا
فَلاَةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ[٤]

---

(١) الذملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إن سامحت به ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والعقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غنى كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنى كالعقاب : أجوب الفيافى دون أن أحتاج إلى مايحملنى

(٢) اليعملات : النياق النجيبة المتحملة المطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس :مايراه للسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش فى الفيافى الحارة التى يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدى حاجتى إلى الماء تصبرا وتجلداً وحزما،وهذا من قول أبى تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يكرَّ الطرْف شَزْراً إلى بعض الموارِدِ وَهْوَ صادى

(٣) النديم : الذى ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول: إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله فى البدن كما قال مسكين الدارمى :

يظلون شتى فى البلاد وسرهم إلى صخرة أعين الرجال انصداعها

وقد نظر المتنبى فى هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تغلغل حُبُّ عثمَةَ فى فؤادى وبادِيهِ مَع الخَالى يَسيرُ

تغلغل حَيثُ لم يَبلغ شرابٌ ولا حُـزْن ولم يبلغ سُرورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجاب : تقطع . يقول : إنما أصحب للرأة قدرا يسيرا ثم أسافر عنها ، فيكون بينى وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقائها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمعن فى الابتعاد .

وَمَا الْعِشْقُ إلاَّ غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ(١)
وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ(٢)
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا إلاَّ بِهِنَّ لِعَابُ(٣)
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ(٤)

---

(١) الغرة : الغرور . يقول : إن عشق النساء غروربهن وطمع فى وصلهن إذا وقعا فى قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويروى فتصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعى العشق تقع أولا فى القلب ، ثم تنقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يستهويها ويغلبها على رشدها .

(٢) الغوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التى ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام ألحاظهن إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبنانى ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الخمر بيدى . ويروى للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست ممن يلعب الشطرنج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القدح وأما الرخ فالبنان راكبة له فى حال حمله ، وأيضا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الغزل من اللعب بالشطرنج

(٣) اللعاب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعذارى ولعابها ؟ والتلعاب — بالفتح اللعب ، صيغة تدل على تكثير المصدر . ويقال رجل تلعابة — بكسر التاء — وتلعاب وتلعابة : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرماح : أى لا لذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهى ، وقصرها على الجد فى طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . وتروى خوادر — بالخاء المعجمة — أى كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادز — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكعاب : العقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح ونتقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلى :



أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِى الزَّمَانِ كِتَابُ[(١)]

وَبَحْرٌ أَبُو الِمسْكِ الخِضَمُّ الَّذِى لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبَابُ[(٢)]

تجَاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ[(٣)]

وكنتُ إذا ما الخيلُ شمّسها القنا لبيقاً بتصريفِ القناةِ بنانيا

هذا ورواية حوافر هى رواية ابن جنى ، وقد نقدها بعض الشراح بقوله : كيف يصفها بالحذر وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواذر أى تميل عن الطعن وتحذره بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تحيد عن الطعن . وقوله انقصفت فيهن من الطعن كعاب ، يجوز أن يكون فى أول ما طوعن عليها وهى فى غرة من الطعن فلما كثر الطعان عليها وألفته صارت تحذره وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد تحذر الطعن وتحيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطعن قليل وتسلم لحذرها من طعن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسابح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس هو أعز مكان لأنه يمتطى لطلب المعالى أو محاربة الاعداء لدفع شرهم ، أو للهرب من الضيم واحتمال الذل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه ولله قول القائل :

ما تطعمتُ لذة العيشِ حتى صرتُ فى وَحدتى لِكُتبى جليسا

(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم : الكثير الماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول . وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دعانى إلى عُمَرٍ جوده وقول العشيرة بحر خضم

وروى : وبحر أبى المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره : أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر ـ بالجر ـ عطفا على جليس: أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالغت فى حسن الثناء عليه استحق



وَغَالَبَهُ الأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ ... كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ[1]

وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا المِسْكِ بِذْلَةً ... إِذَا لَمْ تَصُنْ إِلاَّ الحَدِيدَ ثِيَابُ[2]

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحترى :

جل عن مذهبِ المديح فقد كا ... د يكون المديح فيــهِ هِجاء

وقال ابن جنى : هذا من المدح الذى كاد أن ينقلب ـ لإفراطه ـ هجوا ، وهذا ضد قول أبى نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعلموا ... عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحى القيوم » من العنوة » وهى القهر . يقول : وحاول الأعداء غلابه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا كالرقاب إذا غالبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول : وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الابدان شىء من الثياب إلا الحديد : أى إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعنى أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى الحرب بالدروع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وإذا تــكونُ كَتِيبةٌ ملمومةٌ ... شهباء يَخشَى الذائدون نِهالهـــا

كُنتَ المقدم غَيرَ لابِسِ جُنةٍ ... بالسيفِ تضرِب مُعلِماً أبطالها[1]

هذا ، وقد ذهب ابن جنى إلى غير ماأوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطعن لجعل الثياب كما ترى تصون الحديد . قال العروضى يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما المتنبى جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن الثياب إلا الحديد يعنى الدروع ، وإنما يريد النفى لانه المستثنى وأنشد بيت الكميت .

ومالِى إلا آلَ أحمدَ شيعة ... ومالِى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

---

(١) كتيبة ملمومة مجتمعة : وشهباء لما فيها من بياض السلاح والحديد ، ونهالها عطاشها ، والجنة ما وراءك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، ومعلما : حال . ورجل معلم إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أعلمها . وسيأتى شرح البيتين .



وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْراً وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابُ[١]
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْماً إِذَا قَضَى قَضَاءً مُلُوكُ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابُ[٢]
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقُدْهَا نَائِلٌ وَعِقَابُ[٣]
أَيَا أَسَداً فِى جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وَكَمْ أُسْدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ[٤]

ومعنى البيت : أكثر ما يلق هذا الممدوح فى الحرب باذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حمى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . فقوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمى ، والضراب:الضرب؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جنى : المعنى : أوسع ما يكون صدراً إذا تقدم فى أول الكتيبة يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جنى الرماة من أصحاب الممدوح ، وليس فى هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطعن من أصحابه فصدره واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد ــ كما قلنا ــ خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان فى مأزق متضايق فى الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدراً .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرون على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فمهما أبرم أمراً نفذ وإن غاضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطعه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همة الأسود ــ والأسد موصوف بعلو الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر : :

وكانوا كأنفِ الليثِ لا شَمَّ مَرغَماً ولا نالَ قط الصيدَ حتى يُعفِّرا[١]

---

(١) أى أنه لا يطعم إلا مما صاده بنفسه .



. . . .

وقد قال أبو تمـام :

إن الأسُودَ أسُـودَ الغابِ همتها ... يَوْمَ الـكريهةِ فى المسلوبِ لا السلبِ

ثم قال المتنبى ــ وأراد ما عداه من الملوك ــ : وكم من أسد دنىء النفس ساقط الهمة؟ أى كم من ملك يشبه الاسد فى قوة بطشه ولـكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة العـكبرى هنا كلمة فى المنادى أوردها لمناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردها لنفاستها ولأنا أخذنا على أنفسنا أن لا نغفل شيئا مما أورده جميع الشراح . قال العـكبرى : أيا أسداً : هو نداء منـكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لـكان أجود؛لأنه خصصه؛ والنـكرات إذا خصصت كان حكمها فى النداء كحـكم المفرد العلم : قال الله تعالى « ياجبال أوبى معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جعله عطفا على الجبال ، ومن نصبه ــ وهو المشهور ــ فله ثلاثة أوجه : الأول: أن يكون عطفا على موضع الجبال لأنها فى موضع نصب؛ الثانى: أن تـكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث: أن يكون مفعولا عطفا على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلا » ؛ واختلف البصريون وأصحابنا الـكوفيون فى المنادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم وموضعه النصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ، وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولا فى المعنى ولم نخفضه لئلا يشتبه بالمضاف إلى ياء المتـكلم ؛ ولم ننصبه لئلا يشبه مالا ينصرف فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برافع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبناه لأنا وجدنا أكثر الـكلام منصوبا فحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالا من غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى ــ وإن كان يجب فى الأصل أن يكون معربا ــ أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فـكذلك ما أشبهها من هذه الأوجه ، فوجب أن يكون مبنيا ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن الأصل فى قولك : يازيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن المنادى لما كان مخاطبا كان ينبغى أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال ياإياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم المنادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنيا ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنيناه على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لايخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الـكسر أو الضم ، بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الـكسر



وَيَا آخِذاً مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ[(١)]
لَنَا عِنْدَ هٰذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ وَقَدْ قَلَّ إعْتَابٌ وَطَالَ عِتَابُ[(٢)]
وَقَدْ تُحْدِثُ الأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً وَتَنْعَمِرُ الأَوْقَاتُ وَهْيَ يَبَابُ[(٣)]

لأنه كان يلتبس بالمضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقاً بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافا إلى النفس كان مكسوراً ، وإن كان مضافا إلى غيرها كان منصوباً ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالمضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه فى موضع نصب لأن تقدير يازيد أدعو زيداً ، وأنادى زيداً ، فلما قامت «يا» مقام أدعو : عملت عمله ، فدلت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمالة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثانى أن لام الجر تعلق بها نحو يالزيد ويالعمرو ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهى حرف جر ، فلو لم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترىء على أن ينقصك حقك ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحفك الأيام شيئا لمنعتك .

(٢) يلطه : يجحده ويمطل به ومنه قول يحيى بن يعمر فى رواية : أنشأت تلطها : أى تمنعها حقها من المهر ، ويروى تطلها وأصله لططت حقه إذا جودته وربما قالوا تلطيت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طاآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قالوا من اللعاع تلعيت[(١)] . ويقال ألطه على أى أعانه أو حمله على أن يلط حقى . يقال : مالك تعينه على لططه . وأعتبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يجحده ويماطل فى قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنعمر : مطاوع عمرت المكان : إذا صيرته عامراً آهلا ، واليباب : الخالى ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى المعاتب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحقهم منها سوء لنزولهم فى كنفك وجوارك وهذا خلاف عادتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

---

(١) اللعاع : هو الهندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلعى اللعاع : أكله

وَلاَ مُلْكَ إلاَّ أنتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وهْوَ قِرَابُ(١)

أرَى لِي بِقُرْبِي مِنكَ عَيْناً قَرِيرَةً وإنْ كَانَ قُرْباً بالبِعَادِ يُشَابُ(٢)

وَهَــلْ نَافِعِي أنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا

ودُونَ الَّذِي أمَّلتُ مِنْــكَ حِجَابُ(٣)

أُقِلُّ سَلاَمِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمُ وأسْكُتُ كَيْماَ لا يَكُونَ جَوَابُ(٤)

وَفي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَها وخِطَابُ(٥)

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف : يعنى إن أظفرتنى الأيام بمطلوبى لديك فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القراب : قراب السيف وهو غمده . يقول : إنما الملك فى الحقيقة والواقع هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك ، فهو بالقياس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قراب وأنت فيه السيف والمزية كلها للسيف لا للقراب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط . يقول : إن عينى قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لأنى بلغت ما كنت أود من لقائك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعاد ، لأنى لم أنل منك ما كنت أرجوه من الصنيعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وماأرجيه منك محجوب عنى ؟ وهذا كلام بديع يغزو المتنبى به — وبما بعده — الإشارة إلى مايتوقعه من كافور من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك أن تنصب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأن ترفعها على أنها لا تعمل، وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث تدركها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما يقول أمية ابن أبى الصلت :



وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ... ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ(١)
وَمَا شِئْتُ إِلاَّ أَنْ أُدِلَّ عَوَاذِلِي ... عَلَى أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابُ(٢)

أأذكرُ حاجَتِي أمْ قد كفانِي ... حِباؤكَ إنْ شِيمَتَكَ الحِباءُ(١)
إذا أثنى عَليكَ المرءُ يوْماً ... كفاهُ مِن تعرُّضِهِ الثناءُ

ويقول أبو تمام:

وإذا الجودُ كانَ عونِي عَلَى المرْ ... ءِ تقاضَيتُهُ بِترْكِ التقاضِي

ويقول أبو بكر الخوارزمي:

وإذا طَلبت إلى كريمٍ حاجَة ... فلِقاؤهُ يكفيك والتسليم
فإذا رآكَ مُسَلِّماً عَرَفَ الذى ... حَمَّلْتَهُ وكأنَّهُ ملزوم

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ماطلبته منك رشوة على حبي إياك ، لأن الحب الذى يطلب عليه ثواب ضعيف . فقوله ضعيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب فى البيت التالى . هذا : والرشوة ؛ بضم الراء، وفتحها ، وكسرها ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيبويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارتشى منه رشوة : إذا أخذها . قال المبرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لتزقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشى والمرتشى والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرشاء الذى يتوصل به إلى الماء ؛ فالراشى من يعطى الذى يعينه على الباطل ، والمرتشى : الآخذ ، والرائش : الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائى يلمننى على قصدى إليك أنى كنت مصيبا فى هواك ، وأنك تفضل على وتبلغنى ما أرجيه منك .

---

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به ، أو هو العطاء بلا من ولاجزاء ويروى حياؤك إن شيمتك الحياء .



وَأُعْلِمَ قَوْماً خالَفُونِى فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّى قَدْ ظَفِرْتُ وخابُوا(١)

جَرَى الْخُلْفُ إلاَّ فِيكَ أَنَّكَ واحِدٌ وأَنَّكَ لَيْثٌ والمُلُوكُ ذِئابُ(٢)

وأَنَّكَ إنْ قُويِسْتَ صَحَّفَ قارِىءٌ ذِئاباً ولَمْ يُخْطِىءْ فقالَ ذُبابُ(٣)

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وباطِلٌ ومَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذابُ(٤)

---

(١) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفونى وعمدوا إلى غيرك من الملوك أنى قد ظفرت بقصدى إليك ، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحترى :

وأَشْهدُ أنى فى اختيارِيكَ دُونَهم مُؤَدًّى إلى حَظِّى وَمُتبع رُشْدِى

والتشريق والتغريب فى البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة ، ولعله أراد به الحقيقة .

(٢) يقول : إن الخلاف جار فى كل شىء إلا فى أنك واحد ممتاز عن الأشكال ؛ وفى أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذئاب ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لو أن إجماعنا فى فضل سُؤْدَدِهِ فى الدينِ لم يَختلِف فى الأمةِ اثنان

ويقول البحترى :

وأرَى الناسَ مجمعين عَلَى فضلِكَ مِنْ بينِ سَيِّدٍ ومَسُودِ

فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتمال من الكاف فى قوله فيك .

(٣) يقول : إذا صحف القارىء لدى هذه المقايسة لفظ الذئاب — المذكورة فى البيت السابق — فقال وإنك ليث والملوك ذباب : لم يخطىء ولم يعد الصواب فى هذا التصحيف ، لأن من عداك من الملوك كذلك .

(٤) الكذاب : الكذب ، يقال كذب يكذب كذباً وكذبا وكذابا وكذابا . قال الشاعر :

فَصدَقتها وكَذَبتها والمرء ينفعه كِذابه

وأنشدوا :

نادت حليمة بالوَداع وآذنَت أهل الصفاء وودّعت بِكذاب

ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذبان



إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّذِى فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِراً ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابُ(١)

وَلٰكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَىَّ حَبِيبَةً ... فَمَا عَنْكَ لِى إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ(٢)

وكيذبان وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبذبان وكذبذب وكذبذب . قال الشاعر :

فإذا سَمِعْتَ بأننى قد بعتكم ... بوصال غانية فقل كُذُّبذُب(١)

والكذب : جمع كاذب ، مثل راكع وركع . قال أبو داود الرؤاسى :

مَتى يقُل تنفع الأقوام قولته ... إذا اضمحل حديث الكذب الولَعَهْ

أليس أقربَهُم خيراً وأبعدهم ... شراً وأسمحَهم كفاً لِمَن مُنِعَه

لا يَحْسد الناسَ فضلَ الله عندهمُ ... إذا تَشوهُ نفوسُ الحُسَّد الجَشِعه

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن بعضه يكون كذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبى تمام :

لما كرُمْتَ نَطقتُ فيك بِمنطِقٍ ... حَقٍّ فلم آثَمْ ولم أتحَوّب(١)

وَلو امْتدحتُ سِوَاكَ كنت مَتى يَضِقْ

عَنى له صِدْقُ المقالة أكذِب

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدى وكل أهل أهلى : أى لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجراً فى الأرض أنتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والتى انصبت عليها آمالى ، فإن

---

(١) الرواية قد بعته — يعنى جمله — وقبله :

قد طال إيضاعى المخدم لا أرى ... فى الناس مثلى فى معد يخطب

حتى تأوبت البيوت عشية ... فحططت عنه كوره يتثاءب

فإذا سمعت بأنى قد بعته الخ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أى يترك الحوب ، وهو الإثم ، كيتأثم : أى يترك الإثم .

ومرّ في صِباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناسَ من كِبَرِه فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَغِيرُ   أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبْ (١)
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ   وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعلَ الْعَرَبْ (٢)
كِلاَ الرَّجُلَيْنِ أُتِلَا قَتْلَهُ   فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ (٣)
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ   فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنَبْ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهابا إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالى ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جنى : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدإ محذوف . وقال : إن المعنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستغير : الذى يطلب الغارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعاه ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وباشر ، وغل : خان من الغلول : الخيانة فى المغانم ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جيده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انفرد بجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهكم والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل «كلا» كل ، خففت اللام وزيدت الألف للتثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فيهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فيهما إفراداً لفظيا وتثنية معنوية والألف فيهما كألف رحا

. . . .

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :

فى كِلْتَ رِجْليها سُلامَى زائدهْ ... كِلتاهما قد قُرِنَت بِواحــدَه[(١)]

فإفراده كلت يدل على أن كلتا تثنية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جراً ونصبا إذا أضيفت إلى الضمير ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما ، ومررت بكلتيهما ، فلو كانت الألف فى آخرها كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاها نحو رأيت عصاها ومررت برحاها . فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين: أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كلتا الجنتين آتت أكلها » وكقول جرير :

كِلا يومَىْ أُمامة يومُ صدٍّ ... وإن لم نأتهــا إلا لِماما

فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :

كلاهما حين جَد الجرىُ بينهما ... قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى[(٢)]

---

(١) قيل : إن هــذا البيت من رجز يصف به نعامة ، فضمير رجليها يرجع إلى النعامة ، والسلامى : عظم فى فرسن البعير وعظامه صغار طول أصبع أو أقل فى اليد والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنْزلة الحافر للفرس ، والضمير فى كلتاها : للرجلين ، والمصراع الثانى : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة: أى من السلاميات .

(٢) من أبيات للفرزدق فى جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عصيدة ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فخلعها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

ما كان ذنب التى أقبلت تعتلها ... حتى اقتحمت بها أسكفة الباب

كلاهما . . . . .

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها ... دون القلوص ودون البكر والناب

تعتلها : تجذبها جذبا عنيفا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفى رواية : ما بال لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة البـاب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ، وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلعا : أى أقلعا

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتبي (*) :

مَا أَنصفَ القَوْمُ ضَبَّهْ . وَأُمَّهُ الطُّرْطُبَّهْ (١)

فقال : قد أقلعا حملا على المعنى ـ وقال رابى حملا على اللفظ ـ وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظيا أنك تضيفهما إلى التثنية . فتقول : جاءنى كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلتا فى المضمر والمظهر ، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى التثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تمال فى قراءة حمزة والكسائى . وإذا أردت التوسع فى هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب * كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجى الذى نجم فى بنى كلاب وهو المشار إليه فى القصيدة التى مدح بها دلير بن لشكروز بالكوفة ـ وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوما من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته ـ أم ضبة ـ وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب فى جماعة من أشراف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يجاهر بشتمهم ، فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبى إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها ـ أقول : ولولا أن يقال إننا تصرفنا فى الديوان وأن هذا الديوان أدركه الخداج ـ إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبى فيسىء الناس بنا الظن ـ لما أثبتنا هذه الأبيات التى ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر :

لَيسَتْ بِقَتَّاتةٍ سَبَهْلَلَةٍ ولا بِطُرْطُبَّةٍ لَها هُلُبُ (١)

عن الجرى ؛ ورابى من الربو وهو النفس العالى المتتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالها كفرسين جدا فى الجرى ووقفا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) القتاتة النموم من القت وهو النميمة والكذب المهيأ ، ويقال للفارغ النشيط الفرح سبهللا ، وروى عن عمر أنه قال ، إنى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة . وكل فارغ سبهلل ، والهلب ما غلظ من الشعر .



رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاكُوا الْأُمَّ غُلُبَّهْ[١]
فَلَا بِمَنْ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا بِمَنْ نِيكَ رَغْبَهْ[٢]
وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا مَحَبَّهْ[٣]
وَحِيلَةً لَكَ حَتَّى عُذِرْتَ لَوْ كُنْتَ تِيبَهْ[٤]
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَهْ[٥]
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْغَدْرِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّهْ[٦]
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَارِ إِنَّ أُمَّكَ قَحْبَهْ[٧]
وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنَ كَلْبَهْ
مَا ضَرَّهَا مَنْ أَتَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُلْبَهْ

---

(١) يقال باك الحمار الأتان : نزا عليها ، والغلبة : الغالبة جعلهم كالحمير فى غشيانها بفحش .

(٢) يقول : فلا فخر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإنما قلت ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من القتل والعار لا محبة لك وغيرة عليك . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالشماتة ، وليلحظ أن ضبة هذا من النباء بحيث لم ير للتنبي بدا من أن يسلك معه هذا المسلك ، فقد صرح باسمه . . . وأيضاً كان يكفى أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة ، ولا يقول بعد ذلك : وإنما قلت رحمة لا محبة .

(٤) تيبه بكسر التاء ـ مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبالى وا كترث ، وتروى لو كنت تنبه . أى تفطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما ألم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و (٦) و (٧) مافى الأبيات الثلاثة استفهام إنكارى ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقحبة : البغى ، والفاسدة الفاجرة. وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أبيك عار، إنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها ، والغدر سبة تسب به ، فما عليك منه ؟ولا عار عليك من فجور أمك .

وَلَمْ يَنِكْهَا وَلَكِنْ عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّهْ(١)
يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٌ وَلاَ يَلُومُونَ قَلْبَهْ
وَقَلْبُهُ يَتَشَهَّى وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهْ
لَوْ أَبْصَرَ الْجِذْعَ شَيْئاً أَحَبَّ فِى الْجِذْعِ صَلْبَهْ(٢)
يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْساً وَأَلْيَنَ النَّاسِ رُكْبَهْ(٣)
وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلاً فِى أَخْبَثِ الأَرْضِ تُرْبَهْ
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمًّا تَبِيعُ أَلْفاً بِحَبَّهْ
كُلُّ الْفُعُولِ سِهَامٌ لِمَرْيَمٍ وَهْيَ جَعْبَهْ(٤)
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّا ءُ مِنْ لِقَاءِ الأَطِبَّهْ(٥)
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَهْ(٦)
يَا قَاتِلاً كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَهْ(٧)

---

(١) العجان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه .

(٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لحبه ذلك يحب أن يكون مصلوباً فى ذلك الجذع.

(٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملست ركبته لكثرة البروك عليها.

(٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، جعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام.

(٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يعب به . يهون عليه ما ينسبه به من الأمر القبيح استجهالا له .

(٦) الهلوك : البغى الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالحرة المخطوبة إلى أهلها لافرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .

(٧) غناه : هو غناؤه ، فقصره : أى يكفيه ضيح وعلبة ، والضيح : اللبن الممزوج بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراه ؛ ولو كان هذا الضيف صعلوكا : يكتفى بقليل من الضيح فى علبة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو كان صعلوكا لامال معه يطمع فيه

وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَهْ(١)
كَذَا خُلِقْتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُغَالِبُ رَبَّهْ(٢)
وَمَنْ يُبَالِي بِذَمٍّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهْ
أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَهْ(٣)
عَلَى نِسَائِكَ تَجْلُو فُعُولَهَا مُنْذُ سَنْبَهْ(٤)
وَهُنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرْ نَ وَالْأُحَيْرَاحُ رَطْبَهْ(٥)
وَكُلُّ غُرْمُولِ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدْنَ قُنْبَهْ(٦)
فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَّفَ عُجْبَهْ(٧)
وَإِنْ يَخُنْكَ لَعَمْرِي لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهْ(٨)
وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنْتَ رُعْبَهْ(٩)

---

(١) وخوف : عطف على قاتلا – فى البيت السابق – أى ويا خوف كل رفيق الخ . يقول : هو من الغدر بحيث إذا باتيه رفيق فى السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .

(٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على الغدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله الله عليه لا يستطيع الناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يغالب .

(٣) و (٤) السربة : الجماعة من الخيل ، وفعولها : كناية عن غرمولها . والسنبه : الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراح : تصغير أحراح — جمع حر ، وأصله حرح — الفرج

(٦) القنب : وعاء القضيب من ذوات الحافر .

(٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : اسأل فؤادك ياضبة أين ترك ماكان فيه من العجب والكبر ؟ يعنى حين اختبأ وامتنع منهم بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم.

(٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك — أى خذلك فى هذا الموقف فلم يطاوعك على الإقدام علينا خوفا ورعبا — فلست أول من خانه قلبـــه ، لأنه تعود خيانة أصحابه .

مَا كُنْتَ إلاَّ ذُبَاباً   نَفَتْكَ عَنَّا مِـذَبَّهْ(١)

وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهاً   فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ

وَإنْ بَعُدْنَا قَلِيـلاً   حَمَلْتَ رُمْحاً وَحَرْبَهْ(٢)

وَقُلْتَ لَيْتَ بِكَفِّي   عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ(٣)

إنْ أوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي   فَإنَّهَا دَارُ غُرْبَهْ(٤)

أوْ آنَسَتْكَ الْمَخَازِي   فَإنَّهَا لَكَ نِسْـبَهْ(٥)

وَإنْ عَرَفْتَ مُرَادِي   تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَهْ(٦)

وَإنْ جَهِلْتَ مُرَادِي   فَإنَّهُ بِكَ أشْـبَهْ(٧)

---

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جبنا ما كنت إلا ذباباً طردناه بمذبتنا فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير فى عنه وفى فيه : يرجع إلى العجب : يعنى كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالذباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .

(٢) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهـذا مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنِّزَالاَ

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الخيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبه: الطويلة.

(٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالى فلا بدع فى ذلك ، لأنك غريب عنها، أما المخازى فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرابة .

(٦) يقول : إن مرادى أن أنبه إلى ما فيك من الغدر والشح ، فإن عرفت مرادى هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعت من خلالك وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من هجائك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت أنه هجاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست ممن يفهم .



وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِعَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

آخِرُ مَا الْمَلْكُ مُعَزًّى بِهِ هٰـــذَ الَّذِى أَثَّرَ فِى قَلْبِهِ (١)
لاَ جَزَعاً بَلْ أَنَفاً شَـــابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَصْبِهِ (٢)
لَوْ دَرَتِ الدُّنيا بِمَا عِنْدَهُ لاَسْـــتَحْيَتِ الأَيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ (٣)
لَعَلَّهَا تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِى لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ (٤)
وَأَنَّ مَنْ بَغْـــدَادُ دَارٌ لَهُ لَيْسَ مُقِيماً فِى ذَرَى عَضْبِهِ (٥)
وَأَنَّ جَـــدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ (٦)

---

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشىء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .

(٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحمية والاستنكاف ، وشابه خالطه . يقول : لم يؤثر هذا الحادث فى قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحمية والأنفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعز عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لشىء من أسبابه . وقددل البيت التالى على ذلك.

(٤) يعتذر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت فى بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسطت عليها .

(٥) الذرى : الكنف ، والعضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمتك لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت فى غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجترأت عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد المرء ــ بالحاء ــ فيكون المعنى أن حريمه وطنه ، فمن لم يكن مستوطنا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطُنَ أَعْدَاؤُهُ فَيُجْفِلُوا خَوْفاً إلَى قُرْبِهِ[١]
لابُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لاَ تَقْلِبُ الْمُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ[٢]
يَنْسَى بِهَا ما كَانَ مِنْ عُجْبِهِ وَما أَذَاقَ الْمَوْتُ مِنْ كَرْبِهِ[٣]
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَالا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ[٤]
تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنا عَلَى زَمانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ[٥]

---

(١) أجفل : أسرع فى الهرب ، يقول : إنى أخاف ـ إذ قلت هذا ـ أن تفطن أعداؤه إلى أن الأيام لا ترزأ كل من كان فى حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم فى ذمته واشتمالهم بعزه .

(٢) يقول : لا بد للانسان من اضطجاع فى القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن ـ بدل لا ـ لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأبيد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان بتلك الضجعة تيهه وإعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى بتلك الضجعة كل ما لاقاه فى حياته وفى مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلابد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لابد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

أَلا يا ابنَ الّذين فنُوا وبادوا أما واللهِ ما بادوا لتبقَى

وأصله قول متمم بن نويرة :

فَعَدَدْتُ آبائى إلى عِرقِ الثرى فدعوتهم فعلمتُ أن لم يسمعوا
ولقد عَلِمْتُ ولا محالة أننى لِلحادثات فهل ترانى أجْزعُ ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزيه عن أبيه : «أما بعد» فإنا أناس من أهل الآخرة ، أسكنا فى الدنيا أمواتاً آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها مما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد فسر ذلك فى البيت التالى ؛ قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها إلى أما كنها .

فَهٰذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ ... وَهٰذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ(١)
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فى مُنْتَهَى ... حُسْنِ الَّذِى يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ(٢)
لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فى شَرْقِهِ ... فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فى غَرْبِهِ(٣)
يَمُوتُ رَاعِى الضَّأْنِ فى جَهْلِهِ ... مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فى طِبِّهِ(٤)
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ ... وَزَادَ فى الْأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ(٥)
وَغَايَةُ الْمُفْرِطِ فى سِلْمِهِ ... كَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فى حَرْبِهِ(٦)

---

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف ـ هو الروح ـ وجوهر كثيف ـ هو البدن ـ فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؟ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه ، لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبى حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق المستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً فى كل معنى من معانى الحياة فتقول : لو فكر الحريص المتهالك على جمع المال فى منتهى ذلك وأن مصير هذا المال إلى الزوال أو أنه مائت عنه لا محاله : لما تهالك على جمعه ، وهلم . قال العكبرى: وهو من قول الحكيم : النظر فى عواقب الأشياء يزيد فى حقائقها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل ، معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهى إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك فى غروبها .

(٤) قوله: فى جهله وفى طبه ، حالان . يقول: إن الموت حتم على رقاب العباد لاينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلا أم جاهلا . فيموت الراعى الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعى الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمن على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لعلمه وتقديره لضروب الأدواء وارتباط الأسباب بالمسببات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثير الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ فى السلم والمودة كمن بالغ فى الحرب والمعاداة والتحرش بالخطر

فَلاَ قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فُؤَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ[١]
أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ[٢]
وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِى سَبِّهِ[٣]
يُرِيدُ مِنْ حُبِّ ٱلْعُلَى عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ ٱلْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ[٤]
يَحْسَبُهُ دَافِنُهُ وَحْدَهُ وَمَجْدُهُ فِى ٱلْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ[٥]
وَيُظْهِرُ ٱلتَّذْكِيرُ فِى ذِكْرِهِ وَيَسْتُرُ ٱلتَّأْنِيثُ فِى حُجْبِهِ[٦]

كلاهما إلى الموت . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقى أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفرط بتشديد الراء : قصر . وفى الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يرهب الموت ، يعنى إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ يحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهيابة الجبان . والضمير فى رعبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من المدح الذى يشبه الذم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أى لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعنى المرثية عمة عضد الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف فى سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب المعالى لا لحب العيش : فالضمير فى عيشه : للمرثى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذى يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التى هى أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها فى حجبها وخدرها أنثى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما مما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومساعيها — من طلب المعالى وإيثار المعروف وإغاثة الملهوف — فهنالك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هى من شيم الرجال .



أُخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبِّهِ[١]
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لُبِّهِ[٢]
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَأَنَّهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ[٣]
فَخْراً لِدَهْرٍ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ[٤]
إِنَّ الْأَسَى الْقِرْنُ فَلَا تُحْيِهِ وَسَيْفُكَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْبِهِ[٥]

---

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أجيبيه ، يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للرماح أجيبيه : أى يدعو الجيش فيجيبه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا:لب الجيش . يعنى أنه يجيب الصارخ ويغيث المستغيث .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لهما المثل بالقلب واللب — أى العقل — فجعل اللب مثلاله والقلب مثلا لأبيه ، والقلب ، وإن كان أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذق المتنبى ماجرأ على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين لآبائه ، وليسوا يزين له هو ، لاستغنائه بمزية علائه عن أن يتزين بأبنائه : يعنى أنأبناءك يزينون آباءك كما يزين النور القضب .

(٤) فخراً : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛ كما فى قولهم: تباً لزيد ؛ والمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول : ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفخر أبوك الذى صار منجباً بكونك من عقبه .

(٥) الأسى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك وماثلك فى السن أو القوة والشجاعة ؛ ونبا السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإعانته على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نابيا كليلا . أى لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنَّ بَدْرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْمَفْقُودُ مِنْ شُهْبِهِ (١)

حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا تَحَمَّلَ السَّائِرُ فِي كُتْبِهِ (٢)

وَقَدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَنْ سَحْبِهِ (٣)

يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (٤)

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ (٥)

إِيمَا لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ إِيمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ (٦)

---

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغى أن تغتم لفقد أحدهم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذى حمل إليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضعف عن حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة ، وإنما أراد تسكينه فتوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حملت الثقيل من الأمور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل الثقل إذا عجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال عتاب بن ورقاء :

وَجَرَّهُ إِذْ كَلَّ عَنْ حَمْلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَتْفِهِ عَلَى شَفَا

والمعنى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الخوف والجزع ، والثلب ، الذم — ثلبه : ذمه وعابه . يقول : إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إيما : لغة فى إما . يقول : يفعل ذلك إما إبقاءً على فضله لئلا يضيع فضله بالجزع ، وإما لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .



وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ ... سِوَاكَ يَا فَرْداً بِلاَ مُشْبِهِ [١]

وقال فى صباه يهجو القاضى الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ٱبْناً لِغَيْرِ أَبٍ ... ثُمَّ ٱمْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ

سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ ٱلْيَوْمَ تَسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ ٱلْعَقْلِ لا الذَّهَبِ [٢]

مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ ... يَا أَيُّهَا ٱللَّقَبُ ٱلْمُلْقَى عَلَى ٱللَّقَبِ [٣]

---

(١) يقول : لم أعن بقولى : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذى لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر فى الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .

(٢) هذا البيت جواب لما فى البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أى أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أى إنما قيل لك الذهبي لذهاب عقلك .

(٣) ويك : هى ويلك ، حذفت اللام لكثرة الاستعمال . يقول : إن الذى لقبت به هو ملقب بك : أى أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملقى على لقب — أى على عار وخزى — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التى أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغير ... أسير المنايا سريع العطب



وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائى ، وقد كان أبو الطيب نزل به فى أرض حِسْمَى مُنصرَفَه من مصر ؛ فاستغوى وردان عبيد أبى الطيب ، فجعلوا يسرقون له من أمتعته ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه :

لَحَا اللهُ وَرْدَانًا وَأُمًّا أَتَتْ بِهِ
لَهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثَعْلَبِ (١)

فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ (٢)

إِذَا كَسَبَ الإِنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ
فَيَا لُؤْمَ إِنْسَانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ (٣)

أَهَذَا اللَّذَيَّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ
هُمَا الطَّالِبَانِ الرِّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ (٤)

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهى دويبة كريهة الريح . تألف الأماكن القذرة فى البيوت ـ ولاتفاق الاسمين جعله كالخنزير فى أكل العذرة ، ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب، أنه ناتىء الوجه . فوجهه كخرطوم الثعلب ، وهو أنفه وفمه ؛ ولحاه الله . قبحه ولعنه .

(٢) يقول : إن غدره بى دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعنى أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لا عن كلالة ؛ وأحسن من هذا مارواه ابن جنى .

* على أنه فيه من الأم بالأب *

أى أن غدره بى دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) الهن : الفرج ـ قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول ـ تجاهلا واستهزاء ـ : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان ـ



لَقَدْ كُنتُ أَنفِي الْغَــدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّءٍ
فَلاَ تَعْذِلاَنِي رُبَّ صِــدْقٍ مُكَذَّبِ (١)

هذه الحشرة الحقيرة القذرة ؟ ـ ثم قال : هو وهى يلتمسان الرزق من شر مطلب : هى تطلبه من الحشوش ـ أماكن العذرة ـ وهو يطلبه من هن عرسه . واللذيا : تصغير الذى

(٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تغدر وأن آباءهم ليسوا بغدارين ، فلا تلومانى إن قلت: إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذى يدعى إليه من طيء . وقوله: رب صدق مكذب : يعنى أنه كان صادقا فى نفى الغدر عن طيء وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .



قافيـة التـاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأى خَـــلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا
فـكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تجَـلَّتِ[1]

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، ويقال : فى الدعاء للميت : اللهم اسدد خلته : أى الثلمة التى ترك . وأصله من التخلل بين الشيئين . قال الأصمعى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الخلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الخلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرقة . ورجل مخل ومختل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإنْ أتاهُ خَليل يَومَ مسْغبَةٍ — يقول لا غائِبُ مالى ولا حَرِمُ

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المختل الحال ، والحرم : الممنوع ، وقوله :من جيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه.وقوله : فـكانت قذى عينيه : أبرع كلة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انـكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشْكرُ عَمْراً ما تَراخَتْ مَنيّتى — أيادِىَ لم تُمــنَنْ وَإنْ هى جَلت
فتى غيرُ محجُوبِ الغنى عن صديقه — ولا مُظهِرُ الشـكوى إذا النّعل زَلت[1]

قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوما ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً ــ وهذا هو مغزى قوله : ※ رأى خلتى من حيث يخفى مكانها ※ فدعى وكيله وقال

---

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تـكرار الفعل وتأكيده ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزالق الدهر فلا يجد مركباً بقيه مصرع السوء .



وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالا :

لَنَا مَلِكٌ لا يَطْعَمُ النَّوْمَ هَمُّهُ   مَمَاتٌ لِحَيٍّ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتِ[1]

وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْذَى بِشَيْءٍ جُفُونُهُ   إِذَا مَا رَأَتْهُ خَـلَّةٌ بِكَ فَرَّتِ[2]

جَزَى اللهُ عَـنِّى سَيْفَ دَوْلَةِ هاشِمٍ   فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَيْفِى وَدَوْلَتِى[3] .

وقال فى صباه عند وداعه بعض الأمراء :

أَنْصُرْ بِجُودِكَ أَلْفَـــاظًا تَرَكْتُ بِهَا

فى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا[4]

اقترض لنا مالا ، فقال: هيهات ، مايعطينا التجار شيئاً . قال: فأرهنهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم ، فوجه بها إليه مع تخت ثياب فقال هذه الأبيات .

(١) همه : مبتدأ ، ومماث : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما همه الحرب والجود ؛ فيميت بقتاله الأعداء ، ويحيى بنواله الأولياء .

(٢) هذا كالرد على قوله : فكانت قذى عينيه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أى يتأذى بشىء — فمتى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أى أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئا يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أى جزاه عنى كل خير ، ونداه : أى جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مغرق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أى واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْر الرداء إذا تبسم ضاحكا   غَلقتْ لِضحْكته رقاب المال

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلا. قال الجوهرى : الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أى صرفه وأذله ، وكبته : أى صرعه لوجهه . وفى القرآن الكريم « كبتوا كما كبت الذين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كبتوا أى غيظوا وأحزنوا يوم الخندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلِي ... وَذَا الوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلاً لِمَا شِيتَا(١)

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدى :

فَدَتْكَ الخَيْلُ وَهْيَ مُسَوَّمَاتُ ... وبِيضُ الهِنْدِ وَهْيَ مُجَرَّدَاتُ(٢)

وَصَفْتُكَ فى قَوَافٍ سَائِرَاتٍ ... وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتُ(٣)

أفَاعِيلُ الوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهْمٌ ... وَفِعْلُكَ فى فِعَالِهِمِ شِيَاتُ(٤)

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، فقلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكأن الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر بعطاياك قصائدى التى مدحتك بها والتى غاظت أعداءك فى الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أى انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالى عنك ، وهذا وقت وداعى إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلا للمدح ، أو تمنع وتحرم فتكون أهلا للذم . وهذا كقول أحمد بن أبى فنن :

حَانَ الرحيلُ فقدْ أَوْليتنا حَسَناً ... والآن أحْوَجَ ما كنا إلى زادِ

(٢) مسومات : معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الخيل والسيوف فى الحرب حتى تفنى هى وتبقى أنت ، إذ يبقى الخير لنا مابقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير القوافى ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصفتك بقصائد كثيرة ، بيد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أحط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدهم : السود ، والشيات : جمع شية ، وهى لون يخالف بقيــة لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال النـاس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود : أو هى — أفعالهم — تتزين بفعلك تزين الأدهم بالغرة والتحجيل — كما يقول أبو تمـام :

قَوْمٌ إذا اسْوَدَّ الزمان توضَّحُوا ... فيه وَغُودِرَ وَهْوَ منهم أبلقُ



وقال يمدح أبا أيوبَ أحمدَ بن عمران :

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا[1]
أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي بَشَراً رَأَيْتُ أَرَقَّ مِنْ عَبَرَاتِهَا[2]
يَسْتَاقُ عِيسَهُمُ أَنِينِي خَلْفَهَا تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِهَا[3]
وَكَأَنَّهَا شَجَرٌ بَدَتْ لَكِنَّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا[4]

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالى صُوِّرَت لغدَت أفعالُه الغرُّ فى آذانها شَنفا[1]

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ محذوف : أى الذى أشتاقه أو أصفه مثلا ، وذواتها : صواحباتها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عينى وعلى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عنى .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للسير ، فكان بصرى إذا وقع علىَّ بشرته رأى شيئا أرق وألطف من دموع المقلة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهن عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمى : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيته لطول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنينى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفراتى أصوات الحداة تزجرها لتسرع ، فسائقها ـ على الحقيقة ـ أنينى وزفراتى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

---

(١) الشنف كفلس — وحركه ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن



لاَ سِرْتِ مِنْ إِبِلٍ لَوَ أَنِّى فَوْقَهَا   لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَدْمَعَىَّ سِمَاتِهَا[1]
وَحَمَلْتُ مَا حُمِّلْتِ مِنْ هَذِى المَهَا   وَحَمَلْتِ مَا حُمِّلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا[2]
إِنِّى عَلَى شَغَفِى بِمَا فِى خُمْرِهَا   لَأَعِفُّ عَمَّا فِى سَرَاوِيلاَتِهَا[3]

يقول : كأن هذه الإبل شجر ، يد أنى جنيت الموت من ثمراتها ، لأنها كانت سبب فراق أحبته ، وروى ابن جنى : بلوت المر من ثمراتها . وبلوت : اختبرت وذقت وهذا من قول أبى نواس :

لا أذودُ الطيرعن شَجر   قد بلوتُ المُـر مِن ثمره

(١) لا سرت : دعاء ؛ ومن إبل . تمييز : وقوله لمحت : من المحو ؛ واللام : جواب لو . والمدامع فى الأصل : مجرى الدمع من العين ، والمراد بها هنا : الدموع والسمات : جمع سمة ، وهى أثر الكى على الجلد . يدعو على الإبل أن لا تسير لأنها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكانت حرارة دمعى تمحو آثار وسمها ، وقوله : لو انى : حرك الواو الساكنة من لو بحركة الهمزة وحذفها وهو كثير مستعمل فى كلامهم

(٢) المها : بقر الوحش ، والمراد : النساء المشبهات بالمها لحسن عيونهن . وهذا دعاء أيضاً . يدعو أن يكون حاملا ما حملته هذه الإبل من الحبائب ، وأن تحمل الإبل ما حمله هو من حسرات فراقهن .

(٣) الخمر : جمع خمار . وهو ما تغطى به المرأة رأسها . والسراويلات : جمع سراويل ، فارسى معرب ، وهو ذلك اللباس الذى يستر النصف الأسفل من الجسم . وقال سيبويه : سراويل واحدة ، وهى أعجمية عربت ، فأشبهت من كلامهم مالاينصرف فى معرفة ولا نكرة ، فهى مصروفة فى النكرة ، وإن سميت بها رجلا لم تصرفها ، وكذلك إن حقرتها اسم رجل ، لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق؛ومن النحويين من لايصرفها فى النكرة . ويزعم أنها جمع سروال وسروالة ، وينشد :

عَليه منَ اللؤم سِرْوَالة   فليس يَرِقُّ لِمُسْتَعْطِفِ[1]

---

(١) قيل: إنهذا البيت مصنوع وقيل قائله مجهول : قال السيرافى : سروالة : لغة فى السراويل . وقوله من اللؤم : كان فى الأصل صفة لسروالة . فلما قدم عليه صار حالا منه واللؤم : شح النفس ودناءة الآباء .



وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأُبُوَّ ... ةَ فِيَّ كُلُّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِهَا[1]

ويحتج فى ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف الثور الوحشى :

أَتَى دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كأنه ... فتًى فارسِيٌّ فى سراويلَ رَامِحُ[2]

قال الصاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون المآزر تنزيها لألفاظها عما يستشنع ؛ حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع ... إلى التصريح ... وكثير من العهر عندى أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الصاحب على المتنبى ... ، وإنما قال المتنبى عما فى سرابيلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمى . يريد المتنبى : إنى مع حبى لو جهين أعف عن أبدانهن ، ومثله لنفطويه — أحد أئمة النحو وتلميذ ثعلب — :

أهْوَى النساء وأهوَى أن أجالسها ... وليس لى فى خَنا ما بيننا وطَـــرُ

وما أروع قول العباس بن الأحنف :

لا يُضْمِرُ السوء إن طالَ الجلوسُ به ... عَفُّ الضمير ولكنْ فاسقُ النظرِ

(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول لترى ؛ وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والمروة والمروءة الإنسانية ، والأبوة هنا الأنفة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والخؤولة — وكان الأصمعى يروى قول أبى ذؤيب :

لو كان مِدحة حىّ أنشرت أحداً ... أحيى أبوّتك الشم الأماديح

وغيره يرويه .

* أحيا أباكن يا ليلَى الأماديحُ *

يقول : إن هذه المعانى تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لهن ، وقد زاد ذلك تبياناً فى البيت التالى .

---

(٢) الضمير فى دونها : لأتاه ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : الثور الوحشى : قال القالى : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر فى موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشى : ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشى من الشعر بالسراويل — وهو من لباس الفرس — ولذا شبهه بفتى فارسى ! وشبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلاثُ المَانِعَاتِي لَذَّتِي ... فى خَلْوَتِي لا الخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا[١]
وَمَطالِبٍ فِيهَا الهَلاكُ أَتَيْتُهَا ... ثَبْتَ الجَنَانِ كَأَنَّنِي لَمْ آتِهَا[٢]
وَمَقانِبٍ بِمَقَانِبٍ غادَرْتُهَا ... أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا[٣]
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الجِيَادِ كَأَنَّمَا ... أَيْدِى بَنِي عِمْرَانَ فى جَبَهَاتِهَا[٤]
أَلثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا ... فى ظَهْرِها وَالطَّعْنُ فى لَبَّاتِهَا[٥]

---

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هى التى تكفه عن لذاذته فى خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعنى أنه لو لم يكن للذة عواقب آثمة يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والمروءة والأنفة . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعا لا خوفا أقول : ولله شيخ المعرة إذ يقول : ـ وإن كان أعمـ

ولْتَفعلِ النفسُ الجميلَ لأنه ... خيرٌ وأفضلُ لا لِأجلِ ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبى هو هو على حاله لم يتغير كأنى لم آتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالى الأخطار .

(٣) المقانب : جمع مقنب ـ الطائفة من الخيل تجتمع للغارة ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبى فتركته قوتا للوحوش التى كانت قوتا له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب فى أكلهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أى المقانب التى أهلكها : يقال أقبلته الشىء : أى وجهته إليه وجعلته قبالته مما يليه ، والغرر : جمع غرة ، وهى البياض يكون فى وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم الممدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة فى جمع يد النعمة بالأيادى وفى يد العضو بالأيدى ، ولكن المتنبى وضع هذه مكان تلك فى موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع ـ فى قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التى أوصلتهم إلى أعدائهم وشفت صدورهم منهم كأنها أيدى بنى عمران المعتادة التقبيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أى جعلته يقبلها . وفى البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحذق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون فى ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم فى معمعة الحرب والطعن متتابع فى لباتها ،



الْعَـارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمُ ... وَالرَّاكِبِينَ جُدُودُهُمْ أُمَّاتِهَا[1]
فَكَأَنَّمَا نُتِجَتْ قِيَاماً تَحْتَهُمُ ... وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا[2]

وفروسة أى — أى حذقا — تمييز ، والثابتين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطعن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يثبتون فى ظهورها ثبوت الطعن ؛ والتقدير: كجلودها وكالطعن : واللبات جمع لبة ، وهى المنحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدوهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوتك وذهبا أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يعقل ، وتجمع للعاقل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدى : والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من نتائجهم تناسلت عندهم ، لجدود الممدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسياق الأبيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل الممدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : والذى عندى أنه يصف معرفتهم بالخيل ولا يعرفها إلا من طال مراسه لها ، والخيل تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ماوقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس ففى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد الممدوحين . والجياد تعم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا ... إذ تعرف العرب زجر الشاء والعكر

« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل » .

(١) نتجت — بالبناء للمجهول — ولدت ، قال الأزهرى: يقال نتجت الناقة إذا ولدت فهى منتوجة ؛ وأنتجت إذا حملت ، فهى نتوج ، ولا يقال منتج ، ونتجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناتج للإبل كالقابلة للنساء ، وعبارة الجوهرى فى الصحاح : نتجت الناقة على

إنَّ الكِرَامَ بِلاَ كِرَامٍ مِنْهُمُ ... مِثْلُ القُلُوبِ بِلاَ سُوَيْدَاوَاتِهَا[١]
تِلْكَ النُّفُوسُ الغَالِبَاتُ عَلَى العُلَى ... وَالمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا[٢]
سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الوَرَى ... بِيَدَىْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا[٣]

مالم يسم فاعله تنتج ، وقد نتجها أهلها : نتجا . قال الكميت :

وقال المذمِّرُ للناتجين ... مَتَى ذُمِّرَتْ قبليَ الأرْجُلُ[١]

والنتوج من الخيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أنتجت . وبعضهم يقول : نتجت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابى فقد قال نتجت الفرس والناقة : ولدت وأنتجت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله — ولم أسمع نتجت ولا أنتجت على صيغة فعل الفاعل . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الخيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجرى ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل .

(١) السويداوات جمع سويداء — حبة القلب — يقول . إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء الممدوحين كالقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : يعنى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحرزونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة فى بنى آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء الممدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك المنابت : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التى تحيى الأرض ، وجعل النبات يسقى المنابت على عكس العادة تفننا وإغرابا فى الصنعة . يقول : إن آباء الممدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيى مجدهم بجود هذا الممدوح الذى هو خير أبنائهم . ويروى بدل بيدى : بندى — بالنون — وعبارة ابن جنى : لا أزال الله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعطائه .

---

(١) المذمر : الذى يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى ؟ سمى بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذى يذمره المذمر . يقول الكميت : إن التذمير إنما هو فى الأعناق لا فى الأرجل .



لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا (١)
عَجَباً لَهُ حَفِظَ العِنَانَ بِأَنْمُلٍ مَا حِفْظُهَا الأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا (٢)
لَوْ مَرَّ يَرْكُضُ فِي سُطُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيمَاتِهَا (٣)
يَضَعُ السِّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلاً حَتَّى مِنَ الآذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا (٤)
تَكْبُو وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ قُرَّحٌ لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا (٥)

---

(١) يقول : لسنا نتعجب من كثرة عطاياه ومواهبه ، وإنما نتعجب كيف سلمت أمواله من بذله وتفريقه إلى وقت بذلها ؟ إذ ليس من عادته أن يمسك شيئاً .

(٢) العنان . سير اللجام ، ويروى : حفظ العنان : بإضافة حفظ إلى العنان ، والبيت في معنى البيت السابق : يتعجب منه كيف حفظ العنان بأنمل ماعادتها أن تحفظ الاشياء ؟ يريد أنه شجاع يكثر ركوب الخيل في الحرب ، وأنه جواد معطاء .

(٣) يصفه بالفروسية ، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد ؛ وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من سائر حروف المعجم .

(٤) مجاولا : من الجولان ، ويروى محاولا : من المحاولة . وهي الطلب والأخرات: جمع خرت ، وهو الثقب . يقول : إنه من الحذق في الطعن بحيث يضع رمحه في ثقب الأذن متى أراد .

(٥) القرح : جمع القارح من الخيل ، وهو ما أتى عليه خمس سنين ، وهو إذ ذاك يكون في جن نشاطه وقوته . والضمير في آلاتها : يعود إلى القرح : أي أن قوائمها لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقك ، وهذا مثل . يقول : إنك سبقت الناس في المكارم ، فإذا أراد فحولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك . ولك أن ترجع الضمير — من آلاتها — إلى وراء ، وهي مؤنثة أي ليست قوائمهن من آلات الجرى وراءك . وإليك عبارات الشراح ، قال ابن جنى : لو تبعتك هذه القرح لكبت وراءك ولم تحملها قوائمها لصعوبة مسالكك . وقال الواحدى: يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرح : أي أنها إذا تبعتك لم تغنها قوائمها فليست من آلاتها ، وهذا مثل ، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقك في مدى الكرم : عثروا وكبوا ولم يلحقوك ، والمعنى أن سبيلك في العلى يخفى على من تبعك فيعثر وإن

رِعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فى أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فى قَنَوَاتِهَا[1]

لاَ خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلاَّ عَارِفٌ بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِهَا[2]

كان قويا كالقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات ـ جمع قناة ـ الرمح . يقول : إن الارتعاد فى أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز فى رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمح منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبى تمام :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبرى أوردها لمناسبة قول المتنبى : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التى مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل فى الدار ، وتقديره: لامن رجل ، فلما حذفت «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات .وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحجتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير فى قولك : لارجل فى الدار ، أى لاأجد رجلا ، فاكتفوا بلا : من الفعل العامل، كقولك : إن قمت قمت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ،ووجه آخر:أن «لا» تكون بمعنى غير: كقولك زيد لاعاقل ولاجاهل :أى غير عاقل وغير جاهل، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما أعملوها النصب لأنهم لما أولوها بالنكرة ـ ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغيير . كما رفعوا المنادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغيير . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى



غَلِتَ الَّذِى حَسَبَ العُشُورَ بِآيَةٍ   تَرْتِيلُكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا[1]

كَرَمٌ تَبَيَّنَ فى كَلَامِكَ مَاثِلاً   وَيَبِينُ عِتْقُ الخَيْلِ فى أَصْوَاتِهَا[2]

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نِلْتَهُ   لاَ تَخْرُجُ الأَقْمَارُ عَنْ هالاَتِهَا[3]

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللمرأة هاتى بالياء وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . فقلبت الألف هاء .

(١) غلت : هو غلط ، يقال فى الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر ـ بفتح العين ـ الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل ؛ التبيين فى القراءة وبآية : متعلق بغلت ؛ وترتيلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلط وفاتته آية لم يعدها ، وهى ترتيلك للسور ، فإن هذا الترتيل معجزة فى الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات ينبغى أن تلحق بآيات التنزيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) ماثلا : ظاهرا : والعتق : الكرم ؛ وعتقت الفرس تعتق وعتقت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل معتاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجاها ، وفرس معتاق الوسيقة . قال الأصمعى : وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها . قال أبو المثلم يرثى صخرا :

حامِى الحقيقةِ نَسَّالِ الوديقةَ معتاقُ الوسيقةِ لا نِكْسٌ ولا وانى

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا صهل عرف عتقه بصهيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعيا الشىء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايله ،



لاَ نَعْذُلُ المَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ
أَنْتَ الرِّجَالَ وَشَائِقٌ عِلاَّتِهَا(١)

فَإِذَا نَوَتْ سَفَراً إِلَيْكَ سَبَقْنَهَا فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالاَتِهَا(٢)

وَمَنَازِلُ الْحُمَّى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا ما عُذْرُهَا فى تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا(٣)

أَعْجَبْتَهَا شَرَفاً فَطَالَ وُقُوفُهَا لِتَأَمُّلِ الأَعْضَاءِ لاَ لِأَذَاتِهَا(٤)

كما أن القمر لا يزايل هالته . قال الشراح : وجمع القمر — وإن كان فى المعنى واحداً — باعتبار ظهوره فى كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حمله على الشوق،وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاتها . يقول : لانلوم المرض الذى ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاتها : يعنى أن المرض الذى بك لا يلام على إلمامه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاتها أيضاً ، فهى تزورك مثلهم وتنتقل إليك عنهم شوقا إليك . قال العكبرى : وقد كان الممدوح مريضاً حين مدحه المتنبى بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاتها فجاءت قبلها شوقا فأضفت حالات الرجال — أى علاتها المذكورة — قبل أن تضيفهم، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقنها — بالنون — سبقتها — بالتاء — يعنى إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إضافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذى نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أى أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك — الذى هو أفضل الأجسام — وألمت بغيره فما عذرها فى ذلك ؟ «هذا» ويقال حمى وحمة . قال الضباب بن سبيع

لَعَمْرِى لقد بَرَّ الضِّبابَ بَنُوهُ و بعض البنين حُمَّةٌ وسُعالُ

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتتأمل أعضاءك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأذاة : مصدر

وَبَذَلْتَ مَا عَشِقَتْهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ ... حَتَّى بَذَلْتَ لِهٰذِهِ صِحَّاتِهَا[١]

حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ ... وَتَعُودَكَ الْآسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا[٢]

وَالْجِنُّ مِنْ سُتُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ ... فَلَوَاتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وُكُنَاتِهَا[٣]

ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً ... كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا[٤]

فِي النَّاسِ أَمْثِلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا ... كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا[٥]

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتتأمل الأعضاء لا لتتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحمى ، والضمير فى صحتها للنفس . يقول : إنك بذلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بذلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء يحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك فى العلو ، وكذلك الآساد لأنها تشبهك فى الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الآساد . يقول : إن جميع هذه الأجناس تتألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهرى فى جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمعى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر فى عش ، والوكر ــ بالراء ــ ما كان فى غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة ــ بالضم ــ مواقع الطير حيثما وقعت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن الطائر : دخل فى الوكن ووكن بيضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت ــ دون سائر الناس ــ بالمناقب والمحامد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع المبتكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال ــ أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ ، وكمماتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كمماتها : فى أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كحياتها : فى عدم المبالاة به .

هِبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْـــلٍ مِثْلِهَا
حَـتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَـــاءِ بَنَاتِهَا[1]

فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِى لَوْ أَنَّهُ مَلَكَ الْبَرِيَّةَ لَاسْـــتَقَلَّ هِبَاتِهَا[2]

مُسْـتَرْخَصٌ نَظَرٌ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ نَظَرَتْ وَعَثْرَةُ رِجْـلِهِ بِدِيَاتِهَا[3]

---

(١) يقول : خفت ــ إن تزوجت ــ أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .

(٢) يقول : لو كانت الخليقة ملكا له ثم وهبها لا ستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لوعم البرايا بالهبات لا ستقلها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يبروه بروا أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برأ الله الخلق يبرؤهم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة.

(٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها عثير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية ثمن دم القتيل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى بها لكان رخيصاً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصاً أيضا : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .



قافيـــة الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش فى منزل يعرف بالسنبُوس وركب قاصداً سمندو :

لِهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أرِيجُ ... وَنَارٌ فى الْعَدُوِّ لَهَا أجِيجُ[(1)]

تبيتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ ... وَتَسْلَمُ فى مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ[(2)]

---

(١) الأريج : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار تؤج وتئج أجيجا ، وكذلك ائتجت : على افتعلت ، وتأججت ؛ وقد أججها تأججاً ، وأجج بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضىء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبى ذؤيب يصف برقا:

يُضِيءُ سَنَاهُ راتِقاً مُتَكَشِّفاً ... أغَرَّ كمِصباح اليهود أجُوجُ[(1)]

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذى سرت فيه للحرب — أنباء طيبة تسر الأولياء، ونار حرب يضطرم لهيبها على الأعداء ، وعبارة ابن جنى : يأتى خبر طيب يسر المسلمين ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العفيفات ؛ وتروى الحواضن ـ أى النساء المربيات لأطفالهن — وتروى : الحواضر — أى نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب تأمن بها النساء من السبى ، ويسلم الحجاج فى مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر عليهم ، فالضمير فى مسالكها : للحجيج ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويجتمعون فى مجلس — وللعادين على أقدامهم عدى ، والضمير فى بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

---

(١) يصف سحاباً متتابعا ؛ والهاء فى سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء فى سناه ، ورواه الأصمعى راتق متكشف ، فجعل الراتق : البرق .

فَلاَ زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ[(١)]

عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّآتٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ سَيْفِكَ لاَ تَعِيجُ[(٢)]

وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ

إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ[(٣)]

---

(١) المهيج : الذى هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له الفريسة فقال : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك فى حيثما كانت .

(٢) لا تعيج : لا تبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة فى بلاد الروم . فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رمحا ، فعرفه وجاء إليه وسايره وأنشده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبئته ، وأنه شجاع لا يعبأ إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعبئة ، وقد يترك الهمز فيقال عبيتهم تعبية : أى رتبتهم فى مواضعهم وهيأتهم للحرب ؛ وقد قلنا:لا تعيج بمعنى لا تبالى . قال صاحب اللسان : العيج شبه الاكتراث ، وأنشد :

وما رأيتُ بها شيئاً أعيجُ بهِ إلا الثُّمامَ وإلا مَوقِدَ النـار

قال ابن سيده : ما عاج بقوله عيجا وعيجوجة : لم يكترث له أو لم يصدقه ؛ وما عاج بالدواء عيجاً : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه بشىء : أى ما أعبأ به ؛ وبنو أسد يقولون ما أعوج بكلامه: أى ما ألتفت إليه ؛ أخذوه من عجت الناقة. ويقال : ما عجت بخبر فلان، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العياج الرجوع إلى ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « والليل إذا سجا » أى سكن بالناس ،ومنه البحر الساجى ، قال الأعشى :

فما ذنبنا إنْ جاش بحر ابنِ عَمِّكمُ وبحرُكَ ساجٍ لا يوارى الدعامصا[(١)]

وليلة ساجية : إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة .

---

(١) الدعامص والدعاميص : جمع دعموص : دويبة صغيرة تغوص فى الماء ، وكثيراً ما تسكون فى المستنقعات .



بأرضٍ تَهلِكُ الأشْواطُ فِيها
إذا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الفُرُوجُ (١)
تُحاوِلُ نَفسَ مَلْكِ الرُّومِ فيها
فتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ العُلُوجُ (٢)
أبالغَمَراتِ تُوعِدُنا النَّصارَى ... ونَحنُ نُجومُها وهيَ البُرُوجُ (٣)
وفينا السَّيفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ ... إذا لاقَى وغارَتُهُ لَجُوجُ (٤)
نُعَوِّذُهُ مِنَ الأعْيانِ بَأساً ... ويَكثُرُ بالدُّعاءِ لهُ الضَّجيجُ (٥)

قال الحارثى :

يا حبذا القمراء والليلُ الساجْ ... وطُرُقٌ مثلُ مُلاء النساجْ

وامرأة ساجية : فاترة الطرف. وهو معنى حسن فى النساء ؛ وناقة سجواء : ساكنة عند الحلب ؛ وسجى الميت غطاه ، والمتسجى : المتغطى ، من الليل الساجى ، لأنه يغطى بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذاماج وتحرك؟ وضرب هذا مثلا له لمسارآه يدير رمحه بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .

(١) الشوط : الطلق من العدو ، قال فى اللسان : الشوط الجرى مرة إلى غاية ؛ والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : مابين قوائم الفرس . يقول : عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطولها

(٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب، والضمير من فيها للأرض؛ والعلج: الجافى الغليظ من كفار العجم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم فى هذه الأرض فتفديه أصحاب العلوج إذ تفنيهم وتستأصلهم .

(٣) الغمرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لانفارقها؟ كما لا تفارق النجوم منازلها .

(٤) لج فى الأمر لجباً ولجاجاً ولجاجة : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول : وفينا سيف الدولة الذى إذا حمل على الأعداء صدق فى حملته ، ماجبن وما خام عن اللقاء وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا ينثنى حتى يستأصلهم ويعصف بهم .

(٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد المدان :

رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيْرُ رَاضٍ
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ[1]
فَإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو
وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ[2]

ولكننى أغدو على مُفاضَة دِلاصٍ كأعيان الجراد المنظم[1]

وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له — أى لبأسه — كما تقول نعوذه بالله حسنا : أى لحسنه. وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا — من قولهم لا بأس عليك — وهو أصح فى التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه العيون لدى رؤية بأسه ، لأنا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيج : عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشتبكة ، وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيج . يقول : رضينا بما حكمت به السيوف والرماح فى الحرب ، ولكن الدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الدمستق مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضينا .

(٢) سمندو : قلعة بالروم يقال هى المعروفة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلاده ، وإن هرب وخام عن لقائنا لحقناه إلى الخليج .

---

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .



قافيــة الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أَدْنَى ٱبْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا ٱلْقَــرَائِحُ
وَتَقْوَى مِنَ ٱلْجِسْمِ ٱلضَّعِيفِ ٱلْجَوَارِحُ (١)

وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَقْضِي حُقُــوقَكَ كُلَّهَا
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ (٢)

وَقَدْ تَقْبَــلُ ٱلْعُــذْرَ ٱلْخَفِيَّ تَكَرُّمًا
فَمَا بَالُ عُــذْرِي وَاقِفًا وَهْوَ وَاضِحُ (٣)

---

(١) القرائح : الطبائع ـ يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكى الطبع ؛ وجيد القريحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القريحة : خالص الغريزة ـ من قولهم ماء قراح : أى خالص ـ وقريحة البئر : أول مايخرج من مائها ؛ ورجل قرحان : إذا لم يصبه جدرى ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء ـ اليدان والرجلان والعينان والفم والأذن ـ وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوها . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضائها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تكرما : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الخفى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَإِنَّ مُحَالاً - إِذْ بِكَ الْعَيْشُ - أَنْ أُرَى
وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِيَ صَالِحُ[(١)] :

وَمَا كَانَ تَرْكِي الشِّعْرَ إِلاَّ لأَنَّهُ
تُقَصِّرُ عَنْ وَصْفِ الأَمِيرِ الْمَدَائِحُ

وقال فى صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلاماً :

أَنَا عَيْنُ الْمُسَوَّدِ الْجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كِلاَبُكُمْ بِالنُّبَاحِ[(٢)]
أَيَكُونُ الْهِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحِ[(٣)]

---

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تعتل ولا أشاركك فى علتك . وهذا من قول أبى تمام :

وإن يجد علةً نُعَمُّ بها حتى ترانا نُعاد فى مَرَضِه

قال العكبرى : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على المبتدأ والخبر ، ولا يجوز أن يكون المبتدأ نكرة إلا فى مواضع ليست هذه منها .

(٢) المسود : الذى جعله قومه سيدا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛ وجمع الجحجاح جحاجح ، قال الشاعر :

ماذا ببدر فالعقنقل مِنْ مَرَازِبة جَحاجِح

وإن شئت جحاجيح ، وإن شئت جحاجحة ، والهاء عوض من الياء المحذوفة لابد منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع فى الحقيقة : جحاجيح ،لا الجحاجح، وإنما حذفت الياء من البيت — ماذا ببدر الخ — ضرورة قاله ابن برى . يقول : أنانفس الجحجاح — السيد الكريم — أثارتنى وأغضبتنى سفهاؤكم بسفهها . ولما سماهم كلاباً سمى كلامهم نباحا . ويروى — بدل هيجتنى — هجنتنى : أى نسبتنى إلى الهجنة . يدل على ذلك البيت التالى .

(٣) الهجان : الرجل الكريم الحسب النقيه ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجائن وهى الكريمة الحسب التى لم تعرق فيها الإماء تعريقا . وقول على كرم الله وجهه :

هذا جناىَ وهجانه فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه

معناه: خياره وخالصه ، وأنشد أبو الهيثم :



جَهِلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلاً   نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُءوسُ الرِّمَاحِ[1]

وقال يمدح مساور بن محمد الرومى :

جَلَلاً كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ   أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَإِ الأَغَنِّ الشِّيحُ[2]

وإذا قيل مَن هِجانُ قريش   كنتَ أنتَ الفتى وأنتَ الهِجَان

وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن كلثوم فى معلقته :

ذِراعى عَيطلٍ أدْماء بِكرٍ   هِجان اللونِ لم تقرأْ جَنينــا

« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعى ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ، بيضاء اللون ، فقوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم فى رحمها ولدا » .

قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ، وربما قالوا : هجائن . قال ابن أحمر :

كأن عَلَى الجِمالِ أوانَ خَفت   هَجائنَ مِنْ نِعاجِ أوارَعِينا

والصراح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر فى البيت الأول شكواه من السفهاء واللئام ، وذكر فى هذا البيت أن سفههم لا يقدح فى نسبه ولا يغيره .

(١) يقول : إن أولئك العائبين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا عرفتهم الرماح نسبى ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعدهم ويهددهم بالقتل . وعبارة الواحدى : يحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلوا بذلك على كرم نسبى .

(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر «فليك» مقدم . والتبريح : الجهد والشدة ، والرشأ : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الظباء . والشيح نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ماحل بى وإلا فلا ! ثم قال : أتظنون غذاء من فعل بى هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غذاؤه قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرْعَى القُلوبَ وتَرْتَعِي الــغِزْلانُ فى البيداء شيحَه

. . . .

هذا : ــ وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ماأوردناه . قال العكبرى : يريد أن من كان فى شدة فليك كما أنا ــ تعظيما لما هو فيه من الشدة ــ وتم الكلام ههنا ، ثم استأنف قولا آخر متعجبا من حسن المشبه أى كأنه ظبى فى حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس :

فعيناكِ عيناها وجيدكِ جيدُها　　ولكنَّ عظم الساقِ منكِ دقيقُ

وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشأ الذى يهواه إنس لاوحش فيغذى بالشيح ، وقال ابن جنى : المصراعان متباينان ، فلذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعانى : قد يفعل الشاعر مثل هذا فى التشبيب خاصة ليدل به على ولهه وشغله عن تقويم خطابه ؛ كقول جران العود :

يَوْمَ ارتحلتُ برَحْلِي دُونَ برذَعَتِي　　والقلبُ مُسْتَوْهِلٌ بِالبَيْنِ مشغول

ثم اغترزتُ على نِضوى لأبعثه　　إثرَ الحُمولِ الغوادِى وَهْوَ معقولُ (١)

---

(١) جاء فى اللسان والقاموس وشرحه : جران العود شاعر من نمير قال الجوهرى : واسمه المستورد ، وقد غلطه الصاغانى . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث ــ وهو شاعر إسلامى ــ ولقب بذلك لقوله ·

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فالتحيتُ جِرَانَه　　ولَلْكيسُ أمْضَى فى الأمور وأنجح

خُذا حَذَراً ياخُلَّتَىَّ فإننى　　رَأَيْتُ جِرانَ العَودِ قد كاد يصلح

يخاطب امرأتيه . وأراد بجران العود ــ والعود البعير المسن ــ سوطاً قده من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب مايكون ، ليضرب به امرأتيه ، وكانتا قد نشزتا عليه. والجران . باطن العنق الذى يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت أخذت ؛ والكيس ، حسن التأنى فى الأمور ، وياخلق يروى ياجارتى ؛ وقوله فإنى الخ : يقول : فإنى رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبرذعة الحلس الذى يلقى تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجلى فى الغرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذى أنضاه السفر ، والحمول · الإبل ، ومعقول : أى لم يحلل عقاله دهشاً .



. . . .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفى كلامه ما يدل على ولهه مما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

* قف بالديار التى لم يَعْفُها القِدَم

ثم قال :

* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُ *

وقال القاضى الجرجانى : بين المصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشأ الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه .

وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون التاء فى التبريح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئاً » وقوله :

لم يَكُ شىء يا إلهى قبلكا

لأنها قد ضارعت بالمخرج والسكون والغنة حروف المد فحذفت كما تحذفن وهى هنا فى قول المتنبى قوية بالحركة ، لأن سبيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى النون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لم يكُ الحق سوى أن هاجَهُ رَسم دار قد تعفى بالسرَر[1]

وقد حذفت النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيبويه .

فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ولاكِ اسْقِنِى إن كان ماؤك ذا فضْل[2]

---

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفطة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بآيةِ ما وقفتْ والركابْ و بين الحجُون و بين السرَرْ

(٢) للنجاشى الشاعر وقبله :

وَماء قديمِ العَهدِ بالوِرْدِ آجنٍ يُخال رُضابا أو سلافا من العُسل

لقيتُ عليه الذئب يعوى كأنه ضَليعٌ خلا من كل مالٍ ومن أهلِ

لَعِبَتْ بِمِشْـيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ
صَنَماً مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ (١)
مَا بَالُهُ لَاحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُؤَادِيَ الْمَجْرُوحُ (٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريح. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا ، لأن من قال فى بنى الحرث بلحارث لم يقل فى بنى النجار بنجار . . . والأغن الذى فى صوته غنة ، وهو صوت من الخيشوم ، والأغن : الذى يتكلم من قبل خياشيمه ، وواد أغن : كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب ، وفى أصواته غنة ؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب : غناء ، وأما قولهم : واد مغن : فهو الذى صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا فى واد مخصب معشب ؛ وأغن السقاء : إذا امتلأ ماء .

(١) الشمول : الخمر . يقول : إن الخمر رنحته فتمايل فى مشيته وزادت فى حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح . وفى هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن :

ظَلِلْنَا بِأَيْدِينَا نُتَعْتِعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الخَمْرُ ثَارَهَا

وقد جرت عادتهم بأن يشبهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصوريها أبدعوا فى تجميلها وافتنوا فى تزويقها حتى أصاروها كأنها الجمال ماثلا. ويروى بدل ـ وغادرت ـ وجردت : أى صيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه. هذا : وإنما سميت الخمر شمولا؟ قيل لأنها تشمل بريحها الناس ؛ وقيل شبهت بالشمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف الشمال .

(٢) يقول : إن فؤادى هو المجروح بنظرى إليه ، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادى هو الأجدر بذلك ؟ وفى هذا المعنى يقول كشاجم :

فقلت له يا ذئب هل لك فى أخ يُواسى بلا منّ عليك ولا بُخل
فقال هداك الله للرشـد إنما دعوتَ لما لم يأته سبع قبلى
فلست بآتيه . . . . . . (البيت)

والعسل : جمع عسل كأعسال . والضليع : القوى الشديد ؛ والمعوج ، والمضروب فى ضلعه ، والظاهر أن هذا هو المراد .



وَرَمى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِى ... سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسِّهَامُ تُرِيحُ (١)

قَرُبَ المَزَارُ وَلاَ مَزَارَ وَإِنَّمَا ... يَغْدُو الجَنَانُ فَنَلْتَقِى وَيَرُوحُ (٢)

وَفَشَتْ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا ... تَعْرِيضُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ (٣)

أَرَاهُ يُدَمِّى خَدَّهُ وَهْوَ جَارِحِى ... بِعَيْنَيْهِ وَالمَجْرُوحُ أَوْلَى بِأَنْ يَدْمَى

وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . يريد احمرت خجلا ، وأصله من انضرج : إذا انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفى الضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة يصف نساء :

* ضَرَجْنَ البُرُودَ عَنْ تَرَائِبَ حُرَّةٍ *

أى شققن . وتضرج الثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من الملء : أى تنشق ؛ ومنه انضرجت له الطريق : أى اتسعت ؛ وانضرج ما بين القوم : تباعد ما بينهم ، وتضرجت عن البقل لفائفه : إذا انفتحت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يداه ولكنه على لغة من يقول قاما أخواك ، وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهام المعروفة تقتل فتريح ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب . يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاسبيل إلى الزيارة خشية الرقباء ، وإنما نتلاقى بالقلوب ، فيغدو قلبى إليك ويروح أى أتذكرك فأمثلك فى قلبى ؛ فكأنا قد التقينا — كما قال ابن المعتز :

إِنا عَلَى البِعَـــادِ وَالتفرُّقِ ... لَنَلْتَـــقِى بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

ومثله لأبى الطيب :

لنا ولأهلِهِ أبداً قُلوبٌ ... تَلاقَى فى جُسوم ما تلاقى

(٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتتمة . وشفه : أنحله . يقول : إن كتمان الهوى اقتصارنا فيه على التعريض قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزالنا البادى على ماتجنه الضلوع من الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .



لَمّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِى أَسًى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ[(١)]

وَجَلاَ الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِناً حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحُ[(٢)]

فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ وَحَشًى يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحُ[(٣)]

يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِى لاَنْبَرَى شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنُوحُ[(٤)]

---

(١) الحمول : الأحمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التى حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوادج . يقول : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسى وجداً وحزناً .

(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

وقد كانَ يُدْعَى لابِسُ الصبرِ حازماً فأصبحَ يُدْعَى حازماً حين يَجْزَعُ

ويقول العتبى محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :

والصبر يُحْمَدُ فى المواطن كلِّها إلا عليك فإنهُ مذمومُ

وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جلين : أى المحاسن : فأقحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالمدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يد تشير بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حزناً على الفراق ، ودمع مصبوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدى : أى ولو كان وجده كوجدى لانبرى الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجده كوجدى لرق له الشجر وانبعث يبكى معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله: لانبرى ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبرى بريا وانبرى : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .



وَأَمَقَّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ
في عَرْضِهِ لَأَنَاخَ وَهْيَ طَلِيحُ(١)

نَازَعْتُهُ قُلُصَ الرِّكَابِ وَرَكْبُهَا   خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَاهُمُ التَّسْبِيحُ(٢)

لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ   مَا جُشِّمَتْ خَطَراً وَرُدَّ نَصِيحُ(٣)

---

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل . والوخد . ضرب من السير ؛ وخدت هنا . أسرعت . والطليح : المعي ، يقال طلح البعير أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها السير وهزلها ؛ وإبل طلح وطلائح ، والطلح ـ بالكسر ـ المعي من الإبل ، يستوى فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاح . قال الحطيئة يصف إبلا وراعيها :

إذا نامَ طِلْحٌ أشعثُ الرأسِ خَلْفَها   هداهُ لها أنفاسُها وزفيرُها

« يقول الحطيئة . إن هذه الإبل تتنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام راعيها عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرعت ريح الشمال في ذلك المهمه وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب ونزل والشمال معيية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل من الطول .

(٢) القلص ـ جمع قلوص ـ الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا المهمه على الإبل ، فهو يأبى إلا أن ينال منها ويعصف بها بطوله ومشقته ، وأنا آبى إلا أن أستبقيها لمسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل ـ لخوفهم الهلاك ـ يسبحون الله ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حداء للابل مكان الغناء الذى تحدى به . وقال ابن جنى : نازعته أخذت منه ـ من الأمق . أى المهمه ـ بقطعى إياه وأعطيته ما نال من الركاب ؛ قال الواحدى : ليس المعنى على ماقال ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هى القلص ، فالبلد يفنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إنى أحب إبقاءها ، والأمق يحب إفناءها بالمنازعة فيها كقول الأعشى :

* نازعتهم قُضُبَ الريحان مُتكِئاً *

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا منى وأعطونى .

(١) جشمت : كلفت . يقول : لولا الممدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا رددنا

. . . .

الناصح الذى كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية للعلامة العكبرى ، قال : لولا الأمير : الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذى لو ذكر لرفع الاسم كما تقول لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعنى ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم: أما أنت منطلقا انطلقت معك .تقديره إن كنت منطلقا انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خُراشةَ أمّا أنت ذا نفر فإنّ قومىَ لم تأكلهمُ الضَّبُعُ [(1)]

أى إن كنت ذا نفر ، فحذف الفعل وزاد «ما» عوضا عنه ، والذى يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين العوض والمعوض ، وكقولهم أمالا فافعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا ، فحذف الفعل لكثرة الاستعمال وزيدت ما على أن عوضا عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إمالتها لأنها صارت عوضا عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا فى النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك: لولا أن زيدا منعنى ، قال الله تعالى :

---

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمى الصحابى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة، وندبة أمه — وهو صحابى جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الخنساء . وبعد البيت :

والسلمُ تأخذ منها ما رَضِيتَ به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ

ونفر الرجل رهطه ، ويقال لعدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع السنة المجدبة ، وأصله أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم فعاثت فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم . يقول : ياأبا خراشة إن كنت عزيزا بقوم كثيرا لهم فإن قومى ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تنال من مطالبك ما تريد ، أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنفاسها : أوائلها يحرضه على الصلح ويثبطه عن الحرب .



وَمَتَى وَنَتْ وَأَبو المُظَفَّرِ أَمُّهَا فَأَتَاحَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتِيحُ[1]
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بُرُوقَهُ وَحَرًى يَجُودُ وَمَا مَرَتْهُ الرِّيحُ[2]

« فلولا أنه كان من المسبحين » ولو كانت فى موضع الابتداء لوجب أن تكسر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لا درَّ درُّكَ إنى قد جَهِدْتهم لولا حُدِدت ولا عذرى بمحدود[1]

ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أنى حددت ، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أى توانت وفترت ؛ وأمها قصدها : أى مقصودها وقوله فأتاح لى الخ دعاء وأتاح الله الشىء قدره . يقول : إذا توانت الإبل فى سيرها وهـذا الممدوح مقصودها فالموت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .

(١) شمنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة معترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أى وشمنا سحابا حرى أن يجود : أى

---

(١) أورد عبد القادر البغدادى هذا البيت فى أبيات هذا نصها :

قالت أمامةُ لما جئتُ زائرَها هلاّ رَمَيت ببعض الأسهُم السُّودِ
لا درّ درُّكِ إنى قد رميتُهمُ لَوْلا حُدِدْتُ ولا عُذرَى لمحدودِ
إذ هُمْ كرِجْلِ الدّبى لا درّ درُّهمُ يَغزُونَ كل طُوَالِ المشيِ محدودِ
فما ترَكْتُ أبا بِشرٍ وصاحبَه حتى أحاطَ صَريحُ المَوْتِ بالجيد

قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمى الصحابى ؛ وقيل للجموح ـ أحد بنى ظفر من سليم بن منصور ـ وحددت أى حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول: قد رميت واجتهدت فى قتالهم ولـكنى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذرى : اسم بمعنى المعذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدبى : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوُّ مَنْفَعَةٍ مَخُوفُ أَذِيَّةٍ مَغْبُوقُ كَأْسِ مَحَامِدٍ مَصْبُوحُ (١)

حَنِقٌ عَلَى بِدَرِ اللُّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسِيءِ صَفُوحُ (٢)

لَوْ فُرِّقَ الْكَرَمُ الْمُفَرِّقُ مَالَهُ فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ (٣)

أَلِفَتْ مَسَامِعُهُ الْمَلَامَ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَى أَنْفِ اللِّئَامِ تَلُوحُ (٤)

جديرا به أن يجود — أى يمطر — . ومرته الريح : استدرته وأصله فى الناقة يمسح ضرعها لتدر . يقول : شمنا بروق الممدوح : أى رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ، ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أى بالمطر وإن لم تمره الريح . يفضله على السحاب لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما الممدوح فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذى يسقى بالعشى ؛ والمصبوح : الذى يسقى صبحا . يقول : إنه يحمد فى كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .

(٢) البدر : جمع بدرة ، وهى عشر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر.

(٣) يقول : لو فرق فى الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء . وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أقول إذ سألونى عن سماحته ولستُ ممن يُطيلُ القولَ إن مَدَحا

لوْ أن ما فيه مِن جودٍ تَقَسَّمَهُ أولادُ آدم عادوا كلُّهم سُمَحَا

والأصل فى هذا قول العباس بن الأحنف — وإن كان من باب آخر — :

لو قسَّمَ اللهُ جُزءاً من محاسنه فى الناسِ طرًّا لتَمَّ الحسن فى الناس

ويقول أبو تمام :

لو اقتُسِمتْ أخلاقُهُ الغرُّ لم تجد مَعِيباً ولا خَلْقاً من الناس عائبا

(٤) يقول : إن مسامعه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى: ألفت — من الألفة — أى أن مسامعه — لكثرة ما سمعت اللوم — ألفته واعتادته فصار شيئاً مألوفاً لا قيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا اللائم وأصغت مسامعهم إليه صاروا لئاماً يرى عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الأنف .

هٰذَا الَّذِى خَلَتِ الْقُرُونُ وَذِكْرُهُ
وَحَدِيثُهُ فِى كُتْبِهَا مَشْرُوحُ(١)

أَلْبَابُنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحُ(٢)

يَغْشَى الطِّعَانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ
مَكْسُورَةً وَمِنَ الْكُمَاةِ صَحِيحُ(٣)

---

(١) المراد بخلت هنا : تخلو ؛ وأتى بالماضى : للتحقيق — على حد قوله تعالى « أتى أمر الله » — يقول : هذا الذى تمضى القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد فى الكتب والأسفار . قال الواحدى : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم ، وهو المعنى بذلك ؛ إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذا فى الكتب مشروح . « هذا » : وقوله وذكره وحديثه إلخ . قال العكبرى : قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد ، وقيل هما جملتان : حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها ، وهذا مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، وهذا مذهب سيبويه ، وأنشد :

نحنُ بما عندنا وأنتَ بمَا عِندكَ راضٍ والرأىُ مختلفُ(١)

وذهب المبرد إلى أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله . وقال قوم : بل الضمير عائد على المذكور ، كقول رؤبة :

فيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوادٍ وَبَلَقْ كأنه فى الجِلدِ تَوْليعُ البَهَقْ(٢)

أى كأن المذكور :

(٢) الألباب : العقول ؛ والنوال : العطاء . والمعنى ظاهر .

(٣) يقول : يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح .

---

(١) لقيس ابن الخطيم [راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧] .

(٢) من أرجوزته التى مطلعها :

وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

[راجع أراجيز العرب للبكرى ، « وخزانة الأدب » للبغدادى ج ١ ص ٩٠] .



وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدِّمَاءِ مَجَاسِدٌ ... وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحُ[١]

يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ ... رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْمَبْطُوحُ[٢]

فَمَقِيلُ حُبِّ مُحِبِّهِ فَرِحٌ بِهِ ... وَمَقِيلُ غَيْظِ عَدُوِّهِ مَقْرُوحُ[٣]

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ ... نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ[٤]

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدِي رجالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ ... ولم تكثُرُ القتلى بها حِينَ سُلَّتِ

« أى لم يغمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى »[١] قال الواحدى : وقوله مكسورة حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والكماة : جمع كمى : الشجاع المتكمى أى المتغطى بسلاحه ؛ إذ أنه كمى نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع المجسد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والمسوح : جمع مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالغبار فكأن عليها مسوحا .

(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ، فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطوحا ــ أى قتيلا أيضا ــ ويجوز أن يكون المراد برب الجواد : الممدوح .

(٣) المقيل : المقام ، المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا » وقال ابن رواحة :

اليومَ نضرِبْكم على تنزيلِهِ ... ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عَنْ مَقِيلِهِ

« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الغيظ : القلب . يقول : إن قلب محبة فرح به مبتهج ، وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يخفى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يخفى العدواة خوفا منه . بيد أن

---

(١) قال المبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى وتأويله : لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى ، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلت .



يَا ابْنَ الَّذِى مَا ضَمَّ بُرْدٌ كَابْنِهِ شَرَفًا وَلَا كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحُ(١)
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى
هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحُ(٢)

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة . قال ابن الرومى :

تخبّرنى العينان ما القلبُ كاتِمٌ وَلا جِن بالبغضاء والنظرِ الشزْرِ

« لا جن : لاخفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى :

تكاشِرُنى كرْهاً كأنّكَ ناصح وَعينكَ تبْدِى أنْ صَدْرَكَ لِى دَوِى(١)

وقال الآخر :

خليلىّ لِلبَغضاء عَيْنٌ مُبِينَــة وَلِلْحُبِّ آيات تَرَى ومَعارِفُ

(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف ــ من قوله كابنه ــ بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحداً مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرفاً : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق فى وسط القبر ، واللحد فى جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق فى الأرض شقا ، وكل ماشق فقد ضرح . قالذو الرمة :

ضَرَحْنَ البُرودَ عن ترائِبَ حُرّةٍ وعن أعــينٍ قتّلننا كلَّ مقْتل

يقول : ليس فى الأحياء مثلك شرفا ، ولا فى الأموات مثل جد أبيك فى الشرف .

(٢) المسيح : العرق ؛ سمى مسيحا لأنه يمسح إذا صب . قال الراجز :

يا رَيّها وقد بَدَا مَسيحِى وابتلّ ثَوبایَ من النضيحِ

« ياريها : يروى ناديتها » وقوله: هول، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلطا ــ على لغة من يقول : قاما أخواك ــ يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت الدماء وامتزجت بالعرق .

---

(١) مطلع أبيات جيدة فى بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه ــ [أمالى القالى ج ١ ص ٦٨ ، والخزانة ج ٣ ص ١١٨ سلفية] وفى الأغانى : ودوى صدره مرض وضغن



لَوْ كُنتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أَوْ كُنتَ غَيْثاً ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ(١)

وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى البِـلَادِ وَأَهْلِهَا
ما كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ(٢)

عَجْزٌ بِحُرٍّ فَاقَةٌ وَوَرَاءَهُ
رِزْقُ الإِلٰهِ وَبَابُكَ المَفْتُوحُ(٣)

إِنَّ القَرِيضَ شَجٍ بِعِطْفِي عَائِذٌ
مِنْ أَنْ يَكُونَ سَـوَاءَكَ المَمْدُوحُ(٤)

---

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . واللوح : الهـواء بين السماء والأرض . والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لخشيت منك الطوفان الذى أنذر به نوح قومه . فقوله وخشيت : عطف على قوله ضاق — فى البيت قبله — .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذى لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك ملتمساً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :

خابَ امْرُؤٌ بَخَسَ الحَوَادِثُ رِزْقَهُ وَأَقامَ عَنكَ وَأَنْتَ سَـعْدُ الأَسْعُدِ

وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجزٌ بِذِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بِعِيشَتِهِ وُسْعُ هَذِي البِلَادِ

وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير فى وراءه : للحر ؛ قال العكبرى : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛ ويجوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل: بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه المعنى ، تقديره : القعود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره : به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم — من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفى : متعلق بعائذ ، وعائذ : لاجىء ،



وَذَكِيُّ رَائِحَةِ الرِّيَاضِ كلَامُها ... تَبْغِى الثَّناء عَلَى الحَيا فَتَفُوحُ[(١)]

جُهْدُ المُقِلِّ فَكَيْفَ بِابْنِ كَرِيمَةٍ ... تُولِيهِ خَيْراً وَاللِّسَانُ فَصِيحُ[(٢)]

والقريض : الشعر ؛ ويقال: قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص: حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : الغصص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد قتله فقال له أنشدنى من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت قصرت . يقول : إن الشعر لاجىء إلى مستجير بى من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ، تحاول أن تثنى على المطر الذى أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر . وهذا من قول ابن الرومى يصف روضة :

شَكَرَتْ نِعْمَةَ الوَلِيِّ على الوَسْـ ... ـمِىِّ ثُمَّ العِهادِ بَعْدَ العِهادِ[(١)]

فَهِىَ تُثنِى عَلَى السماءِ ثَنَـاء ... طَيِّبَ النَّشْرِ شائعاً فى البـلادِ

مِنْ نَسيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فى الخَيـ ... ـشومِ مَسْرَى الأرْوَاحِ فى الأجساد

وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكُنْتَ كَرَوْضَةٍ سُقِيتْ سَحاباً ... فأثنتْ بالنسيم عَلَى السحابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى قلت ذات يده : وتوليه : تعطيه . يقول: إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ، فكيف ظنك بى إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أنى لا أغادر شكرك والثناء عليك . والجهد ــ بالفتح والضم ــ قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ، وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد ــ بالفتح ــ من قولهم أجهد جهدك فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال اجهد جهدك ــ بالضم ــ والجهد بالفتح ــ المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدها : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ، وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

---

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتى بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .



وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جارِيَةٌ ما لجِسْمِهَا رُوحُ   بِالقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحُ[1]
فى كفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا   لِكُلِّ طِيبٍ مِنْ طِيبِهَا رِيحُ[2]
سَأَشْرَبُ الكَأْسَ عَنْ إشَارَتِهَا   وَدَمْعُ عَيْنِي فى الخَدِّ مَسْفُوحُ[3]

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا   وَمُنْصَرَفِي لهُ أمضَى السِّلَاحِ[4]

---

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحبها للطف صورتها . وجارية — كما قال العكبرى — ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجرور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجرور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبها : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إننى سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أنى أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمعى على خدى استبشاعا للخمر .

(٤) منصرفى : مصدر ميمى بمعنى انصرافى . قال الواحدى : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعنته على نفسى . ويجوز أن يكون المعنى: إن الليل برده ندماءه وتفريقه جلساءه يعمل على الخلو به ، فانصرافى أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقال العكبرى — فى قوله منصرفى — يريد انصرافى ، وإذا زاد الفعل على الثلاثى استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعدياً ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذى ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لايتعدى إلى مفعول فلو بنى مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها — مما هو على أربعة أو أكثر — استوت فيه الأشياء الأربعة المصدر



لِأَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَــــرْفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَفْنِي وَالصَّـــبَاحِ (١)

وجَرَى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فهال بعض الجلساء ذلك وجزع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طغج ارتجالا :

أَبَاعِثَ كلِّ مَكْرُمَـةٍ طَمُوحِ وَفَارِسَ كلِّ سَـلْهَبَةٍ سَبُوحِ (٢)

والزمان والمكان والمفعول ، يقال حبل مجتذب وعجيب من مجتذبي حبلك أى اجتذابي وهذا مجتذب حبلك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تعليل لقوله: ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأنى كلما فارقت عينى ، ولم أرك ، لم أنم من شوقى إلى لقائك ، فطال ليلى وبعد مابين جفنى والصباح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجه عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلا يبعيد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُم أَشْـطَانُ بِئْرٍ بعيدٍ بينُ جالَيْها جَرورِ (١)

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد مابين جفنى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عينى الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجفن .

(٢) الباعث : المحيي — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجموح ، وهى العزيزة الممتنعة . والسلهبة : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يامحيي كل مكرمة تستعصى على غيرك ، ويافارس الخيل الشديدات الجرى .

---

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل الطويل الشديد الفتل الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحى البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجرور البئر البعيدة القعر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفرقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت



وَطَاعِنَ كُلَّ نَجْلَاءٍ غَمُوسٍ ... وَعَاصِيَ كُلَّ عَذَّالٍ نَصِيحِ (١)

سَقَانِى اللهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوماً ... دَمَ الأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ (٢)

وأرسل أبو العشائر بازياً عَلَى حَجَلَة فأخذها فقال المتنبى :

وَطَائِرَةٍ تَتَبَّعُهَا الْمَنَايَا ... عَلَى آثَارِهَا زَجِلُ الْجَنَاحِ (٣)

كَأَنَّ الرِّيشَ مِنْهُ فى سِهَامٍ ... عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمَ مِنْ رِيَاحِ (٤)

---

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التى تغمس المطعون فى الدم . يقول : إنه كان يطعن كل طعنة واسعة تغمس صاحبها المطعون فى الدم ، ويعصى كل من يعذله فى الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكننى الله من الأعداء حتى أهريق دماءهم وآتى عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بنى فلان يريدون قتلناهم وأرسلنادماءهم على الأرض كالماء . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الحجل ؛ طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش فى الصرود العالية يستطاب لحمه . والزجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازى — يعنى خفيف جناحيه فى الطيران . قال العكبرى : من رفع زجل يكون الكلام تاماً فى النصف الأول ؛ ويرتفع على الابتداء ؛ والخبر، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازى لأنه سبب منايا الطير ، وتتبعها هى تتتبعها . ورواها العكبرى تتبعها وقال : يقال تبعته واتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعت القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك اتبعتهم وهو افتلعت وأتبعت القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم وأتبعت غيرى يقال: أتبعته الشىء فتبعه ، وقال الأخفش: تبعته وأتبعته بمعنى مثل، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسما من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفى سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر فى سهام ، وعلى جسد : فى موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .



كَأَنَّ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غِلَاظٍ مُسِحْنَ بِرِيشِ جُؤْجُؤَةِ الصِّحَاحِ [(١)]
فَأَقْمَصَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرٍ لَهَا فِعْلُ الْأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ [(٢)]
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَصَ النُّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ [(٣)]

(١) الجؤجؤ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رءوس أقلام حبر غلاظ فى ثوب أبيض ؛ وروى ابن جنى : غلاظا — نصباً على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الحبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجؤجؤ أو للريش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقمصها : قتلها قتلا وحياً سريعاً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد مخالبه — والصفر . أصابعه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفاح : السيوف ، يريد أن البازى قتل هذه الحجلة قتلا سريعاً . هذا : ويقال مات فلان قعصا إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقعصه أى قتله مكانه ، وأقعصه بالرمح وقعصه : طعنه طعنا وحياً . والقعاص داء يأخذ الغنم لايلبثها أن تموت ؛ وفى الحديث : من أشراط الساعة موتان يكون فى الناس كقعاص الغنم . والحجن ـ بالتحريك ـ الاعوجاج، وصقر أحجن المخالب :معوجها ، والمحجن: الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حى : خبر مقدم، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .



قافيـة الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وقد توفى فى حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودِ ... أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ (١)

يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ ... حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ (٢)

وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى ... غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ (٣)

بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ ... وَضَرْبِهِ أَرْؤُسَ الصَّنَادِيدِ (٤)

---

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المحموم فى لغة أهل اليمن وقد وردته الحمى فهو مورود قال ذو الرمة :

* كَأَنَّنِي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُود *

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة وقال أعرابى لآخر : ما أمارة إفراق الموورد ؟ فقال : الرحضاء . ويروى بمولود . يقول : مالزمت علة موروداً أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرماحِ إِذَنْ ... لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ

(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله فى شجاعته وملابسته الحروب ينكر موته على غير السروج : أى فى غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو يحتضر : ليس فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت موت الحمار ، فلا نامت أعين الجبناء .

(٤) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدره فى الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدره : إصابتها إياه ، وجعله

وَخَوْضِهِ غَمْرَ كلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذِّمْرِ فِيهَا فُؤَادُ رِعْدِيدِ[1]
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّنَا صُبُرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودِ[2]
وَإِنْ جَزِعْنَا لَهُ فَلَا عَجَبٌ ذَا الْجَزْرُ فِى الْبَحْرِ غَيْرُ مَعْهُودِ[3]

مطعونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهى الشدائد والدواهى ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أى من دواهيه ونوائبه العظام النوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملخ الباطل ، وهو التبختر فيه .

(١) الغمر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعديد : الجبان . يقول : وبعد خوضه كل حومة فى الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على فقده فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا نفع فى البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : فغير مردود . أى لم يرد علينا البكاء : أى لا نعاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجيعة به .

(٣) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر ، يقول : وإن جزعنا لموته فلا عجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يعهد فى البحر إذ المعهود فى البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب ، ولكن لم يعهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويجف . والمعنى : قد تقع المصائب ، ولكن لم تعهد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أعشى باهلة :

فإنْ جَزِعنا فمثل الشر أجْزَعنا وإن صبرنا فإنّا معشر صُبُرُ

أخذه أبو تمام فقال :

فلئن صَبَرت فأنت كوكبُ مَعْشَرٍ صبَروا وَإن تجـزَع فغيرُ مُفَنَّد

وأخذه الخريمى فقال :

ولو شِئتُ أن أبكِى دَماً لبكيته عليه ولكن ساحةُ الصبر أوسعُ



أَيْنَ الْهِبَاتُ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْمَوَاحِيدِ(١)

سَالِمُ أَهْلِ الْوِدَادِ بَعْدَهُمُ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لاَ لِتَخْلِيدِ(٢)

فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ
أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ(٣)

إِنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي
أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهَا عُودِي(٤)

وَفِيَّ مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وَمَا آنَسَنِي بِالْمَصَائِبِ السُّودِ(٥)

---

(١) الزرافات : الجماعات ؛ والمراد بالمواحيد : الأفراد ، كأنه أخذها من مواحيد الجبال ، وهي أكمات منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى . يقول : إن العطاء انقطع بموته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من الهبات .

(٢) يقول : إن الذى يسلم من القوم المتحابين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم ، لا ليخلد ، لأنه يتبعهم ، وإن تأخر أجله عن آجالهم .

(٣) قال ابن جنى : أحمد حاليه أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن : فحالاه الموت والحياة ، أى وإذا كانت الحياة ـ وهى أحمد حالى الزمان ـ غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراحلين ، فماذا ترجى من الزمان ؟ وقال الواحدى : أى لا رجاء عند زمان أحمد حاليه البقاء وهو غير محمود لأن معجله بلاء ومؤجله فناء ، وإن شئت قلت أحمد حاليه البقاء ، ومن بقى شاب ، والشيب مكروه مذموم . فيكون كما قال محمود الوراق :

يَهْوَى البَقَاءَ فإن مُدَّ البقاءُ له وساعَدت نفْسَهُ فيه أمانيها
أبقَى البقاءُ لهُ فى نفسِه شُغُلاً مِمَّا يُرَى مِنْ تصاريفِ البَلاَفيها

(٤) عجم العود : عضه ليعرف أصلب هو أم رخو ؟ وعجمت عوده : بلوت أمره وخبرت حاله . قال :

أَبى عُودُكَ المعجومُ إلا صلابَةً وكفَّاكَ إلا نائِلاً حين تُسأَلُ

يقول : قد طالت صحبتى للزمان ، وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .

(٥) يقول : فى من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهينى ، ومن

مَا كُنتَ عَنهُ إِذِ اسْتَغَاثَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودِ(١)
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلَاكِ طُرًّا يَا أَصْيَدَ الصِّيدِ(٢)
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ وَقْعُ قَنَا الْخَطِّ فِي اللَّغَادِيدِ(٣)
وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ
رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ(٤)

طول إلفق للمحن ما نى عنى الجزع وصيرنى آنس بالمصائب . وعلى هذا يكون : وما آنسنى عطفا على ما قارع ويجوز — كما قال العكبرى — أن تكون ما — فى وما آنسنى — تعجبا . وعبارة الواحدى : فى ما يقارع الخطوب ويؤنسنى بالمصائب العظام ، وهو علمه بثواب الصابرين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » والذى آنسه بالمصائب رأيه الذى يريه المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلق الإنسان . والمصيبة إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استغاثك وهو فى أسر بنى كلاب أغثته واستنقذته من أيديهم ولم تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب النخوة ، وأصيد أفعل وصف لا أفعل تفضيل والصيد جمعه قال العكبرى : وأصيد الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً لأن ذلك يفتح كما يفتح أعور العور أى أشدهم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفعل ولاما أفعله .

(٣) اللغاديد : لحمات بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياه ، قال تعالى « ثم إذا شاء أنشره ، وقنا الخط : الرماح والخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح وجعل أسره قبل ذلك موتا قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى إياه ، فنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاديد الأعداء حتى استنقذته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلا بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ، فكأنك رميت عيونهم بالسهر ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه بجنودك ، فقوله : ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَبَّحْتَهُمْ رِعَالُهَا شُزُباً ... بَيْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ[1]

تَحْمِلُ أَغْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ ... فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالأَخَادِيدِ[2]

مَوْقِعُهُ فِى فَرَاشِ هَامِهِمِ ... وَرِيحُهُ فِى مَنَاخِرِ السِّيدِ[3]

أَفْنَى الْحَيَاةَ الَّتِى وَهَبْتَ لَهُ ... فِى شَرَفٍ شَاكِراً وَتَسْوِيدِ[4]

سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ ... مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ[5]

---

(١) الهاء — فى رعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والرعال : جمع رعلة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشزب : جمع شازب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهى الجماعة ، والعباديد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زرافات ووحدانا .

(٢) انتقد الدراهم : قبضها ، والأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق فى الأرض ، كنى بما تحمل الأغماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف فى الأغماد وجعلوها فداءه لأنهم استنقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضا كما تقبض الدراهم والدنانير التى تدفع عادة فى الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيهم تأثير الأخدود فى الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخاديد .

(٣) الفراش : عظام رقاق تلى قحف الرأس ، والهام : الرءوس. والسيد : الذئب . يقول : إن هذا الضرب يقع فى عظام رءوسهم فتستنشق الذئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتى لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التى وهبتها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها فى بناء الشرف والسيادة شاكراً لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التى أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكراً : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جعله سيداً .

(٥) المنجود : المكروب ؛ ويقال استنجدنى فأنجدته : أى استعان بى فأعنته ، واستنجد الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته إياه: قد استنجد عليه ، وكان المرثى قد أصابته جراحة فى الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون المكروب .



ثُمَّ غَـدَا قَيْدُهُ الْحِمَامُ وَمَا تَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ(١)
لاَ يَنْقُصُ الْهَالِكُون مِنْ عَدَدٍ مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَـيَّقُ الْبِيدِ(٢)
تَهُبُّ فِى ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ(٣)
أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِى الْجَلَامِيدِ(٤)
مَهْمَا يُعَزَّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُـودِ(٥)

---

(١) الحمام : الموت ، والمصفود : المقيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفد به لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر فى موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقد : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لاينتقص به عددك لأن الفلوات تضيق بأتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — فى قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف الدولة .

(٣) الضمير — فى ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراويد : الرياح تجىء وتذهب . قال ذو الرمة :

يا دارَ مية لم يَترُكْ بها عَلَماً تقادُمُ العهْدِ والهُوجُ المراويدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهى تعم البيد كما تعمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إذا سار فى مَهْمَهٍ عَمَّهُ وإن سارَ فى جَبَلٍ طاله

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقعها على الصخور كانت تطبع فيها أثراً يشبه حرف العين فى استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا الميت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لافقدها فالفتى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير فى به : للميت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز المبنى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مُنَـــانَا بَقَاؤُهُ أَبَدًا   حَتَّى يُعَزَّى بِكُلِّ مَوْلُودِ(١)

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشـــتاء الذى عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة :

عَوَاذِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِى حَوَاسِـــدُ
وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَـــوْدِ مِنِّى لَمَاجِدُ(٢)
يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَـــا وَهْـــوَ قَادِرٌ
وَيَعْصِى الْهَوَى فِى طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ(٣)

---

(١) يقول : أمنيتنا أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جنى : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للمعزى : جعلك الله وارث الجماعة ، وهو أجود فى المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتى يعذلن هذه المرأة — التى هى صاحبة الخال على خدها — فى لأجل محبتها إياى هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت منى بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال فى النوم . يقول : إنى أعف عنها مع كونى قادراً على ترك العفاف ، وقد صار ذلك سجية لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى فى نومى . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هدبة :

وإنِّى لأُخْـــلِى لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا   وأُصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ والقلبُ آلِفُ

قال ابن جنى : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود فى الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضى : هذا النقد — نقد ابن جنى — غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف فى حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد فى المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلا ترك المحارم من غير قدرة لم يأثم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والعجب من أبى الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطىء ثم يتكلف النقد ، وقال فى قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً



مَتَى يَشْتَفِى مِنْ لاعِجِ الشَّوْقِ فى الْحَشَى
مُحِبٌّ لَهَا فى قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ(١)

إذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فى كلِّ خَلْوَةٍ
فَلِمْ تَتَصَبَّاكَ الْحِسَانُ الْخَرَائِدُ(٢)

أَلَحَّ عَلَىَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلِفْتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِى جَانِبِى وَالْعَوَائِدُ(٣)

أن يتحرك فى نومه ويصيح ، وليس هذا بشىء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشىء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا المغشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مريد ، وأما عصيانه الهوى فى طيفها فليس باختيار منه فى النوم ، ولكنه يقول لشدة ماثبت فى طبعى وغريزتى صرت فى النوم كالجارى على عادتى .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقة الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر فى القلب ؛ ولعجه الضرب ، آلمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربع الهذلى .

ماذا يَغيرُ ابنتَىْ رِبعٍ عَوِيلُهما لا تَرقُدَانِ ولا بُؤسَى لمن رَقَدَا
إذا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قامتــا معه ضرْباً أليماً بِسِبتٍ يَلعَجُ الجِلِدَا

« يغير : ينفع ؛ أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئا ، والسبت: جلود البقر المدبوغة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله فى قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بعفافه ؟ وعبارة ابن جنى : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تتصباك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد ، الحييات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار فى الخلوة بهن . يقول : إذا كنت فى الخلوة بهن تنأى عنهن وتعف ، فمالك ولعشق الحسان والنزاع إليهن ؟

(١) ألح عليه : لازمه . ويقال: ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غريمه فى التقاضى إذا واظب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألث؛ وألحت



مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ
جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ(١)
وَمَا تُنْكِرُ الدَّهْمَاءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ
سَقَتْهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَائِدُ(٢)
أَهُمُّ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ(٣)

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق . والعوائد : جمع عائدة ، وهى التى تعود المريض . يقول : لازمنى السقم فلا يفارقنى حتى لقد ألفته ، وقد ملنى طبيبى وعوائدى لشدة مابى من السقم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والحمحمة : دون الصهيل ، كالتنحنح . وشجاه يشجوه : إذا أحزنه ؛ وأشجاه إذا غصه . والمعاهد جمع معهد ، وهو الموضع الذى عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأحبة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب فحمحمت جوادى حنينا إليها لأنها عرفتها . ثم استفهم متعجبا فقال : وهل الديار تشجى العجماوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامى هـذا وزاد عليه فقال :

بكيتُ فحنّت ناقتى فأجابها صَهيل جيادِى حين لاحت ديارُها

ثم زاد السرى الرفاء على هذا فقال :

وقفْت بها أبكى وتُرزِمُ ناقتى وتصهَلُ أفراسى ويدعو حَمامُها

(٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهماء : السوداء . والضريب : اللبن الخاثر يحلب من عدة لقاح . والشول : النياق التى بعد عهدها بالنتاج فجف لبنها . والوليدة : الجارية التى تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهماء رسم منزل أقامت به تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفته ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .

(٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالى تدافعنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكأنها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا أطاردها عن حيلولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلاَّنِ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ(١)
وَتُسْعِدُنِى فِى غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ(٢)
تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ(٣)
مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِى عَلَى الْقَنَا مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلاَئِدُ(٤)

---

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف : أى أنا وحيد ؛ ويروى وحيدا ـ على أنه حال من ضمير أهم ـ يقول : إن مطلوبى عظيم ، ومن ثم لا أجد من يساعدنى على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه ، والخلان : جمع خليل : كرغيف ورغفان

(٢) الغمرة : الشدة » والسبوح : الفرس التى كأنها تسبح فى جريها ، يقول : وتعيننى على توارد الغمرات فى الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفى الشطر الثانى من كثرة التكرار ـ وهو قوله لها منها عليها ـ ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد ؛ والجملة : صفة ؛ وعليها : متعلق بشواهد ؛ ومنها : حال،

(٣) المراود : جمع مرود ، وهو حديدة تدور فى اللجام ـ من راد يرود : إذا ذهب وجاء . يقول : إن هذه السبوح ـ للين مفاصلها ـ تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها فى سرعة استدارتها ـ إذا لوى عنانها لدى الطعان ـ بمسمار المرود يدور مع حلقته كيفما أديرت ، كما قال كشاجم :

وإذا عطفتَ به على موروده لِتُديرَهُ فكأنه بِركارُ(١)

وهنا قال الواحدى : أخطأ القاضى ـ يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ـ فى هذا البيت ، وزعم أن هذا من المقلوب ، وقال : إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود ؛ وعنده أن المرود مثل المكحلة ، شبه الرماح فى مفاصلها بالميل فى الجفن يفعل فيها كما يفعل الميل فى العين ، وهذا فاسد ، لأنه يخص المفاصل ، وليس كل الطعن فى المفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان ، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالميل فى الجفن فلا حاجة إلى تثنيها .

(٤) اللبات : أعالى الصدور . ومحللة القلائد : أى مواضع القلائد من الأعناق .

---

(١) البركار والبيكار : آلة ذات ساقين لرسم الدوائر ـ البرجل ـ



وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنَّدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لا يُجَالِدُ[1]

وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ[2]

خَلِيلَيَّ إِنِّي لاَ أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ[3]

فَلاَ تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ[4]

يقول : إنه يخوض الحرب فتنال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تنال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر واردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا: والواو في والمهند: واو الحال ، والمهند : السيف الهندى ، أو السيف المشحوذ .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة ، صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعراً . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر بانتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء المدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذى يأتى بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال: فكم منهم الدعوى ومني القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كان له أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن فرقوا في الخلائق



لهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فى الحَرْبِ مُنْتَضٍ
وَمِنْ عَادَةِ الإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ(١)

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ(٢)

أَحَقُّهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَى وَبِالأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ(٣)

---

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التى تنتضى وتغمد ، وإنما ينتضيه فى الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأنفة ، ويغمده ماتعوده من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال: انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضا الخضاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعتها. قال تأبط شراً

ولكننى أروى من الخمر هامتى وأنضوا الفلاَ بالشاحِبِ المُتَشلشلِ(١)

(٢) يقول: لما رأيت الناس دونه فى المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لهم يعطى كلا على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبى .

(٣) الطلى : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره فى البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق — أى شجاعا — وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب. وعبارة بعض الشراح : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلى: الأعناق ، وقيل: أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاة أيضاً ، وأطلى الرجل والبعير إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وسائِلة تسائِل عن أبيها فقلتُ لها وَقَعْتِ على الخبيرِ
تركتُ أباكِ قد أطلى ومالت عليه القُشعمانُ من النسور

وفى الحديث « ما أطلى نبى قط » أى ما مال إلى هواه وأصله من ميل الطلا أى

---

(١) يعنى بالمتشلشل الرجل المتخدد القليل اللحم الخفيف ، والشاحب — على هذا — يريد به الصاحب ، وقيل: يريد به السيف . قال الأصمعى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .



وَأَشْقَى بِلَادِ اللهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا ... بِهٰذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدُ[1]

شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتَهَا ... وَجَفْنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدُ[2]

مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرْعَى كَأَنَّهَا ... وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ[3]

تُنَكِّسُهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ ... وَتَطْعُنُ فِيهِمْ وَالرِّمَاحُ الْمَكَايِدُ[4]

الأعناق إلى أحد الشقين ؛ والطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب تسمي الخمر: الطلاء . يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بعينها . وفي الحديث : « سيشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » يريد أنهم يشربون النبيذ المسكر المطبوخ ، ويسمونه طلاء تحرجاً من أن يسموه خمراً . والطلاء : القطران ، وكل ما طليت به ، والطلا : الولد من ذوات الظلف والخف والجمع أطلاء .

(١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا : أي بكونك تضرب الطلى ولا تكترث لغمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بمجدك ولا يجحدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام .

(٢) شن الغارة : صبها عليهم وفرقها من كل وجه ؛ والفرنجة : قرية بأقصى بلاد الروم . يقول : صببت الغارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعا حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفا وإن كان بعيداً عنك .

(٣) يقول : إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مخلقة — أي مطلية بالخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض ، وإن لم يسجدوا حقيقة . فقوله : مخضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف ، ومن نصبه جعله حالا من الضمير في تركتها . والقوم صرعى : يروى والخيل صرعى ، وصرعى : جمع صريع : أي طريح ، ومساجد : خبر كأن ، والجملة المعترضة : حال .

(٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها ، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة . وتأتي عليهم بكيدك : يعني أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح . ولك أن تقول والسابقات جبالهم : أي أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأنها الجبال يستعصمون بها فتنكسهم عنها . وعبارة الواحدي : تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين ؛ ونكسه : قلبه ، والسابقات ؛ الخيول .



وَتَضْرِبُهُمْ هَبْراً وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى
كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الأَسَاوِدُ[(١)]

وَتُضْحِي الْحُصُونُ الْمُشْمَخِرَّاتُ فِي الذُّرَى
وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلاَئِدُ[(٢)]

عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهِنْرِيطَ حَتَّى أَبْيَضَّ بِالسَّبْيِ آمِدُ[(٣)]

وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفْصَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلاَهُمَا وَالْجَلاَمِدُ[(٤)]

---

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أكدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأكدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتمعن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتمنوا تحت الصخور وفى المغاور والكهوف كما تسكن الحيات فى التراب .

(٢) المشمخرات : المرتفعات . والذرى : أعالى الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشامخة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد — بالتعريف —

(٣) اللقان : وهنريط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثغور مما يلى الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأتت عليهم هلاكا يوم أغرت عليهم بهذا المكان وساقتهم أسارى حتى ابيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والغلمان ، فالضمير فى عصفن للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصات وسابور : حصنان منيعان للروم ، وانهوى : هوى وسقط . يقول : وألحقن — أى الخيل — أحد الحصنين بالآخر فى التخريب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجارتهما ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رماداً ، فجعل ذلك هلاكا وقوله : وانهوى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما الثلاثى منه متعد ، وهذا غير متعد ؛ وفى الفصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَغَلَّسَ فى الْوَادِى بِهِنَّ مُشَيَّعٌ ... مُبَارَكُ ما تَحْتَ اللَّثَامَيْنِ عَابِدُ(١)

فَتًى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتِهِ ... تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ(٢)

أَخُو غَزَوَاتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُهُ ... رِقَابَهُمُ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدُ(٣)

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا ... لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثُّدِىُّ النَّوَاهِدُ(٤)

تُبَكِّى عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فى الدُّجَى ... وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ(٥)

---

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبهن : أى بالخيل ، والمشيع : الجرىء المقدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلثم عادة العرب فى أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق المغفر . ومبارك الوجه عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يتمنى أن تكون البلاد أوسع مما هى والزمان أطول . لأن الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمته وجيوشه ؛ وهذا كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فى فُؤَادِهِ هِمَمٌ ... مِلْءُ فُؤَادِ الزمان إِحْدَاهَا

فإِنْ أَتَى حظَّها بأزمنة ... أَوْسَعَ مِنْ ذا الزمانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جنى : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان . نهير ببلاد الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجمدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا ــ جمع ظبة ــ حد السيف . واللمى : سمرة فى الشفة تستملح . ونهد الثدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وأتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد حماها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فما أبقيت إلا مُخْطَفَاتٍ ... حَمَى الإِخْطَافُ منها والنهود

« الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم يبكون عليهن



بِذَا قَضَتِ الأيَّامُ ما بَيْنَ أهْلِها ... مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ(١)

وَمِنْ شَرَفِ الإقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمِ ... عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شاكِدُ(٢)

وَأَنَّ دَماً أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ ... وَأَنَّ فُؤاداً رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ(٣)

وَكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجاعَةِ وَالنَّدَى ... وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ(٤)

نَهَبْتَ مِنَ الأعْمارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ(٥)

ليلا ، وهن لدينا فى دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه والتشديد للمبالغة .

(١) وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

ما إنْ تَرَى شيئاً لشيءٍ محيياً ... حتى تُلاقِيَهُ لآخَرَ قاتلا

وهو معنى قديم ، ولكن المتنبى صاغه أبدع صياغة وأوجز .

(٢) مومومق : محبوب . والمقة : المحبة ، وفيهم : صلة مومومق ، وعلى : بمعنى مع ، والشاكد: المعطى ، شكده يشكده ويشكده شكداً: أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة. يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيهم شيئاً ، وذلك من شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذى تسفكه يفخر بأنه سفك بيدك ، وأن القلب الذى تخيفه يحمدك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فإن كنتُ مقتولا فكن أنت قاتلي ... فبعض مَنايا القوم أكرم من بعض

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ، بيد أنه إنما يسلك طريقهما من قادته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعنى أنك أنت مجبول عليهما ، ومن ثم تقودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدى : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مديح موجه — أى ذو وجهين — وذلك أنه مدحه فى المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لو عشته لكانت الدنيا مهنأة ببقائك فيها خالداً ، وهذا هو الوجه الثانى فى المدح — أنه جعله جمالا للدنيا تهنأ الدنيا ببقائه فيها ، ولو قال : ما لو عشته لبقيت خالداً : لم يكن المدح موجها .وقال الربعى : المدح فى هذا من وجوه :



فأنتَ حُسامُ المُلكِ وَاللهُ ضَارِبٌ ... وَأنتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ[(١)]

وأنتَ أبُوالهَيجا ابْنُ حَمْدانَ يا ابْنَهُ ... تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ[(٢)]

وَحَمْدانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ ... وَحَارِثُ لُقْمانٌ وَلُقْمانُ رَاشِدُ[(٣)]

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لاالأموال. الثانى:أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم خلد فى الدنيا . الثالث : أنه جعل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهنئت الدنيا . الرابع أن قتلاه لم يكن ظالما فى قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فلذلك قال لهنئت الدنيا : أى أهل الدنيا ، وقال ابن جنى : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لايمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذى عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الهيجاء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والهيجاء : الحرب تمد وتقصر ـ يقول : يا ابن أبى الهيجاء أنت أبو الهيجاء . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله * تشابه مولود كريم ووالد *

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . . الخ ، أى أن كل واحد من آبائك يشبه أباه فى كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب الصاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسامى فى الشعر ، كقول الشاعر :

إن يقتُلوك فقد ثَلَلْتَ عُروشَهُمْ ... بِقُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بن شِهاب

واحتذى هذا الفاضل حذوهم فقال : وأنت أبو الهيجا ـ البيتين ـ وهذا من الحكمة التى ذخر أرسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذكان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه — إلى آخر الآباء — فليت شعرى : ما الذى استقبحه ؟ فإن استقبح قوله: وحمدان حمدون : فليس فى حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبعد : فللعلامة العكبرى هنا كلمة لمناسبة ترك المتنبى صرف حمدون نثبتها هنا ـ حسبما شرطنا على أنفسنا فى هذا الشرح — قال العكبرى الكوفى : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، ووافقنا الأخفش وابن برهان

. . . .

والفارسى ، وحجتنا : إجماعنا على جواز صرف مالا ينصرف فى الشعر ضرورة ، فلذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف فى الشعر ، وقد جاء كثيراً فى أشعارهم . قال الأخطل : —

طَلبَ الأزارقَ بالكتائبِ إذ هَوتْ بِشَبيبَ غائلةُ النفوس غَدُورُ (١)

فترك صرف شبيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وشَدُّوا أَزْرَهُ بِحُنَيْنَ يومَ تواكُلِ الأبطالِ (٢)

فلم يصرف حنيناً ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إذا قالَ غاوٍ مِنْ تَنوخَ قَصِيدَةً بها جَرَبٌ عُدت علىَّ بِزَوْبَرَا (٣)

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

والى ابنِ أُمِّ أُنَاسَ أَرْحَلُ نَاقتِي عَمْرٍو فَتُبلِغُ حاجَتِي أو تُزْحِفُ (٤)

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ، وبين شبيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب : يعود على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور : بدل من غائلة.

(٢) تواكل الأبطال : أى تخاذلهم واتكالهم على غيرهم .

(٣) يروى هذا البيت لابن أحمر ، هكذا :

* وإنْ قال عاوٍ من مَعَدٍّ قصيدة *

ويقال أخذ الشىء بزوبره : أى بجميعه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى بكمالها ولم أقلها ، وقيل بزوبرا : أى كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

مَلِكٍ إذا نَزَلَ الوُفودُ ببابِهِ عَرَفوا مَوارِدَ مُزْبِدٍ لا يُنْزَفُ

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيبويه ، وشارح شواهده الإمام الشنتمرى الأندلسى . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبى خازم ، وأخطأ النساخ فورد فى اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد فى سيبويه أناس — بالتنوين — وهو خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وتزحف — يقال



. . . .

= وعمرو هو ابن حجر الكندى — فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هى بنت ذهل بن شيبان ، وقال الآخر :

أؤمِّلُ أن أعيشَ وأنْ يومِى بأولَ أو بأهـــونَ أو جُبَارِ
أو التالى دُبَارَ فإنْ يَفتنى فمؤنِسَ أو عَروبَةَ أو شِيارِ

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام فى الجاهلية : أول : الأحد، وأهون: الاثنين، وجبار: الثلاثاء ،ودبار: الأربعاء، ومؤنس: الخميس،وعروبة: الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أُميمـــةُ ما لثابت شاخصاً عَارِى الأشاجِعِ ناحلا كالمنْصُلِ (١)

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلمى :

وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مِرْداسَ فى مجمعِ (٢)

وبهذه الرواية جاء فى الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شىء يرجع إليـه ؛ وقول الآخر :

وقائلةٍ ما بالُ دَوْسرَ بعدنا صحاَ قلبهُ عن آلِ ليلىَ وعن هِندِ

فترك صرف دوسر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو المتحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعيا لجر فرسنه — ما قابل الحافر — يمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بعض جداته ؛ والموارد : مناهل الماء المورودة . شبه بها عطاياه ، وجعله كالبحر المزبد لكثرة جوده ، ومعنى ينزف : يستنفد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف اللحم ، وقيل :الأشاجع رؤوس الأصابع: وقيل: عصبها . والمنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجالا من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن حابس : [راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزانة ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية]



أُولَئِكَ أَنيابُ الخِلافَةِ كُلُّهَا ... وَسَائِرُ أَملاَكِ البِلاَدِ الزَّوائِدُ(١)

أُحِبُّكَ يا شَمْسَ الزَّمانِ وَبَدْرَهُ ... وَإِنْ لاَمَنِي فِيكَ السُّهَى وَالفَرَاقِدُ(٢)

وَذَاكَ لِأَنَّ الفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ ... وَلَيْسَ لِأَنَّ العَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ(٣)

فَبيناهُ يَشْرِى رَحْلَه قالَ قائلٌ ... لمن جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيبُ(١)

لجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذى ذكرناه، وصحته، وافقنا أبو على وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة البصريين أن الأصل فى الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسنان : التى تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتنع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السهى : نجم خفى من بنات نعش الصغرى ؛ ومنه المثل — أريها السهى وتريني القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية ؛ يقول : إنى أميل إليك بهواى وإن لامنى فى ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبارة ابن جنى : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السهى والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

---

(١) قال الإمام الشنتمرى شارح شواهد سيبويه — : يصف الشاعر بعيراً ضل عن صاحبه فيئس منه وجعل يبيع رحله ، فبينا هو كذلك سمع مناديا يبشر به — إنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب . ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته صدره أو زوره — وأبعد له من أن يصيبه ناكت أو ماسح أو ضبب ؛ وهذه كلها آفات وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته — ومعنى يشرى : يبيع . وهو من الأضداد .



فإنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ وإنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ(١)

وقد بَهَرْتَ فلا تَخْفَى على أَحَدٍ إلا على أَكْمَهٍ لا يعرِفُ القَمَرَا(١)

وعيش بارد : رغد هنيء يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور فضلك فلا يستحق الحب ، وعبارة ابن جنى : محبتى لك لفضلك لا للخير الذى أصيبه عندك .

(١) الجهل : الحمق . قال العكبرى : يريد : أنا أحبك بعقل فينتفع بى ؛ وغيرى يحبك بجهل فلا ينتفع به . . ثم قال : ولو قال المتنبى بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن فى صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحمق :

---

(١) تقدم أنه من أبيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هبيرة . وقبله :

ما زِلْتَ فى درجات الأمر مرتقياً تَنْمِى وتسمو بك الفُرْعَانُ مِنْ مُضَرَا

[وروى : حتى بهرت] .

انتهى الجزء الأول ، ويليه ـ بعون الله وتوفيقه ـ الجزء الثانى وأوله :

وقال يمدح سيف الدولة بعيد الأضحى إلخ

لكل امرىء من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا





فهرست الجزء الأول

شرح
ديوان المتنبّي

وضعه
عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب ، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنيا عن جميع الشروح

الجزء الثاني

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، أنشده إياها فى ميدانه بحلب وهما على فرسيهما :

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فى العِدَا(١)

وَأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ وَيُمْسِى بِمَا تَنْوِى أَعَادِيهِ أَسْعَدَا(٢)

وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى(٣)

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فى كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا(٤)

---

(١) يقول : كل امرئ يعمل بعادته ، وما تعوده وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة هذا الممدوح أن يغزو أعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمحه . جعله سيفا ووصفه بالطعن ، فكأنه جعله سيفا ورمحا .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطعن ـ فى البيت السابق ـ ويمسى : عطف على يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التى يكون معها اضطراب فى الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عداته عنه بضد إرجافهم ؛ فهم يرجفون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وفلجه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم ، إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان.ويروى بدل «تنوى» تحوى : أى أنه أملك لما فى أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواه .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مريد . يقول : ورب عدو أراد أن يضره فضر نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمة له ، فكأنه أهدى إليه هدية وضل بذلك عن القصد . فقوله أهدى : من الهدية ، وما هدى : من الهداية . وعبارة العكبرى : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أى قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأضله بقصده له ، فصار مهديا إليه ـ من الهدية ـ لأنه يغنم الجيش فيكون غنيمة له ، فيكون الهادى مضلا ومهديا إليه ليغنمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف فى يده .فآمن وأتى بكلمة الشهادة : إما خوفا منه ، وإما ظنا بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه .



هُوَ الْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إذَا كَانَ سَاكِنًا ... عَلَى الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إذَا كَانَ مُزْبِدَا[١]
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى ... وَهٰذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدَا[٢]
تَظَلُّ مُلُوكُ الأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ ... تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا[٣]
وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا ... وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا[٤]

---

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالما ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضبا عرض نفسه للتهلكة ، مثله فى ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والغوص على مافيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبارة الخطيب التبريزى : لا تأته وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نكبه . يقول : إن البحر يعثر براكبه ـ أى يهلكه ـ عن غير قصد وعمد ، أما الممدوح فإنه يهلك أعداءه متعمدا . وهذا المعنى قريب من قوله فى إحدى قوافيه السابقة :

وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانُهُ ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلادَ إذَا عَبَا

وقال ابن جنى : المعنى : ليس إغناء البحر من يغنيه عن قصد ، وهذا يغنى من يغنيه عن تعمد . قال : ويعثر : قد يأتى فى الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أصابه بنكبة . ومعنى يعثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشىء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يغرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عثرة البحر بالفتى على إغنائه .

(٣) يقول : من تمرد عليه وفارقه من الملوك هلك ؛ ومن سالمه منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا ـ مقصورا ـ العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إذا ما أغارُوا فاحْتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ
أغارَتْ عليه فاحتوتْهُ الصنائعُ



ذَكِيٌّ تظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ ... يَرَى قَلْبُهُ فى يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا[1]

وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ... فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأَوْرَدَا[2]

لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتُقِ يَوْمَهُ ... مَمَاتًا وَسَمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ مَوْلِدَا[3]

سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ... ثَلَاثًا لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا[4]

---

(١) التظنى : أصله التظنن ، قبلت النون الثانية ياء ، ومعناه الظن ، وطليعة الجيش الربيئة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير — فى قوله ماترى غدا — للعين . يقول : إنه من الذكاء والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشىء قبل أن تراه عينه ، كالطليعة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه فى يومه بظنه ماتراه عينه غدا . وهذا من قول أوس بن حجر :

الألمعىُّ الذى يظنُّ بكَ الظـــنَّ كأن قدْ رأَى وَقد سَمِعـا

وعبارة ابن جنى : هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئا رآه بعينه لا محالة

(٢) يقول : إنه يصل بخيله إلى الثنايات البعيدة التى يتعذر الوصول إليها حتى لو كان قرن الشمس — وهو أول مايبدو منها عند طلوعها — ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة وإقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لذلك : أى لأجل ماقلته فى البيت السابق ، ويومه : أى اليوم الذى أسر فيه ، والضمير فى سماه : إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من الشجاعة والإقدام وما إليهما لم ينثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمى الابن ذلك اليوم مماتا ، لأنه وقد أسر يئس فيه من الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولدا لأنه نجا فيه من أظفار المنية فصار كيوم ولدته أمه . والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتا للابن حياة للأب .

(٤) جيحان : نهر ببلاد الروم ؛ وآمد : بلد بالثغور . يقول : بلغت جيحان من آمد فى ثلاث ليال — وهى مسافة بعيدة لا تقطع فى مثل هذه المدة — وبذلك أدناك الركض من جيحان — على بعده من محل قيامك — وأبعدك عن آمد — على قرب عهدك بمغادرتها — وعبارة ابن جنى : أدناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال الواحدى ناقدا : وهذا — أى كلام ابن جنى — لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثا من أرض آمد ، وهذه مسافة



فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ جَمِيعاً وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا(١)
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا(٢)
وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلَـكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا(٣)
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلَاصَ الْمُسَرَّدَا(٤)
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْىَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا(٥)
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرُّ وَجْهَهُ جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا(٦)

لا يقطعها أحد يسير فى ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد فى ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى فى يدك ؛ ولم يك ذلك إعطاء منه يبتغى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؛ والطرف العين . وقوله: منك تجريد يقول: لما راك كنت قيد عينه لعظمك فى نفسه فشغلتها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار فى حكم الميت فى تخاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدمستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانتهز الدمستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويجتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص: الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرد : المنظوم المنسوج بعضه فى بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا فى طرفها زج ، يقول : وصار يمشى فى دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الخيل السراع ـ لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الخيل ـ بعد أن يئس ونال منه الهم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكر ، عطف القرن على قرنه فى الحرب : والنقع : غبار الحوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كر الفرسان ـ فى الطعن والضرب ـ



فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ ... تَرَهَّبَتِ الأَمْلَاكُ مَثْنَى وَمَوْحِدَا[1]

وَكُلُّ امْرِئٍ فى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا ... يُعِدُّ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدَا[2]

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِى أَنْتَ عِيدُهُ ... وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَا[3]

وجهه جريحا ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحدا واحدا . « هذا » وقوله وموحداً ــ بفتح الحاء ــ هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أى بعد فعلة الدمستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجى من على ترهب لـكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سمى : أى ذكر اسم الله ، يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : ليهنك العيد الذى أنت عيده : أى تحل فيه محل العيد فى القلوب ــ إذ أن العيد مما يبتهج به الناس ، فـكذلك هذا العيد يبتهج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزنا وأنت مراده

ثم قال :

وأنت عيد لمن سمى وضحى وعيّد

أى أنت عيد لـكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هنيئاً لك ، فحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفعت العيد كما يرفعه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هنيئا عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هنيئاً ــ وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هنأك هنيئا ، وربما وضعوا اسم الفاعل فى هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهى ترقص ابناً لها :

قُمْ قائماً قُمْ قائماً ... لقيتَ عبداً نائما

وَعُشَراء رائما ... وأَمَــةً مُراغما



وَلاَ زَالَتِ الأَعْيَادُ لُبْسَــكَ بَعْدَهُ تُسَــلِّمُ مَخْرُوقاً وَتُعْطَى مُجَدَّدَا[1]

فَذَا الْيَوْمُ فِى الأَيَّامِ مِثْــلُكَ فِى الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَداً كَانَ أَوْحَــدَ[2]

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وعبد مراغم مضطرب على مواليه . تريد: قم قياما]

(١) اللبس : ما يلبس ، استعارة للأعياد ، فأجراها مجرى الملبوسات . يقول : لا زلت تلبس الأعياد المتكررة عليك فى الدهر ، فإذا مضى عيد أتاك عيد بعده جديد ، فصار الماضى خلقا والقادم جديداً . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهرى : إنما جمع أعياد بالياء للزومها فى الواحد . وقيل للفرق بين أعواد الخشب وبينه ؛ وسمى العيد عيداً لانه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسلمون : شهدوا عيدهم ، والعيد ؛ مااعتادك من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حبِّها عِيد

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أَمْسَى بأسماء هذا القلبُ مَعْمُودا إذا أقولُ صحاً يعتــادُهُ عِيدا[1]

كأنَّنى يَوْمَ أُمْسِى ما تُــكلِّمُنِى ذو بُغْيةٍ يَبْتَغِى ماليْسَ مَوجودا

كأنَّ أحْوَرَ مِنْ غِزْلانِ ذى بَقرٍ أهْدَى لنا شَبَهَ العينينِ والجيدا

(٢) وبديع قول أبى تمام فى هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنهُمْ عن غَطارِفةٍ كأنَّ أيَّامَهُم مِن حُسنها جُمَــعُ

قال ابن جنى فى شرحه هذا البيت ـ بيت المتنبى ـ : فى البيت نظر ، وهو أنه خص العيد وحده ـ دون الأيام ـ بما ذكر من الشرف وكان ينبغى أن تكون أيامه كلها كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران : أحدهما ـ وهو الأظهر ـ اشتماله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزية على غيره مما ليس بعيد . قال العكبرى بعد أن أورد كلام ابن جنى . هذا : ويجوز أن يقال

---

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً فى موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففى قوله يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الجَدُّ حَتَّى تَفضُلَ العَيْنُ أُخْتَهَا ... وحَتَّى يَصِيرَ اليَوْمُ لِليَوْمِ سَيِّدَا[1]
فَيَاعَجَباً مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ ... أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَىْ مَا تَقَلَّدَا[2]

إنما جعله فى الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير فى قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكملت لكم دينكم » لا تخذناه عيداً ، فقال عمر . إنى لأعلم أى يوم نزلت وفى أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص المتنبى هذا اليوم بالشرف فى الأيام كشرفه ـ أى الممدوح ـ فى الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى فى المتساويين ، مثل العين والعين واليوم واليوم : فترى العينين تتفاضلان فتصح إحداهما وتسقم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء شمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام فى الصورة ، ولكن الجد مازه من سائر الايام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

وإذا تأمَّلْتَ البلادَ رأيتها ... تثرى كما تثرى الرجالُ وتُعْدِمُ
حظ تَعاوَرَهُ البقاع لوقته ... وَادٍ به صِفْرٌ وآخرُ مُفْعَمُ

[ثرا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حداه ؛ يقول : أما يخشى الخليفة ـ وقد تقلدك سيفاً له ـ أن تكون سيفا عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما فى هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت فروى دائل ـ بالدال المهملة ـ من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالذال المعجمة ، وهو الرجل المتقلد سيفه المتبختر فى مشيته . والذائل : السيف الطويل أيضا ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذيال الذنب . والذائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكلُّ صَمُوتٍ نَثْلةٍ تُبَّعِيَّةٍ ... وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كلَّ قَضَّاءَ ذائلِ[1]

---

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت : والنثلة : الدرع السابغة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ بَازاً لِصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيما تَصَيَّدَا(١)

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازا يصيد به أتى عليه الأسد فصاده وقد ضرب هذا مثلا للمعنى السابق . يعنى أنك فوق من تضاف إليه . وفى هذا المعنى يقول دعبل :

فكان كالكلبِ ضَرّاهُ مُكَلِّبُهُ لِصَيْدِهِ فغدا يصطاد كلابه

ومن هذا الباب البيت المشهور :

أُعَلِّمُهُ الرماية كل يوم فلمَّا استدّ ساعِدُهُ رَمانى(١)

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جنى : يصيره الضرغام . قال ابن جنى : قلت له — أى للمتنبي — جعلت من شرطا صريحا ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لا تركب الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء — فى يصيره — ثم حذفتها . . . والذى قاله جائز ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه: يصير الضرغام من يجعله بازا فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يا أقرعُ بنَ حابس يا أقرعُ إنك إن يُصرَعْ أخوك تصرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جنى ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبي : أردت الفاء ثم حذفتها ، فجائز حسن قد جاء فى الكلام الفصيح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع — أحد ملوك اليمن — وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .

(٢) استد : استقام . قال الأصمعى : اشتد — بالشين المعجمة — ليس بشيء ؛ قال ابن برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فلا ظَفِرَت يمينكَ حينَ تَرْمِي وشَلَّت مِنكَ حامِلَةُ البنان



رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فى مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنَّدَا(١)

وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِى يَحْفَظُ الْيَدَا(٢)

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ

وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا(٣)

وَوَضْعُ النَّدَى فى مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلاَ

مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فى مَوْضِعِ النَّدَى(٤)

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْياً وَحِكْمَةً كَمَا فُقْتَهُمْ حَالاً وَنَفْساً وَمَحْتِدَا(٥)

فقلت يارسول الله : إن لى مالا وليس لى من يرثنى إلا ابنة لى فأتصدق بنصف مالى ؟ قال : لا ، فقلت : فالثلث ؟ قال: الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس * التقدير : فهو خير ، لحذف الفاء .

(١) المهند : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم فى قدرة خالصة لايشوبها عجز ولا تقصير ، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد اللئيم ؛ والكاف — من قوله كالعفو — اسم بمنزلة مثل فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ : يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح عن حر استرقه بهذا الصفح . فيذل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غلَّ يداً مُطلقها واسترق رقبة مُعتقها

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حق قدره ، فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا وجرأة عليك .

(٤) بالعلى : متعلق بمضر . يقول : ينبغى أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق ، فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن فعل هذا أضر بعلاه وهدم أركان دولته .

(٥) المحتد : الأصل ؛ والمنصوبات — فى البيت — تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الأفْـكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا[1]

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد فى الرأى والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفس — إذ كنت أعلاهم همة — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهى تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفى منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الأبيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الابيات التى تقدمت ، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ماخفى وقال آخرون : إن المقتدين بسيف الدولة فى المكارم ، يأخذون ويتركون ما خفى . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالافكار، ولقال : يدق على الكرام . وقال ابن جنى : هذا البيت مثل قول عمار الكلابى :

ما كلُّ قولِىَ مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدَعُوا

قال ابن فورجه : عمار الكلابى محدث لحنة ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوى أمى لحانة ، وهذا البيت من أبيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومِنْ قياس نحوهِم هذا الذى ابتدعُوا
إن قلتُ قافيةً بِكراً يكونُ لها مَعْنًى خلاف الذى قاسُوهُ أوْ ذَرَعُوا
قالوا لحَنْتَ وهـذا ليس مُنتصباً وذاكَ خفضٌ وهـذا ليسَ يرتفعُ
وحَرَّضُوا بين عبدِ اللهِ من حُمُقٍ و بين زيدٍ فطالَ الضربُ والوَجَعُ
فقلتُ واحـدة فيها جَوابهمُ وكثرةُ القولِ بالإيجاز تنقطعُ
ما كل قولِىَ مشروحاً لكم فخذوا ماتعرِفُونَ وما لم تعرفُوا فدعُوا
حتى يصيرَ إلى القومِ الذين غُذوا بمـا غُذيْتُ بهِ والقولُ يجتمعُ
فيعرفوا منـه معنى ماأفُوهُ بهِ حتى كأنى وهم فى لفظهِ شَرَعُ
كم بينَ قومٍ قدِ احتالوا لمنطقِهِم و بينَ قومٍ على إعرابهِم طُبِعُوا

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّى بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِىَ حُسَّدَا (١)
إِذَا شَدَّ زَنْدِى حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمِ ... ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدَا (٢)
وَمَا أَنَا إِلاَّ سَمْهَرِىٌّ حَمَلْتَهُ ... فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا (٣)

وبينَ قومٍ رأوا شيئاً مُعاينة ... وبينَ قومٍ حكوا بعضَ الذى سَمِعوا
إنى غُذِيتُ بأرض لاتشبُّ بها ... نارُ المجُوس ولا تُبْنَى بها البيعُ

فقد نقله أبو الطيب إلى المدح ، وأقام دقة صنيعه فى اقتناء المكارم مقام دقة معنى الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبى كما قلت .

(١) الكبت : الإذلال . يقول : أنت الذى غمرتنى بنعمك حتى صرت محسدا ونجم لى حساد يحسدوننى ويقصدوننى بالسوء فاكفنى شرهم بإذلالهم ورد كيدهم فى نحورهم ، وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثانى من قول أبى الجويرية العبدى :

فما زِلْتَ تُعْطِينِى ومالىَ حاسد ... مِنَ الناسِ حتى صِرْتُ أُرْجَى وأُحْسَدُ

وقال بعده أبو نواس :

دَعَنِى أُكْثِرْ حاسِدِىَّ بِرِحْلَةٍ ... إلى بلدٍ فيه الخَصِيبُ أميرُ

وقال البحترى :

وأَلْبَسْتَنِى النُّعْمَى التى غيرَتْ أخِى ... عَلَىَّ فأضْحَى نَازِحَ الوُدِّ أجْنبا

(٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهام : الرءوس . يقول : إذا قوى ساعدى حسن رأيك فيهم بأن آنست منك إعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ ذاك بسيفى وهو فى غمده لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : فى يدى ، وبدل بسيف . بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأى فى ، فما أبالى بالحساد ، والقليل من إنكارك عليهم يكفينى ؛ وهذا من قول أبى تمام :

يَسُوء الذى يسطو به وهو مُغْمَدٌ ... ويَفْضَحُ من يسطو به غَيْرَ مغمد

(٣) السمهرى : الرمح . ومعروضا . أى محمولا بالعرض ، وذلك يكون حين لايقصد به الطعن : ومسددا : موجها إلى المطعون . يقول : أنا زين لك فى السلم . أمدحك وأشيد بذكرك ، وشجى لاينتزع فى حلوق أعدائك ، أذود عنك وأنافح بلسانى وأكيد

وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ مِنْ رُوَاةِ قَلاَئِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً(١)
فَسَارَ بِهِ مَنْ لاَ يَسِيرُ مُشَمِّرًا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لاَ يُغَنِّي مُغَرِّدَا(٢)
أَجِزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْراً فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا(٣)

أعداءك بقوارع لسانى . فأنا لك كالرمح : إن حملته بالعرض كان زينا لك ، وإن حملته مسدداً راع أعداءك .

(١) جعل شعره فى حسنه كالقلائد التى يتقلد بها ، يقول : إن الدهر من رواة شعرى لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه فى كل وقت ، فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعرى ، ويروى بدل قلائدى : قصائدى .

(٢) يقول : إن شعرى ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعرى مجداً مشيحا ، وإذا سمعه من لا يغنى استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً ، والمراد أن شعره سار فى الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر . والتغريد: رفع الصوت للتطريب . أو تقول : إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته ، فسيره فى الآفاق من لا يريم مكانه ، وغنى به من لاعادة له بالغناء لشدة طربه به واهتزازه .

(٣) يقول : إذا أنشدك شاعر شعراً فاجعل جائزته لى ، لأن الذى أنشدت إنما هو شعرى أتاك به المادحون يرددونه عليك . يعنى أنهم يسلخون معانى أشعارى فيك ، ويأخذون ألفاظى فيأتون بها إليك . كما قال بشار :

إذا أنشدَ حمادٌ فقل أحسنَ بشارُ

وقال أبو هفان :

إذا أنشدكم شعراً فقولوا أحسنَ الناسُ

وقال أبو تمام فى غير هذا المعنى :

فمهما تكن من وَقْعَةٍ بعدُ لا تكنْ سِوَى حَسَنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

هذا : والجائزة العطية ، ويقال أصل الجوائز : أن قطن بن عبد عوف من بنى هلال ابن عامر بن صعصعة ولى فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف فى جيشه غازيا إلى خراسان فوقف لهم على قنطرة . فقال أجيزوهم ، فجعل ينسب الرجل ، فيعطيه على قدر حسبه . قال الشاعر :



وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِى فَإِنَّنِى
أَنَا الصَّائِحُ المَحْكِىُّ وَالآخَرُ الصَّدَى(١)
تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِى لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِى بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا(٢)
وَقَيَّدْتُ نَفْسِى فِى ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا(٣)
إِذَا سَأَلَ الإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الغِنَى وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا(٤)

فِدًى للأكْرَمِينَ بَنِى هِلالٍ عَلَى عِلاَّتِهِمْ أهلى ومالى
هُمُ سَنُّوا الجوائزَ فى مَعَدٍّ فصارتْ سُنَّةً أُخْرَى الليالى

وقال بعض أهل اللغة : أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر ، فقال : من جاز هذا النهر فله كذا ، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة ، وقيل : إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها ؛ من قولك : هذا يجوز وهذا يمتنع .

(١) الصدى : الصوت الذى يجيبك من الجبل وغيره ، كأنه يحكى قولك وصياحك ، وهذامثل . يقول : لاتحفل بشعر غيرشعرى ، فإن شعرىهوالأصل ، وغيرى كالصدىله.

(٢) السرى : سير الليل ؛ والعسجد : الذهب. يقول : لقد أثريت بما توالى على من نعمائك ، حتى لو شئت لاتخذت لخيلى نعال الذهب ؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيرى من المعوزين المقترين ، ليسيروا إليك كما سرت ، ويحظوا كما حظيت .

(٣) فى ذراك : فى كنفك . يقول : إنما أقمت عندك حبا لك ، لأنك قيدتنى بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام :

وَتَرْكِى سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتباطاً يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ الوِرُودِ

وقال أيضا :

هِمَمِى مُعلَّقةٌ عليكَ رِقابُها مغلولة ـ إن الوفاء إسارُها

(٤) يقول : إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه ؛ وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك ، وعبارة الواحدى : الدهر يحيل عليك ، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك ، ومن هذا قول أبى تمام :

شكوْتُ إلى الزمان نُحُولَ حالى فأرْشدَنى إلى عبدِ الحميدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارَقْتُـكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمُ ... قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذًى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ(١)

إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ(٢)

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ماكان — اسم موصول بمعنى الذى ، مبتدأ وخبره : يد — فى آخر البيت — وأذى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذى كنت أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبارة ابن جنى — ونقلها الواحدى — : الأذى بعثنى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً للفرقة . ثم قال المتنبى : إذا تذكرت الحال التى كانت بيننا فتشوقت إليكم ذكرت ذلك الجفاء فأعان قلبى على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جنى والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول : ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحسانا إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما قال الآخر :

عَتِبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ ... وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلْمِ

ثم قال : إذا تذكرت ما بينى وبينكم من صفاء المودة أعاننى ذلك على مقاومة الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .



وقال فى صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوى المشطب :

أَهْلاً بِدارٍ سَباكَ أَغْيَدُها أَبْعَدُ ما بَانَ عَنْكَ خُرَّدُها[١]

ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِى عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا[٢]

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : الناعم المتثنى لينا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمسس ، أو الحيية . لما دعا للدار — التى سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شىء فارقك جوارى هذه الدار الناعمات الأبكار ؛ فقوله : أهلا ، منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا بتلك الدار : أى جعلها عامرة بالأهل ، وهو فى الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير :

سَقَى الرملَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌ رَبابُه وما ذاكَ إلا حُبُّ مَنْ حَلَّ بالرملِ[١]

« أى من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — على أنه استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم تزودك عند رحيلها زاداً تدعو لها ، وروى أبعد — بالنصب — على أنه حال من الأغيد ، والعامل فى الحال : سباك . يريد سباك أبعد ما بان عنك : أى أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهى التى أثبتناها فى هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظللت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفا ؛ وخلب الكبد : غشاؤها ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لكبد . وقال العكبرى يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة جاريتها ، ثم قال : وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشىء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة[٢] وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظللت بتلك الدار تنثنى على كبدك التى أنضجتها حرارة الوجد واضعا يدك فوقها ، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد فى كبده من حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسى :

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرباب . ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل.

(٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلقى بأفنية الدار



يَا حَادِيَ عِيرِهَا وَأَحْسَبُنِي أُوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا[1]

وأذكُرُ أيامَ الحِمَى ثمّ أنثَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خشيَةٍ أنْ تَصَدَّعَا[1]

وقال الآخر :

لما رَأَوْهُمْ لم يَحُسُّوا مُدْرِكاً وَضَعُوا أَنامِلَهُمْ على الأكبادِ

(١) العير : الإبل التى تحمل عليها الميرة ، ويروى عيسها : وهى كرام الإبل ، وقوله قبيل أفقدها : أراد قبيل أن أفقدها ، فلما حذف أن : عاد الفعل إلى الرفع كبيت الكتاب — كتاب سيبويه — :

* ألاَ أيُّهذَ اللائمِي أحضُرَ الوَغَى[2] *

(١) للصمة بن عبد الله القشيرى من أبيات جميلة أولها :

حَنَنْتَ إلى رَيّا ونَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزارَكَ مِنْ رَيّا وَشَعْبا كُما مَعَا

فما حَسَنٌ أنْ تأتِيَ الأمرَ طائعاً وتجزَعَ أنْ داعِي الصَّبابَةِ أسْمَعا

قِفا وَدِّعَا نَجداً وَمنْ حَلّ بالحِمَى وقَلَّ لِنَجْدٍ عِندنا أن يُوَدَّعا

بنفسِيَ تلكَ الأرضُ ما أطيبَ الرُّبَا ومَا أحسنَ المصطافَ والمتربَّعا

ولما رأيتُ البِشْرَ أعرضَ دوننَا وجَالَت بَناتُ الشوقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا

بكَتْ عَينِيَ اليُسْرَى فلمّا زَجَرْتُها عن الجهلِ بعد الحِلمِ أسْبلَتا مَعَا

تلفتُّ نحو الحَيِّ حتى وَجَدْتُنِي وَجِعْتُ مِنَ الأصغاءِ ليتاً وأخْدَعا

وأذكر أيام الحمى . . . . [البيت]

وليْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ إليكَ ولكنْ خَلِّ عينيكَ تَدْمَعا

الشعب : الحى ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق نوازعه . ونزعا جمع نازع أى مشتاق ، والليت صفحة العنق ، والأخدع : عرق فيها .

(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته ، وعجزه :

* وأنْ أشهَدَ اللذاتِ هل أنت مُخلِدِي *

وبعده :

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلَا   أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا(١)

وقوله رأحسبنى إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديين، ثم ترك ما دعاهما له فذكره فى البيت التالى ، وأتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة . قال العكبرى : نادى الحاديين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقدْ أدركَتْنِي والحوادثُ جَمّة   أسِنةُ قومٍ لا ضِعافٍ ولا عُزْلِ

ففصل بين الفعل والفاعل بما هو من قصته ، لأن إدراك الأسنة من جملة الحوادث .

(١) يقول — للحاديين اللذين يحدوان عيرها أو عيسها — : احبساها على قليلا لأنظر إليها وأتزود منها نظرة فلا شىء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذى الرمة :

وإنْ لم يكنْ إلا مُعرَّجُ ساعةٍ   قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلهـــا(١)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كبيت الكتاب :

من فَرَّ عَنْ نِيرانِهـا   فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ(٢)

فإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ منيتى   فَدَعْنِي أبادِرْهَا بما ملكت يَدِي

[يقول طرفة : يامن يلومنى على حضور الحرب لئلا أقتل ، وعلى أن أنفق مالى فى اللذات : ما أنت مخلدى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى ... يعنى أن الموت لا بد منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألمـا على الدار التى لو وَجَدْتُها   بها أهْلُها ما كان وحْشاً مَقِيلُها

ألمـا : إنزلا ، ووحشا موحشاً ، والمقيل : النوم فى الظهيرة ؛ والمعرج : التعريج وهو الإقامة . وقليلها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر ..

(٢) من أبيات لسعد بن مالك ــ شاعر جاهلى من شعراء الحماسة ــ وأول الأبيات:

يا بؤْسَ لِلْحَــرْبِ التى   وضعت أراهِطَ فاستراحوا

وبعــده :

والحرْبُ لا يبقى لَجا   حِمِها التخَيُّلُ والمِزَاحُ

فَفِى فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوًى ... أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا(١)

شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا(٢)

بَانُوا بِخُرْعُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ ... يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا(٣)

يريد : ليس عندى براح .

(١) عنى بالمحب : نفسه ، والجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن، والجحيم: النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار: جحيم ؛ وجحمت النار : اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعِدّونَ للهيجاء قبلَ لِقائها ... غداة احتِضار البأس والموتُ جاحِمُ

يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللمة من الشعر : ما ألم بالمنكب وجاوز شحمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل فى الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل جمة ، فإذا ألم بالمنكب : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس. والدمقس: الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب ابيض شعره حتى صار ما كان أسود من لمته أبيض .

(٣) الخرعوبة: الشابة اللينة الطرية؛ وقوله يكاد: يريد قرب من ذلك، وكاد: فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نفى فى المعنى ، فأراد: قرب من ذلك ولم يفعل . قال اللغويون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من

إلا الفتى الصبارُ فى النجداتِ والفرسُ الوَقاحُ

يابؤس للحرب ــ يقول: يابؤس الحرب ، ومعنى وضعت أراهط حطتهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر فى هذه الحرب فاستراحوا من مكابدتها كالنساء . وقوله: فأنا ابن قيس أى أنا المشهور فى النجدة لما سمعت ؛ والبراح : مصدر برح الشىء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخيلاء . يقول : إنها تزيل نخوة المنخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخيلاء ويختال المتشبع ، فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط ؛ والمراح ــ بكسر الميم ــ النشاط .



رِبَحْلَةٍ أَسْمَرٍ مُقَبَّلُهَا سِبَحْلَةٍ أَبْيَضٍ مُجَرَّدُهَا[١]
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً أَضَلَّهَا اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا[٢]
لَيْسَ يُحِيكُ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا[٣]

اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العجيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنُوءُ بأُخْرَاهَا فَلأْياً قِيَامُهَا وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر[١]

ويقول أبو العتاهية :

بَدَتْ بين حُورٍ قِصَارِ الْخُطَى تُجَاهِدُ بالمشى أكفالها

وقال أبو دلامة :

وقدْ حاوَلَتْ نحوِى القيامَ لحاجةٍ فأثقلها عن ذلك الكَفَلُ النهْدُ

(١) الربحلة والسبحلة : من نعوت النساء ، وهى الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقبيل ، وهو الشفة ، وتحمد فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لمياء فى شفتيها حُمْرَةٌ لَعَسٌ وفى اللثاتِ وفى أنيابها شَنَبُ

والمجرد : ماتعرى من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون ، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد ـ الذى تصيبه الريح والشمس ، وهو الذى يظهر للرائين ـ كان سائر بدنها ـ الذى لاتصيبه الريح ولا الشمس ـ أشد بياضاً .

(٢) الفئة : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يامن يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله فى الهوى حتى تهالكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أى أنهم لايصغون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه الشىء وحاك : أثر . يقول : إن لومك لايؤثر فى همم أقربها منك فى تقديرك أبعدها عنك فى الواقع : أى أن الذى تظنه ينجع فيه لومك هو الأبعد عما تظن :

---

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها ـ وهى عجيزتها ـ تنيئها : أى تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها فى أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هى قامت ، بعد لأى أى بعد مشقة وجهد وإبطاء .



بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِرْتُ مِنْ طَرَبِي   شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا(١)

(١) يذم الليالى التى لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذى يرقد الليالى ساليا لايجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وأين الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

شكونا إلى أحبابنا طُولَ ليلنا   فقالوا لنا ما أقصرَ اللَّيلَ عندنا

وإليك ما أورده العكبرى فى شرح هذا البيت قال : المقصود بالذم محذوف ، وهو نكرة موصوفة بسهرت ، والعائد إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليال سهرت فيها ؛ ومثله فى الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم) تقديره آية يريكم بها البرق خوفاً، وقد جاء فى الشعر حذف النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة فى قول الراجز :

مالكَ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرْ   وَغَيْرُ كَبْدَاءَ شَدِيدَةِ الوَتَرْ

* تَرْمِي بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى البَشَرْ(١) *

يريد بكفى رجل حذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طربى : مفعول له ،وهو بمعنى اللام ، كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمته لمخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا : يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طربى فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة للسهر ، ولا يعمل سهرت فى قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا بعاطف ، كقولك أقمت سهرا وخوفا ، وسرت طربا وشوقا . ويحتمل أن ينصب بمحذوف كأنه قال شقت شوقا ، وشاقنى انتذكر شوقا ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك قد بعت ، أى باعنى مالكى ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المطر — غثنا ماشئنا : أى أغاثنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها ، وإن شئت علقته بالطرب إذا نصبت شوقا بالطرب ، وإن نصبته بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك تفصل بشوق وهو أجنبى من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول: يرقد فيها، كما تقول

(١) قوس كبداء : غليظة المقبض تملأ الكف . وقوله ترمى . يروى جادت من الجودة وقال ابن جنى : روي أيضاً بفتح ميم «من» أى بكفى من هو فى الرمى من أرمى البشر، وكان على هذا زائدة . وعلى هذا لا شاهد فيه .



. . . .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع فى الظرف لجعله مفعولا به على السعة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيما وعامرا[1] *

ففى البيت أربعة حذوف : حذف المقصود بالذم — وهو ليال — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهدت — بالراء والدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — فى كل شىء ، وبالدال للديغ والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهد مِن نَوم ِ العشاء سَليمُها[2] *

وبقول الأعشى :

* وبِتُّ كما بات السليم مُسَهدا[3] *

---

(١) عجزه :

قَليل سوى الطعْن النِهال نوَافِلهْ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعامر قبيلتان من قيس غيلان؛ والنوافل هنا : الغنائم يقول : يوم لم يغنم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطعن هنا جمع طعنة :

(٢) عجزه :

* لحلِى النساء فى يَديْها قعاقع *

يقال فلان يسهد : أى لايترك أن ينام .

(٣) صدره :

* ألم تَغتَمِض عَيناك ليلة أرْمَدا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعده :

وما ذاكَ مِن عِشقِ النساء وإنما ‎ ‎ ‎ تناسَيتَ قَبْلَ اليوم خُلة مَهْدَدَا



. . . .

وقوله: بئس : اختلف أصحابنا والبصريون فى نعم وبئس، فقال أصحابنا هما اسمان ، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لايتصرفان ، ووافقهم من أصحابنا : على بن حمزة المقرىء . حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل . قال حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

أَلستُ بِنِعمَ الجارُ يُولِفُ بَيْتَــهُ　　لذى العرْفِ ذا مالٍ كثيرٍ وَمُعْدِمَا(١)

وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : نعم السير على بئس العير، وقال الفراء : إن أعرابيا بشر بأنثى فقيل له نعم المولود مولودتك ، فقال : والله ماهى بنعم الولد ، نصرها بكاء وبرها سرقة . فدخول حرف الجر عليهما دل على أنهما اسمان . وحجة أخرى : أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لايدخل إلا على الأسماء فى قولهم : يانعم المولى ويانعم النصير : ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه : ياالله نعم المولى. فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه ، كما يحذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه ، فإن قيل ذلك ، فجوابنا : المنادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرف النداء فعل أمر ، وما جرى مجراه ، كقراءة على بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج « ألا يا اسجدوا » تقديره : ياهؤلاء اسجدوا . وكقول ذى الرمة :

أَلا يا اسْــلمى دَارَمَىَّ عَلَى البِلِى　　ولا زَالَ مُنهلا بجرعائك القطر(٢)

وكقول الآخر :

أَمَسْلَمَ يَا اسمع يا ابن كلِّ خليفةٍ　　ويا سائس الدنيا ويا جبل الأرض(٣)

إلى آخر الأبيات . وقوله ليلة أرمدا : يريد ليلة أرمدتا — أى عيناه — أى أصابها رمد ، وهو وجع العين ، والسليم : اللدوغ ، والمسهد : الذى منع النوم ، والخلة : الصداقة ومهدد : اسم امرأة .

(١) قوله يولف بيته لذى العرف : أى يجعله مألفاً لذى العرف أكان غنياً أم فقيراً .

(٢) مى : هى محبوبته ، وعلى : بمعنى مع ، ومنهلا: منصباً ، والجرعاء. مؤنث الأجرع : الموضع المختلط ترابه بالحصى؛ والقطر : المطر . يدعو لها بالخصب .

(٣) هــذا البيت لأبى نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك . وقد أورده القالى على الوجه الآتى :



. . . .

أراد ياهذا : وشواهده كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن المنادى يخاطب ، والمأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من المخاطبين اكتفاء بالثانى ، ولاخلاف أن نعم المولى خبر ؛ فيجب أن لايقدر المنادى محذوفا ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أوما جرى مجراه من الطلب والنهى ، ولذلك لايكاد يوجد فى كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر فى قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملتى خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك يانعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر المنادى محذوفاً ، ودليل آخر على أنهما اسمان ، انهما لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لاتقول : نعم الرجل غدا ولا أمس ولا بئس الرجل غدا أو أمس ، ودليل آخر : أنهما غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ودليل آخر : أنهما لم يكونا فعلين ماضيين لأنه يجوز دخول اللام عليهما فى خبر أن ، تقول إن زيدا لنعم الرجل وعمراً لبئس الغلام . وهذه اللام لاتدخل على الماضى ، وهى تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على انهما اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس فى أفعال العرب فعيل ، فدل على أنهما اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لايقلبها أحد فى الوقف هاء كما قلبوها فى رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء يختص بها الفعل الماضى .

أَمَسْلَمَ إِنِّى يَاابْنَ كُلِّ خَلِيفَــةٍ ‏ وَيَا فَارِسَ الْهَيجَا وَيَا قَمَرَ الأَرْضِ

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْـــلٌ مِنَ التُّقَى

وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَــهُ نِعْمَــةً يَقْضِى

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا ‏ عَلَىَّ لِحَافًا سَابِغَ الطُّولِ وَالعَرْضِ

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِى وما كَانَ خَامِلاً

وَلَكِنَّ بَعْــضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لاشاهد فيه :



أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي ... شُؤُونُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا[١]

لا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا ... بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[٢]

---

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وهي مجارى الدموع ، والضمير في أحييتها وينجدها : لليالى ، والضمير فى شئونها للدموع . يقول : كان للدموع من الشئون إمداد ، ولليالى من الظلام إمداد ، يعنى أن تلك الليالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير فى ينجدها عائدا إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَىَّ اللَّيْلُ أَطْفَالَ حُبِّهَا ... كَمَا ضَمَّ أَزْرَارُ القميص البنائقا[١]

(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها فى السير فوق طاقتها يقول : إن ناقتى — ويريد نعله — لاتقبل الرديف — وهو الذى يرتدف خلف الراكب — وإذا راهنت عليها لم أجهدها بالسوط ؛ وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت :

وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الركابِ بِأَسْوَدٍ ... مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِى رَاكِبَا

وهذا المعنى من قول أبى نواس :

إليكَ أبا العبَّاس مِنْ بين مَن مَشى ... عليها امتطينا الحضْرَمِىَّ الملسَّنا

قلائص لم تعرفْ حنيناً إلى طَلاً ... ولم تَدْرِ ما قرْعُ الفَنِيقِ ولا الهِنا[٢]

ومثله قول الآخر :

روَاحِلنا سِتٌّ ونحنُ ثلاثة ... نُجَنِّبهنَّ الماء فى كلِّ منهل

---

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبنائق : جمع بنيقة ، وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :

* كما ضم أزرارَ القميص البنائقُ

كما هو فى أصله ، فالبنائق : العرى التى تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمى : إذا كان ملسنا وهو الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، والقرع : الجرب ، والفنيق ، الفحل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : القطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو القطران .

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا   زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا(١)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُهُ   تَحْتِيَ مِنْ خَطْوِهَا تَأَيُّدُهَا(٢)
فِى مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ   بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدَدُهَا(٣)

---

(١) الشراك : سير النعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ماتشد إليه شسوعها ، وهى السيور التى تكون بين خلال الاصابع ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة المشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصوف يقال ريح عاصف وعصوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأيدها : تأنيها وتلبثها . يقول : أهون سير ناقتى — يعنى نعله — يسبق أشد سير الرياح . يصف المتنبى نفسه بأنه شديد العدو متنعلا ، وقال الواحدى فى قوله تأيدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التفعل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التفعل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشىء يئيد أيداً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشىء يئود أوداً : إذا أثقل . وفى كلام العرب ما آدك فهو لى آئد : أى ما أثقلك فهو لى مثقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والوئيد الترفق . يقال : وأد يئد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الرفق ، وأنشد الخليل فى ذلك :

تأيدْ علىّ هداك المليك   فإن لكل مقام مقالا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأيدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت لمحذوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سببى لمفازة المحذوفة . وقرددها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددها ، والقردد: الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجادووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن ناتىء ، وبطنه لاطىء



مُرْتَمِيَاتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا(١)
إِلَى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدُهَا(٢)
لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أُعَدُّ مِنْهَا وَلَا أُعَدِّدُهَا(٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر المجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات — بالنصب — صفة لمفازة ، وغيطانها ، فاعل مرتميات : والغيطان ؛ جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض . والفدفد : الأرض الغليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وفدفدها ترمينا إلى الممدوح بقطعنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزعها بالطعن من المطعون . وأنهلها : سقاها . وموردها — بضم الميم — على أنه اسم فاعل — وهو الممدوح — فاعل أنهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أنهلها فى القلوب ورودها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبارة الواحدى : يرجعها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها فى قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيادى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال: له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن » والمعنى لطف بى . وقوله أعد منها : يريد أنى غذى نعمته ، وربيب إحسانه ، فنفسى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جنى : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لا تَنْتَفِنِى بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِى فَإِنَّنِى بَعْضُ أَيَادِيكَا

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أياديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شىء عددا » .



يُعطِى فَلَا مَطْلَةٌ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةٌ يُنَكِّدُهَا(١)

خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وَأَمْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا(٢)

---

(١) الضمير فى بها : للمطلة ، وفى يكدرها وينكدها : للأيادى ؛ ويروى مطله ومنه ، وبه يدل بها . يقول : إنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بعده . وينكدها : أى ينغصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنيعة ؛ وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى » وقال الشاعر :

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ ما قدَّمْتَ من حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أعطى بِمَنَّانِ

وعبارة العكبرى : يقول : له أياد لا يكدرها مطل ولا ينكدها من ؛ ولم يرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنا لا ينكدها ، وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه ألبتة ، ومن هذا قول امرىء القيس :

* عَلَى لاحِبٍ لا يُهتَدى بِمَنارِهِ *

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى : لا منار يهتدى به . ومثله قوله الآخر فى وصف مفازة :

لا تُفْزِعُ الأَرْنَبَ أَهوالُها ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ

لم يرد أن بها أرنبا لم يفزع ولا ضبا ، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان . وعبارة الواحدى : يعطى فلا مطله بالأيادى يكدرها : أى أنه لا يمطل إذا وعد إحسانا ، ولا يمن بما يعطى فينكده .

(٢) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو خيرهم أبا ، لأنه ليس فيهم أحد أبوه أفضل من أبى الممدوح . والنائل : العطاء ، وأبا ونائلا : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن ثم قال : أمجدها وأجودها والمجد قيل هو الأخذ من الشرف والسود : ما يكفى ، وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ماجد : أى له آباء متقدمون فى الشرف . قال : والحسب والكرم(١) يكونان فى الرجل ، وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، وأجودها : أسخاها .

---

(١) المراد بالكرم هنا : ضد اللؤم .



أطْعَنُها بالقَنَـــاةِ أضْرَبُهَا | بالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا(١)
أفرَسُــهَا فَارِساً وَأطْوَلُهَا | بَاعاً وَمِغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا(٢)
تَاجُ لُؤَىٍّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ | سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا(٣)
شَمْسُ ضُحَاهَا هِلالُ لَيْلَتِهَا | دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا(٤)
يَالَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا | كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا(٥)

---

(١) الجحجاح : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والمسود : الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القناة والسيف مع الطعن والضرب تأكيدا للكلام ، كما قال تعالى « يطير بجناحيه » وكما يقال : مشيت برجلى ، وكلته بفمى

(٢) فارسا : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراسة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للئيم : ضيق الباع ؛ والمغوار : للكثير الغارة .

(٣) لؤى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والمحتد : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها ليقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) التقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : اصل العنق ، ومفردها : تقصار وتقصارة . يقول : هو فيما بينهم كالشمس فى النهار ، والهلال فى الليل ؛ والدر والزبرجد فى القلادة . أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وفخرهم . قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه :

(٥) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب . قال العكبرى كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوما من العرب بظاهر الكوفة وهو شاب دون العشرين فقتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسنا ، فقال : ليت الضربة التى قدر لها محمدها — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بى : أى

أَثَّرَ فيهاَ وَفى الْحَدِيدِ وَماَ أَثَّرَ فى وَجْهِهِ مُهَنَّدُهاَ[١]
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهاَ بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهاَ[٢]

ليتنى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بى دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فتمنى أبو الطيب رتبته فى الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحمد فأكثرت حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردهما عن قصدهما ، فذلك تأثيره فيهما . فقوله: وما أثر فى وجهه مهندها : أى لم يشنه ولم يعبه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسنا ، لأن الضربة على الوجه شعار المغوار ، والعرب يفتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَلسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ولـكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدما[١]

والطعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

ولـكنما يخزَى امرُؤٌ يَكلِمُ استَهُ قَنا قومِهِ إذا الرِّماحُ هَوينا

ولك أن تقول : إنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثرا يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى فى القتال :

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصولها فى وجهه ، وحسدتها بقية الجراحات ، إذ لم تصب موضعا كريما مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والمثل : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يا عاذِلِى دَعْنِى مِنْ مِثْلِـكا مِثْلِى لا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِـكا

---

(١) الـكلوم : الجروح ، وقبيل البيت :

تأخرتُ أستَبقى الحياة فلم أجدْ لِنَفسى حياةً مِثْـلَ أن أتقدّما

وبعـده :

نُفَلِّقُ هاماً مِنْ رِجالٍ أعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعزَّ وأكْرَما

وَأيقَنَ النَّاسُ أنَّ زَارِعَهَا بِالمَكْرِ فىقَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثله شيء » والغبطة حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغتبط هو ، كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن جبلة العذرى :

وَ بينما المرءُ فى الأحيــاءِ مُغْتَبِطٌ إذا هو الرَّمْسُ تَعفوه الأعاصِيرُ(١)

قال الجوهرى : أنشدته مغتبط — بكسر الباء — أى مغبوط ، أى والاسم الغبطة وهى حسن الحال .

(١) الضمير فى قلبه : يعود إما إلى الزارع — أى الضارب — أى زرعها بمكر فى قلبه ، وإما إلى الممدوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة فى قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءته مماكرة وغدراً ، لا مواجهة وكفاحا ، وأن ضاربها قد بذر بذرا خبيثا لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من الممدوح .

---

(١) قبله :

فاسْتَقْدِرِ الله خيراً وارْضَيَنَّ به فبينما العُسْرُ إذْ دَارَتْ مَياسِيرُ

وبعـــده :

يَبْـكِى عليهِ غريبٌ لَيسَ يَعْرِفُه وذو قَرَابَتِهِ فى الْحَىِّ مسرورُ

حتى كأن لَمْ يَكُنْ إلا تَذَكُّرُهُ والدَّهْــرُ أيَّتَمَا حالٍ دهارِيرُ

[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العسر فالعسر مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العسر كائن أو حاضر. إذ دارت مياسير؛ أى حدثت وخلت ، والمياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهى الريح تهب بشدة . وقوله: كأن لم يكن إلا تذكره ، فيكن تامة ، وتذكره فاعل بها ، واسم كأن . مضمر ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكره، والهاء — فى تذكره — على الهاء المقدرة ، والدهر : مبتدأ ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما فى دهارير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهارير أى شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهارير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزمخشرى : الدهارير : تصاريف الدهر ونوائبه، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كعبابيد] .

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ ... يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا[1]

تَبْكِي عَلَى الأَنْصُلِ الغُمُودُ إِذَا ... أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا[2]

لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا ... وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا[3]

أَطْلَقَهَا فَالعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ ... يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا[4]

---

(١) الواو — فى وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حساده بالمقيم المقعد ، فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفا منه وذعراً ، وهذا كما قال :

أبدَى العداةُ بك السرورَ كأنهم ... فرحوا وعندهم المقيم المقعد

(٢) و (٣) يقول : إذا أنذر الغمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت الغمود على السيوف لعلمها أن السيوف للذكورة ستغمد فى دماء الأعداء حتى تتلطخ بها وتصير كأنها دم ، وأن الممدوح سيجعل الرقاب غمودا لها بدلا منها . وهذا المعنى تعاورة الشعراء من قديم . قال عنترة :

وما تَدرِي جُرَيَّةُ أنَّ نَبلِي ... يكونُ جَفيرَهَا البطلُ النجيد[1]

وقال حسان :

ونحنُ إذا ما عصَتنا السيوف ... جعلنا الجماجِمَ أغمادَها

وقال الحماسى :

مَنابِرُهُنَّ بُطُونُ الأكفِّ ... وأغمادُهُنَّ رُؤوسُ المُلوكِ[2]

ويقول ابن الرومى :

كساهُمُ العِزّ إنْ عَرَّوْا مناصِلَهُم ... فما لها غيرَ هامِ الصِّيدِ أجفانُ

(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفا وجزعا منها ، وحمدها الصديق لحسن بلائها فى العدو .

---

(١) الجفير : الكنانة والجعبة التى تجعل فيها السهام .

(٢) قبله :

وإنَّا لتُصْبِحُ أسيافنا ... إذا ما اصْطَبَحْنَ بيومٍ سَفُوكِ

(اصطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكا لأن السفك يقع فيه . وقوله

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا ... وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا(١)
إِذَا أَضَلَّ الْهُمَامُ مُهْجَتَهُ ... يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا(٢)
قَدْ أَجْمَعَتْ هٰذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي ... أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا(٣)
وَأَنَّكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا ... شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا(٤)

---

(١) يقول: إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتنقدح منها النار فيخمدها ما ينصب من الدماء عليها.

(٢) الهمام هنا: الملك العظيم، والمهجة: الروح، ونشد الضالة: طلبها ليعرف مكانها يقول: إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله، فإنما سيوفه هي التي تطلب مهجته منها، لأن سيوف الممدوح قواتل الملوك؛ أو تقول: إن سيوف الممدوح هي التي تثأر له، ويروى بدل تنشدها: منشدها اسم مكان: أي أن سيوفه هي المكان الذي تطلب مهجة المقتول منه، لأن سيوفه — كما قلنا — قواتل الملوك؛ ويروى فأطرافهن ينشدها — بنصب أطرافهن — وينشدها — بالياء المثناة التحتية — أي ينشدها في أطرافهن.

(٣) الخليقة: الخلائق والخلق. يقول: إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لي أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما. وقال الواحدي: يجوز أن يكون على التقديم والتأخير: أي أوحدها لي: أي أوحدها إلى إحساناً وإفضالا، ولا يكون في هذا كثير مدح . . . ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي . . . والقول يضمر كثيراً، كقوله تعالى «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا» أي ويقولان: ربنا تقبل.

(٤) وأنك: مخففة من أنك ضرورة، والمحتلم: الغلام بلغ مبلغ الرجال، وهو حال من التاء في كنت، وشيخ معد: خبر كان، والضمير في أمردها: لمعد؛ وقوله: وأنت أمردها: عطف على الحال: أي محتلما أمرد. يقول: وأنك بالأمس حين كنت غلاما أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل؟ هذا: وهاهي ذه طرفة نحوية للعلامة العكبري قال: قوله وأنك: أراد أنك بالتشديد، فخفف ضرورة مع الضمير، كقول الآخر:

منابرهن: أراد أنها إذ تنتضى فكأنها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم. يقول: إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)



فَلَوْ أنكِ فى يوم الرَّخاء سَألتني   طَلاقَكِ لم أبخَلْ وَأنتِ صَدِيقُ(١)

وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله :

وَصَدْرٌ مُشرقُ النحر   كأن ثَدْيَاهُ حُقَّانِ(٢)

لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها . وإذا خففت مع المظهر فتعملها فى مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبرا عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : فى قراءة نافع وعاصم وأبى عمرو وقنبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذى دخلها وحذف اسمها . أن يليها ما يجوز أن يليها وهى مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعَمَ الفرزدَقُ أنْ سَيقتلُ مِربعاً   أبشر بطول سلامة يا مِربَعُ(٣)

---

(١) بعده :

فما رُدَّ تَزْويجٌ عليهِ شَهادةٌ   ولا رُدَّ مِن بَعدِ الحَرَارِ عَتيقُ

ويروى فراقك — بدل طلاقك — وصديق : فعيل للواحد والجمع والمؤنث ، والحرار مصدر حر يحر من باب تعب : أى صار حرا ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخاء السعة : أى وقت إمكانه ، ولم أبخل : أى به : أى بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أى لو سألتنى ذلك فى وقت يقبله ، وهو ماقبل العقد لفعلت ، لكنه فى وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا يرد بعد العتق عتيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضىء ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تثنية حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضىء أعلاه ، وكأن الثديين فيه حقان فى الاستدارة والصغر .

(٣) مربع — بكسر الميم — لقب وعوعة أبى سعيد راوى جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه ، ومطلع القصيدة :

بانَ الخليطُ برَامَتَيْنِ فوَدَّعُوا   أوكلما رَفعوا لِبَيْنٍ تجزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ   رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا[1] .

وقال أمية بن أبى الصلت :

وقد علمنا لو أن العِلم ينفعُنا   أن سَوفَ يُتبع أولانا بأخرانا

وأما قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف الأربع ، فذلك لأن ليس ضعيفة فى الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو على حرفاً زماناً ، ثم رجع عن ذلك . وقوله مجتلها : حال ، والعامل فى الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل فى الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن الحال فضلة فى الخبر منكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها لما علتك بكان ، وهى فعل متصرف يعمل الرفع والنصب فى الاسم الظاهر والمضمر ، وليست كان فى نصبها الأحوال بأسوأ حالا من حروف التنبيه والإشارة ؛ قال الشريف ابن الشجرى : قال المعرى: كان لا تعمل فى الحال ، ويجعل العامل فى الحال وأنك بالأمس : أى الفعل المضمر الذى عمل فى قوله وأنك بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا علقت قوله بالأمس بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبرا لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق بمحذوف ، إلا أن يكون خبرا أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخبارا عن الجثث ولا صفات ولا صلات ولا أحوالا لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقته بكان ، وأعملت كان فى مجتلها . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جلل المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تعهدتها بأن قرنتها بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أى ابتداؤها ، أى انك ابتدأتنى بالصنيعة ثم ربيتها فلم تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله نعمة : قال العكبرى رويت — نصبا وجرا — : فمن نصب أراد الاستفهام ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

وِرأيتَ نَبْلك يا فَرَزدَق قَصَّرَتْ
ورأيت قوسَــكَ ليس فيهـــا مِنزَعُ



وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا ... أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا(١)

وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تُرَدِّدُهَا(٢)

أَقَرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلاَ ... أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا(٣)

فَعُدْ بِهَا لاَ عَدِمْتُهَا أَبَدًا ... خَيْرُ صِلاَتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا(٤)

***

(١) سمحت بها : أى قضيتها لى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفانين الكلام .

(٢) المكرمة : مايكرم به الإنسان من بر وألطاف ، يريد بها هنا ثيابا أهداها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جميلة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للممدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وترددها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى ترددها على الصدر .

(٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكأنه باكتسائه بها ناطق مقر ، كما قال الناشىء الأكبر :

لو لم يُبِح بالشكرِ لفظِى لخبَّرَتْ ... يمينى بما أوليتنى وشماليا

(٤) أعودها : أكثرها عوداً . يطلب منه إعادة العطية .



وقال أيضاً فى صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدِ
بِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ[1]
وَعُيُونِ الْمَهَا وَلاَ كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بِالْمُتَيَّمِ الْمَعْمُودِ[2]

---

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لقتيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً فى سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقا أو حرقا وما إليهما . وجعل المتنبى من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق فعف ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبرى : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حجتنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف فى أوله وآخره ، فما وصلته من أوله نحو هذا ، ومما وصلته فى آخره نحو « إما ترينى ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال فى كم مالك ؟ : كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير« كم » لم ، لأن الأصل فى لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت الميم ، فقال : لم فعلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثله شىء » أى ليس مثله . وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كهين ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقْ *

أى المقق وهو الطول ؛ وحجة البصريين أن الأصل هو الإفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة .

(٢) المها : جمع مهاة ، وهى بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنها وسعتها . وفتكت : قتلت بغتة ، والمتيم : الذى استعبده الحب ؛ والمعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالمتيم المعمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قتل بعيون أحبته التى هى كعيون المها ، وليست تلك العيون التى قتلته كالعيون التى قتلتنى وفتكت بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟ !



دَرَّ دَرُّ الصِّبَا أَأَيَّامَ تَجْرِيـر ذُيُولِى بدَار أَثْلَةَ عُـودِى (١)
عَمْرَكَ اللهَ هَـلْ رَأَيْتَ بُدُوراً طَلَعَتْ فى بَرَاقِـعٍ وَعُقُـودِ (٢)
رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُـهَا الْهُدْ بُ تَشُقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ (٣)

(١) الدر : اللبن ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجرير الذيول : كناية عن النشاط واللهو لأن النشيط أو النشوان يجر ذيله ولا يرفعه . ودار أثلة : موضع بظهر الكوفة . يتمنى أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمرك الله : قال العكبرى ـ نقلا عن الجوهرى صاحب الصحاح ـ وكثيرا ما يعتمد عليه ـ هو مصدر ، يقال : أطال الله عمرك وعمرك ـ بالفتح والضم ـ وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم ـ وهو المفتوح ـ فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء ـ فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسمى ؛ فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وقلت عمر الله مافعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمرك الله فكأنك قلت بتعميرك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة :

أيها المنكحُ الثريا سُهيلا عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان

يريد : سألت الله أن يطيل عمرك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل تورية ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد النجمين ، وهو فى قول المتنبى مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمرك تعميرا . . . يخاطب المتنبى صاحبه وشبه النساء بالبدور .

(٣) راميات : صفة لبدور ـ فى البيت السابق ـ والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشفار الأجفان ، شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِى بِسَهْمٍ رِيشه الكُحلُ لم يُصِبْ
ظَوَاهِـرَ جِلدى وَهُوَ فى القلْبِ جَارِح

وقال جميل :

وما صائبٌ مِن نابلٍ قذفَتْ بهِ يدٌ وَمُمَر العُقْـدَتين وثيقُ

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ[1]

بأوْشَكَ قتلا منكِ يومَ رَمَيتِنِي نوافِذَ لم تُعْلَم لهُن خُـــروق[1]

(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلة التوحيد . ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلاوة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبي أنشده هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا ــ للتخلص من هذه المبالغة المفرطة ــ إن التوحيد نوع من تمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ فى مذهب الشعراء ؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثانى فى كل المواضع ، وهنا مثلا قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ فى الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلة التوحيد ، وقد جاء مثل هذا كثيراً فى كلام العرب ، وعبارة الواحدى : كن يمصصن ريقى لحبهن إياى ، فكانت الرشفات فى فمى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهذا إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثانى فى جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعل

---

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لهُ مِنْ خَوافِى النسرِ حُمٌّ نظائِرٌ وَنَصلٌ كنصْلِ الزّاعِبِى فتيق

عَلَى نَبْعــة زَوراء أيمَا خِطامُها فمَتْنٌ وَأيْمَا عُــودُها فعتيــقُ

صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والنابل : ذو النبل وممر العقدتين ؛ يريد وترا أحكمت عقدتا طرفيه ، وأصل المعر : الحبل الشديد الفتل . وقوله من خوافى النسر : يريد ريش السهم ، وريش النسر أجود للسهم من ريش كل طائر ، والحم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم . وقوله كنصل الزاعبى : أى كنصل الرمح الزاعبى . قال الأصمعى : الزاعبى هو الذى إذا هز فكأن كعوبه يجرى بعضها بعض للينه وتثنيه ، من قولهم : مر يزعب بحمله إذا مر به مراً سهلا . وقوله فتيق : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبعة : يريد قوساً ، وأكرم القسى ما كان من النبع ــ شجر معروف ــ وقوله بأوشك قتلا منك : أى بأسرع . وزوراء أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ، وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها .

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الْخَمْـــرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجُلْـــمُودِ[1]

يجىء فى كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأولمن جنس الثانى ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة فى انفضل لامجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثانى : أن يكون الأولمن جنس الثانى ، ومحتملا للحاق به ، وقدسبق للثانى حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة فى التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبيت المتنبى من هذا القبيل : أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثانى أو قريبا منه ، والثانى دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجرأ من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثانى وقد سبق للثانى حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والغرض أن يحصل للأول بعض مايحصل للثانى ، نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثانى والأول دون الثانى فى الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء فى الحديث : « ماأقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر » ذهب من لايعرف معانى الكلام إلى أن أباذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نفى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة فى الصدق ، ولم ينف أن يكون فى الناس مثله فى الصدق ، ولو أراد ماذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، لحذف المضاف ورفع .

(١) الخمصانة — بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نعومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال العكبرى : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير فى يترشفهن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو فى موضع خفض نعتا لخمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على النعت لبدورا ، فيكون بدل تبيين .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْـبَرُ فِيـهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُـودِ (١)
حَالِكٍ كَالْغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيٍّ أَثِيثٍ جَعْـدٍ بِلاَ تَجْعِيدِ (٢)
تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيـحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودِ (٣)
جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسُّقْـمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ (٤)
هٰذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْكِ لِحَيْـنِي فَانْقُصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِي (٥)
أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيـدَ بِتَصْفِيفِ طُرَّةٍ وَبِجِيدِ (٦)

---

(١) ذات : صفة أخرى لحصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله وعود ؛ — فى آخر البيت — متعلق بمحذوف : أى ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* علفتها تبناً وماءً بارداً *

قال الشريف بن الشجرى فى أماليه : قوله وعود : يريد ودخان عود ، لأن العود لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأنواع من الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والغداف : الغراب الأسود . والجثل : الكثير الملتف ؛ والدجوجى : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جعد بلا تجعيد : أى خلق جعدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة . وتفتر : تبتسم ، وعن شنيب : أى عن ثغر شنيب ، والشنب : البياض والبريق وتحزيز أطراف الأسنان ، وقيل طيب نكهتها ؛ وقيل تفليجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وثغر شتيت : مفرق مفلج ، يقول : إنها طيبة الريح فكأن الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غدائرها .

(٤) أحمد : يعنى نفسه ؛ والتسهيد : السهر . يقول : جمعت بين جسمى والسقام وبين جفونى والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه روحى أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فانقصى من عذابها بالوصل ، وإن شئت زيديها عذاباً بالهجر . وقال العكبرى : إن جعل هذه إشارة : فلديك يتعلق بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء — بحذف النداء — كان متعلقا بالاستقرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أى يستحق ما بى من الضنى بطل الخ والطرة :



كلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَـــرَامٌ   شُرْبُهُ مَا خَلاَ دَمَ الْعُنْقُـــودِ (١)
فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْـكَ نَفْسِي   مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي (٢)
شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُـولِي   وَدُمُوعِى عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي (٣)

شعر الجبهة ؛ وتصفيفها : تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال فى البيت السابق . يقول : افعلى ما شئت فإنى أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصفيف طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هـذا كالمتشفى من نفسه واللائم لها على هذا العشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل مابى الخ : معناه أنا أهل مابى وحقيق به وأنا بطل صيد وعبارة ابن جنى : أنا أهل ذلك وحقيق بحسن مارأيت وأنا بطل صيد الخ .

(١) دم العنقود : الخمر ؛ ويروى : أبنة العنقود . قال الواحدى : وليس الأمر على ماقاك ، لأن شرب الخمر لايحل ، إلا أن يريد بدم العنقود : العصير ، أو مالا يسكر من المطبوخ . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام المتنبى سائغ فى مذهب الشعراء ، وهو من قبيل قول أبى نواس :

فى مجلسٍ ضَحِكَ السرورُ به ،   عَنْ ناجذَيْهِ وَحَلَّتِ الخمرُ

أى حلت الخمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والمراح والانبساط الغاية التى لابعدها . قال العكبرى : وسميت الخمر دما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم المقتول وقال : قوله ماخلا : إذا قلت جاء القوم ماخلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء القوم خلا زيد: كان الجر لاغير ، وقال ابن جنى: إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفى وتليدى : معطوفان على نفسى ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء من جملة الغزلان ؛ ومثله أفديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث عندك من مال ؛ والتالد — ومثله التليد — ماكان عن إرث الآباء . يقول : اسقنى الخمرة فأنا أفديك بنفسي وما أملك . قال العكبرى : أنث الضمير في اسقنيها ؛ لأنه أراد بالدم الخمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفصال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا معنـاه ، لأن المراد بالغزال المعشوقة وتقدير الكلام : فدى لعينيك من غزال نفسى وطارفى وتليدى

(٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطف عليه؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك : متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

أيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ لَمْ تَرُعْنِي ثَلَاثَةً بِصُدُودِ(١)

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ(٢)

مَفْرَشِي صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلٰكِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ(٣)

لَأْمَةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ أَحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدِ(٤)

أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْـرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ(٥)

ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ

قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي(٦)

أوَ ما كفاكَ تغيُّرى ونحولُ جسمِى شاهدا

(١) أى منصوب على الظرفية : أى فى أى يوم . وراعه : أفزعه . يقول : لم تسرنى يوما بالوصال إلا وعتنى ثلاثة أيام بالصد والإعراض . وقال العكبرى : أى نصب ، وهو استفهام خرج مخرج النفى ، كما تقول لمن يدعى أنه أكرمك : أى يوم أكرمتنى قط .

(٢) المقام بمعنى الإقامة ؛ ونخلة : قرية لبنى كلب قرب بعلبك . يقول : إن أهل هذه القرية أعداء لى ، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح . قال الواحدى : وبهذا البيت لقب بالمتنبى ، لتشبيه نفسه بالسيد المسيح فى هذا البيت ، وبصالح عليه السلام فيما بعده .

(٣) المفرش : موضع الفراش . ومفرشى الخ : فى موضع الحال ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان : الفرس الفحل . والمسرودة : الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : إننى شجاع ، مكانى ظهر الفرس ، وثيابى الدروع : أى أننى أبداً بهذه القرية على هذه الحالة تيقظا وتأهبا :

(٤) لأمة : درع ملتئمة الصنعة ، بدل من قوله مسرودة : وفاضة : سابغة ؛ يقال درع فاضة : أى تفيض على جسم لابسها فتعمه . والأضاة : الغدير ؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها ؛ والدلاص : البراقة اللينة الملساء ؛ ودرع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع على لفظ واحد ، وداود : هو سيدنا داود ، أول من عمل الدرع ، كما قال جل شأنه : «وألنا له الحديد» . يقول : قميصى لأمة محكمة النسج من صنع داود الخ .

(٥و٦) يقول : إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لى نكده وأبطأ على خيره ، فأين فضلى ؟ يعنى إذن لافضل لى ، فكأنه قد خفى فليس يرى . ثم قال — فى البيت الثانى — : لقد تعبت فى طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل ، ومن ثم ضاق صدرى لكثرة ماتعبت وطال سفرى وقل قعودى عن السفر .



أَبَدًا أَقْطَعُ الْبِـلَادَ وَنَجْمِى فى نُحُوسٍ وَهِمَّتِى فى سُعُودِ (١)

وَلَعَـلِّى مُؤَمِّلٌ بَعْضَ ما أَبْـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ (٢)

لِسَرِىٍّ لِبَاسُهُ خَشِـنُ الْقُطْـنِ وَمَرْوِىُّ مَرْوَ لِبْسُ الْقُرُودِ (٣)

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ (٤)

(١) يقول : إنه طموح ، بعيد الهمة ؛ دائب السعى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام :

هِمَّةٌ تَنطَحُ النجومَ وَجَدٌّ آلِفٌ للحضيضِ فهوَ حَضيضُ

وقال الآخر :

وَلى هِمَّةٌ فوقَ نجم السماء ولـكنَّ حالىَ تحت الثرَى

فلوْ ساعدَتْ هِمَّتى حالَتِى لـكُنت ترَى غير ما قد ترَى

(٢) يقول : لعلى العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغنى فوق ما أرجو، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . أو تقول : إن الـكلام على القلب : أى لعلى بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه . وعبارة الواحدى يقول : لعلى راج بعض ما أؤمله بلطف الله ؛ ثم قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن المرجو محبوب ، والمـكروه لا يكون مرجوا . بل يكون محذورا ، فهو يقول : لعلى راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله : أى ليس جميع ما أبلغه مكروها ، بل بعضه مرجو ومحبوب . وقال ابن القطاع : أوخذ فى قوله ولعلى مؤمل الخ ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ ؟ وإنمـا وجه الـكلام أن يقول : ولعلى أبلغ بعض ما أؤمل ، وليس كذلك ، بل المعنى : ولعلى أبلغ آمالى ، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه . . . وقيل معناه : أنا أؤمل أكثر ما أطلب ، فلعلى بالغ بعض ما أؤمله ، لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد .

(٣) السرى : الماجد الشريف . والمروى : ثياب رقاق تنسج بمرو ـ وهى بلد بفارس ـ يقول : لعلى بالغ بعض ما أؤمله بلطف الله لسرى ـ يعنى نفسه ـ يتقشف فى لبسه فلباسه القطن الخشن ـ والعرب تتمدح بخشونة الملبس والمطعم ، وتعيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللئام ـ وروى بسرى : أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهمته.

(٤) البنود: الأعلام الـكبيرة ، وخفق البنود : اضطرابها. يقول : إما أن تعيش عزيزاً ممتنعاً من الأعداء ، أو تموت موت الـكرام فى الحرب ، لأن القتل فى الحرب يدل على شجاعة المقتول ، والقتل خير من العيش فى ذل .

فَرُءُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْـــظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الْحَقُودِ[1]
لَا كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيـــدِ[2]
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِى لَظَى وَذَرِ الذُّ لَّ وَلَوْ كَانَ فِى جِنَانِ الْخُـــلُودِ[3]
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَعْـــجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ الْمَوْلُودِ[4]
وَيُوَقَّى الْفَتَى الْمِخَشُّ وَقَدْ خَـــوَّ ضَ فِى مَاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ[5]
لَا بِقَوْمِى شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِى وَبِنَفْسِى فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِى[6]

---

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهاب الغيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشفى لغل صدر الحقود من أعدائه . وقال العكبرى : تقول ذهبت بالغيظ ولا تقول ذهبته بل أذهبته ، والوجه أن يقول أشد إذهابا لغيظ ، لان أفعل لا يبنى من الإفعال إلا فى ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالغيظ لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت فى الحرب كريما ولا تعش كما عشت إلى الآن ذميما لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك ، فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يكترثون لموتك ، لأنهم إنما يبالون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكر بها . . . هذا : ويقال حي يحيي حياة وحي ـ بالإدغام ـ وقوله تعالى «ويحيى من حي عن بينة» قال الفراء : كتابها على الإدغام بياء واحدة هى أكثر القراءات .

(٣) لظى : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تتصرف ، والكلام كله مبالغة فى طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز فى جهنم ولا ذل فى الجنة .

(٤) البخنق : خرقة تقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فإياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) المخش : الجرىء على الليل والدخال فى الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ فى الخوض . واللبة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دمها ، والصنديد : السيد الشجاع . والبيت تكملة لما ذكره فى البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل يسلم الشجاع المغوار وقد خاض فى الحروب حتى غاص فى دماء الصناديد ، يحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نفسُ عصامٍ سودت عصاما وعلمته الكرَّ والإقداما



وَبِهِمْ فَخْرُ كلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّـا
دَ وَعَوْذُ الجَانِى وَغَـوْثُ الطَّرِيدِ[1]
إنْ أكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجِيبٍ
لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِـهِ مِنْ مَزِيدِ[2]

وَصيرتْهُ مَلِكاً هُماماً حتى عَدَا وجاوزَ الأقواما[1]

وقال عامر بن الطفيل :

وإنى وإنْ كُنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارِسَها المشهورَ فى كل مَوْكِبِ
فما سوّدَتْنى عامرٌ عَنْ وِرَاثةٍ أبَى اللهُ أنْ أسْمُـو بأمٍّ ولا أبِ
ولكنّنى أحْمِى حِمَـاها وأتقِى أذاها وأرْمِى مَنْ رَمَاها بمَنْكب[2]

قال الواحدى : لو اقتصر المتنبي على هذا البيت لكان ألأم الناس نسبا . لكنه قال بعده البيت التالى .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد فى غير العربية . يقول : على أنه بقومى فخر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجانى : أى أن من جنى جناية وخاف على نفسه لجأ إلى قومى ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد ــ وهو الذى نفى وطرد ــ أى أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) المعجب : الذى يعجب بنفسه . والعجيب : الذى يعجب غيره . يقول : إن كنت معجبا بنفسى فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد مزية يمتاز بها عليه ، فليس عجبى إذا بمنكر .

---

(١) عصام : هو حاجب النعمان بن المنذر ، وهو عصام بن شهبر الجرمى ، وفى المثل كن عصاميا ولا تكن عظاميا ، يريدون به قول عصام هذا ، والعظامى . الذى يفتخر بآبائه ويتكل على مجدهم .

(٢) أسمو : من السمو ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنكب : يريد أرمى من رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنكب : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء من النكابة ، وهى العرافة .

أنا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ القَوَافِي وَسِمَامُ العِدَا وَغَيْظُ الحَسُودِ[1]
أنا فِي أُمَّـــةٍ تَدَارَكَهَا اللَّـــهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ[2]

(١) ترب الإنسان : من ولد معه فى وقت ، والندى : الجود ، والسمام : جمع سم . يقول : أنا أخو الجود ولدنا معا ، وأنا رب القوافى ومبدعها ، إذ لم أسبق إلى مثلها ، وأنا قاتل أعدائى كما يقتل السم ، وأنا غيظ حسادى ، لأنهم يتمنون مكانى فلا يدركونه فيغتاظون .

(٢) تداركها الله : جملة معترضة ، وهى إما دعاء لها : أى تداركهم الله بالإصلاح ونجاهم من لؤمهم ، أو دعاء عليهم : أى أدركهم الله بالإهلاك لأنجو منهم . هذا وثمود قبيلة من العرب الأول واختلف القراء فى إعرابه فى كتاب الله : فمنهم من صرفه : ومنهم من لم يصرفه ، فمن صرفه : ذهب إلى الحى لأنه اسم عربى مذكر سمى بمذكر ؛ ومن لم يصرفه : ذهب به إلى القبيلة ، وهى مؤنثة .



وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان ـ من خراسان ـ هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران :

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدِي وُدًّا
بَلَغَ المَدَى وَتَجَاوَزَ الحَدَّا[1]
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدَا[2]
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهْيَ فَارِغَةٌ
مَثْنَى بِهِ وَتَظُنُّهَا فَرْدَا[3]
تَأْبَى خَلَائِقُكَ الَّتِي شَرُفَتْ
أَنْ لَا تَحِنَّ وَتَذْكُرَ العَهْدَا[4]

---

(١) أقصر عن الشىء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ، وقصر فيه : إذا لم يبالغ ، والضمير فى بلغ : للرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودى إياك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدنى بذلك ودا . وهذا من قول ذى الرمة :

وما زالَ يغلو حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنا ويَزْدادُ حتى لَمْ نجدْ ما يزيدُها

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفح الإناء : امتلأ . وتطفح : حال : أى طافحة : ومثنى : حال أخرى ، والضمير فى به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول: جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد ـ لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها ـ فصارت بذلك شيئين لاشيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ماخلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لاتشتاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لاتحن : أن هاهنا هى المخففة من الثقيلة ، ودخلت لا لتفصل بينها وبين الفعل ، فلهذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ،



لَوْ كُنْتَ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهْــراً
كُنْتَ الرَّبِيــعَ وَكَانَتِ الْوَرْدَا[1]

* *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لاتحن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هى الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الخلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس فى العصر :

ألاعِمْ صــباحاً أيها الطللُ البالِي   وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُرِ الخالى

والجمع : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* والعَصْرِ قبلَ هَذِهِ العُصورِ *[1]

والعصران : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

ولن يَلبَثَ العصرانِ يومٌ وليلة   إذا طلبا — أن يدركا ما تيمما[2]

---

(١) أول هذا الرجز :

جَارِيَ لا تستنكرى عذيرى   سَيرى وإشْـفاقِى على بعيرى

العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لاتستنكرى ما أحاوله معذورا فيه . وسيرى عطف بيان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى ياجارية .
(راجع الرجز فى أراجيز العرب للبكرى) .

(٢) قبله :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة   وحسبك داء أن تصح وتسلما

أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لادواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المَنبِجى :

أَلْيَوْمَ عَهْدُكُمُ فَأَيْنَ المَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمُ غَدُ(١)

---

(١) يقول ـ مخاطباأحبته ـ : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعدهذاالفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات ـ أى بعدما أطلب ـ ليس لهذا اليوم ـ يوم لقائكم للوداع ـ غد : أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غد لى بعد هـذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا مايراد بمتى : أى السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبعيد ؛ قال جرير :

فهيهاتَ هَيهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيهاتَ خِلٌّ بالعَقِيق نُحاوِله(١)

والتاء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاه ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البزى عن ابن كثير والكسائى بالهاء ردها إلى الأصل وقد كسرها جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلادآحتى صارت فى القفار :

يُصْبِحْنَ بِالقفرِ أتاوِيَّاتِ مُعْترضَاتٍ غيرَ عُرْضِيَّاتِ

* هَيهاتِ مِنْ مُصْبَحِها هَيهاتِ (٢)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منهاهمزة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أَيْهات منكَ الحياةُ أَيْهاتَا *

وقال الجوهرى فى صحاحه : قال الكسائى من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قال أبومحمد عبدالله بن برى النحوى فى أخذه على الجوهرى : قال أبوعلى الفارسى : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيهات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز فى هيهات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التى فيها تاء الجمع التى للتأنيث ، ولا يجوز ذلك فى اللات

---

(١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والخل : الصديق . وهيهات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذاكان غريبا فى غيربلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أى غريبة من صواحبها لتقدمهن وسبقهن ، ومعترضات : أى نشيطة لم يكسلهن السفر ، غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .



أَلْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَباً مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمُ لاَ تَبْعُدُوا(١)
إِنَّ الَّتِى سَفَكَتْ دَمِي بِجُفُونِهَا لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِي الَّذِى تَتَقَلَّدُ(٢)
قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِىَ مَنْ بِهِ وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتُهَا الْمُتَنَهِّدُ(٣)
فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا لَوْنِي كَمَا صَبَغَ اللُّجَيْنَ الْعَسْجَدُ(٤)

والعزى ؛ لأن لات وكيت لا يكون مثلهما جماعة ، لأن التاء لا تزاد فى الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقى الاسم على حرف واحد .

(١) المخلب : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه بإهلاكه الحيوان كأنه يفترسه . يقول : إذ تزمعون الفراق فإن الموت سيدركنى قبل أن تفارقونى فزعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعد منكم . وقوله لاتبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتمونى أبداً ، ومن رواه بفتح العين فهو من البعد — بفتحتين — بمعنى الهلاك : أى لاهتكتم ولا فجعت بكم . قال تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » أما بضم العين فهو من البعد — بمعنى البين والفراق — وقوله مخلبا : يروى مطلبا ؛ ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لو خيرت بينهما لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التى عصفت بى وأتت على وقتلتنى بعيونها لم تدر أن دمى فى عنقها وأنها باءت بإثم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه فى عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاةالقضاء : أى جعله فى أعناقهم . وكذلك تقليد الولاة .

(٣) يقول : لما رأت اصفرار وجهى — وجداً بفراقها — قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذى أراه ؟ أومن المطالب به ؟ وتنهدت : أى علا صدرها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأت — فأجبتها وقلت : الذى فعل بى هذا — أو المطالب بى — هو المتنهد أى أنت . وقال العكبرى : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لمارأت اصفرارى قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن — فى البيت قبله — ويكون عجز البيت : لم تدر الخ — جملة فى موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والعسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لونى عدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لونى . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد مسها ذهب . قال الواحدى : إن الحياء لا يصفر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان مختلطا بالخوف ، لأنها خافت



فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمَرِ الدُّجَى ... مُتَأَوِّداً غُصْنٌ بِهِ يَتَأَوَّدُ(١)
عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا ... سَلْبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ(٢)
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ ... وَذَوَابِلٌ وَتَوَعُّدٌ وَتَهَدُّدُ(٣)
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِي بَعْدَنَا ... وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهْوَ مُقَيَّدُ(٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشعارها خوف ماجنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول مايبدو منها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثانى : الظرف بعده ؛ ومتأودا : أى متمايلا ، حال من قمر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير فى به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة فى بياضها كالشمس إذا حلت فى القمر الذى يميل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تمايل بوجهها فى حال مشيتها . وقال ابن جنى : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا متمايلا شبيها بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه . يريد كانت كالقمر فى بياضها فلما اصفرت خجلا صارت الصفرة فى بياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو — على غير قياس — وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هى عدوية ؛ أو قاتلتى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبتدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها فى منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب .

(٣) وهواجل الخ : عطف على سلب النفوس — فى البيت السابق — والهواجل : جمع هوجل ؛ وهو المفازة لا أعلام بها والصواهل : الخيل والمناصل : السيوف ، والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العكبرى : والهواجل أيضاً النوق ويجوز أن يريد بها النوق ، ليكون أليق بالبيت ، لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : أبلاها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة فى الإبادة : أى وطئها وطأ ثقيلا كوطء المقيد ، وذلك أن المقيد لايقدر على خفة المشى ورفع الرجلين ، فهو يطا

بَرَّحْتَ يَامَرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ   مَرِضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيدَ العُوَّدُ(١)
فَـلَهُ بَنُو عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ الرِّضَا   وَلِـكُلِّ رَكْبٍ عِيسُهُمْ والفَدْفَدُ(٢)

وطأ ثقيلا . وقال ابن جنى : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فغيرها . قال الواحدى : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فيا حسنَ الرسومِ وما تمشّى   إليها الدّهر فى صُوَرِ البِعاد

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالمرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه مايلاقيه من جراء حبها حتى مرض طبيبه وزواره ــ حين هالهم مرضه ــ رحمة له ورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالممرض : جفنها ، ومرض الطبيب وعيد العودمثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود ، يبالغ فى شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة ــ ينتقده ــ : أبرح جنى فى التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناهيا ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كقول أبى نواس :

ضعيفةُ كرِّ اللحظ تحسَب أنها   قريبة عهدٍ بالإفاقةِ من سُـقْم

ولو أراد تناهيه لقال تحسبها فى برسام(١) ، أو نزع روح .. إلى أن قال والدليل على كون الممرض هو المتنبى : قوله بعد :

* فله بنو عبد العزيز بن الرضا *

وقوله يأمرض الجفون : يروى يامرض الجفون ــ بكسر الراء ــ وهو قليل فى الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قال الأعشى :

يقضى بها المرء حاجاته   ويشفى عليها الفؤاد السقِم

(٢) فله : أى للممرض المذكور ــ وهو المتنبى ــ والعيس : كرام الإبل ، والفدفد : المفازة . يقول : إن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويبلغ بهم آماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لايحصلون من سفرهم على شىء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جنى : يريد أنه

---

(١) البرسام : التهاب الصدر .



مَنْ فى الْأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ
مَنْ فِيكِ شَأْمُ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ[(١)]
أَعْطَى فَقُلْتُ لِجُودِهِ مَا يُقْتَنَى وَسَطَا فَقُلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُولَدُ[(٢)]

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدها من الركبان . وقال ابن القطاع : يريد أنهم يجودون على كل أحد فكأنهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .

(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشأم : أى ياشأم . يقول : ليس فى الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تقل : من فيك ياشأم ؟ أى لاتخص الشأم وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوحد جميع الخلق وتقدير الكلام : من فى الأنام من الكرام يقصدسوى شجاع ، ولا تقل ياشأم من فيك ، فإنه أوحد الدنيا كلها ، لاواحد الشأم ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه قال : قل ياسامع من فى الأنام من الكرام ؟ ولا تقل ذلك للشأم ، لأنه قد علم أنه ليس من يقصدإلا هذا الممدوح . هذا : والشأم تذكر وتؤنث . قال ابن برى : شاهد التأنيث قول جواس بن القعطل :

جِئتُم من البلد البعيد نياطه والشأم تُنكَرُ كهلها وفتاها

(كهلها وفتاها : بدل من الشأم) وشاهد التذكير قول الآخر :

يقولون إن الشامَ يقتلُ أهله فمنْ لِيَ إنْ لم آتِهِ بخلود ؟

وقال ابن جنى : الشأم مذكر ، وأجاز تأنيثه فى الشعر ، والنسبة إليها شأمى ، وشآم على فعال ، ولا تقل شأم ، وماجاء فى ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد ، وشاهد شآم فى النسبة قول أبى الدرداء ميسرة :

فَهاتِكَ النجومُ وَهُنَّ خُرْس يَنُحْنَ على مُعاوِيَةَ الشآمِ

وامرأة شامية ، وشآمية — مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، ومايقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا لسيفه مايولد ويقتنى : من القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ فى العطاء أكثر حتى قلت فى نفسى : إنه سيعطى جميع مايقتنيه الناس ، ولماسطا على الأعداء أكثر القتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون المقتنيات جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى فقلت لجوده مخاطبا : لايقتنى أحد مالا

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلِفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ(١)
فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ يَذْمُمْنَ مِنْهُ مَا الْأَسِنَّةُ تَحْمَدُ(٢)
نِقَمٌ عَلَى نِقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لاَ تُجْحَدُ(٣)
فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ(٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا فقلت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى فقلت: جميع مايقتنى الناس من جوده وهباته، وسطا فقلت لسيفه مايولد بعد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفناء ، فجعلهم طلقاءه وعتقاءه . قال ابن جنى : ظاهره وباطنه : هجاء — يعنى المصراع الثانى — وأحسن منه قول أبى تمام :

لم تبقَ مُشركةٌ إلا وقد عَلِمتْ إنْ لم تَتُبْ أنه لِلسيفِ ما تَلِدُ

فجعله على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك — فكأنه هجا الرجل وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصى فضائله : لأنها وجدت طرائق الممدوح ومسالكه التى تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .

(٢) المعترك : ساحة القتال ؛ والمفرية : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تذم منه ماتحمده الأسنة ، وهو الإصابة فى الطعن وجودة الشق ، والكلى تذم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأسنة تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى : الناس يرون الكلى مشقوقة فيذمونه إذ لا رحمة له ، ويرون الأسنة منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والذم إلى الكلى والأسنة لأنهما السبب .

(٣) نقم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بيصبها : والجملة نعت نقم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول: إن النقم التى يصبها الممدوح على الأعداء — مضافة إلى نقم الزمان — هى نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التى لاتجحد ، يعنى اعتزاز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الغنائم بنكبتهم .

(٤) الشأن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : القلب . يقول : فى أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل فى أحد سواه ، فأى خصاله رأيت حمدتها .



أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهِزَبْرِ خِضَابُهُ ... مَوْتٌ فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ (١)

مَا مَنْبِجٌ مُذْ غِبْتَ إِلا مُقْلَةٌ ... سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نَوْمُهَا وَالْإِثْمِدُ (٢)

فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ ... وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ (٣)

مَازِلْتَ تَدْنُو وَهْيَ تَعْلُو عِزَّةً ... حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ (٤)

أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا ... لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ (٥)

---

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت — كذلك — خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزبر : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لحمة عند الكتف تضطرب عند الخوف. يقول : هو شجاع يتلطخ بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائصه .

(٢) الإثمد : نوع من الكحل . يقول : ليست منبج — وهى بلد الممدوح ، وعلى مرحلتين من حلب — مذ غبت عنها إلا كالمقلة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل — وهما اللذان تصلح بهما العين — يعنى أن صلاح منبج بحضورك .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

وكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فيها بِأَبْيَضٍ ... فأَضحَتْ وليْسَ اللَّيْلُ فيها بأَسْوَدِ

(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛ فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخوهُ ... لَعَمْرُ أبيكَ إلا الفَرْقَدَانِ

يقول : مازلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشراح : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لساواها هذا الغير فى الشرف.

أَبْدَى الْعُدَاةُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ | فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ(١)
قَطَّعْتَهُمْ حَسَداً أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ | فَتَقَطَّعُوا حَسَداً لِمَنْ لاَ يَحْسُدُ(٢)
حَتَّى انْثَنَوْا وَلَوَ انَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ | فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجَلْمَدُ(٣)
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ | لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هٰذَا السَّيِّدُ(٤)
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كَأَنَّكَ كُلُّهَا | وَبَقِيتَ بَيْنَهُمُ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ(٥)

---

(١) يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدومك خوفا منك لا ابتهاجا بك ، وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعجهم ويقلقهم .

(٢) قطعتهم حسدا : أى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدهم إياك ، فكأنك قطعتهم أرباً . وقوله أراهم مابهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك ، فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد ليس من أخلاقه . فقوله حسدا : هو تميز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .

(٣) انثنوا : رجعوا ؛ والجلمد : الصخر ، والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر وحمارة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حتى انصرفوا عنك وعن مباهاتك عالمين بتخلفهم عنك وفى قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة مالو كان فى هاجرة لذاب الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن اظلم » ونحوه .

(٤) العلج — فى الأصل — حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم الجافى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا هيبتك وأنك سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادلهم على سيادتك ، فقالوا هذا هو السيد . لا سواه من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله : يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفردا مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول أبى نواس :



لَهْفَانَ يَسْــــتَوْبِى بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى
لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْكَ الْحِجَى وَالسُّــؤْدُدُ(١)

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا
فَالأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الأَوْحَــدُ(٢)

وَصُـــنِ الْحُسَامَ وَلَا تُذِلْهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ(٣)

وليسَ على الله بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العالمَ فى وَاحِدِ

وعبارة الواحدى : المعنى أنهم لصغرهم فى جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا فقدوا كنت أنت كل من بذلك المكان ، ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثانى ، وأتى بكاف التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء فى بقيت بينهم ؛ وأصل اللهف : حرارة الجوف من شدة وكرب ونحو ذلك . والمراد باللهفان هنا : الممتلىء غضبا . ويستوبى : يستفعل ، من الوباء ، وأصله يستوبىء ، خفف للضرورة . والورى : فاعل يستوبى ، والحجى : العقل ؛ والسؤدد : السيادة . ونهنهه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقيت غضبان حتى استوبأ الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكا لهم ، لو لم ينهك سؤددك وحلمك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن فى أى موضع شئت من البلاد ، فإنا ننتجعك ونصمد إليك ، فإن الارض التى تغدو وتروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها ، وأنت أوحدها لانظير لك فيها ، وإذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلفنا إياه قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للممدوح فى أن يألف المتنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتذال ؛ وصنه استره . والجماجم : جمع جمجمة ؛ وهى قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ؛ والجماجم التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به الذمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول ما أذلته إلا لإدراك الثأر ، وإحماء الذمار ؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى



يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ ... مِنْ غِمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ[١]

رَيَّانَ لَوْ قَذَفَ الَّذِى أَسْقَيْتَهُ ... لَجَرَى مِنَ الْمُهجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ[٢]

مَا شَارَكَتْهُ مَنِيَّةٌ فى مُهْجَةٍ ... إلاَّ وَشَفْرَتُهُ عَلَى يَدِهَا يَدُ[٣]

إنَّ الرَّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا ... حُلفاءُ طَيٍّ غَوَّرُوا أَوْ أَنْجَدُوا[٤]

صِحْ يَا لَجُلْهُمَةٍ تُجِبْكَ وَإِنَّمَا ... أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدُ[٥]

الطيب ، وإنما المعنى : أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك ، فقال: صن سيفك ، وإنما يريد أغمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم جمد على سيفك حتى صار كالغمد له ، فيرى وهو مجرد كأنه مغمد . . وهذا من قول البحترى :

سُلِبوا وأشْرَقَتِ الدِّماءُ عَليهم ... مُحْمَرَّةً فكأنهم لم يُسْلَبُوا

ومن قول الآخر :

وفرّقْتُ بينَ ابنَيْ هُشَيْمٍ بِطَعنةٍ ... لها عاندٌ يكسو السَّليبَ إزارَا[١]

(٢) ريان – بالنصب – حال ، العامل فيه يبس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف . يقول . سيفك ريان فلو مج ما سقيته من دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزبد . يعنى أنك أكثرت به القتل.

(٣) المنية : الموت ؛ والمهجة : الروح ؛ وشفرته حده . يقول : لم يشترك سيفه والمنية فى سفك دم إلا كان سيفه يداً ليد المنية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده فى العمل . وعبارة ابن جنى : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر فى القتل.

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الرماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف وهو الصديق الحالف . وغوروا : نزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجدوا: نزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما ثقفوا ويمموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأوليائهم ، كما قال أبو تمام :

فَإن المنَايَا وَالصوَارِمَ والقَنا ... أقارِبُهم فِى الرَّوْعِ دُونَ الأقاربِ

(٥) جلهمة : اسم طيىء ؛ وطيىء لقب له . واللام : لام الاستغاثة . والواو – فى

---

(١) عند العرق : سال فلم يكد يرقأ ، وهو عرق عاند . ودم عاند يسيل جانبا



مِنْ كلِّ أَكْبَرَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْباً وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجْوَدُ(١)

وإنما ـ للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت بالجلهمة أسرعت إليك وأحدقت بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أى إنسان بعينيك فكأنك أشرعت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . فقامت أشفار عينيك مقام الذابل ـ الرمح ـ والمهند ـ السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون إليك ويملأون الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتملأ من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعوا لِنزَالِ يَوْمِ كريهةٍ ستروا شَعاعَ الشمسِ بالخُرصانِ

[الخرصان : الرماح ؛ والخرصان : الدروع] وقال سلامة بن جندل :

إنَّا إذا ما أتانا صارِخٌ فَزِعٌ كانَ الصُّراخُ له قَرْعَ الظنابيب

« يقول سلامة : إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجد فى نصرته ، يقال : قرع لذلك الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه . والظنبوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر حمل قرع الصوت على ساق الخف فى زجر الفرس قرعا للظنبوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغوادي : السحائب المنتشرة صباحا . يقول ـ يصف رجال جلهمة ـ : من كل رجل أكبر قلبا من الجبال ـ يريد قوة قلبه وشدته ـ وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى وهو أجود من جود الغوادى وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهرى : تهامة ، بلد : والنسبة إليها تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشآم ، إلا أن الألف فى تهام من لفظها والألف فى يمان وشآم عوض من ياء النسبة قال ابن أحمر :

وَكُنا كابنَىْ سُباتٍ تفرّقا سِوًى ثم كانا مُنْجِداً وتَهامِياً

وَألقى التهامِي مِنهما بِلَطاتِهِ وَأحْلَطَ هذا لا أُرِيمُ مكانِيا(١)

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيبويه : من الناس من يقول تهامى ويمانى وشآمى ـ بالفتح ـ مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

---

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أوحلف مجتهداً ، ولا أريم مكانيا : لا أبرحه .

يَلقَاكَ مُرْتَدِياً بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَى وَالأَكْبُدُ(١)
حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلاَهُمُ وَهُمُ المَوَالِي وَالخَلِيقَةُ أَعْبُدُ(٢)
أَنَّى يَكُونُ أَبَا البَرِيَّةِ آدَمٌ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلاَنِ أَنْتَ مُحَمَّدُ(٣)
يَفْنَى الكَلاَمُ وَلاَ يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ
أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لاَ يَنْفَدُ(٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جيدت الأرض فهى مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أرْعَيْتُها أَكْرَمَ عُودٍ عُودا الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ واليعْضِيدا
والخازِبازِ السنِمَ المجودا بحيثُ يدعو عامرٌ مَسْعودا

الصل : نبت ، وكذلك الخازباز ، والصفصل ، واليعضيد : شجر ونبت سنم مرتفع وهو الذى خرجت سنمته ، وهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان »

(١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة يلقاك ، أو بمرتدياً ؟ ومن دم : صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرنده ، والطلى : الأعناق . يقول . يلقاك كل منهم متقلدا سيفا قد تلطخ بدم الأعناق والأكباد ، فاحمر واستترت خضرته ، وذهبت بها الطلى والأكبد . هذا : والأكبد : جمع كبد ؟ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد وأعبد وجمع كبد ــ بكسر الباء : أكباد وكبود كوتد وأوتاد .

(٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل «حتى» حي أى هم حي يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد خبره ، والثقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف يكون آدم أبا الورى وأبوك محمد الطائى وأنت الثقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ، جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والكمال . روى أن أبا تمام قال لابن أبى داود ــ لما اعتذر إليه ــ أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بغضب جميع الناس ؟ فقال له : ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وليس عَلَى اللهِ بمستنكر أنْ يجْمَعَ العالم فى واحد

(٤) ينفد : يفنى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما يفنى بما لا يفنى ، أو ماينفد



وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان لحبسه فكتب إليه من الحبس :

أَيَا خَــدَّدَ ٱللهُ وَرْدَ ٱلْخُدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ[(١)]

فَهُــنَّ أَسَلْنَ دَمًا مُقْلَتِى وَعَذَّبْنَ قَلْبِى بِطُولِ الصُّدُودِ[(٢)]

بعالا ينفد : لـكان أحسن فى صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى يفنى .

(١) التخديد . الشق ، والقد . القطع طولا . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الخدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جنى . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رمى اللهُ فى عينَىْ بُثينة بالقذى وفى الغُرُّ من أنيابها بالقوادحِ[(١)]

قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبى الطيب ، لأنه أخرجه فى معرض المجازاة لمـا ذكر فيا بعد . يريد جازاهن الله جزاء بمـا صنعن بى بالتخديد والقد قال . وهنـا مذهب ثالث ، وهو إنمـا دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجده بها ، وحصلت له السلوة ، كما قال أبو حفص الشهر زورى .

دعوتُ على ثغـره بالقَلَـحْ وفى شَعر طُرته بِالجَلح[(٢)]

لعل غرامى به أن يَقِـلّ فقد برّحت بى تلك الملح

قال العكبرى : والذى ذكره ابن جنى أحسن ، لأن المحب لا يدعو على محبوبه أبدا ، والذى أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن محب : لأن المحب الصادق يقف عند المعانى لا عند المحاسن .

(٢) يقول : هن أبكين عينى حتى بضت دما : وعذبن قلبي بنار الصد وهو عذاب

---

(١) يقال . قد أسرعت فى أسنانه القوادح . جمع قادحة ، وهى الجراثيم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر فى الأسنان .

(٢) القلح صفرة فى الأسنان ، ووسخ يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .



وكَمْ لِلْهوَى مِنْ فَتًى مُدْنَفٍ وكَمْ لِلنّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ(١)
فَوَاحَسْرَتَا ما أمَرَّ الفِـرَاقَ وأعْلَقَ نِـيرَانَهُ بالكُبُودِ(٢)

— لو علمت — أليم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلق مفعولا أول ، ولك أن تجعله تميزا مقدما ، قال العكبرى النحوى الكوفى : وهذا جائز عندنا ، وعند المازنى والمبرد من البصريين ، ومنعه باقيهم كقولك تصبب عرقا زيد حجتنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أتهجُرُ سَلْمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وما كانَ نفساً بِالفراق تَطيب(١)

تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ،ألا ترى أن الفعل إذا كان متصرفا — نحو ضرب زيد عمرا — يجوز تقديم معموله عليه ، فتقول : عمرا ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل فى المعنى . فإذا قلت: تصبب زيد عرقاً فالمتصبب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد غلاما : لم يكن لزيد حظ فى الفعل من جهة المعنى ، بل الفاعل فى المعنى هو الغلام فلما كان هو الفاعل فى المعنى لم يجز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل النيل ، وكم للفراق من قتيل شهيد ! يعنى أن الحب يسقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل قد عف عن الخنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا: والدنف : المرض اللازم المخامر ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال: دنف لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثنى وجمع وأنث : فقال رجل دنف — بالكسر — ورجلان دنفان ، ورجال أدناف ، وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات وقد دنف المريض — بالكسر — أى ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى ولا يتعدى ؛ والشهيد — فى الأصل — من قتل مجاهداً فى سبيل الله ، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

---

(١) للمخبل السعدى ، وسلمى جاءت ليلى فى بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة فى البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .



وأغْرَى الصَّبابَةَ بالعَاشِقِينَ ... وأقْتَلَها لِلمُحِبِّ العَمِيدِ (١)
وألْهَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ الخَنَا ... بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى والنُّهُودِ (٢)
فَكَانَتْ وَكُنَّ فداءَ الأميرِ ... ولا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ (٣)
لَقَدْ حالَ بالسَّيْفِ دُونَ الوَعِيدِ ... وحالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الوُعُودِ (٤)
فَأَنْجُمُ أمْوَالِهِ في النُّحُوسِ ... وأنْجُمُ سُؤّلِهِ في السُّعُودِ (٥)

---

(١) أغرى من غرى بالشيء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالمعمود الذى أضناه العشق وهده .

(٢) لهج بالشيء يلهج لهجا : أولع به ؛ والخنا : الفحش ، وكلام خن ، وكلمة خنية ؛ وقد خنى عليه — بالكسر — وأخنى عليه فى منطقه : أفحش . قال أبو ذؤيب :

ولا تَخْنُوا عَلَيَّ ولا تشِطوا ... بقول الفخر إن الفخر حوب

(لا تشطوا : لا تبعدوا ولا تجوروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بألهج ؛ واللمى : سمرة فى الشفة . يقول : ما أولع نفسى بحب السمر الشفاه ، الناهدات ، لغير الفحش والفجور .

(٣) كانت : أى نفسى — المذكور فى البيت السابق — واسم كن : يعود على ذوات اللمى ، وفى مزيد : خبر زال . يدعو للممدوح ، يقول : كانت نفسى وأحبائى اللائى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال فى مزيد من النعم .

(٤) يقول : لاوعيد عنده للأعداء — وإنما يناجزهم بالسيف — ولا وعد عنده للأولياء — وإنما يبادرهم بالسيب والعطاء ، فهو يعجل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداماً منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيبه — بحصوله عاجلا — بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهدد ، وهو يستعمل فى الشر خاصة . والوعود : جمع وعد . وهو — وإن كان يستعمل الخير والشر : إلا أن المراد به هنا : الخير .

(٥) تفريع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله فى نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله فى سعود لأنه يبذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، وينالون منه مايقترحون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَعتْ على الأموالِ أنحس مطلع
وغدَتْ على الآمالِ وهى سُعُودُ

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (١)
رَمَى حَلَبًا بِنَوَاصِي الْخُيُولِ وَسُمْرٍ يُرِقْنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ (٢)
وَبِيضٍ مُسَافِرَةٍ مَا يُقِمْنَ لَا فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْغُمُودِ (٣)
يَقُدْنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللِّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ (٤)
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخَرْشَنِيُّ كَشَاءٍ أَحَسَّ بِزَأْرِ الْأُسُودِ (٥)
يُرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفْقَ الْبُنُودِ (٦)

---

(١) يقول : إنى إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التى لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفى عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .

(٢) النواصى : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعنى : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفى رواية : بنواصى الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجفان ــ الغمود ــ ومن الأجفان إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة فى شىء من ذلك ، ولهذا جعلها مسافرة .

(٤) يقدن : أى الرماح والجياد والسيوف .

(٥) ولى : أدبر ؛ وأشياع الرجل : أتباعه ومشايعوه الذين يطيعونه ؛ والشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحس على لفظه ،لامعناه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسدصوته، والخرشنى هو بدر الخرشنى ، أحد قواد الدوله العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة ــ بلد من بلاد الروم ــ يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغنم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون ــ بضم الياء ــ أى يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشنى وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفزع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول ؛ وصهيل الجياد : مفعول ثان؛ والبنود : الرايات ، وخفقها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم ــ وهم هاربون ــ كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل الممدوح وراءهم وخفق راياته . وهذا من قول جرير :

ما زِلتَ تَحْسَبُ كل شىء بعدَهم خَيلا تكرُّ عليكم ورِجالا



فَمَنْ كالأميرِ ابْنِ بِنْتِ الأمـــيرِ أوْ مَنْ كَـآبَائِهِ وَالْجُدُودِ (١)
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صِـبْيَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فى الْمُهُودِ (٢)
أَمَالِكَ رِقِّى وَمَنْ شَــأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ (٣)
دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَـاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدِ (٤)
دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِى الْبَلاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلَىَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ (٥)
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فى النِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فى الْقُيُودِ
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فى مَحْفِــلٍ فَهَا أَنَا فى مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ (٦)

---

(١) من : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده . وقال ابن بنت الأمير لأن جـده لأمه كان أميراً أيضاً : يعنى أن الإمارة انحدرت إليه من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود والسؤدد وهم صغار على ماعهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالى : جمع معلاة . وهى كسب الشرف . قال ابن برى : ويقال فى واحدة المعالى : معلوه ، والصبية : جمع صبى ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعتق الحرية ، وهو اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسى عبودية ويا من شأنه أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلى ، وقوله ومن شأنه ـ بفتح الميم ـ اسم بمعنى الذى ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ،ومن شأنه ، جعلها جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقدما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه من حبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يبلى الجسم ، وبراه : هزله وأنحله ؛ وأوهنه : أضعفه والبلاء يروى البلى : أى الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون فى موضع ، وعنى بالقرود : المسجونين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات الشق الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت أجالس أوباش الناس .

تُعَجِّلُ فِيَّ وُجُوبَ الْحُـــدُودِ   وحَدِّى قُبَيْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ (١)
وقِيلَ عَـــدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِـــينَ   بَيْنَ وِلَادِى وَبَيْنَ الْقُعُودِ (٢)
فمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ   وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ (٣)
فلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ   وَلا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ الْيَهُودِ (٤)
وكُنْ فارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ   ودَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ (٥)
وَفى جُودِ كَفَّيْكَ مَا جُدْتَ لى   بِنَفْسِى ولَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ (٦)

---

(١) تعجل : أى أتعجل ؟ . فهو استفهام إنكارى ـ على تقدير الهمزة ـ ويحتمل أن يكون خبرا ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبى لم تجب على الصلاة بعد ، فكيف أحدّ ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبى غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبياً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف ؟

(٢) عدوت ـ من العدوان ـ أى البغى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس ـ وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد ـ أنى جرت وخرجت على الناس ... يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .

(٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلا : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط : ردت .

(٤) الكاشح : العدو الذى يضمر العداوة فى كشحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود : أى لجاجهم ، ويروى بمخل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهودا ولم يكونوا فى الحقيقة يهودا . .

(٥) دعوى ـ فى الموضعين ـ مضافة إلى الجملة المحكية ، والشأو الشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقا . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول : فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .

(٦) ما ـ من قوله ما جدت لى ـ مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح. يقول: إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .



ونام أبو بكر الطائى وهو ينشد فقال :

إنَّ القَـــوَافِيَ لم تُنِمْكَ وإنما
مَحَقَتْكَ حتى صِرْتَ ما لا يُوجَـدُ(١)

فَكأنَّ أذْنكَ فُوكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وكأنَّهَا مِمَّا سَكِرْتَ الْمُرْقِدُ(٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرَسُوسِىّ :

مُحمَّـــدُ بْنَ زُرَيْقٍ ما نَرَى أحَـدًا
إذا فقَدْنَاكَ يُعْطِى قَبْـــلَ أنْ يَعِدَا

وقد قَصَـــدْتُكَ والتّرْحَالُ مُقْتَرِبٌ
وَالدَّارُ شَاسِـــعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا(٣)

فَخَــلِّ كَفَّـــكَ تَهْمِي وَاثْنِ وابِلَهَا
إذا اكْتَفَيْتُ وإلاَّ أغْـــرَقَ الْبَلَدَا(٤)

***

---

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولكن السبب أنك حسدتنى على شعرى ، فمحقك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعرى ، نمت فكأن ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك ؛ وقوله مما سكرت : أى من أجل سكرك : أى خدرك وتفترك : فما ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع : البعد ؛ ونفد : فرغ .

(٤) همى الماء : سال ، وثناه صرفه ورده ، والوابل : المطر الغزير : يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عنى معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذى هو كالوابل يغرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحترى :

ما الشَّوْقُ مُقْتَنِعاً مِنِّى بذا الـكَمَدِ   حَتَّى أَكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلا كَبِدِ [1]

ولا الدِّيَارُ الَّتِى كَانَ الْحَبِيبُ بِهَا   تَشْكُو إِلَىَّ وَلا أَشْكُو إِلَى أَحَدِ [2]

---

(١) الـكمد : الحزن مع الهم : يقول : إن شوقى إلى الأحبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنونا ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسماع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الـكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً وبلى : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأحبة ، فـكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقية وإنما هى مجازية ، وإنما تـكون على ماذكر لو أن شكواها حقيقية وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول الببغاء .

لم يبقَ لى رَمَق أشـكو إليك به   وإنما يتشـــكى من به رمق

وأيضاً لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله « ما الشوق مقتنعا » معنى ولما عطفها عليها دل على أنها منها ؛ وإنما يعنى : لا الشوق يقنع منى بهذا الـكمد ، ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الـكلام بقوله : الحبيب بها ، ثم ابتدأ فقال هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، ولا أنا أشكو إلى أحد : إما لجلدى ، أو لأنى كتوم لأسرارى ، فيـكون قد نظر إلى قول القائل :

فإنى مِثْلُ ما تجدينَ وَجْدى   ولـكنى أُسِرُّ وَتُعْلِنينـــا

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الـكلام فى المصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلعنى على أمره ، وأنا لا أفشى سرى ، على رواية يشكو ـ بالياء ـ ومن روى بالتاء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفعت إليه من الوحشة والخلاء ، فتشكو: يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .



ما زالَ كُلُّ هَـــزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُهُـــا
وَالسُّقْمُ يُنْحِلُنِي حَتَّى حكَتْ جَسَـــدِي(١)

وكُلَّمَا فاضَ دَمْـعِي غاضَ مُصْطَبَرِي كَأَنَّ مَا سَالَ مِنْ جَفْنَيَّ مِنْ جَلَدِي(٢)

فأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفتُ بِهِ وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنَ يَحْيى صَوْلَةُ الأسَدِ(٣)

لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنيَا فَمِلْتَ بِهَا وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ(٤)

---

(١) الودق : المطر ، وهزيم الودق ؛ يريد سحابا هزيم الودق ، وهو الذى لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه : ويقال غيث هزيم ومنهزم ، وأكثر ما يستعملان فى صفة السحاب . وهو الذى لرعده صوت : يقال سمعت هزيمة الرعد ، ولا يستعمل فى صفة الودق . وفى معنى البيت يقول مخلد بن بكار الموصلى :

يا مَنزِلا ضنّ بالسلام سُقِّيت صَوْبًا من الغمام
ما ترك الحزْنُ مِنك إلا ما ترك السقْمُ مِنْ عظامى

ويقول ابن وهب :

لبِسَا البِلى فكأنما وَجَدا بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجد

وقال البحترى :

حَمَلَتْ مَعَالِمهُنّ أعباءَ البِلى حتى كأنّ نحولهنّ نحولى

(٢) غاض : نقص ؛ والمصطبر : الاصطبار ؛ والجلد : القوة والصبر . يقول : كأن دموعى جارية من جلدى ، لأنى كلما بكيت نقص صبرى ، فكأن دموعى من صبرى .

(٣) الزفرات : الأنفاس الحادة ؛ وكلف به : أولع ؛ ومن زفراتى : متعلق بمعنى أين ، تقديره : أبعيد حبيبى من زفراتى أم قريب ؟ . يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة مابى من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد ؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح . وفيه من البديع حسن التخلص .

(٤) يقول : لما رجحت كفتك ـ وقد وضعت الدنيا وأهلها فى الكفة الأخرى ـ علمت أن الرزانة للفضل ، لا للأشخاص : أى إذا رجح الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحترى :



مَا دَارَ فِى خَلَدِ الأَيَّامِ لِى فَرَحٌ ... أَبا عُبَادَةَ حتى دُرْتَ فى خَلَدِى(١)

مَلْكٌ إِذَا امْتَلأَتْ مالاً خَزَائِنُهُ ... أَذاقها طَعْمَ ثُكْلِ الأمِّ لِلْوَلَدِ(٢)

مَاضِى الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ ... بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ(٣)

مَاذَا الْبَهَاءُ وَلاَ ذَا النُّورُ مِنْ بَشَرٍ ... ولا السَّماحُ الَّذِى فِيهِ سَماحُ يَدِ(٤)

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتتْ ... لدَى المجدِ حتى عُدَّ ألفٌ بِوَاحِدِ

(١) الخلد : البال والروع . يقول . لم يقع فى قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت أنت فى قلبى أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

إن دَهراً يَلُفُّ شَمْلى بِسلْمَى ... لزَمانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ

(٢) الثكل : فقد الأم ولدها . جعل الخزائن كالأم ، والمال كالولد . يقول : إذا امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول أبى نواس :

إلى فَتَى أُمُّ مَالِهِ أبداً ... تسْعَى بجَيْبٍ فى الناسِ مَشقوقِ

(٣) الماضى : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة . يقول : إن حزمه فى الأمور يريه فى يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى بقلبه ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفطن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :

الألمعِىُّ الذى يَظُنُّ بِكَ الظنَّ كأنْ قد رَأى وقد سَمِعا

ويقول أبو تمام :

وَلِذَاكَ قيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ ... حَقٌّ وفى بعضِ القلوبِ عُيونُ(١)

ولقد كرر المتنبى هذا المعنى فى شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجودة الظن.

(٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماح : من رفعه فهو على جعل «ما» تميمية ؛ ومن رواه بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

---

(١) من مدحة له فى الواثق . ولذلك : أى لأنا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه.



أيُّ الأكُفِّ تُبارِى الغَيْثَ مَا اتَّفقَا حتى إذا افترَقَا عادَتْ وَلَمْ يَعُدِ(١)

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ المَجْدَ مِنْ مُضَرٍ حَتَّى تَبحْتَرَ فَهْوَ اليَوْمَ مِنْ أُدَدِ(٢)

قَوْمٌ إِذَا أَمطَرَتْ مَوْتاً سُيُوفُهُمُ حَسِبْتَهَا سُحُباً جادَتْ عَلَى بَلَدِ(٣)

لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِى مِنْكَ فى صِفَةٍ إِلاَّ وَجَدْتُ مَدَاها غايَةَ الأبَدِ(٤)

***

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون فى بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالغة ، وفى معناه :

يَجِلُّ عَنِ التشبيهِ لا الكَفُّ لُجَّة ولا هُوَ ضِرْغَام ولا الرَّأىُ مِخْذَمُ

(١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أى مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير المثنى : يرجع إلى أى الأكف والغيث؛ يقول: أى كف سوى كف هذا الممدوح تبارى الغيث فى الجود ما اتفقا ماطرين، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عادتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمطر ثم ينقطع ، وكفه تجودولا ينقطع جودها ، فهى تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلا .

(٢) مضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان . وتبحتر . انتسب إلى بنى بحتر ؛ وهم حى من طىء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرياً حتى نسله الممدوح إلى بنى بحتر ، فهو اليوم بحترى أددى .

(٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها — وهى تمطر الدم — بالسحب تجود بالمطر .

(٤) يقول : لم أفكر فى صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لاتنتهى كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

أُحَادٌ أَمْ سُـدَاسٌ فى أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتَّنَـادِ (١)

---

(١) أحاد : يريد أأحاد ، فحذف همزة الاستفهام للضرورة ـ وإن لم يكن بالفصيح ـ وأحاد من الأبنية التى سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون إلى العشرة ، قال الكميت :

فلمْ يَسْـتَرِيثُوكَ حَتى رَمَيْـتَ فَوْق الرَّجاءِ (١) خِصالا عُشارا

---

(١) فوق الرجاء أى فوق الرجاء الذى كانوا يرجون أنك تبلغه

« من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجَوْكَ وَلم يَبلُغ العمر سنّـك ولا نَبت فيك اتغارا

لِأدنَى خَساً أو زكاً من سنيكَ إلى أربَع فبَقَوْنَ انتظارا

يقول ؛ تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميرا مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتغارا أى أثغرت ولم تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت رواضع الصبى قيل ثغر فهو مثغور ، فإذا نبتت قيل : اتغر ، وأصله اثتغر ، فقلبت الثاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالخسا بفتح الخاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاى : الزوج و « خسارة » و « زكا » ينونان ولا ينونان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادلهم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : فبقون ، أى : انتظروك ، يقال : بقوت الشىء إذا انتظرته .

وانتظاراً منصوب بـ « بقون » لأنه فى معنى انتظروك انتظارا ، ومعنى يستريثوك يجدونك رائثاً أى بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الخمسين وأرمى ، أى زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرعت فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى ، ولم يقنعك ذلك ، حتى زدت عليهم بعشر خصال ، ففت السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين



. . . .

ولا يستعمل أحاد فى موضع الواحد ، فلا يقال هو أحاد — أى واحد — إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس. والليلة : تصغير ليلة ، والمراد بالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَينَهم دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ[1]

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهى) والتنادى : يوم القيامة ، سمى كذلك لأن النداء يكثر فى ذلك اليوم. قال الواحدى : أراد واحدة أم ست فى واحدة وست فى واحدة — إذا جعلتها فيها كالشىء فى الظرف ولم ترد الضرب الحسابى — سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسما لليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر . يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت فى هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة ، فهى لطولها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال فى ليلة — أى سبع ليال — يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية المبالغة فى الطول . وقال ابن جنى : يريد : ينادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله:

* أفكر فى معاقرة المنايا *

وعلى هذا استطال الليلة التى عزم فى صباحها على الحرب ، شوقا إلى ما عزم عليه ، وإنما حقر الليلة لعظم طولها ؛ ومنه قول الحباب بن المنذر الأنصارى .

---

(١) قبله:

ألا تسألانِ المرء ماذا يحاول أنَحْبٌ فَيُقْضى أمْ ضَلال وَبَاطِلُ

أرى الناس لايدرون ما قدْرُ أمْرِهم ألا كلُّ ذِى لبٍّ إلى الله واسِلُ

ألا كلُّ شىء ما خلا الله باطِلُ وكلُّ نعيم لا محالة زائِلُ

وقوله أنحب فيقضى ، فالنحب النذر . يقول : أشىء أوجبه على نفسه فهو يسعى فى قضائه أم ضلال ؟ .



كأنَّ بناتِ نَعْشٍ فى دُجاها خرائدُ سافِراتٌ فى حِدادِ(١)
أفكِّرُ فى مُعاقَرةِ المَنَايا وقَوْدِ الخَيْلِ مُشْرِفةً للهَوادِى(٢)

---

* أنا جُذَيلها المحكك وعُذَيقها المرجّب(١)

أقول : وهذا البيت ـ على غموضه وقبحه وأخطائه ـ لا يخرج عن معنى قوله :

مِنْ بعدِ ما كان ليْلِى لا صَباحَ لهُ كأنَّ أوَّلَ يوْمِ الحشْرِ آخِرُهُ

(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله فى دجاها : حال من بنات نعش ، عاملها معنى التشبيه ، والضمير فى دجاها : لقوله ليلتنا . والخرائد : العذارى لم يمسسن ، أو الحييات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله فى حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير المستتر فيها . شبه بنات نعش ـ وهى مضيئة فى سواد الليل ـ بالحسان السافرات فى الثياب السود قال ابن جنى : لما شبههن ببياض النجوم فى سواد الليل كان حقه أن يذكر جوارى بيضا . والخرد ليس من البياض فى شىء ، إلا أنه فى الأمر الغالب إنما يكون للبيض دون السود ألا ترى أن السود فيهن التبذل ؟ وأراد شيئاً ، فذكر مايصحبه مستدلا عليه ، فشبه بنات نعش فى ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات فى ثياب سود . قال الواحدى : ولعله أراد أن الحياء يكون فى البيض دون السود ، والبيت من قول ابن المعتز :

وأرَى الثريَّا فى السماء كأنها خُرُدٌ تبدَّتْ فى ثيابِ حِدادِ

(٢) معاقرة المنايا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها فى عقر دارها ، وهو المترك ، يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة الهوادى : أى طوال الأعناق حال ، وهى نكرة ، لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يتعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة فيه ينوى بها الانفصال . يقول : طالت على هذه الليلة مما أفكر فى الحرب ، وقود الخيل إلى الأعداء .

---

(١) الجذل ههنا : الأصل من الشجرة ، تحتك به الإبل فتشتفى به : أى قد جربتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما ، كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعذيق . تصغير عذق ـ بالفتح ـ وهو النخلة ، والترجيب : إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط : أى أن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى .



زَعِيمٌ لِلْقَنَا الْخَطِّيِّ عَزْمِي ... بِسَفْكِ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي (١)

إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ وَالتَّوَانِي ... وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي (٢)

وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي ... بِبَيْعِ الشِّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ (٣)

وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ ... وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ (٤)

مَتَى لَحَظَتْ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي ... فَقَدْ وَجَدَتْهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ (٥)

---

(١) زعيم : أى كفيل ، خبر مقدم عن عزمى . والقنا : الرماح . والخطى ـ المنسوب إلى الخط ـ موضع باليمامة ؛ وقوله دم الحواضر والبوادى : أى دم سكانهما ، وهما جمع حاضرة وبادية ، والحاضرة : اسم يقع على المدن والقرى والريف ، وماسواها البادية ، وهى الصحراء . يقول : عزمى كفيل بسفك دم الناس جميعاً : حاضرهم والباد .

(٢) التمادى فى الأمر : بلوغ مداه ، والتمادى فى التمادى : أن يتتابع تماديه . يقول : إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر فى ذلك ؟ وإلى كم أتمادى فى التقصير تماديا متتابعاً ؟ .

(٣) كسد الشىء : لم ينفق لقلة الرغب فيه . يقول : وإلى كم أشغل نفسى عن طلب المعالى بنظم الشعر فى مدح من لاقيمة عنده للشعر :

(٤) هذا كما قال :

* ولكن ما يمضى من العيش فائت *

يريد التحضيض على طلب المعالى : أى أطلب الأهم فالأهم ، فإن أيامك لتنهب عمرك . وروى ابن جنى بمستفاد ـ بدل بمستعاد .

(٥) يقول : متى رأت عينى بياض الشيب فى شعرى فكأنى وجدته فى سوادها كراهية له ، وإذا ابيض سواد العين عمى صاحبها ، فكأنه يقول الشيب كالعمى ؛ وعبارة ابن جنى : كأن مافى وجهه من الشيب نابت فى عينيه ؛ وعبارة الخطيب التبريزى : إذا لحظت بياض الشيب ، فكأنما لحظت به بياضا فى العين ، ولا يمكنه أن يلحظ سواد عينيه إلا فى المرآة ، ولولا أنه بين سواد العين لحمل على سواد القلب لاحتماله ذلك . وهذا من قول أبى دلف :

فى كلّ يومٍ أرى بيضاء قد طلعت ... كأنما طلعت فى ناظر البصر

ويقول أبو تمام :

لهُ منظرٌ فى العينِ أبيضُ ناصعٌ ... ولكنه فى القلب أسودُ أسفعُ

مَتَى مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي　　فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي ازْدِيَادِي (١)

أَأَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلاَ أُكَافِي　　عَلَى مَا لِلأَمِيرِ مِنَ الأَيَادِي (٢)

جَزَى اللهُ المَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْراً　　وَإِنْ تَرَكَ المَطَايَا كَالمَزَادِ (٣)

فَلَمْ تَلْقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْسِي　　وَفِيهَا قُوتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ (٤)

أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ　　فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجَادِ (٥)

وَأَبْعَدَ بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي　　وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ البِعَادِ (٦)

---

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور النقصان لما هنالك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :

إذا ما زادَ عُمرُكَ كان نقصًا　　ونُقصانُ الحياةِ مَعَ التمامِ

وقال آخر :

إذا اتَّسقَ الهلالُ وصار بدْراً　　تبينْتَ المحاقَ منَ الهلال

(٢) الأيادى : النعم . يقول : كيف أرضى بحياتى ولا أجازى الممدوح على ماله عندى من سالف النعم التى أسداها إلى ؟

(٣) المزاد : جمع مزادة ، وهى قربة الماء . يقول : إن إبلنا قد أضناها السير ، وهزلها حتى تركها كالمزاد التى كانت معنا ونفد ماؤها ، جفت لطول السفر ، وعبارة ابن جنى : يريد : قد هزلها وأنضاها السير حتى صارت كالمزاد البالى ، فحذف الصفة ، قال ابن فورجه لا دليل على حذف الصفة ، وإنما أراد كالمزاد التى نحملها فى مسيرنا إذ قد خلت من الماء والزاد لطول السفر . والألف واللام — فى المزاد — للعهد ، والمعنى : إن المسير إليه أذهب لحوم المطايا ، وأفنى ما تزودنا من ماء وزاد ، فلم يبق من المطايا لحم ، ولا فى المزاد زاد .

(٤) العنس : الناقة الصلبة . والقراد : دويبة تلزق بالابل ونحوها — كالقمل للانسان — يقول : لم تصل ناقتى إلى هذا الممدوح إلا بعد أن أنضاها السير حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القراد :

(٥) الضمير فى صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة يقول : إن المسير أدنانى إليه حتى لم يبق بينى وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف . وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر فى القرب : بقاب القوس وحمائل السيف .

(٦) الضمير فى الفعلين للمسير ، والمصدر الاول — فى كل من الشطرين — مفعول به



فلمّا جِئْتُهُ أعْلَى مَحَلِّي وَأجْلَسَنِي على السَّبْعِ الشِّدَادِ[١]
تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الوِسَادِ[٢]
نَلُومُكَ يا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ لِأنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى العِبَادِ[٣]
وَأنَّكَ لاَ تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هِبَاتُكَ أنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ[٤]

والمصدر الثانى : مفعول مطلق . يقول : إن السيرأبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التدانى الذى كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب البعاد الذى كان بيننا : أى قربنى إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عنى وجعل القرب قريباً منى . وحاصل المعنى : أننا كنا فى غاية البعدفصرنا فى غاية القرب . قال العكبرى : قال الحكيم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال العكبرى : وأخذت المعنى فقلت :

وكم منْ قريبٍ قلبُهُ عنك نازحٌ وكم مِنْ بَعيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُغْرَمُ

(١) يقول : رفع منزلتى فى مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأنى به فوق السموات السبع . والشداد : المتقنة المحكمة الصنعة .

(٢) تهلل : تلألأ وجهه واستبشر برؤيتى . والوساد : ما يتكأ عليه . ومثل هذا قول الآخر :

إذَا مَا أتاهُ السائلون توقّدَت عليهِ مصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ

والمصراع الثانى من قول على بن جبلة :

أعْطَيْتَنِى يا ولىّ الحمدِ مُبتدئاً عطيّةً كافأتْ مَدْحِى ولم ترنى
ما شِمْتُ بَرْقَكَ حَتى نِلْتُ رِيقَهُ كأنما كنتَ بالْجَدْوَى تبادرنى
فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلْقِيحُ مَدْحٍ وَنَجْوَى شاعرٍ فَطِنِ
شُكْرٍ لتَعْجيل مَا قدّمْتَ مِنْ مِنَنٍ عِنْدِى وشُكْرٍ لِما أوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أى حقرت أفعالهم ومناقبهم بزيادتك عليهم .

(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كأنَّ سَخاءكَ الإسلامُ تخشى ... إذا ما حُلْتَ عاقِبَةَ ارتِدادِ(١)
كأنَّ الهامَ في الهيْجا عُيونٌ ، ... وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقادِ(٢)
وَقَدْ صُغْتَ الأسِنَّةَ مِنْ هُمومٍ ... فما يَخْطُرْنَ إلاَّ في فُؤادِ(٣)

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتعتقده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكَأنما المكرُماتُ لَدَيْهِمِ ... ـ لِكثرَةِ ما أوْصَوْا بِهِنَّ ـ شرائع

ثم قلبه فقال :

كَرَمٌ تَدِينُ بحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ ... فكأنهُ جُزْءٌ مِنَ التوحيدِ

(٢) الهام : الرءوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف : طرقه وعمله . جعل الرءوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد يقول : إن سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تحل إلا في الرءوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو تقول: إن سيوفك ألفت الرءوس ألفة الرقاد للعين ، فلا تحل إلا فيها ، وعبارة الخطيب التبريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمنع منه العيون ، بل تطرأ عليها : حبت أم كرهت .

(٣) الأسنة : نصال الرماح . ويخطرن : إما بضم الطاء على إرادة الهموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول ؛ إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها الهموم لامحل لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كأنه كانَ تِرْبَ الحبِّ مُذْ زَمَنٍ ... فليْسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلا كَبِدُ(١)

وفي معنى البيت يقول دعبل في سيدنا علي :

كأنَّ سِنانَهُ أبداً ضَميرٌ ... فليس له عن القلبِ انقِلابُ
وصارِمَهُ كَبيْعته بِخُمٍّ ... فمَوْضِعُها مِنَ الناس الرقاب(١)

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء إنه لخلب نساء : أي يحبه النساء .

(٢) خم — بضم الخاء ، وقيل بفتحها — موضع بالجحفة ، بين مكة والمدينة ، قضبت فيه عين هناك .

وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْثَ النَّوَاصِي ... مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ لِلطِّرَادِ (١)

وحامَ بها الهَلاكُ على أناسٍ ... لَهُمْ باللَّاذِقِيَّةِ بَغْيُ عادِ (٢)

فَكَانَ الغَرْبُ بَحْراً مِنْ مِياهٍ ... وكَانَ الشَّرْقُ بَحْراً مِنْ جِيادِ (٣)

وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ

فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبِيضِ الحِدَادِ (٤)

ويقول منصور النمرى :

وكأن موقِعَهُ بجُمْجُمةِ الفتى ... سُكْرُ المدامَةِ أو نُعَاسُ الهاجع

ويقول مهلهل :

الطاعنُ الطعنَةَ النجلاء تَحْسَبُها ... نوماً أناخَ بجفْنِ العينِ يُغفيها

بِلَهْذَمٍ من همومِ النفسِ صيغتهُ ... فليس ينفكُّ يجرى فى مجاريها

(١) الضمير فى جلبتها : للخيل ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛ والأشعث : المغبر ، والنواصى : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث النواصى لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسبائب : شعر العرف والذنب . وهذا الشعر يعقد عند الحرب ، كما قال :

عقَدُوا النواصىَ للطِّعان فلا ترى ... فى الخيل ـ إذ يعدُونَ ـ إلا أنزعا

وقوله ويوم إلخ : أى أذكرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذنابها ، يومئذ ظفرت بمطلوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛ والباء فى بها : متعلقة بحام والضمير : للخيل ، والبغى الظلم : يقول : دار الهلاك بخيلك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرين : أحدهما من الجانب الغربى ، وهو بحر الماء — لأن اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقى ، وهو جيش الممدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى فى بحر الجياد ، والبيض : السيوف ، والحداد : الرقاق ، يقول اضطربت الأعلام فى هذا البحر — بحر الجياد — وتحركت لك — لا عليك — فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف .

لَقُوكَ بِأَكْبُدِ الإِبِلِ الأَبَايَا فَسُقْتَهُمُ وَحَدُّ السَّيْفِ حادِ(١)
وقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ الْغَيِّ عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ(٢)
فَمَا تَرَكُوا الإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادِ(٣)
وَلاَ اسْتَفَلُوا لِزُهْدٍ فى التَّعَالِي وَلا انْقَادُوا سُرُوراً بِانْقِيَادِ(٤)
وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فى حَشَاهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فى رِجْلِ الْجَرَادِ(٥)
وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمُ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ(٦)
غَمَدْتَ صَوَارِماً لَوْ لَمْ يَتُوبُوا مَحَوْتَهُمُ بِهَا مَحْوَ الْمِدَادِ(٧)

---

(١) الأبايا : جمع الأبية ، أى الآبية الممتنعة . يقول : لقوك عاصين غليظة أكبادهم كأكباد الإبل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد إليهم ، فذللتهم وسقتهم أمامك كما تساق الإبل ، وحاديهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بغلظ الكبد كما قال :

* لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْباداً من الإِبِلِ

(٢) يقول : أخرجتهم من ضلال المعصية إلى رشد الطاعة . وفيه من البديع المقابلة بين الغى والرشاد .

(٣) انتحل الشىء : ادعاه . يقول : إنك اضطررتهم إلى ترك الإمارة فتركوها خوفاً ، وادعوا حبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانحطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : ثار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة فى فعله ولكن لأن ريح الخوف عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعفو عنهم كان ذلك إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبى تمام .

مَعادُ البعثِ معروفٌ ولكنْ نَدَى كفيك فى الدنيا مَعادِى

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الحبر ، يقول : سللت عليهم سيوفاً ، فلما عفوت عنهم أغمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لمحوتهم محو المداد .



وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكَرَمِ التِّلَادِ(١)

فَلَا تَغْرُرْكَ أَلْسِنَةٌ مَوَالٍ تُقَلِّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِي(٢)

وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْثِي لِبَاكٍ بَكَى مِنْهُ وَيَرْوَى وَهْوَ صَادِ(٣)

فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ(٤)

وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ(٥)

---

(١) الطريف : المستحدث . وانتصف منه : استوفى حقه ، والتلاد : القديم . يقول إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولى والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك المودة والمحبة وقلوبهم تضمر لك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رثى له يرثى : إذا رحم ؛ والصادى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم كالموت لا يرحم الباكى من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جنى : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب النفوس ؛ ومعنى يروى : ينال مالو أدركه لروى ؛ وفى معناه :

* كالموتِ ليسَ لهُ رِيٌّ ولا شِبعُ *

(٤) نفر الجرح : هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحترى :

إذا ما الجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تبيَّنَ فيه تفريطُ الطبيبِ

قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار . يقول : إن العداوة تكمن فى الوداد كمون النار فى الزناد والماء فى الجماد . كما قال نصر بن سيار :



وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعاً جَبَانٌ فَرَشْتَ لِجَنْبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ(١)
يَرَى فى النَّوْمِ رُمْحَكَ فى كُلاَهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فى السُّهَادِ(٢)
أَشَرْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ
نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ(٣)
وَظَنُّونِى مَدَحْتُهُمْ قَدِيماً وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمْ مُرَادِى(٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تُورِى وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الكلام

وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يغفل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفاء له . وعبارة ابن جنى : الأشياء تكمن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .

(١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقتاد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك يحول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القتاد ، وعبارة بعض الشراح كيف يبيت عدوك مضطجعاً . وكلما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القتاد ، من خوفك . يعنى : أنه لا يزال متيقظاً لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .

(٢) يقول : لشدة ارتياعه وذعره يراك فى نومه كأنك طعنت كليتيه برمحك ، فهو يخشى أن يرى ذلك فى اليقظة ، كما قال أشجع السلمى :

وعَلَى عَدُوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإظلامُ
فإذا تنبهَ رُعْتَهُ وإذا غفا سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأحلام

ولقد قصر أبو الطيب فى تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلا ، ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا .

(٣) و (٤) يقول : مدحت قوما أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ، فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودونى شيئاً ، وظنوا أنى كنت أمدحهم وأثنى عليهم بذلك المديح ، مع أنى إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفى هذا المعنى يقول أبو نواس :

وإنْ جَرَتِ الألفاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ لِغيرِكَ إنساناً فأنتَ الذى نَعْنى

ويقول كثير :

مَتى ما أقلْ فى آخرِ الدهرِ مِدحةً فما هِىَ إلا لابنِ ليلى المُكَرَّمِ

وقد ذهب اليازجى — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والتاء

وَإِنِّى عَنْــكَ بَعْدَ غَــدٍ لَغَادٍ
وَقَلْــبِى عَنْ فِنَــائِكَ غَيْرُ غَادِ[1]

مُحِبُّــكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَــتْ رِكَابِى
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِــلَادِ[2]

— إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشر ، وهو الفرح بالشىء والاغترار به ، كأنه يقول : إنى اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن فى ذاته ، إلا أنه يفتقر إلى ثبت .

(١) الغدو الذهاب صباحا ، ثم كثر حتى استعمل فى مطلق الذهاب : أى وقت كان والفناء : الساحة والمنزل . يقول : إنى مرتحل عنك ، وقلبى مقيم عندك . قال العكبرى وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبى تمام :

مُقيمُ الظنِّ عندكَ والأمانى وإنْ قَلِقَتْ رِكابى فى البلادِ

(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأنى إنما آكل مما أعطيتنى وزودتنى ، وهذا من قول أبى تمام :

وما سافرْتُ فى الآفاقِ إلا وَمِنْ جَدْوَاكَ راحِلتى وزَادِى



وقال يمدح بدر بن عمار الأسدى الطبرستانى ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبى بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨

أَحُلْماً نَرَى أَمْ زَمَاناً جَدِيدَا ... أَمِ الخَلْقُ فى شَخْصِ حَىٍّ أُعِيدَا(١)

تَجَلَّى لَنَا فَأَضَأْنَا بِهِ ... كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُعُودَا(٢)

رَأَيْنَا بِبَدْرٍ وَآبَائِهِ ... لِبَدْرٍ وَلُوداً وَبَدْراً وَلِيدَا(٣)

---

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟ فهو الآن مدع وقوع أحدهما لا محالة ؛ لجرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمراً : أى لست أشك فى ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ، وهى للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر يتعجب من جمال زمان الممدوح . يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؟ فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل — فى شخص رجل حى — وهو الممدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل والمكارم وسائر المعانى المحمودة ، فكأنهم أعيدوا فى شخصه ، كما قال أبو نواس :

وليْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العالم فى واحِدِ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا الممدوح فسرنا به فى الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التى تسعد ببروجها ،

(٣) ولوداً : أى والداً ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار بدراً مولوداً ، وبرؤية آبائه والداً لبدر ؛ وعبارة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه والداً لقمر وقمراً مولوداً . جعله فى الضياء والشهرة والعلو والحسن كالقمر ، والقمر لا يكون مولوداً ولا والداً ، فجعله كالقمر المولود وأباه كالوالد للقمر ، وعنى بالبدرين الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم الممدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال : ويقال الإشارة فى هذا إلى أن الممدوح فيه معانى البدور من الضوء والحسن والكمال لا معانى بدر واحد . وعبارة ابن جنى : رأينا هذا الممدوح وأباه قد ولد منه قمر فى الحسن ، فكأنه قد صار للقمر والداً ؛ ورأينا هذا الممدوح قمراً وليداً ، والبدر لا يكون والداً ولا مولوداً حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال أنت قمر وأبوك أبو القمر .



طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِى رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَا[١]

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بَخِيلٌ بِأَنْ لا يَجُودَا[٢]

يُحَدَّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهًا كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودا[٣]

وَيُقْدِمُ إلاَّ عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إلاَّ عَلَى أَنْ يَزِيدَا[٤]

---

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا ستحقاقه غاية الخضوع منا له ؛ فلم يرض ذلك ؛ فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أى هو أمير ؛ وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدأ مؤخر . أى هو أمير ، الندى أمير عليه ، أى ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أى لا يكون بخيلا ألبتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شىء إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك والمصراع الأول من قول النمرى :

وقفتُ على حاليكما فإذا النَّدَى عليكَ — أميرَ المؤمنينَ — أمير

وقول أبى تمام :

ألاَ إنّ النَّدَى أضحى أميراً عَلَى مالِ الأميرِ أبى الْحسين

(٣) يقول : لا يحب أن يمدحه أحد بحضرته تنزها عن ذلك المدح ، كأن له من نفسه قلباً يحسده ، فلا يحب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أنا بالوُشاةِ إذا ذَكرتكَ أشبهُ تأتى الندى ويُذَاعُ عنكَ فتكرهُ

وقد قال أبو تمام :

وكأنما نافَسْتَ قدْرَكَ حظهُ

وحَسَدْتَ نفسَكَ حين أنْ لم تُحْسَدِ

اجتمع المتنبى وأبو تمام فى حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافست قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى فى الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن كنت مفرداً فيها ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسدك على فضائلك ، فهو يكره أن تشتغل بذكرها ، وهذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتمعا فى حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار فى الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ ... فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَجِدْهُ جُدُودَا[١]

وَرُبَّتَمَا حَمْلَةٍ فِى الْوَغَى ... رَدَدْتَ بِهَا الذُّبَّلَ السُّمْرَ سُودَا[٢]

وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَنَصْلٍ قَصَفْتَ ... وَرُمْحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيدَا[٣]

وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلاَ مَوْعِدٍ ... وَقِرْنٍ سَبَقْتَ إِلَيْهِ الْوَعِيدَا[٤]

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ماهو عليه من علو الشأن وجلال القدر ، فإنه لاغاية له وراءه ، وهذا من قول أبى تمام :

فلوْ صورْتَ نفسكَ لم تَزِدها ... على ما فيكَ من كرَم الطباع

(١) النوال : العطاء ؛ والجدود : جمع جد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن عطاءك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحدا بر سعد بيرك فصار برك حظا له . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو أحد شق القضاء .

(٢) التاء — فى ربتما — للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السمر : الرماح . يقول رب حملة لك على أعدائك فى الحرب رددت بها رماحك السمر سودا : أى لطختها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صحبك بنجدتك ، ورب سيفٍ كسرته بقوة ضربتك ، ورب رمح أتلفته بالطعن فى الأضلاع وقد أتلف نفس المطعون . فقوله مبادا مبيدا : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى فى السيف قول البعيث:

وَإِنَّا لَنُعْطِى الْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّها ... فَتَقْطَعُ فى أَيمانِنا وَتُقطَّعُ

ويقول أبو تمام :

وما كُنْتَ إلا السَّيفَ لاقَى ضَرِيبةً ... فَقَطَّعها ثُمَّ انثنَى فتقطَّعا

(٤) القرن : الكفؤ فى الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعد ، بل تعطيه ابتداء ؛ ورب كفؤ لك فى الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :

لقدْ حالَ بالسّيف دُونَ الوعيدِ ... وحالتْ عطاياهُ دُونَ الوعود



بهجرِ سُيُوفِكَ أغمادَهَا تمنَّى الطُّلَى أنْ تكُونَ الغُمُودا(١)

إلى الهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدَراً عَنْ وُرُودٍ وُرُودَا(٢)

قتَلْتَ نفُوسَ العِدا بالحدِيدِ حتَّى قتلْتَ بهِنَّ الحَدِيدَا(٣)

فأنفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ البَقاءَ وَأبْقَيْتَ مِمَّا ملَكْتَ النُّفُودَا(٤)

كأنَّكَ بالفَقْرِ تبْغِي الغِنَى

وَبالمَوْتِ فى الحَرْبِ تبْغِي الخُلُودَا(٥)

---

(١) الطلا : الأعناق ، والغمود : جمع غمد ، جفن السيف . يقول : إن سيوفك لأنها لاتفتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب ـ تبق أبداً هاجرة أغمادها ، ومن ثم تتمنى الاعناق أن تكون أغماداً لها حتى تنال من الهجر مانالت الأغماد : أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبدا . وهو معنى دقيق رائع .

(٢) الهام : الرءوس يقول : إن سيوفه لاتعود إلى أغمادها أصلا فقد هجرتها إلى الرءوس لأنها أبداً تصدر عن رأس لترد رأساً غيره ، فيكون صدورها عما وردت عليه ورودا على مثله . فقوله إلى الهام : متعلق بهجر فى البيت السابق ـ أى بهجر سيوفك أغمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمنا . ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا : أى صادرة عن مثل ماهجرت إليه . والصدر ـ فى الأصل ـ صدور الشاربة عن الماء بعد الرى ، والورود عكسه ؛ وصدرا وورودا : مفعولان لترى ، وورود : متعلق بصدر :

(٣) يقول : مازلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بهن : أى كسرته وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام :

وَمَا مَاتَ حتى مَاتَ مَضْرِبُ سيفِهِ مِنَ الضَّرْبِ واعْتلَّتْ عليه القنا السُّمرُ

(٤) أنفدت : أفنيت ؛ والنفود : الفناء ؛ والضمير فى عيشهن : لنفوس الأعداء وأفنيت بقاء نفوس الأعداء : أى أهلكتهم بإحلال آجالهم ، وأبقيت نفود المال الذى تملك : أى أتلفته حتى لم يبق منه إلا العدم . يقول : إنك أهلكت أعداءك وفرقت أموالك .

(٥) يقول : لإفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبغى بذلك الغنى ؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه . فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه .



خلائِقُ تَهْدِى إلَى رَبِّهَا ... وآيَةُ مَجْدٍ أراهَا العَبِيدا[(١)]

مُهَذَّبَةٌ حُلْوَةٌ مُرَّةٌ ... حَقَرْنَا البِحَارَ بِهَا وَالأُسُودَا[(٢)]

بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَصْفُهَا ... تغولُ الظُّنُونَ وَتُنْضِى القَصِيدَا[(٣)]

فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِى آدَمٍ ... وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدا[(٤)]

• •

(١) فاعل أراها : ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق – يعنى ماذكر فى الأبيات السابقة – يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هى أخلاق عجيبة لايقدر عليها إلا الله الواحد القادر ، وهى آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أى صاحبها ، وهو الممدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كى ينهجوا منهجه .

(٢) يقول : هذه الخلائق مهذبة لاعيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النقمة واللأواء ؛ ولقد حقرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما فى الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جنى : حلوة : فكل أحد يعشقها ويستحسنها . ومرة لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغاله أهلكه . وأنضاه : هزله . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأنا نراها ، ولكن لانقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لا لأنه وجد لك نظير قديما ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة فى بنى آدم . وعبارة الواحدى : لم تصر وحيدا ، لأنك فقدت نظيرا كان لك ، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهى صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بنى آدم فى كل خلائقك ، ولست بواجد لك نظيرا ، فلست مفردا من فقدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أى أنت وحيد لم تزل

وقال لما استعظم قوم ما قاله فى آخر مرثية جدته :

يَسْتَعْظِمُونَ أُبَيَّاتاً نَأَمْتُ بِهَا لا تَحْسُدُنَّ عَلَى أَنْ يَنْأَمَ الأَسَدَا(١)

لَوْ أَنَّ ثَمَّ قُلُوباً يَعْقِلُونَ بِهَا أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدَا(٢)

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمى :

أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ

وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ(٣)

---

(١) أبيات : تصغير أبيات ، صغرها تحقيرا لها . ونأم الأسد زأر : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون أبياتا هى عندى حقيرة . ثم قال لاتحسدن الأسد على زأره .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير ـ فى قوله تحتها ـ للأبيات ، والحسدا : مفعول أنساهم . يقول : لوكان لهم قلوب يعقلون بها ماتضمنته أبياتى من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد .

(٣) الفعال هنا : مصدر فعل فعالا : كذهب ذهابا ؛ والفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبله : اسم فعل بمعنى دع ، وأكثره منصوب به ، والجد ـ بالكسر ـ الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أغناك ذلك عن تعرف الأكثر . يعنى أنى لاأفعل فعلا إلا ومرماى المجد ، فكل أفعالى ـ قليلها وكثيرها ـ إنما هى فى سبيل المجد وهذا الجد والإشاحة فى سبيل المجد ، وترك التوانى فى ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبارة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومغزاى المجد ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نومى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأكثر لقال : تغريرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل المجد وتحصيله . يقول: إذا عرفت كون الأقل مجدا أغناك ذلك عن تعرف الأكثر . وقوله وذا الجد ، معناه أن الجد فى طلب المجد جد معجل ، لأن استعمال الجد فى الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجد فى الأمور .

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ ... كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ[(١)]

ثِقَالٍ إِذَا لاَقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا ... كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا[(٢)]

وَطَعْنٍ كَأَنَّ الطَّعْنَ لاَ طَعْنَ عِنْدَهُ ... وَضَرْبٍ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدُ[(٣)]

إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحٍ ... رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ[(٤)]

أُذِمُّ إِلَى هٰذَا الزَّمَانِ أُهَيْلَهُ ... فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ[(٥)]

---

(١) يقول : سأطلب حقى بالرماح وبصحب لى لايفارقون الحروب ، فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم ، فكأنهم مرد واللثام فى الحرب عادة العرب ، لئلا تسقط عمائمهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ، وبالمشايخ عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محنكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشايخ ، هذا : والمشايخ جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيخة وأشياخ وشيوخ . واللثام : مايجعل على الوجه من فاضل العمامة .

(٢) ثقال وما بعده : نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأتهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالخفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم ـ على قلتهم فى العدد ـ يغنون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا انتصفوا من أعدائهم وغلبوهم فى قلة عددهم فهو أفخر لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير ـ فى عنده ـ يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لاطعن عنده . فى موضع رفع خبر كأن . يقول : وأطلب حقى بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لاشىء ، وبضرب حار كأن حر ، النار بالإضافة إليه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابح : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع فى قومه ، فمتى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله: فى فمها ، أراد: فى أفواهها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صغر الأهل تحقيراً لهم . والفدم : العيى فى ثقل وقلة فهم . والوغد : الأحمق الخسيس .



وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ   وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ(١)

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى   عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ(٢)

---

(١) وأكرمهم كلب : أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمور — من البصيرة — أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد — وبه يضرب المثل فى كثرة النوم . وفى حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها فى البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرماً ، منه وحسن خلق . والقرد يضرب به المثل فى الجبن والحذر ويقال : إن القرد لاينام إلا وفى كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالحر : الكريم — ضد اللئيم — يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لايجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مداجاته ، لكان أشبه ؛ والذى قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفى قوة المعنى : أن المداجى : المساتر للعداوة وقد يساتر للعداوة من لايظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمراً عظيما ؛ ونكداً فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجى . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد بهذا السلطان الذى لابد من صداقته بإخلاص القول والنية ، فبأيها أخل دخل منه الضرر ، وهذا الذى يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبى . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته: خبر . قال العكبرى : وأراد مامن إظهار صداقته فحذف المضاف . وفى الواحدى — بعد هذا البيت — هذان البيتان :

فيانكد الدُّنيا مَتى أنت مُقْصِرٌ   عَنِ الْحُرِّ حتى لا يكون له ضِدُّ

يَروحُ ويَغدُو كارِهاً لِوِصالِهِ   وَتَضْطَرُّهُ الأيامُ والزمَنُ النَّكْدُ

ولا يوجدان فى سائر نسخ الديوان .



بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرْوَ مِنْهَا مَلاَلَةٌ
وَبِي عَنْ غَوَانِيهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ(١)

خَلِيلاَيَ دُونَ النَّاسِ حُزْنٌ وَعَبْرَةٌ عَلَى فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهُمَا فَقْدُ(٢)

تَلَجُّ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا جُفُونِي لِعَيْنَيْ كُلِّ بَاكِيَةٍ خَدُّ(٣)

---

(١) بقلبي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير فى منها : للدنيا ؛ والغوانى : جمع غانية وهى المرأة التى غنيت بجمالها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظى منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة ، وبى إعراض عن نسائها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغبن فى وصالى ، ولله أبو العلاء المعرى حين يقول :

وَقد غَرِضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِغِرٍّ بعدُ ما غَرِضَا(١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلازمانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبنى لفقده حزن وعبرة لست أفقدهما . وقوله: دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها ،وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبرة على التنازع ، وجملة مالهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، ويروى تلح : من قولهم ألح السحاب بالمكان : إذا أقام به ، يقول : لاتخلو جفونى من الدموع فكأن جفونى خد كل باكية فى الدنيا . يعنى أن مايسيل من جفونه مثل الذى يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة فى كثرة ما يجرى من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لاتخلو الدنيا من باكية تجرى دموعها .

---

(١) غرضت : ضجرت وسئمت . والغر : الذى لم يجرب الأمور ؛ وقبل البيت :

إذا الفَتى ذَمَّ عَيْشاً فى شَبيبتِهِ فمَا يقولُ إذَا عَصْرُ الشبابِ مَضَى

وقد تعوَّضْتُ مِنْ كلٍّ بمشبهِهِ فمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصِّبَا عِوَضَا

وبعدهما البيت وبعده :

جرَّبْتُ دَهْرِى وأَهْلِيهِ فمَا تركَتْ لِيَ التجارِبُ فى وُدِّ امْرِىءٍ غَرَضَا



وَإِنِّي لَتُغْنِينِي مِنَ الْمَاءِ نُغْبَةٌ ، وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرُّبْدُ(١)
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السِّنَانُ لِطِيَّتِي ، وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمُجَلِّحَةُ الْعُقْدُ(٢)
وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بِغِيبَةٍ ، وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَا لَهُ جُهْدُ(٣)
وَأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ الْعِيِّ وَالْغَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمُ ضِدُّ(٤)
وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ(٥)

---

(١) و (٢) النغبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامة ربداء . وذلك لما فى لونها من الغبرة . يضرب بها المثل فى الصبر على العطش ، والطية المكان الذى تطوى إليه المراحل وينتوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطنى عن الزاد . والمجلحة : الذئاب المصممة . يقال جلح الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعقد ، وهو الذي فى ذنبه عقدة ،وقيل : الذى انعقد لحمه ضمراً وهزالا . يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة فى أموره ، وعدم إسفافه ، وقلة مبالاته بالمشرب والمطعم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التى لايهمها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغيبة : الاسم من الاغتياب ، وهو الوقوع فى عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إنى أكبر نفسى أن أجازى عدوى بالاغتياب ، لأن ذلك طاقة من لاطاقة له بمواجهة عدوه ومحاربته . ولله قول أياس ابن قتادة :

نعاقِبُ أيْدِينا وَيَحْلُمُ رأيُنا وَنَشْتُمُ بالأفعالِ لا بالتكلُّمِ

(٤) أصل العى : العجز عن الحجة ؛ والعى فى الكلام : الحصر . والغبا : الغباوة . أى قلة الفطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل العى والغباء رحمتهم وأشفقت عليهم ، وإذا أبغضونى عذرتهم ، لأنهم أضداد لى بسبب مابيننا من التباين ، والضد يبغض ضده .

هذا ومفعول أعذر — كما قال العكبرى — محذوف ، والمفعول يحذف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شىء) أى شيئاً .

(٥) الأيادى : النعم ؛ يقول : يمنعنى من الانصراف إلى غيره ماله عندى من النعم التى يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفا لها لكثرتها وتوافرها إذ لايسعها مفهوم هذا اللفظ .

تَوَالَى بِلاَ وَعْدٍ وَلَـٰكِنَّ قَبْلَهَا   شَمَائِلَهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدُ(١)

سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَـاحِبِي   إِلَى السَّـيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللهُ لاَ الْهِنْـدُ(٢)

فَلَمَّا رَآنِي مُقْبِلاً هَزَّ نَفْسَـهُ   إِلَيَّ حُسَامٌ كُلُّ صَفْحٍ لَهُ حَدُّ(٣)

هذا ، وقال العكبرى : رفع عند ــ وهى لاتستعمل إلا ظرفا ــ لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه فى الأمر : كذا عندى . فيقول الآخر : أو لك عند ؟ أى أولك فهم ؟ فجعلها اسما ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال: الخير عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون فى كل الجهات . قال : وقال يونس يوما فى كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة :أيقال عند ؟ فقال: نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ماكان عندى ذلك ، فقال له أو لك عند ؟ وقال الطائى :

وما زال منشوراً عَلَيّ نَوالُهُ   وعندِيَ حتى قد بقيتُ بلا عِنْد

(١) توالى ــ بحذف إحدى التاءين ــ أى تتوالى . ويروى : توالت . والضمير للأيادى ؛ وشمائله : أى أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفى البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أى أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبى : بدل من السيف يقول . سريت إليه ومعى السيف يصحبنى فى طريق فكان مسرى سيفى إلى سيف آخر ــ يعنى الممدوح ــ إلا أن سيفى مما طبعته ــأى عملته ــ الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام ــ أى سيف قاطع ــ فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح ، وصفح السيف جانبه ، وله نعت صفح . يقول : لما رآنى مقبلا عليه هز نفسه للقائى كما يهتز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أى كل وجه من صفحيه حد ينفذ فى أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما نقطع بحده .



فَلَمْ أَرَ قَبلِي مَنْ مَشَى الْبَحْـــرُ نَحْوَهُ
وَلاَ رَجُــلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأُسْـــدُ (١)

كَأَنَّ الْقِسِيَّ الْعَاصِيَاتِ تُطِيعُهُ هَوًى أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أَنْمُلِهِ زُهْدُ (٢)

يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمْيِهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ (٣)

وَيُنْفِذُهُ فِي الْعَقْدِ وَهْوَ مُضَيَّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ (٤)

بِنَفْسِي الَّذِي لاَ يُزْدَهَى بِخَدِيعَةٍ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ (٥)

---

(١) قال الواحدى : تحقيق الكلام : فلم أرقبلى من مشى نحوه رجل كالبحر فى الجود ، وعانقه رجل كالأسد فى الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصيات : القسى الشديدة التى تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنها تطيعه إذا جذبها حباً له أو زهدا فى غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الاصابة لمساعفتها إياه تكاد تسبق رميه ، ويكاد السهم لانقياده له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة فى وصف اقتداره على الرمى .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذ عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات المتنبى فى شعره ويقوى ذلك أيضا أن يكون أراد به فى الحقيقة يصيب عقد الشعرة ، والعقد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه فى العقدة الضيقة من الشعرة السوداء فى الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التى تعد غلوا .

(٥) ازدهاه : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذى هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لايغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بشتى وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد والموجدة . وقال ابن جنى : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنى أزدهيك بالخديعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لايجوز مثله . قال : وهذا مذهبه فى أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حذقا منه بصنعة الشعر ، كما كان يقول فى كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة ــ يرد على ابن جنى ــ : إنما فعل ذلك فى مدائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبدا أسود لم يكن يفهم شيئا ، ولم يفهم ماينشده ، فأما على بن محمد ابن سيار فمن صميم بنى تميم ، عربى لم يزل يمدح وتنتابه الشعراء ، وليس فى هذا البيت مايدل



وَمَنْ بُعْدُهُ فَقْرٌ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنًى ، وَمَنْ عِرْضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدُ(١)
وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ(٢)

على أنه يعني غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسي أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرمي في عقدة من شعره في ليل مظلم أول محال ادعى للمدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له فقذفه .

(١) ومن عرضه حر : أي لامغمز فيه عزيز عزة الحر ، ومن ماله عبد : أي ممتهن مبذول في سبيل المجد . وفي البيت من الطباق مالا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن كل ساقط لئيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لايشاكله . وعبارة ابن جني : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتيقظ ومعرفة مايأتي ومايدع . قال ابن الشجري — لما ذكر كلام ابن جني هذا — : لايخلو من أحد معنيين . أحدهما أنه يوري عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولايستحق أن يحرم معروفا ؛ والمعنى غير ماذهب إليه ، وذلك أنه وصف الممدوح بالتيقظ ومعرفة مايأتي ومايذر فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخي من جاد بماله تبرعا ، وكف عن أموال الناس تورعا ، ويمنع ماله من كل دنيء : إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعني أنه يقل عن المدح والهجاء كما قال :

صَغُرْتَ عن المديح فقلتَ أُهْجَى كأنك ما صَغُرْتَ عن الهجاء

والذم : مضاف إلى المفعول ، والفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى « لقد ظلمك بسؤال نعجتك » أي بسؤاله ؛ وابن جني ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن في قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذي لأن « كلا » لايضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تبعيضه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذي أكرمته ؛ فإن قلت : كل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمتهم .



وَيَحْتَقِرُ الْحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ ... كَأَنَّهُمُ فى الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ[1]
وَتَأْمَنُهُ الأَعْـدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ، ... وَلَـكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِى يُذْنِبُ الْحِقْـدُ[2]
فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى ... فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ[3]

---

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لاعن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . يقول إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لايستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيرا لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن المذنب : يعنى أنه يحتقر أعداءه ولايكترث لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جنى : ليس يؤاخذ المذنب بقدر جرمه وإنما يؤاخذ على قدر الذنب ولاقدر عنده لمن أجرم ، فهولايعبأ بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثالهم .

(٣) يقول : إن كان جدك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كماء الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

يُحْيِي بِحُسْنِ فعَـالِه ... أفعالَ والدِهِ الْحُـلاحِلْ[1]
كالوَرْدِ زَالَ وماؤُهُ ... عَبِقُ الرَّوائِحِ غيرُ زائلْ

هذا : وقد كرر المتنبى تفضيل الفرع على الأصل فى غير موضع فقال :

* فإنّ فى الخمرِ مَعْنًى لَيْسَ فى العِنَبِ *

وقال :

فإن المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغزَالِ *

---

(١) الحلاحل : السيد فى عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ (١)

لَهُمْ أَوْجُهٌ غُــرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَأَلْسِــنَةٌ لُدُّ (٢)

---

(١) يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحترى :

ولم أرَ أمثالَ الرِّجالِ تفاوَتَتْ إلى المجد حتى عُدَّ أَلْفٌ بواحِدِ

وقال غيره :

وَمَا الناسُ إلا واحِدٌ كَقَبِيلَةٍ يُعَدُّ وَأَلْفٌ لا يُعَدُّ بواحِدِ

هذا : وقد أنث الألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنعه أهل البصرة . قال العكبرى النحوى الكوفى وحجتنا مجيئه فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : ففى الكتاب العزيز « ذو مرة فاستوى ،وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد — صلى الله عليه وسلم — فعطف وهوعلى الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قلتُ إذْ أقبلت وزُهرٌ تَهَادَى كنعاج الفلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلا

فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير توكيد . وقال الآخر :

ورجا الأُخَيْطِلُ فِي سَفاهةِ رأيِهِ ما لم يكن وأبٌ له لِينَــالا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير توكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « اسكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « يراكم هو وقبيله » . . وقالوا : لايخلو إما أن يكون مقدراً فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدراً — نحو قمت قام وزيد — فكأنه قد عطف اسماً على فعل وإن كان ملفوظا به — نحو قمت وزيد — فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لهم : أى لآل سيار الذين انفرد الممدوح بمناقبهم . والغر : جمع أغر ، وهو الأبيض المشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكنون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمة : أى بالعطاء ومعرفة عد : أى قديمة كثيرة لاتنقطع مادتها كالماء العد : أى الغزير الذى لاتنقطع



وَأَرْدِيَةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْكُوزَةٌ سُمْرٌ وَمُقْرَبَةٌ جُرْدُ(١)

وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلاَ أَبَوَاهُمُ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَابْنُ طَابِخَةٍ أُدُّ(٢)

فَبَعْـــضُ الَّذِى يَبْدُو الَّذِى أَنَا ذَاكِرٌ

وَبَعْـــضُ الَّذِى يَخْفَى عَلَىَّ الَّذِى يَبْدُو(٣)

أَلُومُ بِهِ مَـــنْ لاَمَـــنِى فِى وِدَادِهِ

وَحُقَّ لِخَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ خَـــيْرِهِ الْوُدُّ(٤)

مادته . والِلد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد ألسنة قوية فى مواطن الكلام

(١) خضرة الرداء : يكنى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان لأن خضرة النبات تدل على الخصب وسعة العيش . والملك : السلطان ، يذكر ويؤنث ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد المملكة . ومركوزة سمر : أى رماح تركز فى الأرض وتنصب ، والمقربة : الخيل تربط قريبة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة إليها أو للبخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم فى النسب لأن جميع محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لا أموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : فما ماتوا ، ولكنه حذف الفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَفْعَـــلِ الحَسَـــنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا

وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْـــدَ اللهِ مِثْلاَنِ

أراد فالله يشكرها . وتميم بن مر ، وأد بن طابخة : قبيلتان مشهورتان من العرب ، إليهما ينتسب الممدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذى أذكره وأشيد به من فضائله هو بعض مايظهر لى والذى يظهر لى هو بعض ماكان خافياً على ، يعنى أنه قد بقى من تلك الفضائل مالم يعلمه ، وبقى مما علمه مالم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض ـ فى الشطرين ـ خبر مقدم عن الموصول الثانى

(٤) يقول : من لامنى فى وده لمته بما وصفت من فضله فيتبين أنه خليق بمودتى . لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضا . وحق له كذا ـ بضم الحاء ـ إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرْقِهِ
بَنِي اللُّؤْمِ حَتَّى يَعْبُرَ المَلِكُ الجَعْدُ(١)
فَمَا فِى سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ العُلَى
وَلاَ فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ المِسْكُ وَالنَّدُّ(٢)

***

وودع صديقاً له يقال له أبو البهى فقال ارتجالا عند مسيره عنه :

أَمَّا الفِرَاقُ فإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ هُوَ تَوْأَمِي لَوْ أَنَّ بَيْنًا يُولَدُ(٣)

---

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه فى طرق المجد ؛ وبنى اللؤم : أى يابنى اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندى ، وإذا قيل فلان جعد اليدين أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لئيم لايبض حجره . وأنكر الأصمعى الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : السخى ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .

(٢) يقول : ليس فى طبائعكم أن تنازعوه العلى، كما أنه ليس فى طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره فى بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرها ويقال للاثنين إذا ولدا فى بطن : هما توأمان ؛ وفى التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توائم وتؤام . قال عنترة :

بَطَلٌ كأَنَّ ثِيابَهُ فى سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيسَ بِتوْأَمِ(١)

---

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلا : أى شجاعا . الثانى : أنه جعله طويلا شبهه بالسرحة — وهى الشجرة الكبيرة — الثالث أنه جعله شريفا للبسه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق ناميا، لأن التوأم يكون أنقص خلقا وخلقا وقوة وعقلا ، والسبت الجلد المدبوغ .



وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَـنُطِيعُهُ ... لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَـا لاَ نَخْلُدُ(١)
وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَهِيِّ نَقَلْنَنَا ... عَنْكُمْ فَأَرْدَأُ مَا رَكِبْتُ الأَجْوَدُ(٢)
مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنَّنِي ... مَنْ لاَ يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ(٣)

وقال يمدح الحسين بن على الهمذانى :

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بُعْدُ ... فَيَا لَيْتَنِي بُعْدٌ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدُ(٤)
أُسَرُّ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرَ مَا مَضَى ... وَإِنْ كَانَ لاَ يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ(٥)
سُهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا ... رُقَادٌ وَقُلاَّمٌ رَعَى سَرْبُكُمْ وَرْدُ(٦)

يقول : أما الفراق فهو شىء أعهده من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت :هو توأمى: أى لا أنفك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمى . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهده من فراقك ؛ يعنى إن وجد فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لافراق غيره

(١) يقول : لما علمنا أن خلودنا فى هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا لازب ، فلا مندوحة لنا عن الانقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا : وعبارة الواحدى : لما كنا نموت ونفنى ، علمنا أننا ننقاد للفراق .

(٢) أبا البهى : أى ياأبا البهى — وهى كنية المدوح — يقول : إذا نقلتنا الخيل عنكم وباعدت ما بيننا فإن أجودها حينئذ أردؤها . لأنه يكون أسرع فى إبعادنا عنكم.

(٣) يقول: من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذى لا أرى فى الدهر شيئاً محمودا : يعنى أن كل الأشياء مذمومة عندى لا أخص الفراق دون غيره .

(٤) يقول : لقد ضمنى واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فياليتنى بعد لأحوزه فأكون معه ، وياليته وجد ليحوزنى ويتصل بى : أى فنجتمع ولا نفترق .

(٥) الصلد : الشديد الصلب . يقول إنى أسر بأن الهوى يجدد لى ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه وحنينا إليـه .

(٦) فى العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون فى السباخ .قال ابن البيطار فى مفرداته عن أبى حنيفة الدينورى القلام تسميه الأنباط قاقلى ، وهو من الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب ـ بالفتح المال الراعى ، وبالكسر :القطيع



مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَأَنْ لَمْ تُفَارِقِى ،
وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكِ الْوَعْدُ[(١)]

وَحَتَّى تَكَادِى تَمْسَحِينَ مَدَامِعِى ، وَيَعْبَقُ فِى ثَوْبِىَ مِنْ رِيحِكِ النَّدُّ[(٢)]

إِذَا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ[(٣)]

وَإِنْ عَشِقَتْ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ،
وَإِنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ[(٤)]

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لذ فى أعيننا كالرقاد ؛ والقلام : الذى ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحبى إياكم أستلذ الألم ويحسن فى عينى ماليس بالحسن .

(١) ممثلة : خبر عن محذوف : أى هى ـ المخاطبة ـ ممثلة ، يقول : أنت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن يأسى من وصلك وعدمنك بالوصل

(٢) يقول : وحتى تكادى ـ لتخيلك حاضرة بجانبى ـ تمسحين مدامعى بيدك فيعبق طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لئِنْ بَعُدَتْ عَنِّى لَقَدْ سَكَنَتْ قَلْبِى *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها ؛ لأن شنشنتها الغدر ؛ وقد وفت بالعهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لاتبقى على عهد ؛ فوفاؤها ـ إذن ـ غدر .

(٤) فركت المرأة زوجها تفركه فركا : أبغضته : فهى فارك وفروك ، وكذلك فركها زوجها ، والفرك ـ بكسر الفاء ـ البغض . قال رؤبة :

فَعَفَّ عن أسرارِها بعد الغَسَقْ وَلَمْ يُضِعْهَا بين فِرْكٍ وَعشَقْ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين. ورجل مفرك : لايحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أنشد ابن الأعرابى :

مُفَرَّكَةٌ أَزْرَى بها عند زوجها ولو لَوَّطَتْهُ هَيَّبانٌ مُخالِفُ[(١)]

---

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لطخته بالطيب ماكانت إلا مفركة لسوء مخبرتها ، كأنه يقول : أزرى بها عند زوجها منظر هيبان : أى يهاب ويفزع من

وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فِى قَلْبِهَا رِضًى ... وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِى قَلْبِهَا حِقْدُ

كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا ... يَضِلُّ بِهَا الْهَادِى وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ(١)

وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِى الصِّبَا ... يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ(٢)

سَقَى ابْنُ عَلِىٍّ كُلَّ مُزْنٍ سَقَتْكُمُ ... مُكَافَأَةً يَغْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَغْدُو(٣)

يقول : إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعا وأقل صبرا ؛ وإذا أبغضت : جاوزت الحد كذلك فى البغض ، وفى هذه الحالة لا تطمع فى تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هى مغلوبة على أمرها — وقال الواحدى : وإن شئت قلت : فاذهب فى ذلك الفرك .

(١) يقول : هذه هى أخلاق النساء ، بيد أنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبارة ابن جنى : يخلصن فى أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن ، وهذا كالتمهيد لما سيعتذر به عن نفسه فى البيت التالى . كأنه يقول : وإنى مع طبى بأخلاق النساء وتحذيرى منهن لم أصن قلبى عن هواهن ووقعت فى شراكهن .

(٢) قلنا: إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعد ماأبان مساوىء أخلاقهن . يقول : ولكن حبا خالط قلبه فى زمن الصبا واستحكم فيه قبل أن تحكمه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .

يزداد ويشتد على كر الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التى سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود الممدوح مكافأة لها على مافعلت ، فيغدو إليها بالسقيا كما تغدو هى إليهم ، جعل الممدوح يسقى السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفى البيت من حسن التخلص مالايخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهى المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مُزْنَةً ... وَعُفْرُ الظِّبَاءِ فِى الْكِنَاسِ تَقَمَّعُ(١)

دنا منه ، أى أن منظر هذه المرأة شىء يتحامى فهو يفزع ؛ وقيل: إنما الهيبان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الظبية : إذا لسعتها القمعة ودخلت فى أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل فى أنوف الدواب، وقيل: يركب رءوس الدواب فيؤذيها

لِتَرْوَى كَمَا تُرْوِى بِلَاداً سَكَنْتَهَا ... وَيَنْبُتَ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ (١)

بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ ... وَيُخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ (٢)

وَتُلْقِى وَمَا تَدْرِى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ... لِكَثْرَةِ إِيمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو (٣)

ضَرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِى الْهَامِ فِى الْوَغَى ... خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللِّبْدُ (٤)

بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ ... وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْأُسْدُ (٥)

بِتَأْمِيلِهِ يَغْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ ... وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنَّدِ يَنْقَدُّ (٦)

والمزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوى السحاب بنداه كما تروى بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطاياك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تنال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد نابتين فيها لما شربت من سقياه ، قاله ابن جنى والواحدى والعكبرى .

(٢) بمن : متعلقة بتروى ، أو ينبت : أى لتروى السحاب بهذا الممدوح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حواليه حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون ما فى أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن »

(٤) الهام: الرءوس . والوغى : الحرب واللبد : ماتحت السرج . يقول : إنه شجاع ضروب لرءوس الأبطال ميدان القتال، خفيف مسرع إلى الوغى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لايشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبده ثقيلا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد فى فكى الأسد لأحرزه حبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وبتأميله : متعلقة يغنى ؛ وبالذعر متعلق بينقد . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه لأنه لايخيب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .



وَسَيْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسُلُّهُ
لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغِمْدُ (١)

وَرُمْحِي لَأَنْتَ الرُّمْحُ لَا مَا تَبُلُّهُ نَجِيعًا وَلَوْلَا الْقَدْحُ لَمْ يُثْقِبِ الزَّنْدُ (٢)

مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمُ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا (٣)

فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ (٤)

صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو (٥)

---

(١) الواو فى قوله وسيفى : للقسم ، ومما السيف منه : خبر مقدم عن الغمد ، و الميم فى منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظما له ، يقول : إنى أقسم بسيفى على أنك إذا سللت سيفا للضرب فأنت السيف فى الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاءه إنما هو بك . ولما جعله سيفا جعل غمده من الحديد الذى السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى : إذا لبست الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالغمد . وعبارة ابن جنى : لأنت السيف ، لاالذى تسله الأعداء . أى أنت فى الحقيقة سيف لاالذى يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع والجوشن كنت كالسيف ، وكانا لك كالغمد .

(٢) النجيع : الدم ، ونجيعا : تمييز ، والزند : مايقتدح به ؛ ويثقب : يورى ناراً يقول : وحق رمحى لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئا كما أنه لولا قدح القادح لم يور الزند.

(٣) قوله من القاسمين : أى هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛ وأسدى إليه معروفا اتخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكروننى على الاخذ والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم عدوا ذلك إحسانا منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ *

(٤) جعل شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء وعلى الشكر الذى هو عطاء ثان . وفى هذا المعنى يقول أبو يعقوب الخريمى :

كأن عليه الشكرَ فى كلِّ نِعْمَةٍ يُقلِّدُنيها بادياً ويعيدها

(٥) صيام : أى واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة



وَأَنْفُسُـــهُمْ مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارِ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفْدُ(١)

كَأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَـيْنِ عَسَاكِرٌ فَفِيهَا الْعِبِدَّى وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُـرْدُ(٢)

أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَبِسَ الْعُـلاَ

رُوَيْدَكَ حَـتَّى يَلْبَسَ الشَّـعَرَ الْخَدُّ(٣)

وَغَالَ فُضُـولَ الدِّرْعِ مِنْ جَنَبَاتِهَا عَلَى بَدَنٍ قَدُّ الْقَنَـاةِ لَهُ قَدُّ(٤)

وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَداً ، وَكَانَ كَذا آبَاؤُهُ وَهُمُ مُرْدُ(٥)

مَـدَحْتُ أَبَاهُ قَبْـلَهُ فَشَـفَى يَدِي

مِنَ الْعُدْمِ مَنْ تُشْـفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ(٦)

بأبوابهم ؛ وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى أنهم مخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، جمع وافد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير محجوبين عمن يقصدهم من الوادين ، وأموالهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يبعثونها إليهم ، فأموالهم مبذولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والمطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شىء ، حتى العبيد والخيل .

(٣) جعل الممدوح قمراً وأباه شمساً ، يريد رفعتهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول. قد لبس العلى ثوبا ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالها : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجنباتها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقد القناة ، ليس بأقعس ولا بأحدب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشىء أمرد ، وكذلك كان يفعل أباؤه .

(٦) من فى قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمر أو بدل من ضميره ؛ جعل العدم — أى الفقر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن



حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا ... مَخَافَةَ سَيْرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ(١)
وَشَهْوَةَ عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ... ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ(٢)
فَلَا زِلْتُ أَلْقَى الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا ... وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِيَ الرِّفْدُ(٣)

أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه — أى إلى أبى الممدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى وهذا كما يقول ابن الرومى:

يا رَمِدَ العيْنِ قُمْ قبالَتَهُ ... فَدَاوِ باللَّحظِ نحوَهُ رَمَدَكْ

هذا: والعدم والعدم إذ ضممت الأول: سكنت الثانى، وإن فتحته فتحت الثانى: كالسقم والسقم، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمدة، ورمد الرجل: هاجت عينه فهو رمد وأرمد.

(١) حبانى: أعطانى؛ والسوابق: الخيل، ودونها: حال من السوابق. يقول: أعطانى أثمان الخيل — أى المال الذى تشترى به الخيل السوابق — ولم يعطنى الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه، لأن الخيل بجريها تعين على السفر والبعد فهى من أسباب الفراق وأعوانه. وقوله: إنها، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف ويكون الكلام قد تم بسيرى؛ وبفتحها على تقدير اللام: أى حبانى بذلك لأنها.

(٢) شهوة: عطف على مخافة. وبها: صلة الجواد، والضمير للأثمان أو لقوله ثناء؛ لأنها عطايا ثناء: أى مثنى مثنى. يقول: حبانى بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى حبائى مرة أخرى قبل انصرافى لأن جوده مثنى وإن كان هو فردا لا نظير له.

(٣) بمثلها: أى بمثل أثمان الخيل، أو بمثل عطاياه المذكورة فى قوله: ثناء ثناء — كما سبق —. يدعو لنفسه يقول: لازلت أثيراً لديه محظوظا عنده أتلق عطاياه وألق بها حسادى فأفطر قلوبهم، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم. ويروى غيض بدل غيظ: أى فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة، وبالفتح: المصدر رفده يرفده رفداً أعطاه؛ ومنه الرفادة وهى شىء كانت قريش تترافد به فى الجاهلية فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالا عظيما أيام الموسم فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام موسم الحج، وكانت الرفادة والسقاية لبنى هاشم؛ والسدانة واللواء لبنى عبد الدار، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف، وسمى هاشما لهشمه الثريد: والرافدان دجلة والفرات. قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك فى تقديم ابن المثنى عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ويهجوه.

وَعِنْدِى قَبَاطِىُّ الْهُمَامِ ومالُهُ وعِنْدَهُمُ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ(١)
يَرُومُونَ شَأْوِى فى الْكَلامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِى الْفَتَى فِيمَا خَلاَ الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ(٢)
فَهُمْ فى جُمُوعٍ لاَ يَرَاهَا ابْنُ دَأْيَةٍ ، وَهُمْ فى ضَجِيجٍ لا يُحِسُّ بِهَا الْخُلْدُ(٣)
ومِنِّى اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ؛
فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ(٤)

بَعثتَ إلى العِرَاقِ ورافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أحذَّ يَدِ القميصِ(١)

(١) القباطى : جمع قبطية . وهى ثياب بيض تعمل فى مصر ؛ والجحد : إنكار الشىء مع العلم به . يقول : ولا زال عندى ثياب الممدوح وماله ، وعند حاسدى إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعى حسداً لى وستراً لما فضلت به عليهم ، وقال ابن جنى فى معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أو بر من هذا الممدوح؟ قالوا: لا، فذلك هو الجحد وليس شىء .

(٢) الشأو : الغاية . يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايتى فى الشعر وهم بالقياس إلى كالقرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه فى جميع أفعاله ماخلا المنطق فإنه يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامى .

(٣) ابن دأية : هو الغراب ، يقع على دأية البعير — الدبر — فينقرها قال الشاعر :

إن ابْنَ دَأْيَةَ بالفِراقِ لَمُولعٌ وبما كرِهْتُ لدائمُ التنعابِ

وهو يوصف بحدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل فى قوة السمع . يقول : هم فى جموع قليلة ، لا يبصرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية فى الحقارة ودقة الشأن ، حتى لو أن ذلك كان فى أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أوفى أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : منى استفاد الناس كل شعر بارع رائع بديع وانتحلوه . ثم التفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازونى بالحمد على قصائدى فليكن

---

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أحذ يد القميص : أراد أحذ اليد ، فأضاف إلى القميص لحاجته ، وأراد خفة يده فى السرقة ، وقيل : إن الأحذ المقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالى ، فجعله كالأحذ الذى لا شعر لذنبه .



وجَــدْتُ عَلِيًّا وابْنَهُ خَــيْرَ قَوْمِهِ
وهُمْ خَــيْرُ قَوْمٍ واُسْــتَوَى الْحُرُّ والْعَبدُ(١)
وأَصْــبَحَ شِــعْرِى مِنْهُمـَـا فى مَكَانِهِ
وفى عُنُقِ الْحَسْــنَاءِ يُسْــتَحْسَنُ الْعِقْــدُ(٢)

***

جزائى منكم ترك ذمى ! يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم يتنقصونه ويصغون إناءه . وقال ابن جنى : قوله فجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث نقده : أى يتسامح به ، فغايتهم أن لا يذموا ، فأما أن يحمدوا فلا ... قال العروضى ـ ينتقده ـ قضيت العجب ممن يخفى عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما يقول: الناس استفادوا منى كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال : فجازونى على فوائدى بترك الذم إن لم تحمدونى عليها .

(١) على : أبو الممدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير فى قومه : لعلى ؛ يقول : هو وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد فى انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبى تمام :

مُتَوَاطِئو عَقِبَيْكَ فى طَلَبِ العلا والمجد ثُمَّتَ نستوى الأقدامُ

(٢) منهما : حال من مكانه ، وفى مكانه : خبر أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول : وأصبح شعرى من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأنهما أهل لأن يمدحا به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهـذا كقوله أيضاً :

وقد أطالَ ثنائى طولُ لابِسِهِ إن الثناء على التِّنْبالِ تِنْبالُ

[التنبال : القصير]



وساير أبا محمد بن طغج وهو لايدرى أين يريد ؛ فلما دخل كفرديس قال :

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدْ ... كَالْغُمْضِ فى الجَفْنِ المُسَهَّدْ (١)

مَعَجَتْ بِنَا فِيهَا الجِيَا ... دُ مَعَ الأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدْ (٢)

حَتّى دَخَلْنَا جَنَّةً ... لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُخَلَّدْ

خَضْرَاءَ حَمْرَاءَ التُّرَا ... بِ كَأَنَّهَا فى خَدِّ أَغْيَدْ (٣)

أَحْبَبْتُ تَشْبِيهاً لَهَا ... فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدْ (٤)

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الحَقَا ... ئِقِ فَهْيَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدْ (٥)

* *

---

(١) المسهد : الذى منع النوم لمثل هم . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بغتة فكانت لطيبها كالنوم فى جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد الفرس على إحدى عضادتى العنان : مرة فى الشق الأيمن ، ومرة فى الشق الأيسر ، وقيل : ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشدَّ بشَدٍّ فإذا ... وَنَتِ الخَيْلُ مِنَ الشدِّ مَعَجْ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف الغلمان الحسان . قال الواحدى والغيد لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الخد حيث شبه الخضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كأنَّ أيْدِيهِنَّ بالمَوْماةِ ... أيدى جوَارٍ بِتْنَ ناعماتِ

يريد أن أيدى الإبل اختضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمر بالخضاب ، وليست النعومة من الخضاب فى شىء .

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشىء فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .



وهمّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغْدَا ... بِهِ وَحُرُّ الْمُلُوكِ عَبْدَا[١]

مَالَ عَلَيَّ الشَّرَابُ جِدًّا ، ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى[٢]

فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي ... عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَا[٣]

وأطلق أبو محمد الباشق على سُمَانَاة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَا ، ... وَفِي كُلِّ شَأْوٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَا[٤]

فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، ... وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَا[٥]

كَأَنَّ السُّمَانَى إِذَا مَا رَأَتْكَ ... تَصَيَّدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَا[٦]

***

---

(١) الوغد : الرذل الدنىء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذى يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل ـ بضم الغين ـ ومنه الوغد : قدح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل الثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحمق ، وأحرار الملوك عبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب ـ شراب الراح ـ قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شىء وأهدى الناس إلى المكارم .

(٣) رفداً : أى إنعاما ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافى عددته منك عطية .

(٤) الشأو : الغاية ؛ وشآه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد

(٦) السمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسمان ، يكون واحدا ويكون جمعا ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدها ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتصيدها يقول : إن السمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشتهى أن تصاد لتفتخر بحصولها فى يدك.



واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خِشْفاً ، فتلقفته الكلاب ، فقال :

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدِ ... فَرْدٍ كَيَافُوخِ الْبَعِيرِ الْأَصْيَدِ (١)
يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالْجَلْمَدِ ... فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعَقَّدِ (٢)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ ... لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ (٣)
بِكُلِّ مَسْقِيِّ الدِّمَاءِ أَسْوَدِ ... مُعَاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ (٤)
بِكُلِّ نَابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ ... عَلَى حِفَافَيْ حَنَكٍ كَالْمِبْرَدِ (٥)
كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ ... يَقْتُلُ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي (٦)

---

(١) وشامخ : أي ورب جبل شامخ : أي عال ؛ والأقود : المنقاد طولا، والأصيد: الملتوى العنق لداء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعوجاج ، فشبهه بيافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجلمد : الصخر . والمسد : الحبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تعرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الحبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء — على المجهول — وبفتحها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع الغمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أي زرناه بكل كلب يسق دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أي جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهي الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أي معاود للصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أي حاد ماض ، والحفافان: الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضاريس والطرائق .

(٦) ودى القتيل يديه : أعطى ديته ، وهي ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد ثأرا يطلبه وإن لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .



يَنْشُـــدُ مِنْ ذَا الخِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِـدِ

فَثَـــارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِى(١)

كَأَنَّهُ بَدْءُ عِـــذَارِ الأَمْرَدِ فَلَمْ يَكَدْ إِلَّا لِحَتْفٍ يَهْتَدِى(٢)

وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنِ يَدِ وَلَمْ يَدَعْ لِلشَّـــاعِرِ المُجَوِّدِ(٣)

وَصْفًا لَهُ عِنْدَ الأَمِيرِ الأَمْجَدِ المَلِكِ القَـــرْمِ أَبِى مُحَمَّدِ(٤)

القَانِصِ الأَبْطَالَ بِالمُهَنَّدِ ذِى النِّعَمِ الغُرِّ البَوَادِى العُوَّدِ(٥)

إِذَا أَرَدْتُ عَـــدَّهَا لَمْ تُعْدَدِ ،

وَإِنْ ذَكَرْتُ فَضْـــلَهُ لَمْ يَنْفَدِ(٦)

***

(١) الخشف : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله: من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الخشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فثار الخشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :

(٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو فى خد أمرد . وقوله: فلم يكد الخ يقول : لما ثار الخشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكد يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب لحصل فيها. وقال الواحدى : إنه لما يئس من الفوت مد يديه لاطئا بالأرض .

(٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشىء أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البعير القرم ، وهو الذى لا يحمل عليه ولا يذلل .

(٥) سمى أخذه الأبطال بالسيف قنصا : لمشاكلة المقام ؛ والغر : البيض ، والبوادى العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادى أصلها الهمز ، خففها للوزن .

(٦) لم تعدد : تروى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .



وقال ارتجالا يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ
هٰذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ[1]

إِذَا السَّحَابُ زَفَتْهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعاً
فَلَا عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَلَدِ[2]

وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنْزِلُهُ
إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْماً فَلَا تَعُدِ[3]

---

(١) الوامق : المحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفى هذا المعنى يقول القائل :

أتت ودموعها فى الخد تحكى ... قلائدها وقد جعلت تقول
غداة غدٍ تُحَث بنا المطايا ... فهل لك من وداعٍ يا خليل
فقلت لها : لعمرك لا أبالى ... أقام الحىّ أم جدّ الرحيل
يُهَدّد بالنوى من كان حياً ... وها أنا قبل بينكم قتيل

(٢) زفته : سلقته ؛ والرملة : بلد الممدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : تمييز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والخصب والبركة يقول : إذا أرسل إليه سحابا فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا — أيها الفراق يوما بأن اجتمعنا — فلا تفرقنا ثانية .



ودخل على أبى العشائر الحسين بن على بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ، وفى يده بطيخة من الندّ فى غشـاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها ، فحياه بها وقال : أى شىء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالا :

وَبَنِيَّةٍ مِنْ خَيْزُرَانٍ ضُمِّنَتْ ... بِطِّيخَـــةً نَبَتَتْ بِنَارٍ فى يَدِ[1]

نَظَمَ الأَميرُ لَهَا قِلَادَةَ لُؤْلُؤٍ ... كَفِعَالِهِ وَكَلَامِهِ فى المَشْـــهَدِ[2]

كَالْكَأْسِ بَاشَرَهَا المِـــزَاجُ فَأَبْرَزَتْ

زَبَدًا يَدُورُ عَلى شَرَابٍ أَسْـــوَدِ[3]

---

(١) البنية : المبنية ، يريد الخيزران الذى اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة أثبت لها النبت على سبيل الترشيح ، إلا أنه جعل نبتها بنار فى يد ؛ لأنها أديرت فى يد صانعها على النار حتى تمت صنعتها .

(٢) شبه القلادة المنظومة فى حسنها بفعله وكلامه الذى يتكلم به فى مشهد من الناس

(٣) المزاج : الماء الذى يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجا ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التى عليها ؛ وقال ابن جنى : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفى لفظه ما ليس فى لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه . ألا ترى إلى قول القائل فى تشبيه :

لو ترانى وفى يدى قدح الدُّو ... شاب أبصرت بازيًا وغزالا[1]

---

(١) الدوشاب — كما فى مفردات ابن البيطار — نبيذ التمر ؛ روى نفطويه عن أحمد ابن حمدون ، قال : تذاكرنا يوما بحضرة المكتفى فقال : أفيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيئا ؟ فأنشدته قول ابن الرومى :

إذا أخـذت حبّه ودِبْسَهُ ... ثم أجدت ضربه ومرْسَهُ

ثم أطلت فى الإناء حبسه ... شربت منه البابلىّ نفسه

فقال المكتفى : قبحه الله ما أشرهه ! لقد شوقنى فى هذا اليوم إلى شرب الدوشاب



وقال فيها ارتجالا أيضاً :

وَسَوْدَاء مَنظُومٍ عَلَيْهَا لآلِئٌ لَهَا صُورَةُ البِطِّيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ[١]

كَأَنَّ بَقَايَا عَنبَرٍ فَوقَ رَأْسِهَا طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِى الشَّعَرِ الجَعْدِ[٢]

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتعجب أبو العشائر من سرعته فقال :

أَتُنكِرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بَدِيهاً ، وَلَيْسَ بِمُنكَرٍ سَبْقُ الجَوَادِ

أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْراً فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِى فِى الطِّرَادِ[٣]

* *

هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين بيضاء » وقال أمية ابن الصلت :

ما رغبَةُ النفسِ فى الحياةِ وإنْ تحيا قليلا فالموتُ لاحقُها

يُوشِكُ مَنْ فرَّ مِن مَنِيَّتِهِ فى بَعضِ غِرَّاته يوافِقها

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبطةً يَمُتْ هرماً لِلموتِ كأسٌ والمرء ذائِقها[١]

وقيل: لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعى : جمع راعية . وهو أول شعرة تبيض شيباً .وروى الخوارزمى دواعى الشيب : يعنى أوائله التى تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة السوداء التى عليها لآلىء هى من الند . وكأن بقايا العنبر عليها أول الشيب فى السواد ، يريد هى سوداء واللون أبيض ، فشبه اللون بأول الشيب فى الشعر الأسود . قال ابن جنى : الجعد الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجعودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك لأن الزنج يشيبون ولا تزول الجعودة ، وإنما أتى بالجعد للقافية .

(٣) أراكض : أطارد ، ومعوصات الشعر : أى عويصاته ، وهى التى لا يهتدى لوجهها

والدبس : عسل التمر وعصارته ؛ والمرس : مصدر مرس التمر إذا دلكه فى الماء حتى يتنحات فيه .

(١) مات عبطة : أى شابا . وقيل : شابا صحيحاً



وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلثمائة :

أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لاَ تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْىَ جُنْدُهُ (١)
يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ (٢) ؟
أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِى مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ (٣)
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً تَكَلُّفُ شَىْءٍ فى طِبَاعِكَ ضِدُّهُ (٤)

يصف نفسه بسرعة الخاطروقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويص من الشعر فيأخذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق فى مطاردته لم يدرك شيئاً .

(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بينى وبين أحبتى ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هى جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجو أن تصغى إلى شكاتى ؟

(٢) يباعدن : أى يبعدن ؛ والحب : المحبوب : ووصله : وصده ؛ معطوفان على الضمير فى يجتمعن دون أن يأتى بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأنهما يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ،وإذا تضمنه فقد لابسه ، فكأنه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب القاطع ؟ يعنى أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع فى حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبيبا على الوصال فكيف أطلب منها حبيبا تمنعه عن وصالنا؟ أوكيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهجر ؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبى يحيي الأموات ، فقال : ما نريد هذا ، بل نريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وعبارة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته ؟ وقال ابن جنى : إذا كان ما فى يدك لا يبقى عليك ، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نعت مفعول ، وتغيرا : تمييز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحبتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتنقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكا ويعود إلى طبعه ، كما قال حاتم :

رَعَى اللهُ عِيساً فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا ... مَهاً كُلُّهَا يُولَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ(١)

بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ ... وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ(٢)

إِذَا سَارَتِ الْأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ ... تَفَاوَحَ مِسْكُ الْغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ(٣)

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ وَتَرْجِعْهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ

ومثله قول الأعور الشنى :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقاً سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ وَتَغْلِبْهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

وَأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَا بِهِ ، ... وَأَقْصَرُ أَفْعَالِ الرِّجَالِ الْبَدَائِعُ

ومثله :

يا أيها المتحلى غيرَ شيمته ... إنَّ التخلقَ يأتى دونه الخلقُ

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقر الوحش . تشبه بها النساء الحسان . ويولى ــ من الولى ــ وهو المطر الذى يلى الوسمى . يدعو للابل التى حملت الحبائب وذهبت بهن ، ثم ذكر أنهن يبكين لأجل الفراق فقال : كلها يولى ــ أى يمطر ــ خده بجفنيه . جعل بكاءهن كالمطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارقتنا ــ فى البيت السابق ــ والضمير فى رحلوا : لقوم الحبائب ، والجيد ، العنق ، يقول : فارقتنا بواد به من الوجد والوحشة لفراقهم ما بالقلوب : أى استوحش وتغير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعنى أن الوادى كان متزينا بهم فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جنى : بقى الوادى مستوحشا لرحيلهم عنه كالجيد إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أى قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه تفرق الحمولة والظعن بدر تناثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع ــ بعد أن أورد كلام ابن جنى هذا ــ يصف زهر الوادى وحسنه فتعوض بالعطل من الحلى .

(٣) الأحداج: مراكب النساء فوق الإبل كالهوادج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه ــ بالكسر ــ حدجا : إذا شددت عليه الحدج . قال الاعشى :

ألا قل لميثاء ما بالها ... أللبين تحدَجُ أحمالها ؟

[ويروى : أجمالها ــ بالجيم ــ أى تشد عليها]



وَحَالٍ كَإِحْـــدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهــــا
وَمِنْ دُونِهَا غَـــوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ(١)

والرند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت مراكبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك ـ اختلطت ريح الرند بريح المسك فتفاوح الريحان ، قال ابن جنى :قال لى المتنبى:لما قلت هذه القصيدة وقلت : تفاوح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظة فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى با الحرم مكى بن ريان الماكسى عندقراءتى عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسمائة : مابال شعر المتنبى فى كافورأجود من شعره فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان المتنبى يعمل الشعر للناس لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان بمصر جماعة من الفضلاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ولا يبالى بالممدوح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح ـ ابن جنى ـ عنه فى قوله: تفاوح ، لأنه لما قالها أنكرها عليه قوم حتى حققوها،فدل أنه كان يعمل الشعر الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يغول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى فى الصعوبة والامتناع وتعذر المنال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوا لا عظيمة . لا يقدر على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الغانيات .وقال ابن جنى ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء النوات فى الحسن . هذا : وإليك كلمة على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل فى النكرة الخفض بنفسها : وإليه ذهب المبرد : وقال البصريون : العمل لرب مقدرة ، وحجتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الخفض بنفسها وكانت كواو القسم لأنها نابت عن الباء ؛ ويدل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى الشاعر يبتدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلدة ليس بها أنيس *



وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّـهُ ، وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وُجْدُهُ (١)
فَلَا يَنْحَلِلْ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ (٢)
وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ (٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لايعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن يكون عاملا ، وإذا لم يكن عاملا وجب أن العامل «رب» مقدرة . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الهم : الهمة ، والوجد : السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همتى وقصور طاقتى من الغنى عن مبلغ ما أهم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوء الناس حالا ؟ فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أُرْزَقْ مُرُوءتَه وما المُرُوءةُ إلا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُساماةً تقاعَد بى عما يُنَوِّهُ باسْمِى رِقَّةُ الحالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نفسِي تتوقُ إلى أُمورٍ يُقصِّرُ دُون مَبلغِهن مَالِي
فلا نفسى تُطاوعنى لِبخلٍ ، ولا مالى يبلِّغنى فَعَـالى

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : ينبغى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلا بالبيت التـالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والنزال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،



فَلاَ مَجْدَ فى الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مالُهُ ، وَلا مالَ فى الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفى النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِه
وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاَهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ(١)

وَلَكِنَّ قَلْباً بَيْنَ جَنْبَيَّ مالَهُ مَدًى يَنْتَهِى بى فى مُرادٍ أَحُدُّهُ(٢)

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُبُّهُ فَيَخْتارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعاً تَهُدُّهُ(٣)

يُكَلِّفُنِى التَّهْجِيرَ فى كُلِّ مَهْمَهٍ عَلِيقِى مَرَاعِيهِ وَزَادِى رُبْدُهُ(٤)

وَأَمْضَى سِلاَحٍ قَلَّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ
رَجَاءُ أَبى المِسْكِ الكَرِيمِ وَقَصْدُهُ(٥)

---

(١) يقول : فى الناس من هو دنىء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . والميسور : ماتيسر . وهو من المصادر التى جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لى قلباً ليس له غاية تنتهى عند مطلوب أجعل له حداً ، يعنى أنى إذا جعلت حداً لمطلوبى لايرضى قلبى بذلك بل يطلب ماوراءه .

(٣) الشفوف: جمع شف ، وهو الثوب الرقيق ، وتربه: تنميه وتنعمه . يقول : إن قلبى هذا يرى الجسم الذى هو فيه يترفه متنعما بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعا تهده بثقلها ، يعنى أنه لايرضى بالترف والنعيم وهو مغمور ويأبى إلا ركوب الصعاب فى سبيل المجد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهاجرة ، وهى حر نصف النهار والمهمه : الفلاة الواسعة؛ والربد: النعام الذى خالط سواده بياض . يقول : إن قلبى يكلفنى التهجير والسير فى كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفد فيها ما معى من العليق والزاد فلا عليق لفرسى إلا أن يرتع فى مراعيها ولا زاد لى إلا النعام أصيده فآكله .

(٥) يقول: وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياه لمقاومة النوائب هو رجاؤه أبا المسك وقصده إياه ، يعنى أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والمخاوف : فقوله : أمضى مبتدأ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثانى : محذوف، أى قلد نفسه إياه: وهذا المخلص من أحسن المخالص



هُما ناصِرَا مَنْ خانَهُ كُلُّ ناصِرٍ   وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ(١)
أَنا اليَوْمَ مِنْ غِلْمانِهِ فى عَشِيرَةٍ   لَنا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ(٢)
فَمِنْ مالِهِ مالُ الكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ،   وَمِنْ مالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ(٣)
نَجُرُّ القَنا الخَطِّىَّ حَوْلَ قِبابِهِ ،   وَتَرْدِى بِنا قُبُّ الرِّباطِ وَجُرْدُهُ(٤)
وَنَمْتَحِنُ النُّشَّابَ فى كُلِّ وابِلٍ   دَوِىُّ القِسِىِّ الفارِسِيَّةِ رَعْدُهُ(٥)

---

(١) أسرة الرجل أهله الأدنون يقول إن رجاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يعز فيغنيانه عن العشيرة .

(٢) الولد — بالضم — بمعنى الولد — بالفتح — يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :

فليت فلاناً كان فى بطن أمه   وليت فلاناً كان وُلْدَ حِمار

يقول : إن كافوراً وهب له غلمانا وأنه منهم فى عشيرة ، إذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولهم كالوالد وهم له كالاولاد البررة يفدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذى يملكه الكبير حق نفسه — أى حياته — من ماله ، لأنه إنما يغذى بنعمائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذى يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف فى كل شىء . وقال ابن جنى : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع باليمامة تقوم فيه الرماح وقبابه : خيامه . وتردى — من الرديان — وهو ضرب من العدو . والقب : الضامرة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الخيل ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول نقوم — يعنى نفسه ومن معه من الغلمان — فى خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل فى صحبته أينما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكثر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتحن : نختبر ، والنشاب : السهام . والوابل : المطر الغزير . والقسى الفارسية أى المنسوبة إلى فارس ، يريد صنعة العجم . يقول : ونمتحن بين يديه الترامى بالسهام ونحن منها فى مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسى فى ذلك الوابل كالرعد : يعنى أنهم يترامون



فَإِلاَّ تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَــرِينَهُ
فَإِنَّ الَّذِي فِيهَــا مِنَ النَّاسِ أُسْــدُهُ(١)

سَــبَائِكُ كَافُورٍ وَعِقْيَانُهُ الَّذِي ... بِصُمِّ الْقَنَا لا بِالأَصَابِعِ نَقْدُهُ(٢)

بَلاَهَا حَــوَالَيْهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ ... وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطِّرَادِ وَجِــدُّهُ(٣)

أَبُو الْمِسْكِ لا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ ... وَلَـكِنَّهُ يَفْنَى بِعُـذْرِكَ حِقْدُهُ(٤)

فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُــورُ بِالْجَدِّ سَعْيُهُ ... وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُــورُ بِالسعيِ جَدُّهُ(١)

بالسهام ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كعادة الفرسان والشبان فى الحرب .

(١) الشرى : الموضع الـكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة. وقوله : فإن الذى. رواها ابن جنى: فإن التى ، قال : لانه أراد الفئة والجماعة . ولـكن رواية الذى : أجود وأشهر . يقول : إن لم تـكن مصر هى الشرى ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الشرى ، فالضمير فى أسده : للشرى .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهى القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت فى قالب؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أى الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس ـ الذين ذكرهم ـ هم ذخائر كافور وعدته فى مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيانا ذكر أنه انتقدهم بالرماح — لا بالأصابع كما ينتقد الذهب ـ أى أنه امتحنهم بطعان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا فى الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد: مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير المرتب ، يقول : اختبرها الأعداء فى الحرب حوالى كافور ، لـكثرة ماحاربوا أعداءه وشهدوا معه المعارك فصاروا مجربين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو فى أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا : أى جربت فى حالتى الجد والهزل وتمرست بالقتال فى سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أكثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بحقود وإذا اعتذر إليه الجانى ذهب حقده .

(٥) الجد ـ هنا ـ السعد . يقول : إن السعى والسعادة قد اجتمعا له ، فإذا سعى فى أمر نصير السعد سعيه فيصير مجدودا فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا



تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّى فَأَخْلَفْتَ طِيبَهُ ، وَمَا ضَرَّنِى لمَّا رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ(١)
لَقَدْ شَبَّ فى هذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ(٢)
أَلاَ لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ فَتَسْأَلَهُ وَاللَّيْـــلَ يُخْبِرُ بَرْدُهُ(٣)
وَلَيْتَكَ تَرْعَانِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أَنِّى مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ(٤)

حفزته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعى لإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وفقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والمرد عند غيرك صاروا شيبا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيبا . ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من الذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن المرد ـ وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم ـ صاروا شيبا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قاسى فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليتهما يخبران فتسألهما عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التمنى . وقال العكبرى — لمناسبة حر النهار وبرد الليل — وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كربا والليل باردا . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إذا كانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ المَصِيفِ وكَرْبُ الخريفِ وَبَرْدُ الشِّتا
وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الربيع فَفِعْلُكَ للخــير قُلْ لِي مَتَى

(٤) ترعانى ـ هنا ـ بمعنى ترانى وتراقبنى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سلمية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشىء : بدا للناظر ، ومنه :

وأَعْرَضَتِ اليمامةُ واشْمَخَرَّتْ كأسيافٍ بأيدى مُصْــلِتينا

وَأَنِّى إذا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ (١)

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لِي لاحَ فَرْدُهُ (٢)

يُقَالُ إذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ (٣)

وأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِى الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ (٤)

فَزَارَكَ مِنِّى مَنْ إلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ

وَفِى النَّاسِ إلَّا فِيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ (٥)

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، وَيَأْتِى فَيَدْرِى أَنَّ ذٰلِكَ جُهْدُهُ (٦)

يقول : ليتك كنت ترانى وأنا عند هذا الماء فترى جلدى وإشاحى فى السير فتعلم أنى ماض فى الامور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته .

(٢) يشتبهون : يتشابهون ، ولى : متعلق بيشتبهون . وإليك : متعلق بمحذوف حال من ضمير المتكلم قبله : أى وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون عندى فى مسيرى إليك ، فلا أ كاد أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لى ، فإذا أنت فردهم الذى لا يشبهه أحد منهم وهذا كقوله :

* الناسُ مالم يرَوْكَ أشباهُ *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا وملكه فاستعظمته قيل لى : قدامك ملك هذا الملك الذى تراه عبده فكيف هو ؟ . قال الواحدى : وهذا كالتفسير للبيت السابق فالذين رآهم هم الذين اشتبهوا له والذى قيل له: رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذى لاح له .

(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهده بكفك وأخذه عطاءك فانثنى عنك مسروراً . فقوله بذى الكف . أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهده ؛ وقريب : خبر مقدم ، وعهده : مبتدأ مؤخر ، وعبارة ابن جنى : لما قبل كفك كسته الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيته فكثر ضحكه .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فيك وحدك يعنى أنه زاهد فى قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار الممدوح

فإنْ نِلْتُ ما أمَّلْتُ مِنكَ فرُبَّما شَرِبْتُ بماء يُعْجِزُ الطَّيرَ وِرْدُهُ(١)

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأنَّهُ
نَظِيرُ فَعَالِ الصَّادِقِ القَوْلِ وَعْدُهُ(٢)

فَكُنْ فى اصْطِنَاعِى مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ
يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الجَوَادِ وَشَدُّهُ(٣)

هى غاية القصاد ومنتهى المنتجعين ، فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها ، فإذا أتاها علم أنه قد بلغ جهده الذى لاجهد بعده كما قال :

هى الغرضُ الأقصى وَرُؤْيَتُكَ المنى

وعبارة العكبرى : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية مايأتيه مكتسب المجد ، أن يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أتاها علم أن ذلك جهده فى ابتناء المجد واكتساب المال .

(١) بماء : أى من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا عجب فكم بلغت الممتنع الذى لايدرك من الأمور ، وجعل الماء الذى لايرده الطير مثلا للممتنع من الأمور . قال الواحدى : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعدالطريق إليه . قال ابن ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ،ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستصعبات واستخرجت الأشياء الممتاصة ؟ ولعل المتنبى يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قدوعده بذلك حياء منه وهولايريده ، وقد سئل فى ذلك يومافقال: ياقوم إذا أعطينامن ادعى النبوة ولاية ، أفلا ترونه يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا المأمول وصعوبة نيله .

(٢) الضمير — فى لأنه : ضمير الشأن . ووعده — فى آخر البيت — مبتدأ مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة الفعل الذى يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لايرجع عن وعده . فوعده نظير فعله : أى أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أى بره ومعروفه . والتقريب والشد : ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أى جربنى ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؛



إِذَا كُنْتَ فى شَكٍّ مِنَ السَّـيْفِ فَابْلُهُ
فَإِمَّا تُنَفِّيـهِ وَإِمَّا تُعِـدُّهُ(١)

وَمَا الصَّارِمُ الهِنْدِىُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ(٢)

وَإِنَّكَ لَلْمَشْكُورُ فى كلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةَ رِفْدُهُ(٣)

فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُـوَ كَائِنٌ
فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْـكَ عِنْدِى نِدُّهُ(٤)

وَإِنِّى لَفِى بَحْرٍ مِنَ الْخَيْرِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وَهْىَ مَدُّهُ(٥)

فإما اصطنعتنى وإما رفضتنى ، فلا فضل بينى وبين غيرى إذا لم تجربنى . وقال الواحدى : جربنى فى اصطناعك إياى ليتبين لك أنى موضع للصنيعة ، فبالتجربة يعرف الفرس وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فابله : فاختبره . ويقال نفاه ؛ ونفاه : مخففا ومشددا . وهذا مثل فى معنى البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بان لك صلاحه وفساده ، فإما ألقيته لأنه كهام ، وإما أعددته للحرب لأنه حسام : يعنى جربنى فإن وجدتنى أهلا لما شئت فاصطنعنى وإلا فارفضنى .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره فى البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندى لايظهر فضله على غيره من السيوف حتى يسل ويضرب به ، وبذلك يعرف مضاؤه . وقد قلنا: إن المتنبي كان يطلب من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربنى لتعرف ماعندى من الكفاية ، وأنى أصلح لأن أكون واليا . وهذا من قول أبى تمام :

لمـا انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يكفيك حتى يُنتضى

(٣) للمشكور، اللام فيه للتوكيد ،والرفد :العطاء.والضمير فيه : يرجع إلى المشكور يقول : أنت مشكور من جهتى على كل حال وإن لم ألق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقته

(٤) النوال : العطاء ، والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير كل عطاء منك أخذته أو سآخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطاياك : مبتدأ وخبر : والمد : زيادة الماء ، وهو ماقابل الجزر. يريد كثرة



وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ (١)

يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ ... وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ (٢)

فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، ... وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ (٣)

مايصل إليه من البر والصلات . يقول : أنا فى بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطاياك ، وأنا أرجو زيادة عطاياك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهى مادته .

(١) العسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك فى ذهب ومال ، ولكن فى فخر جديد — يعنى الولاية — وهذا كقوله الآتى :

فسِرْتُ إليكَ فى طلبِ المعالى ... وسارَ سِوَاىَ فى طلبِ المعاشِ

وفى هذا المعنى يقول المهلبى :

ياذا اليمينَينِ لم أَزُرْكَ ولم ... أُصحِبْكَ مِن خَلةٍ ولا عَدَمِ

زارَكَ بى هِمةٌ منازِعةٌ ... إلى جَسيمٍ مِنْ غايةِ الهِمَمِ

ومثله :

لم تزرنى أبا علىّ سِنو الجد ... بِ وعندى مِنَ الكفافِ فُضولُ

غيرَ أنى باغٍ جليلاً مِن الأمـ ... ـرِ وعند الجليل يُبغَى الجليلُ

وقال ابن الزيات :

لم أمتدِحْكَ رجاء المال أطلبُهُ ... لكن لِتُلْبِسَنِى التجميلَ والغُرَرا

ويقول أبو تمام

ومَن خدَمَ الأقوام يرجو نوالهم ... فإنىَ لم أخدُمْك إلا لِأُخدَمَا

ويقول أيضا :

يا ربما رفعة قد كنت آملها ... لديك لافضةً أبغى ولا ذهبا

(٢) يجود به : أى بالمفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح لجود غيرك بزيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدى يفضح حمد غيرى لأنه فوقه

(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله السعد : يعنى أنك تسعد النحوس . وتطرد البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الغلمان بابن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر لى كافور فطالبه بتسليمهم إليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدَيدَةً مما سبب بنهما وحشة ، و بعد أن تسلمهم كافور ألقاهم فى النيل ثم اصطلحا فقال :

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأعادِي ... وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الحُسَّادِ[1]

وَأَرَادَتْهُ أَنفُسٌ حالَ تَدْبِيرُكَ ما بَيْنَهَا وَبَيْنَ المُرادِ[2]

صارَ ما أَوْضَعَ المُخِبُّونَ فِيهِ ... مِنْ عِتَابٍ زِيَادَةً فى الوِدَادِ[3]

وَكَلامُ الوُشاةِ لَيْسَ عَلَى الأَحْبابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الأَضْدَادِ[4]

إِنَّما تُنْجِحُ المَقَالَةُ فى المَرْءِ إِذا صادَفَتْ هَوًى فى الفُؤادِ[5]

تَلْقَى السُّعُودَ بوَجْهِهِ وتُحِبُّهُ ... وعليك مَسْحَة بغضةٍ فتُحَبَّبُ[1]

(١) يقول : اشتهى الأعداء أن يهيج بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن الصلح حسم — أى قطع — مااشتهوه وأذاعوه .

(٢) يقول: وحسم الصلح ماأرادته أنفس حجز تدبيرك بينهم وبين ماأرادوه من إثارة الشر فما — من قوله مابينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والمخبون : الذين يحملون مطيهم على الخبب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى من سعى بينكما فى الفساد زيادة فى الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى قريب من من قول أبى نواس :

كأنما أثنوا ولم يعلموا ... عليك عندى بالذى عابوا

(٤) على الأحباب : فى موضع نصب خبرا لليس : واسمها : مستتر يعود على كلام . وسلطانه على الأضداد : جملة استئنافية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب السلطان الذى له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لايؤثر فى الأحبة ، إنما يؤثر فى الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكأن هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة .

---

(١) يقول : إذا أتيت هذا الممدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله عليك وإن كنت بغيضاً لديهم من قبل ؛ وفى رواية :وتحبه .



وَلَعَمْرِى لَقَدْ هُزِزْتَ بِمَا قِيـــلَ فَأُلْفِيتَ أَوْثَقَ الْأَطْـــوَادِ[١]
وَأَشَـــارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ[٢]
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمُشِيرُ وَلَمْ يَجْـــهَدْ وَيُشْوِى الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ[٣]
نِلْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبِيضِ وَالسُّمْـــرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِى الْأَجْسَادِ[٤]
وَقَنَا الْخَـــطِّ فِى مَرَاكِزِهَا حَوْ لَكَ وَالْمُرْهَفَاتُ فِى الْأَغْمَـــادِ[٥]
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِنًا أَنَّ رَأْيَهُ فِى الطِّرَادِ[٦]

(١) ألفيت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشايات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالنميمة ، يريدون بذلك الفساد .

(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسالمة ، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح :

(٣) أشوى يشوى : إذ أخطأ ، ورماه فأشواه : إذا لم يصب المقتل .
قال الهذلى :

فإن من القول التى لاشَوَى لها إذا زل عن ظَهْرِ اللسان انفلاتها[١]

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطىء المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفوا حين ملت إلى الصلح والمسالمة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض: السيوف، والسمر: الرماح. يقول: أدركت بالصلح مالا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دما ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والخط : موضع تنسب إليه الرماح . وحولك حال من مراكزها ، والمرهفات : السيوف المحددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

(١) يقول : إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل .



فَفَدَى رَأْيَكَ الَّذِى لَمْ تُفَدْهُ   كُلُّ رَأْىٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ (١)
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فى طِبَاعٍ   لم يُحَلِّمْ تَقَادُمُ المِيلَادِ (٢)
فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يا كَا   فُورُ وَاقْتَدْتَ كلَّ صَعْبِ الْقِيَادِ (٣)
وأَطَاعَ الَّذِى أَطَاعَكَ وَالطَّا   عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الآسَادِ (٤)
إِنَّمَا أَنتَ وَالِدٌ وَالأَبُ الْقَا   طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلَادِ (٥)
لاَ عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرَّ
وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ (٦)
أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجِسْمُ وَالرُّو   حُ فَلَا احْتَجْتُمَا إِلى الْعُوَّادِ (٧)

---

(١) يقول : يفدى رأيك الذى لم تستفده بتجربة وتعليم وإنما هو نتاج أناتك ورويتك كل رأى مستفاد بالتعليم ؟ وعبارة العكبرى وسائر الشراح : يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد . إنما هو إلهام من الله . ففداه كل رأى مستفاد معلم

(٢) الحلم : الأناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها المرء وفطر لم يفده بالكبر وتقادم السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى بجودة الرأى من الشباب قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : بالغريزة يتعلق الأدب ، لابتقادم السن .

(٣) يقول : بهذا الرأى الذى رأيت فى هذا الحادث — وبمثله فى غيره — سدت الناس وانقاد لك مالا ينقاد لغيرك

(٤) يقول : وبمثل هذا الرأى أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والانقياد لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود :

(٥) يقول: إنما أنت فى تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأحنى منه عليه . يريد : أنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد .

(٦) عدا : جاوز . وبغى : طلب ، وهذا دعاء . يقول : لاجاوز الشر من طلب لكما الشر ولاتعدى الفساد أهل الفساد : أى لازال فى الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولافارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما .

(٧) قوله ما اتفقتما : فما : مصدرية زمانية : أى مدة اتفاقكما . يقول : مثلكما فى اتفاقكما مثل الروح والجسد: إذا اتفقا صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والعواد



وَإِذَا كَانَ فى الأَنَابِيبِ خُلفٌ   وَقَعَ الطَّيْشُ فى صُدُورِ الصِّعَادِ [١]
أَشْمَتَ الْخُلفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا ،   وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ [٢]

وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال: فلا احتجتما إلى العواد ، أى لا وقع بينكما خلاف ، وشر ، وبعبارة أخرى : أنتما ما دمتما متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش بائتلافهما . وقوله: فلا احتجتما إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بمنزلة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون محوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين .

(١) أنابيب الرمح : ما بين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف. والطيش ـ هنا ـ بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهـذا مثل : جعل الانابيب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول: إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال ابن جنى : لو قال فى رءوس الصعاد لـكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الخوارج ؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دواد الأيادى :

فى فُتُوٍ حَسَـــنٍ أَوْجُهُهُمْ   مِن إِيادِ بن نزار بن مضر [١]

يريد المتنبى أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شماتة أعدائهم بهم ، إذ بسبب التنازع بينهم تمكن أعداؤهم منهم كما كان من الخوارج ، لم يظفر بهم المهلب بن أبى صفرة إلا بعد أن نزغ الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينج إلا القليل . قال العكبرى : لما كان الخوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على نصال كان يتخذ لهم نصالا مسمومة ، فـكتب إليه المهلب : وصل مابعثت لنا من النصال المخترمة للآجال وحمدنا فعلك وشكرنا فضلك وسنرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله . وبعث الـكتاب على يد من أعثرهم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته أخرى ، فاقتتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يدا واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشتتوا بأرض الجزيرة فنهد إليهم سابور ذو الأكتاف وأفنى منهم خلقا كثيراً وتفرق سائرهم فى البلاد .

---

(١) فتو : جمع فتى والفتى : الشاب ، والسخى والـكريم .



وَتَوَلَّى بَنِي اليَزِيدِيِّ بِالبَصْـرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي البِلَادِ (١)
وَمُلُوكًا كَأَمْسِ فِي القُرْبِ مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِي البِعَادِ (٢)
بِكُمَا بِتُّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْـهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ (٣)
وَبِلُبَّيْكُمَا الأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الجِيَادِ (٤)
أَوْ يَكُونَ الوَلِيُّ أَشْقَى عَدُوٍّ بِالَّذِي تَذْخَرَانِهِ مِنْ عَتَادِ (٥)

---

(١) وتولى بنى اليزيدى : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؟ للخلف وبنو اليزيدى : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلاقة المنصور وأخرجوا ابن رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فما كان إلا أن خوى نجمهم ، وذهب ملكهم ، وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بنى اليزيدى . وأخت طسم : جديس ، وهما قبيلتان قديمتان بادتا بحروب كانت بينهما . يقول :وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجديس ، فأهلكهم هذا الخلف .

(٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما ؛ وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره بت عائذاً بالله أن يقع بكما . . . وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعادى الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدواً وعداء ، ومنه قوله تعالى « فيسبوا الله عدواً بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغى والعدوان الذين يريدون بكما السوء.

(٤) اللب العقل . والاصيلين : الراسخين أو الجيدين ؛ وصم الرماح : صلابها . والجياد : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتتلان ، فتحول الرماح بين خيلكما التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تدخرانه من السلاح ، فيصير الصديق الذى يشقى به عدواً ؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لاللأصدقاء ، فإذا قتل به بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشىء الذى تعده لأمر ماوتهيئه له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهبته وآلته . قال الجوهرى وربما سموا القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكُلْ هَنِيئًا ثُمَّ لا تُزَمِّلِ وَادْعُ هُدِيتَ بِعَتَادٍ جُنْبُلِ



هَـلْ يَسُرَّنَّ بَاقِياً بَعْـدَ مَاضٍ مَا تَقُـولُ الْعُـدَاةُ فى كُلِّ نَادِ(١)

مَنَع الْوُدُّ وَالرِّعَايَةُ وَالسُّـؤْ دُدُ أَنْ تَبْلُغَا إلى الأَحْقَـادِ(٢)

وحُـقُوقٌ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْـب ولَوْ ضُمِّنَتْ قلوبَ الْجَمَادِ(٣)

فَغَدَا الْمُلْكُ بَاهِراً مَنْ رَآهُ شَاكِراً مَا أَتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ(٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلتما وأفنى أحدكما الآخر فهل يسر الذى يبقى منكما أن يتحدث الأعداء فى المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكارى ، أى لايسر الباقى منكما ذلك . هذا : والعداة جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل فى النعوت إلا حرف واحـد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إذا كنتَ فى قوم عِـدًى لستَ منهمُ فَـكلْ ما عُلِفْتَ مِن خَبيثٍ وطيِّب

(٢) الرعاية : حفظ العهود ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحقد : الضغن . يقول : إن مابينـكما من الود ورعاية الحقوق ومافيـكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعـكم من أن يحقد أحدكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحدكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق التربية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التى لو كانت فى قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقـكما وتصافيكما آب إلى الملك بهاؤه ورونقه ،ومن ثم شكر لكما حسن صنيعـكما وما كان منكما من صواب . « هذا » : ويقال بهره يبهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

ما زلتَ فى دَرَجاتِ الأمرِ مُرْتقياً تَنْمِى وتَسْمُو بِكَ الفُرْعانُ مِنْ مُضَرَا



فيهِ أَيديكُما عَلَى الظَّفَرِ الحُلْـــوِ وأَيدِى قَوْمٍ عَلَى الأَكْبَادِ(١)

هَــذِهِ دَوْلَةُ المَكَارِمِ والرَّأْ فَةِ والمَجْـــدِ والنَّدَى والأَيادِى(٢)

حَـــتَّى بَهَرْتَ فما تخفَى عَلَى أحدٍ إلا على أَكْمَهٍ لا يَعرفُ القَمرا(١)

والسداد ــ بفتح السين ــ الصواب ؛ يقال: إنه لذو سداد فى منطقه وتدبيره : أى إصابة ؛وكذلك فى الرمى ،يقال: سد السهم يسد إذا استقام ،واستد الشيء :أى استقام قال:

أُعلِّمُهُ الرِّمايةَ كل يوم فلما استدَّ ساعدُه رمانى(٢)

أما السداد ــ بكسر السين ــ فهو كل شيء سددت به خللا ، ولهذا سمى سداد القارورة ــ بالكسر ــ وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر ــ بالكسر ــ إذا سد بالخيل والرجال . قال العرجى :

أضاعونى وأىّ فَتًى أضاعوا لِيوم كريهةٍ وسِـــدادِ ثَغْرِ

قال الجوهرى : وأما قولهم: فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى ماتسد به الخلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى فى هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتما من سداد ، وعلى الظفر وعلى الأكباد:متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : فى هذا الصلح أو فى هذا السداد الذى أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما مما فعلتما وحسرة على إخفاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلواً إذ لم ترق فيه الدماء .

(٢) الندى : الجود ؛ والأيادى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التى ذكرت فلا تعرضاها للخلاف .

---

(١) حتى بهرت : أى علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه ؛ وقد أورده الجوهرى : وقد بهرت ، قال ابن برى : وصوابه حتى بهرت ، قال : وقوله على أحد : أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفى ــ فى قولك ما أحد فى الدار ــ لايصح استعماله فى الواجب « المثبت » .

(٢) قال ابن برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم ، وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشـــلت منك حاملة البنان

قال الأصمعى : اشتد ــ بالشين المعجمة ــ ليس بشيء .



كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْـ
سُ ، وعَادَتْ ونُورُهَا فى ازْدِيادِ[١]
يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنُهَا عَنْ أذَاهَا بِفَتًى مَارِدٍ عَلَى المُـرَّادِ[٢]
مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أَبِيٍّ عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ[٣]
أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِى المِسْكِ وَذَلَّتْ له رِقَابُ العِبَادِ[٤]

---

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسِفةٍ تَبْكِى عليكَ نجومَ الليل والقَمَرَا

يعنى جرير : أنها طالعة تبكى عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها فى طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :

الشمسُ كاسِفَةٌ ليست بطالعةٍ تبكى عليك نجومَ الليل والقمرا

وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا آتيك مطر السماء : أى ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أى ما طلعت الشمس . وفى هذا سمع بعضهم ابن الأعرابى يقول : تبكى عليك نجوم الليل والقمرا : أى ما دامت النجوم والقمر . والمراد بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف الشمس مديدة ، ثم انجلى فعادت الدولة بعودة صفائهما وهى آنق وأجمل كالشمس إذا ذهب كسوفها عادت أبهى وأنور.

(٢) يعنى بـ«ركنها» : قوتها وسعادتها. يقول: إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن أذاها بفتى مارد على المراد — يعنى كافوراً — أى أنه لا ينقاد لمن تمرد عليه وطغى ، وإنما يعصف به عصفا « هذا » والمارد من الرجال : العاتى الشديد ؛ وقد مرد يمرد مرودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛ والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير وأصله من مردة الجن والشاطين . أو تقول : المارد الخبيث . قال تعالى : « من كل شيطان مارد » والمراد : جمع مريد .

(٣) أى متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبى ؛ أى أنوف عزيز النفس يأبى الذل . وعالم : أى بتدبير الرعية وبالحرب . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة . والجواد : السخى . يقول : يدفع الدهر عن أذاها بفتى هذه صفاته .

(٤) أجفل الناس : أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه



كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطرِيقُ لِسَيْلٍ
ضَيِّقٍ عَنْ أتِيِّهِ كُلُّ وَادِ[١]

وقال يهجوه فى يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلثمائة[*]:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ   بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ[٢]

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جنى : ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتى : السيل ، يأتى من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لايترك الطريق لسيل يضيق عن مائه الوادى . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادى فكل موضع أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا يغلب غلبة السيل الأتى والسيل، لايرد عن وجهه ، كذلك هو لايعارضه أحد، قال العكبرى : من روى ضيق ـ بالخفض ـ جعله نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برجل حسن وجهه،وهذه صفة سببية ؛ ومن روى ضيق ـ بالرفع ـ فهى جملة ابتداء ، وخبر ، وهى فى موضع جر صفة لسيل ؛ وعن أتيه : يتعلق بضيق .

أقام المتنبي بمصر ـ بعد أن قال قصيدته البائية ـ عاما لايأتى كافورا ولكن يسير معه فى الموكب لئلا يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهبها ، وفى الوقت نفسه يعمل فى خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة فى يوم عرفة قبل رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أى هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أى أبما مضى ؟ يقول : هذا اليوم الذى أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال عدت ؟ أى مع أية حال عدت على ؟أوأية حال أعدتها على أبا الحال التى عهدتها من قبل ، أم أحدث فيك أمر جديد؟ .وقال العكبرى : الباء فى قوله: بأية، يجوز أن تكون للتعدية فيكون المعنى : أية حال . « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهرى : وإنما جمع بالياء ـ وأصله الواو ـ للزوم الياء فى الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد الخشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابى : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وأصل العيد : ماعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :



أَمَّا الأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ
فَلَيْتَ دُونَكَ بِيداً دُونَهَا بِيدُ(١)
لَوْلاَ الْعُلَى لَمْ تَجُبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلاَ جَرْدَاءُ قَيْدُودُ(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغِيدُ الأَمَالِيدُ(٣)

---

* والقلبُ يعتادُه مِن حُبِّها عِيد *

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أمْسَى بأسماء هذا القلبُ معموداً إذا أقولُ صَحَا يَعتادهُ عِيدَا
كأنني يوم أمْسى ما تكلمُنى ذو بُغيَة يَبْتغى ما ليس موجودا
كأن أحْوَرَ مِن غِزلانِ ذى بَقَرٍ أهدَى لنا سُنَّةَ العينين والجيدا

والشاهد : فى قوله: يعتاده عيداً ؛ونصبه لأنه فى موضع الحال ،تقديره : يعتاده السكر عائدا ؛ وقد أسلفنا القول على ذلك .

(١) البيداء: الفلاة، جمعها بيد. سميت بذلك لأنها تبيد سالكها. يتأسف على بعد أحبته عنه يقول : أما الاحبة فبعيدون عنى ، فليتك أيها العيد كنت بعيدا عنى وكان مابينى وبينك من البعد ضعف مابينى وبين الأحبة؛ يعنى أنه لايسر بعود العيد مع بعد الأحبة كما قال الآخر:

مَنْ سَرَّهُ العيدُ الجديد فما لقيتُ بهِ السُّرُورَا
كانَ السرورُ يَتم لى لو كانَ أحبابى حُضورا

(٢) جاب المكان يجوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة الشديدة ، مشتقة من الوجين . التى هى الأرض الصلبة أوالحجارة. وقيل : هى العظيمة الوجنتين . والضمير فى بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والجرداء : الفرس القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما ــ من قوله ماأجوب بها ــ اسم موصول فى موضع نصب : أى الفلاة التى أجوب . يقول : لولا طلبَ العلا لم أفارق أحبتى ، ولم تقطع بى ناقة ولافرس ماأجشمها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ماأجوب بها : يعنى الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) الغيد : جمع غيداء ، وهى المتثنية لينا، والأماليد : الناعمات المستويات القامات:



لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْـرُ مِنْ قَلْبِي وَلاَ كَبِدِي
شَـيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلاَ جِيـدُ (١)

يَا سَاقِيَّ أَخَمْـرٌ فِى كُئُوسِكُمَا ... أَمْ فِى كُئُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ (٢)

أَصَخْرَةٌ أَنَا ؟ مَالِي لا تُحَرِّكُنِي ... هَذِى الْمُدَامُ وَلا هَذِى الأَغَارِيدُ (٤)

إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً ... وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ (٥)

غلام أملود وجارية أملودة : والأملود — فى الأصل — الغصن الناعم: يقول : ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتى يشبهن رونق السيف فى بياض بشرتهن ونقائها . وقوله مضاجعة : روى معانقة ، وهو تمييز .

(١) تيمه الحب : عبده وذللة ؛ والجيد : العنق . يقول : إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلاينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير .

(٢) يقول ـ لساقيه ـ : أخمر ماتسقانيه أم هم وسهاد ؟ يعنى ماأشربه لايزيدنى إلا هما وسهرا ، لأن قلبي مفعم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والمرح . وذلك لان أحبته بعيدون عنه ؛ أو لأنه وافر اللب لايؤثر فيه الشراب

(٣) المدام : الخمر؛ والأغاريد : الأغانى . وقوله: لاتحركنى ، حال من الياء فى مالى . يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لايطربانه ولايؤثران فيه حتى لـكأنه صخرة صماء لايؤثر فيها الشراب والغناء « هذا » وأصل الغرد التطريب فى الصوت والغناء . وغرد الإنسان :رفع صوته وطرب،وكذلك الحمامة والمكاء والديك والذباب، والتغرد والتغريد أيضا صوت معه بحح ، وقد جمعهما امرؤ القيس فى قوله يصف حماراً :

يُغَرِّدُ بالأسحار فى كلِّ سُدْفَةٍ ... تَغَرُّدَ مِرِّيحِ النَّدَامَى الْمُطَرَّبِ

وقال الأصمعى : التغريد الصوت :

(٤) الـكميت : الأحمر فيه سواد ؛ يوصف به المذكر والمؤنث ، ويريد خمراً كميت اللون . وفى رواية : كميت الخمر . يقول : إذا طلبت الخمر وجدتها ، وإذا طلبت الحبيب لم أجده : يتشوق إلى أحبته يقول : إن الخمر لاتطيب إلا مع الحبيب . وحبيبي بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب . وقال ابن جنى : حبيب القلب عنده المجد ، وإذا تشاغل بشرب الخمر فقد المعالى . ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس : أهله . لبعده عنهم والمناسبة الـكميت قال سيبويه : سألت الخليل عن الـكميت فقال : هو بمنزلة جميل — يعنى الذي

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ ... أَنِّى بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ(١)
أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا ... أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ(٢)
إِنِّى نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ ... عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ(٣)

هو البلبل — وقال: إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها ـ صغروها ـ لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك. هو دوين ذاك.

(١) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده وزواية الواحدى: وأعجبها: كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو مالقيه من تصاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أنا باك منه ـ يعنى انتجاعه كافوراً وانقطاعه إليه ـ يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم: استبصار العقلاء ضد لتمنى الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على مايبكيه. فالحال التى يبكى العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٢) أروح: من الراحة. وخازنا ويدا: منصوبان على التمييز. والمثرى: الغنى. والثراء: المال. يقول: إنى من الأغنياء ذوى الثراء، ولكن خازنى ويدى فى راحة من تعب حفظ المال، لان أموالى إنما هى مواعيد كافور، وهى أموال لاتحتاج لحفظها إلى يدي وخازنى. قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم: لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى،

(٣) يقول: إنهم كذابون: فلاهم يقرونه، ولاهم يتركونه يرحل عنهم. هذا؛ والقرى: قرى الضيف. تقول: قريت الضيف قرى، مثال قليته قلى وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت: ومحدود: أى ممنوع. تقول: حددت فلانا عن الشر: أى منعته؛ ومنه قول النابغة:

إلا سُليمان إذ قالَ الإلهُ لهُ ... قُم فى البريّةِ فاحددها عن الفَنَدِ

والحداد: البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يقول لى الحداد وهو يقودنى ... إلى السجن لا تفزع فما بك من باس

وهذا أمر حدد: أى منيع حرام لايحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود، لأنها تمنع المحدود عن المعاصى،

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِى وَجُـــودُهُمُ
مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُـــودُ(١)

مَا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْسًــا مِنْ نُفُوسِــهِمِ
إِلَّا وَفِى يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَــا عُــودُ(٢)

مِنْ كُلِّ رِخْوِ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ   لَا فِي الرِّحَالِ وَلَا النِّسْوَانِ مَعْدُودُ(٣)

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّــوءِ سَــيِّدَهُ
أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِى مِصْـــرَ تَمْهِيدُ(٤)

---

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف المعهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالعطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محصولَ نفعٍ   صحةُ القولِ والفعالُ مريضُ

فالضمير فى جودهم : للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير المتصل للفصل بلا ، كما فى قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقذارة خسة ولؤما بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه — أى كافورا — خصى هو والخصيان الذين كانوا معه . والوكاء : ما تشد به القربة ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكى على ما فى بطنه من الريح . والمنفتق : الواسع الجلد لكثرة لحمه ، كأنه انفتق وانشق . وقوله : لا فى الرجال الخ : أى لا هو معدود فى الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحية ، ولا فى النساء : إذ لا فرج له .

(٤) اغتاله : قتله غيلة ، وأخذه على غفلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيد وقتله إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكلما أهلك عبد سوء سيده مهد أمره فى مصر وملكه أهلوها عليهم وانقادوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أى لا ينبغى أن يكون الأمر هكذا .



صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ(١)
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ(٢)
أَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِى ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ(٣)
لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلاَّ وَالْعَصَا مَعَهُ
إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ(٤)

(١) الآبق : الهارب من سيده . ومستعبد : مذلل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله فى الخيانة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو فى الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقرء المتنبى بالمهملة، والمعروف بالمعجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة — نواظير — وبالنبطية — بالمهملة — والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرافها ، والمراد بثعالبها : عبيدها وأراذلها ، وبالعناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا فى أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئا جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخى الحر ، لما بينهما من التباين فى الأخلاق ، ولو ولد العبد فى ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مصاف مخلص . فقوله: لو أنه . يريد: ولو أنه ، فحذف، والجملة فى موضع الحال وقوله فى ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد فى ملك الحر ؛ وعلى هذا فأل فى الحر : للعهد ؛

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* ألحر يُلْحَى والعصَا للعبدِ *

وقال الحكم بن عبدل الأسدى :



مَا كُنتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ(١)

وَلاَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا
وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ(٢)

وَأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ
تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ(٣)

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي
لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ(٤)

والعبدُ لا يَطلُبُ العَلاءَ ولا يُرضيكَ شيئاً إلا إذا رَهِبَا
مِثْلُ الحِمَارِ الموقَعِ الظهْرِ لا يُحسِنُ المَشْيَ إلا إذا ضُرِبا(١)

(١) أحسبنى : أى أحسب نفسى ، ويقال أساء به وأساء إليه ، قال كثير عزة :

* أسيئى بنا أو أحْسِنى لا مَلومَةٌ *

ويجوز أن يكون يسىء بى على معنى يهزأ بى ويسخر منى ، فعداه بالباء على المعنى ، لا على اللفظ ، يقول : ما كنت أظن أجلى يمتد بى إلى زمن يسىء إلى فيه شر الخليقة ، وأرانى مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده ، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى .

(٢) كناه بأبى البيضاء سخرية منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت البلاد لمن شاءها ، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر .

(٣) العضاريط : جمع عضروط ، وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه ؛ والرعديد : الجبان ، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له فى عظم مشافره بالبعير الذى يثقب مشفره للزمام؛ والمشفر — فى الأصل — شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر يستغوى هؤلاء اللئام الأنذال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم بالعضاريط الرعاديد تقريعهم على طاعتهم إياه ، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك .

(٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشىء ولا يبض حجره . وقوله: يأكل من زادى ، قال الواحدى : لهذا وجهان : أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها ، والآخر : أن المتنبي كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق

---

(١) الموقع الظهر : الذى به آثار الدبر ، والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة.



. . . .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئاً . يقول : هو يمسكني عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده المتنبي مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجياع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لكي يقال : قال العكبرى الكوفى : كي حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفا خافضاً ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال . والدليل على أنها ليست حرف جر: دخول اللام عليها ؛ كقولك أتيتك لكي تكرمني ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول القائل :

فلا والله لا يُلْفَى لما بى ولا لِلِمَا بهم أبدا دواء(١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يعرج عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر فى قوله : كيمه ، كما تقول: لمه — قلنا: مه من « كيمه » ليس لكي فيه عمل ، وليس هو فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كي تقوم ، فيسمعه المخاطب، ولم يفهم تقوم فيقول: كيمه ؟ أي كما . والتقدير كي تفعل ماذا ، فحذف تفعل ، فمه فى موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لكي فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون لمه ، وهى فى موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت فى صدر الكلام لا تحذف كقولك: ما تريد وما تصنع؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كي هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمني ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كي ، فكما تنصب كي الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

---

(١) من قصيدة لمسلم بن معبد الوالبي شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

« أنظر القصيدة فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »



إنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ ... لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْئُودُ(١)

وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيلُمٌّ قَابِلِهَا ... لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ(٢)

وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ ... إنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ(٣)

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً

أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ(٤)

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوبا بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذى يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذى أدركه الضيم ، وهو الظلم . ورجل مفئود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمفئود أيضاً : الذى لا فؤاد له ولا فعل ، والمفئود : الذى أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون. جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصى ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذى آل تدبيره إلى من هذه صفته لمظلوم مفئود سخين العين يرثى لحاله .

(٢) ويلمها : كلمة تقال عند التعجب وأصلها : وى لأمها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفى الحديث فى قوله لأبى بصير . « ويلمه مسعر حرب » . . تعجبا من شجاعته وجرأته وإقدامه . ومنه حديث على : ويلمه كيلا بغير ثمن لو أن له وعا . . أى يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهى — كما قلنا — كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التمييز . والخطة : الأمر والشأن . والمهرية : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والخمر ، وقيل : القنديد ،عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال — طاعة الأسود والاستخذاء له والنزول على حكمه — يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولذ الشىء: وجده لذيذا .

(٤) البيض هنا : الكرام : أى بيض الأعراض . والصيد الملوك . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هى ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجداً ولا مكرمة .



أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِي النَّخَّاسِ دَامِيَةً ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ(١)

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ ... فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ(٢)

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ

عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ(٣)

* *

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهنئه بعيد النيروز ، ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته الرائية الآتية:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهْ ، ... وَوَرَتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهْ(٤)

---

(١) النخاس . بياع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ، ودامية : حال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه ــ بسكون الذال ، وضمها ــ لغتان . يقول : إنه مملوك اشترى بثمن ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته . وهذا غاية فى التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأى . وكويفير : تصغير كافور ، والمراد : التحقير . يقول : هو أولى اللئام بأن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم ، وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره فى البيت التالى .

(٣) الخصية : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف يقدر عليه اللئام . ! قال الواحدى . عرض فى المصراع الأول بغيره من الملوك .

(٤) النيروز : أحد أعياد الفرس . قال فى التاج : معرب نوروز ؛ فردته العرب إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة عند حلول الشمس فى أول الحمل . والزناد :جمع زند ، وهو الحجر يقتدح به : وورى الزند إذا أخرج نارا ، وورى الزناد ــ كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب:ورت بفلان زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده بمجيئه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك .

هــذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْــكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادُهْ (١)

يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَاظِرٌ أَنْتَ طَــرْفُهُ وَرُقَادُهْ (٢)

نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُرُورٍ ذَا الصَّبَاحُ الَّذِي نَرَى مِيلَادُهْ (٣)

عَظَّمَتْهُ مَمَالِكُ الْفُرْسِ حَتَّى كُلُّ أَيَّامِ عَامِــهِ حُسَّــادُهْ (٤)

مَا لَبِسْــنَا فِيهِ الأَكَالِيلَ حَتَّى لَبِسَــتْهَا تِلَاعُهُ وَوِهَادُهْ (٥)

(١) زاده ــ آخر البيت ــ خبر هذه . يقول : هذه النظرة التى ظفر بها النيروز منك اليوم إنما يتزودها إلى أوان مثلها من العام القابل ــ أى أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة فى كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينثنى ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينثنى عنك ناظره الذى أنت ضياؤه وطيبه فيفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جنى : إذا انصرف عنك هذا اليوم بانتهائه خلف طرفه ــ أى بصره ــ ورقاده لديك فبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانياً .

(٣) فى أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين فى الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله : ذا الصباح : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن فى سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور فى هذا الصباح ــ أى صباح عيد النيروز ــ لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الذى نرى ، يروى : الذى يرى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . وممالك : إما جمع ملك ــ مثل مشايخ وشيخ ــ وإما على حذف مضاف : أى أهل ممالك الفرس .

(٥) التلاع : جمع تلعة ، وهى ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهدة ، ما انخفض من الأرض . والأكاليل جمع إكليل ، وهو فى الأصل ما يجعل على الرأس كالتاج . قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رءوسهم . يقول المتنبى : ما لبسنا الأكاليل فى هذا اليوم حتى كسيت الأرض ــ جبالها ووهادها ــ مثل الأكاليل من النبات والأزهار . والإضافة فى « تلاعه ووهاده » : على معنى « فى » ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبى تمام :



عِنْدَ مَنْ لا يُقاسُ كِسْرَى أَبُوسَا ... سَانَ مُلْكاً بِهِ وَلاَ أَوْلاَدُهْ (١)

عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ، فَلْسَفِيٌّ ... رَأْيُهُ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهْ (٢)

كُلَّمَا قَالَ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ ... سَرَفٌ، قَالَ آخَرٌ: ذَا اقْتِصَادُهْ (٣)

حَتى تعممَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَا ... مِنْ نَبْتِهِ وَتأزَّرَ الأهضامُ (١)

وقال ابن جنى: يريد ـ المتنبي ـ أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكاليل عليها.. قال العروضى ـ ناقدا ـ كيف يصح ما قال ابن جنى وأبو الطيب يقول: مالبسنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلا على ما قال ابن جنى. ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رءوسهم، ثم أنشد بيت أبى تمام المتقدم ثم قال: وهذا البيت ـ بيت أبى تمام ـ سليم، ووجه قول المتنبى أنه أراد حتى لبستها تلاعه والتحفت بها وهاده، فيكون من باب علفتها تبنا وماء باردا. ومعنى البيت: أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها؛ وبيت أبى تمام أحسن سبكا.

(١) يقول: إن ملك الممدوح ـ ابن العميد ـ أعظم من ملك الأكاسرة. وكسرى: لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر. وكسرى: معرب خسرو، ومعناه واسع الملك؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرها، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق:

إذا ما رأوْهُ طالعاً سجدوا له ... كما سجدَتْ يوماً لكَسْرَى مَرازِبُهْ

(٢) يقول: هو عربى اللسان، ورأيه رأى الفلاسفة، لأنه حكيم؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان. والبيت ـ كما ترى ـ مركب من ثلاث جمل: كل جملة مبتدأ وخبر، قدم فيها الخبر على المبتدأ.

(٣) النائل: العطاء؛ والسرف: التبذير؛ ومنه: حال مقدمة من سرف، والاقتصاد ضد السرف. يقول: إنه كلما بالغ فى العطاء ـ أى أعطى كثيراً ـ فقال ذلك العطاء البالغ الكثير: أنا سرف منه وتبذير؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول ـ أى هذا العطاء الأكثر ـ كان العطاء الأول اقتصاداً. وهذا تمثيل، لأن العطاء لا يقول شيئاً،

---

(١) الأهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الأرض.. جعل ما على الربا بمنزلة العمامة، وما على الأهضام بمنزلة الإزار.



كَيفَ يَرْتَدُّ مَنْكِبِي عَنْ سَمَاء ... وَالنِّجَــادُ الَّذِي عَلَيْهِ نِجَادُهْ (١)

قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَــامٍ ... أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِــداً أَجْدَادُهْ (٢)

كُلَّمَا أُسْــتُلَّ ضَاحَـكَتْهُ إِيَاةٌ ... تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرْآدُهْ (٣)

ولـكن يستدل بحاله ، فـكأنه قائل . وملخص المعنى : أنه إذا استكثر الناس منه عطاء قل ذلك فى جنب مايتبعه ،

(١) النجاد : حمالة السيف . يقول : كيف أنـكل عن مفاخرة ذى فخر ؟ وكيف يقصر منـكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو نجاده — أى نجاد الممدوح — الذى بلغ بى أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً . يقول : قلدنى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداده منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدنى سيفاً لم يطبع مثله ، فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوؤها وشعاعها ونورها وحسنها ، قال طرفة بن العبد :

سَقَتْهُ إِيَاةُ الشمسِ إلا لِثَاتِهِ ... أُسِفَّ وَلَم تَكْدِمْ عليه بِإِثمِدِ (١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالمد — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر ، والآرآد جمع رأد ، وهو ارتفاع الضحى ورونقه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت فى صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التمعت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هـذا السيف يضاهى شعاع الشمس وأن الشمس تقر بأن ضوءها كضوئه ، والضمير فى أنها : للأياة ، قال الواحدى وإنما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملا على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

---

(١) من معلقة طرفة . يقول : سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته ضوءها ثم استثنى اللثات ، لأن اللثة — وهى مغرز الأسنان — لايستحب بريقها ، ثم قال : أسف : أى ذر الإثمد — وهو الـكحل — على اللثة ولم تـكدم — أى تعض — بأسنانها على شىء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإثمـد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .



مَثَّلُوهُ فى جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـدِ فَفِى مِثْلِ أَثْرِهِ إغْمَادُهْ(١)
مُنْعَلٌ لاَ مِنَ الْحَفا ذَهباً يَحْمِلُ بَحْراً فِرِنْدُهُ إزْبَادُهْ(٢)
يَقْسِمُ الْفارسَ الْمُدَجَّجَ لا يَسْلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إلاَّ بِدَادُهْ(٣)

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبرى : يجوز أن يكون أراد جمع رِئْد ، وهو الترب ، قال كثير ولم يهمز :

وقد دَرَّعُوها وهى ذاتُ مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولَمَّا يَلْبَسِ الدرعَ رِيدُها(١)

(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثلوه فى جفنه : أى جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : ففى مثل أثره إغماده : يعنى أنه يغمد فى غمد عليه آثار كأثره — أى فرنده . وهو جوهر السيف — يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لاتفقده العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أى أنه لحسنه لايود مالكه أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله فى جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون: إن هذا السيف عزيز ، فلعزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جنى : صوناً للجفن من الصدإ لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزى : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه ، وفى معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سرابيلهم من مثلها والعمائم

(٢) منعل : أى ملبس نعلا ، وهو مايصاغ فى طرف الغمد . والحفا : يريد الحفاء — بالمد — وهو المشى بلا نعل ؛ وذهبا : مفعول ثان لمنعل ؛ والضمير فى فرنده : للسيف ؛ ومن إزباده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعنى كثرة مائه ، ولما جعله بحرا جعل تموج الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لايوصف بالحفاء ، ولكن ذكره افتنانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : المغطى بالسلاح . والبداد : حشية تجعل فى جانب السرج ، وهما بدادان يقول : إذا ضرب به الفارس المقنع فى سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانبا السرج ، لانحرافهما على الجانبين . وقوله: من شفرتيه — والحال

(١) المؤصد : صدار تلبسه الجارية — الوليدة — فإذا أدركت درعت ، وكل شىء قطع وسطه فهو مجوب ، ومنه سمى جيب القميص .



جَمَعَ الدَّهْرُ حَــدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِي فَاسْتَجْمَعَتْ آحادُهُ(١)

وَتَقَلَّدْتُ شَــامَةً فى نَدَاهُ جِلْدُها مُنْفِسَــاتُهُ وَعَتَــادُهُ(٢)

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة ـ لأنه أراد بأى شفرتيه ضرب، عمل هذا العمل .

(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدى الممدوح فى الضرب وشعرى فى وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التى لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد فى الضرب به كيد الممدوح ولاثناء كثنائى .

(٢) الشامة : الخال ـ بثرة سوداء فى الجسم حولها شعر. وقوله : فى نداه ، أى فى جملة نداه : أى جوده : والمنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعتاد : العدة ؛ يقول : تقلدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره فى جنب ماأهدانيه ـ من نفائس الخيل والثياب والأسلحة ـ يعد قليلا كالشامة فى الجلد . شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة ، وسائر هداياه بالجلد الذى تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت اضطرابا أشفقنا عليهم منه ،لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا فى تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للمتنبى على بال ، فضلا أن البيت ينبو بمثلها . وإذا أبيت إلا ذكرها فإليكها . قال الواحدى :حكى أبو على بن فورجة عن أبى العلاء المعرى فى هذا البيت قال : يعنى أن الغمد بما عليه من الحلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان محلى بكثير من الذهب ، فجعل الغمد جلدا ؛ إذ جعل السيف شامة. قال أبو على:والذى عندى أنه أراد بجلده ظاهره الذى عليه الفرند، لأن أنفس مافى السيف فرنده ، وبه يستدل عليه فى الجودة. وقال أبو الفتح:يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة فى الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله:جلدها منفساته وعتاده : أى ما يلى هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضى منكرا على أبى الفتح : ألم يجد المتنبى مما يحسن فى الجسد شيئا فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف ـ على حسنه وكثرة قيمته ـ كالنقطة فيما أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أى قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فيما أعطاه كقدر الشامة فى الجلد . قال الواحدى : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه بيانا يقف المتأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون فى الجلد ، ولما سماه شامة سمى ما كان معه من الهدايا ـ التى كان السيف فى جملتها ـ جلدا ؛ والكناية ـ فى المنفسات والعتاد ـ يعودان إلى الممدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف فى جملتها شامة فى جلد ؛ قال : وقول ابن فورجه هوس لاشىء . وقال ابن

فَرَّسَتْنَا سَوَابِقٌ كُنَّ فِيهِ   فَارَقَتْ لِبْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهْ (١)
وَرَجَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا   وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهْ (٢)
هَلْ لِعُذْرِي عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهْ (٣)
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ   مَكْرُمَاتُ الْمُعِلِّهِ عُوَّادُهْ (٤)

القطاع : يريد : أن السيف ـ على جلالة قدره وما عليه من الذهب ـ كالشامة فى جنب ماأخذت منه . وقوله: جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذى من أجله يستعد ويغالى فى ثمنه ، وقيل: يريد بجلده جفنه وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل .

(١) كن فيه : أى كن فى نداه ؛ واللبد : ما تحت السرج . يقول : كان فى جملة عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، فقوله : فرستنا أى علمتنا الفروسية . وفارقت لبده ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجى حين أعطاناها . وفيها طراده : أى وفيها تقويمه وأدب طراده . وقال ابن جنى : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو المطارد عليه ... وعلى هذا يكون معنى فرستنا حملتنا حتى صرنا فرسانا . وقوله: وفيها طراده ، أى عليها . قال العروضى : كلام ابن جنى كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . إنما يقول : فارقت هذه الخيل لبده ، وفيها تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الخيل السوابق التى كانت عنده مما أعطانا علمتنا الفروسية . لأنها قد فارقت لبده حين أعطاناها . وفيها ماعلمه بطراده وبتأديبه

(٢) يقول : إن هذه الخيل التى أهداها إلينا لما انتقلت إلى رجت أن تستريح من طول كده إياها ، لكنها لاترى ماترجوه مادمنا فى بلاده ، لأنا لانزال نغزو معه بغزواته ونطارد عليها معه إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقنا خدمته ، ونحن لانفارق خدمته وبلاده فقوله: وبلاد ألخ : جملة حالية من مبتدإ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها مما يؤاخذ به . يقول : هل يقبل عذرى ؟ أوهل لديه قبول لعذرى ؟ وقوله : سواد عينى مداده : جملة استئنافية دعائية : أى جعل الله سواد عينى مدادا له وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والمداد : الحبر ، والهمام : السيد الشجاع السخى .

(٤) العواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حيائى كالعليل ،



ما كفانِي تقصيرُ ما قلتُ فيهِ عن علاهُ حتّى ثناهُ انتقادُهْ (١)
إنني أصيدُ البزاةِ ولكنّ أجلَّ النجومِ لا أصطادُهْ (٢)
رُبَّ ما لا يُعبِّرُ اللفظُ عنهُ
والذي يُضمِرُ الفؤادُ اعتقادُهْ (٣)
ما تعوّدتُ أن أرى كأبي الفضلِ وهذا الذي أتاهُ اعتيادُهْ (٤)

وهدايا الذى أعلى تأتينى كل يوم كأنها عواد تعودنى . وإنما كان شديد الحياء لأن ابن العميد نقد شعره . ولذا جعله معلاله ؛ وقد شرح ذلك فى الأبيات التالية .

(١) عن علاه : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفانى تقصير شعرى عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفعه بنقده ، فتقصير شعرى ونقده هما سبب شدة حيائى .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل ، من الصيد ، يقول : أنا فى الشعراء كالبازى الأصيد فى البزاة ، ولكن البازى مهما كان بارعاً فى الصيد ليس فى مكنته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعنى : أنى وإن كنت حاذقا فى الشعر وبالغا منه الغاية التى لا بعدها فإن كلامى لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جنى :لو استوى له أن يقول: أعلى النجوم ـ بدل أجل النجوم ـ لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلا ، جعل هذا مثلا للممدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبلوغه مبلغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره فى وصفه ومدحه فما ـ من قوله رب ما ـ نكرة موصوفة بمعنى شىء ، أو أمر . وقوله: والذى الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذورا ؛ لأن عادتى لم تجر بمدح مثله ، والذى ورد عليه من الشعر شىء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذى أتاه ـ أى هذا الذى فعله من النقد ـ هو عادته لبصره بالشعر ونقده قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد فى شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جنى : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفى له ، والذى أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جنى ليس بشىء ، لأنه ليس فى وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه فى تقصيره .



إنَّ فى المَوْجِ للغَرِيقِ لَعُذْراً وَاضِحاً أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ(١)

لِلنَّدَى الغَلْبُ إنَّهُ فَاضَ وَالشِّعْرُ عِمَادِى وَابْنُ العَمِيدِ عِمَادُهْ(٢)

نَالَ ظَنِّى الأُمُورَ إلاَّ كَرِيماً لَيْسَ لِى نُطْقُهُ وَلاَ فِىَّ آدُهْ(٣)

ظَالِمُ الجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ البِحَارَ مَزَادُهْ(٤)

غَمَرَتْنِى فَوَائِدٌ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الكَلاَمُ مِمَّا أَفَادُهْ(٥)

مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ العَطَايَا
فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهْ(٦)

---

(١) يقول : إن فاتنى عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها ، كان عذرى واضحاً ، لأنى غرقت فيها لتوافر محامدك ، والغريق فى البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحا ، وتلخيص المعنى : أن فكرى غرق فى فضائلك ، فليس لى إلى استيفاء وصفها من سبيل . وقوله : أن يفوته : أى فى أن يفوته ، وهو من صلة العذر ؛ والتعداد : العد .

(٢) يقول : إن لجوده الغلبة فهو غالبنى ؛ لأن عماده ابن العميد وعمادى الشعروهو ناقده ، فكيف لى أن أغالبه بالشعر؟! فالندى : الجود ؛ والضمير فى عماده : للندى .

(٣) الظن — ههنا — بمعنى العلم ؛ ويروى : طبى ، وهو بمعنى العلم أيضا ، والآد : القوة . يقول : لقد قتلت الأمور علما ، غير أنى قاصر عن مدح كريم ليس لى فصاحته فى الكلام ولا قوته فى علم الشعر .

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهى القربة . يقول : إن جوده ظالم ، وذلك أنه كلما صمد إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه مالا يطيقون حمله ، وهذا ظلم ؛ لأنه غير ممكن ، وهل يمكن حمل البحر فى القرب؟! فقوله : ظالم الجود ، من إضافة الوصف إلى فاعله . وسيم : كلف .

(٥) يقول : إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول ، ونبهه بذلك إلى ما كان غافلا عنه ، فكان حسن القول وصحة الكلام، من جملة الفوائد التى أفادها منه.

(٦) يقول : لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملةعطاياه يريد :أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله وبنات فكره ، فكأنه أعطاهعقله ؛ والفؤاد هنا: بمعنى العقل .



خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طرًّا ... فى مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُه(١)

وَأَحقَّ الْغُيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ ... فى زَمَانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُه(٢)

مِثْلَمَا أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ فى العَا ... لَمِ وَالْبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُه(٣)

زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا ... لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشِنْهُ سَوَادُه(٤)

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِى كَمَا أَهْـ ... ـدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُه(٥)

وَالَّذِى عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْـ ... ـلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُه(٦)

---

(١) يريد بأفصح الناس : الممدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ، يريد أنه فى بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جنى : أفضل الناس ، وليس بشىء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيوث بالحمد ـ يعنى الممدوح ـ لعموم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث فى زمان قد استشرى فساد أهله وشاع فى الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جنى : جعله غيثاً وجعل الناس كلهم ـ لاحتياجهم إليه ـ جراداً ، فإن الجراد حياته فى الغيث والكلأ .

(٣) يقول : لما شاع الفساد فى العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثْتَ لأهلِ الدِّينِ عَدْلاً ورحمةً ... وبُرْءاً لآثارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ

كما بَعَثَ اللهُ النبىَّ محمداً ... عَلَى فَتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبهائمِ

فقوله: والبعث ، أى بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلعته وضوؤه . ويشنه : يعبه . لما ذكر عموم الفساد فى الناس والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلع فيجلو سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر فى كيف نهدى إليك شيئاً كما يهدى العبيد إلى أربابها وكل ما عندنا من المال والخيل فمن عندك وهبته وقدته إلينا . فقوله : إلى ربها أى سيدها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أى عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها » والذى ـ إلى آخر البيت ـ حال . وفى البيت الثانى طى ونشر لا يخفى . وهذا من قول ابن الرومى :

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَاراً كُلُّ مُهْرٍ مَيْدَانُهُ إِنْشَادُهُ (١)
عَدَدٌ عِشْتَهُ يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرَباً لا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهُ (٢)
فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْباً نَمَاهَا مَرْبَطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ (٣)

مِنكَ يا جنة النعيم الهدايا أفنُهدِي إليك ما منكَ يُهْدَى

(١) المهار : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن فى المهر معنى الفتى والفرس إذا كان فتياً كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو بيان لها . وقوله: كل مهر الخ ، نعت لمهار : أى كل مهر منها. كنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتا ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر فى الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن المهر إذا أجرى فى الميدان عرف .

(٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الخ : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعو له بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدى . وكان ابن العميد فى ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الخ : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه فى السنين التى يزادها بعد ذلك : أى فلهذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتا : وقال ابن جنى : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يعهد من أحـــواله فى جسمه وتصرفه .

(٣) نماها : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نماء النسب : وعبر بذلك جريا على عادة العرب فى حفظ أنساب الخيل : لما سمى الأبيات مهارا عبر عن حفظها وإمساكها بالارتباط ليتجانس الكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جياده جياد كل مربط : يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالاً :

بِكُتْبِ الأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ
فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدْ[١]

يُعَبِّرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا ،
وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدْ[٢]

فَأَخْرَقَ رَائِيَهُ مَا رَأَى ،
وَأَبْرَقَ نَاقِدَهُ مَا انْتَقَدْ[٣]

إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ
خَلَقْنَ لَهُ فِى الْقُلُوبِ الْحَسَدْ[٤]

---

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعا هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله : فدت الخ : جملة دعائية .

(٢) يقول : إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا ؛ أى أنا نشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا، ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه.

(٣) أخرق : أدهش وحير ؛ من خرق الظبى : دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ؛ وقد أخرقه الفزع فخرق وأبرق : حير ؛ تقول : برق بصره : تحير فلم يطرف قال ذو الرمة :

ولو أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرَّضَتْ
لعينَيْهِ مَىٌّ سافراً كادَ يَبرَقُ

يقول المتنبى : إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول : إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

فَتَمَلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِــينَ
كَذَا يَفْعَلُ الأَسَدُ ابْنُ الأَســدِ(١)

***

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس ، أى أنه وصل فى غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليهامن الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالافتراس جعله أسداً فى المصراع الثانى ، لأن الافتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس فى وصف الألفاظ والكتب هلا احتذى على مثال قول البحترى يصف كلام ابن الزيات :

فى نظامٍ مِنَ الْبَلاغَةِ ماشَــكَّ امْرُؤٌ أنهُ نظامُ فَرِيد
وَبَديعٍ كأنه الزَّهَرُ الضَــاحِكُ فى رَوْنَقِ الرَّبيعِ الجديد
مُشْرِقٍ فى جوانبِ السمعِ ما يُخْــلِقُهُ عَوْدُه عَلَى الْمُستَعيدِ
ومعانٍ لو فصّلتها القوافى هَجّنتْ شِعْرَ جَرول وَلبيد
حُزْنَ مُسْتعمل الــكلام اختياراً وتجنّبنَ ظلمــةَ التعقيــدِ



وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ ... وَلاَ خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ(١)

وَلاَ لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصُورَةٍ ... أَطَالَتْ يَدِى فى جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعِقْدِ(٢)

وَمَنْ لِى بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ ... قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ(٣)

---

(١) الخفر . الحياء . يقول : نسيت كل شىء ولا أنسى ما جرى بينى وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذى غشيه عند ذلك من الحياء الذى ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

ولَسْتُ بِناسٍ قولَها يَوْمَ وَدَّعَتْ ... وقد رُحِلَتْ أَجمالُنا وَهِىَ وُقَّفُ

أَأَنتَ عَلَى العَهْدِ الذى كانَ بيْننا ... فلسنا وحَقِّ اللهِ عَنْ ذَاكَ نَصْدِفُ

فقلتُ لها حِفظِى لِعَهْدِكِ مُتْلِفِى ... وَلَوْلا حِفاظُ العهدِ ما كُنتُ أتلَفُ

ومثله كثير ، ويروى نسيت ـ بالبناء للمجهول ـ أى نسينى الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، الممنوعة من التصرف ؛ قال كثير :

وَأَنتِ التى حَبَّبتِ كلَّ قَصِيرَةٍ ... إلَىَّ وَمَا تَدْرِى بِذَاكَ القَصَائِرُ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الحِجَالِ ولم أُرِدْ ... قِصَارَ الخطَى ـ شَرُّ النِّسَاءِ البَحَاتِرُ

« البحتر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبى : لا أنسى ليلة قصرت على لطيب مجالستى لهذه المخدرة ومعانقتى إياها حتى طالت يدى فى جيدها مثل صحبة العقد لجيدها. فقوله صحبة العقد : أى مثل صحبة العقد ، فهو منصوب على المصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبداً يتمنون مثل يوم التوديع ، لأن المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يكن يكرَهُ الْوَدَاعَ فإنِّى ... أَشْتَهِيهِ لِعِلَّةِ التسليم



وَأَنْ لاَ يَخُصَّ ٱلْفَقْدُ شَـــيْئاً فَإِنَّنِي
فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلاَ وَجْـــدِي (١)

تَمَنٍّ يَـلَذُّ ٱلْمُسْـــتَهَامُ بِمِثْـلِهِ ،
وَإِنْ كَانَ لاَ يُغْنِي فَتِيــلاً وَلا يُجْدِي (٢)

وَغَيْظٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي ٱلْحَشَا وَلَـكِنَّهُ غَيْظُ ٱلْأَسِيرِ عَلَى ٱلْقِدِّ (٣)

إن فيه ٱعْتِنَــــاقَةً لِوَدَاعٍ وَٱنتظار ٱعْتِنَـــاقَةٍ لِقُدُومِ
وَلَـكَمْ فُرْقَةٍ وَغَيْبَةِ شهرٍ هِيَ أَجْدَى مِنِ ٱمْتِناعِ مُقِيمِ

(١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم مخصوصاً بشىء دون شىء فإنى فقدت فيه أحبتى ولم أفقد بكائى ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاما شاملا حتى يفقد البـكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمن: خبرعن مبتدأمحذوف: أى هذا تمن ؛ والمستهام: الذى هيمه الحب وشرده؛ ويقال لذ يلذ ، والتذ يلتذ ، وتلذذت كذا ألتذه لذاذاً ولذاذة ، وهو لذ ولذيذ ؛ والفتيل ما يكون فى شق النواة ، وقيل هو ما تفتله بين أصبعيك من الوسخ ، وهو نائب مفعول مطلق : أى لا يغنى غناء حقيراً مثل الفتيل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمن لا حقيقة له ، ولـكن المستهام يلتذ بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيئاً : وفى معنى البيت يقول القائل :

أَمانِيَّ مَن ليـــلى حسانًا كأنما سَقَتْنِي بها ليـــلى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدا
مُنًى إِنْ تَـكُنْ حقًّا تكنْ أحْسَنَ المُنَى وإلا فقد عِشنا بها زمنًا رَغْدَا

ويقول البحترى :

تمنَّيتُ ليلَى بعْدَ فَوْتٍ وإنما تمنَّيتُ مِنها خُطَّةً لا أنالُها

ويقول الآخر :

وأَعْلَمُ أن وَصْلَكَ ليسَ يُرْجَى ولـكن لا أقلَّ منَ التمنِّي

(٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : ولى غيظ على الأيام يلتهب فى الحشا التهاب النار ، ولـكنه غيظ على مالا يكترث ولا يبالى بغيظى ، لأن الأيام لا تؤاتينى ولا تنزل على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على مايشد به من القد :

فَإِمَّا تَرَيْنِي لاَ أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ   فَآفَةُ غِمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي (١)
يَحُلُّ ٱلْقَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي   فَأَحْرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي (٢)
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لاَ يُفْكِرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ (٣)
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا   عَلَيْهِنَّ لاَ خَوْفاً مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ (٤)
وَلَيْسَ حَيَاءُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلذِّئْبِ شِيمَةً   وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ (٥)

---

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول ـ معتذراً للحبيبة من فراقه لها وقلة مقامه فى البلدان ومواصلته السير والتطواف : ـ إن رأيتنى منزعجا لا أقيم يبلدة فإن ذلك لمضائى وبعد همتى كالسيف الحاد إذا أغمد أ كل غمده واندلق منه وقال ابن جنى : الذى ترينه من شحوبى وتغيرى إنما هو لمواصلة السير والطواف فى البلاد لبعد همتى ، كالسيف الحاد إذا كثر سله وإغماده أ كل جفنه : قال الواحدى : وليس مما ذكره شىء فى البيت ، لكنه ما هجس له فى خاطره فتكلم به ، وإما ـ من فإما ـ هى إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدى وجعلته وقاية لعرضى : يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح فى جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالهرب ؛ وهذا من قول الجاهلى :

أَخُو ٱلْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمُجَرَّحٌ   كَلِيمٌ ، وَأَمَّا عِرْضُهُ فَسَلِيمُ

(٣) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة : وفكر فى الشىء وأفكر فيه وتفكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب يمضين بى مصممات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتتبدل على بمضيهن الأيام والمعايش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمانه الذين يسيرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان : أى أنا أبدا مسافر على هذه النجائب فى صحبة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يالون بالحر والبرد ، وإنما تلثموا على وجوههم لشدة حيائهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . والاسد الورد : الذى فى لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ   أَجَازَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ (١)

يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِى   تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ (٢)

وَمَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ   يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الأَسَاوِدِ وَالأُسْدِ (٣)

يَمُرُّ مِنَ السُّمِّ الْوَحِىِّ بِعَاجِزٍ ،   وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ (٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالخبث والمساوئ ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن فى طبعه كرما وحياء ؛ فيقال إن من واجهه وأحد النظر فى وجهه استحيا منه ولم يفترسه ، والمعنى أن حياءهم ليس بمزر بهم ، كما أنه لايزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .

(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا فى أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماحهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والخوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطاعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطيعك مودة ، كما تقول العرب : رهبوت خير من رحموت : أى لأن ترهب خير من أن ترحم . وقال ابن جنى : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فورجه — ناقدا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ إنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بالمودة حاربوا فيها وجازوها .

(٢) حاد عن الشىء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشىء : صرف همته إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو : يعنى ابن العميد .

(٣) الأساود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحبا له فى سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هيبة له ورهبا . فالأساود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه فى خدمة أو زيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لايقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيا سالما آمنا من المخافة .

(٤) الوحى : السريع . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ذهبت أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لايعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد . ويمر



كَفانَا الرَّبِيعُ الْعِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ ... فجاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى الرَّعْدِ (١)

إذا ما اسْتَجْبْنَ الْمَاءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ ... كَرِعْنَ بِسِبْتٍ فى إنَاءٍ مِنَ الْوَرْدِ (٢)

ويعبر : فى موضع الحال من قوله «يسر» أى يسر ماراً عابرا ؛ ولك أن تجعل يمر بدل من يسر .

(١) يقول : ببركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تجشم حداء الإبل فى المسير إليه ، لأن الرعد أغنى غناء الحداء . فالعيس: الإبل . وكفانا العيس ، أى كفانا حداءها . والحداء : سوق الإبل بالغناء وقوله : من بركاته ـ أى بركات الممدوح ـ تعليل لكفى :

(٢) يعرض نفسه : حال ؛ وكرعن : شربن ؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة فى الماء للشرب ؛ والسبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ ، تحذى منه النعال السبتية . يقول: إذا مرت هذه الإبل بالمياه التى غادرتها السيول فصارت لكثرتها كأنها تعرض نفسها عليها، فأجابتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أحدق الورد ـ والمراد الزهر أياً كان ـ بذلك الماء ، فصار كأنه إناء له . وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استجبن ، وكرعن بشيب : بدل بسبت . واستحين : من الحياء ، والشيب : صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال فى اللسان : والشيب ـ بالكسر ـ حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال ذو الرمة ـ يصف إبلا تشرب فى حوض متثلم ، وأصوات مشافرها شيب شيب .

تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشِّيبِ فِى مُتَثَلِّمٍ ... جوانِبُهُ من بَصْرَةٍ وَسِلامِ (١)

---

* هم يشبهون المشفر بالسبت فى لينه ، قال طرفة بن العبد :

وخَدٌّ كقرطاسِ الشآمى ومشفرٌ ... كسِبْتِ اليمانى قدُّهُ لم يُحَرَّدِ

لم يحرد : روى بالحاء المهملة ، وعليها اقتصر الخطيب التبريزى . قال : أى لم يمل ؛ يصف أنهـا شابة فتية ، وذلك أن الهرمة والهرم تميل مشافرهما : وروى لم يجرد ـ بالجيم ـ أى أن شعره عليه .

(١) من قصيدة لذى الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وقبله .

كأنّا أرادت شُكرَنا الأرضُ عِندَه ... فلم يُخلِنا جوٌّ هبطناه من رِفدِ (١)
لنا مذهبُ العُبّادِ في تركِ غيرِه ... وإتيانه نبغي الرغائبَ بالزهدِ (٢)
رجَونا الذي يرجون في كلّ جنّةٍ ... بأرجانَ حتى ما يئسنا من الخلدِ (٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام ـ بكسر السين ـ الحجارة الصلبة » .

(١) الجو ـ هنا ـ ما اتسع من الأودية ، كما جاء فى قول طرفة :

خلا لكِ الجو فبيضي واصفري

والرفد : العطاء : يقول : إن كل موضع نزلناه فى طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلأ . فكأن الأرض أرادت أن نشكرها عنده تقربا إليه .

(٢) الرغائب : جمع رغيبة ـ الأمر المرغوب فيه . يقول : لنا فى ترك غيره من الملوك وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يزهدون فى الدنيا لينالوا خيرا مما تركوا فى الآخرة : وذلك لأنا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده بزهدنا فى غيره .

(٣) يرجون : أى العباد ، وبأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هى أرجان ـ بتشديد

وكم عسفتْ من منهلٍ متخطَّإٍ ... أفلَّ وأقوى فالجمام طوامي
إذا ما وردْنا لم نصادفْ بجوفه ... سوى واردات من قطاً وحمامِ
إذا ساقيانا أفرغا فى إزائه ... على قُلُصٍ بالمقفرات حِيامِ
تداعين باسم الشيب . . . البيت

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدي ، والضمير إلى الإبل ، و « المنهل » المورد ، و « المتخطأ » الذى تخطأه الناس فلم ينزلوه ، و « أفل » أى لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « جمة » المكان الذى يجتمع فيه ماؤه ، و « طوامى » مملوءة و « ساقيانا » أى اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء » مصب الماء فى الحوض ، و « على قلص » صلة أفرغا ، و « القلص » جمع « قلوص » الناقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، وبالمقفرات صفة لقلص ، و « تداعين » أى دعا بعض القلص بعضاً ، و « الشيب » ـ كما قلنا ـ حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما يدعوهن إلى الشرب ، و « المتثلم » أراد : فى حوض متثلم .



تَعرَّضُ لِلزُّوّارِ أَعْناقُ خَيْـلِهِ   تَعرُّضَ وَحْشٍ خائِفاتٍ مِنَ الطَّرْدِ (١)
وَتَلْقَى نَواصِيها المَنايا مُشِـيحَةً   وُرُودَ قَطاً صُمٍّ تَشايَحْنَ فى وِرْدِ (٢)

الراء ـ بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لديه من النعيم ما يرجو العباد نيله فى جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه ، ومن ثم نرجو ببلده ما يرجو العباد فى الجنان حتى كدنا لا نيأس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التى هى دار الخلود .

(١) تعرض ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتعرض : أى توليهم عرضها : أى جانبها. والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً ونفاراً كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهى لاتبغى مفارقته . قال العكبرى : ليس فى هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى وقال : إن خيله تفرح بازوار ـ كى يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقاة الحروب ـ لكان أمدح . هذا : والطرد ـ بفتح الراء وسكونها ـ لغتان فصيحتان .

(٢) المشيح : الجد المسرع الحذر . قال ابن الإطنابة :

وإقدامى عـلى المكروه نفسى   وضَرْبِى هامةَ البطلِ المُشـيحِ

وشايح الرجل : جد فى الأمر ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى يرثى رجلا من بنى عمه ، ويصف مواقفه فى الحرب :

وَزَعْتَهم حـتى إذا ما تَبَدَّدُوا   سِراعاً ولاحَتْ أَوْجُهٌ وكُشوحُ
بَدَرْتَ إلى أولاهُمُ فَسَبَقْتَهُمْ   وشايحْتَ قبل اليومِ إنكَ شِيحُ

وقال ابن الأعرابى الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فى حيث لا تَنفَعُ الإشاحة مِنْ   أمرٍ لِمَنْ قد يُحـاوِلُ البِدَعا

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة » قال: ولا يكون الحذر بغير جد مشيحاً، وأشاح بوجهه عن الشىء : نحاه وجد فى الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول: وتلقى خيله المنايا فى الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة فى الورود. وجعلها صماً كى لا تسمع شيئاً تتشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسُبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نُفُوسَها ... إِلَيْهِ وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الهِنْدِ(١)

إِذَا الشُّرَفَاءُ الْبِيضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ ... أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الأَبِ وَالْجَدِّ(٢)

قال :

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا ... كدرِيةٍ أَعْجَبَها بَرْدُ الْمَـــا

والنواصى . جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس، وتشايحن : تسارعن . وقوله: ورود: مفعول مطلق لتلق .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أى أنها حصلت بقوته وأيده ، وتنسب السيوف إلى الهند : أى أنها عملت فيها ، يعنى أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على أنها حصلت بكف الممدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندى ، أى أنه اجتمع فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير فى نفوسها وفى ينسبن : عائد على الأفعال . وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأنعالها تتشبه بأفعاله فى مضائه وحدته وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندى وسيف يمان وفعل السيف أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند ... قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى لا أدرى أى أطراف كلامه أقرب إلى المحال ؟ ولم يجر ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها تنسب أفعالهـا إليه : أى تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لا من فعلنا ، وهذا كقوله:

إذا ضَرَبَتْ بالسيف فى الحرب كفه ... تبينتَ أن السيفَ بالكفِّ يَضْرِبُ

والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ، يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف ، وليس فى هذا البيت أنه أشرف من الهند .

(٢) البيض ؛ السادة ، من قوله : فلان أبيض : أى نقى العرض كريم . وفلان يمت إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقتو : الخدمة ، وقيل: حسن خدمة الملوك ،والمقتوى: الخادم ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تُهَدِّدُنا وَتُوعِدُنا رُوَيْداً ... مَتى كُنا لأُمِّكَ مَقْتَوِينـــا

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب والجد : أى أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بآبائهم وأمهاتهم .



فَتًى فَاتَتِ ٱلْعَدْوَى مِنَ ٱلنَّاسِ عَيْنُهُ ... فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ ٱلرُّمْدِ (١)
وَخَالَفَهُمْ خَلْقاً وَخُلْقاً وَمَوْضِعاً ... فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدِي (٢)
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ ٱللَّيَالِي عَلَى ٱلْعِدَى ... بِمَنْشُورَةِ ٱلرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ ٱلْجُنْدِ (٣)
إِذَا ٱرْتَقَبُوا صُبْحاً رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
كَتَائِبَ لَا يَرْدِي ٱلصَّبَاحُ كَمَا تَرْدِي (٤)
وَمَبْثُوثَةً لَا تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ ... وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغَوْرٍ وَلَا نَجْدِ (٥)

---

(١) و (٢) العدوى : أن يعدى الشىء الشىء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المريض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدوى فلم يعدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه تنزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسى : أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكارم طب بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجل من سائر الناس خلقاً وأنبل خلقاً ورتبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشىء حتى يشاركهم فى خلالهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأَم وفات طورهم إلى ماليس فى مكنتهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة ببريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصورة الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أوقدت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء فحينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل رديا ورديانا : رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسراعا لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — أهلكتهم — قبل أن ينبثق ضوؤه .

(٥) ومبثوثة : عطف على كتائب ، وهى الغارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلا متفرقة فى كل ناحيه لايستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَغُصْنَ إذَا مَا عُدْنَ فى مُتَفَاقِدٍ ... مِنَ الكُثْرِ غَانٍ بالعَبِيدِ عَنِ الحَشْدِ (١)
حَثَتْ كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةً فى غُبَارِهِ ... فَهُنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فى البُرْدِ (٢)
فَإِنْ يَكُنِ المَهْدِىُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ ... فَهذَا وَإِلاَّ فَالهُدَى ذَا فَمَا المَهْدِى (٣)
يُعَلِّلُنَا هــذَا الزَّمَانُ بِذَا الوَعْدِ ... وَيَخْدَعُ عَمَّا فى يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ (٤)

---

(١) يغصن : أى خيله ، من الغوص ، وقوله : فى متفاقد ، أى فى جيش يفقد بعضه بعضاً لكثرته واضطرابه ، كما قال الآخر :

* بجمعٍ تضلُّ البُلْقُ فى حُجُراته *

فقوله : من الكثر ، أى لأجل كثرته . وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول : إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذى بلغ من الكثرة وترامى الأطراف مبلغاً يفقد فيه الشىء فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد الممدوح عن أن يحشد إليه الغرباء — إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة العسكر وتوافره وهذه الجيوش المتكاثرة كلها عبيد الممدوح ليسوا أوباشا أخلاطا ، وروى بدل يغصن : يغضن — من غاض الماء : نقص — يعنى أن هذه السرايا إذا تغلغلت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرته كالماء إذا غاض فى الأرض

(٢) حثت : أى ذرت وسفت وأطارت ، وقوله : فى غباره ، أى غبار العسكر المتفاقد ، وهن — أى الترب — جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول إن جيشه — لبعد غزواته وكثرة أسفاره — يمر بأمكنة مختلف ترابها فيثير نقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير كخطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدى : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك — كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت — يقول : إن كان المهدى الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهداه : فهذا الذى نراه — أى الممدوح — هو المهدى الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه — من تقواه وحسن سيرته — هو الهدى كله ، فما معنى المهدى بعد هذا ؟

(٤) يعللنا أى يلهينا ويشاغلنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى العتيد الحاضر ، يقول : إن الزمان يعدنا خروج المهدى فيعللنا بوعد طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن الممدوح هو المهدى نقدا حاضرا ، وانتظار ظهوره خداع وتعليل .



هَلِ الْخَيْرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالْخَيْرِ غَائِبٌ أَمِ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ (١)

أَأَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كَبِدِ (٢)

وَأَحْسَنَ مُعْتَمٍّ جُلُوساً وَرِكْبَةً عَلَى الْمِنْبَرِ الْعَالِي أَوِ الْفَرَسِ النَّهْدِ (٣)

تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ (٤)

جَعَلْنَ وَدَاعِي وَاحِداً لِثَلَاثَةٍ جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبَرِّحِ وَالْمَجْدِ (٥)

---

(١) الاستفهام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لاينبغى أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدى هما شىء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشىء لايغاير نفسه ، وإذن : فالخير والرشدماثلان فى الممدوح ، ومايتنظرمن المهدى ماثل فيه ، فلم لايكون هو المهدى ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفعل تفضيل ، وكذلك مابعده ؛ والحزم : سداد الرأى ؛ واللب : العقل . وجلوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوىالأيادى — النعم — وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من تعمم — لبس العمامة — وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوبا على الفرس النهد — الجسيم الحسن العالى — فقوله على المنبر العالى الخ : من باب الطى والنشر . وقال ابن جنى : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً فى الحقيقة . . . قال ابن فورجه : ظن ابن جنى أن الخطبة عيب بالممدوح ، وما ضر ابن العميد أن يدعى له المتنبى أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالخليفة فى الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الايام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أحوجتإلى الرحيل والانصراف عنك ؛ فمفعول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله: بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان المتنبى يحب ذلك . وكذلك قوله :حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما ، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعا لثلاثة أشياء : هى جمالك والعلم المبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب ، إنما يستعمل التبريح فيما يشتد على الإنسان يقال: وجد مبرح مثلا ، فلعله من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِى ... يُعَيِّرُنِى أَهْلِى بِإِدْرَاكِهَا وَحْدِى (١)
وَكُلُّ شَرِيكٍ فِى السُّرُورِ بِمُصْبَحِى
أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لاَ يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِى (٢)
فَجُدْ لِى بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَإِنَّنِى ... مُخَلِّفُ قَلْبِى عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِى (٣)
وَلَوْ فَارَقَتْ نَفْسِى إِلَيْكَ حَيَاتَهَا ... لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ (٤)

***

(١) المنى : جمع منية ، وهى الشىء الذى تتمناه . يقول : إننى أدركت عندك من الغنى والسعادة ونيل المراد ما كنت أتمناه ، ولكن إذا انفردت به واستأثرت دون أهلى ولم أرجع إليهم ، عيرونى بتلك الأثرة والأنانية .

(٢) قوله بمصبحى : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير فى قوله بعده وفى يرى : راجع لكل ؛ وفى مثله : راجع لمن — من قوله من لايرى . يقول : كل من شاركنى فى السرور بإصباحى عنده حين أعود إليه من أهلى وغيرهم ورأى ماأوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد بعد مفارقتى إياه إنسانا لايرى هو مثله ، لأنه لانظير لك فى الدنيا ؛ يعنى أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لايزال منغصاً لفراق ابن العميد ، لأنه لايرى عندهم بعد عودته إليهم رجلا آخر مثله .

(٣) يقول : إننى أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبى لديك لأنك أغدقت على أفضالك فأسرت قلبى . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارقت نفسى حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معى لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك آبر بها منى .



وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وَهْشُوذانَ :

أَزَائِرٌ يَا خَيَالُ أَمْ عَائِدْ   أَمْ عِنْدَ مَوْلَاكَ أَنَّنِي رَاقِدْ(١)

لَيْسَ كَمَا ظَنَّ غَشْيَةٌ عَرَضَتْ   فَجِئْتَنِي فِي خِلَالِهَا قَاصِدْ(٢)

عُدْ وَأَعِدْهَا فَحَبَّذَا تَلَفٌ   أَلْصَقَ ثَدْيِي بِثَدْيِكَ النَّاهِدْ(٣)

وَجُدْتَ فِيهِ بِمَا يَشِحُّ بِهِ   مِنَ الشَّنِيتِ الْمُؤَشَّرِ الْبَارِدْ(٤)

إِذَا خَيَالَاتُهُ أَطَفْنَ بِنَا   أَضْحَكَهُ أَنَّنِي لَهَا حَامِدْ(٥)

---

(١) يقول ـ مخاطباً خيال المحبوب ـ: أزائراً جئتنى أيها الخيال أم عائداً ؟ أى أنى مريض من الحب فأنا خليق منك بالعيادة ، ثم قال :أم عند مولاك ـ أى صاحبك ، وهو الحبيب ـ الذى أرسلك إلى ـ أنى راقد ؟ أى أم اعتقد مولاك أنى راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟ .

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ماظن من أنى راقد حين زرتنى ، وإنما هى غشية ـ أى همدة لارقدة ـ أدركتنى من الألم ، فجئتنى فى خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائما ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) الناهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التى لحقتنى وإن كان فيها تلفى ، فحبذا تلف يكون سبباً لقربك ومعانقتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لا الخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام فى غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه:عطف على ألصق فى البيت السابق ـ والضمير : للتلف؛ والثغر شنيت : مفرق مفلج ، والمؤشر : الذى فيه أشر : أى تحزيز. يقول : وحبذا هذا التلف الذى جدت فيه بما يضن به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحزز البارد الريق، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه .

(٥) يقول : إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فحمدت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشىء « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :



وَقَالَ إنْ كَانَ قَدْ قَضَى أَرَبًا مِنَّا فَمَا بالُ شَوْقِهِ زَائِدْ؟[١]

لاَ أجْحَدُ الفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلَتْ ما لَمْ يَكُنْ فَاعِلاً وَلاَ وَاعِدْ[٢]

لاَ تَعْرِفُ العَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا كُلٌّ خَيَالٌ وِصَالُهُ نَافِدْ[٣]

يَا طَفْلَةَ الكَفِّ عَبْلَةَ السَّاعِدْ عَلَى البَعِيرِ المُقَلَّدِ الوَاخِدْ[٤]

فلست بنازل إلا ألمّتْ برحلي أو خيالتها الكذوبُ[(١)]

ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ماتشبه لك فى فى اليقظة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .

(١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة الخيال فلم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن «زائد» للقافية .

(٢) يقول : وعلى هذا لاأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة مالم يفعله الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .

(٣) نافد : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادى :

وأرى النعيمَ وَكُلُّ ما يُلهَى به يوما يصير إلى بِـــلى ونفادِ

يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لايدوم وصاله ، إذا واصل لايعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جنى : لافرق بينها وبين خيالها ؛ لأن كل شىء إلى نفاد ماخلا الله وحده ... قال ابن فورجه — وماأمر نقده — : هذه موعظة وتذكرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها إذا وصل لم يدم؛ وأماقوله كل خيال: فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ، وإنماعنى بكل : كلا من المذكورين ، كما تقول :خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والكل يستعمل فى الاثنين كمايستعمل فى الجمع؛ ولماقال:لاتعرف العين فرق بينهما :علم أنه يشير بالكل إليهما، لاإلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول كل شىء فان إلا الله ؟ وماأقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله فرق بينهما أراد لاتعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلخ بين عن الظرفية .

(٤) يخاطب حبيبته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبلة : الممتلئة . والبعير المقلد

---

(١) وقيل : إنما أنث على إرادة المرأة .



زِيدِي أَذَى مُهْجَتِي أَزِدْكِ هَوًى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدْ (١)

حَكَيْتَ يَالَيْلُ فَرْعَهَا الْوَارِدْ فَاحْكِ نَوَاهَا لِجَفْنِيَ السَّاهِدْ (٢)

طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَطُلْتَ حَتَّى كِلَاكُمَا وَاحِدْ (٣)

مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةً كَأَنَّهَا الْعُمْيُ مَا لَهَا قَائِدْ (٤)

أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمِ وَاجِدْ (٥)

أى الذى عليه قلائد : أى من العهن — الصوف — والواخد : أى المسرع فى السير : والبيت مصرع ، قال العكبرى : وهذا البيت ردىء لوقيل فى زماننا لهرب قائله من الحياء

(١) يقول : إن أذاك مستحلى — لأن الحبيب يحلولى منه كل شىء يصدر عنه ، قال : زيدينى أذى أزدك هوى وحباً لأن العاشق لايحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه شيئاً كان ذلك منه جهلا وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفرع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل المسترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول :أشبهت ياليل شعرها فى السواد فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولاتطل على .

(٣) يقول : طال بكائى لأجلها وطلت — أيها الليل — حتى كلاكما واحد فى الطول وروى ابن جنى تذكره : أى الفرع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : مالها قائد: حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِد

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من ملوك النواحى قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أنا اتبعنا فى مثل عليهم قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر الميم لاتباع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون على ضمها : وفى ذلك يقول علماؤنا : إذا تحركت الميم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لاتباع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إنْ هَرَبُوا أُدْرِكُوا وَإنْ وَقَفُوا خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدْ(١)
فَهُمْ يُرَجُّونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدْ(٢)
أَبْلَجَ لَوْ عَاذَتِ الْحَمَامُ بِهِ مَا خَشِيَتْ رَامِياً وَلاَ صَائِدْ(٣)
أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَهِيَ تَذْكُرُهُ مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلاَ طَارِدْ(٤)
تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبَراً عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدْ(٥)
وَمُوضِعاً فِي فِتَانِ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةَ الْعَاقِدْ(٦)

الستة ـ سوى أبي عمرو ـ « عليهم الذلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع : وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : الموروث : يقول : ـ ذاكراً سبب تحيرهم ـ : إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب ـ لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم ـ ولا بالإقامة ـ لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شيء .

(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك المبارك ذي الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج المشرق الوجه وعاذت لجأت ، وراعها ، أفزعها والحابل ، الذي ينصب الحبالة ، وهي الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو استأمن بذكره ، أمن حتى الطير والوحش .

(٥) كل ساعة ، فاعل تهدي ، والجحفل : الجيش ، والبائد : الهالك ، يقول : لا تمر ساعة إلا وتهدي إليه خبراً عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه يعني تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي .

(٦) وموضعا ، عطف على خبرا ـ في البيت السابق ـ والموضع ، المسرع في سيره ؛ والفتان ، غشاء للرحل من أدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والعاقد عاقد التاج ، يقول : وتهدي له كل ساعة رسولا مسرعا في رحل ناقة خفيفة يبشره بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذي تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشوذان بعد الكرة الأولى وضربت الدبادب * على باب عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه المتنبي .

(*) الدبادب ؛ الطبول ؛ وأصل الدبدبة ؛ الصياح والجلبة .



يا عَضُداً رَبُّهُ بِهِ العَاضِدْ وَسارِياً يَبْعَثُ القَطَا الهَاجِدْ(١)
وَمُمْطِرَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ مَعاً وَأَنْتَ لاَ بَارِقٌ وَلاَ رَاعِدْ(٢)
نِلْتَ وَما نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةِ وَهْشُوذَانَ ما نَالَ رَأْيُهُ الفَاسِدْ(٣)
يَبْدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بِغَايَتِهِ ، وَإِنَّمَا الحَرْبُ غَايَةُ الكَائِدْ(٤)

---

(١) العاضد : المعين ؛ وبه : صلة العاضد ، والباء للاستعانة ، والسارى : السائر ليلا ، ويبعث : يثير، والهاجد، النائم . أى ياعضد الدولة التى يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليلا .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت * يقول ، أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيي أولياءك بالبذل والإحسان ، فكأنك سحاب يمطر الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غير احتفال ولا استعداد .

(٣) وهشوذان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيده ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله مانال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشوذان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشوذان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

ما يَبْلغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ما يبلُغُ الجاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية المنتهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمعى فإنه لا يجيز أبرقت وأرعدت .



ماذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَذَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدْ(١)

بِلاَ سِلاَحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ فَفَازَ بِالنَّصْرِ ، وَانْثَنَى رَاشِدْ(٢)

يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ المَسُودِ وَالسَّائِدْ(٣)

وَلِيتَ يَوْمَىْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِياً وَلاَ شَاهِدْ(٤)

وَلَمْ يَغِبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدُّهُ الصَّاعِدْ(٥)

وَكُلُّ خَطِّيَّةٍ مُثَقَّفَةٍ يَهُزُّهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدْ(٦)

---

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى يفد طلبا للعطاء وأراد وافدا بالنصب ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأتى يقول ؛ الذى أتاكم محاربا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاز ورجع غانما راشدا .

(٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى ساده غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول : من يحاربكم ويتمرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرءوسا ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب — قال العكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولاها — وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظا من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛

وحارَبَنى فيهِ رَيْبُ الزمانِ كأنَّ الزمانَ لهُ عاشِقُ

(٤) وليت ؛ توليت ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول : توليت فناء عسكر وهشوذان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الوقتين بنفسك ولم تكن قريبا منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعبارة الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشوذان ، ولم يكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أبيك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أبيك ، وحظك الصاعد فى مراقى السعد ، فكأنك لم تغب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك

(٦) وكل ؛ عطف على جيش — فى البيت السابق — والخطية المثقفة ؛ الرماح المقومة



سَوَافِكٌ مَا يَدَعْنَ فَاصِـلَةً بَيْنَ طَرِيِّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدْ[١]

إِذَا الْمَنَـايَا بَدَتْ فَدَعْوَتُهَا أُبْدِلَ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدْ[٢]

إِذَا دَرَى الْحِصْـنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا

خَـرَّ لَهَـا فِى أَسَاسِهِ سَـاجِدْ[٣]

مَا كَانَتِ الطِّرْمُ فِى عَجَاجَتِهَا إِلَّا بَعِيرًا أَضَـلَّهُ نَاشِدْ[٤]

تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةً شَـارِدْ[٥]

المستوية . والمارد ؛ الذى لايطاق خبثا وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك فى القتال الرماح المقومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبرى : وهو أبلغ إذا لقى الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بعد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكرهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هى ـ الخطية ـ سوافك الخ . والجاسد؛ اللازق الذى قد جف . يقول : هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما جف أردفته دما طريا دون أن تفصل بينهما . فقوله: ما يدعن فاصلة ؛ أى من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن جنى ؛ أى ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلنه دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبردعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت المنايا وكشرت عن نابها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد ـ الذى على الحياد وخام عن القتال ـ من جيش عضد الدولة ـ حائناً ؛ أى هالكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالكا .

(٣) الضمير فى بها ولها ؛ للخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرائن . يقول ؛ إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذى رماه بالخيل سقط ساجدا وانقضت حيطانه لما هيبة له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشوذان . والعجاجة ؛ واحدة العجاج ؛ الغبار ؛ وفلان ينشد ضالته ؛ يطلبها . يقول : إن الطرم كانت فى غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه ، فهو ينشده ؛ أى أن العجاج أحاط بها لكثرته حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أى الطرم ـ قلاع وهشوذان ـ أو الخيل ، يقول : تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشوذان ، وقد مسخته الخيل نعامة شروداً ؛ يعنى أنه أسرع فى اعرب

تَسْتَوحِشُ الأَرْضُ أَنْ تُقِرَّ بِهِ
فَكُلُّهَا مُنْكِرٌ لَهُ جَاحِدْ (١)

فَلاَ مُشَادٌ وَلاَ مُشِيدٌ حَمَى وَلاَ مَشِيدٌ أَغْنَى وَلاَ شَائِدْ (٢)

فَاغْتَظْ بِقَوْمٍ وَهشُوذَ مَا خُلِقُوا إِلاَّ لِغَيْظِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدْ (٣)

رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوْكَ نَابِتَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدْ (٤)

وَخَلِّ زِيًّا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدْ (٥)

كالنعامة عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعامة بشدة النفور والشرود ، والنعامة ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامة ، ومن ثم وصفها بالشارد ،

(١) يقول ، تخاف الأرض أن تقر به ، أى تعترف بموضعه منها فتطأها خيلك ، فكل موضع ينكره ويجحد أنه رآه ، يريد شدة إمعانه فى الهرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، آنه ـ بالمد وكسر النون ـ يقال أنه بأنه أنها وآنوها ، إذا تزحر من ثقل يجده .

(٢) المشاد ، البناء المرفوع المطول ، والمشيد المعلى للبناء ، وحمى ، يروى على أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للمكان المحمى ، والمشيد ، المطلى بالشيد ، وهو الجص أو الكلس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشوذان البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تغن عنه قلعته ولا جنده ،

(٣) وهشوذ : ترخيم وهشوذان . يقول : كن أبداً مغتاظاً بقوم لم يخلقوا إلا غيظاً للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابتة مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى طلب الكلأ ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلة بمنزلة نبات يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشوذان والظفر به وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لانها رأته من الضعف بحيث لا يستأهل مسير أحدهما . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وخل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكية لا يليق بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزيى بزى الملوك ملكا ، كما أنه ليس كل من دمى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود



إنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدِ الأَمِيرُ لِمَا ... لَقِيتَ مِنْهُ فَيُمْنُهُ عَامِدْ[(١)]
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لاَ يَرَى مَعَهُ ... بُشْرَى بِفَتْحٍ كَأَنَّهُ فَاقِدْ[(٢)]
وَالأَمْرُ لِلّهِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ ... مَا خَابَ إِلاَّ لِأَنَّهُ جَاهِدْ[(٣)]
وَمُتَّقٍ وَالسِّهَامُ مُرْسَلَةٌ ... يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدْ[(٤)]
فَلاَ يُبَلْ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ ... أَقَائِماً نَالَ ذَاكَ أَمْ قَاعِدْ[(٥)]
لَيْتَ ثَنَائِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى ... مَنْ صِيغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدْ[(٦)]

---

(١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه.

(٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئا ، وقال ابن جنى : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها. قال ابن فورجه : مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة فى حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الشكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .

(٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده فى طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعتز : تذل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك فى التدبير .

(٤) ومتق : عطف على مجتهد : والحابض : خلاف الصارد : يقال حبض السهم : إذا وقع بين يدى الرامى لضعف الرمى ، والصارد : السهم النافذ فى الرمية والبيت فى معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه

(٥) يقول : من قتل عدوه فلا يبالى ، أقتله قائما أم قاعدا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال : أى ليس بمهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى : كان حقه أن يقول لا يبال ــ بحذف الياء الأخيرة ــ للجزم ، ولكنه قاس على قولهم : لا تبل ، بمعنى لا تبالى ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم «لا يبل» ، فيجوز فيه ما جاز فى غيره .

(٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه فى الثناء على الممدوح هو باق مخلد فى



لَوَيْتُهُ دُمْلُجاً عَلَى عَضُدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنُهَا لَهُ وَالِدْ(١)

***

وقال فى صباه :

وَشَادِنٍ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ سَيْفُ الصُّدُودِ عَلَى أعلى مُقَلَّدِهِ(٢)

مَا اهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ لِيَبْتُرَهُ إلاَّ اتَّقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلُّدِهِ(٣)

ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحِبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ(٤)

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى الممدوح — حتى لا يهلك ويبقى خالداً .

(١) الدملج : مايلبس من الحلى فى العضد . يقول : جعلت مدحى حلية له كما يحلى العضد بالدملج . وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنها ملاك الدولة وقوامها ، فهو عضدها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجا لذكر العضد .

(٢) الشادن : الظبى يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد فى الأصل : العنق ، لأنه موضع القلادة ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصدوده ؛ فكأنه تقلد سيفا من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه العكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيفُ الصدودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ *

أما العجز فقالا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفِّ أَهْيَفَ ذى مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فى تجرُّدِهِ

أما الرواية التى أثبتنا ها فهى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : القطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير فى اهتز ؛ للسيف ، وفى منه ؛ للشادن ؛ وفى اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والمنصوب ؛ للسيف ، يقول ؛ لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبى ؛



شَمسٌ إذَا الشَّمسُ لاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ (١)
إنْ يَقْبُحِ الْحُسْنُ إلاَّ عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إلاَّ عِنْدَ سَيِّدِهِ (٢)

إن الزمان ذم إلى المتنبي العيب الذى ذمه المتنبي من بدر الزمان عند حمده هذا الرجل المسمى أحمد ، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان فى مودة الأحبة ، وفى القمر بالنسبة إلى الممدوح – فأحبته يجفونه ويصدون عنه ؛ والبدر – على بهائه وحسنه – دون أحمد هذا ، فالضمير فى بدره وأحمده للزمان ، وسائر الضمائر ؛ للعاشق – أى المتنبي ، وإليك أقوال الشراح ، قال ابن جنى : البدر هو المعشوق ، جعله بدر الزمان مبالغة فى حسنه ؛ وأحمد ؛ هو المتنبي ، وجعل نفسه أحمد الزمان ، يريد ؛ ليس فى الزمان أحمد مثله ، والمعنى ؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذى هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاءه وهجره ، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمده المتنبي ؛ فالزمان يذم هجر أحبته ويحمده هو لفضله ونجابته قال الواحدى : قد تهوس أبو الفتح فى هذا البيت وأتى بكلام كثير لافائدة فيه ، ومعنى البيت ؛ إن الزمان ذم إلى المتنبى من أحبة المتنبى ، لأنهم يجفونه ماذم الزمان فى بدره يعنى القمر فى حمد أحمده ، يعنى الممدوح ، والمعنى ؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا الممدوح ، يعنى ، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا ، وقال ابن القطاع ، يريد ، أن الزمان يذم معه هجر أحبته كما ذم هو بدره ، أى حبيبه ،

(١) على فرس ؛ حال من الهاء فى لا قته ؛ أى وهو على فرس يقول : هو شمس إذا رأته الشمس وهو يجول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هيولى الشمس ، لأنه أضوأ منها ، فالشمس تستفيد منه النور .

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين ، إن «إن» ، شرطية ،وجوابها ، فالعبد ، والمعنى ، هو مولى الحسن ، والحسن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعته كالعبد لايحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه ، وقال اليازجى ، إن قوله يقبح – فى عجز البيت خطأ فى الرواية ، والصواب يحسن ، فتكون إن ، نافية ، والمعنى ، إن الحسن فى غير هذا الممدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابلته بطلعته لما فيها من الكمال وفى غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه ، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده ، فإذا قوبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية .



قَالَتْ عَنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لاَ يَصْدُرُ الْحُرُّ إلاَّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ (١)

لَمْ أعْرِفِ الْخَيْرَ إلاَّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى
لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إلاَّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ

نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ
لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِى سِنِّ أَمْرَدِهِ (٢)

---

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول ، فقلت لها ، إن الحر إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لابد لى من بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهية : العقل . يقول : إن نفسه ـ فى عظمها وكبرها ـ تصغر نفس الدهر الذى هو مجمع الخير والشر .



قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومى :

أُمُسَاوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَـٰذَا أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الأُسْتَاذَا (١)
شِمْ مَا انْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ قِطَعاً ، وَقَدْ تَرَكَ العِبَادَ جُذَاذَا (٢)
هَبْكَ ابْنَ يَزْدَاذٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الوَرَى أَضْحَوْا بَنِى يَزْدَاذَا (٣)
غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقِيتَهُمْ أَقْفَاءَهُمْ وَكُبُودَهُمْ أَفْلَاذَا (٤)
فِى مَوْقِفٍ وَقَفَ الحِمَامُ عَلَيْهِمِ فِى ضَنْكِهِ وَاسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذَا (٥)

(١) قرن الشمس : أول مايبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم : قال تعالى« يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ فى بعض لغة أهل الشام . شبهه فى حسنه : بقرن الشمس ، وفى شجاعته : بليث الغاب ، وكان يتقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذى سللته من الغمد ، فقد فللت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعا . فشم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . وانتضاه : استله ، وذباب السيف : حده ، والجذاذ : جمع جذاذة ، وهى القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أى احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أفتظن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملتك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعا ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر مافعله بهم يقول : إنك هزمتهم فى الموضع الذى لقيتهم فيه فولوك أقفاءهم حتى قامت مقام وجوههم فى استقبالك ، وتركت أكبادهم قطعاً صغاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، فقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفاءهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أى وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك فى معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم فى ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحمام : الموت ؛ والضنك : الضيق .

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُولاذَا(١)
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّداً فِي جَوْشَنٍ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذَا(٢)

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنكه : لموقف ؛ واستحوذ : استولى .

(١) الفولاذ : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، المنقى من خبثه دخيل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالشىء الجامد ، ثم قال المتنبى : فلما جئتها أجريتها — أى أجريت نفوسهم : أى أسلت دماءهم على سيوفك ، فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفولاذ الماء . وقال الواحدى : فى « جمدت » أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول قول الشاعر :

فَلَوْ أَنَّا على جُحْرٍ ذُبِحْنا جَرَى الدَّمَيانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ(١)

يريد : أن دمى يسيل لأنى شجاع ، ودمك لايسيل لأنك جبان . والثانى أن دماءهم كانت محقونة ، فلما جئتها أبحتها بسيوفك ، فجعل حقنها كالجمود ؛ إذ كان يذكر بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أباك وعمك لأنك تشبههما ، فلصحة شبهك بهما كأنهم رأوهما : يعنى اجتمع فيك فضلهما وشجاعتهما وكرمهما .

(١) قبل هذ البيت :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وأبا رَبَاحٍ على طُولِ التجاوُرِ مُنْذُ حِينِ
لَيُبْغِضُنِي وأُبْغِضُه وأيضاً يَرَانِي دُونَه وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها ـ كما قال ابن دريد ـ أنها لشاعر اسمه على بن بدال ابن سليم .

والتكاشر : المباسطة من « الكشر » وهو : التبسم ، و « جحر » بضم الجيم وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالخبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين .

قال ابن الأعرابى : يريد لم يختلط دمى ودمه ، من بغضى له وبغضه لى بل يجرى دمى يمنة ودمه يسرة .

وقال بعضهم : معناه لو ذبحنا على جحر لعلم من الشجاع منا من الجبان بجرى دمى وجمود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد .



أعجلْتَ ألسُنَهُمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَـنْ قَوْلِهِمْ لاَ فَارِسٌ إلاَّ ذَا[١]

غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طِلْعَةَ عَارِضٍ مَطَرَ المَنَـايَا وَابِلاً وَرَذَاذَا[٢]

فَغَدَا أسِـيراً قَدْ بَلَلْتَ ثِيَابَهُ بِدَمٍ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الأفْخَـاذَا[٣]

سَـدَّتْ عَلَيْهِ المَشْرَفِيَّةُ طُرْقَهُ فَانْصَاعَ لاَ حَلَباً وَلاَ بَغْدَاذَا[٤]

طَلَبَ الإمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَنَشْـؤُهُ مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إلَى كَـلْوَاذَا[٥]

فَـكَأنَّهُ حَسِبَ الأسِـنَّةَ حُلْوَةً أوْ ظَنَّهـَا البَرْنِيَّ وَالآزَاذَا[٦]

---

(١) يقول : لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : والألسن جمع لسان على تأنيثه . يقال فى التأنيث : ثلاث ألسن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة ألسنة : مثل حمار وأحمرة ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن يزداذ ـ غر ؛ والغر ؛ الغافل ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ والوابل : المطر الشديد . والرذاذ : الخفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسراً .

(٣) يريد : أنه تلطخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : انثنى وولى : وبغداذ : لغة فى بغداد ، يقول : انهزم وتلدد فى أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغداذا : منصوبان بمضمر أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفها ضرورة

(٥) كرخايا وكلواذا : قريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ فى سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاذ : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطعان

لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اُخْتَلَفَ الْقَنَــا
جَعَــلَ الطِّعَانَ مِنَ الطِّعَانِ مَــلَاذَا[(١)]

مَنْ لَا تُوَافِقُــهُ الْحَيَاةُ وَطِيبُهَــا
حَــتَّى يُوَافِقَ عَــزْمُهُ الإِنْفَاذَا[(٢)]

مُتَعَــوِّدًا لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَــالُهَا
فِي الْبَرْدِ خَــزًّا وَالْهَوَاجِــرِ لَاذَا[(٣)]

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمراً يأكله . « هذا » والمشهور فى الآزاذ القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطعن هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملجأ . يقول : لم يلق قبلك رجلا إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحمى حقيقته إلا بالطعان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تأخرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجِـدْ
لِنفسى حيــاةً مثلَ أنْ أتقدَّما

(٢) من : فى موضع نصب ، بدل من من الأولى — . يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أى أن طيب عيشه فى إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شىء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم «لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفا » .

(٣) الخز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ واللاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت شدة الحر فى نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها فى صبارة البرد خزاً يقيه البرد : وفى حمارة القيظ لاذا يلاذ به من الحر . فلتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقوله : متعودا ، نعت لمن — على أنها نكرة — « هذا » : وفى البيت عطف على معمولى عاملين مختلفين ، لأن الهواجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولهما جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .



أَعْجِبْ بِأَخْذِكَهُ ، وَأَعْجَبُ مِنْكُمَا
أَنْ لَا تَكُونَ لِمِثْلِهِ أَخَّاذَا[1]

* * *

أَكُلُّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ،
وَنَارٍ تَأَجَّجَ بِاللَّيْلِ نَاراً

(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه فى قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه لأنك مظفر منصور على أعدائك لايفلت منك أحد تقصده .



قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ، وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ ... وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ[1]

وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ ... حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ[2]

وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْعِدَى ... حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ[3]

وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ ... مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الْأَبْصَارُ[4]

---

(١) النوار : كالنور ، واحدته نوارة . وهو الزهر . وقيل : النوار والنور الأبيض والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والمقدار قدر الله . يدعو له ، يقول : سر واذهب لطيتك حل النوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك المقدار على ماتريده من المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى تنزله فحيثما نزلت نزل النوار والقضاء موافق لما تريد.

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ من العدة ، قال لبيد :

أَتَتْ وأَسبَل واكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ... يُرْوِى الْخَمائِلَ دائِماً تَسْجامُها[1]

والمدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة ـ أى صحبتك حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه ونوبه أعوان لك على ماتريد .

(٤) الإصدار : الانثناء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا وأنت أغنم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفتهم مشرئبة شوقا إلى رؤيتك ، وهذه الأبيات كلها دعاء له .

---

(١) من معلقة لبيد . يقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها فى مطر دائم الهطلان

أَنْتَ الَّذِي بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ ... وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ (١)

وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالفَنَاءُ عِقَابُهُ ... وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الأَعْمَارُ (٢)

وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ المُلُوكُ مَوَاهِبٌ ... دَرُّ المُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ (٣)

لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، ... وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ العَارُ (٤)

وَتَحِيدُ عَنْ طَبَعِ الخَلَائِقِ كُلِّهِ ، ... وَيَحِيدُ عَنْكَ الجَحْفَلُ الجَرَّارُ (٥)

---

(١) بجح : فرح ؛ قال الجوهرى : بجح بالشىء وبجح به أيضا ـ بالفتح ـ لغة ضعيفة فيه وأبجحه الأمر وبجحه أفرحه . وفلان يتبجح أى يفتخر ويباهى بشىء ما، وقيل يتعظم وقد بجح يبجح قال الراعى .

وما الفقرُ عن أرض العشيرة ساقَنا ... إليكَ ولكنَّا بقُرْباك نَبجَحُ

والسمر : حديث الليل . يقول : يبتهج الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت فى جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين — بقية اللبن فى الضرع . يقول : إن عطاياه تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهى لايتوقى الهلاك ، ولكنه يتوقى أن يدانيك شىء فيه عار . وقوله: مايخاف ويخاف يرويان ماتخاف وتخاب على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : الثقيل السير الذى لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرته . وقال العكبرى : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرته وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويجنى على السماء بارتفاع الغبار إليها ؛ وقيل سمى جراراً لأنه يجر ذيله فى التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تتنكب كل شىء يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتنكبك الجيش الكثير اتقاء بأسك فأنت هارب من وجه ، مهروب عنه من وجه وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وأَجْبَنَ عن تعريض عِرْض لجاهل ... وإن كُنْتَ بالإقْدامِ أطْعَنَ فى الصفّ

يَامَنْ يَعِزُّ عَلَى الأَعِزَّةِ جَارُهُ ، وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الجَبَّارُ(١)
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللِّقَاءِ وَلاَ يَشِطُّ مَزَارُ(٢)
وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى المَطِيُّ وَيَقْرُبُ المُسْتَارُ(٣)
إِنَّ الَّذِى خَلَّفْتُ خَلْفِى ضَائِعٌ مَالِى عَلَى قَلَقِى إِلَيْهِ خِيَارُ(٤)
وَإِذَا صَحِبْتَ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لَوْلاَ العِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ(٥)
إِذْنُ الأَمِيرِ بِأَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمِ صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الأَشْعَارُ(٦)

---

(١) يقول : إن جاره الذليل يعز على الأعزة، فلا يقدرون أن ينالوه بسوء ، والمتكبر العاتى العظيم يصير ذليلا لديه إذا غضب .

(٢) تحول : تعترض وتمنع ، والتنوفة الفلاة المترامية الأطراف ، ويشط : يبعد . يقول : كن حيث شئت من الأرض فما يمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفى هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى المُشْتَاقِ أَوْ ذِى صَبَابَةٍ وَأَمَّا عَلَى الكَسْلاَنِ فَهوَ بَعِيدُ

(٣) المستار : مفتعل من السير قال الراجز :

أَشْكُو إِلَى اللهِ العَزِيزِ الغَفَّارْ ثُمَّ إِلَيْكَ اليَوْمَ بُعْدَ المُسْتَارْ

وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلها بطول السير . والمطى . جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف وودّى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن المحب مهما بعد عنه محبوبه فهو زائره ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) على : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق ونزاع النفس . والخيار : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلفته ورائى من أهلى ضائع بخروجى من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقى واشتياقى إليهم ولا اختيار لى فى إيثارك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتنى بإحسانك

(٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء ووافقتنى كل أرض حتى كأنها دارى لولا من خلفت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى . وهذا كقول المهلبى :



وخيره بين فرسين دهماء وكُمَيت فقال :

اختَرْتُ دَهْماءَ تَيْنِ يَا مَطَرُ ... وَمَنْ لَهُ فى الفَضَائِلِ الخِيَرُ (١)

وَرُبَّمَا قَالَتْ العُيُونُ وَقَدْ ... يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ (٢)

أَنْتَ الَّذِى لَوْ يُعَابُ فِى مَلأٍ ... مَا عِيبَ إلاَّ بِأَنَّهُ بَشَرُ (٣)

وَأَنَّ إعْطَاءَهُ الصَّوَارِمُ وَالْـ ... ـخَيْلُ وَسُمْرُ الرِّمَاحِ وَالعَكَرُ (٤)

فَهَلْ لَكَ فى الإِذْنِ لِى رَاضِيًا ... فإنى أرَى الإِذْنَ غُنْمًا كثيرًا

(١) قوله دهماءتين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين : أى الفاضل منهما . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وتثنيتها : تان . وقوله يامطر: أى ياشبيه المطر فى الجود. وقوله ومن له: أى ويامن له الاختيار فى الفضائل فيختار منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدى : يروى الخبر يريد الاشتهار فى الفضائل

(٢) يقال : فال رأيه يفيل فيلولة: أخطأ وضعف. فقوله :قالت العيون ،أى أخطأت يقول إنى اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت مخطئا فى الاختيار . فإن النظر قد يصدق فى العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتخطىء .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشراً ، أى أنت أجل قدرا من أن تكون بشراً آدميا ، لأن مافيك من الفضائل لا يكون فى بشر . والملأ جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والعكر جمع عكرة القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ماعابوك إلا بسخائك وإسرافك فى هذا السخاء . يعنى أنهم لا يعيبونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قبيل قول النابغة .

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أن سيوفَهم ... بِهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائب

وقول عبد الله بن قيس الرقيات

ما نَقموا مِنْ بنِى أُميَّةَ إلا ... أنهم يَحلُمونَ إن غَضِبُوا

وقال ابن جنى : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا فإذا فعلت هذا فكأنك معيب به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ماذكره ابن جنى فهو هجو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ماوهبت يسير فى جنب



فَاضِحُ أَعْدَائِهِ كَأَنَّهُمُ لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّمَا كَثُرُوا(١)
أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ ، وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ الْقَمَرُ(٢)

وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس(٣) بن الأحنف يسأله إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أُوثِرُ ، وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أُظْهِرُ(٤)
كَفَتْكَ الْمُرُوءَةُ مَا تَتَّقِي ، وَآمَنَكَ الْوُدُّ مَا تَحْذَرُ(٥)

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبرى قال: الذى ذكره ابن جنى صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضى أكثر مما يعطى ؛ كقوله أيضاً :

* يا مَن إذا وهَبَ الدنيا فقد بخلا

(١) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخلفهم عنه وتوافر فضائله ؛ فإذا قيسوا به وضيفوا إليه قلوا دقة وحقارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكمية ؛ وهذا معنى دقيق بديع ؛ وقوله : كأنهم له ، أى لاجله .

(٢) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء ؛ ويحتمل أن يكون خبراً . وقوله ومخطىء من رميه القمر ؛ فالرمى : المرمى . يقول : إنهم لا يصيبونك برميهم كما لا يصيب القمر من رماه . لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميه وكذلك أنت

(٣) والبيتان هما :

أمِنّى تخافُ انتشارَ الحديثِ وحظّىَ فى سَترِهِ أوْفرُ
ولوْ لم أصُنْهُ لِبُقْيَا عليكَ نَظرتُ لنفسى كما تَنظُرُ

« قوله : لبقيا عليك : أى لإرعاء عليك ورحمة : أى لو لم أصن سرك إرعاء عليك من إفشائه لصنته إرعاء على نفسى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع الناس على ما بيننا

(٤) أوثر : أختار ؛ والعائد محذوف : أى أوثره ؛ وقوله : فما أظهر ، استفهام إنكارى . يقول : إذا رضيت أمراً فهو رضاى الذى أختاره وسرنا واحد ، فأى شىء أظهر منه ؛ أى لا أظهر سرك لأنه سرى

(٥) يقول : اطمئن من جهتى لأنى ذو مروءة ، وذو المروءة لا يكون مذياعاً



وَمِرُّكُمُ فى الحَشَا مَيِّتٌ ... إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ (١)

كَأَنِّى عَصَتْ مُقْلَتِي فِيكُمُ ... وَكَاتَمَتِ القَلْبَ ما تُبْصِرُ (٢)

وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ ... مِنَ الغَدْرِ وَالحُرُّ لاَ يَغْدِرُ (٣)

إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ ... فَإِنِّى عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ (٤)

أُصَرِّفُ نَفْسِى كَمَا أَشْتَهِى ... وَأَمْلِكُهَا وَالقَنَا أَحْمَرُ (٥)

دَوَالَيْكَ يا سَيْفَهَا دَوْلَةً ... وَأَمْرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ (٦)

للأسرار ، وأنا ـ مع ذلك ـ محب لك ، والمحب لا يسىء إلى حبيبه بإفشاء سره . والمروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشىء : أغناه عن معاناته ، وتتق : تحذر و«ما» فى ماتتق وما تحذر ـ اسم موصول بمعنى الذى ، وهى فيهما مفعول ثان للفعل قبلها .

(١) أنشر : من النشور ، وهى بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سركم فى قلبي كالميت الذى لا يحيا بعد موته، أى أنه ـ لشدة إخفائه السر ـ أماته إماتة حتى لا بعث له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إنى لأسترُ ماذو اللُّبِّ ساتِرُهُ ... من حاجة وأُميتُ السِّرَّ كِتمانَا

وكقول قيس بن ذريح .

وإنى من القوم الَّذِينَ صدورُهم ... إذا استودِعوا الأسرار فهى قبورها

(٢) يقول : كأن عينى لما نظرت إليكم أخفت عن قلبى مارأت ، فلم يعلم بذلك . فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذى أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمته سرى أى كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثان : لكاتمت ولك أن تقول: إن بين قوله عصت وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلين واقعان على القلب، أو تقول : إن المراد بالأول مجرد إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقول : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده لا تغلبه نفسه على شىء لا يريده . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاره الحرب إذا احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها فى كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرك : أى مر أمرك

أتاني رَسُولكَ مُسْتَعْجِلاً   فَلَبَّاه شِعْرِى الَّذِى أَذْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمَ وَغًى قَاتِماً   لَلَبَّاهُ سَيْفِى وَالأَشْقَرُ (١)
فَلاَ غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ   فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ (٢)

* *

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك (*) :

أَرَى ذٰلِكَ الْقُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا   وَصَارَ طَوِيلُ السَّلاَمِ اخْتِصَارَا (٣)
تَرَكْتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجْلَةٍ   أَمُوتُ مِرَاراً وَأَحْيَا مِرَارَا (٤)

فهو مطاع فأمرك ؛ مفعول مطلق لمر ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أى دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التى استعملت مثناة . والغرض التوكيد ، ومثله لبيك وسعديك وحنانيك . ونصب دولة : على التمييز

(١) اسم كان : مضمر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياى ، أو لو كان مانحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذى علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياى يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفى وبفرسى الأشقر : وقال بعض الشراح : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ماقبله ؛ أى ولو كان أتانى . وهذا البيت والذى قبله من قول البحترى :

جعلتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوَانَّهُمْ   أهابُوا بِسَيْفِي كان أَسْرَعَ مِن طَرْفِي

(٢) يقول : أنت عين الدهر التى ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أى بقيت ، فإن مايصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .

* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه فى الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى بيته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الازورار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولا عنى وانحرافاً .

(٤) يقول : أنا فى خجلة من الناس لإعراضك عنى كلما ساورتنى ذكراها صرت كالميت ، وإذا زالت حييت ، فأموت فى اليوم مرات كثيرة وأحيا مرات كثيرة .



أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِياً ... وَأَزْجُرُ فى الخَيْلِ مُهْرِى سِرَارَا[(١)]

وَأَعْلَمُ أَنِّى إِذَا مَا اعْتَذَرْتُ ... إِلَيْكَ أَرَادَ اعْتِذَارِى اعْتِذَارَا[(٢)]

كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ البَاهِرَاتِ ... إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّى اخْتِيَارَا[(٣)]

وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إِلَّا القَلِيلَ ... هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا[(٤)]

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِى بِهِ ، ... وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فى القَلْبِ نَارَا[(٥)]

---

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سراً . يقول : وأنظر إليك لحيائى منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهرى فى الميدان زجرته بصوت خفى ، ولم أجسر أن أرفع صوتى حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر المجرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترمته كان هذا الاعتذار شيئاً منكراً يجمل أن أعتذر منه أيضا لأنه فى غير محله . وقال بعض الشراح : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : جحدت ماغمرتنى به من مكارمك الباهرة التى ليس فى مكنة أحد أن يجحدها إن كان تركى مدحك وتأخير شعرى اختياراً منى ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع مايقسم به العرب ، ولا يزال مثله جاريا بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلا نذلا إذا حصل منى كيت وكيت .

(٤) الغرار النوم القليل قال الفرزدق فى مرثية الحجاج :

إن الرزيةَ مِنْ ثقيفٍ هالكٌ ... تركَ العيونَ فنَوْمُهُنَّ غِرارُ

أى قليل ، وقيل الغرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار فى صلاة ولا تسليم : أى لانقصان . أى لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان فى لبنها . والقليل : بدل بعض من الشعر : أى إلا القليل منه ، وكذا مثله فى الشطر الثانى يقول : منعنى الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذنى منه المقيم المقعد حتى منعنى النوم ، فكيف لا يمنعنى قول الشعر ؟

(٥) يعتذر مما ألم به من الهم الذى أسقم جسمه وأوقد فى قلبه ناراً بلهيبه وكان سبب انقطاعه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فعلى واختيارى إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارته . وهذا من قول العطوى :

أَتُرَانِى أَنَا وَفَرْتُ مِنَ الهَمِّ نَصِيبِى

فَلاَ تُلْزِمَـــنِّى ذُنُوبَ الزَّمَانِ ... إِلَىَّ أَسَـــاءَ وَإِيَّاىَ ضَارا(١)

وَعِنْدِى لَكَ الشُّرُدُ السَّـــائِرَا ... تُ لاَ يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأَرْضِ دَارَا(٢)

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِى ... وَثَبْنَ الجِبَالَ وَخُضْـــنَ البِحَارَا(٣)

وَلِى فِيكَ مَا لَمْ يَقُـــلْ قَائِلٌ ... وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَـرٌ حَيْثُ سَارَا

فَـــلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ ... لَـكَانُوا الظَّلاَمَ وَكُنْتَ النَّهَارَا(٤)

أنا أعطَيْتُ العيونَ النُّجْـــلَ أَسْلابَ القـــلوبِ

لوْ إلىَ الأمْرُ ما أَقْـــذَيْتُ عيناً برقيبِ

(١) ضاره وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذى أورثنى هذا الهم فسبب ذلك انقطاعى عن الشعر ، فلا تؤاخذنى بذنوب الزمان . على أن إساءته إنما ألمت بى أنا، وأنا المساء بها فلا تقع تبعتها على كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، يعنى القصائد التى تسير فى البلاد ولا تستقر بموضع . يقول : وعندى لك القصائد التى أقولها فى مدحك فتسير فى الآفاق ويتناقلها الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والمقول : اللسان . يقول : إذا خرجت هذه القوافى من لسانى سارت فى البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ماوراءها : أى أن الجبال والبحار لا تحول دون سيرها . قال على بن الجهم يصف شعره .

فسارَ مَسِيرَ الشمسِ فى كل بَلْدَة ... وَهَبَّ هبُوبَ الرِّيحِ فى البَرِّ والبَحْرِ

وقال أبو تمام :

فإنْ أنا لم يَحْمَدْكَ عَـــنِّى صاغِراً ... عَدُوُّكَ فاعلم أننى غَـــيْرُ حامِدِ(١)

بِسَيَّاحَةٍ تَنْساقُ مِنْ غيرِ سائِقٍ ، ... وتَنْقادُ فى الآفاقِ مِنْ غيرِ قائِدِ

(٤) قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : لكانوا الظلال وكنت الضياء أو الليل وكنت النهار لكان أحسن فى التطبيق ؛ قال العكبرى : قلت يمكنه : لكانوا الليالى والوزن مستقيم .

---

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشده على غير رغبة منه لاستحسانه إياه .

أَشَدُّهُمُ فى النَّـدَى هِزَّةً ... وأَبْعَدُهُمْ فى عَدُوٍّ مُغَارَا[١]
سَمَا بِكَ هَمِّى فَوْقَ الْهُمُومِ ... فَلَسْتُ أَعُدُّ يَسَاراً يَسَارَا[٢]
وَمَنْ كُنْتَ بَحْراً لَهُ يَا عَـلِيُّ لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إلاَّ كِبَارَا[٣]

وقال يهنئه بعيد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ والأَعْيَادُ وَالْعُصُرُ ... مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ[٤]
تُرِى الأَهِـلَّةَ وَجْهاً عَمَّ نَائِـلُهُ ... فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ[٥]

---

(١) الندى : الجود ؛ والهزة ـ بالكسر ـ الأريحية ؛ والمغار : مصدر ميمى بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء ، وأبعد الناس مدى غارة فى العدو .

(٢) الهم : الهمة ، واليسار الغنى : يقول : علت همتى بخدمتك والانتماء إليك وبما يسرت لى من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب مافوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) الفطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر ـ بضمتين ـ لغة فى العصر وهو الدهر ويأتى أيضا جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحتى : حرف عطف ـ كالواو — يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شىء ، يعنى أن نورك عم كل شىء حتى الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما . هذا : وقال العكبرى ـ لمناسبة حتى ـ : وقد اختلف أصحابنا فى حتى فقالوا هى حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جر يجر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هى فى كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بعطائك فقد أنلت الأهلة بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .



مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إلاَّ رَوْضَةٌ أُنُفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِى دَهْرِهِ زَهَرُ[1]
مَا يَنْتَهِى لَكَ فى أيَّامِهِ كَرَمٌ فَلاَ انْتَهَى لَكَ فى أعْوَامِهِ عُمُرُ[2]
فإنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرَارِها شَرَفٌ وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ والْكِبَرُ[3]

(١) الأنف : التى لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمائل : الخلائق يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهى أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفى ؛ والضمير فى أيامه وأعوامه للدهر . يقول : ليس ينتهى كرمك فى أيام الدهر ، أى أنه يزداد كرما على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك فى أعوامه ، أى لا أنقص لك أجلا .

(٣) الضمير فى تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أى من التكرار يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهرم .



وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لزحام الناس ، فعاتبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .

فقال المتنبي ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :

ظُلْمٌ لِذَا اليَوْمِ وصْفٌ قَبلَ رُؤْيَتِهِ
لا يَصْدُقُ الوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ (١)

تَزَاحَمَ الجَيشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَباً ... إلى بِسَاطِكَ لِي سَمْعٌ ولا بَصَرُ (٢)

فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وأَغْيَبَهُ ... مُعَايِناً وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ (٣)

اليَوْمَ يَرْفَعُ مَلْكُ الرُّومِ نَاظِرَهُ ... لأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ (٤)

وَإِنْ أَجَبْتَ بِشَيْءٍ عَنْ رَسَائِلِهِ ... فَمَا يَزَالُ عَلَى الأَمْلاكِ يَفْتَخِرُ (٥)

قَدِ اسْتَرَاحَتْ إِلَى وَقْتٍ رِقَابُهُمُ ... مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي القَوْمِ يَنْتَظِرُ (٦)

---

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسببا : أي وصلة أتوصل بها : أي سبيلا . ثم قال في البيت الثاني : كنت في هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأني كنت شاهداً بشخصي ، وكنت أغيبهم عيانا لأني غبت معاينة إذ لم أر ما يجرى فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفعل تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينا : بدل من أشهد . والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعنده : بمعنى في اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازاً برضاك ، وقد كان مطرقا استخذاء وخوفا . لأن عفوك في اعتقاده ظفر وفلج .

(٥) يقول : إذا أجبته افتخر على الملوك .

(٦) يقول . لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغزوهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تفتر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .



وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالقَوْمِ غَيْرَهُمُ لِكَيْ تَجِمَّ رُءوسُ القَوْمِ والقَصَرُ(١)

تَشْبِيهُ جُودِكَ بالأمْطَارِ غَادِيَةً جُودٌ لِكَفِّكَ ثَانٍ نَالَهُ المَطَرُ(٢)

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً

كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ القَمَرُ(٣)

***

وقال لما أوقع سيف الدولة ببني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين عاثوا فى عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجفالهم من بين يديه وظفره بهم ، وله خبر طويل :

طِوَالُ قَنًا تُطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فى نَدًى وَوَغًى بِحَارُ(٤)

---

(١) الأظهر أن الضمير فى تبدلها : للسيوف — كما قال ابن جنى — لا للروم — كما ذهب إليه الواحدى — وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها والباء فى بالقوم : للعوض . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد النزح ، والقصر ، جمع قصرة أصل العنق . يقول : وقد تحارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتغيبهم ليتناسلوا ثم تعود إليهم فتهلكهم .

(٢) تشبيه : مبتدأ . خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول : إذا شبهنا جودك بالأمطار التى تأتى بالغدوات — وهى أغزرها — كان ذلك جوداً ثانياً لكفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبه به جودك .

(٣) تكسب — بحذف إحدى التاءين — أي تتكسب . يقول : إن الشمس تستفيد منك النور كما يستفيد منها القمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى حالها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة لقنا ؛ والندى : الجود . والوغى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التى تطاعنها قصار فى حقك ، لأنها لا تنالك ولا تبلغك ، ولأنها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار كما قال :

يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وفيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أنْ يَنَالَ وفيهِ طُولُ



وَفيكَ إذا جَنَى الجَانِي أَناةٌ   تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِيَ احْتِقَارُ[1]
وَأَخْذٌ لِلْحَوَاضِرِ وَالبَوَادِي   بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوَّدْهُ نِزَارُ[2]
تَشَمَّمُهُ شَمِيمَ الوَحْشِ إنْساً   وَتُنْكِرُهُ فَيَعْرُوهَا نِفَارُ[3]
وَمَا انْقَادَتْ لِغَيْرِكَ فِي زَمَانٍ   فَتَدْرِي مَا المَقَادَةُ وَالصَّغَارُ[4]

ثم قال : والقليل منك فى الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .

(١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجانى لا تسرع فى عقوبته . يظن ذاك لكرامة له عليك وهو احتقار له عن المكافأة ، لا كرامة .

(٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواضر : جمع حاضرة ، وهى خلاف البادية ؛ والمراد : أهل الحواضر والبوادى ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : نزار يريد العرب ؛ يقول : أنت تأخذ أهل الحضر والبدو بسياسة وضبط لم تتعودها العرب .

(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السياسة أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شمت ريح الإنس فتنفر ، فقوله : تشممه ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم فى أناة وتؤدة . ويقال : شممت الشيء أشمه وشممته أشمه شماً وشميما ، قال الصمة بن عبد الله القشيرى :

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار[1]

قال أبو حنيفة الدينورى : تشمم الشيء واشتمه أدناه من أنفه ليجتذب رائحته ، وتشممت الشيء شممته فى مهلة .

(٤) المقادة : الانقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم ينقادوا لأحد .

---

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البرى والبيت من أبيات هى :

أقولُ لِصاحِبِي والعِيسُ تَخْدِي   بنا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِمارِ
تَمَتَّعْ من شَمِيمِ عَرارِ نجْدٍ   فما بَعْدَ العَشِيَّةِ من عَرارِ
ألا يا حَبَّذا نفحاتُ نجدٍ   ورَيَّا رَوْضِهِ بعد القِطارِ
شهور يَنْقَضِينَ وما شَعَرْنا   بأنصافٍ لَهُنَّ ولا سِرارِ

فَقَرَّحَتِ المَقَاوِدُ ذِفْرَيَيْهَا ... وَصَعَّرَ خَدَّهَا هَذَا العِذَارُ(١)
وَأَطْمَعَ عَامِرَ البُقْيَا عَلَيْهَا ... وَنَزَّقَهَا احْتِمَالُكَ وَالوَقَارُ(٢)
وَغَيَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي ... وَأَعْجَبَهَا التَّلَبُّبُ وَالمُغَارُ(٣)
جِيَادٌ تَعْجِزُ الأَرْسَانُ عَنْهَا ... وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ(٤)
وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَاهَا ... نُفُوساً فِى رَدَاهَا تُسْتَشَارُ(٥)

---

(١) المقاود: جمع مقود، وهو الرسن، والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تعرق من البعير، ويجمع على ذفارى وذفارى: كصحارى وصحارى. والصعر: الميل فى الخد؛ وفلان صعر خده: أماله من الكبر، والعذار من اللجام ما سال على خدى الفرس. يقول: لما وضعت على العرب المقاود لتقودهم إلى طاعتك، وبالغت فى رياضتهم تقرحت ذفاريهم من جذب المقاود لرءوسهم: أى جعلتهم كالقرحى فى الذل والانقياد، وأمال خدودهم هذا العذار: أى أمالهم إلى طاعتك. والقرح: كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه. وروى الواحدى: فأفدحت ــ بالفاء ــ من أفدحه الدين: أثقله، يعنى: لما وضعت على العرب المقاود أثقلت مقاودك رءوسهم، لأنك ضبطتهم ومنعتهم عن التلصص والغارة فصاروا كالدابة تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة.

(٢) منع عامر من الصرف لأنه أراد القبيلة، ولذلك أنثها؛ والبقيا: اسم من الإبقاء؛ والنزق: الخفة والطيش. يقول: وأطمعهم فى العصيان إبقاؤك عليهم وعدولك عن الإيقاع بهم، وحملهم على الطيش أناتك وحلمك عنهم وتوقفك عن إهلاكهم.

(٣) تلبب الرجل: تحزم وتشمر؛ والمتلبب: المتحزم بالسلاح وغيره، والمغار: الإغارة. يقول: وغيرها عن الطاعة أنها كانت تتراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك؛ واغترت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحى والأطراف.

(٤) الجياد: الخيل، وهى مبتدأ محذوف الخبر: أى لهم جياد. يقول: إن لهم خيلا عجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رءوسها، أو تقول: لا تسعها الأرسان لكثرتها، أى أن لهم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان، ثم قال: وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم.

(٥) الضمير فى كانت: للفرسان؛ والردى: الهلاك. يقول: وكنت تتوقف عن إهلاكهم والإيقاع بهم جريا على عادتك فى الصفح والعفو؛ فكانوا ــ بهذا التوقف ــ كن

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ   وَفِى الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ(١)

فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ   وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ(٢)

وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبٌ   فَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا(٣)

تَلَقَّوْا عِزَّ مَوْلَاهُمْ بِذُلٍّ   وَسَارَ إِلَى بَنِى كَعْبٍ وَسَارُوا(٤)

فَأَقْبَلَهَا الْمُرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ   ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارُ(٥)

يستشار فى إهلاكه، وكانوا هم بعتوهم ــ واسترسامهم فى غيهم ــ كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم. وقد أقام الردى مقام الإرداء.

(١) و (٢) قائمه: مقبضه. وغراره: حده. والبدية والحيار: ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما. وشفرتا السيف: حداه. يقول: كنت سيفا لهم مقبضه فى أيديهم وحده فى أعدائهم فلما عصوك صارت شفرتاه حيث هم: أى فى البدية. أى سرت اليهم فى منازلهم، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك، وأهلكتهم بسيفك الذى كنت تذود به عنهم. وفى معناه قول جعفر بن علبة:

لهم صدرُ سيفى يومَ صحراء سَحْبَلٍ
وَلِى منهُ ما ضُمَّتْ عليه الأنامل

(صحراء سحبل: موضع)

(٣) يقول: كانوا فى التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبى إن بقوا على عصيانهم. وكعب: مبتدأ محذوف الخبر. أى حيث كعب كائنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل.

(٤) يقول: استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والانقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبرى: وذلك أن مشيخة بنى كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البدية فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلكت كعب

(٥) الضمير فى أقبلها: للخيل، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج: جعل وجوهها إليها. والمروج: المواضع ترعى فيها الدواب، وأراد مروج سلمية ــ موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا ــ ومسومات: معلمات بسمة تعرف بها؛ وضوامر: قليلة



تُثِـــيرُ عَلَى سَلْمِيَةَ مُسْبَطِرًّا ... تَنَاكَرُ تَحْتَهُ لَوْلَا الشِّعَارُ[1]

عَجَاجًا تَعْثُرُ العِقْبَانُ فِيـهِ ... كَأَنَّ الجَـوَّ وَعْثٌ أَوْ خَبَارُ[2]

اللحم . وهزال : جمع هزيل . والشيار : السمان الحسنة المناظر ، ولا هزال ولا شيار فى الأعراب ، مثل قول القائل :

* لا أمَّ لِى إنْ كَانَ ذَاكَ ولا أبُ *[1]

يقول : وجه خيله إلى الروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمرها عن هزال ؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هى أيضاً سمينة حسنة المنظر لأنها قد شعثت واغبرت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبطر : الغبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها . يقول : تثير خيلك على هذا المكان ـ سلمية ـ غبارا منتشرا لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضا ـ أى أصحاب الخيل ، أى الجيش لولا العلامة التى تتعارف بها . فقوله : تناكر ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى الخيل .

(٢) عجاجا : بدل من مسبطرا والعجاج : الغبار . والوعث من الأرض : السهل

(١) وصدر هذا البيت .

* هذا لعَمْرُكم الصَّغارُ بِعَيْنِهِ *

والبيت لهنى بن أحمر الكنانى ، شاعر جاهلى قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات جميلة يقول فيها . ـ

أَأُخَيَّ أَخْبرنى ولستَ بصادق ... وأخُوكَ ناصحُكَ الذى لا يَكْذِبُ

أمِنَ القضيةِ أنْ إذا استغنيتمُ ... وأمِنتُمُ فأنا الغريب الأجنب

وإذا الكتائبُ بالشدائد مرةً ... حجرتكم فأنا الحبيب الأقرب

وَإذا تكون كريهةٌ أُدْعَى لها ... وَإذا يُحاس الحَيْس يُدْعَى جُنْدَب

وَلِجُنْدَبٍ سَهل البلاد وَعَذْبها ... وَلِيَ الملاحُ وخبتهنّ المجدب

عَجَبٌ لِتلك قَضيةً وإقامَتِي ... فيكم على تلك القَضية أعجب

هــذا لعَمْركم الصغارُ بِعينهِ ... لا أم لى إن كانَ ذاكَ ولا أب

الحيس لبن وأقط وسمن وتمر يصنع منه طعام ، والخبت المطمئن من الأرض وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف فى بعض كلماتها .

وَظَلَّ الطَّعْنُ فِي الخَيْلَيْنِ خَلْساً ... كَأَنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارُ (١)

فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إِلَى قِتَالٍ ... أَحَدُّ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الفِرَارُ (٢)

مَضَوْا مُتَسَابِقِي الأَعْضَاءِ فِيهِ ... لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ (٣)

يَشُلُّهُمُ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ ... لِفَارِسِهِ عَلَى الخَيْلِ الخِيَارُ (٤)

وَكُلِّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ ... عَلَى الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ (٥)

الكثير الرمل ، وهو ماتغيب فيه القوائم لسهولته . والخبار : الأرض اللينة الرخوة . يصف الغبار بالكثافة ؛ يقول : إن العقبان التي تسير مع الجيش تعثر في ذلك الغبار وكثافته ، فكأن الجو أرض لينة تغوص فيها أرجل الطير فتعثر لكثرة ما ارتفع من غبار الخيل وكثافته .

(١) خلسا : أي اختلاسا وهو سرعة اختطاف الشيء خفية . يقول: ظلوا يتخالسون الطعن فيسرع فيهم الموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .

(٢) لزه إلى الشيء : ألجأه إليه وأدناه منه . يقول : أحوجهم طرادك إياهم إلى قتال شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم في الهرب والهزيمة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس تتعثر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتمنعها الأرجل وقال ابن جني : إذا ندر رأس أحدهم فتدحرج يعثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير المعهود أن يعثر الرأس بالرجل ؛ قال الواحدي : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم فهم ينهزمون فيسرعون ويعثرون .

(٤) يشلهم : يطردهم . والأقب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : المشرف المرتفع . يقول : يطردهم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء سبق : أي إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أصم : أي رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويعسل : يضطرب . وممار: مسال مهرق يقول : ويطردهم بكل رمح صلب يضطرب جانباه الأعلى والأسفل . قال الواحدي : وأراد بالكعبين اللذين في عامله . وهما يغيبان في المطعون ، ولذلك وصفهما بأن عليهما دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذي فيه السنان والذي فيه الزج ؛ فإن الطعن يقع بهما قال ابن جني : يجوز أن يريد بالتثنية الجمع ، لأن أول الجمع تثنية .



يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وِجَارُ[١]
إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضَّوْءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلَانِ لَيْلٌ وَالْغُبَارُ[٢]
وَإِنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءَ الْمَشْرَفِيَّةُ وَالنَّهَارُ[٣]
يُبَكِّي خَلْفَهُمْ دَثْرٌ بُكَاهُ رُغَاءٌ أَوْ ثُؤَاجٌ أَوْ يُعَارُ[٤]
غَطَا بِالْعِثْيَرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَحَيَّرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ[٥]

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب ـ هنا ـ مادخل من الرمح فى السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما . يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه فى نحره. ولقد أبدع فى هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجنح الليل : جانبه ؛ وانجاب : انكشف ؛ والمشرفية : السيوف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل ليل آخر من العجاج ـ الغبار ـ وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق السيوف : أى أنهم فى ليلين مظلمين من الليل والغبار ، وفى نهارين من ضوء السيوف والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحويا بين البصريين والكوفيين أثاره العلامة العكبرى النحوى الكوفى لمناسبة إعراب جنح الظلام، قال : ارتفع جنح الظلام ،عندنا بالابتداء ، وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل . وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل؛ وحجتنا أن إن الشرطيةهى الأصل فى باب الجزاء . فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكنى المرفوع معها فى الفعل هو الاسم الأول ، فينبغى أن يكون مرفوعا كقولهم: جاءنى الظريف زيد ، وإذا لم يكن مرفوعا لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملا ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع ، وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدثر : المال الكثير . والرغاء : صوت الإبل ، والثؤاج : صوت الغنم . واليعار : صوت المعز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين ، فكانت تصيح خلفهم لما ألم بها من التعب والإعياء فى السير : فالإبل ترغو ، والمعزى تيعر ، والغنم تثأج ؛ وكأنها بهذا الصياح تبكى .

(٥) غطاه وغطّاه : بمعنى ؛ والعثير : الغبار ؛ والمتالى : جمع متلية ، وهى الناقة

وَمَرُّوا بِالْجُبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا ... كِلاَ الْجَيْشَيْنِ مِنْ نَقْعٍ إِزَارُ(١)
وَجَاءُوا الصَّحْصَحَانَ بِلاَ سُرُوجٍ ... وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْخِمَارُ(٢)
وَأُرْهِقَتِ الْعَذَارَى مُرْدَفَاتٍ ... وَأُوطِئَتِ الْأُصَيْبِيَةُ الصِّغَارُ(٣)
وَقَدْ نُزِحَ الْغُوَيْرُ فَلاَ غُوَيْرٌ ... وَنِهْيَا وَالْبُيَيْضَةُ وَالْجِفَارُ(٤)
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ ، ... وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمُ دَمَارُ(٥)

يتلوها ولدها ؛ والعشار : التي قربت ولادتها ـ جمع عشراء . والمتالي والعشار : أعز أموال العرب ، ولذلك خصهما بالذكر . يقول : غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم ـ على حدة أبصارها ـ في ذلك الغبار ؛ ورواية ابن جني بالغنثر : بدل بالعثير ، والغنثر : ماء هناك ، وتحيرت ـ بالحاء ، بصيغة المجهول ـ فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرته حتى تحير منه سيف الدولة المتالي والعشار لما وصل إلى ذلك الماء.

(١) الجباة : اسم ماء . والنقع : الغبار . يقول : إنهم مروا بهذا الماء في هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك ، فاشتمل الغبار على الجيشين حتى صارا منه في إزار لشدة انتشاره .

(٢) الصحصحان : يريد بالصحصحان هنا : صحراء بعينها هناك ، وفي غير هذا الموضع كل أرض واسعة فضاء . يقول : جاءوا هذه الصحراء وقد انحلت سروج خيلهم فسقطت وسقطت عمائم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم في الهرب .

(٣) أرهقه : كلفه ما فيه مشقة . ومردفات : أي مركبات خلف الرجال ، وأوطئت أي جعلت الخيل تطؤها . فحذف الخيل للعلم بها ، والأصيبية : تصغير أصبية . جمع صبي ، والعذارى : جمع عذراء ، وهي البكر التي لم يفترعها فحل . يقول : إن العذارى قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها ، ولم يثبت الصبيان الصغار على الخيل في الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل . وعبارة ابن جني : أوطأوا الخيل الصبية لأنهم لم يقدروا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العذارى طلبا للنجاة وحفظا لهن .

(٤) هذه كلها مياه معروفة . يقول : لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش والجهد حتى لم يبق منها شيء ، ولذلك قال : فلا غوير .

(٥) يقول : لم يكن لهم مفزع يفزعون إليه إلا تدمر ، ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة ، ولكن خاب ظنهم ، إذ لم يعتموا أن غشيهم جيشه بها فصارت دماراً ـ هلاكا ـ لهم كاسمها . وتدمر هي المدينة المعروفة .

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا ... فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لا يُدَارُ(١)
وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ ... وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ(٢)
يَحُفُّ أَغَرَّ لا قَوَدٌ عَلَيْهِ ... وَلاَ دِيَةٌ تُسَاقُ وَلاَ اعْتِذَارُ(٣)
تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادِي ... وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ(٤)
فَكَانُوا الأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ ... عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ(٥)

---

(١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى فى تدمر ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم — إهلاكه إياهم — رأيا لا سبيل إلى تقليبه .

(٢) جيش : عطف على رأى ؛ يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء الهاربون على أرض واسعة حاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرته وتوافره ، فكأنه أوسع منها .

(٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر — سيد شريف — يعنى سيف الدولة — إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يراجع فيما فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .

(٤) تريق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجبار : الهدر الذى لا قود فيه ولا دية يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت فى معنى البيت السابق .

(٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطار بمعنى الطيران . قال العروضى ووافقه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم — فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إدراكهم هؤلاء القوم لأن الأسد — على قوته — لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا فى الهرب إسراع الطير فى الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم فى التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود فى قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير فى سرعة الجرى وراءهم . يقول : الأسود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا ينالونه بسلاحهم ولا وسعهم الهرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدركهم أينما ذهبوا . وعبارة ابن جنى ؛ كانوا أسداً قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ	بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ(١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّامًا وَخَلْفًا	فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ اضْطِرَارُ(٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ	فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ(٣)
وَلَوْ لَمْ تُبْقِ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا	وَفِى الْمَاضِى لِمَنْ بَقِىَ اعْتِبَارُ(٤)
إِذَا لَمْ يُرْعِ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ	فَمَنْ يُرْعِى عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ(٥)
تُفَرِّقُهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا	وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النِّجَارُ(٦)
وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرَكٍ وَعُرْضٍ	وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ(٧)

(١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا فى القفر من العطش ، فقام العطش فى قتلهم مقام الرماح

(٢) يقول : يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختياراً فى الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد ، فهم — لا محالة — هالكون .

(٣) المنار : العلم ينصب فى الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السماوة قامت له جثث قتلاهم بها مقام المنار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالمنار ؛ وهذا من قول ثابت قطنة :

هَدَاكَ اللهُ بِالْقَتْلَى تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشِّعَابِ

(٤) يقول : لولا إبقاؤك على من بقى منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم ، لا إفناءهم ، فكان فى من هلك منهم عبرة لمن بقى ، فلا يعصى لك أمراً أبداً .

(٥) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه — رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم . فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره .

(٦) السجايا : الطباع والأخلاق ، والنجار : الأصل . يقول : إن أصله وأصلهم واحد لاشتراكهم فى نزار ، إلا أن الطباع والاخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟ .

(٧) أرك وعرض : بلدان قرب تدمر ، والرقتان : بلدان على الفرات ، وهما الرقة والرافقة ، قيل لهما الرقتان تغليبا ، والضمير فى بها ولها للخيل . يقول : مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين :



وَأَجْفَلَ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ ... وَزَأْرُهُمُ الَّذِى زَأَرُوا خُوَارُ (١)
فَهُمْ حِزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى ... بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمِ خُمَارُ (٢)
فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فِى الصُّبْحِ مَالٌ ... وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارُ (٣)
حِذَارَ فَتًى إذا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ ... فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ (٤)
تَبِيتُ وُفُودُهُمْ تَسْرِى إِلَيْهِ ... وَجَدْوَاهُ التى سَأَلُوا اغْتِفَارُ (٥)
فَخَلَّفَهُمْ بِرَدِّ الْبِيضِ عَنْهُمْ ... وَهَامُهُمُ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ (٦)

يعنى بذلك طلبه لبنى كعب فى كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال بخيله على هاتين البقعتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .

(١) الزئير : صوت الأسد ، والخوار : للبقر : يقول . إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا ، فلما أتاهم أجفلوا من وجهه إجفال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات ــ جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والخمار بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين، فصاروا جماعات صرعى ــ مطروحين ــ حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تعب الحرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبالخمار ؛ مالحقهم من الخوف .

(٣) المراد بالمال : المواشى . يقول : لخوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر فى غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئاً ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو فى أقاصى البلاد أو فى الجواء ، فقوله : حذار ، مفعول له ، عامله فى البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يغدون إليه يسألونه العفو لاغير. والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وافد ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئاً .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث ــ وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها فى ملكه . وهذا كلام بديع .

وَهُمْ مِمَّنْ أَذَمَّ لَهُمْ عَلَيْهِ ... كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسَبُ النُّضَارُ[١]
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقِرًّا ... وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ[٢]
وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِى كُلِّ أَرْضٍ ... تُدَارُ على الْغِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ[٣]
تَخِرُّ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ ... وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ[٤]
كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ ... فَفِى أَبْصَارِنَا مِنْهُ انْكِسَارُ[٥]
فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ ... وَخَيْلُ اللهِ وَالْأَسَلُ الْحِرَارُ[٦]

---

(١) أذم لهم : صيرهم فى ذمامه ؛ والضمير فى عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شيء . يقول عقد الذمة لهم وصيرهم فى ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا المكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبحر ليس له قرار .

(٣) العقار : الخمر . يقول : إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب ــ جماعة شاربى الخمر ــ يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وسميت الخمر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلالنا إياه وإعظامنا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلا إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

يُغضِى حياءً ويُغضَى مِنْ مهابتِهِ

وهو من قول الآخر :

إن العُيونَ إذا رأتْكَ حِدادُها ... رَجعتْ من الإجلالِ غيرَ حِدادِ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنثى حرى . والحران



يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ ... بِأَرْضٍ مَا لِنَازِلِهَا اُسْتِتَارُ[1]

يُوَسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ ... طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الانْتِظَارُ[2]

تَصَاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ ... وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ[3]

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرماح ، فهذا على ـ اسم سيف الدولة ـ قد تفرع من قتا هؤلاء ومعه خيل الله ـ جيشه ـ والرماح العطاش لانها لا ترتوى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى. يقول : إنه دائما يسرى إلى أعدائه ويجوب إليهم الصحارى التى لا يستره فيها شيء فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائما يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتوه فيقاتلهم ، أى أنه دائما طالب لا هارب . والعادة أن الخائف ينزل المفاوز خوفا ممن يلحقه ، ولكن الممدوح ينزلها طلبا لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظا ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاهل ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كلمه سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ماتحصله : إن خيله تتصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إذا الخيلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النسورِ ... جَزَرنا شراسيفَهَا بالْجِذَمْ[1]

وأحد معنيي ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يجشمها به من ملاقاة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هيبه له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هى فى سرار وأخذه من قول عنترة :

---

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، والجذم ، جمع جذمة السوط .



بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إِلاَّ السِّوَارُ[(١)]

بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلاَلَتِهِ افْتِخَارُ[(٢)]

لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فِى نِزَارٍ وَأَدْنَى الشِّرْكِ فِى أَصْلٍ جِوَارُ[(٣)]

لَعَلَّ بَنِيهِمِ لِبَنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرَّحِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ[(٤)]

وازورّ مِن وقع القنا بِلبانِهِ وشكا إلىّ بعَبرةٍ وتحمحُمِ

(اللبان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة فى رندها أو معصمها ، وبنو كعب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التى يدميها السوار ، فإن اليد تتحلى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنو كعب يفتخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شركه ، بوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشار كونك فى الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة فى أصل جوار : أى ذمام ورعاية حرمه .

(٤) يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم . يقول : لعل أبناءهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلموا ، فإن المهار من الخيل تصير قرحا : أى أن الصغار تصير كبارا ؛ كما قيل :

وإنما القَرْمُ مِنَ الأفِيلِ وَسُحُقُ النخل مِنَ الفَسِيلِ

« القرم : الفحل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقلع من صغار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قارح ، وهو الذى استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهار جمع مهر ، الصغير من الخيل : هذا : ولمناسبة لعل : قال العكبرى : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هى زائدة ، وحجتنا أنها حرف ، والحروف فى الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة — التى يجمعها «هويت السمان» — إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تكاد تزاد فيما يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزاد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيما لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبَرُّ مَنْ لَوْ عُقَّ أَفْنَى ... وَأَعْفَى مَنْ عُقُوبَتُهُ الْبَوَارُ(١)

وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارٌ ... وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ(٢)

وَمَا فى سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ ... وَلاَ فى ذِلَّةِ الْعُبْدَانِ عارُ(٣)

***

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة فى كلامهم وأشعارهم بغير لام ، قال نافع الطائى :

ولستُ بِلوّامٍ عَلَى الأمرِ بعدما ... يفوتُ ولكن عَلّ أن أتقدما

(١) أبر : أفعل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال عق والده إذا عصاه ، وهو ضد «بره» وأعفى : تفضيل من العفو ، والبوار : الهلاك . يقول : أنت أبر الذين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تفن ، وأنت أعفى الذين يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ، وإذاً لا تفنى من عصوك ولا تؤذيهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ماتطلب ، فأنت أقدر المنتصرين ، وأنت أحلم من يدعوه إلى الحلم اقتداره على عدوه فصفح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعفى والأصفح عن العدو إذا اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لأنك ربهم — سيدهم — ولا فى تذللهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعيرَتْنى بَنو ذُبيانَ رَهبتَهُ ... وهَلْ عَلَيَّ بأن أخشاكَ من عارِ ؟

وكما قال الآخر :

وإن أميرَ المؤمنين وفِعْلَهُ ... لكالدهرِ لا عارٌ بما فعل الدهر

وقال أبو تمام :

خَضَعتْ لِصولَتِكَ التى هى عِندهم ... كالموت يأتى لَيْسَ فيه عارُ

وقال ارتجالا يهجو سوارا الديلمى وقد نزلوا منزلا أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّـــــةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ ... وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرْبِ عُقَارِ (١)

نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَاحِ بِمَسْجِدٍ ... عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبَا حَصًى وَغُبَارِ (٢)

خَلِيـــلَىَّ مَا هٰذَا مُنَاخًا لِمِثْلِنَا ... فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلَا بِنَهَارِ (٣)

وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا ... قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ (٤)

وقال فى صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أنهما بيتان وهما :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتُرُ الْفَقْـــرَ قَاعِداً ... فَقُمْ وَاطْلُبِ الشَّىْءَ الَّذِى يَبْتُرُ الْعُمْرَا (٥)

هُمَا خَلَّتَـــــانِ ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ ... لَعَلَّكَ أَنْ تُبْقِى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرَا (٦)

---

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن — أعلم — بعضهم بعضاً بالبوار — الهلاك — أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهازيل أسفار لاحراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى ، فأنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والعقار : الخمر

(٢) يقول تحكمت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ماسترتنا به .

(٣) المناخ : المنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلا لنا فشدا رحالكما على الإبل وارحلا قبل هجوم الليل . فالضمير فى عليها : للابل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفا عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا فى المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يبتر : يقطع ؛ وقاعداً : حال من المخاطب ؛ وأراد بما يبتر الفقر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى فقم واطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسره بها ؛ والخلة الخصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن — هنا — زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال فى صباه فى جعفر بن كيغلغ ولم ينشده إياها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ ... وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ[(١)]

وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ ... وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لاَ تَخْفَى سَرَائِرُهُ[(٢)]

لَوْلاَ ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شُغِفْتُ بِهِمْ ... وَلاَ بِرَبْرَبِهِمْ لَوْلاَ جَآذِرُهُ[(٣)]

الاستقبال ، كما تزاد فى خبر عسى . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فافعل لعل أحد هذين يخلد ذكرك .

(١) حاشاه : تجنبه وتوقاه . والضمائر : جمع ضمير ، وهو ما يضمره الإنسان ويخفيه . وغيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانهلت : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانه وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سيره .

(٢) متذر لما فى البيت الأول . يقول : إن الذى يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينهتك ستره ؛ لأنه يجزع ويبكى ، فيستدل بجزعه وبكائه على حبه .

(٣) كنى بالظباء عن النساء ،وعدى : قبيلة من قريش . وكنى بالربرب — وهى القطيع من بقر الوحش — عن جماعة النساء مطلقا . وبالجآذر — جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية — عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللائى هن كالظباء فى عيونهن وأعناقهن ماشغفت بالقبيه كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسائهم جميعاً ، ويروى بدل ماشغفت : ما شقيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسائهم الحسان ، ولولا الشواب ماشقيت بالكبار فى مضايقتهن . وإليك طرفة نحوية للعلامة العكبرى قال : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وحجتنا أنها ترفع الاسم لأنها نائبة عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجئت : أى لو لم يمنعنى زيد . إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقا انطلقت معك قال الشاعر :



. . . .

أبا خُراشة أمّا أنت ذَا نفَرٍ فإنّ قَومِيَ لم تأكُلْهم الضَبُعُ[1]

تقديره أن كنت ، فحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في اليمانى عوضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذى يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين العوض والمعوض . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لادَرّ دَرُّكِ إنّى قَدْ رَمَيْتهمُ لَوْلا حُدِدْتَ وَلاَ عُذْرَى لِمَحْدُودِ[2]

---

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمى الصحابى رضى الله عنه وبعد :

السِلْمُ تأخُذُ مِنْها ما رَضِيتَ به والحربُ يكفيكَ مِنْ أنفاسِها جُرَعُ

وأبا خراشة : منادى ؛ وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن ندبة ، وندبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابى ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الخنساء . وأنت اسم لكانْ المحذوفة ؛ وذانفر : خبرها . وروى هذا البيت : أبا خراشة أما كنت ذا نفر ، وعليها لا شاهد فى البيت : وما : زائدة . ونفر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت فى الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفى به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة الجدبة فقالوا: أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابى : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم . فعاثت فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم . يقول : إن قومى ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئاب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهى ملء الفم يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه مايريد ، فإذا جاءت الحرب قطعته عن لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنفاسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح ــ أحد بنى ظفر من سليم بن منصور ــ وقبله :

قالَتْ أُمَامَةُ لمّا جِئْتُ زائِرَها هَلاَّ رَمَيْتَ بِبَعْضِ الأسْهِم السودِ

وبعده :

إذ هُمْ كَرِجْلِ الدَّبَى لادرّدَرُّهُمُ يَغزون كُلَّ طُوال المَشْيِ مَمْدُودِ



مِنْ كُلِّ أحْوَرَ فى أنيابِهِ شَنَبٌ ... خَمْرٌ يُخامِرُها مِسْكٌ تُخامِرُهُ (١)
نُعْجٌ مَحاجِرُهُ دُعْجٌ نَواظِرُهُ ... حُمْرٌ غَفائِرُهُ سُودٌ غَدائِرُهُ (٢)
أعارَنى سُقْمَ عَيْنَيْهِ وَحَمَّلَنى ... مِنَ الهَوَى ثِقْلَ ما تَحْوِى مآزِرُهُ (٣)

(١) الحور : شدة بياض العين فى شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال: هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى فى إعراب خمر : إلى أنهامبتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفة لخمر ؛ وتخامره :ضمير الفاعل فيه للخمر؛وضمير المفعول: للشنب. والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، ومايليها ـ إلى آخر البيت ـ صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور فى أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك . وقال بعض الشراح : قوله من كل :« من» متعلقة بمحذوف ، حال من جآذره .

(٢) نعج : جمع أنعج ، والنعج : البياض . والمحاجر : جمع المحجر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها بيضا لبياض ألوانهن ، والدعج : السواد ، والنواظر : الأحداق، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقى بها المرأة الخمار من الدهن ، وقد تكون اسما للخمار . جعلها حمراً لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الحمر فإنما جعلها حمرا لأنهن شواب ، كما قال :

* حُمْرَ الحُلى والمَطايا والجَلابِيبِ *

والغدائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :

ضَعِيفَــــةٌ أجفانُهُ ... والقَلْبُ مِنهُ حَجَرُ

فما تَرَكْتُ أبا بِشْرٍ وصاحِبَهُ ... حتى أحاطَ صَرِيحُ الموتِ بالجِيدِ

وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بواديقال ذات البشام ؛ وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان فى كنانة الجموح نبل معلمة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعته فى عدوه ، فقتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنولحيان تلك الليلة وأعجز الجموح ، فقالت امرأته ـ واسمها أمامة ـ وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ؟ وحددت ـ بالباء للمفعول ـ أى حرمت ومنعت والعذرى : اسم بمعنى المعذرة . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ـ ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؛ والرجل : القطعة من الجراد ؛ والدبى : أصغر الجراد ؛ والطوال ؛ الطويل .

يامَنْ تحكَّمَ فى نفسى فعذَّبنِى ... وَمَنْ فؤادى عَلَى قتلِى يُضافِرُه(١)

بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الغرَّاء ثانيــةً ... سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيلَ ساهِرُهُ(٢)

كأنما ... الحاظُهُ ... مِن فِعلهِ تعتَــذِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المئزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل . يقول : أمرضنى كمرض جفونه ، وأثقلنى بالهوى كثقل أردافه . وهذا كقول منصور ابن الفرج :

حلَّ فى جِسْمِيَ ما كا ... نَ بِعَيْنَيْكِ مُقيما

ومثله للبحترى :

وكأنّ فى جِسْمى الذى ... فى ناظِرَيْكِ مِن السَّقَمْ

وقال السرى الرفاء :

ونواظِرٍ وَجَدَ المُحِبُّ فُتورَهَا ... لمّا استَقَلَّ الحى – فى أعْضائه

ويعجبنى قول العكبرى : وذكر الكفل فى الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافرة : المعاونة . يقول : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلو مع ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال: قلب العاشق عون عليه مع حبيبه : ويقول العباس ابن الأحنف :

كَيْفَ احْتِراسِي مِنْ عَدوِّى إذَا ... كَانَ عَــدُوِّى بينَ أضْلاعِي

(٢) هذا تخلص . يقول : لما عادت دولة الممدوح – وكان قد عزل ثم ولى ثانيا ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبرى : وهذا نقص ، لأن المحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلوه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن البحترى بقوله :

أحب على أيما حالة ... إساءة ليلى وإحسانها

والمحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلو رده الحب الصادق عما كان عزم . ولقد أحسن البحترى أيضا بقوله :

أحنو عليك وفى فؤادى لوعة ... وأصد عنك ووجه وُدِّى مقبل

وإذا طلبت وصال غيرك ردنى ... وله إليك وشافع لك أوّل

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لاَ صَبَاحَ لَهُ   كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ(١)
غَابَ الأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ   كَادَتْ لِفَقْدِ اسْمِهِ تَبْكِى مَنَابِرُهُ(٢)
قَدْ اشْتَكَتْ وَحْشَةَ الأَحْيَاءِ أَرْبُعُهُ
وَخَبَّرَتْ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ(٣)
حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِبَابُ لَهُ   أَهَلَّ لِلَّهِ بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ(٤)
وَجَدَّدَتْ فَرَحاً لاَ الْغَمُّ يَطْرُدُهُ   وَلاَ الصَّبَابَةُ فِى قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ(٥)
إِذَا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصٌ لاَ خَلَتْ أَبَداً
فَلاَ سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ(٦)

---

(١) يقول : من بعد ما كنت أقاسى من الحزن مايسهرنى فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر . وهذه مبالغة فى وصف الليل بالطول

(٢) هذا من قول أشجع السلمى :

فَمَا وَجْهُ يَحْيى وَحْدَهُ غَابَ عَنْهُمُ   وَلَكِنَّ يَحْيى غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعَا

ويقول الآخر .

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا   أَبْكَى الْمَنَابِرَ فَقْدُ فَارِسِهِنَّهْ

(٣) الضمير فى أربعه ومقابره : للبلد ؛ والوحشة . الاكتئاب يجده الإنسان عند اعتزاله الناس ؛ والربع : المنزل ؛ والأسى : الحزن . يقول : لما غاب الأمير عن البلد حزن لغيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم ، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم .

(٤) المراد بالقباب — جمع قبة — تلك التى تتخذ للزينة والنثار ؛ وعقدت : ضربت وأهل لله : أى رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته .

(٥) يقول : إن عودة دولته جددت فرحا لا يغلبه الغم ولا يجاوره الشوق فى قلب : أى لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق .

(٦) حمص . بلد الممدوح . وقوله لا خلت أبدا ، جملة دعائية معترضة جميلة . يقول : إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر — أى لا أنبتت — ولا سقاها باكر الوسمى . والوسمى : أول مطر الخريف ، سمى كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثراً فى أول السنة . والولى : ثانيه . وباكره أوله ، ومنه باكورة الثمار .

دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ ... وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ الْخَلْقِ بَاهِرُهُ (١)

فِى فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ ... صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)

تَمْضِى الْمَوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ ... مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ (٣)

قَدْ حِرْنَ فِى بَشَرٍ فِى تَاجِهِ قَمَرٌ ... فِى دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظَافِرُهُ (٤)

حُلْوٍ خَلَائِقُهُ شُوسٍ حَقَائِقُهُ ... تُحْصَى الْحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ (٥)

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ ... كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)

إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِى طَرَفٍ ... مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

---

(١) باهره : غالبه ؛ والضمير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها — ضياؤها — يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس

(٢) الفيلق : العسكر ، وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها . يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهى حركاته وصروفه التى تدور على الناس وتأتى حالا بعد حال .

(٣) المراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون فى الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، والميمون : المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لاتنظر إلى غيره .

(٤) حرن : أى الأبصار ، وأراد بالبشر : الممدوح ؛ وبالقمر : وجهه ؛ وجعله أسدا فى درعه لشجاعته ، وتدمى أظافره : أى تتلطخ لكثرة مايفترس من الأعداء

(٥) الخلائق : جمع خليقة ، وهى الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر ؛ والحقيقة ؛ مايحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال: فلان حامى الحقيقة. يقول: إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محمية ممنوعة لايقدر أن ينال منها أحد ، فهى ممتنعة امتناع المتكبر ، وهو كثير المآثر حتى لاتكاد تحصى .

(٦) هذا من قول أبى تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَانَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ ... كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

(٧) تغلغل فى الشىء : دخل فيه وأمعن يكون فى الجواهر والأعراض . يقول : إن أدنى مجده يستغرق الفكر والخواطر لمن أراد أن يصفه .

تَحْمَى السُّيُوفُ على أَعْدَائِهِ مَعَهُ ... كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ (١)

إذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَداً ... إلاَّ وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ (٢)

فَقَدْ تَيَقَّنَّ أَنَّ الْحَقَّ فِى يَدِهِ ... وَقَدْ وَثِقْنَ بِأَنَّ اللهَ نَاصِرُهُ (٣)

تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَعْلَبَةٍ ... عَلَى رُءُوسٍ بِلاَنَاسٍ مَغَافِرُهُ (٤)

فَخَاضَ بالسَّيْفِ بَحْرَ المَوْتِ خَلْفَهُمُ ... وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ زَاخِرُهُ (٥)

---

(١) حمى الشىء يحمى : اشتد حره ؛ والعشائر : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يغضبون لغضبه ؛ وهذا من قول أبى تمام :

كَأَنَّهَا وَهْىَ فى الأَوداجِ وَالِغَةٌ ... وَفى الْكُلَى تَجِدُ الغَيْظَ الذى تَجِدُ

ويقول البحترى :

وَمُصْلَتَاتٍ كَأَنَّ حِقْداً ... بِهَا عَلَى الهَامِ وَالرِّقَابِ

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أغمادها ليحارب بها لم تترك جسداً إلا قطعته إربا حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره .

(٣) أى لكثرة مارأت ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعلمت وهذا ينظر إلى قول النابغة الذبيانى :

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعانِ أَوَّلُ غَالِبِ

(يصف النابغة عصائب الطير التى تتبع الجيش) .

(٤) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على المثل ، وقد يراد هنا . وعوف وثعلبة : قبيلتان ؛ والمغافر : جمع مغفر ، وهو مايغفر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغافرة : للهام . وعلى رؤس : خبر مقدم . ومغافرة مبتدأ مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثان لتركن . يقول : إن سيوفه فرقت بين رءوس هؤلاء القوم ــ وكان قد أوقع بهم ــ وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رءوس بلا أبدان قال ابن جنى : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها المغافر .

(٥) زخر البحر : طمى موجه وعلا . قال ابن جنى : أى ركب معهم أمر عظيما



حَــتَّى أنتهى ٱلفرسُ ٱلجَارِى وَمَا وَقَعتْ
فِى ٱلأَرْضِ مِنْ جُثَثِ ٱلقَتْلَى حَــوَافِرُهُ(١)

كَمْ مِنْ دَم رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهْجَةٍ وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ(٢)

وَحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ ٱلرِّمَاحِ بِهِ فَٱلعَيْشُ هَاجِرُهُ وَٱلنَّسْرُ زَائِرُهُ(٣)

مَنْ قَالَ لَسْــتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ
فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّــــاسِ عَاذِرُهُ

أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فِى زَمَانِهِمِ بِلاَ نَظِيرٍ فَفِى رُوحِى أُخَاطِرُهُ(٤)

يَا مَــنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ وَمَنْ أُعُــوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ(٥)

وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ ٱلبَحْرَ رَاحَتُهُ جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَــوَاهِرُهُ

لاَ يَجْبُرُ النَّــــاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ
وَلاَ يَهِيضُــونَ عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ(٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلا للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره فى نظره . وقال الواحدى : بحر الموت : الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء إلا أنه لم يغرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطئ أجسادهم . ويروى بدل جثث : جيف .

(٢) الأسنة : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بألسنتها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكم من حائن — هالك — لعبت رماحك به — أى نالت منه وقتلته — فهجرته الحياة وفارقته ، وزاره النسر ليأكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال: خاطر فلان فلانا على كذا : أى راهنه عليه . ويكون عادة فى السباق وفى رمى النبل وإنما قال هذا لثقته بكونه فردا .

(٥) ألوذ : أعوذ وألجأ . ومثله لابن الرومى :

ولا العَائذُ اللاَّجى إليه بخائفٍ ولا الرائدُ الراجى نَدَاهُ بخَائِبِ

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيض: الكسر بعد الجبر ، يقال: هضت العظم فهو



وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحترى المنبجى :

أَرِيقُكِ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ(١)

أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذَا الدِّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ ... وَذَيَّا الَّذِي قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَغْرُ(٢)

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي ... فَقُلْنَ نَرَى شَمْساً وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ(٣)

مهيض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لا يقدرون على خلافك فى حال من الأحوال . «هذا» ويروى بعد هذا البيت بيت قال الواحدى: إنه منحول وهو :

ارْحَمْ شَبَابَ فَتًى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ ... يَدُ الْبِلَى وَذَوَى فِي السِّجْنِ نَاضِرُهُ

(أودى به : أهلكه . والجدة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)

(١) يقول : لست أدرى : أريق ماذقته من فمك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ، وهو بارد فى فمى ، حار فى كبدى . لأنه يحرك الحب ويذكى جمر الهوى ؟

(٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالغصن : قوامها ، وبالدعص — وهو كثيب الرمل — ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنا وردفك كثيباً ؟ كما قال أبو نواس :

قَمَرٌ لَوْلَا مَلَاحَتُهُ ... خَلَتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

و«ذيا» : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ، أو إرادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقائه .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس فى الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسبن وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبها كان ذلك أدل على حسنها . ولله أبو تمام إذ يقول :

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى ... قُلُوباً عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ

نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى ... لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْمُجَزَّعُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ

رَأَيْنَ الَّتِي لِلسِّحْرِ فِي لَحَظَاتِهَا سُيُوفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرُ(١)

تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرَكَاتِهَا فَلَيْسَ لِرَاءٍ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرُ(٢)

إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ بِيَ الْبِيدَ عِيسٌ لَحْمُهَا وَالدَّمُ الشِّعْرُ(٣)

نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرُ(٤)

---

(١) الظبى : أطراف السيوف ، جمع ظبة : قال بشامة بن حزن النهشلى :

إذا الكماةُ تنحَّوا أن ينالَهُمُ حَدُّ الظبات وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة : ظبو، بوزن جرد ، لحذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظبات ، وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعاوَرُ أيمانُهم بينهم كئوسَ المنايا بحدِّ الظُّبينا

لما جعل سحر عينيها قاتلا استعار له سيوفا ثم جعلها حمر الظبى من دمه لأنها تقتله .

(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن فى حركاتها قد بلغ الغاية فى ذلك ، فمن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتى عليه فليس له عذر ، لأن مثل هذا الحسن قاتل .

(٣) البيد : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عنس ؛ والعنس . الناقة الصلبة قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سنها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل هو التى اعنونس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كم قدْ حَسَرْنا مِنْ عَلاة عَنْسِ *

وقوله : لحمها والدم الشعر . يقول : كنت أحدوها بشعرى الذى مدحتكم به فتقوى على السير : أى أن شعرى قام لها مقام اللحم والدم فى تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم أن الإبل إذا سمعت الغناء والحداء نشطت للسير . وروى الخوارزمى ، الشعر — بفتح الشين — يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها البيت التالى ، ولأنه لا شعر للابل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشىء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه: رشه فذهب.



إلى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفُهُ ... وَبَحْرِ نَدًى فى مَوْجِهِ يَغْرَقُ البَحْرُ (١)
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودُهُ مِنْ تَلِيدِهِ ... شَبِيهاً بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْهَجْرُ (٢)
فَتًى كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ ... رِمَاحُ الْمَعَالِي لا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ (٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ ... فَنَائِلُهَا قَطْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرُ (٤)
وَلَوْ تَنْزِلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ ... لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ (٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيح : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعرى الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة — يعنى غلة عطشها — فأسرعت واستقربت البعيد لنشاطها على هذه الذكرى وهذا المديح .

(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألحمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحيم : أو تقول: يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمة له . يعنى أن الممدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يغرق فى موجه بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال المورث من الآباء يقول : سارت ناقتى إليه وقصدته وإن لم أكن واثقا بإبقاء نواله شيئاً من ماله ، يعنى أن جوده لا يبقى من ماله إلا المقدار اليسير الذى لا مطمع فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى الهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام.

(٣) احتوى الشىء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالى تغزو أموال الممدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فماله عرضه لرماح المعالى تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لان أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه وينهبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل . العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا . كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطاياه ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر مافيها شيئاً يسيرا بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا *

أَرَاهُ صَغِيراً قَدْرَهَا عُظْمُ قَدْرِهِ ... فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ(١)

مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ ... تَخِرَّ لَهُ الشِّعْرَى وَيَنْخَسِفِ البَدْرُ(٢)

تَرَ الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي ... لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ(٣)

كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... يُؤَرِّقُهُ فِيمَا يُشَرِّفُهُ الْفِكْرُ(٤)

لَهُ مِنَنٌ تُفْنِي الثَّنَاءَ كَأَنَّمَا ... بِهِ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ(٥)

---

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشىء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يربى على كل شىء . فقوله: أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر ـ فى آخر البيت ـ وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعرى : الشعرى العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب فى الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعرى » . يقول : إن وجهه أتم نوراً وإضاءة من الشعرى والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعرى حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تخر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من المضاعف . قال العكبرى : وفتحه قوم ورفعه آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيبويه لا غير ، نحو لم يرده ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، «لايضركم» برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر ـ بغير ياء ـ بدل من جواب الشرط ـ فى البيت السابق ـ ومن رواه بالياء جعله استئنافا للمخاطب ، يقول : ترى الشعرى برؤيته القمر الأرضى ، أو ترى أنت أيها الرائى برؤيته القمر الارضى ، وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا فى السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر فى كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(١) يقول : إن مننه على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكأنها أقسمت بحق الممدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجرى فيه حنث ، ومن ثم كانت مننه زائدة على ثناء المثنين وشكر الشاكرين . والمنن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان ، يقال لحقت فلانا من



أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلاَّ لِأَهْلِهِ
وَمَا لِامْرِىءٍ لَمْ يُمْسِ مِنْ بُحْتُرٍ فَخْرُ (١)

هُمُ النَّاسُ إِلاَّ أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُغَنِّى بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرُ (٢)

بِمَنْ أَضْرِبُ الأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقِيسُهُ
إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ (٣)

***

فلان منة : أى، نعمة . والثانى : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدئ فيه ويعيد حتى يفسده وينغصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بحتر : قبيلة الممدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون فى البلاد؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال فى المفرد : سافر . يقول : هم الناس فى الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة المكارم ، لكثرة ماركب فيهم من الكرم ـ ضد اللؤم ـ فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما قيل فيهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أى اشترك المقيم والمسافر فى ذلك . فقوله من مكارم : من فيه لبيان الجنس : أى أنها مخلوقون من طينة المكارم :

(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقايس بينه وبينك وأوازن ، لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذى يتصرف على مرادك والذى تحدث أنت فيه النعيم والبؤس . وعبارة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين بعين أووصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شىء لم يمكن ضرب المثل بشىء فى مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس بإلى : لأن فيه معنى الضم والجمع .



وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى :

إنّى لأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِــيرُ ... أنَّ الحَيَاةَ وَإنْ حَرَصْتَ غُرُورُ[(١)]

وَرَأَيْتُ كُلاًّ مَا يُعَلِّلُ نَفْسَــهُ ... بِتَعِلَّةٍ وَإلَى الْفَنَاءِ يَصِــيرُ[(٢)]

أَمُجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ ... فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنّــورُ[(٣)]

---

(١) اللبيب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خبير ، والجملةاعتراضية ؛ وأن ومايتصل بها : صلة أعلم . والواو من «وإن حرصت» للحال ; والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلية محذوفة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم الغين على المصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدى : قوله: واللبيب خبير ، إشارة إلى أنه هو لبيب ، لذلك علم أن الحياة ـ وإن حرص عليها الإنسان ـ غرور يغتر بها الانسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحترى :

وليْسَ الأمانى فى البقاء وإنْ مَضَتْ ... بهِ عادَة إلا أحاديث باطِــلِ

ومثله لابن الرومى :

ومَنْ يَرجُو مُسالَمَةَ الليالى ... لمَغــرور يُعَلَّلُ بالأمانى

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم » وعلله بالشىء : لهاه به وشغله ومناه ؛ ويصير : ينتهى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشىء يلهيها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشىء : دفنته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفى حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه، كأنه خرج من ديماس. يعنى فى نضرته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقيراط وقراريط ، وبفتح الدال: يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شىء ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل الميت رهن القبر لإقامته هناك إلى يوم البعث. فكأن القبر استرهنه ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه. وقوله: رهن قرارة ، نصب على الحال . وقال ابن جنى : ويصح أن يكون بدلا مما قبله ، فيكون منادى مضافا .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِى الثَّرَى
أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِى التُّرَابِ تَغُورُ (١)

ما كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِى الرِّجَالِ تَسِيرُ (٢)

خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ (٣)

وَالشَّمْسُ فِى كَبِدِ السَّماءِ مَرِيضَةٌ وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ (٤)

---

(١) تغور : تذهب وتختفى . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفى فى التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت فى التراب . وفى هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسِب والمنية كاسمها أن المنية فى الكواكب تطمع

هذا : ويقال : أحسب وأحسب ــ بكسر السين ، وفتحها ــ فى المضارع . ولا خلاف فى كسرها فى الماضى .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه المرثى به لعظمه وفخامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسم فِى نَعْشِه قومُوا انظرُوا كيف تَسِيرُ الجبال

ولا بن الرومى :

من لم يعاين سيرَ نعش محمد لم يَدْرِ كيف تُسَيَّرُ الأجبالُ

(٣) الصعقات : جمع صعقة ، وهى الغشية ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فحذف وقد قرئ بالمد : أى جعله أرضا دكاء فحذف لأن الجبل مذكر ، ومن هذا : دك الركية إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل ــ على صيغة مالم يسم فاعله ــ فهو مدكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم دك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

(٤) كبد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتمور : تذهب وتجىء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأنها مريضة ، واضطربت الأرض فهى تذهب وتجىء وهذا كله تعظيم لموت المرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :



وحَفِيفُ أجْنِحَةِ الملائِكِ حَوْلَهُ ... وَعُيُونُ أهْلِ اللاذِقِيَّةِ صُــــورُ(١)

حَتَّى أتَوْا جَدَثاً كأنَّ ضَرِيحَهُ ... فِى قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُــــورُ(٢)

بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلَى مِنْ مُلْكِهِ ... مُغْفٍ وَإثْمِدُ عَيْنِهِ الـكافُورُ(٣)

الشمْسُ طالِعَةٌ ليست بكاسِــفَةٍ ... تبكى عليكَ نجومَ الليلِ والقمرا(١)

ويقول ابن الرومى :

عَجِبْتُ للأرضِ لم ترْجُفْ جـوانبُها ... وللجبـالِ الرّواسِى كيف لم تَمِدِ

عَجِبتُ لِلشمْسِ لم تَـكسِفْ لِمَهْلِـكِهِ ... وهْوَ الضِّـياء الذى لولاه لم تَقِدِ

(١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك على غير قياس — وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللهُ يَعْـلَـمُ أنَّا فى تَلَفُّتِنا ... يومَ الوَدَاعِ إلى أحبابنا صُورُ

واللاذقية : بلد المرثى . يقول : أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقا إليه وحزنا عليه لشدة حبهم إياه ، أو لأنهم — كما قال بعض الشراح — يسمعون حس الملائكة فيميلون إلى ذلك الحس الذى يسمعونه . قال العكبرى : وقوله: اللاذقية وصور — وهما بلدان — فيه تورية :

(٢) الجدث : القبر ؛ والضريح : الشق فى وسط القبر . واللحد فى جانبه . وقوله حتى : غاية لخرجوا — فى البيت الأسبق — تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا من قول ابن الزيات :

يقول لِىَ الخلاَّنُ لو زرْتَ قبرها ... فقلت وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ ؟

(٣) بمزود : متعلق أتوا — فى البيت السابق — والمغفى : النائم ، وأغفى إغفاء : فهو مغف ؛ والإثمد : الكحل الأسود ؛ وملكه : تقرؤها بضم الميم وبكسرها — روايتان — يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يبلى ، وقد جعل الكافور — الذى يذر

---

(١) يقول : إن الشمس طالعة تبكى عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها فى طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالتُّقَى ... وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجَى وَالْخِيرُ(١)
كَفَلَ الثَّنَـاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ ... لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ(٢)
وَكَأَنَّمَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ ... وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ(٣)

***

على وجه الميت — فى موضع الكحل . وعبارة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا يبلى ، وهو مغمض كالنائم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور — لا بإثمد — والإثمد : كحل الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير . الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن المعذل

فَضْلٌ وحزْمٌ وجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ ... ومَكْرُماتٌ طواها التُّرْبُ والمطر

(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكرهم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى ذكره كأنه لم يمت ، وهذا من قول منصور النمرى :

رَدَّتْ صنائعُه إليهِ حياتَهُ ... فكأنَّهُ مِن نشْرِها مَنشورُ

ويقول أبو تمام :

سَلفوا يَرونَ الذِّكرَ عيشاً ثانياً ... ومَضَوْا يَعُدونَ الثناء خُلودا

ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال العكبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحييه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :



واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غاضَتْ أنَامِلُهُ وَهُنَّ بُحُورُ ... وَخَبَتْ مَكَايِدُهُ وَهُنَّ سَعِيرُ (١)

يُبْكَى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ ... في اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ (٢)

صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّمًا ... إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ (٣)

فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ ... وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ (٤)

أيَّامَ قَائِمُ سَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْيُمْنَى وَبَاعُ الْمَوْتِ عَنْهُ قَصِيرُ (٥)

وَلَطَالَمَا انْهَمَلَتْ بِمَاءٍ أَحْمَرٍ ... فِي شَفْرَتَيْهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورُ (٦)

فَأُعِيذُ إِخْوَتَهُ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ ... أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورُ (٧)

---

(١) غاضت : غارت ؛ وخبت النار : سكن لهبها : والمكايد : جمع مكيدة ، وهى مايدبره الرجل فى الحرب وغيرها من الرأى : والسعير تسعر النار : يقول : لمامات غاض بحر جوده الذى كان يفيض على الناس بالعطاء وانطفأت نار كيده وكانت سعيراً على أعدائه :

(٢) يقول : ليس من حقه البكاء عليه ، لأنه لم يستقر فى قبره حتى صافحته الحور فى جنة الخلد ، وإذاكان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء ، قال الشاعر :

إن يكن مُفرَداً بغيرِ أنيسٍ ... فعسى أن يكون بالحور آنس

هذا ويجوز فى « قراره » الرفع على الفاعلية ، والنصب على المصدر . قال ابن جنى : ويختار النصب :

(٣) على العظيم : أى على الأمر العظيم : وروى ابن جنى عن العظيم : أى عن المفقود العظيم :

(٤) يقول : ليس فى العالم مثلكم ولا مثله ، وكلاكما عظيم :

(٥) العامل فى أيام : محذوف ؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ : أى أيام يقاتل أعداءه ، ويد الموت غير ممتدة إليه ، أو تقدير : أذكركم تلك الأيام التى لم ينل منه عدو فيها : ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من نفاذه :

(٦) انهملت : جرت وسالت ، ويروى : انهمرت ، وشفرتا السيف : حداه : يقول : طالما سالت الجماجم والنحور من أعدائه فى حدى سيفه بالدماء

(٧) أعذته بالله من كذا : عصمته به منه ، وهى كلمة تقال فى مقام التنزيه ؛ وأن

أَوْ يَرْغَبُــوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْــرَةٍ
حَيَّــاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ(١)

نَفَــرٌ إذا غَابَتْ غُمُودُ سُــيُوفِهِمْ
عَنْهَــا فَآجَالُ العِبَادِ حُضُــورُ(٢)

وَإذَا لَقُــوا جَيْشاً تَيَقَّنَ أَنَّهُ
مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوفَةٍ مَحْشُورُ(٣)

لَمْ تُثْنَ فِى طَلَبٍ أَعِنَّةُ خَيْلِهِمْ
إِلاَّ وَعُمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورُ(٤)

يحزنوا : فى تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة اعيد . قال ابن جنى : الوجه أن يكون محمد الأول : النبى عليه الصلاة والسلام ، والثانى : المرثى . ويجوز أن يكون الأول والثانى كلاهما المرثى . يقول : لاينبغى لهم أن يحزنوا عليه لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من الكرامة والنعيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الامر : اى رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير — أى أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله فى الآخرة أشرف من منازله التى كانت فى الدنيا . وقال ابن جنى : يعنى : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضى — ناقداً — ما أبعد ماوقع . أراد — المتنبى — أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التى صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها فى حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنازله فى الآخرة أشرف من منازله فى الدنيا .

(٢) يقول : هم — أى بنو إسحاق — نفر — أى رهط وجماعة — إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أغمادها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم فى التو واللحظة فنفر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة — المفازة — يقول : إذا حاربوا جيشا من جيوش الأعداء تيقن ذلك الجيش أنهم قاتلوه لامحالة ، فتأكله الطير حتى إذا جاء يوم البعث — بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف



يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّـــةٍ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَـــادِ يَزُورُ(١)
وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَـــا وَأَوَّلِ نَظْـــرَةٍ
إِنَّ الْقَلِيـــلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ(٢)

أعنة خيل هؤلاء القوم فى طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذى طردته خيلهم واتبعته قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى : أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبى إياهم لأن المحب يزور حبيبه وإن شطت به النوى ، كما قال القائل :

زُرْ مَن تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّت بكَ الدارُ — وحالَ مِنْ دُونِهِ حُجُبٌ وأستار
لا يَمنعنَّكَ بُعْـــدٌ مِن زيارته — إن المحبَّ لِمَن يَهْـــواه زَوَّارُ

(٢) هذا من قول الموصلى :

إن ما قلَّ منكَ يكثر عندى — وقليـــلٌ ممن تحب كثيرُ

ومثله لجميل بثينة :

وإنى ليرضينى قليل نوالـكم — وإن كنت لا أرضَى لـكم بقليل

ولتوبة

وأقنع من ليلَى بما لا أنالُهُ — ألا كل ماقرَّت به العينُ صالح

ولآخر :

جودوا علىَّ بمنطقٍ أحيا بهِ — إن القليل من المحب كثيرُ



وسأله بنو عم الميت أن ينفى الشماتة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلِآلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ(١)

مَا شَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ   أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمِ مَحْظُورُ(٢)

تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي   سَاعَاتُ لَيْلِهِمِ وَهُنَّ دُهُورُ(٣)

أَبْنَاءُ عَمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لِامْرِئٍ   إِلَّا السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ(٤)

طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ

وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ(٥)

---

(١) هذا استفهام إنكارى؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم: يقول : ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقده :

(٢) الخابر : العالم بالشىء ، مثل الخبير أو المجرب : يقول : لايشك من خبرهم وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده : أى لايصبرون عنه وهذا من قول البحترى :

حالتْ بكَ الأشياء عن حالاتها   فالحزنُ حِلٌّ والعزاءُ حرام

(٣) يقول : إنهم يبكون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :

يطول اليومُ لا ألقاكَ فيه   وعامٌ نلتقى فيه قصير

(٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا ذنب من يسعى بينهم بالنميمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكدروا صفاء ما بينهم من ود ؛ مثلهم فى ذلك مثل الذباب الذى يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جنى : معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضى ــ ناقدا ــ : يظلم نفسه ويغر غيره من فسر شعر المتنبى بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على الطعام يطير ؛ أذهاب هذا أم اجتماع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ما قال ابن جنى لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتمالئوا بالنميمة . . وقال ابن فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمعنى : أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً ... جُودِي بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرُ[١]

مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا ... يَجْرِي بِفَصْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ[٢]

***

وقال ارتجالا فى أبى الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :

مَرَتْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ

وَهُنِّئْتَهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ[٣]

بالنمائم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما يتعرضون للأحبة المتوادين ومثله :

وجلَّ قَدْرِىَ فاستحلَوْا مُساجَلتِى ... إنَّ الذبابَ على الماذِىِّ وقّاع

« الماذى : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة المرثى . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله لعدوه لكان ذلك منى إسرافا وتبذيرا ، لان من عاداه لا يستحق منى مثل ذلك الود ، فإذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشىء فى غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول : كأن القدر يجرى بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبى تمام ،

فلو صَوَّرْتَ نفسك لم تزِدْها ... على ما فيك من كرم الطباع

وعجزه من قول ابن الرومى :

لستَ تحتج بالزمان ولا المقدور ... وأنتَ الزمانُ والمقدور

(٣) فى قوله مرتك — كما قال الواحدى — نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان يجب أن يقول: أمرأتك ؛ لأنه إنما يقال: مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأنى الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله: مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب شمائله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شىء ، فكأنه قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فى الزُّجاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُها بالشَّمْسِ فى البَدْرِ فى البَحْرِ (١)
إذَا مَا ذَكَرْنا جُودَهُ كَانَ حاضِراً نأى أوْ دَنا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الخِضْرِ (٢)

* * *

وقال ارتجالا وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أصْبَحْتَ تَأْمُرُ بالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ (٣)
فإذَا احْتَجَبْتَ فأنتَ غيرُ مُحَجَّبٍ وإذَا بَطَنْتَ فأنتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ (٤)

---

(١) الحميا : من أسماء الخمر : شبه الخمر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى نواس :

فكأنها وكأن شاربَها قمر يقبِّل عارضَ الشمْسِ

(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر فى موضع إلا حضر ؛ والخضر عند الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا نذكر جوده إلا كان حاضرا كالخضر ، يعنى أن جوده يدركنا حيثما كنا :

(٣) نظر فى ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قضى لها اللهُ حين يَخلقها الـخالق أنْ لا يُكِنَّها سَدَفُ (١)

ونظر فى الجود إلى قول أبى تمام :

يا أيُّها الملِكُ النائِى برؤيَتِهِ وَجُودُه لمُراعِى جودِهِ كَثَبُ

ويقول أبو نواس :

تَرَى ضَوْءها من ظاهِرِ الكأسِ ساطِعاً عليكَ ولوْ غَطَّيتَها بغِطاءِ

(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محجوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعنى بجودك وهيبتك : وهذا من قول أبى تمام :

فَنَعِمْتِ من شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ من خِدْرِها فكأنها لم تُحْجَبِ

---

(١) السدف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ، فقال هذين البيتين وهو لا يدرى :

نَالَ الَّذِى نِلْتُ مِنْهُ مِنِّى ... لِلّهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ[1]

وَذَا انْصِرَافِى إِلَى مَحَلِّى ... أَآذِنٌ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

***

(١) يقول : الشراب الذى نلت منه باحتسائه نال منى بالأخذ من عقلى وحيويتى ثم تعجب مما تفعله الخمر ، ولله أبو تمام إذ يقول :

وكأسٍ كَمَعْسُولِ الأمَانِى شَرِبْتُها ... ولكنها أجلت وقدْ شَرِبتْ عَقلى

إذا اليدُ نالَتْها بِوِتْرٍ توَفَّرَتْ ... على ضِغْنِها ثم استقادَتْ من الرِّجْلِ

ويقول أيضاً :

أفِيكم فَتًى حَيٌّ فَيُخْبِرَنِى عَنّى

بما شَرِبَتْ مَشْرُوبَةُ الرّاحِ مِن ذِهْنِى



وقال يصف لعبة فى صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعورُ يعرف بابن كَرَوّس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شىء يجرى فى المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره وَيُعِدُّهُ ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشىء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكئوس أخرج لعبة لها شعر فى طولها ،تدور على لولب ، و إحدى رجليها مرفوعة ، وفى يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالا :

وَجَارِيَةٍ شَعْرُها شَطْرُهَا مُحَكَّمَةٍ نَافِذٍ أَمْرُهَا[1]
تَدُورُ وَفِى كَفِّهَا طَاقَةٌ تَضَمَّنَهَا مُكْرَهًا شِبْرُهَا[2]
فإنْ أَسْكَرَتْنَا فَفِى جَهْلِهَا بِمَا فَعَلَتْهُ بِنَا عُذْرُهَا[3]

* * *

---

(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت فى أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقفت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز فى «نافذ» : الجر ، على أنه نعت سببى،و«أمرها» فاعل؛ والرفع :على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت فى كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لنشرب ، فجهلها مافعلت عذر لها ، لأنها لاتعلم ماتفعل :



وقال فى بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه :

إنَّ الأميرَ أدامَ اللهُ دولتَهُ لفاخِرٌ كُسِيَتْ فخراً بهِ مُضَرُ(١)

فى الشَّرْبِ جارِيَةٌ مِنْ تحتِها خشَبٌ ما كانَ والِدَها جِنٌّ ولاَ بَشَرُ(٢)

قامَتْ على فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ وَلَيْسَ تَعْقِلُ ما تأْتى وما تَذَرُ(٣)

---

(١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا فخراً به ، ويروى : كسبت

(٢) فى الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ ووالدها خبر . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :

كأنَّ سبيئةً مِن بيتِ رأسٍ يكون مزاجَها عسلُ وماءُ(١)

وللقطامى :

قِفِى قبل التفرُّقِ يا ضُباعاً ولا يَكُ مَوْقِفَ منك الوَداعا(٢)

(٣) ما تأتى وما تذر : أى ماتفعله وما تتركه .

---

(١) السبيئة : الخمر ، وبيت رأس : موضع بالشام ، وخبر كأن ـ فى البيت التالى ـ وهو :

على أنيابها أو طعمُ غض من التفاح هَصَّره اجتناء

(٢) مطلع قصيدة للقطامى يمدح بها زفر بن الحارث الكلابى ، وضباع مرخم ضباعة وهى بنت زفر . وبعد البيت

قفى فادِى أسيرَكِ إن قومى وقومك لا أرى لهم اجتماعا

وقد كان القطامى أسيرا عند والدها . وقوله ولا يك موقف إلخ : يحتمل وجهين أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لاتجعلى هذا الموقف آخر وداعى منك والآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع



وقال لبدر : ما حملك على إحضار اللعبة ؟ فقال : أردت أن أنفى الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنفِي الظَّنَّ عَنْ أَدَبِي ... وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْعَصْرِ مِقْدَارا (١)

إِنِّى أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوف مَخْبَرُهُ ... يَزِيدُ فى السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارا (٢)

فقال بدر : بل للدينار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ ... وَبِأَنْ تُعَادَى يَنْفَدُ الْعُمْرُ (٣)

فَخَرَ الزُّجَاجُ بِأَنْ شَرِبْتَ بِهِ ... وَزَرَتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الْخَمْرُ (٤)

وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهْىَ تُسْكِرُنَا ... حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ (٥)

مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرُمَةٍ ... إِلاَّ الْإِلٰهُ وَأَنْتَ يا بَدْرُ

---

(١) تنفى الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر ، وفى تعبيره بـ«زعمت» ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك، فليس يعوزك أن تتجشم نفى هذا الظن عنى .

(٢) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بادئ ذى بدء أنه يساوى ديناراً قد تزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبرة .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فنى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك الكؤوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يعافها ـ يكرهها ـ إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيبتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسكرك .



وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال :

لا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ ... فَإِنَّنِي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارِ

وَرُبَّمَا فَارَقَ الإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ ... يَوْمَ الوَغَى غَيْرَ قَالٍ خَشْيَةَ العَارِ (١)

وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أُحَارِبُهُمْ

فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي (٢)

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور ابن كروّس :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِن أُمُورٍ ... سَكَنَّ جَوَانِحِي بَدَلَ الخُدُورِ (٣)

وَمُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عَصْرٍ ... عَنِ الأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ (٤)

رَكِبْتُ مُشَمِّراً قَدَمِي إِلَيْهَا ... وَكُلَّ عُذَافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ (٥)

---

(١) المهجة : الروح ، والقالي : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فارق . شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للمرء ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقك كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندى : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إني مبتلى بحساد أعاديهم فانصرني عليهم بجودك حتى أفتخر عليهم بذلك فيموتوا كمدا .

(٣) يقولون : عذيرى من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أي من يعذرني منه أي إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبكار لم يفرعهن بعل والمراد هنا : الأمور العظام والخطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها. و«من» الأولى صلة عذيرى والثانية : بيانية ، وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى . والجوانح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعي وقلبي مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهي الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات بيانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبتسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور — جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمي :

أَوَانًا فى بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي ... وَآوِنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ (١)

أُعَرِّضُ لِلرِّمَاحِ الصُّمِّ نَحْرِى ... وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ (٢)

وَأَسْرِي فى ظَلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِى ... كَأَنِّى مِنْهُ فى قَمَرٍ مُنِيرِ (٣)

فَقُلْ فى حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا ... عَلَى شَغَفِى بِهَا شَرْوَى نَقِيرِ (٤)

مفعول ركبت ، وإليها : متعلق بركبت ؛ والضمير للهيجاوات . والعذافر : القوى من الإبل ؛ والناقة : عذافرة : والضفور : جمع ضفر ، وهو النسع ـ الحبل ـ تشد به الرحال . والضفير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بضفير » أى بحبل مفتول من شعر . فعيل بمعنى مفعول . يقول : قصدت الهيجاوات ـ الحروب ـ راجلا وراكبا : أى مارستها فى كل حال . وكنى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال.

(١) الآونة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : مايستصحبه الرجل من الأثاث ؛ والقتد : خشب الرحل . وقيل: القتد من أدوات الرحل؛ وقيل،جميع أداته ، والجمع أقتاد وقتود وأقتد . قال الراجز .

كأننى ضمنت هقلا عوهقا ... أقتاد رحلى أو كدرًّا محنقا

« الهقل الظليم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والمحنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحاله وقلة مقامه ، ومن ثم قال فى النزول : أوانا وفى الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . مابدا منه . والهجير . شدة الحر وقت الهاجرة ، وهى نصف النهار . والرماح الصم . أى الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعَرِّضُ للطِّعانِ إذا التقينا ... وُجُوهًا لا تُعَرَّضُ للسبابِ

وعجزه من قول الآخر .

أقول لبعضهم إن شدّ رحْلى ... لهاجرةٍ نصبتَ لها جبينى

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . فى موضع الحال من الضمير المستتر فى الظرف بعده . يقول : كأنى فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لمعرفتى بالطرق والمفاوز واهتدائى فيها .

(٤) فقل فى حاجة . أى قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف فى موضع الحال من فاعل أقض . وشغفى بها : حبها ، وشروى الشىء ، مثله والنقير . نكتة فى ظهر النواة . يضرب مثلا للشىء الحقير . يذكر كثرة تعبه وقلة



وَنفسٍ لاَ تُجِيبُ إلَى خَسِيسٍ   وَعَيْنٍ لاَ تُدَارُ عَلَى نظيرِ (١)
وَكفٍّ لاتُنَازِعُ مَنْ أتَانِي   يُنازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخِيرِي (٢)
وَقِلَّةِ نَاصِرٍ جُوزِيتَ عَنِّي   بِشَرٍّ مِنْكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ (٣)
عَـدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيـكَ حَتَّى
لَخِلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّـدُورِ (٤)

نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أنل منها شيئا على شدة شغفى بها وحبها ؟ .

(١) يقول : وقل ماشئت فى نفس — يعنى نفسه — لاتؤاتينى على أمر خسيس ولا تقنع به . وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لى .

(٢) ينازعنى : حال من فاعل أتانى : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وقل ماشئت فى كف — يعنى كفه — سخية لا تمسك شيئا وتترك كل شىء لمن ينازعنى إلا شرفى وكرمى فإنى لا أسخو بها .

(٣) أى : وقل ماشئت فى قلة من ينصرنى على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يجنى عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوى : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وخلت : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضى على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شىء فى الدهر يعاديه حتى ظن التلال التى لاتعقل تعاديه ، يريد بذلك المبالغة : وقال ابن جنى : قوله حتى لخلت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبوبه ولا تطمئن إليه ، فكأن ذلك لعداوة بينها ؛ والآخر — وهو الوجه — أنه يريد شدة مايقاسى فيها من الحر ، فكأنها : موغرةالصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر فى الأكم فتنبو به وبئسما يختار داراً ومقاما . وأما المعنى الثانى فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحى للشمس أولى بأن يكون أحر ، وللأكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذى لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذى عنى أبو الطيب أن كل شىء يعاديه حتى خشى أن الأكم التى لا تعقل تعاديه ، ويريد بذلك : المبالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

فَلَوْ أَنِّى حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ ‌ ‌ لَجُدْتُ بِهِ لِذِى الْجَدِّ الْعَثُورِ (١)
وَلَـكِنِّى حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِى ‌ ‌ وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ بِلاَ سُرُورِ (٢)
فَيَا ابْنَ كَرَوَّسٍ يا نِصْفَ أَعْمَى ‌ ‌ وَإِنْ تَفْخَرْ فَيَانِصْفَ الْبَصِيرِ (٣)
تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ ‌ ‌ وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَـــيْرُ عُورِ (٤)
فَلَوْ كُنْتَ امْرَأً يُهْجَى هَجَوْنَا ‌ ‌ وَلَـكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ (٥)

---

(١) و (٢) النفيس : نقيض الخسيس : والجد العثور أو العاثر ؛ الحظ التعس الذى يتعثر صاحبه ويعانى العناء فى سعيه : يقول : لو حسدنى الناس على شىء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم والمحروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدوننى على حياتى مع أنها ليست بالشىء الذى يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كى أستريح منهم ومن شرورهم : وقال بعض الشراح : يعنى حسدونى على سرورى وأنسى وأرادوا أن أكون محزوناً أبدا ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتى ، فإن حياة الحزين موت : وكنى بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة : هذا : وقوله : لذى الجد العثور ، يروى لذا الجد العثور : أى لهذا الجد العثور ، يعنى لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ المنحوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعنى إن فخرت ببصرك فأنت ذو بصر واحد.

(٤) يقول : إنما تعادينا لما بيننا من المضادة لأنك ألكن ـ ثقيل اللسان ـ وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لخستك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفتر : يضيق مقداره عن السير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهجى ومثل هذا قول القائل .

بما أهجوكَ لا أدرى ‌ ‌ لسانى فيكَ لا يجْرِى
إذا فكَّرْتُ فى عِرْضِــكَ أشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِى



وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طغج :

وَوَقْتٍ وَفَى بالدَّهْرِ لِى عِنْدَ وَاحِدٍ   وَفَى لِى بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرا[1]
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِه   وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرَا
غَدَا النَّاسُ مِثْلَيْهِمْ بِهِ لاَ عَدِمْتُهُ   وَأَصْبَحَ دَهْرِى فى ذَرَاهُ دُهُورا[2]

***

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنَشْرُ الكِبَاءِ ووجه الأميرِ   وَصَوْتُ الغِنَاءِ وَصَافِى الْخُمُورِ[3]
فَدَاوِ خُمَارِى بِشُرْبِى لَهَا   فَإِنِّى سَكِرْتُ بِشُرْبِ السُّرُورِ[4]

---

(١) يقول : إن وقتى عنده يفى بالدهر كله ويعادل، كما أن الممدوح يفى بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله: عند واحد ، يروى : عند سيد .

(٢) فى ذراه : فى كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا ماهم عليه ، ودهره عظيم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذى يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف للعلم به ، كأنه يقول : أتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لى ؟ قال بعض الشراح : يعنى : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — فى قوله: وصافى الخمور — للمصاحبة ، سد العطف بها مسد الجر ، كما فى قولهم : كل رجل وضيعته .

(٤) يقول : إنى قد سكرت من سرورى حين اجتمعت لى هذه الأشياء فداو خمارى والخمار : صداع الخمر — بشرب الخمر ، أى إنما أريد شرب الخمر ، لأنفى الخمار ، لا للسكر ، فإنى سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : بشربى ، صلة خمارى والمعنى : لا تزدنى من الخمر ، ولكن التمس لى دواء من سكرى بها ، فإنى قد سكرت من سرورى بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكراً آخر



وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَـلُومَنَّ الْيَهُودِىَّ عَلَى ... أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا[1]

إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى حَاسِبِهَا ... ظُلْمَةً مِنْ بَعْدِ مَا يُبْصِرُهَا[2]

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ؛ فعجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَحْفَظُ الْمَدِيحَ بِعَيْنِى ... لا بِقَلْبِى لِمَا أَرَى فى الأَمِيرِ[3]

مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ... نَظَمَتْ لِى غَرَائِبَ الْمَنْثُورِ[4]

***

---

(١) و (٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها ، فالرفع على الاستئناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يبصرها . يقول : لايلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال: هذه ظلمة وضرب ذلك مثلا . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للعكوك :

سما فوق الرجال فليس يخفى ... وهل فى مَطلع الشمس التباسُ ؟

(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائحه بقلبي لحضور معانيها أمام عينى ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإنى كلما نظرت إليها هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب النثور فأنطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعينى ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المنثور ، فعينى تنظم فضائله لأنها تدركها وتشاهدها ، لا قلبى ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وحاكةِ شِعرٍ حَسّنوا القولَ منهمُ ... ومِنكَ ومِن أفعالِكَ امتازَ حُسْنُهُ

ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استعنّا بفعلهِ ... لنأخذ معنى مَدْحِهِ مِن فعاله



وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرْكُ مَدْحِيك كالهجاءِ لِنفْسي ... وَقليلٌ لكَ المَديحُ الكَثِيرُ[1]

غيرَ أنِّي تركْتُ مُقْتَضَبَ الشِّعْـرِ ... لِأَمْرٍ مِثْلي بهِ مَعْذُورُ[2]

وَسَجَايَاكَ مادِحَاتُكَ لا لَفْـظِي ... وَجُودٌ عَلى كَلامِي يُغِيرُ[3]

فَسَقَى اللهُ مَنْ أُحِبُّ بِكَفَّيْـكَ ... وَأَسْقَاكَ أَيُّهَذَا الأَمِيرُ[4]

* * *

---

(١) مدحيك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك المديح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الموصلى :

إذا استكثر الحساد ما قيل فيكمُ ... فإن الذى يستكثرون قليلُ

(٢) المقتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع والمراد : ما أتى به بديها . هذا : ولم يبين المتنبي ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحاً قد عرفه الممدوح فأهمل ذكره .

(٣) يقول : إنما يمدحك ما فيك من الأخلاق الحيدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينهبه ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

ولا مدحَ ما لم يَمْدَحِ المرءَ نفسهُ ... بأفعالِ صِدْقٍ لم تَشِنها الخسائِس

(٤) سقاه الله وأسقاه : أمطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى: « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » . وقال سبحانه : « وسقاهم ربهم شرابا طهوراً » يقول : سق الله أحبائى غيث كفيك حتى يخصبوا بجودك ، وسقاك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك .



وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانه ثوراً فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة فى البرية فقال : هذه نخلة ؛ فضحك أبو الطيب وقال :

بُسَيْطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ الْقِطَارَا   تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِى حَيَارَى (١)

فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ   وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكِ الْمَنَارَا (٢)

فَأَمْسَكَ صَحْبِى بِأَكْوَارِهِمْ   وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا (٣)

* * *

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكى :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ   وَحِيداً وَمَا قَوْلِى كَذَا وَمَعِى الصَّبْرُ (٤)

وَأَشْجَعُ مِنِّى كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِى   وَمَا ثَبَتَتْ إِلاَّ وَفِى نَفْسِهَا أَمْرُ (٥)

---

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ، وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنصوب قبله ، والصوار : القطيع من البقر ، والمنار : منارة الجامع — المئذنة :

(٣) الأكوار : الرحال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابى برحالهم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فمنهم من اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله: ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أحدهم : أى أنى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لا ناصر لى ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول إنى وحيد والصبر معى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فإنى من زمانى فى حروب *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقاءها معى فى هذه المطاعنة أشجع منى ، وهذا مجاز ،



تَمَرَّسْتُ بِالآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ المَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ (١)

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الأَتِيِّ كَأَنَّ لِي
سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ (٢)

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا العُمْرُ (٣)

وَلاَ تَحْسَبَنَّ المَجْدَ زِقًّا وَقَيْنَةً
فَمَا المَجْدُ إِلاَّ السَّيْفُ وَالفَتْكَةُ البِكْرُ (٤)

يريد أنى اسلم من هذه الأحداث فلا تصيبنى بسوء، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم، يعنى ليس بقائى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدى.

(١) تمرس بالشيء : احتك به . والآفات : جمع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهالك من قتل وجراحة ونحوهما ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا المتمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقالت هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقنى ولا هلاك يصيبنى .

(٢) الأتى : السيل الذى لا يرده شيء ، والوتر : الذحل والثأر . تقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذى لا يرده شيء ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبت نفسى كانت لى بدلا أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .

(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سد المرفوع بعده مسدّ الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فنى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الخمر . والقينة هنا : المغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِيبُ أعْنَاقِ الْمُلُوكِ وَأنْ تُرَى
لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ[(١)]

وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأنَّمَا
تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أنْمُلُهُ الْعَشْرُ[(٢)]

إذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ[(٣)]

البطش ، والبكر من كل شيء ، الذى لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضريب : عطف على السيف . والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك الهبوات السود : أى أن تثير الغبار بحوافر الخيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وحفيف الأشجار . وتداول — بحذف إحدى التاءين — أى تتداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأنمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن تترك فى الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة المساعى الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وعبارة الواحدى : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سدمسامعه عن غيرها ونقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خرير دموعه فقال :

فاحْشُ صِماخَيْكَ بِسَبَّابَتَيْ كفَّيْكَ تَسْمَعْ لِدُمُوعِي خَرِيرا

قال العكبرى : وهكذا من يتعرض لمعانى المتنبي يجيء شعره أبرد من الزمهرير

(٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكرك ، فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه



وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فى جَمْعِ مالِهِ
مَخافَةَ فَقْرٍ فالَّذِى فَعَلَ الْفَقْرُ(١)

عن أن يسف به . قال العكبرى : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

عَيَّاش إنك للئيم وإننى إذْ صرتَ مَوْضِعَ مَطْلبى للئيمُ

وقد ذهب ابن جنى فى تفسير البيت مذهباً أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصاغر الناس على ما تتبلغ به فالفضل فيك ولك لا للممدوح المشكور . . . قال العروضى — مشنعاً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذى أراد المتنبى أن الفضل والأدب إذا لم يرفعاك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعا وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذى أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقصٍ على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعنى أن الغنى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجا إلى الغنى ، فالمعنى أنه يحرض على ترك الانبساط إلى اللئيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذى أدخل الشبهة على أبى الفتح أنه تأول فى قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكرك ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرمان فقر . وعبارة الخطيب : إذا أفنيت دهرك فى جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرك فى الفقر . فمتى يكون غناك ؟ فقد تعجلت الفقر . قال العكبرى : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته فى جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أَمِنْ خوْفِ فقرٍ تعجلته وأخَّرْتَ إنفاق ما تجمعُ
فصِرْتَ الفقيرَ وأنت الغنيُّ فما كان ينفع ما تصنعُ

وقال آخر :

عَلَيَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ ... عَلَيْهَا غُلَامٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ (١)

يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمِ ... كُئُوسَ الْمَنَايَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْخَمْرُ (٢)

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي الْـ ... ـجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ (٣)

وَخَرْقٍ مَكَانُ الْعِيسِ مِنْهُ مَكَانُنَا ... مِنَ الْعِيسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ (٤)

يخوّفني بالفقر قومي وما دَرَوْا ... بأن الذى فيه أفاضوا هو العسر

فقلت لهم لما لحوْني وأكثروا ... ألا إن خوف الفقر عندى هو الفقر

وقال لقمان الحكيم : من دافع الفقر بالبذل قبل الفقر فقد تعجل الفقر .

(١) الجور : الظلم ؛ والطمرة : الفرس الوثابة نشاطاً ومراحا : والحيزوم : الصدر ، والغمر : الحقد . يقول : يحق على أن أسوق إلى أهل الظلم عسكراً لجبا فيه كل فرس نشيط يحمل فارساً قد امتلأ صدره حقداً عليهم وغيظا وحنقاً فلا تأخذه بهم رأفة . وعبارة جميع الشراح : أنا كفيل بخيل فرسانها هؤلاء .

(٢) يدير : أى الغلام . يقول : يدير عليهم كئوس الموت حين لا تشتهى الخمر ولا تراد لهول ماهم فيه من القتال ، وإنما الخمر تشتهى عند وقت الفرح والأريحية والفراغ .

(٣) جبت : قطعت . يقول : كم من جبال تشهد لى بالأناة والوقار ، وبحار تشهد لى بسعة الصدر والسخاء ؟ ولعله ينظر إلى قول القائل .

فتى لايراه البحر إلا أظله ... خواطر فكر أنه زاخر البحر

(٤) وخرق : عطف على جبال ؛ والخرق : المفازة الواسعة ؛ ومكان العيس مبتدأ . ومكاننا : خبره . وواسط الكور بدل من مكاننا . والعيس : الإبل ، وواسط الكور مقدم الرحل والضمير فى منه وفيه : للخرق . وقال ابن القطاع : مكان العيس : مبتدأ ومكاننا : ابتداء ثان ، وواسط الكور : خبر الابتداء الثانى ، والجملة خبر الأول . يقول : لسعة هذا الخرق وطول مسافته وترامى أطرافه كانت إبلنا كأنها لا تنتقل عن ظهره ولا تزال متوسطة له ، كما أننا كنا على ظهور إبلنا لاننتقل عنها ولا نزال متوسطى ظهورها ؛ وهذا المعنى من قول ذى الرمة :

ومَهْمَهٍ فيه السَّرَابُ يَلْمَحُ ... يَدْأَبُ فيه القَوْمُ حتى يطلَحُوا

ثم يظلون كأنْ لم يبرحوا ... كأنما أمسَوْا بحيث أصبحوا



يَخْدِنَ بِنَا فى جَـوْزِهِ وَكَأَنَّنَا عَلَى كُرَةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنَا سَفْرُ(١)

وَيَوْمٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْـلٍ كَأَنَّمَا عَلَى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ(٢)

وقال ابن جنى : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجىء لسعة هذا الخرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكما نحن فى ظهور العيس لا نبرح منها فى أوساط أكوارها : كذلك هى كأن لها من أرض هذا الخرق كوراً وظهراً فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقداً — : وقد غلط ابن جنى فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير فى جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الخرق ، والمعنى : أنا فى وسط ظهور الإبل ، والإبل فى وسط ظهر الخرق ! ولم يتعرض فى هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها فى البيت الثانى فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتجه قول ابن جنى مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إنا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثانى إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كأن فؤادى كُرَةٌ تَنَزَّى حِذارَ البينِ لو نفع الحذارُ

(١) يخدن : يسرن سيراً سريعاً ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير مسرعة فى هذا الخرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الخرق تسير معنا فلا نقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وخَرْقٍ طال فيه السيرُ حتى حَسِبناهُ يَسِيرُ معَ الرِّكابِ

وإذا أسرع الإنسان فى السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبلغ مدى هذا الخرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فكأن أرضَ اللهِ سائرةٌ معنا إذا سارت كتائبهُ

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضمير فى أفقه : لليل ، وليس لليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء فى ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدآبهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وأُلبِسَ عُرْضُ الأفقِ ثوْباً كأنه على الأفق الغرْبِىّ ثوبٌ مُعَصْفَرُ



وَلَيْـــلٍ وَصَـــلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا
عَـلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِــهِ حُلَلٌ خُضْرُ(١)

وَغَيْـثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامِـراً
عَلاَ لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّـحَابِ لَهُ قَبْرُ(٢)

أَوِ ابْنَ ابْنِهِ الْبَـاقِي عَلِيَّ بْنَ أَحْمَـدٍ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أُجُزْ وَيَدِي صِـفْرُ(٣)

ومثله ليحي بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعَصْفَرُ

(١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : إلباس الغيم السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حللا سوداء ، والسواد يسميه العرب خضرة ، قال ذو الرمة :

في ظلّ أخضرَ يدْعو هامَهُ البومُ *

أو يريد أنه سافر فى أيام الربيع والأرض خضراء .

(٢) قوله تحته : حال من ضمير المتكلمين . يقول : ورب مطر ظنناه ونحن تحته أن عامراً — وهو جد الممدوح — فى السحاب ارتفع إليه ولم يمت ، فهذا المطر من جوده ، أو أن قبره فى السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره : علا لم يمت أو أن له قبراً فى السحاب .

(٣) ابن : عطف على عامراً ، والباقى : نعت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد فهى صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث ويدى خالية لقلت : إن ابن ابنه — يعنى الممدوح — كان فى السحاب ، ، وهو الذى يجود بذلك الغيث ، ولكن لما عبرت ويدى خالية علمت أنه جود — بفتح الجيم : أى مطر — لا جود ، لأن عادته أن يملأ يدى بالهبات .

والبيتان من قول أبي تمام :

وراحَة مُزنةٍ هطلاءَ تَهمى مَواهرُها وَهُنّ علىّ سكبُ
فقلت يدُ السماءِ أم ابنُ وَهْبٍ تجلى للندى أمْ عاش وَهْبُ ؟



وَإِنَّ سَحَاباً جَوْدُهُ مِثْلُ جُودِهِ ... سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرُ(١)

فَتًى لاَ يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَّاتِ قَلْبِهِ ... وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرُ(٢)

وَلاَ يَنْفَعُ الإِمْكَانُ لَوْلاَ سَخَاؤُهُ

وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلاَ الأَكُفُّ الْقَنَا السُّمْرُ(٣)

قِرَانٌ تَلاَقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ ... كَمَا يَتَلاَقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ(٤)

---

(١) الجود ـ بفتح الجيم ـ المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر فى قلبه من الهمم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظيما مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعا لسعتها ألا ترى أن قلب الممدوح قد وسعها وصدره قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومى :

كَضَمِيرِ الفؤادِ يلتهمُ الدنيا وتحْوِيه دَفّتا حَيْزُومِ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبا الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما انتفع الناس بغناه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بدون الأيدى الطاعنة بها . كما يقول البحترى :

إذا لم يكن أمضى من السيف حاملٌ ... فلا قَطْعَ إنَّ الكفَّ لا السيفَ تقطعُ

ويقول أيضاً : ـ

فلا تغلِيَنَّ السيفَ كلَّ غَلائِهِ ... ليمضى فإن الكفَّ لا السيفَ تقطعُ

(٤) الصلت جد الممدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعا بفعل مضمر تقديره أعجب به قران هذه حاله ، مثلا ؛ والقران فى الأصل : اسم لمقارنة الكوكبين . جعل جدّيه من الطرفين فى المصاهرة ونسب الممدوح كقران الكواكب تعظيما له ، ثم شبه اجتماعهما . باجتماع السيف الهندى مع النصر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .



فَجَاآ بِهِ صَلْتَ الْجَبِينِ مُعَظَّمًا ۝ تَرَى النَّاسَ قُلاًّ حَوْلَهُ وَهُمُ كُثْرُ(١)
مُفَدًّى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْذَعًا ۝ هُوَ الْكَرَمُ الْمَدُّ الَّذِى مَا لَهُ جَزْرُ(٢)
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ ۝ يُسَايِرُنِى فِى كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ(٣)
وَأَسْتَكْبِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ ۝ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ(٤)
إِلَيْكَ طَعَنَّا فِى مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ ۝ بِكُلِّ وَآةٍ كُلُّ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ(٥)

---

(١) لجاآبه : أى الجدان المذكوران ؛ ويروى لجاء : أى القران : وصلت الجبين وضحه أو الواسع المستوى الجيل وهو حال . يقول : ترى الناس حوله وهم كثيرون فى العدد ، قليلون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكثر: الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

إن الكِرَامَ كثير فى البلادِ وإنْ ۝ قلوا كما غيرُهُمْ قُلٌّ وَإنْ كَثُرُوا

(٢) مفدى : حال أخرى ، كما أن معظما ـ فى البيت السابق ـ حال أولى : أى يقول له الرجال : فديناك بآبائنا ، والسميذع : السيد الكريم ؛ والمد : زيادة الماء ؛ والجزر : نقصانه ؛ وجعله كرماً ـ وهو مصدر ـ مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى المد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خبر مازلت : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الراكبين . يقول : مازلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره، وما صاحبت أحداً إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لاشىءَ أحْسَنُ من ثنائى سائراً ۝ ونَدَاكَ فى أفقِ البلاد يسايره

(٤) الخبر : الخبرة والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمعه من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الخيل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الوصف سواك ، فإنك فوق ماوصفت لى » . ويقول القائل :

كانت مُحادثة الركبان تخبرنى ۝ عن أحمد بن علىّ طَيِّبَ الخبر
ثمَّ التقينا فلا واللهِ ما سَمِعَتْ ۝ أُذْنِى بأحسنَ مما قد رأى بَصَرى

(٥) الصفصف : الفلاة المستوية ؛ والوآة : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لَهَا
كَأَنَّ نَوَالاً صَرَّ فِي جِلْدِهَا النِّبْرُ(١)

فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ(٢)

كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لاعَيْشَ دُونَهُ
وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعِشْرُ(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحراً : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ، يقول : أينما قصدت من الأرض قطعته وجازته لا تبالى بسهل ولا وعر : بمنزلة الطعنة إذا أصابت نحراً فإنها تنفذ فيه نفاذاً ذا أثر بالغ . قال الوحدى : ويجوز أن يكون المعنى : كل مالقيته هذه الناقة من مشاق الطريق نحر لها : أى يفعل بها فعل النحر ، فكأنها تنحر فى كل ساعة .

(١) النبر : دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعتها . يقول : إذا لسع النبر هذه الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت ــ نشطت واحتدت ــ فى سيرها حتى لكأنه صر فى جلدها نوالا ــ عطاء ــ شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنانير ودراهم ، فكأنها مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة فى جلدها : يقول : إن الشدائد لا تفل حد مراحها : أى أنها لا تبالى فى طريقها إلى الممدوح بشىء ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما فى البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما ــ الشمس والبدر ــ دونك فى جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعا وأشهر ذكراً وأعلى منزلة وقدراً : أى أنك ــ على بعدك ــ فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أظماء الإبل ، وهو أن ترد يوما وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم العاشر أعطش ما تكون . يقول : لوكنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لوسعت بطبع الجود كل حيوان فى كل مكان وفى ذلك ارتفاع الأظماء . وقال ابن جنى : أى كانت تجاوز المدة فى وردها العشر لغنائها بعذوبتك وبردك .



دَعَانِى إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَى ... وَهٰذَا الْكَلاَمُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ(١)

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بُيُوتُهُ ... إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِهَا الْحِبْرُ(٢)

كَأَنَّ الْمَعَانِى فِى فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلاَئِقُكَ الزُّهْرُ(٣)

وَجَنَّبَنِى قُرْبَ السَّلاَطِينِ مَقْتُهَا ... وَمَا يَقْتَضِينِى مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ(٤)

وَإِنِّى رَأَيْتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... وَأَهْوَنَ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ(٥)

---

(١) يقول : دعانى إلى أن أنتجعك وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى ـ العقل ـ وما أعددته لك من منظومى فى مدحك وما عهدناه فيك من النائل — العطاء — الذى تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم : كلام الممدوح ونظمه .

(٢) يروى قلت — بضم التاء — فيكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروى بفتح التاء فيكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا الممدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى أبيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلِمَدْحِيكَ قُلْتُهَا كلمات ... هُذِّبَتْ فيك أيمّا تهذيب

سوَّدَتْ فيكَ كل بيضاء تسويداً تراهُ العُيُونُ كالتذهيب

(٣) الخلائق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهر ، وهو المضىء المشرق . شبه معانى شعره فى فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا فى اتساقها وجمالها ، وبأخلاق الممدوح الزاهرة المشرقة فى إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضينى يطالبنى . يقول . تنكبت السلاطين وتنحيت عن قصديهم لأنى أجتويهم وأمقتهم ولأنه يودى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلها ، فهى تطالبنى بجماجمهم ، وهو المتنبى يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقته .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندى وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً — حقيراً — متكبراً ويروى بدل مرأى : لقيا ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .



لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُؤَادُ وَهِمَّتِي
أَوُدُّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ(١)

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ
وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ(٢)

وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوَكَ الْبِشْرُ(٣)

وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ
بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ(٤)

---

(١) تقول : رجل ود — بتثليث الواو — بمعنى ودود ، والجمع أود . وقوله والشطر : الأوجه أنه عطف على لسانى . يقول : إن لسانى وعينى وفؤادى وهمتى تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك . وكذلك شطرى : أى أن كل شطر منى يود شطراً منك ؛ يعنى أن كلى يود كلك ، فقوله: أود اللواتى ذا اسمها منك : أى ودودة اللواتى تسمى منك بهذه الأسماء : أى اللسان الخ . قال الواحدى : والغرض من هذا البيت : التعمية فقط ، وإلا فما الفائدة من هذا البيت مع مافيه من الاضطراب ؟ ! أقول: ومن ثم تخبط فيه الشراح أيما تخبط .

(٢) يقول : إنى لم أستقل وحدى بهذا الشعر ولكن ظاهرنى عليه شعرى ، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت . والمعنى : إن شعرى كان يطاوعنى ويؤاتينى فى مدحك حتى لكأنه كان ينظم معى ، ولله قول أبى تمام فى هذا المعنى :

تغايَرَ الشعرُ فيه إذ أرِقْتُ له ... حتى ظَنَنْتُ قوافِيهِ سَتَقْتَتِلُ

(٣) ما : نافية ؛ وذا : اسم إشارة . ورونق : السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرته . والبشر : طلاقة الوجه وتهلله . يقول : ليس الذى يرى فى شعرى من الحسن رونقه هو : أى رونق فصاحته وبلاغته ، ولكن شعرى تهلل وجهه ابتهاجا بلقائك واستبشر ضاحكا ناضراً حين رآك ، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك .

(٤) الذى يوجب القدر : أى الذى يستدعيه قدرك ويستحقه ؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أى وإن نلت أنا وأنا من بعض خدمك ، وليس بشىء .



أَزَالَتْ بِكَ الأَيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرُ(١)

* *

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى(١)

---

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلقائيك أزالت عتبي عليها لأني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكأن الأيام أتت بك عذراً عن ذنوب بنيها . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلولا وأصلحَ بَيْنَ أيامِي وَبَيْنِي

والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَت خطايا الدهر فِيَّ وقد يُرى بِنَدَاكَ وهْوَ إِلَيَّ منهـا تائِبُ

ويقول أبو نواس :

يَرْمِي إليك بها بَنُو أَمَلٍ عَتَبُو فأَعْتَبَهم بِكَ الدَّهْرُ

ويقول ابن الرومي :

أنتمْ أناسٌ بأيادِيكمُ يستغفر الدهر إذا أذْنَبا

إذا جَنَى الدهْرُ على أهله وزادَ في عِدَّتِكم أعتبا

(*) ذكر الخطيب التبريزي ـ في شرحه ـ : إن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :

* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفراً ،وكان قد قال فيها :

صغت السوار لأى كف بشرت بابن الفرات وأى عبد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان ـ وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكاتب الأديب الكبير المعروف ـ فحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفراً ، وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات .

(٢) يقول ـ مخاطباً نفسه ـ : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،



كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وابْتِسَامُكَ صَاحِباً لمَّا رآكَ وَفِي الْحَشَى مَالاَ يُرَى(١)

وأى محب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو فى صوت المحب من نغمة الحزن والزفير والشهيق والتهيؤ للبكاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكاك : عطف على الضمير فى قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكاؤك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجرى ، « هذا » : وقد قيل للمتنبى خالفت فى هذا البيت بين سبك المصراعين فوضعت فى المصراع الأول إيجابا بعده نفى ، وفى الثانى نفيا بعده إيجاب ، فقال لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمعه ، ومن لم يصبر جرى دمعه : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن ــ بنون التوكيد الخفيفة ــ فأبدلها ألفا . قال العكبرى : ومثله كثير فى الكلام كقوله تعالى « ألقيا فى جهنم » الخطاب لمالك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : ياحرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى: اضربن عنقه ، ومثله لسويد بن كراع العقيلى :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تتركانى أحْمِ عِرضاً ممنعا

والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تَعْبُدِ الشيطان والله فاعبدا *

فقد جاء فى الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطا فى قوله تعالى « ليسجنن وليكونا » ومثله : « لنسفعاً بالناصية » وقول الراجز :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخاً على كرسيه معمما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبراً وضحكا ظاهرين ولا يرى مافى الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد فى الصبح المنبى : أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أتقول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع مانقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبى : تلك حال وهذه حال . . وإنى لأحسب المتنبى حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فاختصر الجواب أجزأ اختصار . . . ومراده أن الحال التى يذكرها فى البيت الثانى سابقة على الحال المذكورة فى البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما انتحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوله على



أَمَرَ الفُؤادُ لِسانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا(١)

تَعِسَ المَهارِى غَيْرَ مَهْرِىٍّ غَدَا بِمُصَوَّرٍ لَبِسَ الحَرِيرَ مُصَوَّرَا(٢)

كونه عاشقاً فبدا هواه ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم الهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً فى البيت الذى يلى .

(١) الفؤاد فى الجسد بمنزلة الملك ، فلهذا جعله آمراً للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإمساك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوله دل على ما فى قلبك ؛ والضمير فى قوله فكتمنه : عائد على قوله مالا يرى ـ فى البيت السابق ـ وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف تمييز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبَرِى خُذِيه عن الضنى وعن الأسى ليس اللِّسانُ وإن تَلِفْتُ بمخبرِ

(٢) تعس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهارى : جمع مهرى والبعير مهرى والناقة مهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبى قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول فى الجمع : مهارى ومهار ومهارى . قال رؤبة :

به تَمطَّتْ غَوْلَ كلِّ مِيلَهِ بِنا حَرَاجِيجُ المَهارى النُّفَّهِ(١)

وقوله غير مهرى : استثناء ، وغدا : أى ذهب غدوة . يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع ـ هذا الحبيب الذى لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذى يلبس الديباج منقشاً بالصور .

---

(١) قبله :

وَمَخْفِقٍ مِنْ لُهْلُه ولُهْلُه فى مَهْمَهٍ أطرافه فى مَهْمَهِ

أَعْمَى الهُدَى بالجاهلِينَ العُمَّهِ بهِ تَمطَّتْ غَوْلَ كلِّ مِيلهِ

بِنَا حَرَاجِيجُ المَهارِى النُّفَّهِ يَجْذِبْنَهُ بالبَوْعِ والتأوُّهِ

المخفق : الموضع الذى يخفق فيه السراب ، واللهله : المكان المستوى الذى ليس به علم ، وغول كل ميله : أى بعده يريد مكانا بعيداً يغتال المشى فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التى توله الناس وتحيرهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، وحرجيج : الناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والنفه : جمع نافه



نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِى سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَا[1]

لاَ تَتْرَبِ الأَيْدِى الْمُقِيمَةُ فَوْقَهُ كِسْرَى مُقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَا[2]

يَقِيَانِ فِى أَحَدِ الْهَوَادِجِ مُقْلَةً رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فُؤَادِى مَحْجِرَا[3]

---

(١) يقول : إنى أنفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التى فى ستر هودجه وأحسدها لقربها منه ، ولو كنت تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو ، فأراه ويزول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمعنى خفاء الصورة انكشاف الستر ، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب . وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جنى : لو كنت الصورة التى فى ستره لزلت حتى يظهر الذى فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشفت حتى يظهر للناس ويزول ذلك الحجاب . وقال الواحدى : أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذى فى هودجه لقربها منه ، يعنى الصورة ، ولو كنت الصورة لخفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار . وقال ابن القطاع : إنما تمنى أن يكون صورة فى سترها ليشاهدها كل وقت ، ثم قال : لو كنتها لخفيت من نحو لى فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين .

(٢) لاتترب : لا تفتقر ، ويقال ترب الرجل : افتقر وصار على التراب ، ولا تربت يداك : أى لا افتقرت « أو مسكينا ذا متربة » صار على التراب لفقره . وكسرى : لقب ملوك العجم ، وقيصر : لقب ملوك الروم . يريد أن صورة كسرى وقيصر كانت على الستر وكأنهما أقيما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور . يدعو المتنبى للأيدى التى نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب . وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

قرارتها كسرى وفى جنباتها مهى تدريها بالقسى الفوارس

(٣) الهوادج : جمع هودج ، مركب النساء على الجمال ، والمحجر : ما حول العين ، يقول : إن هذين الحاجبين يصرفان السوء — من الغبار ، وحر الهواء وحر الشمس —

وهى للعينية . وفى الحديث : نفهت نفسك : أعيت وكلت ، وقال أبو سعيد : لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منفوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد ، ويجذبنه يريد يجذبن أنفسهن فيه . وقوله والتأوه . هو مثل قول المثقب العبدى .

إذا ما قُمتُ أُرْحَلُها بِلَيلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ



قَدْ كُنتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ ... لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا(١)

وَلَوِ اسْتَطَعْتُ إِذِ اغْتَدَتْ رُوَّادُهُمْ ... لَمَنَعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا(٢)

فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابِ فِرَاقِهِمْ ... جَعَلَ الصِّيَاحَ بِبَيْنِهِمْ أَنْ يُمْطِرَا(٣)

وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ ... إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا(٤)

عن مقلة أحد الهوادج — يعنى هودج الحبيب — وكنى عنه بالمقلة — العين — لعزته، وجعل فؤاده محجراً لتلك المقلة، والمعنى أنها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب، فلما ارتحلت عنى عمى قلبي والتبس على أمرى وفقدت لي كمقله ذهبت وبقى المحجر، وينظر فى هذا التشبيه إلى قول أبى تمام:

إن الخليفةَ حينَ يُظْلِمُ حادثٌ ... عَيْنُ المدَى وله الخلافةُ مَحْجِرُ

(١) الحائن: الهالك. يقول: كنت أحذر بينهم — بعدهم وفراقهم — قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المحذور، لأنه متى قدر وقع لا محالة.

(٢) الرواد: جمع رائد، وهو الذى يرتاد لأهله الكلأ والماء، واغتدت مثل غدت: أى ذهبت غدوة. يقول: لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يجدوا ماء ولا كلأ يرتحلون إليهما للانتجاع.

(٣) قال الواحدى: هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره، كأنه قال: لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال، فإذا السحاب — الذى هو أخو الغراب فى التفريق — أبعدهم عنا. جعل السحاب أخا الغراب، لأنه سبب الافتراق عند الانتجاع وتتبع مساقط الغيث فى الربيع كعادة أهل العير السيارة، ولما جعله أخا الغراب جعل المطر كصياح الغراب، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال فى تتبع الغيث. فالسحاب — فى قوله: فإذا السحاب مبتدأ؛ وأخو غراب فراقهم: نعت له، وجملة جعل الصياح: خبر، ولك أن تجعل أخو: خبر عن السحاب وجعل الصياح: خبراً آخر عنه.

(٤) الحمائل — بالحاء المهملة — جمع حمولة، وهى الإبل يحمل عليها؛ وهذه رواية ابن جنى؛ وروى غيره: الجمائل — بالجيم — جمع جمالة، جمع جمل. ويخدن: من الوخد، وهو ضرب من السير سريع؛ والنفنف: المفازة والمهوى بين جبلين. يقول: كلما مرت جمالهم بأرض مخضرة بالكلأ بدت عليها آثار سيرها، فكأنما شقت ثوباً أخضر. والمعنى: أنهم فارقونا أيام الربيع عند اخضرار الأرض. أو تقول: كثر الخصب

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرَّوْضِ إلاَّ أَنَّهَا … أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وَجُؤْذُرَا(١)
فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتِي رَاحَتِي … ضَعْفاً وَأَنْكَرَ خَاتَمَايَ الْخِنْصِرَا(٢)
أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ … وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا(٣)

أمامهم ، فكانت ركابهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كسته الخضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشق فى الثوب .

وفى هذا نظر إلى قول الآخر :

فكأنما الأنواء بعدَهمُ … كستِ الطلولَ غلائلاً خُضْرا

(١) يقول : إن هذه الإبل تحمل هوادج مثل الرياض ـ أى اربنت بالأنماط والديباج ، فكانت مثل الرياض فى تلون أزهارها ـ غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجآذرها ـ يعنى : الحبائب ـ أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجآذرها والمهاة البقرة الوحشية . تشبه بها النساء لحسن عيونها ؛ والجؤذر : ولد المهاة قال الواحدى : قوله إلا أنها : رواها ابن جنى : إلا أنه ، كناية عن المثل ، والناس يروون « أنها » ، لأن مثل الروض روض. فالضمير على الروايتين : لمثل ، إلا أن ابن جنى رده على اللفظ. وغيره رده على المعنى . والبيت ينظر إلى قول أبى تمام :

خرجن فى خضرة كالروض ليس لها … إلا الحُلِىّ على أعناقها زَهر

وقد سبق الجميع عدى بن زيد . إذ يقول :

لمن الظعنُ كالبساتين فى الصبـ … ـح نرى بينها أثيثاً نضيرا

[الأثيث : النبات الملتف] .

(٢) بلحظها من إضافة المصدر إلى مفعوله : أى فبلحظى إياها ؛ ونكره وأنكره : بمعنى ، ضد عرفه ؛ وضعفاً : مفعول لأجله . يقول : بسبب نظرى إلى هذه الهوادج يوم الفراق صرت ضاويا مهزولا حتى أنكرت قناتى يدى لضعفها عن حملها ، وأنكر خاتمى خنصرى لأنه صار يقلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم .

(٣) هذا تمهيد للتخلص من النسيب للمديح . قال الواحدى . يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفعاً وبعد همة : أى أردت عطاءك دون عطاء الزمان . وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك . والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقنى بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان ، فإنك إذا ملكتنى ملكت الزمان بما فيه .

أَرَجَانَ أَيَّتُهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ ... عَزْمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيجَ مُكَسَّرَا (١)

لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعَالَهُ ... مَاشَقَّ كَوْكَبُكِ الْعَجَاجَ الأَكْدَرَا (٢)

أُمِّى أَبَا الْفَضْلِ الْمُبِرَّ أَلِيَّتِى ... لَأُيَمِّمَنَّ أَجَلَّ بَحْرٍ جَوْهَرَا (٣)

أَفْتَى بِرُؤْيَتِهِ الأَنَامُ وَحَاشَ لِى ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّرًا أَوْ مُقْصِرَا (٤)

صُغْتُ السِّوَارَ لِأَىِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ ... بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَىِّ عَبْدٍ كَبَّرَا (٥)

---

(١) أرجان : أى اقصدى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد الممدوح — بلد بفارس — بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة — والضمير فى أنه : للشأن . والوشيج : شجر الرماح . يقول لخيله : اقصدى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئا يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الرماح بقوته ؛ يعنى أن الرماح لا تعوقنى عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) الفعال : الفعل ؛ وكوكب الخيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : الغبار ؛ والأكدر . الكدر . يقول لخيله : لو فعلت ما تريدين ماركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجمام والراحة ، وهو يتعبها بالأسفار .

(٣) أمى : اقصدى ؛ والألية . اليمين؛ وأبر يمينه وبر فى يمينه: صدق . يقول : اقصدى أيتها الخيل هذا الممدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرا ؛أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) يقال قصر عن الشىء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول: أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقا لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيها له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشاك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان للفعول ، كما تقول تنزيها لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى « حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التنحى ، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استثنيته وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحليها

إنْ لَمْ تُغِثْنِي خَيْلُهُ وَسِلاَحُهُ فَمَتَى أَقُودُ إلى الأعادِي عَسْكَرَا[١]
بِأَبِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى[٢]
مَنْ لاَ تُرِيهِ الحَرْبُ خَلْقاً مُقْبِلاً فِيهَا وَلا خَلْقٌ يَرَاهُ مُدْبِرَا[٣]
خَنْثَى الْفُحُولَ مِنَ الْكُمَاةِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعَصْفَرَا[٤]

به ؟ وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً ببر قسمى ؟ .

(١) قال الواحدى : هذه إشارة إلى أنه يمده بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بأبي وأمي : أى أفديه بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتى من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تجعل القلوب أثماناً لها لم توجد بغيرها . وقوله: تباع وتشترى. أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكها ،وإن شئت جعلت الشراء بيعا فيكون مكرراً بلفظين معناهما واحد . قاله الواحدى .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقائه فى الحرب تهيبا له ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله« من » : بدل من ناطق .

(٤) خنثى الفحول : أى صيرهم خنائى ؛ والكماة : جمع كمى ، وهو المستتر فى الحديد ؛ والمعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفرا : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطالهم الفحول خنائى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المعصفرة التى يلبسها النساء والمخنثون«هذا» وقد قلنا : إن معنى خنثى الفحول : أى جعلهم وصيرهم مخنثين ، فهو فعل ماض . قال العكبرى : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنثث ، فكرهوا اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى خنطى وغنظى : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى تقضى البازى وقصيت أظفارى . وتظنى : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للالحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا: لاتدخل حروف الزوائد فى الإلحاق ألبتة . وإنما تدخل فى الإلحاق : الحروف الأصلية التى هى فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : دردج : للناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للالحاق



يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرَا[1]
وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ تِيهُ الْمُدِلِّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا[2]
يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كِتَابُهُ قَبْلَ الْجُيُوشِ ثَنَى الْجُيُوشَ تَحَيُّرَا[3]

بجمثن ، وهى أصول الصليان[1] والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للالحاق بجعفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للالحاق ببرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للالحاق وفى رضوى وسلمى للتأنيث ، ثم نقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهمى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للالحاق . وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهماة وعلقاة وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه . وعبارة ابن جنى : قلمه أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحترى :

وأقلام كتابٍ إذا ما نَصَصْتَهَا إلى نَسَبٍ صارت رِماحَ فوارس

(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والتيه: الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمسه ببنانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بمسه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء ينذرهم ويتوعدهم فعل كتابه فعل الجيش فردهم حائرين متلددين خوفا وذعرا لبلاغة كلامه وشدة وعيده وعبارة الواحدى : يسحرهم ببيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتاباً لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

---

(١) الصليان : نبت .



أَنْتَ الْوَحِيـــدُ إِذَا ارْتَــكَبْتَ طَرِيقَةً
وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا[١]

قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبـــاتِهِ
وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَـــوَّرَا[٢]

فَهُوَ الْمُشَيَّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا[٣]

تـكفى عن النّبل أحياناً مكايدُهُ وربما خانَت أقلامهُ الأســـلا
ومثله لآخر :
فى كلِّ يوم له جُنـــدٌ مُوَجَّهَةٌ من المــكايد تطوَى فى الطوامير
(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الاسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتـكبت طريقة : يروى ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد فى كل طريقة تأتيها وتحاولها لا يقدر أحد أن يحذو حذوك فى طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفا له . يعنى أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك عليها مخافة تقصيره فيفتضح ، قال الواحدى : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبا ـ يريد أنه مفعول ركبت ـ ويجوز أن يكون حالا للممدوح : أى لا يقدر أحد أن يكون رديفا لك وأنت غضنفر .

(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعها وإدراكها فهى خداج ليست بحلوة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور ـ أزهر ـ وبلغ أناه فهو حلو معسول قد بلغ الغاية فى الحسن والـكمال ، ويروى : قبل نباته ، قال العكبرى : أى قبل تمامه .

(٣) يقول : إن مسامع الناس تشيع قولك ـ أى تتبعه ـ فى مسيره إذا انفصل من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه حبا له وشغفا به . وإذا كرر ازداد حسنه ، على خلاف ماعهد من الـكلام : فإنه إذا أعيد سمج ، وإذا تـكرر تـكرج[١] وفى هذا نظر إلى قول أبى نواس:

---

(١) من تـكرج الطعام والخبز : فسد وتعفن .



وَإذَا سَكَتَّ فَإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الأَصَابِعَ مِنْبَرَا(١)

وَرَسَائِلٌ قَطَعَ الْعُدَاةُ سِحَاءهَا

فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّــــــةً وَسَنَوَّرَا(٢)

فَدَعَاكَ حُسَّـــدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا

وَدَعَاكَ خَالُقكَ الرَّئِيسَ الأَكْبَرَا(٣)

خَلَقَتْ صِفَاتُكَ فِى الْعُيُونِ كَلاَمَهُ

كَالْخَطِّ يَمْــلأُ مِسْمَعَىْ مَنْ أَبْصَرَا(٤)

يَزِيدُك وجهه حسنا إذا ما زِدته نظرا

ويقول البحترى :

مُشرق فى جوانب السمع لا يُخْـ لقه عَوْدُه على المستعــــيد

والمشيع : يروى المتبع .

(١) يقول : إذا سكت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .

(٢) ورسائل : عطف على قلم ــ فى البيت السابق ــ والسحاء : مايشد به الكتاب من أدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثنى الجيوش تحيرا يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا وييأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح فى دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب فى جواب كتاب ملك الروم : قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرؤه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجيل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هل تَذْكرِينَ إذ الرسائلُ بيْننـــا

تجرى على الورق الذى لمْ يُغرَسِ

أيامَ أسرارى لديك وسرّكم يهْدَى إلىَّ مع الفصيح الأخرس

« ويريد بالورق الذى لم يغرس: البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الأخرس : الكتاب» .

(٣) و (٤) المسمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة



أَرَأَيْتَ هِمَّــةَ نَاقَتِي فِى نَاقَةٍ ... نَقَلَتْ يَداً سُرُحاً وَخُفّاً مُجْمَرَا[1]

تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ فِى أَوْطَانِهَا ... طَلَبَا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْــبَرَا[2]

التى آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظا ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيده بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهى تلك التى خصك الله بها فى الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه ــ جل شأنه ــ دعاك الأكبر قولا من حيث دعاك فعلا ، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخاطب ، ومن أعلم خطا فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ماحصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلفت صفاتك : تبيين لقوله: ودعاك خالقك الرئيس الأكبر.

(١) السرح : السهلة السير ؛ والمجمر : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجمر : أى خفيف سريع . قال الخوارزمى : أراد خفا خفيفا فلم يوافقه اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافقه فهو تجنيس معنوى . يذكر المتنبى علو همة ناقته حين قصدته وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علو همته هو لأنه يحمل ناقته فى السير مالا يطيق أمثالها:

(٢) الرمث : نبت يوقد به . يشبه الغضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث ـ بالفتح والتحريك ـ فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه فى البحر ، والجمع أرماث . قال أبو صخر الهذلى :

تَمَنَّيتُ مِنْ حُــبّى بُثَيْنَةَ أننا ... على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وَفْرُ

(وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأتت قوما وقودهم العنبر ، يعنى الممدوح . وهذا من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا ... أرضاً ترب الشيحَ والقيصوما



وَتَكَرَّمَتْ رُكُبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكاً أَذْفَرَا(١)

فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الأَظَلِّ كَأَنَّمَا
حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا العَقِيقَ الأَحْمَرَا(٢)

بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
وَجَدَتْهُ مَشْغُولَ اليَدَيْنِ مُفَكِّرَا(٣)

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطَالِيسَ والإِسْكَنْدَرَا(٤)

---

(١) الأذفر : أى الذكى الرائحة . يقول : تكرمت ناقتى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر . يريد أن العنبر بحضرة الممدوح يوقد به والمسك ممتهن عنده بحيث يبرك عليه البعير ؛ والركبات : جمع ركبة ، وإنما هى اثنين بدليل قوله تقعان . قال العكبرى ركباتها جمع ركبة ، وإنما هى اثنين وهو كقوله جل وعلا « فقد صغت قلوبكما » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان ؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركبة ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من المفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان :

(٢) الأظل : باطن خف البعير ؛ وحذيت : أى جعل لها حذاء ، وهو النعل . يقول : أتتك الناقة وقد دميت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها انتعلت العقيق الأحمر ، كما قال الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالمَوْمَاةِ   أَيْدِي جَوَارٍ بِتْنَ نَاعِمَاتِ

أى تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى .

(٣) بدرت : سبقت . يقول : سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكأنها وجدت الزمان مشغولا عنها فانتهزت الفرصة فى قصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات .

(٤) بعدها : أى بعد الأعراب . يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم



وَمَلِلْتُ نحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِى
مَنْ يَنحَرُ الْبِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى(١)

وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ
مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا(٢)

رأيت عالماً هو فى علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو فى سعة ملكه كالإسكندر ؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبي استعماله : حذف بعضه ، فإن العرب تجترئ على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم فى كثرة حروفه لا يوجد فى كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشراء ، وهى فى الأصل : التى لحملها عشرة أشهر ، والمراد هنا : النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدرة ، وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة ؛ والنضار : الذهب . يقول : مللت فى صحبة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافنى من يجعل قراه بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر فى البدر لذكره نحر العشار ، ومعنى نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بِعَالِيَةِ العِرَاقِ قِبابُهُ
يَقْرِى الْبُدُورَ بها وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد ببطليموس فى علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه — أى يتكلم بالعلوم التى فيها — وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة البدو ، وظرافة الحضر . قال الواحدى: وبطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للمشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياه بذكائه وجودة قريحته . ويكون التقدير سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون دارس كتبه : مفعولا ثانيا ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الْإِلٰهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا[1]

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا[2]

يَالَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا
نَظَرَتْ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرَا[3]

---

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكأن الله أحياهم ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان فى جميع الفضلاء . وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

أتَيْتُهُ وأنا المَملوءِ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزمانِ فَسَرّى عَنِّيَ الغضبا

فلو حلفتُ لما كُذِّبْتُ يومئذ
أنى لقيت هناك العُجْم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلك : فاعل أتى . وهى حكاية قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفاضلين قد تتابعوا متقدمين عليك فى الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت منهم بمثابة إجمال الحساد ، الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب فى آخرها : فذلك كذا وكذا . وعبارة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء فى الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك فى الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم : مثل الحساب تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب فى آخر الحساب ؛ فذلك كذا وكذا : فجمع فى الجملة ماذكر فى التفصيل ، كذلك أنت : جمع فيك من الفضل مافرق فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفى النّاس مِمّا خُصِصتمْ بِهِ
تفـاريق لـكِنْ لـكمْ مُجْتَمِع

(٣) يقول : ليت الباكية التى بكت على فراقى وأحزننى بكاؤها رأتك كما رأيتك ، لتعذرنى فى فراقها وركوب الأهوال والأخطار فى سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال العكبرى : نصبها على جواب التمنى بإضمار «أن» عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا .



وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لا تَرُدُّ فَضِيلَةً
أَلشَّمْسَ تُشْرِقُ وَالسَّحَابَ كَنَهْوَرَا[١]

أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلاً
وَأَسَرُّ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتْجَرَا[٢]

---

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان لترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ماعهدنا فى المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك الممدوح فى حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور فيضاً ، فقد اجتمعان فى وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور فى الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد :أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال فى هذا المعنى محمد بن على بن بسام :

أَلشَّمْسُ غرتهُ والغَيْثُ رَاحَتهُ . فَهل سَمِعْتم بِغيْثٍ جاء مِنْ شَمْسِ

وأوضحه ابن الرومى فقال :

يُلْقَى مُغِيا مُشْمِساً فى حَالةٍ هَطِلَ الإغامَةِ نَيِّرَ الإشْمَاسِ

وقال أيضاً :

لِكلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيهِ وَوَجْهِهِ
مَدَى الدهْرِ يَوْمٌ غَامُ الجوِّ شَامِسُ

وتبعه البحترى فقال :

وأبيَضَ وَضّاحٍ إذَا مَا تغيَّمَتْ يدَاهُ تَجلى وجْهُهُ فتقَشَّمَا

وقال الرضى :

أَمطَروا الجودَ مضِيئاً بِشْرهُمْ فرأيناهمْ شُمُوساً وغماما

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلتى إذ أدتنى إليه ، وتجارتى أربح من تجارة غيرى إذ اشترى شعرى بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله مالم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله :وأسر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى



زُحَلٌ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرَا[1]

أخفتنى بسراها ليلا حتى أتيتك ؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها . وقوله: منزلا وما بعده ، منصوب على التمييز ، والمتجر: مايتخذ للتجارة .

(١) جعل الكواكب المحيطة بزحل : كالقوم له ، إذ أنه يسمى شيخ النجوم . يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم : يعنى أن قوم للممدوح ورهطه أشرف من النجوم . هذا وقوله زحل : مبتدأ ، وقوله : لو كان منك الخ، خبر ، والمعشر والعشيرة : قوم الرجل وأهله .



قافيـة الزاى

وقال بدمشق يمدح أبا بكر على بن صالح الروذبارىّ الـكاتب :

كَفِرِنْدِى فِرِنْدُ سَيْفِى الْجُرَازِ   لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَازِ (١)

تَحْسَبُ الْمَـاءَ خَـطَّ فِى لَهَبِ النَّا   رِ أَدَقَّ الْخُطُوطِ فِى الْأَحْـرَازِ (٢)

كُلَّمَا رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النَّا   ظِرَ مَوْجٌ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِى (٣)

---

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه ، معرب دخيل، والجراز: القاطع . والبراز : مبارزة الأقران فى الحرب . يقول : إن سيفى يشبهنى فى المضاء ، وهو حسن فى مرآة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

فى كلِّ جوهرة فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ   وهمُ الفِرِنْدُ لهؤلاءِ النـــاسِ

(٢) الأحراز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقى . سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من المـاء دقيقة كأدق الخطوط فى الأحراز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحراز . وهذا ينظر إلى قول القائل :

ماضٍ تَرَى فى مَتْنِهِ   ماءً بنارٍ مُخْتَـــلِطْ

ومثله :

كأنه فى طَبْـــعِهِ   واللونِ ماءٌ ولَظَى

(٣) هازى : أصلها هازئ ـ بالهمز ـ خفف للقافية : يقول : كلما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وبياضه الذى يتردد فيه كالموج فكأنه يهزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

وكأن الفِرِنْدَ والرَّوْنَقَ الجـــارِىَ فى صفحتَيْهِ ماءٌ مَعين

ولابن أبى زرعة :

متردِّد فيـــه الفِرِنْـــدُ تَرَدُّدَ المـــاء الزُّلال

وَدَقِيقٌ قَذَى الْهَبَــاءِ أَنِيقٌ   مُتَوَالٍ فى مُسْـــتَوٍ هَزْهَازِ(١)
وَرَدَ الْمَـــاءَ فَالْجَوَانِبُ قَدْراً   شَرِبَتْ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِى(٢)

هذا : ويقال هزءاً به يهزأ هزأ وهزؤا ومهزأة وتهزأ به واستهزأ : سخر، ورجل هزأة ــ بالتحريك ــ يهزأ بالناس ، ورجل هزأة بالتسكين ــ يهزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقالسخرت بك.

(١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لمحذوف : أى وفرند دقيق . والقذى فى الأصل : مايقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالمفعول ــ على حد قولك: زيد حسن وجه الأب ــ والهباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن المعجب . والمتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لمحذوف . أى فى صفح، أومتن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويجىء ، ويقال : سيف هزهاز وهزاهز : كأن ماءه يذهب عليه ويجىء ، وروى ابن جنى : قدى الهباء : من قولهم قدى رمح ، وقاد رمح، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازى : أصلها الهمز ، جمع جازئة : من قولهم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب ــ أى بالخضرة ــ عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشماخ بن ضرار :

إذا الأرْطَى تَوَسَّـــدَ أَبْرَدَيهِ   خدودُ جَوَازِىءِ بالرمل عِينِ(١)

وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ فقدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يلينها ، أما ما يليها من المتن فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك المتن ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقصف .

---

(١) الأرطى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أبرديه : أى اتخذ الأرطى فى أبرديه كالوسادة ، والأبردان : الظل والفىء ، سميا بذلك لبردهما ، والابردان أيضاً : الغداة والعشى ، وانتصاب أبرديه : على الظرف ، والأرطى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأرطى فى أبرديه ، والجوازى : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين



حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حتى ... هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَـرَّازِ (١)

وَهْوَ لاَ تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارَيْـهِ وَلاَ عِرْضَ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِى (٢)

---

(١) الحمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخرز الحمائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدى عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

حَمَلَتْ حمائلُهُ القديمةُ بَقْلَةً ... من عهدِ عادٍ غضة لم تَذبُلِ

(٢) غراراه : حداه ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، وانتضى السيف : سله ، والمخازى جمع مخزاة ، مايخزى به الإنسان . يقول: إن سيفى لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطخ . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه ـ يعنى نفسه ـ لحسن بلائه عند الوغى . وهذا من قول الأول :

بكلِّ حُسامٍ كالعَقيقةِ صارِمٍ ... إذا قَدَّ لم يَعْلَقَ بصفحتِهِ الدمُ

هذا ، ولذكر العرض نورد ما أورده العكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال ـ وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهرى صاحب الصحاح : ـ والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقى العرض : برىء من أن يشتم ، والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتغوطون ولا يبولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » أى من أجسادهم ، والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لَعِرضٌ مِنَ الأعراضِ يُمسى حَمَامُهُ ... ويُضحِى على أفنانِهِ الغِينِ يَهتِفُ

أَحبُّ إلى قلبى مِنَ الدِّيكِ رنةً ... وبابٍ إذا ما مال للغلق يصْرِفُ

---

(١) الغين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة، وصريف الباب : صريره.



يا مُزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّى وَرَوْضِى
يَوْمَ شُرْبِى وَمَعْقِلِى فى البَرَازِ[1]

وَاليَمَانى الَّذِى لَوِ اسْطَعْتُ كَانَتْ
مُقْلَتِى غِمْدَهُ مِنَ الإِعْزَازِ[2]

---

(١) البراز : الخلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه — : أنت تزيل عنى الظلام بصفائك ورونقك : يعنى أنه يستصبح ببريقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كالظلام ، وأنت روضى يوم شربى : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروضى يوم أشرب دماء الأعداء — أى يوم الحرب — هو أنت ، وذلك لخضرته ، والسيف يوصف بالخضرة ، كما قال الحمامى فى مقصورة له :

مُهَنَّدٌ كأنما طَبَّاعُهُ أَشْرَبَهُ بالهند ماءَ الهِنْدَبَا[1]

ومثله للبحترى :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ القديمةُ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لم تَذْبُلِ

ثم قال المتنبي : ويا حصنى الذى أتحصن به وأذود عن نفسى فى البراز : أى الصحراء وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزازى له وإبقائى عليه لو استطعت لجعلت عينى غمداً له ، واليمانى : أى المنسوب إلى اليمن ، والأفصح : يمنى ويمان ، لأن الألف عوض من ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانى — بالتشديد — قال أمية بن خلف :

يَمَانِيًّا يَظَلّ يَشُدُّ كِيراً وينفُخُ دائماً لَهَبَ الشواظِ

وقال العكبرى : اليمانى فى موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ، ويا اليمانى ، ثم قال : وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبى البصريون ذلك . وحجتنا أنه قد جاء فى أشعارهم وكلامهم ، قال الشاعر :

---

(١) الهندبا — يمد ويقصر — بقلة من أحرار البقول .

إنَّ بَرْقِي إذَا بَرَقْتَ فَعَالِي   وَصَلِيلِي إذَا صَلَلْتَ ارْتِجَازِي[1]

لَمْ أُحَمِّلْكَ مُعْلَماً هٰكَذَا إلاَّ   لِضَرْبِ الرِّقَابِ وَالأَجْوَازِ[2]

وَلِقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا   فَكِلاَنَا لِجِنْسِهِ الْيَوْمَ غَازِي[3]

فيا الغُلامَانِ اللذان فَرّا   إيا كما أن تكسبانا شرًّا[1]

وقال الآخر :

فَدَيتُكِ يا التى تَيَمَّتِ قلبى   وأنت بخيلة بالوصل عنى[2]

ويدل على صحة قولنا : إجماعنا على أنه يجوز أن يقال فى الدعاء : يا الله ، والألف واللام فيه زائدتان . وحجة البصريين أن الالف واللام للتعريف ، وحرف النداء يفيد التعريف ، وتعريفان فى كلمة لايجوز .

(١) الفعال : الفعل الحسن ، والصليل : الصوت ، والارتجاز : قول الرجز من الشعر . يقارن ما بين سيفه ونفسه ؛ يقول : إذا كان لك برق ، فهناك فعالى بإزائه ، وإذا ارتفع صليلك — صوتك — فى الضريبة ، فإن صليلى هو إنشادى الأراجيز من شعرى .

(٢) المعلم : الذى قد شهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها ، وهو مما كانت تفعله الأبطال من العرب ؛ ومعلماً : حال من المتكلم ؛ والأجواز : الأوساط ، جمع جوز ، يقول : لم أحملك فى الحرب لزينة ، وإنما لضرب الرقاب وأوساط الرجال . وروى : ولم أحملك . ، قال العكبرى : حرك الساكن وحذف الهمزة ، وهى لغة جيدة جاءت فى أشعارهم وخطبهم وكلامهم .

(٣) يقول : ولم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذى على الرقاب والأجواز

---

(١) هذا البيت والذى بعده شائعان فى كتب النحو ولم يعرف لهما قائل ولا ضميمه وإيا كما : تحذير ، وأن تكسبانا : أى من أن تكسبانا ، وماضيه كسب : يتعدى إلى مفعولين يقال كسبت زيداً مالا وعلماً : أى أنلته . قال ثعلب : كلهم يقول كسبك فلان خيراً إلا ابن الأعرابى ، فإنه يقول : أكسبك ، بالألف .

(٢) قوله فديتك : يروى من أجلك . أى من أجلك قاسيت ما قاسيت مثلا وقوله: تيمت كان القياس أن يقول، تيمت بتاء التأنيث على الغيبة ، لكن جاء على نحو

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره

والقياس : سمته ، وجملة أنت بخيلة : حال عاملها « تيمت » .



سَلَّهُ الرَّكْضُ بعدَ وَهْنٍ بنَجْدٍ فتصدَّى للغيثِ أهلُ الحِجازِ (١)
وَتمنَّيْتُ مِثْلَهُ فكأنِّى طالبٌ لابْنِ صالحٍ مَنْ يُوازِى (٢)
لَيْسَ كُلُّ السَّراةِ بالرُّوذبارِ ىِّ ولاَ كُلُّ ما يَطِيرُ ببَازِ (٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمغافر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلانا يغزو جنسه .

فقوله :ولقطعى : عطف على قوله لضرب الرقاب ،وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقاض وقضاة ، وغزى — بتشديد الزاى — مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فعيل مثل حاج وحجيج وقاطن وقطين . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغزِىِّ إذا غزَوْا والباكرين وللمُجِدِّ الرائحِ

وغزاء أيضا بالمد : مثل فاسق وفساق ، قال تأبط شراً :

فيوماً بغُزّاء ويوماً بِسُرْيَةٍ ويوماً بخشخاشٍ من الرجْل هيضل

« سرية : اسم من الأسراء ، والخشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله القصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والغيث : المطر . يقول : ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لمعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة المتوكل :

إذا أُوقِدَتْ نارُها بالعِراق أضاء الحجازَ سَنا نارِها

والأصل قول الوائلى :

ما سَلَّه أهلُ الحجاز لحاجةٍ إلا يُبَشِّرُ بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيهم طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .

(٢) يوازى : يعادل ويماثل . وابن صالح : هو الممدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفى ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن المخالص .

(٣) السراة : جمع سرى — الشريف — والرذبارى : الممدوح ، نسبة إلى بلد



فَارِسِىٌّ لَه مِـنَ المَجْـدِ تَاجٌ
كَانَ مِـنْ جَـوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوَازِ(١)
نَفْسُـهُ فَوْقَ كلِّ أَصْـلٍ شَرِيفٍ
وَلَوَ اَنِّى لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عازِى(٢)
وَكَأَنَّ الفَـرِيدَ وَالدُّرَّ وَالْيَـا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَـامَ الرِّكَازِ(٣)
شَـغَلَتْ قَلْبَـهُ حِسَانُ المَعَالِى
عَنْ حِسَـانِ الْوُجُـوهِ وَالأَعْجَازِ(٤)

أبيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بينهم كالبازى بين سائر الطير : أى ليس أحد مثل هذا الممدوح الذى قد جمع ما تفرق فى غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسى :

بُغاثُ الطـير أكثرها فراخا وأمُّ الصـقر مِقْلاَتٌ نزورُ

(١) أبرواز : هو أبرويز أحد الأكاسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كعادة العرب تتصرف فى الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز ، يريد أنه معرق له عظامى .

(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حتى لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .

(٣) وسام الركاز : عطف على الفريد. والفريد :الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الركاز لأن الركاز معدن الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه .

(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شىء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو المعالى ، لا مغازلة النساء . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً فما زلتَ بالبِيضِ القواضِب مُغرما
ومن تيمَّتْ سُمرُ الحسـانِ وأُدْمُها
فما زلتَ بالسمر العوالى مُتيَّما

تَقْضَمُ الجَمْرَ وَالحَدِيدَ الأعادِى
دُونَهُ قَضْمَ سُكَّرِ الأهْوَازِ(١)

بَلَغَتْهُ البَلاَغَةُ الجُهْدَ بِالعَفْوِ وَنَالَ الإِسْهَابَ بالإِيجَازِ(٢)

حَامِلُ الحَرْبِ وَالدياتِ عَنِ القَوْمِ وَثِقْلِ الدُّيُونِ وَالإِعْوَازِ(٣)

ويقول :

عَذَاكَ حَرُّ الثغورِ المُسْتَضامة عن بَرْدِ الثغورِ وعن سَلْسالِها الحَصِبِ(١)

(١) القضم : أكل الشىء اليابس . والأهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول : لحنق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما يقضم السكر . وهذا من قول الأعشى :

فَعَضَّ حَدِيدَ الأرضِ إن كنت ساخِطاً
بِفيكَ وأحجارَ الكُلابِ الرَّواهِصَا(٢)

وقول أبى العتاهية :

كأن المطايا المُجْهَدَاتِ من السُّرَى إلى بابه يَقْضَمن بالجهد سُكَّرا

(٢) العفو : الميسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد: المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة مايبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية . وينال بإيجازه فى القول ما ينال غيره بالإسهاب وما أجمل قول البحترى :

فى نظام من البلاغة ماشك امرؤ أنه نظام فريد
حُزْنَ مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد

(٣) الديات : جمع دية ، مايؤخذ من القاتل عن القتال . والإعواز: الحاجة والفقر

---

(١) سلسالها : يريد ريقها ، والحصب : الذى فيه الحصباء ، وهى صغار الحصى .

(٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام — اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواهص : صفة للأحجار ، وهى الثابتة الملتزقة المتراصفة .



كَيْفَ لاَ يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشَكَّوْا وَبِهِ لاَ بِمَنْ شَكَاهَا الْمَرَازِى(١)

أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءُ وَمَا فِيهِ مَبِيتٌ لِمَالِكَ الْمُجْتَازِ(٢)

بِكَ أَضْحَى شَبَا الأَسِنَّةِ عِنْدِي كَشَبَا أَسْوُقِ الْجَرَادِ النَّوَازِى(٣)

وانْثَنَى عَنِّى الرُّدَيْنِيُّ حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْحُرُوفِ فِى هَوَّازِ(٤)

وَبِآبَائِكَ الْكِرَامِ التَّأَسِّى وَالتَّسَلِّى عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِى(٥)

(١) المرازى : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله الهمز . وخفف للضرورة وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إنى لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزيئة أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار : ساحتها ، والمجتاز : الذى يجوز بالمكان ولا يعرج عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعنى أنه معطاء يبذل ماله فلا يبقى عنده .

(٣) شبا الأسنة : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنوازى - من قولك نزا الجراد ينزو - وثب . يقول : لما صرت فى جوارك واعتصمت بك صرت لا أكترث لعدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح فى نظرى كساق الجرادة لقلة مبالاتى به .

(٤) قوله فى هواز : أراد فى هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت، كما قال أبو حنش فى البرامكة :

أَبُوجَادُهم بَذْلُ النَّوَى يُلْهِمُونَهُ ومُعْجَمُهُمْ بالسَّوْطِ ضَرْبُ الفوارِسِ

وإنما هو أبجد . يقول المتنبي : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف المدورة فى هوز ، وهى الهاء والواو والزاى ؛ والجيد فى تعطف الرماح قول أبى العلاء المعرى :

وتَعطفَتْ لَعِبَ الصِّلالِ مِنَ الأسى فالزُّجُّ عِنْدَ اللهذَمِ الرَّعَافِ

(يقول المعرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتتلوى إذا لعبت حتى تجمع رءوسها إلى أذنابها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها) .

(٥) التأسى : التعزى ؛ والتعازى : جمع تعزية . يقول : إنما يتعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فاذا ذكرنا فقدهم : هان علينا فقدمن بعدهم .



تَرَكُوا الأَرْضَ بَعْدَ مَا ذَلَّلُوهَا وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلاَ مِهْمَازِ[1]
وَأَطَاعَتْهُمُ الْجُيُوشُ وَهِيبُوا فَكَلاَمُ الْوَرَى لَهُمْ كَالنُّحَازِ[2]
وَهِجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَآيَتْـــكَ عَدِيدَ الْحُبُوبِ فِى الأَقْوَازِ[3]

---

(١) المهماز : حديدة تجعل فى عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع فى المشى . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض وانقادت لهم انقياد الدابة الذلول التى تمشى بغير مهماز .

(٢) النحاز : داء يصيب الإبل والغنم فى صدورها يشبه السعال . وهيبوا : أى هابهم الناس . قال ابن جنى : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة الجيوش إياهم صاروا لا يعبأون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت :

(٣) وهجان : أى ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : الكرام الخالصة النسب ، وتآيتك وتأيتك : أتت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشىء وتآياه : أى تعمد آيته ، أى شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الحُصْنُ أَدْنَى لو تَأَيَّيْتِهِ مِنْ حَثْيِكِ التربَ على الراكبِ[1]

وقال لقيط بن معمر الأيادى :

أبنـــاء قومٍ تآيوكم على حَنَقٍ لا يَشْعُرُونَ أضرَّ اللهُ أمْ نَفَعَا

وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إذا ما تأتى يُريد القيامْ تهادَى كما قد رأيتَ البَهيرَا[2]

موردين إياه إذا ماتآيا، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ماتأتى ؛ وتأتى للشىء : تهيأ له والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الرابية . يقول : رب رجال كرام على إبل كريمة قصدوك فى مثل عدد حبات الرمل كثرة ،

---

(١) هذا البيت لامرأة تخاطب ابنتها ، وقد قالت لها :

يا أمَّتِى أبصرنى راكِبٌ يسير فى مُسْحَنفر لاحِبِ
مازلتُ أحثو التربَ فى وجهه عمداً وأحمِى حوزَةَ الغائبِ

فقالت لها أمها : الحصن الخ ... ...

(٢) بهيراً : أى مبهورا ، أى أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعياء .



صَفَّهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَوْقَ مِثْلِ الْمُلاءِ مِثْلَ الطِّرَازِ(١)
وَحَكَى فِي اللُّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْرِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ(٢)
كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالإِنْجَازِ(٣)
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ
وَاضِعُ الثَّوْبِ فِي يَدَيْ بَزَّازِ(٤)
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهْوَ أَدْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الإِعْجَازِ(٥)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعَرَاءُ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازِ(٦)

---

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الريطة ذات لفقين ، والإزار ؛ والطراز : ما يكون فى الثوب من النقش ، فارسى معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً فى سيرها على سعة الفضاء بطراز – نقش – على ملاءة . وإذا كان هناك فى هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لبياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان فى بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت فى السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمُهُنَّ وَهْيَ إِمَامُ

(٢) فاعل حكى : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعنتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز : المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكى – ماثل – فى ذلك جودك فى إهلاك المال .

(٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعدته ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

صَدَّقْتَ ظَنِّي وَصَدَقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي

(٤) القريض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : نقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جنى : أى ينسب إلينا القول وهو أعلم بمعناه وأولى منا أن يأتى فى القول بالمعجز .

(٦) الخازباز – ببناء الجزأين على الكسر – حكاية صوت الذباب ، ثم سمى به الذباب

وَيَرَى أَنَّهُ البَصِيرُ بِهَٰذَا
وَهُوَ فِى العُمْىِ ضَائعُ العُكَّازِ (١)

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيرك لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديئه ، فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن. هذا؛ وإليك عبارة اللسان فى الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول فى ذلك ، قال : والخازباز : ذباب ، اسمان جعلا واحدا ، وبنيا على الكسر لا يتغير فى الرفع والنصب والجر ؛ قال عمرو بن أحمر :

تَفَقَّأَ فَوقه القَلَعُ السوارى وجُنَّ الخازبازِ به جنونا

« الخازباز » وسمى الذبان به ــ وهما صوتان جعلا واحداً ــ لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أرْعَيْتها أكْرَمَ عُودٍ عُودا الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ واليَعْضِيدا

والخازبازِ السَّنِمَ المَجُودا بحيث يدعو عامر مسعودا

« نبت سنم مرتفع ، وهو الذى خرجت سنمته ، وهو ما يعلو رأسه كالأكليل ، والمجود الذى أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان «وكل من الصل والصفصل واليعضيد نبات » والخازباز ــ فى غير هذا ــ داء يأخذ الإبل والناس فى حلوقها . أقول « : لعله من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ فى الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يا خازباز أرْسِلِ اللهازِمَا إنى أخاف أن تكون لازما

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثلُ الكِلابِ تَهِرُّ عند دِرَابِها
ورَمَتْ لهَازِمُها من الخِزبازِ

« الدارب : جمع درب ، واللهازم : جمع لهزمة ، وهى لحمة فى أصل الحنك ، شبههم بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذى ضاعت



كُلُّ شِعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيكَ وَعَقْلُ الُمجِيزِ عَقْلُ الُمجَازِ(١)

**

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو فى العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة العميان .

(١) المجيز : الممدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة . وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : فحذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجودا ذا قريحة بصيرا به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك المتخلف يكون شعره متخلفا ، والممدوح الذى يجيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع : كان عقله جيداً كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر محك للمادح والممدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد والابتكار ، وعلى مكانة الممدوح من البصر بالشعر ونقده ومعرفة مايستحقه . ويروى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً فقبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الردىء .



قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، فقال أبو الطيب ارتجالا :

أَلاَ أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِي وَلاَ لَيَّنْتَ قَلْباً وَهْوَ قَاسِ[1]

وَلاَ شُغِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي وَلاَ عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ[2]

***

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسي :

أَظَبْيَةَ الْوَحْشِ لَوْلاَ ظَبْيَةُ الْأَنَسِ لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ فِي الْهَوَى تَعِسِ[3]

---

(١) يقول ــ للمؤذن ــ أذن فلم تذكر بأذانك ناسياً : يعني أنه محافظ على الصلوات لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع ، فلا يحتاج إلى ما يلينه . وكان حقه أن يقول ناسياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، في موضع الحال ، كأنه قال : ولا لينت قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب المعالي ، فهو ليس ممن يستهلكون أوقاتهم فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة حق . وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

ولم يَشْغَلْكَ عن طلب المعالي ولا لذاتها لَهْوٌ ولِعْبُ

(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمكان كذا أنساً كثيراً ؛ أي ناساً كثيراً ، والأنس أيضاً : الحي المقيمون ؛ والأنس كذلك : لغة في الإنس . وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

. . . .

أتوْا نَارى ، فقلتُ مَنُونَ أنتمْ ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عِمُوا ظلاما
فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال مِنهمْ زَعِيمٌ : نَحسُد الأنس الطعاما
لقد فُضِّلتمُو بالأكل فينا ولكن ذاكَ يُعقبكم سَقاما

والأنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به ـ بالكسر ـ أنساً وأنسة. وفيه لغة أخرى : هى أنست به أنساً ، مثل كفرت به كفراً . والجد : الحظ والبخت، والتعس : الانحطاط والكب والعثور : ضد الانتعاش وقيل الهلاك ، وتعس ـ بالفتح ـ يتعس تعساً ، وأتعسه الله . قال مجمع ابن هلال:

تقولُ وقد أفردْتُها مِن خَليلها تعَسْت كما أتعَسْتنِي يا مُجمِّعُ

والمراد بالجد التعس : المنحوس المشئوم . وقد عابوا قوله : تعس ، قائلين : إنما يقال جد تاعس ، من تعس ـ بفتح العين ـ ولا يجوز بكسرها إلا ماروى عن الفراء، واحتج أهل اللغة ببيت الأعشى :

بِذَاتِ لَوْث عِفَرْناةٍ إذا عَثرت فالتعْسُ أدْنى لها من أن أقول لعاً[1]

ولو جاز تعس ـ بالكسر ـ لكان المصدر تعساً ، فعلى هذا لا يقال: جد تعس . وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفته لكثرة ملازمته الفيافى ومساءلته الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أخُطُ وأمحو الخط ثم أعِيدُهُ بكفيَّ والغِزلانَ حَوْلِيَ ترتعُ

أى قد ألفتنى وأنسن بى لكثرة مايريننى . يقول : لولا شبيهتك من الإنس أيتها الظبية ـ يعنى حبيبته ـ لما صرت فى الحب ذا جد منحوس .

---

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت ـ فى بيت قبله ـ وهو :

كلَّفتُ مجهولها نفسى وشايعنى همى عليها إذا ما آلها لمعا

اللوث ـ بالفتح ـ القوة . وعفرناة ، شديدة قوية ، والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول: تعساً له، وإن كان بليدا كان دعاؤهم له إذا عثر : لعاً لك ، وهى كلمة يراد بها : أن ينتعش .

وَلاَ سَقَيْتُ الثَّرَى وَالْمُزْنُ مُخْلِفَةٌ ... دَمْعاً يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفَسِى (١)
وَلاَ وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْىَ ثَالِثَةٍ ... ذِى أَرْسُمٍ دُرُسٍ فى الأَرْسُمِ الدُّرُسِ (٢)
صَرِيعَ مُقْلَتِهَا سَآلَ دِمْنَتِهَا ... قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكِ الْجَفْنِ وَاللَّعَسِ (٣)
خَرِيدَةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ ... وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسِ (٤)

---

(١) الثرى : التراب ؛ والمزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير ماطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْلاَ الدموع وفَيْضُهن لأحرقت ... أرضَ الوَداع حرارةُ الأكبادِ

وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظت ... يوماً تُنَشِّفُ فى العيون الماء

(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصباح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة: أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى امحت . يقول : لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظعنها ـ أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد بلقائها ـ بجسم دارس ناحل قد أبلاه الحزن وأنحله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خَلَّفَتْنِى نِضْوَ أحزانٍ أعالجها ... بالْجِزْعِ أَنْدُبُ فى أنضاء أطلالِ

(٣) الدمنة : جمعها دمن ـ ما اسود من آثار الديار ـ ، واللعس : سمرة فى الشفة مثل اللمى ، وصريع وسآل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم. واللعس: عطف على تكسير . وكاف ذاك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقلتها قد صرعته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما فى جفنها من الانكسار وفتور النظر وما فى شفتها من السمرة.

(٤) الخريدة : الخفرة الحيية . وماس الغصن يميس : مال وتثنى . والميس : أصله



مَا ضَاقَ قَبْلَكِ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَأٍ وَلاَ سَمِعْتُ بِدِيبَاجٍ عَلَى كُنُسٍ (١)

إنْ تَرْمِنِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ
تَرْمِ امْرَأً غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلاَ نِكِسِ (٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للقضيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر . يقول : إنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهى أحسن تثنيا من تثنى غصن البان ، فلو رآها لم يتمايل . قال الواحدى : وفى هذا إشارة إلى أنها فى غاية الستر ، وأن الشمس لم ترها ولا الغصن .

(١) الرشأ : الظبى الصغير . والكنس والكناس الموضع الذى تتخذه الظباء من أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشأ دقيق القوائم لا يضيق الخلخال على قوائمه ، وأنت رشأ غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال ، ولم أسمع أن كناس الرشأ يستر بالديباج — ضرب من الثياب الحريرية — أما أنت فستورة الكناس بالديباج — يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

أعَنِ الشمس عِشَاء رُفعت تلك السجوفُ
أم على أذْنَىْ غزال عُلِّقت تلك الشنوف

(٢) الكثب : القرب . والرعديد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربع الهذلى :

ماذا يَغِيرُ ابنتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهما لا تَرْقُدَانِ ولا يؤسَى لِمن رَقَدَا
كِلتاهما أُبطنت أحشاؤها قصباً من بَطْنِ حَلْيَةَ لا رَطْبا ولا نَقِدَا
إذا تجاوبَ نَوْحٌ قامتا معه ضَرْباً أليما بِسِبتٍ يَلْعَجُ الجِلدا (١)

---

(١) يقول هذه الأبيات فى أختيه وبكائهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً . وقوله: كلتاها أبطنت الخ ، يقول : كأن فى أجوافهما قصب المزامير من شدة البكاء . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى فى صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز الرجل . وقوله : ولا نقدا؛ أى لم يتأكل . والتاء فى «ترقدان» للمؤنث الغائب . والحلية : مأسدة باليمن والنوح : النساء يجتمعن للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب فى مناحاتهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدِى بَنِيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهُمْ
بِجَبْهَةِ الْعَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ (١)
أَبَا الْغَطَارِفَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمُ وَتَارِكِى اللَّيْثِ كَلْباً غَيْرَ مُفْتَرِسِ (٢)
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُوراً عَلَى قَبَسِ (٣)

[يغير : ينفع . والسبت : جلود البقر المدبوغة . واللعج : الحرقة . أراد الجلد ، لحرك اللام بالكسر لكسر ما قبله] . ومثله كثير . يقول المتنبى : إن زمانى الدهر بنوائبه عن قرب — يعنى من حيث لا يخطىء — فإنى غير جبان ولا ساقط دنىء — يعنى لا أخاف ذلك ولا أجبن منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسدهم : فاعل يفدى . جعل العير — الحمار — مثلا للدنىء . والفرس : مثلا للكريم ، والمعنى : بأعز شىء فى اللئيم يفدى أخس شىء فى الكريم : أى أن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبى جعفر الأسكافى :

نفسى فداؤكَ وهىَ غير عزيزةٍ فى جنب شخصكَ وَهو جِدُ عزيزِ
فلقد يقى الحرّ البهىّ أذاتَه فى وقتها كفٌ من الشونيزِ

« الشونيز والشينيز : الحبة السوداء » ومثله لأبى نصر العتبى :

ألله يشهد والملائك أننى لجليل ما أوليتَ غيرُ كفور
نفسى فداؤك لا لقدرى بل أرى أن الشعير وِقاية الكافور .

(٢) أبا الغطارفة : نصب على البدل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبا السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلبا لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد — أى البطل الشجاع — عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكريم النقى العرض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته: مبتدأ . والخبر: الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات(١) .

---

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات؛ قيل لأنه كان يشبب بعدة نساء يسمين جميعاً رقية .



دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٌّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ أَغَرُّ حُلْوٍ مُمِرٌّ لَيِّنٌ شَرِسٍ (١)
نَدٍ أَبِيٌّ غَـــرٍ وَافٍ أَخِي ثِقَـــةٍ
جَعْدٌ سَرِيٌّ نَهٍ نَدْبٍ رضًى نَدُسٍ (٢)
لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ
عَزَّ القَطَا فِي الفَيَافِي مَوْضِعُ اليَبَسِ (٣)

إنما مُصْعَبٌ شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء

(١) أمر الشيء : صار مراً . يقول : هو دان ـ قريب ـ ممن يحبه ويقصده بعيد عمن ينازعه ، محب للفضل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصاد ، حلو لأوليائه مر على أعدائه ، لين فى الرضا . شرس ـ صعب ـ على الأعداء . وروى الخوارزمى محب مبغض ـ بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ، وسر ، فهو بهج وبهيج قال الشاعر :

كان الشبابُ رداءً قد بَهِجتُ به فقد تطايرَ منه للبِـــلى خِرقُ

(٢) ند : جواد ندى الكف . وأبى : أنوف يأبى الدنايا . وغر : مغرى بالفعل الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن جنى : أخ ـ منونا ـ أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم ـ الأخ ـ عليه لصحة مودته لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب ـ وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد عدل ـ وجعد جواد . قال الزمخشرى : وأما قولهم جعد للجواد(١) فمن الكناية عن كونه عربيا سخيا ، لأن العرب موصوفون بالجعودة . قال :

هل يُرْوِيَنْ ذَوْدَكِ نَزْعٌ مَعْدُ وساقيان سَبِـــطٌ وَجَعْدُ

أى عجمى وعربى ، لأنهما لا يتفاهمان فلا يشتغلان بالكلام عن السقى . وسرى : شريف ، ونه : ذو نهية ، وهى العقل . والندب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى يدعى فينتدب . ورضى . أى مرضى . والندس ـ بضم الدال وبكسرها ـ الفطن البحاث عن الأمور العارف بها .

(٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تغدو بالمطر . والفيافى :

---

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .



أَكَارِمُ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ
وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ[(١)]

أَىُّ المُلُوكِ ـ وَهُمْ قَصْدِى ـ أُحَاذِرُهُ
وَأَىُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْفِى وَهُمْ تُرُسِى[(٢)]

وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالا :

أَلَذُّ مِنَ المُدَامِ الخَنْدَرِيسِ وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَاةِ الكُئُوسِ[(٣)]
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالعَوَالِى وَإِقْحَامِى خَمِيساً فِى خَمِيسِ[(٤)]

جمع القيفاة ، وهى المفازة لا ماء بها . واليبس : المكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه ماء سحابة لعم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا — وهو الطائر المعروف بالهداية — فى الفلوات موضعا جافا تلتقط منه الحب أو تنام فيه ، وعز — هنا — أعيا . وأصله غلب وقهر ، ومنه بيت الحماسة :

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فباتت تجاذبه وقد عَلِقَ الجناحُ

أى أعياها وجود موضع اليبس ، أى المكان اليابس وامتنع عليها .

(١) أكارم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم فى الأرض حسدتها السماء إذ لم يكن فى السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر — بلد — عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحدا من الملوك ، وإذا استعنت بهم لم أحذر قرنا يقابلنى. والقرن : كفؤك فى الشجاعة : أما القرن من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إذا ذَهَبَ القَرْنُ الذى أنت فيهمُ وخُلِّفْتَ فى قَرْنٍ فأنت غريب

والقرن : الوقت من الزمان، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة .

(٣) و (٤) الخندريس : الخمر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالى : صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشىء فى الشىء ؛ والخميس : الجيش ؛ ومعنى معاطاة الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب : كمد المتناول يده إلى من ناوله الشىء يقول : إن الحرب ألذ عنده من الشرب : فقوله : ألذ ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة —



فَمَوْتِى فى الوَغَى أَرَبِى لِأَنِّى رَأَيْتُ العَيْشَ فى أَرَبِ النُّفُوسِ [١]
وَلَوْ سُقِّيتُهَا بِيَـدَىْ نَدِيمٍ أُسَرُّ بِهِ لَـكَانَ أَبَا ضَبِيسِ [٢]

***

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى :

هٰذِى بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ثُمَّ انْثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا [٣]

فى البيت الثانى — ومثل هذا يسميه العلماء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لَسَلُّ السيوف وشق الصفوف وخوض الحتُوف وضرب القُلَل
أَلذ إليه من الْمسمعاتِ وشربِ المـدامة فى يوم طَلّ

(١) الوغى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة ، يقول : إذا قتلت فى الوغى — الحرب — فذلك هو حياتى ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيا تشتهيه النفس ، وأنا أشتهى أن أموت محاربا ، وإذا أدركت ما أشتهى : فكأنى حييت .

(٢) يقول : لو رغبت فى شرب الخمر لشربتها من يدى أبى ضبيس ، لأنى أسر بمنادمته .

(٣) هذى : أى ياهذه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال المعرى : هذه موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يا إبلى إمَّا سَلِمْتِ هٰذِى فَاسْتَوْسِقِى لِصَارِمٍ هَذَّاذِ
أَوْ طَارِقٍ فى الدَّجْنِ والرَّذَاذِ

يريد هذه الكرة ؛ والرسيس — فى الأصل — مس الحمى وأولها ، وهو ما يتولد عنها من الضعف . والمراد هنا : مارس فى القلب من الهوى : أى ثبت ، قال ذو الرمة :

إذا غَـيَّرَ النَّأْىُ المحبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى مِن ذِكرِ مَيَّةَ يبرحُ

والنسيس : بقية النفس بعد المرض والهزال . يقول : برزت لنا فحركت ما كان فى قلبنا من هواك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا — بالوصال .

وَجَعَلْتِ حَظِّى مِنْكِ حَظِّى فى الكَرَى
وَتَرَكْتِنِى لِلْفَرْقَدَيْنِ جَلِيسَا[1]

قَطَعْتِ ذَيَّاكِ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدَرْتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوسَا[2]

إِنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِى تَكْفِى مَزَادَكُمُ وَتَرْوِى الْعِيسَا[3]

حَاشَى لِمِثْلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُونَ عَبُوسَا[4]

وَلِمِثْلِ وَصْلِكِ أَنْ يَكُونَ مُمَنَّعاً وَلِمِثْلِ نَيْلِكِ أَنْ يَكُونَ خَسِيسَا[5]

---

(١) يقول : حلت بينى وبينك كما حلت بينى وبين النوم ، لحظى منك ومن وصالك كحظى من النوم ، يعنى لا حظ لى من الوصال ولا من النوم ، فهو ساهر طول الليل يراعى الفرقدين ، وهما نجمان لايفترقان ، يضرب بهما المثل فى الاجتماع .

(٢) ذياك : تصغير ذاك ؛ والخمار : بقية السكر . يقول : كنا مع قربك فى شبه الخمار لما كنا نقاسى من بخلك بالوصل ، فجاء ماطم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك ،يعنى : بلينا من فراقك بأشد مما كنا نقاسيه من منعك مع قربك، فشبه بخلها فى قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار إذا قيس بالسكر : صغر .

(٣) الظعن : الارتحال . والمدامع : مجارى الدموع من العين ، والمراد : الدموع . والمزاد : جمع المزادة : القربة . والعيس . الإبل . يقول : إن كنت مرتحلة فإنى أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعى تملأ ما معكم من أوعية الماء ، وتروى إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء .

(٤) و (٥) حاشى : كلة تنزيه ، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح. و«أن تكون» فى موضع جر بـ«من» مضمرة . واسم تكون : يرجع إلى مثل،وهو يذكر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . وعبس : قطب وجهه ، والنيل : اسم لما ينال . والخسيس : القليل .يقول مثلك فى حسنه وكرم أصله لا ينبغى أن يبخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك فى توافر ملاحته لا ينبغى أن يكون عبوسا للناظرين إليه ، وبودى أن تجودى بوصلك وأن لا تمنعيه عنا . هذا : ولم يرد المتنبى ما قيل — فى هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال ، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنعا ، وإذا كان مبذولا مل ، وانحرفت النفس عنه ، وما أحسن قول القائل :



خَوْدٌ جنَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَاذِلِي   حَرْباً وَغادَرَتِ الْفُؤادَ وَطِيساً[1]

ما أحـــلى الهوى مالم تنل فيه المنى   والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى

وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق   من لا يمد إلى مواصلة يدا

وقد قال كثير :

وإنى لأسمو بالوصال إلى التى   يكون نثيًّا وصلها وازديارها

أى إنما أرغب فى ذات القدر المصونة ، لا المبذولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :

كأنّ مِشيتها فى بيت جارتها   مَشْىَ السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال هذه خراجة ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشتاقها جاراتها فيزرنها   وتعتلّ عن إتيانهن فتُعذَر ؟

قال ابن فورجه : هذا اعتراض على المتنبي بوصفه حبيبته بأنها مبذولة الوصال ، ولم يتعرض لذلك بشىء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس فى اللفظ مايدل على أنها مبذولة الوصل أو ممنعة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبذولا وصالها له ، وأى محب لا يحب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حبيبته فهو محال ؟

قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنعى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ فى رونق الصبا   وفيهنّ عن أزواجهنّ طِماحُ

مُسِرّاتُ وُدّ مُظهراتٌ لضدّه   تراهن كالمرضى وهن صحاح ؟

أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر ما يحب وبينه ، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض المحبين . وأما قول المتنبي فهو مباين لهذا بقوله : أن يكون ممنعا : فهو هجر صراح .

(١) الخود : — بفتح الخاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — بضمها — وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تنور من حديد ، ويقال حمى الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لكثرة ما يلمننى — أى العواذل — فى هواها ، ويراجعننى ويغضبننى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائها ، ثم قال : وقد تركت فؤادى مثل الوطيس : أى ملتهبا بما فيه من حرارة الوجد .

بَيضَاء يَمنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّها تِيهاً وَيَمنَعُهَا الحَيَاءُ تَمِيسا[1]

(١) يقول : إنها بيضاء — نقية العرض — يمنعها دلالها أن تتكلم ويمنعها حياؤها أن تميس — تتثنى — فقوله تكلم ، يريد أن تتكلم ، فحذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروى بدل تكلم : التكلم . وإليك ما قال العكبرى الكوفى : قوله تكلم : أراد أن تتكلم ، فحذف وأعمل ، وكذلك أن تميسا ؛ وهو كثير فى أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحجتنا قول الشاعر :

انظرا قَبلَ تلومَانِي إلى طلل بين النقا والمنحنَى

وقول طرفة :

ألا أيّهــذا الزاجِرى أحْضُرَ الوغى

وأن أشهَــدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخلِدى[1]

وقراءة عبد الله «لا تعبدوا إلا الله» فنصب بتقدير «أن» مع حذفها ؛ وقول عامر ابن الطفيل :

* ونَهنَهتُ نفسى بَعدَ ما كِدتُ أفعَلَه *

وقد ألزمناهم بقولهم: إنها تعمل مع الحذف من غير بدل فى جواب الستة بالفاء مقدرة وحجتهم أنها تنصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضعيفة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها فى قوله تعالى « أفغير الله تأمرونى أعبد » وقال الشاعر :

أَن تَقرَآنِ عَلَى أسماء وَيحَكما مِنِى السلامَ وأن لا تُشعِرَا أحدا[2]

(١) من معلقة طرفة ، وبعده :

فإن كُنتَ لا تَستَطِيعُ دَفعَ منيتِى فَذَرنِى أُبادِرها بِمَاملكت يَدِى

يقول فى البيت الأول : يامن يلومنى فى حضور الحرب لئلا أقتل. وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر — ما أنت مخلدى إن قبلت منك ، فدعنى أنفق مالى فى الفتوة ولا أخلفه لغيرى ثم قال فى البيت التالى: إن كنت لا تقدر أن تدفع موتى فذرنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى : يعنى أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

(١) قبله :

ياصاحِبَىَّ فَدَت نَفسى نُفُوسَكما وحيثما كنتما لا قيتما رشدا



لمَّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا ... هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا[١]

أَبْقَى زُرَيْقٌ لِلثُّغُورِ مُحَمَّداً ... أَبْقَى نَفِيسٌ لِلنَّفِيسِ نَفِيسَا[٢]

إِنْ حَلَّ فَارَقَتِ الْخَزَائِنُ مَالَهُ ... أَوْ سَارَ فَارَقَتِ الْجُسُومُ الرُّؤُسَا[٣]

مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ ... وَرَضِيتَ أَوْحَشَ مَا كَرِهْتَ أَنِيسَا[٤]

---

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليونانى المشهور — ما وصفه من الأدوية فى تواليفه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى مالا يمت إليه بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو الممدوح ، ومحمد : اسم الممدوح .

يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ،وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبقى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيسا ، وهو حفظ الثغور وذب الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلا فى وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جسوم أعدائه وبين رءوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدى : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عاديت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لابد من أن يكون خبرا يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهى والاستفهام لا تحتمل صدقا ولا كذبا . يقول المتنبى : إن عاديته فقد

أن تحملا حاجة لى خف محملها ... وتصنعا نعمة عندى بها ويدا

ولا يعلم قائل هذه الأبيات . وقوله: فدت نفسى الخ جملة دعائية ، وكذا قوله:لاقيتما الخ . والرشد ــ محركا ــ الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تحملا : قيل أن « إن » هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهى وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكما ، وأن تقرآن : بدل منه . ومحملها:مصدر ميمى ، أى حملها . وقوله بها : أى بحملها ؛ ويدا : عطف مرادف على النعمة،وويحكما معترض بين تقرآن وبين مفعوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

الخائِضَ الغَمَرَاتِ غَـيْرَ مُدَافَعٍ ⠀⠀ وَالشَّمَّرِىَّ المِطْعَنَ الدِّعِّيسَا[1]

كَشَّفْتُ جَمْهَرَةَ العِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ ⠀⠀ إلاَّ مَسُوداً جَنْبَهُ مَرْءُوسَا[2]

بَشَرٌ تَصَــوَّرَ غَايَةً فى آيَةٍ ⠀⠀ تَنْفِى الظُّنُونَ وَتُفْسِــدُ التَّقْيِيسَا[3]

عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه أتى عليه وقتله لقدرته .

(١) نصب الخائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الخائض ولك أن تجعله بدلا من الهاء فى «عاده» والغمرات: الشدائد ؛ والشمرى — بفتح الشين وكسرها الجاد المشيح فى أمره ؛ والمطعن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فعيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للعجز عنه .

(٢) جمهرة الشىء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير فى جنب هذا . والمسود : من ساده غيره : يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والممدوح فوقه فى السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشىء : منتهاه ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية فى العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وفى كلِّ شَىءٍ لهُ آيَةٌ ⠀⠀ تدلُّ عَلَى أنّه الواحِـــد

يقول : إن الله صوره بشراً وجعله غاية للناس تنتهى إليها كمالاتهم بأسرها وكان ذلك الخلق فى آية من خوارق العادات تنتفى بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له بغيره ، لأن الشىء إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جنى : أنت الذى صورك الله بشراً ينفى الظنون حتى لا يتهم فى حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوهم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك فى أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبارة الواحدى : إن ظننته بحراً أو بدراً أو سيداً أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية فى الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدميا ، وفيه ما لا يوجد فى غيره حين نفى ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشىء يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفى معناه .



وَبِهِ يُضَنُّ على الْبَرِيَّةِ لَا بِهَا ... وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى[١]
لَوْ كَانَ ذُو القَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ ... لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا[٢]
أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ ... فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى[٣]
أَوْ كَانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ... مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى
أَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ ... عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسَا
لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ سَمِعْتُ بِوَاحِدٍ ... وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَمِيسَا[٤]

أنت الذى لو يعاب فى ملإ ... ما عيب إلا بأنه بَشَرُ

(١) الضن : البخل بالشيء ؛ والبرية : الخليقة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو فى موضع الحال من الضمير فى «عليه» ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزنت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فلين للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساووا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم يبخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، ففيه منهم خلف ولا خلف منه فى جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن ههنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدى : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به المتنبي على الناس فقد تمنى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حتى لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله فى الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوالقرنين رأى للممدوح لأضاءت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من الغلو المذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان فى الظلمات شعشع كأسها ... ما جارَ ذو القرنين فى الظلماتِ

وقول الآخر :

لو أن ذا القرنين فى ظلماته ... ورآه يضحك لاستضاء بثغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياه الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه فى الحرب لأعجز عيسى إحياؤه .

(٤) الخميس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويغنى غناءه ، وهو

وَلَحَظْتُ أُنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَوَاهِباً وَلَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسَالَ نُفُوساً[١]

يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ أَبَدًا وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيساً[٢]

صَدَقَ الْمُخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصْفُهُ مَنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرَسُوساً[٣]

كما يقول ابن جنى — ضد قولك أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، ولله أبو تمام حين يقول :

لو لم يَقُدْ جَحْفلا يَوْمَ الوَغَى لغدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَها فى جَحْفل لَجِبِ

ويقول :

ثبْتُ الْمُقام يَرَى القبيلةَ واحِداً ويُرَى فيَحْسَبهُ القبيلُ قبيلا

ويقول ابن الرومى :

فَرْدٌ وحيدٌ يراهُ الناسُ كلهُم كأنه الناس طراً وهْوَ إنسانُ

(١) مواهبا ونفوسا : تميزان ؛ والمراد بالأنمل . الأصابع ؛ والمنصل: السيف .قال الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، ولمس المنصل كناية عن الاستنصار . يقول :تعرضت لعطائه فسالت بالمواهب أنامله،وتعرضت لإعانته إياى فسال سيفه بنفوس أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحترى .

تلقاه يقطر سيفه وسِنانهُ وبَنان راحته ندًى ونجيعا

« نجيعاً : دماً » ؛ ولدعبل .

وعلى أيماننا يجرى الندَى وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك : أى نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعباً منه : قال العكبرى : ولأن اسم الممدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه — والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحا مثنيا قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكأن من بالعراق يراه وهو بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لميله إليك ومحبته إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سائِرٌ ... يَشْنَا المَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسا[1]
فَإِذا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فارَقْتَــهُ ... وَإِذا خَدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرِّيسا[2]

أُرِيدُ لِأَنسَى ذِكْرَها فَكَأَنَّما ... تَمَثَّلُ لى لَيــلى بِكُلِّ سَبِيلِ

وكما قال أبو نواس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فى القلوب مِثالُهُ ... فكأنه لم يَخْلُ منـــه مكانُ

(١) يشنا : أراد يشنأ — من شنأت : أى أبغضت — والمقيل : القيلولة — النوم — وقت القائلة — الظهيرة — والتعريس : النزول فى آخر الليل للراحة ؛ والضمير فى يشنأ ويكره : للذكر . يقول : إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر فى البلاد كلها ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس . وهو من قول أبى تمام :

جَرَّرتُ فى مَدحِيكَ حَبلَ قصائِدٍ ... جالت بك الدنيا وأنت مُقيـــمُ

(٢) خدر الأسد وأخدر : غاب فى أجمته ولزمها ؛ ويقال أخدر فلان فى أهله : أى أقام فيهم : وأنشد الفراء :

كأنَّ تحتِى بازِياً رَكَّاضاً ... أَخْدَرَ خَمْساً لم يذُقْ عَضاضا[1]

وأسد خادر : مقيم فى عرينه داخل فى الخدر — أى الأجمة — وأسد مخدر أيضا. قالت ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيا من فتاة حَيِيَّةٍ ... وأشجعَ من ليثٍ بخَفَّانَ خادر[2]

وتخذت : بمعنى اتخذت . والعريس والعريسة : أجمة الأسد وعرينه ، شبه الممدوح بالأسد فاستعار له هذه الأشياء . يقول : هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه عند طلب الفريسة : أى العدو ، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

هُوَ اللَيثُ طَوراً بالعِراق وتارةً ... له بينَ آجامِ القَنا مُتأَجَّـــمُ

---

(١) لم يذق عضاضا : أى ما يعض عليه . يريد أن هذا البازى أقام فى وكره خمس ليال مع أيامهن لم يذق طعاما ، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد ، وهو قرم إلى اللحم شديد الطيران ، فشبه ناقته به .

(٢) خفان : مأسدة .



إنِّى نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فانْتَقِدْ كَثُرَ المُدَلِّسُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيسا(١)

حَجَّبْتُها عَنْ أَهْلِ إنْطَاكِيَّةٍ وَجَلَوْتُها لكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسا(٢)

خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى القُصُورِ وَشَرُّهَا يَأْوِى الخَرابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسا(٣)

---

(١) تقول : نقدت الرجل الدراهم والدنانير : إذا أعطيته إياها فانتقدها : أى أخذها ؛ هذا هو الأكثر فى كلام العرب ؛ وقد يستعملان فى تمييز الجيد ونفى الزيف . يقال : نقد كلامه وانتقده ، وكذلك فى الدراهم والدنانير ، وهو المراد هنا . شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس إخفاء العيب فى السلعة . يقول : كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر ، فاحذر تدليسهم عليك ، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس :

نَثَرْتُ عليك الدرَّ يا دُرَّ هاشمٍ فيا مَنْ رأى دُرًّا على الدرِّ يُنثرُ

وعجزه ينظر إلى قول ابن الرومى :

أولُ ما أسأل مِنْ حاجةٍ أن يُقرأ الشعرُ إلى آخرهْ

ثم كفانى بالذى ترتئى فى جَوْدَة الشعر وفى شاعرهْ

(٢) الضمير فى حجبتها وجلوتها : للقصيدة ، وإن لم يجر لها ذكر ، وإنما ذكر الدر ، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو : أى نظر إليها كذلك . جعل قصيدته التى مدحه بها كالعروس . يقول : حجبتها عن أهل هذا البلد ــ أنطاكية ــ أى لم أمدحهم بها ــ يعرض ببعض الأكابر ــ ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا ، وخصصتك بها دون غيرك ؛ وعروسا : حال من القصيدة . قال الواحدى : ويجوز أن يكون حالا من الممدوح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى ، وهذا إذا أراد فاجتليتها : أى قدر ضميراً ؛ وإذا لم يقدر فهى مفعول لاجتليت .

(٣) الناووس والناءوس : مقبرة النصارى والمجوس ، دخيل ، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت ؛ وهذا مثل . يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة ــ مثل البزاة ــ تطير إلى قصور الملوك ، وشر الشعر ما يمدح به اللئام والأراذل كالطيور التى تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلامى خير الكلام فأنت أولى به . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية . هذا ويقال : أويت منزلى وأويت إلى منزلى : أى عدت .

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فَدَتْكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسَا[١]

* *

ودس عليه كافور من يستعلم ما فى نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقِلُّ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرُّءُوسِ وَبَذْلُ الْمُكْرَمَاتِ مِنَ النُّفُوسِ[٢]

إذَا خَانَتْهُ فِى يَوْمٍ ضَحُوكٍ فَكَيْفَ تَكُونُ فِى يَوْمٍ عَبُوسِ[٣]

* * *

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ[٤]

---

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذى لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة فى سبيل الله لجعلت نفسها وقفا محبوسا عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن الممدوح كان على الثغور فى وجه الروم يجاهد فى سبيل الله .

(٢) يقول: يقل له أن نقوم فى خدمته ولو على الرءوس وأن نبذل فى خدمته النفوس المكرمة ؛ وتروى المكرمات ـ بفتح الميم وضم الراء ـ أى الأفعال الكريمة . ولله قول أبى تمام :

لو يقدِرُون مَشَوْا على وجَناتِهم وخُدودِهم فضلا عن الأقدامِ

(٣) الضمير فى خانته : للنفوس ؛ والعبوس : الكريه . يقول : إذا خانته النفوس فلم تقم بحقه ولم تخدمه فى السلم ، فكيف تخدمه فى الحرب ؟

(٤) النوك : الحمق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ماقبله . يقول : الذى يجعل العبد حاكما على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون فى طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقوله: من عرسه ، أى من عرس نفسه، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه .



وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحْكِيمُهُ ... تَحَكُّمَ الْإِفْسَادِ فِي حِسِّهِ (١)
مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ ... كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ (٢)
أَلْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقُهُ ... عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ (٣)
لَا يُنْجِزُ الْمِيعَادَ فِي يَوْمِهِ ... وَلَا يَعِي مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ (٤)
وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ ... كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْسِهِ (٥)

---

(١) يقول : إن من حكم العبد على نفسه : يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره ، وسوء الاختيار يدل على تحكم الفساد فى الحس . والحس ، أو الحس المشترك أو الحس الباطن ـ وهو الذى أطلق عليه بعض متأدبى عصرنا (العقل الباطن) خطأ ـ : هو ـ كما جاء فى تعريفات السيد الجرجانى ـ القوة التى ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، فالحواس الخمس الظاهرة كالجواسيس لها ، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها . قال : ومحله مقدم التجويف الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أنهار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة ـ كلودبرنار ـ قال : هو جملة التغيرات الحاصلة فى الجسم الحى بواسطة المهيجات ، أو هو تكيف فى التأثير لكيفية فى المؤثر ، ويسميه أهل اللغة : الإدراك .

(٢) أى الذى يرى أنك فى وعده يحسن إليك ؛ والذى يرى أنك فى حبسه يسىء إليك . يريد أنه مرهون فى مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده ؛ فلا هو يفيه ما وعده ، ولا هو يؤيسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله ؛ فهو يرى أنه فى حبسه ، فليس له منه مخلص فما يبالى به . والحر الكريم يرى أنك فى وعده فهو يضير الإنجاز فيما وعد .

(٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان . يصفه بقصر الهمة عن المعالى .

(٤) الضمير فى يومه : للميعاد ؛ وفى أمسه : لكافور . يقول : لا ينجز الميعاد فى يومه الذى وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس ؛ يعنى أنه لغفلته وسوء فطنته : ينسى ما يقوله .

(٥) القلس . حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : إن كافوراً لا يأتى مكرمة بطبعه ، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح ـ البحار ـ السفينة لتجرى ؛ يعنى أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد ، وهو لا يتفق



فَلاَ تَرُجِ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِىءٍ　　مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فى رَأْسِهِ (١)
وَإِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فى نَفْسِهِ　　بِحَالِهِ فَانْظُرْ إِلَى جِنْسِهِ (٢)
فَقَلَّمَا يَلْؤُمُ فى ثَوْبِهِ　　إِلاَّ الَّذِى يَلْؤُمُ فى غِرْسِهِ (٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ　　لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ (٤)

وشنشنتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتنحدر معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضد عادته .

(١) النحاس : الذى يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاه ورجاه ـ بالتشديد ـ وترجاه : بمعنى . وفى رأسه : أى على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسيق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت فى حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الغرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة، طبع عليها اللئيم فى غرسه ، فمن كان لئيما فى كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس ـ بفتح القاف وكسرها ـ الأصل. يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه فى الدنيا فنال ملكا أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله فى اللؤم، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لئيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد مجمرة محشوة بالنرجس والآس حتى خفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلا :

أَحَبُّ امْرِىءٍ حَبَّتِ الأنفُسُ وَأَطْيَبُ ما شَمَّهُ مَعْطِسُ[(١)]

وَنَشْرٌ مِنَ النَّـدِّ لكِنَّما مَجامِرُهُ الآسُ وَالنَّرْجِسُ[(٢)]

وَلَسْـنا نَرَى لَهَباً هاجَهُ فَهَلْ هاجَهُ عِزُّكَ الأقْعَسُ[(٣)]

(١) المعطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف المبتدأ من الجملتين لأن المخاطبة والحال دلتا عليه ، هذا : والأكثر أن يقال أحبه فهو محب وهومحبوب ـ على غير قياس ـ وقدقيل محب ـ على القياس ـ وقال الأزهري : وقد جاء المحب شاذاً في الشعر ، قال عنترة :

ولقد نَزَلتِ فلا تَظنِّي غيرَه مِنِّي بمنزلة المحب المكرَمِ[(١)]

قال الفراء : وحببته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول عيلال بن شجاع النهشلي :

أُحِبّ أبا مَرْوانَ من أجلِ تمرِه وأعلم أن الجار بالجـار أرفقُ

فأقسم لولا تمرُه ما حَبِبْتُـه وكان عِياضٌ منه أدْنى ومُشْرِقُ

وحبه يحبه ـ بالكسر ـ فهو محبوب . قال الجوهرى : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتى فى المضاعف : يفعل ـ بالكسر ـ إلا ويشركه يفعل ـ بالضم ـ إذا كان متعدياً ، ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر المبتدأ المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ماشمه الأنف هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة ـ على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » ـ والنشر : الرائحة ؛ والمجامر : المباخر . يقول : إن هذا النشر من الند إلا أن مجامره الآس والنرجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان .

(٣) الأقعس ـ ومنه العزة القعساء : الثابت ، وقيـل : العالى المرتفع

(١) من ملعقة عنترة . ونزلت : خطاب مع محبوبته عبلة . وقوله : فلا تظنى غيره جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثانى : محذوف : أى فلا تظنى غيره واقعا : أى غير نزولك منى منزلة المحب .



وَإِنَّ الْفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُسُ[(١)]

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأقعس الذى لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا نرى نارا هيجت ريح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأقعس ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .

(١) الفئام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح : وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف الملتفين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم ، لأنها وقفت فى خدمتك على الأرض ، وكان يود الرءوس أن تكون هى الواقفة مكانها . وقال ابن جنى : لأنها تباشر الأرض التى باشرها الممدوح لسعيها إليه ، فهى كقوله أيضاً :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصــــدك الأقدام



قافيـة الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب بافيس ومسيره من دمشق :

مَبِيتِى مِنْ دِمَشْقَ على فِرَاشٍ   حَشَاهُ لِى بِحَرٍّ حَشَاىَ حَاشِ [1]
لَقَى لَيلٍ كَعَيْنِ الظَّبْىِ لَوْنًا   وَهَمٌّ كَالحُمَيَّا فى المُشَاشِ [2]

(١) مبيق : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيق ؛ وعلى فراش : خبر مبيق ؛ وحشاه الخ : فى موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواه وحرارة قلبه من الحب ، يقول: إنى أتيت من دمشق على فراش حار حتى بحرارة قلبى من الهوى : يعنى حرارة الهوى وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقى : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كونى لقى ليل ! واللقى : الشىء الملقى . والحميا : سورة الخمر . والمشاش : رءوس العظام الرخوة . وعين الظبى : يضرب بها المثل فى السواد ، ولونا : تمييز . يقول : إنى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى فيه تمشى الخمر فى العظام ، وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

وتمشت فى مفاصلهم   كتمشّى البُرء فى السَّقَم

والمصراع الأول من قول أبى تمام :

* إليكَ تَجَرَّعْنا دُجَى كَحِدَاقِنا *

ومثله قول التنوخى :

والليلُ كالثّاكِلِ فى إحْدادِهَا   ومُقْلةِ الظَّبْيِ إذا الظَّبْىُ رَنَا

والثانى من قول زهير :

فظَلْتُ كأنى شاربٌ مِنْ مُدَامَةٍ   مِنَ الرَّاحِ تَسْمو فى المَفاصِلِ والجسم

ومثله قول الأبيرد :

عساكِرُ تَغشَى النَّفس حتى كأنّنى
أخُو سَكرَةٍ دَارَتْ بِهامَتِهِ الخمرُ

وَشَوْقٍ كالتَّوَقُّدِ فِي فُؤَادٍ ... كَجَمْرٍ فى جَوَانِحَ كَالْمِحَاشِ (١)
سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غَيْرِ نَابٍ ... وَرَوَّى كُلَّ رُمْحٍ غَيْرِ رَاشِ (٢)
فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَّتْ ... لِمُنْصُلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرِّيَاشِ (٣)
فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى ... كَأَنَّ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ (٤)
وَقَدْ نُسِيَ الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى ... رَدَى الأَبْطَالِ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ (٥)
لَقُوهُ حَاسِراً فى دِرْعِ ضَرْبٍ ... دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهِبِ الْحَوَاشِي (٦)

---

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش ـ بضم الميم وكسرها ـ ما أحرقته النار ، تقول : امتحش الخبز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقته . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه — الذى هو محل الشوق — بجمر النار . وجوانحه ـ أضلاعه ـ بشواء أحرقته النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل نصل ـ سيف ـ لا ينبو عن الضريبة ـ أى لا يكل ولا يرتفع ـ ولكل رمح غير راش ـ أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى تواصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشائر . وهذه رواية الخوارزمى : وروى ابن جنى المبغوت وهو الذى بغته الشىء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشائر من الجيش الذى كبسه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنصله ـ سيفه ـ الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات ـ الشدائد ـ والتباسه بالحرب وأهوالها : صار يكنى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة ـ أبا العشائر ـ غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأخلتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما ـ فى قوله بما يسمى ـ مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والغيث : المطر . يقول : وقد نسى اسمه العلم ـ وهو الحسين بما سموه به من ردى الأبطال ـ أى هلاك الشجعان ـ أو غيث العطاش ، يعنى إن صفتى الشجاعة والجود غلبتا على اسمه المشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال أخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضرب به الأعداء فى درع ،

كَأَنَّ على الجماجِمِ مِنْهُ نَاراً ... وَأَيْدِي القَوْمِ أَجْنِحَةُ الفَرَاشِ (١)

كَأَنَّ جَوَارِيَ المُهجَاتِ مَاءٌ ... يُعَاوِدُهَا المُهَنَّدُ مِنْ عُطَاشِ (٢)

فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مُفَاتٍ ... وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلٍ مُطَاشِ (٣)

وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ ... تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنِ احْتِرَاشِ (٤)

يُدَمِّي بَعْضُ أَيْدِي الخَيْلِ بَعْضاً ... وَمَا بِعُجَايَةٍ أَثَرُ ارْتِهَاشِ (٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكنى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . والمعنى : أن ضربه الأبطال يصدّ عنه كما يصدّ الدرع .

(١) يقول : كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها ، ولان سيفه يلمع كالنار عليها ، وكأن أيدى القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدى القوم المقطعة حوله بالفراش الذى يتهافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال ـ الذى للأدواء : كصداع وزكام ـ شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعل ـ من الفوت ـ أى حيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفاته الشىء : أى جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق ، وثالث قد عقله : أى ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال .

(٤) المنعفر : المتلطخ بالعفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خبر مقدم ، وتوارى : مبتدأ مؤخر ، والتوارى : الاختفاء . والاحتراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف فى هذا المنعفر كما يغيب الضب فى جحره خشية الاحتراش : أى الصيد .

(٥) العجاية : عصبة فى اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمى الرواهش وهى عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهى تغوص فى دماء القتلى فيلطخ بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع فى قوله يدمى وفى البيت بعده : يريد أن الممدوح لا نظير له فى شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب المثل بأيدى الخيل ، ويريد : لا يقاتل الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَائِعُها وَحِيــدٌ لَمْ يَرُعْهُ   تَباعُــدُ جَيْشِهِ والمُسْتَجَاشِ (١)
كَأَنَّ تَلَوِّىَ النُّشَّابِ فِيــهِ   تَلَوِّى الخُوصِ فى سَعَفِ العِشَاشِ (٢)

---

(١) رائعها : مفزعها ومخوفها ، والمستجاش : الذى يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذى أفزع الخيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يخفه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذى يستجيشه ، أى يطلب منه الجيش ، لأن الممدوح ـ وهو أبو العشائر ـ كان عاملا على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سعفها ودق أسفلها ، وقد عششت النخلة : قل سعفها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لئيمة المنبت : قال جرير :

فما شَجَرَاتُ عِيصِكَ فى قُرَيْشٍ   بعَشَّاتِ الفروعِ ولا ضَواحِى (١)

وامرأة عشة : قليلة اللحم : ورجل : مهزول . أنشد ابن الأعرابى :

* تَضْحَكُ منى أَنْ رأتْنِى عشًّا (٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهام فتتلوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكترث للطعن ولا الضرب ولا الرمى .

---

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفى المثل : عيصك منك وإن كان أشبا . يعنى أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وهم آباؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحى من الشجر القليلة الورق التى تبرز عيدانها للشمس .

(٣) بعده :

* لبست عَصْرَىْ عُصُرٍ فامتَشَّا *

بَشاشَتِى وعمــلا فَفَشّا   وقد أراها وشَواها الُحْمشَا
ومِشْفَراً إن نَطقت أَرَشّا   كمِشْفرِ النابِ تلوكُ الفرشا

قوله فامتشا : هو من امتش ما فى الضرع إذا حلب جميع ما فيه . وكذلك تقول فش الضرع فشا : أى حلب جميع ما فيه . والشوى : الأطراف . والحمش : الدقيقة ، وأرش : أى جاء بالرش ، والرش فى الأصل المطر القليل والفرش الغمض من الأرض فيه العرفط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواهها .

وَنَهْبُ نُفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى ... بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهْبِ الْقُمَاشِ (١)

تُشَارِكُ فِى النِّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا ... بِطَانٌ لاَ تُشَارِكُ فِى الْجِحَاشِ (٢)

وَمِنْ قَبْلِ النِّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِى ... تَبِينُ لَكَ النِّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ (٣)

فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلاَ أُوَرِّى ... وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلاَ أُحَاشِى (٤)

كَأَنَّكَ نَاظِرٌ فِى كُلِّ قَلْبٍ ... فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشِ (٥)

---

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول : إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشائر نهب نفوسهم، ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبى تمام :

إنّ الأسُودَ أسُودَ الغابِ همتها ... يَومَ الكريهةِ فى المسلوبِ لا السَّلَبِ

(٢) الندام : المنادمة على الشراب ، والبطان : جمع بطين ، وهو العظيم البطن الرغيب . والجحاش : المجاحشة . وهى المدافعة فى القتال : يقول : إذا نزلنا عن الخيل شاركنا فى شرب الخمر رجال ذوونهم يكثرون الأكل ولا يشاركون فى القتال ،ومثله :

يَفِرُّ من الكتيبة حين يُلْقَى ... وَيثبتُ عند قائمة الخوان

(٣) النطاح : مناطحة ذوات القرون، ويستعمل فى الحرب. و«قبل» رواه الخوارزمى نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالخفض عطفاً على ما قبله . ويأنى : يحين — من قولهم أنى الشىء يأنى إنى — أراد قبل أن يأنى : فحذف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسى ، وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، ويروى . ويا بدر البدور . وورى الحديث أخفاه وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولى بل أجهر به ،. ولا أحاشى : أى لا أدع أحداً ولا أستثنى إنسانا .

(٥) الغاش : الذى يغشاك ويزورك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويزورونه . ومنه قول ذى الرمة يصف سفودا :



أَأَصْبِرُ عَنــكَ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلامَ وَاشِ[1]

وَكَيْفَ وَأَنْتَ فى الرُّوسَاءِ عِنْدِى عَتِيقُ الطَّــيْرِ مَا بَيْنَ الْخِشَاشِ[2]

فَما خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِى[3]

وذِى شعَبٍ شَتّى كسَوْتَ فرُوجَهُ لِغَاشِيــةٍ يوماً مُقَطعة حُمْرا

وقال حسان :

يُغشَوْنَ حتى مَاتَهِرُّ كِلابُهم لا يَسْــأَلونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ[1]

يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث ترى ما فى قلوب الناس وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يغشاك . ومثل هذا فى المعنى قوله الآتى :

ويمتحنُ الناسَ الأمــيرُ برأيِهِ ويغضِى على علمٍ بكل مُمَخْرِقِ

(١) (٢) لم تبخل : أى وأنت لم تبخل ، فهى جملة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛ والواشى : النمام ؛ وكيف : حال محذوفة العامل ؛ أى وكيف أصبر عنك ، والعتيق : الكريم . والخشاش ـ بكسر الخاء ، وقد تفتح ـ صغار الطير نحو العصافير وأضرابها ـ والحشرات . يقول ـ فى البيت الثانى ـ : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لثقته بانتقامك وقوة بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ، لأنه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبارة ابن جنى: ليس يرجو من يخشاك أن يلقى من يكذبه ويخطئه فى خوفك ، لأن الناس مجمعون على خوفك وخشيتك . وعبارة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

---

(١) يغشون ـ بالبناء للمفعول ـ أى يتردد إليهم ـ من غشيه : إذا جاءه ـ وهر الكلب يهر ـ من باب ضرب ـ هريراً : إذا صوت ، وهو دون النباح. يعنى أن منازلهم لا تخلو من الأضياف والعفاة ، فكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أى هم فى سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير ـ وهو السواد ـ إذا قصدوا نحوهم .



تُطَاعِنُ كلُّ خَيْـلٍ كُنتَ فِيهَا ... وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الجِحَاشِ (١)

أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ ... وَإِنِّى مِنْهُمُ لَإِلَيْـكَ عَاشِ (٢)

بُلِيتُ بِهِمْ بَلَاءَ الوَرْدِ يَلْـقَى ... أُنُوفًا هُنَّ أَوْلَى بِالخِشَـاشِ (٣)

وانتقامك ، فما يرجو تكذباً لما خافه لشدة خوفه ، ولا راجيك يخشى أن تخيبه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح فى هذا البيت رواية من روى :

* فما خاشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير بخشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن المدح فى العفو — لا فى تحقيق الخشية — وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السرّاء أنجز وعده ... وإن وعد الضرّاء فالعفو مانعه

(١) النبيط : قوم بسواد العراق حراثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل — على حد قوله صلى الله عليه وسلم « ياخيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما يركبون الحمير : أى أن من كان معك كان شجاعاً لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار يعشو فهو عاش : إذا أتاها ليلا . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدللت عليها ببصر ضعيف . قال الحطيئة :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

وقوله «منهم» حال من ضمير المخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتك من بينهم أطلب الخير كما تؤتى النار فى الظلام .

(٣) الخشاش : عود يجعل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللئام من الناس وأنها أولى بالخشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بلقاء غيرك من الرؤساء ولم يليقوا بى كما لا يليق الورد بأنوف الإبل .



عَلَيْكَ إِذَا هُزِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي ... وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فى هِرَاشِ (١)

أَتَى خَبَرُ الأَمِيرِ فَقِيلَ كَرُّوا ... فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشِ (٢)

يَقُودُهُمُ إِلَى الهَيْجَا لَجُوجٌ ... يُسِنُّ قِتَالُهُ وَالكَرُّ نَاشِى (٣)

وَأَسْرَجْتِ الكُمَيْتُ فَنَاقَلَتْ بِى ... عَلَى إِعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِى (٤)

(١) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا . أى إذا افتقرت : فصرت كالمهزول الذى لا لحم له ، وإذا سمنت — أى أثريت وكثر مالك — التفوا حولك وتهارشوا تهارش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله : عليك أى هم عليك ؛ والمراد بالهزال والسمن : الفقر والغنى . والهراش : مأخوذ من مهارشة الكلاب . وقال الواحدى : المعنى : هم عيال فى الحرب فإذا رجعت بالغنيمة خيموا لديك وتهارشوا .

(٢) شاش : بلد فى ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو ، فقلت : نعم — تصديقا لهذا الخبر — يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش : أى ولو أمعن عدوه فى الهرب وكان بعيداً ، وهذا من قول البحترى :

يُضْحِى مُطِلاً على الأعداء لو وَقَفُوا
بالصِّين فى بُعدِها ما استبعدَ الصِّينَا

قال ابن جنى : كان أبو العشائر قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كر عليهم راجعا ، فيقول المتنبي : نعم يكرون — أى الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش . وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف — كاف : كروا — والمعنى أتى خبر الأمير بظفره بالعدو ، فقيل لنا معشر المستميحين : كروا ، فقلت : نعم نكر ، ولو لحقوا بشاش : أى ولو كان على البعد منا . والأولى أظهر .

(٣) أراد باللجوج : أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يغزوهم . ويسن قتاله : أى يطول ، من أسن : أى طالت سنه — أى عمره . وناشى : هى ناشىء — بالهمز — مخفف ، أى حديث السن ، يقول : إن هذا الممدوح يقود جيوشه إلى الهيجا — الحرب — وهو لجوج فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا ؛ فهو فى آخر القتال ، كما كان فى أوله ؛ وفيه نظر إلى قول البحترى .

مَلِكٌ لَهُ فى كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرَّبِ

(٤) الكميت : ما كان بين الأشقر والأدهم من الخيل — يقال للذكر والأنثى — قال الكلبحبة .

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تَذُبُّ عَنْهَا ... بِرُمْحِي كُلَّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ (١)

وَلَوْ عُقِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ ... حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلَّ مَاشِ (٢)

إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ ... وَشِيكَ فَمَا يُنَكِّسُ لِانْتِقَاشِ (٣)

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُحْلِفَةٍ وَلَكِنْ ... كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ بِهِ الأَدِيمُ

[يعنى أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك] .

والناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقاً ، انفتق بطنها للحمل . والغشاش : العجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على عجلة قالوا : وهى كنانية . وأنشدت محمودة الكلابية :

وما أنسى مقالتَها غِشاشاً ... لنا والليلُ قد طَرَدَ النهارا

وصاتَكَ بالعهود وقد رأينا ... غرابَ البينِ أوكبَ ثم طارا

[أوكب الطائر : تهيأ للطيران] أى أنها أسرعت بى على ثقلها وعلى عجلق .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، والمريد ، وهو الذى قد أعيا خبثاً ، والتمردة الممتنعة . يصف فرسه بالخبث وترك الانقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتذب : تدفع . وكل نائب فاعل تذب ؛ وطائرة الرشاش : أى كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من الدم . يقول : هى من الخيل الشديدة للراس وإنى أصونها برمحى عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو عقرت فرسى — قطع عصب رجلها ؛ والمراد : هلكت فلم تحملنى إليه ، لبلغنى إليه حديث عنه — أى عن الممدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى المطية : أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكأن الحديث حمله إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطحبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تحملنى وأحملك . يريد تحدثنى وأحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشى ؛ هذا على رواية كل ماش بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير فى عنه للحديث : أى أن كل ماش يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها .

(٣) شيك : أى دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف الممدوح فى الحرب تاق إليه ورغب فى صحبته فأسرع



تُزِيلُ مَخَافَةَ المَصْبُورِ عَنْهُ ... وَتُلْهِي ذَا الفِيَاشِ عَنِ الفِيَاشِ (١)

وَمَا وُجِدَ اشْتِيَاقٌ كَاشْتِيَاقِي ... وَلاَ عُرِفَ انْكِمَاشٌ كَانْكِمَاشِي (٢)

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ المَعَالِي ... وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ المَعَاشِ (٣)

***

بيه لإعجابه حتى إنه - لذهوله - لو كان حافيا ودخلت شوكة فى رجله إذ ذاك لم يكد يحس بها فلا ينكس رأسه - لا يطأطىء - لإخراجها . وقيل: المراد بمواقفه ، مواقفه فى الجود والعطاء .

(١) المصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال: قتل فلان صبراً وهو أن يحبس حتى يقتل والفياش : المفايشة - أى المفاخرة - يقول : إن مواقف الممدوح فى القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء - فى تزيل وتلهى - للمخاطب : أى أنك أيها الممدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة ؛ إذ يستخذى إليك حين يسمع بمفاخرك ويقر بفضلك : وفى رواية « يزيل » و « يلهى » بالياء -

(٢) الانكماش : الإشاحة والجد فى الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقى إليك ولم يسرع أحد سرعتى فى قصدك .

(٣) هذا كقول أبى تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الأَقْوَامَ يَرْجُوا نَوَالَهُمْ ... فَإِنِّى لَمْ أَخْدُمْكَ إِلاَّ لأَخْدُمَا

وقد تقدم .



قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإنفاذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَتْ بِنا فِعْلَ السَّماء بأَرْضِهِ ... خِلَعُ الأَميرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ (١)
فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ ... وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ (٢)
وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ ... فى الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ (٣)

(١) يقول : أحيتنا خلع الأمير وألبستنا الوشى ، كما يحيي المطر الأرض ويوشيها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم نقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير فى أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيما لشأنه ،أو يريد أرض مملكته ـ إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الخصب والنماء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسره به ، ومثله :

والذئبَ أخشاه إن مررتُ به ... وحدِى وأَخْشى الرياح والمطرا

(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير فى جودته وسلامته من السخف ، وكأن نقاءها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومى فى ثوب استهداه :

صَحِيحاً مِثْلَ رَائِك إِنـــهُ والْحـــزْمَ فى قَرَنِ
نَقِيًّا مِثْلَ عِرْضِكَ إِنَّ عِرْضَـــكَ غَيْرُ ذِى دَرَنِ

(٣) المذيق : الممذوق ؛ أى الممزوج . والمحض : الخالص ، وهما من أوصاف اللبن استعارهما للجود . يقول : إذا فوضت الأمر فى الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئا وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبان لك صحيح الرأى من معيبه ، لأن صحيح الرأى لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأى لا يعطى حتى يسال مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك ورأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفا وحياء أم أنه خالص يبعث به طبعه ونحيزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ وَالْكَرَمُ المَحْضُ [(١)]

وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِى الأَعْيُنِ الْغُمْضُ [(٢)]

شَفَاكَ الَّذِى يَشْفِى بِجُودِكَ خَلْقَهُ لِأَنَّكَ بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

* * *

وقال فى بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا فى الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِى لَكَ لَا يَمْضِى وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِى الْعُيُونِ مِنَ الْغُمْضِ [(٣)]

---

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والمحض : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول أبى تمام :

لا تَعْتَلِلْ إنما بالمَكْرُماتِ إذا أنتَ اعْتَلَلْتَ تَرَى الأوجاعُ والعِلَلِ

وقوله :

إنا جهلْنا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ ولا والله ما اعْتَلَّ إلا المُلْكُ والأدبُ

وقوله :

وإنْ يَجِدْ عِلَّةً نُعَمُّ بها حتى تَرانا نُعادُ مِنْ مَرَضِهْ

ومثله لمسلم بن الوليد :

نالَتْكَ يا خيرَ الخلائقِ عِلَّة يفديكَ مِنْ مَكْروهِها الثقلانِ

فبكل قلبٍ مِنْ شكاتِكَ عِلَّةٌ مَوْصُوفة الشكوى بكلِّ لِسَانِ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله فى العيون : يروى فى الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن الرؤيا تستعمل فى المنام ؛ لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ، وكان ذلك ليلا — ليلة الإسراء — . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق وعجز البيت من قول ابن الرومى :

ولطَعْمُ اكتحالةٍ منه بالزا ئر أحلى فى عينِه مِنْ رُقادِ

عَلَى أَنَّنِى طُوِّقْتُ مِنْـــكَ بِنِعْمَةٍ شَهِيدٌ بِهَا بَعْضِى لِغَيْرِى عَلَى بَعْضِى[1]
سَلَامُ الَّذِى فَوْقَ السَّمٰوَاتِ عَرْشُهُ تُخَصُّ بِهِ يَا خَيْرَ مَاشٍ عَلَى الأَرْضِ

***

(١) قال الواحدى : أأنصرف عنك ، مع أنك قلدتنى نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدل بنعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتنى به من نعمك ، فحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وقد سَبَقَت منه لىَ نعمـة تقِرّ علىّ وإن لم أقِرّ



قافية حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة يشيعه ، وهبت ريح شديدة فقال :

لَا عَدِمَ الْمُشَيِّعَ الْمُشَيَّعُ ... لَيْتَ الرِّيَاحَ صُنَّعٌ مَا تَصْنَعُ (١)

بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ ... وَسَجْسَجٌ أنت وَهُن زَعْزَعُ (٢)

وَوَاحِدٌ أنْتَ وَهُنَّ أرْبَعُ ... وَأنْتَ نَبْعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ (٣)

***

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التى نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ، وذلك فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة(*) :

---

(١) المشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والمشيع — بصيغة اسم المفعول — غلامه يماك ، يدعو له . يقول : لا عدمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع ما تصنع أنت من نفع الناس .

(٢) بكرن ضرا : أراد بكرن — أى الرياح — يضررن ضرراً ، أو بكرن ذوات ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والزعزع : الريح الشديدة المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .

(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والشمال ، والصبا ، والدبور . والنبع : شجر صلب تتخذ منه القسى ، وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متثن ، وكل شىء لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة فى هذه الغزوة بـمندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربضها وكنائسها وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياما ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أمسى ترك السواد وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِى بِأَكْثَرِ هٰذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعُوا(١)

الدمستق فى ألوف من الخيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقته وزرازرته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأثفار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقة الناس يحميهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو ، فجرح من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة المسير — وهى عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متياسراً فى طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى العشاء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أى أخذوا فى سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قريبة من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهاراً لم يرجع ، ومن بقى تحتها لم تكن فيه نصرة ؛ وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا مئات ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء : لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخديعة وخدعة : أى أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتخادع وانخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وانخدع : إذا استروح ريح الإنسان ، فدخل فى جحره لئلا يحترش ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،

أهل الحفيظة إلا أن تجربهم   وفى التجارب بعد الغى ما يزع[1]
وما الحياة ونفسى بعد ما علمت   أن الحياة كما لا تشتهى طبع[2]

وخدعت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نعسه ؛ أى ما مرت بها . قال الممزق العبدى

أرقت فلم تخدع بعينى نعسة   ومن يلق مالاقيت لابد يأرق[1]

(١) الحفيظة : الحمية والأنفة : والغى : الانهماك فى الجهل — خلاف الرشد . ويزع يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفى تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطتهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من عجز أصحاب سيف الدولة فى الغزاة التى جبنوا فيها، وقال:هم يظهرون الحمية والجلدوالإقدام ويتزينون بذلك مالم تقع التجربة،فإذاجربوا تركوا.وقال بعض الشراح:يريدبالغى الاغترار: أى وفى تجربة الشىء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكف عن الاغترار به .

(٢) الطبع : الدنس . وقوله ونفسى : فى موضع رفع عطفا على الحياة أى مع الحياة كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسى والحياة ؟ أى لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهاة دنس ، وشين لها ، فعلام الحرص إذن على هذه الحياة والركون إليها ؟ أى لا أريد حياة ولا أشتهيها إذا كانت كذلك ؛ وفيه نظر إلى قول قطرى بن الفجاءة :

وما للمرء خير فى حياة   إذا ما عد من سقط المتاع

هذا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو طبع ؛ أى صدىء . قال الفقعسى : وتروى لحكيم بن معية الربعى وأنشدها الأصمعى :

إنا إذا قلت طخارير القزع   وصدر الشارب منها عن جرع
نفحلها البيض القليلات الطبع   من كل عراض إذا هز اهتزع
مثل قدامى النسرما مس بضع   يئولها ترعية غير ورع

---

(١) أى لم تدخل بعينى نعسة، ثم قال : ومن يلق مالاقيت يأرق لابد : أى لا بد له من الأرق .



لَيس الجمال لِوجـهٍ صَحّ مارِنُهُ ... أنفُ العزيز بِقَطعِ العِزّ يُجتَدَعُ (١)

أأطرحُ المجدَ عن كِتفِي وأطلبُهُ ... وأترُكُ الغيثَ في غِمدِي وأنتجِعُ (٢)

والمشرفيّـةُ لا زالتْ مُشرّفةً ... دَواءُ كلِّ كريمٍ أو هي الوَجَعُ (٣)

ليس بِغافٍ كِبَراً ولا ضَرَعْ ... تَرَى بِرِجْلَيه شقوقاً في كَلَعْ

من بارِئٍ حِيصٍ ودامٍ مُنسلِعْ (١)

(١) المارن : مالان من الأنف . واجتدع أنفه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح المارن بجميل ، فإن العزيز متى قطع عزه ذل ، فصار كمن جدع أنفه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

ليس جَدْع الأنوف عندىَ جَدْعاً ... إنَّ ذلّ النفوس قتلٌ وجَدَعُ

واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أى ألزقه بالرغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره .

(٢) الانتجاع — في الأصل — طلب الكلأ ، ثم صار كل طلب انتجاعا والمراد بالغيث : لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بشيء آخر ؟ يقول : أأترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والنزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك في غمده ما ينتجعه ؟

(٣) المشرفية : السيوف ، والمشرفية : مبتدأ ؛ والخبر : دواء ؛ وجملة لا زالت مشرفة : دعائية : ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فمعناه: لا كانت داء ، بل كانت دواء يقول: إن السيوف دواء الكريم أو داؤه ، لأنه : إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وعِندَ بُقراطَ داءٌ لَوْ تأمّله ... قالَ الشفاء بحدّ البيضِ والأسلِ

---

(١) القزع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من الغيم . والطخارير : سحابات متفرقة ويقال أخلت إبلى : إذا أرسلت فيها خلا ؛ والبيض السيوف وتفحلها الخ يريد نعرقبها بالسيوف ، وهو مثل ، وأراد بالعراض : السيف البراق المضطرب ، واهتزع : اضطرب وكلعت رجله تكلع كلعا وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يئول فهو موئلها . ومنسلع متشقق .



وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ... فِى الدَّرْبِ وَالدَّمُ فِى أَعْطَافِهَا دُفَعُ(١)
وَأَوْحَــدَتْهُ وَمَا فِى قَلْبِهِ قَلَقٌ ... وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِى لَفْظِهِ قَذَعُ(٢)
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِــعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ ... وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبِى الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ(٣)
قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ ... عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ(٤)
لاَ يَعْتَقِى بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ ... كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلاَ شِبَعُ(٥)

---

(١) يريد بفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبتها فى مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت : أى أسرعت فى الهزيمة فزعا : ووقرها : ثبتها والدرب : المضيق والمدخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم فى أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة . وقال ابن جنى تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كقولك شاعر القوم؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعراً ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر ، بل تعمهما الصفة لأنه يجرى مجرى أشعر الرجلين ، فلابد من أن يكونا شاعرين. ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحدته : أى الخيل ــ أى تركته وحيداً . والقذع : الفحش . يقول فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بانحيازها عنه فلم يك فى لفظه فحش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبى الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا لم تكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقانب : جمع مقنب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والنهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملجمة ولم يتفرغوا ــ لشدة السير ــ أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد فى لقاء العدو .

(٥) لا يعتقى : أى لا يعتاق : يقال عاقه واعتاقه ، ثم يقلب ؛ ويقال : عقاه واعتقاه يقول : إن سيره إلى بلد لفتحه لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كالموت الذى يعم فلا يرتوى



حَتَّى أقامَ عَلَى أرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ   تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبِيَعُ (١)
لِلسبيِ ما نَكَحُوا وَالْقَتْلِ ما وَلَدُوا   وَالنَّهْبِ ما جَمَعُوا وَالنَّارِ ما زَرَعُوا (٢)
مُخْلًى له المَرْجُ مَنصُوباً بصارِخَةٍ   لَهُ المَنابِرُ مَشْهُوداً بها الجُمَعُ (٣)
يُطمِعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ   حَتَّى تَكادَ عَلَى أحْيائِهِمْ تَقَعُ (٤)
وَلَوْ رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا   عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِى شَرَعُوا (٥)

ولا يشبع : أى لا يقنعه كثرة من يغنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو يفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العمارة — الضواحى — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم ، لأنه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسبى نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم :هذا : وقد أقام ما : مقام من فى المصراع الأول ليوافق «ما» فى المصراع الثانى ،على حد قوله تعالى «والسماء وما بناها»ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبى نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العكبرى :واللام فى قوله للسبى : لام العاقبة . كقوله :

* لِدُوا لِلموتِ وابنُوا للخَرابِ *

أى عاقبتهما هذا وقد زاد المتنبى على أبى تمام فى قوله :

لم تبقَ مُشرِكَةٌ إلا وَقَدْ عَلِمَتْ   إنْ لمْ تَتُبْ أنهُ للسَّبْيِ ما تَلِدُ

(٣) المرج : موضع ببلاد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومخلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهوداً : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب المنابر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية فى النكاية بهم حتى أخلى له المرج ونصبت المنابر التى هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم فى غدواتهم وروحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل



ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُودُ الغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ(١)
فِيهَا الكُمَاةُ الَّتِى مَفْطُومُهَا رَجُل عَلَى الجِيَادِ الَّتِى حَوْلِيُّهَا جَذَعُ(٢)
تَذْرِى اللُّقَانُ غُبَاراً فِى مَنَاخِرِهَا وَفِى حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ(٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمى أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتى وحواريى من أمتى » أى خاصتى من أصحابى وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ؛ وكذلك الحوارى من الدقيق : سمى به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لبياضهن ؛ ومنه الحور العين : لبياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لبياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظافتهن . قال أبو جلدة :

فقل لِلحَوارِيّاتِ يَبْكِينَ غيرَنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابِحُ
بَكِينَ إلينا خيفةً أن تبيحَها رماحُ النصارَى والسيوفُ الجوارح

[جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدمستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : ورأى الدمستق كتائب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعا متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن جنى : تحير حتى أنكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فلما التقى الجمعانِ لم تجتمع له يَدَاهُ ولم يَثْبُتْ على البيض ناظره

(٢) فيها : أى فى سود الغمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكماة : جمع كمىّ ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى الذى أتى عليه حول . والجذع الذى أتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع ببلاد الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع —



كأنها تتلقاهمْ لِتَسْلُكَهُمْ فالطَّعْنُ يَفْتَحُ فى الأجْوَافِ ما تَسَعُ (١)
تَهْدِى نَوَاظِرَهَا وَالحرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنَ الأَسِنَّةِ نارٌ وَالقَنا شَمَعُ (٢)

ما شربته ، فماء هذا النهر فى حلوقها وقد وصل إلى مناخرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبارة ابن الأفليلى : وصلت اللقان وحناجرها لم تجف من ماء النهر. يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جنى : لا تستقر فتشرب ، إنما تختلس الماء اختلاسا بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت الماء قليلا لعلمها بما يعقب فى الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم لأن طعن فوارسها يفتح فى أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطعن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :

طَعَنْتُ ابنَ عَبدِ القيْسِ طَعْنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها (١)
مَلَكْتُ بها كَفِّى فأنهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قائمٌ مِن دونِها ما وراءَها (٢)

وعبارة ابن الإفليلى : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقا ، وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم ويخرق مالا يضيق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقُدُّ السَّلوقِيَّ المضاعَفَ نسجُهُ وتوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ

[السلوقى : الدرع المنسوبة إلى سلوق ـ قرية باليمن ـ والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة . وقيل: الحباحب ذباب يطير بالليل ـ كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدى . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع ـ الغبار ـ هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة نارا جعل القنا شمعاً ، والأسنة فى رءوس القنا ـ كما هو معروف ـ قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النمرى :

ليلٌ من النّقْعِ لا شمس ولا قمرٌ إلا جَبِينُكَ والمذْرُوبَةُ الشُّرُعُ (٣)

ولقد أحسن البحترى فيه بقوله :

مَدّ ليلاً من العَجَاجِ فما يَمْـ شونَ إلا بِضَوْءِ السيُوفِ

(١) النفذ : الثقب ؛ والشعاع: حمرة الدم؛ أى لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.
(٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أوسعت .
(٣) المذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .



دُونَ السِّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةٌ عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقْوَرَّةُ الْمُزُعُ(١)
إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجاً حَالَ بَيْنَهُمَا أَظْمَى تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضِّلَعُ(٢)
أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الْفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعُ(٣)
وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبِيضِ مُنْفَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ فِى أَحْشَائِهِ فَزَعُ(٤)
يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْراً وَهْوَ مُخْتَبَلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلاً وَهْوَ مُمْتَقَعُ(٥)

---

(١) يقال لوهج الصيف وغبراته : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل — على مالم يسم فاعله — إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطافحة : حال — أى مسرعة — يقال طفح يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة. والمزع : السريعة — يقال مزع الفرس والظبى يمزع : إذا مر مسرعا خفيفاً . يقول : قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتيهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فتطؤهم بحوافرها . وكان لسيف الدولة غزوتان فى كل سنة : غزوة فى الربيع ، وغزوة فى الخريف . وروى ابن جنى « دون السهام » بكسر السين — ودون القر : أى قبل أن تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل المسرعة الضامرة . قال ابن جنى : سألته — أى المتنبي — فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم .

(٢) العلج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأظمى : يعنى رمحا أسمر ، ومنه : تعليل . يقول : إذا استعان العلج بعلج آخر حال بينهما رمح أظمى يفرق بين الضلعين، فكيف بين العلجين ؟

(٣) الفقاس : جد الدمستق . وقال ابن جنى : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بعدهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكتف — مشدود الكتفين — لأنه قاتل حتى أسر — وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلا — وأشجع منه قتيل مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفى قلبه منها فزع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . ولله أبو تمام إذ يقول :

إنْ يَنجُ منك أبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ تنجوا الرِّجالُ ولٰكنْ سَلْهُ كيف نجا

(٥) المختبل : الذاهل المضطرب ؛ والممتقع : المتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه

كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا ... لِلبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعُ (١)

يُقَاتِلُ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ ... وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ (٢)

تَغْدُو الْمَنَايَا فَلَا تَنْفَكُّ وَاقِفَةً ... حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ (٣)

قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ إِنَّ الْمُسْلَمِينَ لَكُمْ ... خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا (٤)

فيعيش فى الأمن حينا من الدهر وهو ذاهل مختبل العقل، لشدة مالحقه من الفزع، ويحتسى الخمر وهو ممتقع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الخمر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها.

(١) الحشاشة: بقية الروح. والبطريق الفارس من الروم أو القائد. وتضمنها: كفلها. والباترات: السيوف. والورع: التقى والكف عن المحارم، والمراد بالأمين: الذى لا ورع له: القيد. يقول: كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله، فأرواحهم فى ضمان القيد للسيوف؛ قال العكبرى: وقوله: أمين ماله ورع من أحسن الكلام، لأن الأمين هو الذى يؤتمن على الأشياء فلابد له من ورع.

(٢) يقاتل ويطرد: أى الأمين، وهو القيد؛ وعنه: أى عن المقيد. يقول: إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد المشى قاتله بتضييقه. يريد أوجعه بالضيق على ساقيه، فكأنه يقاتله؛ وإذا أراد النوم منعه؛ فكأنه يطرده عنه. ولعله ينظر إلى قول أبى نواس:

إِذَا قَامَ أَعْيَتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ ... لَهَا خَطْوُهُ وَسْطَ الفِنَاءِ قَصِيرُ

(٣) يقول: إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة. فهى إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم، ومثله قول بكر بن النطاح:

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرِينَ فِى الوَغَى ... إِذَا التَقَتِ الأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ

ويقول صريع الغوانى:

كَأَنَّ الْمَنَايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ ... إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهْ

(٤) المسلمين — بفتح اللام — الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه، وذلك أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر: غادر ذلك الموضع وبقى فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقى فيه رمق من القتلى، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلوهم. يقول: إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَاماً فِى دِمَائِكُمُ كَأَنَّ قَتْلاَكُمُ إِيَّاهُمُ فَجَعُوا(١)
ضَعْفَى تَعِفُّ الأَيَادِى عَنْ مِثَالِهِمِ مِنَ الأَعَادِى وَإِنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا(٢)
لاَ تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ يَأْكُلُ إِلاَّ المَيِّتَ الضَّبُعُ(٣)
هَلاَّ عَلَى عَقَبِ الوَادِى وَقَدْ صَعِدَتْ أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ(٤)

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا فى البيت التالى .

(١) فى دمائكم : أى فى دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفجوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشىء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء الذين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوهم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتم ولا تظنوهم كان فيهم رمق ـ بقية حياة ـ وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لخستكم ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبع لا تفترس إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبع تخنق عشراً من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أخبث السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتم كان ذا رمق » لكان أوضح وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبة وفرادى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفراداً لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُم طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

قال العكبرى : قوله «هلا» يريد هلا صبرتم ، أو هلا وقفتم مثلا ، لأن هلا للتحضيض ولابد لها من الفعل ـ مظهراً أو مضمراً ـ ومنه قول جرير :

تعدون عقرَ النيبِ أفضل مجدِكم بَنى ضوطَرَى لولا الكمىَّ المقنعا(١)

---

(١) تعدون هنا بمعنى تجعلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن



تَشُقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَعُ(١)

وَإِنَّمَا عَرَّضَ اللهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلاَ فَسْلٍ إِذَا رَجَعُوا(٢)

فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ(٣)

أى هلا عددتم الكمى المقنع ؟

(١) السلهبة : الطويلة من الخيل . يقول : يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتى عليه الضرب أكثر ممن يدعه . وروى بقناها : أى برماحها ؛ أى تشقكم كل سلهبة برمحها ، والمراد كل صاحب سلهبة ، لان أصحاب السلاهب ـ الخيل ـ وفرسانها هم الذين يشقون بالطعن . هذا ؛ ويدع : مضارع فعل ترك استعماله .

(٢) الفسل : الرذل الدنىء العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود ـ الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة . . وهم الأوباش الذين قتلتموهم ـ ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة فى الأبطال المنتخبين ليس فيهم فسل ولا دنىء . قال الواحدى : كل الناس رووا « بكم » والصحيح فى المعنى لكم ـ باللام ـ لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له . ويجوز أن تكون بكم : من صلة معنى التعرض ، لا من لفظه ، ومعناه : إنما ابتلى الله الجنود بكم : أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة .

(٣) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له ـ لا عليه ـ لأن الأوباش والضعفاء من جنوده قد قتلوا ، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له . لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

يكون من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، تقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم ؛ فلما أسقط الخافض : تعدى الفعل فنصب ؛ وبنو ضوطرى : حى معروف. وقال ابن سيده : يقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء : بنو ضوطرى؛ ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق الخ . ومعنى البيت : إنكم تعدون عقر الإبل المسنة التى لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم ، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم ؟ وهذا تعريض بجبنهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران :



يَمشي الكِرامُ عَلى آثارِ غَيرِهِمِ ... وَأَنتَ تَخلُقُ ما تَأتي وَتَبتَدِعُ (١)
وَهَل يَشينُكَ وَقتٌ كُنتَ فارِسَهُ ... وَكانَ غَيرَكَ فيهِ العاجِزُ الضَّرَعُ (٢)
مَن كانَ فَوقَ مَحَلِّ الشَّمسِ مَوضِعُهُ ... فَلَيسَ يَرفَعُهُ شَيءٌ وَلا يَضَعُ (٣)
لَم يُسلِمِ الكَرُّ في الأَعقابِ مُهجَتَهُ ... إِن كانَ أَسلَمَها الأَصحابُ وَالشِّيَعُ (٤)
لَيتَ المُلوكَ عَلى الأَقدارِ مُعطِيَةٌ ... فَلَم يَكُن لِدَنيءٍ عِندَها طَمَعُ (٥)

(١) يقول : إن أفعالك أبكار لم يسبق إليها ، فأنت مبتدع فى كل مأثرة لا متبع أحداً فيها ، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم .

(٢) الضرع : الضعيف . يقول : إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يعيبك عجز العاجز . يريد أن قتلهم وأسرهم ضعاف أصحابك لا يشينك . قال الشراح : وفى نظم هذا البيت عيب عند الحذاق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغى أن يقول فى صدر البيت الاول : « كنت حازمه » لما قال فى العجز العاجز الضرع ، لأن ضد الحازم العاجز . أو يقول فارسه وجبانه .

(٣) ولا يضع : أى ولا يضعه شىء . يقول : من بلغ الغاية فى الرفعة فليس وراء الغاية موضع . وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد .

(٤) أسلمه : خذله . والكر : الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى ، والأعقاب جمع عقب ، وهو مؤخر كل شىء ، واسم كان : ضمير الشأن : والجملة بعدها خبرها ؛ والشيع : الأتباع . يقول : إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء فى الأعقاب — أى أواخر الخيل — لم يخذله : يعنى أنه من شجاعة نفسه فى منعة ، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ، ومثله لأبى تمام :

ما غاب عنه من الإقدامِ أشرفُهُ ... فى الرَّوعِ إن غابَتِ الأنصارُ والشِّيَعُ

(٥) الدنىء : مهموز ، وقال ابن جنى قلت له — للمتنبى — : عند القراءة عليه أأهمزه ؟ قال : لا تهمزه ، فقلت له : هو من باب المهموز . فقال لا : ألا ترى الإجماع على قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » بترك الهمزة ؟ أقول : والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الخسيس : لا يهمز — كما هنا — أما الدنىء بمعنى الخبيث الماجن ، فإنهم يهمزونه . قال أبو زيد فى النوادر : رجل دنىء : هو الخبيث البطن والفرج دنؤ دناءة ، ورجل دنى ، وقد دنى يدنى ، ودنو يدنو دنوا ، وهو الضعيف الخسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر فى كل ما أخذ فيه ، وأنشد :

رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوَغَى فَرَأَوْا
وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبِيضِ فَاسْتَمَعُوا[١]
لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فى مُعَامَلَةٍ
مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ[٢]

فلا وأبيك ما خُلُقِى بِوَغْرٍ ولا أنا بالدنِيِّ ولا المُدَنَّى[١]

يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم فى الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع فى نوالهم خسيس. وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته فى الفضل.

(١) الحبيك : جمع حبيكة ــ كسفين وسفينة ــ وهى الطرائق تكون فى السماء وفى الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ، والبيض . إما قراءتها بفتح الباء ــ جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد تجعل على الرأس للوقاية فى الحرب ــ وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أى السيوف ، وحبيكها تلك الطرائق التى فى السيوف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعك فى الوغى ــ الحرب ــ دون أن يباشروا القتال : يعنى أنا الذى أباشر القتال معك دون غيرى من الشعراء

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق. يعنى شعر هؤلاء الشعراء : أى أن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذى لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال، فكأنهم يغشونك . أما أنا : فإنى أصدقك إذ أمدحك وأباشر معك القتال. وعبارة العكبرى: من لم يصدقك بقوله فقد غشك، فإنه يظهر لك الشجاعة والجبن عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس عنده . قال ابن وكيع : لو قال« من كان منك بغير الصدق» لسلم من الاعتراض . وقال الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعنى أنى قد صدقتك فيما ذكرت ، لأنى لو لم أصدقك كنت قد غششتك. قال :ويجوز أن يكون المعنى: إن من غشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه فى معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشا لأنه جزاء الغش . وقوله على هذا« بغير الصدق » أى بغير صدق اللقاء . يعنى بالنظر والسماع .

---

(١) المدنى : المقصر عما ينبغى أن يفعله .



الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ... وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ (١)

وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ ... وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدَعُ (٢)

وَمَا حَمِدْتُكَ فِي هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ ... حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ (٣)

فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ ... وَقَدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ بِهِ زَمَعُ (٤)

إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ... وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبُعُ (٥)

* *

---

(١) المصطاف والمرتبع : المنزل فى الصيف والربيع . يقول إن الدهر معتذر إليك مما فعل — يعنى من قتل الروم ضعفاء أصحابك — والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وربيعاً تنزلها متى شئت، إذ هى ملك لك. وصدر البيت من قول أبى تمام :

عَضْباً إذا سَلَّهُ فى وجه نائبةٍ ... جاءتْ إليه صُرُوفُ الدهرِ تعتذرُ

وعجزه من قوله أيضا :

وأقمت فيها وادِعاً مُتَمَهِّلا ... حتى ظننا أنها لكَ دارُ

(٢) نصران ونصرانى : واحد ؛ والأعصم : الوعل الذى فى إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالمسن ولا بالصغير : أى الفتى . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لأنها لا تحميهم ؛ ولو أن أو عالها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصعة : التقاتل والتجالد بالسيوف ؛ وامتصع فى الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمدك على شجاعتك وثباتك فى الحرب إلا بعد أن بلوتك — خبرتك وجربتك — لدى قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الخفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطىء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذى تعتريه الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعنى إنى قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطىء ولم أكذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والسبع :خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن؛ والمخلب: للطير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسداً يفترس .

وقال فى صباه يمدح على بن أحمد الطائى :

حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا ... فَلَمْ أَدْرِ أَىَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ(١)

أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجُدْنَا بِأَنْفُسٍ ... تَسِيلُ مِنَ الآمَاقِ وَالسُّمِ أَدْمُعُ(٢)

حَشَاىَ عَلَى جَمْرٍ ذَكِىٍّ مِنَ الهَوَى ... وَعَيْنَاىَ فِى رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ(٣)

---

(١) الحشاشة : بقية الروح فى المريض ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعتنى وفارقتنى يوم ودعنى الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائراً لا أدرى أى المرتحلين أودع ؟ يعنى الحشاشة والحبيب المودع فى جملة من ودعو . فقوله : الظاعنين بلفظ التثنية — وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكرهم فى قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدا بعضهم ذاتَ اليمينِ و بعضهمْ ... شِمالا وقلبى بينهم مُتوزَّعُ

(٢) المؤق : طرف العين مما يلى الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بئر وآبار ، والسم : لغة فى الاسم — بكسر السين ، وضمها ، وفتحها — يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أى أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا فى صورة دموع ؛ ومثله :

خليلىَّ لا دَمْعاً بَكَيْتُ وَإنَّما ... هِىَ الرُّوحِ مِنْ عَيْنِى تسيل على خدِّى

ويقول بشار :

وليس الذى يجرى من العين ماءها ... ولكنها رُوحى تَذوبُ فَتَقطُرُ

ويقول ديك الجن :

ليس ذا الدمع دمعَ عَينى ولكن ... هى نفسى تذيبها أنفاسى

ولابن دريد :

لا تحسبوا دمعى تحدَّرُ إنَّهَا ... رُوحى جرت فى دَمعىَ المتحدر

(٣) الحشا : مافى داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول : قلبى على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناى ترتعان من وجه الحبيب فى روض من الحسن ، ولله أبو تمام حين يقول :

أَفى الحق أنْ يُضحِى بقلبىَ مأتمٌ ... مِنَ الشوق والبلوَى وعيناى فى عُرْسِ

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا
غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ (١)

بِمَا بَيْنَ جَنْبَيَّ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا ... إِلَيَّ الدَّيَاجِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّعُ (٢)

والأصل فى هذا المعنى قول ابن الدمينة :

غدَتْ مُقلتِي فى جنة من جمالها ... وقلبي غدًا مِن هجرها فى جهنم

هذا : وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد إحداهما برؤية دون الأخرى ، فاكتفى بضمير الواحد . قال العكبرى : وأفرد الخبر لأن العينين ـ وهما عضوان مشتركان فى فعل واحد مع اتفاقهما فى التسمية ـ يجرى عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى باشتراكهما فى النظر : كاشتراك الأذنين فى السمع ، والقدمين فى المشى ؟ وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة فى الخبر والمخبر عنه ، فتقول : عيناى رأتاه ، وأذناى سمعتاه . والثانى : أن تخبر عن اثنين وتفرد الخبر ـ كبيت أبى الطيب ـ فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تعبر عن اثنين بواحد وتفرد الخبر ، فتقول : عينى رأته ، وأذنى سمعته . والرابع أن تعبر عن اثنين بواحد ، وتثنى الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عينى رأتاه وأذنى سمعتاه ، كقول الشاعر :

إذا ذكرت عينى الزمان الذى مضى ... بصحراء فَلجٍ ظلَّتا تكِفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

ولَوْ أنّ الجبال فقدنَ إلفًا ... لأوْشَكَ جامدٌ منها يذوبُ

(٢) بما بين جنبي : أي أفديها بما بين جنبي ؛ يعنى قلبه أوروحه . فالباء للتفدية ؛ وقال ابن القطاع : يريد هى مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبي . والدياجى : جمع ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة، كماقالوا: مكوك ومكاكى . والخلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والهم ، والهجع : النيام . يقول : أفدى بقلبي المرأة التى أتانى خيالها فى ظلام الليل فقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ، لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعسة؛وغيرهمن الخليين نام جميع ليلته .



أَتَتْ زَائِراً مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ (١)
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْثَنَتْ تُوسِعُ الْخُطَا كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ (٢)
فَشَرَّدَ إِعْظَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا مِنَ النَّوْمِ وَالتَّاعَ الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ (٣)
فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا وَسُمُّ الْأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ (٤).
تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ (٥)

---

(١) زائرا : حال من فاعل أتت : أى أتت خيالا زائراً؛ وخامر : خالط؛ والكاف في «كالمسك» اسم، بمنزلة مثل، مبتدأ؛ والخبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع ردن أصل الكم . ويتضوع : يفوح : يقول : أتت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تتعطر، ومثل المسك يفوح من ثيابها، لأنها طيبة الرائحة طبعاً — لا تطبعا — كما قال امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب ؟

أى أن طيبها خلقة فيها لا تتكلفه .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاماً : استعظمه، وما : موصولة، وهى مفعول شرد، ومن — فى قوله من النوم — بيانية . والتاع : احترق، واللوعة : الحرقة، والمفجع : الموجع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها، فنفى ذلك نومى الذى أتى بها، واحترق قلبى لفقد رؤيتها .

(٤) تجرعه : شربه على تكلف واستكراه . يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقنى فيها خيالها فتجرعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها، فحذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم منقاداً مطيعا لها، والخضوع فى القرب : الطاعة والانقياد؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لفظها، وذلك آية الحب، كما قال أبو نواس :

أيا كثيرَ النوحِ فى الدِّمَنِ لا عليها بل على السكنِ
سُنَّةُ العُشاقِ واحدةٌ فإذا أحببْتَ فاستكنِ

ويقول :

كن إذا أحببْتَ عبداً للذى تهوَى مُطيعا
لن تنالَ الوَصْلَ حتى تُلزِمَ النفسَ الخضوعا

وَلَا ثَوْبُ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ ... عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِلُؤْمٍ مُرَقَّعُ(١)

وَإِنَّ الَّذِى حابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ ... بِهِ اللهُ يُعْطِى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ(٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تحمَّلْ عظيمَ الذنبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ ... وإن كنت مظلوماً فَقُلْ أنا ظالِمُ

فإنك إن لم تحمِلِ الذنبَ في الهوى ... يفارِقْك مَنْ تهوَى وأنفُكَ راغِمُ

(١) يقول : إنه لم يسلم المجد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للممدوح . ولا ثوب : روى بالرفع عطفاً على عاشق ــ فى البيت السابق ــ وبالنصب : على جعل لا : نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : الممدوح ؛ وعلى أحد : صلة ثوب الأول . واللؤم الخسة ، ضد الكرم . ومرقع : خبر ، ورواها ابن جنى ، يرقع .

(٢) جديلة : رهط الممدوح من طيء . قال ابن جنى : حابى : بمعنى حبا : أى أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديلة هذا الممدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جنى : حابى : بمعنى حبا ، مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة ــ التى هى يعطى وفاعله ــ خبر إن ؛ واسم إن : الذى قال . العكبرى : وخولف فى هذا فقيل : معنى حابى بارى ، تقول : حابيت زيداً : إذا باريته ــ مثل باهيته ــ فى العطاء ؛ وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد الشجرى : فعلى هذا يكون فاعل حابى : مضمراً فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله : مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابى به جديلة فى الحباء الله يعطى من يشاء ، ومفعول يمنع : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول يشاء المذكور والمحذوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للممدوح . وقال العكبرى : أصل حابى : فاعل ، ولا يكون إلا من اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وعافاه الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابى : بمعنى حبا ، كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاه الرشيد خراسان :

إنَّ خراسان وقد أصبحتْ ... ترفَعُ مِنْ ذِى الهمة الشانا

لم يحْبُ هرُونُ بها جعفراً ... وإنما حابَى خراسانا



بِذِى كَرَمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ   عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةً مِنْهُ تَطْلُعُ(١)
فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ   وَأَرْحَامُ مَالٍ لاَ تَنِى تَتَقَطَّعُ(٢)

وقد جاء حابى : بمعنى بارى فى قول سبرة بن عمرو الفقعسى :

نُحابِى بها أكفاءنا ونُهينها   ونشرب فى أثمانِها ونقامِرُ

وقد جاء حابى بمعنى اختص ، قال :

اصْبرْ يَزيد فقــد فارقْتَ ذا ثِقةٍ   واشكرْ حِباء الذى بالملكِ حاباكا

وقال الواحدى : وحابى لا يكون بمعنى حبا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة : أى غالبهم وباهاهم فى العطاء — يعنى الممدوح — به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله: به الله ، خبر«إن» .

(١) بذى كرم : بدل من قوله به — فى البيت المتقدم — ، يقول : لم يمر يوم وشمس ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالذمم من هذا الممدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو — فى قوله وشمسه — واو الحال ؛ وشمسه : مبتدأ ؛ وجملة تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تمييز ، وأوفى: صفة لمحذوف أى على رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتتصل اتصال الأرحام ، وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تتقاطع أرحامها . فقوله:لاتنى : أى لا تزال . وقال الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ، فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفتر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تتقطع . وشدد النون — فى لدنه — للضرورة ، ويروى : يتصلن ببابه . وقال ابن جنى : قوله لدنه : فيه قبح وشناعة ، وليس هو معروفاً فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون أخرى : نحو لدنى ولدنا .. هذا كلامه . وقد يحتج لأبى الطيب فيقال : شبه بعض النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، بحمل أحد الضميرين على الآخر ، وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فحذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتعد ، فحذفوا الفاء أيضاً ، وليس هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن : القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إنّ شَكلِى وإنّ شَكلكِ شَــتَّى   فالزَمِى الخُصّ واخفضى تَبْيَضِضى



. . . .

فزاد ضادا ، وقال سحيم :

وما قرية من قُرَى مَيسناً ... نَ مُعجبة نظرا واتصافا(١)

أراد : ميسان ، فحذف وزاد نونا . وقال الأسدى .

وجاشت مِن جِبال الصُّغْد نفسى ... وجاشت منْ جِبال خُوَارِزِمِ

أراد خوارزم فغيرها . وقال الجرجانى : لما كانت الهاء خفيفة ، والنون ساكنة ، وكان من حقها أن تتبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ، فهذه علة وقرينة تحتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرف العلة — الواو والياء — لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف فى الوقف إذا كانت خفيفة نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا فى الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها كما جعلت إعرابا فى التثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لتقاء الساكنين فى نحو : اضرب الغلام — بفتح الباء — فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحتمله من الزيادة . وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء فى الصياريف فى قوله :

تَنْفِى يداها الحصى فى كل هاجرةٍ ... نَفْىَ الدراهِمَ تَنقــادِ الصياريف(٢)

وزيادة الواو فى قوله :

* مِن حيثما سَلَكوا أَدْنو فأَنظورُ *(١)

---

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق .

(٢) الدراهم : روى الدراهيم ، وروى : الدنانير . ونفى : مضاف إلى تنقاد — من إضافة المصدر إلى فاعله — والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول — وهو الدراهم — بين المتضايفين . وروى أيضاً : بإضافة نفى إلى الدراهم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر إلى مفعوله . قال الأعلم : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير فى المواجر . يقول إن يديها لشدة وقعهما فى الحصا ينفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير إذا انتقدها الصيرفى فينفى رديئها عن جيدها ، وخص الهاجرة لتعذر السير فيها .

(١) عجز بيت ثان أنشدهما الفراء وهما :

الله يعلم أنّا فى تلفتنا ... يوم الفِراق إلى أحْبابِنا صُورُ

وأننى حيثما يَثْنِى الهوى بصرى ... من حيثما سلكوا أدنو فأنظور



. . . .

يريد : فأنظر وزيادة الألف فى منتزح من قول ابن هرمة :

فأنت من الغوائل حين تُرمَى ومن ذمّ الرجال بِمُنتزاح

يريد بمنتزح . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه سديد ، كما ذكرنا العلة فى إدغام النون فى الجيم . فى قراءة عبد الله بن عامر وأبى بكر بن عياش فى كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة فى شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء فى القرآن « من لدنى ومن لدنه ، ومن لدن حكيم عليم » وقد غاب عن أبى الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فإنّ الكُثْرَ أعيانى قديما ولم أُقْتِرْ لدُنْ أنى غلام(١)

وقول كثير :

وما زلت من ليلى لدُنْ إنْ عَرَفْتُها لكالهائم المُقصى بِكلّ سبيل(٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما ، وحوث : لغة فى حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا فى الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثما : متعلق بأدنو وبأنظر : أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أدنو فأنظور : روى أثنى فأنظور : أى أثنى عنق فأنظر نحوهم : من ثناه ، بمعنى لواه .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعيانى هو ، قال ابن السيرافى فى قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وحين شبابى فلم أبلغ مافى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفتقر بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

ألا حَييا ليلى أجدّ رحيلى وآذن أصحابى غدا بقفول

ومنها :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل



فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ ... أَقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ(١)

غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمْطِرٌ لَيْسَ يُقْشِعُ ... وَلاَ الْبَرْقُ فِيهِ خُلَّباً حِينَ يَلْمَعُ(٢)

إِذا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ ... إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ(٣)

وقول القطامى :

صريعُ غوانٍ راقهن وَرُقْنَهُ ... لدنْ شَبَّ حتى شاب سودُ الذوائبِ(١)

(١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه فى زمانه ألف جزء ، أقل جزىء من هذه الأجزاء الألف بعضه ـ أى بعض جزئى من رأيه ـ الرأى الذى فى أيدى الناس كله ، فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر وأقل جزىء مبتدأ ، والجزىء : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول ، والرأى : خبر المبتدأ الثانى ـ وهو بعضه ـ والجملة : خبر الأول ـ وهو أقل ـ وأجمع : توكيد للرأى . والمعنى : أن هذا الممدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالدى الناس من الرأى : قال العكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لوْ تَرَاهُ يا أَبَا الحَسَنِ ... قَمراً أَوْفَى عَلَى غُصُنِ

كلّ جُزْءٍ مِنْ محاسِنِهِ ... فيهِ أَجْزَاءٌ مِنَ الفِتَنِ

(٢) المطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب : أقلع وتفرق ، يقال أقشع وانقشع وتقشع ، والبرق الخلب : المخلف الذى لا مطر فيه وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يمطر علينا العطايا دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يمطر مرة وينقشع أخرى ، وإذا رجوناه بلغنا منه أوفى مانرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلا ، ولما جعله غماماً جعل له المطر ، وبرقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحترى :

رأيتك إن مَنَّيْتَ منيت موعداً ... جَهاماً وإن أبْرَقْتَ أبرقت خُلَّبا

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

---

(١) الصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغوانى : جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ، وراقهن أعجبهن ، والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الخصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريع مغلوب على أمره من جراء الحسان اللائى تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب

. . . .

وحوائج — على غير قياس — كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمعى ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير فى كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهارُ المَرء أَمْثلُ حِينَ تُقضى   حوائجه من الليل الطويل

وأنشد ابن الأعرابى :

مَنْ عَفَّ خَفَّ على الوجوه لقاؤه   وأَخُو الحَوائج وَجْهه مبذول

والحوجاء : الحاجة . يقال : مالى فيه حوجاء ولا لوجاء . قال قيس بن رفاعة :

مَنْ كان فى نفسِهِ حوجاء يطلبها   عِندِى فإنى له رَهْنٌ بإِصْحارِ
أُقِيمُ نَخْوَتَهُ إنْ كانَ ذا عِوَجٍ   كما يُقوِّمُ قِدْحَ النَّبعَةِ البارى(١)

والمشفع : الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه فى قضائها ، وإذا كان المسئول شفيعاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبتة . ومثل هذا قول الخريمى :

شفعَتْ مَكارِمه لهمْ فَكَفتهمُ   جَهدَ السؤالِ ولطف قَوْلِ المَادحِ

وقول أبى تمام :

طَوَى شِيما كانَتْ تَروح وتَغْتدِى   وسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَليهِ وسائله

وقال الحطيئة :

وذاكَ امرؤٌ إنْ تَأْتِهِ فى نَفِيسَةٍ   إلى مالِهِ لا تأْتِهِ بشَفِيعِ

ولأبى العتاهية :

فيا جُودَ مُوسى نَاجِ موسى بحاجَتِى   فمالى سوى مُوسَى إليه شَفيعُ

ولابن الرومى :

أبا الصَّقرِ مَنْ يشْفَعْ إليك بِشافع   فمالى سِوَى شِعْرِى وَجُودِك شافعُ

---

(١) قوله بإصحار : ففى حديث لعلى رضى الله عنه « فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك » أى كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لَمْ تَهِجْهَا بَنانُهُ ... وَأَسْمَرُ عُرْيَانٌ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ(١)

نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ... وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدْوُهُ حِينَ يُقْطَعُ(٢)

يَمُجُّ ظَلاماً فى نَهَارٍ لِسَانُهُ ... وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ(٣)

ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبَةً ... وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ أَطْوَعُ(٤)

فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقْ تَجِدْ كُلَّ لَفْظَةٍ ... أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ(٥)

---

(١) خبت النار : سكن لهبها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : للينه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قلمه وأنامله لا بد أن تنطفىء ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التى يشبها هو فإنها لا تنطفىء لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف :دقيق،ويعدو: يجرى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل. يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن المشى — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يمضى فى الكتابة ويحسن به الخط . ومن قولهم : القلم أنف الضمير ، إذا رعف : كشف أسراره ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : المداد ، وبالنهار : القرطاس ، وبلسانه طرفه المحدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظا ، وهو من قول أبى تمام :

أَخْرَسُ اللفظِ يَنطِقُ عن سِوَاه ... فَيُفهِمُ وَهْوَ لَيْس بِذِى سَماعِ

(٤) ذباب السيف : طرفه المحدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضريبة:اسم للمضروب، كالرمية للمرمى ، وضريبة : تمييز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينجو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم ـ وهو المكتوب بقتله ـ فإنه لا ينجو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومى .

لعَمْرُكَ ما السيف سيفُ الكمِىِّ بأنفذَ منْ قلم الكاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة ـ وهى الكمال فى الفصاحة ـ والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .



بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْهَا سَحَابَةٌ
لمَا فَاتَهَا فى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْضِعُ (١)
وَلَيْسَ كَبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَعْرَهُ
إلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءَ حُوتٌ وَضِفْدَعُ (٢)
أَبَحْرٌ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ   زُعَاقٌ كَبَحْرٍ لاَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ (٣)
يَتِيهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرِ فى بُعْدِ غَوْرِهِ   وَيَغْرَقُ فى تَيَّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ (٤)

(١) يقول : إن هذا القلم الموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه فى عموم النفع لعمت المشرق والمغرب بالمطر ، وقال ابن الرومى :

خِرْقٌ يَعُمّ وَلا يَخُصُّ بِفَضْلِهِ   كَالْغَيْثِ فى الإطباق كل مكانِ

[الخرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس: ضمير يعود إلى الجواد ـ فى البيت السابق ـ ويشتق : يشق ، وحوت فاعل يشتق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذى يغوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهيا إلى قعره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعنى أن جوده لاينقطع ، وقال ابن القطاع قوله: يفنى الماء ، هى بنصب الماء لا برفعها: أى يتخذه فناء ؛ يقال فنيت المكان وبالمكان: إذا أقمت به . ويفنى : فالفعلان ـ يشتق ويفنى ـ للحوت . والضفدع .

(٣) المعتفى : السائل . عفاه واعتفاه : أتاه سائلا ؛ والزعاق : المر. يريد أن يفضل الممدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذى يضر من ورده بالغرق ، وهو مع ذلك من الطعم لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم . فقوله: وينفع ، معطوف على «لا يضر» وقد نقد ابن جنى البيت قائلا: إن المعروف عندهم أن ينسب الممدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :

ولكن فَتَى الفِتيانِ مَنْ رَاحَ واغتدَى   لضرِّ عَدوٍّ أو لنفعِ صديق

وقالوا :

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنما   يُرَجَّى الفتَى كيما يَضُرَّ وَيَنفعُ

ولكن فاته أن المتنبى أراد كبحر لا يضر المعتفين ، فلا ينافى ذلك أنه يضر الأعداء .

(٤) الغور : المنتهى والقعر ؛ وضميره : للبحر: والتيار : الموج . والمصقع : الفصيح البليغ ، لأنه يأخذ فى كل صقع من القول : والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذى يدق يدق فكره وخاطره حين يفكر . يقول : إن الممدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد



أَلاَ أَيُّهَا الْقَيْلُ الْمُقِيمُ بِمَنْبِجٍ   وَهِمَّتُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ تُوضِعُ[(١)]

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ   وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ[(٢)]

وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا   عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ[(٣)]

إلى قعره فيتيه فى صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبرى : الرواية الصحيحة فى الدقيق : بلام التعريف ، وهو حسن فى الإضافة . كالجميل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق: نعت لمحذوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ، وهو نعت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جعله نعتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق من الأفكار : والأول أبلغ فى المعنى .

(١) القيل — فى الأصل — الملك من ملوك حمير : ومنبج : بلد بالشام : والسماكان : نجمان ، وهما السماك الرامح والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ، من أوضعت الناقة : إذا أسرعت وهذا من قول العطوى :

إن كنت أصبحت لابساً سَمَلا   فهمّتى فوق هامة الملكِ

وللتنوخى :

وأنفس مسكنُها ما بيننا   وهمها فوق السماكِ والسُّهَى

(٢) ظلعت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أنى مع جودة خاطرى وبلاغة كلامى أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنونى معاليك فلا أدركها لوفرتها ؟ ! .

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للممدوح والثوب . يقول : أليس عجيبا أن صدرك على أنه أوسع من الأرض ـ قد اشتمل عليك ثوب وهو — الصدر — فيك وفى الثوب قد اشتملتما عليه . ومثله لابن الرومى :

كضمير الفؤاد يلتهمُ الدنيا وتحويه دِفّتا حيزومِ

ولأبى تمام :

ورحب صدرٍ لو انّ الأرضَ واسعة   كوسعِهِ لم تضِق عن أهلها بلدُ



وَقَلْبُكَ فى الدُّنيـــا وَلَوْ دَخَـــلَتْ بِنَا
وَبِالْجِنِّ فيـــهِ مَا دَرَتْ كَيفَ تَرْجِـعُ[1]

أَلاَ كُلُّ سَمحٍ غَيْرَكَ الْيَوْمَ باطِلٌ وَكُلُّ مَدِيحٍ فى سِوَاكَ مُضَيَّعُ[2]

* * *

وقال فى صباه على لسان من سأله ذلك :

شَوْقِى إلَيْكَ نَفَى لَذِيذَ هُجُـوعِى فَارَقْتَنِى فَأَقَامَ بَيْنَ ضُـلُوعِى[3]

أَوَ مَا وَجَدْتُمْ فى الصَّرَاةِ مُلُوحَـةً مِمَّا أُرَقْرِقُ فى الفُرَاتِ دُمُوعِى[4]

مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِداً حَتَّى اغْتَدَى أَسَفِى عَلَى التَّوْدِيعِ[5]

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْـلَتِى فَكَأَنَّمَا أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْـيِيعِ[6]

* * *

(١) يقول : أو ليس عجيبا أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع ؟!

(٢) السمح : الذى يسمح بماله . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول ابن الرومى :

وكلُّ مديحٍ لم يكن فى ابن صاعدٍ ولا فى أبيه صاعدٍ فهْوَ هابط

وقوله غيرك : هو منصوب ، لأنه تقدم على المستثنى ، كقول الكميت :

فما لِى إلا آلَ أحمدَ شيعَةٌ وما لِىَ إلا مذهبَ الحق مذهبُ

(٣) الهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصراة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب فى دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبه على جانب الصراة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله مما أرقرق — مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعم ملوحة من دموعى فى مائكم لبكائى فى الفرات ؟ وهم يقولون: إن دمع الحزن ملح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقتنى فإنى أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه ، لأنى لقيتك عند الوداع ، فبودى أن أودعك لألقاك . وقال ابن جنى : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصحبه من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عنى بارتحالى عنكم ، فكأن أنفاسى



وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

مُلِثَّ القَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعَا وَإِلاَّ فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا[(١)]

أُسَائِلُهَا عَنِ الْمُتَدَيِّرِيهَا فَلاَ تَدْرِى وَلاَ تُذْرِى دُمُوعَا[(٢)]

لَحَاهَا اللهُ إِلاَّ مَاضِيَيْهَا زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدَ الشَّمُوعَا[(٣)]

تبعت العزاء مشيعة له ، فهى صاعدة متصلة دائمة . قال ابن جنى : وقال برحلق أى مع ارتحالى . كما تقول سرته بمسيرك : أى معك ــ أى فكما لا ترجع إلى أنفاسى لا يرجع إلى صبرى . فمعناه : ارتحل الصبر عنى بارتحالكم .

(١) الملث : الدائم المقيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تمييز : أى من ربوع . والنقيع والمنقع : المربى . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع أى لا تسقها ــ وإن لا تعطشها فاسقها السم النقيع فى الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تنبئه من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أبا الطيب أحد فى الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنبا :

سُقِيتِ دَمَ الْحَيَّاتِ ما بالُ زائرٍ يُلِمُّ فيُعْطَى نائلا أن يكلما

والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلا ضنَّ بالسلام سُقيتَ صَوباً من الغمام

ما ترك المُزن منك إلا ما ترك السقم من عِظامى

(٢) المتديريها : أى المتخذيها داراً . وتذرى دموعا . أى تلقيها ــ من إذراء الحب للزرع . يريد تعليل ما فى البيت السابق . يقول: إنما طلبت إلى السحاب أن يعطشها أو يسقيها السم النقيع لأنى أسائلها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدرى ذلك ولا تجيب ولا تساعدنى على البكاء .

(٣) لحاه ــ فى الأصل ــ قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل فى الدعاء على الشىء : أى لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والخود ــ بفتح الخاء ــ الجارية الناعمة ، وجمعها خود ــ بضم الخاء ــ والشموع : اللعوب الضحوك . قال الواحدى : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والخود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتماله عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الخود . قال ابن وكيع : ماضياها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحترى :

مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَـــةٌ رَدَاحٌ ... يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا[1]

تُرَفِّعُ ثَوْبَهَا الأَرْدَافُ عَنْهَا ... فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوعَا[2]

إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجاً ... لَهُ لَوْلاَ سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا[3]

فإذا ما السحاب كان رُكاماً ... فَسَقَى بالربابِ دار الربابِ

(١) امرأة رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح : ضخم الألية ، ودوحة رداح : عظيمة : وجفنة رداح عظيمة قال أمية بن أبى الصلت :

إلى رُدُحٍ من الشيزَى مِلاَءٍ ... لبابَ البر يُلبَكُ بالشِّهادِ[1]

وكتيبة رداح : ضخمة ململمة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وأدنيتنى حتى إذا ما مَلَكتِنى ... بقولٍ يحل العُصْمَ سهل الأباطح[2]

وقال أيضاً :

بعَينينِ نجـلاوَينِ لَوْ رَقرقتهما ... لِنَوْء الثريا لاستـهل سَحابُها

وقال ابن دريد فى مقصورته :

لو ناجَتِ الأعصَمَ لانحـل لها ... طوْعَ القيادِ من شماريخ الذُّرَا

(٢) أراد بالوشاحين : قلادتين تتوشح بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أردافها عظيمة شاخصة عن بدنها ترفع ثوبها وتمنعه عن أن يلاصق جسدها حتى يكون بعيداً عما توشحت به من القلائد : وهذا من قول بعض الكلابيين :

أبَتِ الفلائلُ أن تمسَّ إذا مشت ... منها البطونَ وأن تمسَّ ظهورَها

(٣) ماست : مشت متبخترة . والضمير فى له : للثوب . ونزوعا : صفة لارتجاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان ينزعان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها فى الكمين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

---

(١) يقال للجفان التى تسوى من شعبرة الشيزى : شيزى . قال الجوهرى : الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع .

(٢) العصم : جمع الأعصم ، وهو الوعل .

تَأَلَّمُ دَرْزَهُ وَالدَّرْزُ لَيْنٌ … كما تتألَّمُ العضبَ الصَّنِيعا[1]
ذِرَاعاها عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا … يَظنُّ ضَجيعُها الزَّنْدَ الضَّجِيعا[2]
كأنَّ نِقابَها غيمٌ رقيقٌ … يُضيءُ بمَنْعِهِ البَدْرَ الطُّلوعا[3]

لولا التمنطق والسوارُ معاً … والحجل والدملوجُ في العَضُدِ
لتزايلت مِنْ كل ناحيةٍ … لكن جُعِلنَ لها على عَمْدِ

(١) الدرز : موضع الخياطة من الثوب : والعضب : السيف ، والصنيع المحكم : الصقال والصنعة. يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف . يقول : إن للدرز في بدنها تأثيراً كتأثير السيف ، فقوله تألم — بحذف إحدى التاءين — أي تتألم ، والتألم : كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله أو منه ، وعداه هنا : ضرورة . ومما يستظرف في هذا الباب ما رووا أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تتزوج بي أسلمت إليك المفاتيح ، فعاهدها على ذلك ، فسكر أبوها ليلة ونام ، فدفعت المفاتيح إلى سابور . فأخذ المدينة وتزوج بها ، فبينا هي معه ذات ليلة على فراش الحرير تألمت وتوجعت وقلقت ، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعها ، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك ، فقال لها : ما كان يغذيك به أبوك ؟ فقالت له : لب البر بالعسل والخمر ، فقال : وكان جزاؤه منك ما جازيته ! فأخذها وشد ضفائرها إلى أذناب الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعتها أربا أربا .

(٢) يقول : إن دملجيها يضيقان عن ذراعيها ، فهما ممتلئان بهما يكادان لذلك يفصمانهما ويكسرانهما ، وإذا ضاجعها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه ، لا هي .

(٣) شبه النقاب على وجهها : بالغيم الرقيق ، ووجهها : بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء الغيم الرقيق بضوء البدر . فقوله يضيء : لازم ، لا يتعدى ؛ والبدر : مفعول أول لمنعه ؛ والطلوع : مفعول ثان . وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن الدمينة ، قال :

مُبرقعةٌ كالشمسِ تحتَ سحابة … وكالبدرِ في جنح مِنَ الليلِ مُظلِمِ

وقال بشار :

بدا لك ضوء ما احتجبت عليه … بدوَّ الشمس من خَلَل الغمام

أقولُ لَهَا اكْشِفِى ضُرِّى وَقَوْلِى ... بِأَكْثَرَ مِنْ تَدَلُّلِهَا خُضُوعَا[1]
أخِفْتِ اللهَ فى إحْيَـاءِ نَفْسٍ ... مَـتَى عُصِىَ الإلَهُ بِأَنْ أُطِيعَا[2]
غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا ... وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا[3]
أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا جَـرَّ نَمْلٌ ... ثَبِيرًا وَابْنُ إبْرَاهِيمَ رِيعَا[4]
بَعِيدُ الصِّيتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا ... يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعَا[5]
يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ ... كَأَنَّ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعَا[6]

(١) قوله وقولى الخ ؛ أى أن خضوعى لها فى قولى هذا أكثر من تدللها على كثرته فقولى : مبتدأ . وبأكثر : خبر وخضوعا : تمييز .

(٢) يقول . إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله ، وليس مما يخـاف منه : يعنى أنك إذا واصلتنى كنت كأنك قـد أحييتنى ، وإحياء النفس طاعة لله ، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل :

ما حرامٌ إحياء نفسٍ ولـكن ... قتل نفسٍ بغير نفسٍ حرامُ

(٣) الخلو : الخالى من الهوى . والمستهام : الذى يصيره الهوى هائما ذاهب اللب . والخليع : الذى خلع العذار وترك الحياء وتهتك فى الهوى ، قال ابن وكيع ، لوقال:

غدا بكِ كلُّ خِلوٍ فى اشتغال ... وأصبحَ كل ذى نسكٍ خليعا

لـكان أحسن .

(٤) أو يقولوا : أى إلى أن يقولوا ، فحذف أن وأعملها ، وثبير : جبل بالحجاز معروف . وريع : أخيف . وابن إبراهيم : هو الممدوح . علق زول حبه بمـالا يمكن وجوده . يقول : لا أزال أحبك ، لأن الجبل لا يجره النمل ، والممدوح لا يرتاع ولا يروعه شىء . وهذا من حسن التخلص .

(٥) الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا : جمع سرية ، الطائفة من الجيش . يقول : إنه كثير الغارات ، سراياه مبثوثة فى الآفاق ، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفا ورعباً .

(٦) الدهى والدهاء : النكر وجودة الرأى . والخشوع : الاستكانة والذل . وخشوعا ؛ اسم كان . واسم ليس : ضمير الخشوع . والجملة : اعتراض . يقول : يخفى مكره ودهاءه بغض الطرف كأن به خشوعا ، وليس به ذلك الخشوع ، ولله قول ابن الرومى فى هذا المعنى :



إذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِى يَدَيْهِ فَقَدْكَ سَأَلْتَ عَنْ سِرٍّ مُذِيعاً(١)
قَبُولُكَ مِنْهُ مَنٌّ عَلَيْهِ وَإلاَّ يَبْتَدِئْ يَرَهُ فَظِيعاً(٢)
لِهُونِ المَالِ أفْرَشَهُ أدِيماً وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أنْ يَضِيعاً(٣)
إذَا ضَرَبَ الأمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ فَمَا لِكَرَامَةٍ مَدَّ النُّطُوعَا(٤)
فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إلاَّ كَثِيراً وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إلاَّ قَرِيعاً(٥)

ساهٍ وما تُتَّقى فى رأيِ سَقْطَتُهُ داهٍ وما يَنطوِى منه على رِيَبِ
فدَهْيُه للدواهِى الرُّبْدِ يَدْمَغُهَا وسهوُهُ عن عيوب الناس والغِيَبِ

(١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيعا ـ أى مفشيا ـ مفعول سألت يقول : إذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذياع للأسرار إذا سألته عن سر أفشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يضن به لأريحيته .

(٢) المن : النعمة . يقول : لأريحيته واستلذاذه العطاء يعد قبولك عطاءه منة ـ نعمة ـ مننت بها عليه ، وإن لم يبتدئ بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً قبيحاً . ومثله لأبى تمام :

يُعطِى وَيَشْكُر مَنْ يأتيه يَسأله فشكره عِوَضٌ وماله هَدَر

(٣) قالوا : إن الممدوح كان قد حمل إليه مال مجبى ، فأمر أن يفرش له أديم ـ جلد ـ ويطرح عليه فاعتذر له المتنبى وقال: إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه ـ أى هوانه ـ لأنه يريد أن يفرقه على القصاد والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من الضياع ويدخره فى خزائنه ، ولكن ليفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالى ، وهذا قريب من قول على بن الجهم :

ولا يَجْمَعُ الأموال إلا لبذلها كما لا يساق الهَدْىُ إلا إلى النحْر

(٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذى يبسط تحت من يراد قتله . يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليصان المجلس عن تلطيخه بالدم ، فكذلك بسطه النطع ـ الجلد ـ للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما لتفريقه وإتلافه .

(٥) القريع ـ فى الأصل ـ الفحل الكريم ؛ سمى بذلك لأنه يقرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلاَّ بِنَصْلٍ ... كَفَى الصَّمْصَامَةُ التَّعَبَ الْقَطِيعَا[١]

عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءٍ ... مُبَارِزَهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا[٢]

عَلِيٌّ قَاتِلُ الْبَطَلِ الْمُفَدَّى ... وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرَدِ النَّجِيعَا[٣]

إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ ... وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا[٤]

وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الأَكْبَادُ مِنْهُ ... فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا[٥]

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية فى كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :

حَذَارِ مِن أَسَدٍ ضِرغَامةٍ شَرِسٍ ... لا يُولِغ السيفَ إلاَّ هامَةَ البطلِ

وبيت المتنبى أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذى لا ينثنى ، والقطيع : السوط الذى يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه فى التأديب ، فأغنى السيف السوط عن التعب .

(٢) يقول : إن علياً ــ وهو اسم الممدوح ــ لا يمنع أحداً يأتى لمبارزته فى الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلا أو أسيراً

(٣) المفدى : الذى يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما يرون من شجاعته وشدة بأسه ، والزرد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطرى . يقول : يسلب البطل المفدى درعه ويكسوه بدله دما ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعا مكان الدرع .

(٤) جواب إذا : قوله الآتى خذ . واعوج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوج والتوى . وقوله فى حامليه : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبى : كنت قلت :

* وأَشْبَهَ فِى ضُلوعِهِمِ الضُّلوعا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :

فى مأزِقٍ ضَنكٍ تخالُ بهِ القنا ... بينَ الضُّلوعِ إذا انحنينَ ضُلوعا

(٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع



فَحِدْ فى مُلْتَــقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ ... وَإِنْ كُنْتَ الْخُبَعْثِنَةَ الشَّجِيعَا[١]

إِنِ اسْتَجْرَأْتَ تَرْمُقُهُ بَعِيداً ... فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئاً مَا اسْتُطِيعَا[٢]

وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَاناً ... وَمَثِّلْهُ تَخِرَّ لَهُ صَرِيعَا[٣]

غَمَــامٌ رُبَّمَا مَطَرَ انْتِقَاماً ... فَأَقْحَطَ وَدْقُهُ الْبَلَدَ الْمَرِيعَا[٤]

رَآنِي بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا ... تَيَمُّمُهُ وَقَطَّعَتِ الْقُطُوعَا[٥]

يقول : واندقت الرماح ـ انكسرت ـ وتصدعت فى الأكباد لشدة الطعن فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب : إذ اعوج القنا ، والتقدير : إذا اعوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه : فحد عنه ، والخبعثنة : من أسماء الأسد ، ويقال للنمر ـ والشجيع : الشجاع . يقول : إذا كان كذلك والتقى الجمعان فحد ـ أى مل وتباعد عنه ـ وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد ، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جنى : استجرأ الرجل بمعنى جرؤ ، أى صار جريئاً ، وترمقه أى أن ترمقه ، فحذف ورفع الفعل . يقول : إن قدرت على النظر إليه فى الحرب من بعيد فقد قدرتَ على شىء عظيم لم يقدر عليه أحد ، وهذا من قول أبى تمام :

أمّا إذا عشتَ يوماً بعد رؤيته ... فاذهب فإنك أنت الفارس النجِدُ

(٣) يقول : إن جادلتنى ولا جحتنى فى قولى هذا فاركب فرساً وصوره فى نفسك كأنك تحاربه ، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه .

(٤) الودق : المطر ؛ والمريع المرع : أى المخصب . يقول : هو غمام يمطر النعم فيحيى بها البلاد ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار ، كذلك هو ربما أمطر نقمة على الأعداء ، فصير مطره البلد المريع قحطا مجدبا لما يلم به من الدمار .

(٥) القطوع : جمع القطع ، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطى كتفى البعير . يقول : رآنى بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه — أى قصدى إياه — مطاياى — إبلى — أى أنضاها وأعجزها عن السير ، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس : أى أبلتها بكثرة السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَــدِيراً وَصَيَّرَ خَـيْرُهُ سَنَتِي رَبِيعَا[١]

وَجَاوَدَنِي بِأَنْ يَعْطِي وَأَحْوِي فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخْذِي سَرِيعَا[٢]

أَمُنْسِيَّ السُّكُونَ وَحَضْرَمَوْتَا وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيعَا[٣]

---

(١) الغدير : القطعة من السيل يغادرها المطر . يقول : أعطانى حتى ملأنى بالعطاء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار . وقد نحا فى هذا منحى ابن الرومى فى قوله .

فَضيفه فى ربيعٍ طُولَ مُدّتِهِ وَجارُهُ كلَّ حين منه فى رَجَبِ

وابن هفان فى قوله .

لِرَبيع الزمان فى الحْول وقتٌ وَابْنُ يَحيِي فِي كلَّ وَقْتٍ رَبيعُ

وكذلك البحترى :

فَـكم لبستُ الخفضَ فى ظِلّهِ عُمْرِى شَبابٌ وَزمانِي رَبِيع

(٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما فى قوله :

* قبُولكَ مَنّهُ مَنٌّ عليه *

يقول : جاودنى ، أى غالبنى فى الجود ، فكان يجود على بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبنى ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينيه لتوافره حتى طفح عطاؤه على أخذى فأغرقه : أى كان فى الإعطاء أسرع منى فى الأخذ .

(٣) هذه أسماء أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألهاه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحترى :

جَفَوْتُ الشَامَ مُرْتَبَعِي وَأُنسي وَعَلْوَةَ خَلْوَتِي وَهَوَى فؤادِي

وَمِثْلُ نَدَاكَ أذهَلَــنى حَبِيبِي وأكْسَبَنِي سُلُوًّا عن بلادِي

ومثله للراعى :

رجاؤكَ أنسانى تذكُّرَ إخوتى ومالُكَ أنسانِي بوَهْبِينَ مَالِيا[١]

---

(١) وهبين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .

قدْ أستقصيْتَ فى سَلْبِ الأَعادِى ... فَرُدَّ لهُمْ مِنَ السَّلَبِ الهُجُوعا(١)
إذا ما لَمْ تَسِرْ جَيْشاً إليْهِمْ ... أَسَرْتَ إلَى قُلُوبِهِمِ الهُلُوعا(٢)
رَضُوا بِكَ كالرِّضَا بالشَّيْبِ قَسْراً ... وَقَدْ وَخَطَ النَّواصِىَ وَالْفُرُوعا(٣)
فَلاَ عَزَلٌ وَأَنْتَ بِلاَ سِلاَحٍ ... لِحَاظُكَ مَا تَكُونُ به مَنِيعاً(٤)
لَوِ اسْتَبْدَلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ ... قَدَدْتَ بِهِ المَغَافِرَ وَالدُّرُوعا(٥)

---

(١) استقصى فى الأمر : بالغ ؛ والسلب الأول : ــ بسكون اللام ــ مصدر ؛والثانى ــ بفتحها ــ الشيء المسلوب ؛ والهجوع : النوم . يقول : بالغت فى سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم ، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك .

(٢) الهلوع . الجزع والخوف الشديد . يقول : إذا لم تغزهم بجيشك غزوتهم بالخوف ، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبى تمام :

لم يَغزُ قوما ولم يَنهَدْ إلى بَلدٍ ... إلا تَقدَّمهُ جيشٌ مِنَ الرُّعُبِ

(٣) وخط الشيب الشعر: خالطه؛والنواصى :جمع ناصية: مقدم الرأس ؛ والفروع : جمع فرع : الشعر . يقول : إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه .

(٤) العزل : مصدر الأعزل ، وهو الذى لا سلاح معه ؛ واللحاظ ــ بفتح اللام وبكسرها ــ مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة : فهو منيع . والضمير فى به : يعود إلى ما : أى لحاظك الشيء الذى تكون به منيعا . يقول : إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح ، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلته هيبة لك ، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا . وفى مثل هذا المعنى يقول الآخر :

لحظاتُ طَرْفِكَ فى الوَغى ... تُغنيكَ عن سَلِّ السيوفِ
وعَزيمُ رأيِكَ فى النُّهَى ... يَكفيكَ عاقبةَ الصروفِ
وسيولُ كفِّكَ فى الورَى ... بَحرٌ يَفيضُ على الضعيف

(٥) المغافر : جمع مغفر : زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس. يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء .

لَوِ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعَا[١]
سَمَوْتَ بِهِمَّةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو فَمَا تُلْفَى بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعَا[٢]
وَهَبْكَ سَمَحْتَ حَتَّى لاَ جَوَادٌ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لاَ رَفِيعَا[٣]

---

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكت من فيها جميعا .

(٢) تلفى : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطابا للممدوح : أى كلما سمت همتك ازددت علوا ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : سموت بهمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبدا فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك محا اسم الجواد عن الناس ، فكيف محا علاؤك اسم الرفيع عن كل شىء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف — فى رفيعا — ليس بدلا عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

﴿ تم — بحمد الله — الجزء الثانى ؛ ويليه — إن شاء الله — الجزء الثالث ﴾



فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى



فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى

تابع قافية الدال



شرح
ديوان المتنبّي

وضعه
عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنياً عن جميع الشروح

الجزء الثالث

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م
بيروت ــ لبنان

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الأصبع الكاتب :

أرَكائبَ الأحبابِ إنّ الأدْمُعَا تطِسُ الخُدودَ كمَا تطِسْنَ اليَرْمَعا(١)

فاعرِفْنَ مَنْ حَملتْ علَيكُنَّ النّوَى وَامْشِينَ هَوْناً فى الأزِمَّةِ خُضَّعاً(٢)

قَدْ كانَ يمنَعُنى الحَياءُ مِنَ البُكَا فاليَوْمَ يَمْنَعهُ البُكَا أنْ يمْنَعَا(٣)

حَتّى كأنَّ لِكُلِّ عَظمٍ رَنّةً فى جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعا(٤)

وَكفَى بِمَنْ فَضَحَ الجَدايَةَ فاضِحاً لِمُحِبِّهِ وَبِمَصْرَعِى ذَا مَصْرَعاً(٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛ وتطس : تدق ؛ والوطس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صغار رخوة . يقول : إن الدموع تفعل بالخدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطؤها : يعنى أن تأثير الدموع فى الخدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به الدابة . يقول للابل : اعرفن قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكن ، واعرفن لينها ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضعاً حتى لا تتأذى بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : ـ يمد ويقصر ـ والأشهر : المد . يقول : قد كان حيائى يغلب بكائى ، واليوم غلب بكائى حيائى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت الباكى ، والضمير فى جلده : للعظم ؛ ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة بكائى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنينا ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء حتى صارت حالتى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

وَمُتيَّمٍ جَرَحَ الفِرَاقُ فؤَادَه فالدمع من أجْفانِه يَترَقْرَقُ

وإلى قول الآخر :

وكأن لى فى كلِّ عضوٍ واحِدٍ قلباً يَرِنُّ وَناظراً ما يَطرِفُ

(٥) الجداية : الظبية ، وفاضحا : تمييز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمى ـ من صرعه : أى طرحه على الأرض ـ يقول : من فضح الجداية بحسنه كفى فاضحاً لمن يحبه وكفى بمصرعى فى حبه مصرعا ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا[١]
فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا[٢]
نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِى لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِىَ أَرْبَعَا[٣]
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِىَ الْقَمَرَيْنِ فِى وَقْتٍ مَعَا[٤]
رُدِّى الْوِصَالَ سَقَى طُلُولَكِ عَارِضٌ لَوْ كَانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعَا[٥]

(١) يقول : سفرت ــ كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر محاجرها ــ ما حول العين ــ ويخفى محاسنها ، ولم تكن برقعا على الحقيقة ؛ يعنى أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط القلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الخصلة من الشعر ؛ والأصل ذآئب ، فأبدل من الهمزة الأولى واوا تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمسا فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قمران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وإذا الغزالةُ فى السماء ترفعتْ وبَدَا النهارُ لِوَقته يترحَّل
أبْدَتْ لوَجْهِ الشمس وجها مِثله يَلْقَى السماء بمثلِ ما تَسْتَقبلُ

ويقول صريع الغوانى :

فَبِتُّ أُسِرُّ البدرَ طوراً حديثَها وطَوراً أناجى البدرَ أحسبها البدرا
إلى أن رأيتُ الليلَ منكشف الدجى يُوَدِّعُ فى ظلمائِهِ الأنجم الزُّهرا

وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الدار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأقشع : أقلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أتمناه للطلول ــ أى دائما لا يتفرق ــ لكان دائما لا ينقطع

زَجِـــلٌ يُرِيكَ الْجوَّ ناراً وَالْمَلاَ كالْبَحْرِ وَالتَّلَعاتِ رَوْضاً مُمْرِعَا[١]

كَبنانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغدَقِ الَّذِى أَرْوَى وَآمنَ مَنْ يَشَـاء وَأَفْزَعا[٢]

أَلِفَ الْمُرُوءَةَ مُذْ نَشَـا فَكَأَنَّهُ سُقِىَ اللِّبَانَ بِهَا صَـبِيًّا مُرْضَعَا[٣]

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلعات : جمع تلعة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والممرع المخصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو ببرقه حتى يرى نارا ، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصيب ؛ وقد جمع فى هذا البيت مافرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

آضَ لنا ماء وكان نارقا

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كأنما البَيْدَاء غِبَّ صَـوبه بحرٌ طما تيّارهُ ثم سَـجَا

(٢) الغدق : الكثير قال تعالى « لأسقيناهم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه ببنان ـ أصابع ـ الممدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كأنها حين لَجّتْ فى تَدَفُّقها أيدى الخليفة لمّا سالَ واديها

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبان : جمع اللبن ، وصبيا حال . يقول : ألف الكرم ناشئا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيعا . وهذا من قول أبى تمام :

لبِسَ الشجاعة إنها كانت له قِدْماً نَشوغاً فى الصبا وَلَدُودا

«النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشغت الصبى وجوراً فانتشغه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود مايصب بالمسعط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للعكبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وحجتنا أنهما مركبان من «من» و«إذ» تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما، فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من « من » « وإذ » أن من العرب من يقول فى «منذ» منذ —

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَائِمَا فاعْتَادَها فإذَا سَقطن تَفزَّعا(١)

تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بارِقا تٍ وَالْمَعَالِيَ كَالْعَوَالِي شُرَّعا(٢)

مُتَبَسِّماً لِعُفَاتِهِ عَنْ وَاضِحٍ تَغْشَى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللُّمَّعَا(٣)

بكسر الميم — فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الخفض بهما اعتباراً بـ « من » ، ولهذا المعنى كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون « من » فيها ؛ والرفع بـ « مذ » أجود لحذف النون منها تغليباً لإذ ؛ ويدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد : أنك لو سميت بهما قلت فى تصغير مذ : منيذ وفى تكسيره : أمناذ ؛ فترد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها : وحجة البصريين أنهما معناهما الأمد ، إذا قلت ما رأيته مذيومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد فى موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدهما خبراً .

(١) التمائم : جمع تميمة : العوذة تعلق على الصبى للوقاية من العين ، قال الواحدى : من روى نظمت — بضم النون — فالمعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التمائم التى تعلق على من خاف شيئاً ، فإذا سقطت عنه عاد الخوف : أى أنه ألف الإعطاء واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تمائمه ؛ ومن روى بفتح النون : فإنما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تميمته فيفزع ؛ وهذا من قول أبى تمام :

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُهــا إذا لم يعوِّذها بِنَغْمة طالب

(٢) الصنائع : الأيادى والنعم والمعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات والعوالى : الرماح ؛ وشرعا : منتصبة مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جنى : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

(٣) متبسما : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتغشى : تغطى . ولوامعه : ثناياه . يقول : يبتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، ويروى ، تعشى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :



مُتَكَشِّفًا لِعُدَاتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ   لَوْ حَكَّ مَنْكِبُهَا السَّماء لَزَعْزَعا[١]

أَلْحَازِمَ الْيَقِظَ الأَغَرَّ الْعَالِمَ الْـ   ـفَطِنَ الألد الأريحىَّ الأَرْوَعَا[٢]

أَلْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاهِبَ النَّدُسَ اللَّبِيبَ الْهِبْرِزِىَّ الْمِصْقَعا[٣]

نَفْسٌ لَهَا خُلُقُ الزَّمَانِ لأَنَّهُ   مُفْنِي النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ ما جَمَّعا[٤]

وَيَدٌ لَهَا كَرَمُ الْغَمَامِ لأَنَّهُ   يَسْقِي الْعِمارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعا[٥]

مُتَسَرْبِلِينَ سَوَابِغاً ماذِيَّةً   تَغْشَى القَوانِسُ فوقها الأبصارا[١]

(١) حك : يروى صك ؛ والمعنى : زاحم : يقول : إنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعزها : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعار لسطوته منكباً لما جعلها تزاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالمناكب .

(٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقظ : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأغر: الشريف ، ويروى الأعز ؛ والألد : الشديد الخصومة ، والاريحى : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهتز لهما ويتحرك ؛ والأروع : الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبق: الخفيف فى الأمور؛ والندس : الفطن . والهبرزى : السيد الكريم ؛ والمصقع : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا الممدوح يفنى أعداءه كما يفنى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

وما هو إلا الدهرُ تأتى صُرُوفُه   على كلِّ مَنْ يشقَى به ويُعادِى

(٥) العمارة — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لاعمارة فيه . يقول : إنه يعطى كل أحد أ كان غنيا أم فقيراً ، كما أن الغمام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لابن المعتز :

ويُصيبُ بالجود الفقير وذا الغنَى   كالغَيْثِ يَسقِى مُجدِباً ومَرِيعاً

ولآخر يخاطب الغيث :

وليس يَخُصُّ أرضاً دُون أرض   وكَفَّاهُ تَعُمَّانِ البِلادا

وروى الخوارزمى : العمارة — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

---

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ، والماذية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .



أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وَافِرٍ ... وَيَلُمُّ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَصَدِّعَا (١)
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى اهْتِزَازَ مُهَنَّدٍ ... يَوْمَ الرَّجاءِ هَزَزْتَهُ يَوْمَ الْوَعَى (٢)
يَا مُغْنِيًا أَمَلَ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ ... وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا (٣)
أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى
وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارْبَعَا (٤)

---

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: الغنى؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبداً يفرق شمل المال بالعطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع فى هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كلَّ يومٍ شملُ مجدٍ مؤلّفٍ ... وشملُ ندًى بينَ العفاة مُشَتَّتِ

وقال البحترى:

ومعال أصارها لاجتماعٍ ... شملُ مال أصاره لافتراق

(٢) الجدوى: العطا؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بيهتز؛ والوعى — بالعين والغين — جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الحطيئة:

كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألته ... تهلّل واهتز اهتزاز المهنّد

ولمتمم بن نويرة:

تراه كنَصْل السيف يهتز للندَى ... إذا لم تجدْ عند امرىء السوء مَطمعا

(٣) لقاؤه: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(٤) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربعا: أراد فاربعن، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حسبك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدى: يحتمل أمرين: أحدهما: أنى أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى — الغاية — وهذا قريب من قول أبى تمام:

يا ليت شعرى مَنْ هذى مناقبه ... ماذا الذى ببلوغ النجم ينتظر



وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعاً
لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوْضِعاً(١)

وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلاَ طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعَا(٢)

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَزْمَعْتَ شَيْئاً أَزْمَعَا(٣)

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيُّ كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعاً(٤)

أَكَلَتْ مَفَاخِرُكَ الْفَاخِرَ وَانْثَنَتْ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيٌّ وَصْفِى ظُلَّعاً(٥)

---

(١) لك أن تقرأ الفعال بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرها : جمع فعل ؛ والثقلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين ـ الجن والإنس ـ وهذا الفضل لم يطمع فى نيله أحد ولا حدثته به نفسه لبعد مناله .

(٣) أزمع الشىء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلما أردت شيئا وأزمعته أنفذه، فقوله: لك ،خبر كأن: أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن القضاء منفذ لما تريد ، فكلما أزمعت أمرا أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد قال الخليل : أزمعت على الأمر فأنا مزمع عليه : إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه .
وقال الكسائى : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أأزمعتَ من آلِ ليلى ابتكارا وشطَّتْ على ذى هوًى أن تُزارا

وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه :

(٤) العصى : العاصى ، فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لايطيع أحدا قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انثنت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلع جمع الظالع ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتى أفنتها فليس لأحد منهم فخر ، وانصرفت مطايا وصفى قاصرة عن غايتها ـ أى لم يبلغ قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هدمَت مساعيه المساعى وانثنت خُطَطُ المكارم فى عِراص الفرقدِ



وَجَرَيْنَ مَجْرَى الشَّمْسِ فى أفلاَكِهَا فَقَطَعْنَ مَغْرِبَهَا وَجُـــزْنَ الْمَطْلَعَا(١)

لَوْ نِيطَتِ الدُّنْيَا بِأُخْـــرَى مِثْلِهَا لَعَمَمْنَهَا وَخَشِينَ أَنْ لاَ تَقْنَعَا(٢)

فَمَتَى يُكَذَّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذا وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا ادَّعَى(٣)

وَمَـــتَى يُؤَدِّى شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعا(٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك فى الأرض مجرى الشمس فى الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أمطلعَ الشمس تبغى أن تؤمّ بنا فقلت كلا ولـكن مطلعَ الجود

وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبى وإصغاء إنائه ، وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبى تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول : إنه من قول على بن الجهم :

وسارت مسير الشمس فى كلّ بلدة وهبّت هبوب الريح فى البرّ والبحر

أو من قول أبى قيس بن أبى رفاعة ــ شاعر جاهلى ــ يصف قصيدة :

تسير مسيرَ الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواهِ الرجال نشـــيدها

(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضا وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعممتها ــ والضمير الممدوح ــ وخشيت ــ بضم التاء ــ والضمير للمتنبى : أى لعممتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها لأن همتك تقتضى فوقها .

(٣) يقول : لايكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك ماخلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى حق ، فجعل الخبر الذى هوى نكرة ــ وهو حق ــ فى موضع الاسم ونصبه بأن ، وجعل الاسم الموصول ــ ما ادعى ــ فى محل الخبر ، وذلك جائز فى ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو توكيد معنوى : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها ــ على حد قول أبى نواس :

* حفِظت شيئاً وغابتْ عنك أشـياء *



إنْ كانَ لا يُدْعَى الْفَتى إلاَّ كذَا رَجُلاً فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا إصْبَعَا(١)
إنْ كَانَ لا يَسْعَى لِجُودٍ ماجِدٌ إلاَّ كذَا فَالْغَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى(٢)
قَدْ خَلَّفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ مَرْأًى لنَا وَإلى الْقِيامَةِ مَسْمَعَا(٣)

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيعه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع، ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثان ليدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان لا يدعى الفتى رجلا إلا إذا كان كذا : أى كهذا الممدوح فسم الناس جميعاً إصبعا ، لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل، قال . الواحدى : وكان هذا الممدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى الخوارزمى أضبعا — جمع الضبع — يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفا وقدراً لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النجم :

لو كانَ خَلق اللهِ جنباً واحداً وكنت فى جَنبٍ لكنتَ زائداً

ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولوْ سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلتَ جانبا
ليممت جانبها إننى أرى قربها العَجَبَ العاجبا

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ماجد لجود حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبخل الساعين لبعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة ، قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيقَ باعا مِن نداك وأقصرا

(٣) ابنه — بحذف حرف النداء — أى ياابنه ؛ وغرة الشخص : طلعته : ومرأى ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة .



وقال يرثى أبا شجاع فاتكا ، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر :

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ(١)

يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هٰذَا يَجِيءُ بِهَا وَهٰذَا يَرْجِعُ(٢)

أَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِى شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ(٣)

إِنِّى لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ(٤)

وَيَزِيدُنِى غَضَبُ الأَعَادِى قَسْوَةً وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ(٥)

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلقنى ، والتجمل ـ تكلف الصبر ـ يمنعنى عن التهالك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب، وبذاك يعصى صاحبه تارة ويطيعه أخرى .

(٢) عنى بالمسهد ـ أى الكثير السهاد ، الممنوع عنه النوم ـ نفسه . يقول : الحزن والصبر يتنازعان دموع عينى فالحزن يجىء بها ـ أى يجريها والتجمل يردها .

(٣) يقول : النوم بعد أبى شجاع لا يألف العين : أى لا تنام العيون بعده حزنا عليه ، والليل يطول فلا ينقضى ، كأنه قد أعيا عن المشى ـ كل من التعب ـ فانقطع ؛ والكواكب ظلع ـ كالعرجى ـ لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبارة ابن جنى : لوكان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده فالليل معى والكواكب ظلع ما تسر . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : الموت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع عند الموت فى ميدان الوغى فلا أهابه : يعنى أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت، كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ولستُ على عتب الاخلاء بالجلد

(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ، ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلمى :

يُعطِى زمامَ الطوع إخوانَهُ ويلتوِى بالملكِ القادِرِ

تَصْــفو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غافِلٍ ... عَمَّا مَضَى فِيهَا وما يُتَوَقَّعُ(١)

ولِمَنْ يُغالِطُ فى الْحَقائِقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمحالِ فَتَطْمَعُ(٢)

أَيْنَ الَّذِى الهَرَمانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... ما قَوْمُهُ ما يَوْمُهُ ما الْمَصْرَعُ(٣)

تَتَخَلَّفُ الآثارُ عَنْ أَصْــحابِهَا ... حِيناً وَيُدْرِكُها الْفَناه فَتَتْبَعُ(٤)

وبعد : فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة ، وشدته عند المباطشة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر فى العواقب من انقضائها أو أحداثها التى لا يطيق لها احتمالا ، أما العاقل الفطن الذى ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فإنها لاتصفوله .

(٢) يسومها : يكلفها ؛ ويعنى بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط فى هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر فى العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء فى السلامة مع نيل المراد فطمعت فى ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط ـ وهما معروفان ، وكل مايتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التى بنيا لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعنى أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأى ميتة هلك ، ولا فى أى وقت لطول ممر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مفنية لأهلها منكرة على من اغتر بها،وأن الفناء حتم فى رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء . وعبارة العكبرى : قوله أين الذى الهرمان من بنيانه : استدل ببنائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفنته ؟ أما فرقت شمله وشتته ؟ أما فى بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه فى هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أين كِسرَى كسرَى الملوكِ أنو شَرْ ... وانَ أم أين قبــله سابورُ

يريد أن الفناء حتم فى رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أبي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ ... قبلَ المَمَاتِ ولَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ(١)

كُنَّا نظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهبًا فماتَ وكُلُّ دارٍ بَلْقَعُ(٢)

وإذا المَكَارِمُ والصَّوَارِمُ والقَنَا ... وبناتُ أعْوَجَ كلُّ شئٍ يَجْمَعُ(٣)

ألمَجْدُ أخْسَرُ والمَكَارِمُ صَفْقَةً ... مِنْ أنْ يَعِيشَ لَهَا الكَرِيمُ الأرْوَعُ(٤)

وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريفها .

(١) يقول : إنه — لبعد مرتقى همته — لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه فى العلا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الخالى . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع — فى البيت السابق — وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شىء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شىء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه فى حياته المكارم والأسلحة والخيل ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعنى الخيل ؛ وأعوج : فحل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمى بذلك لأن غارة وقعت على أصحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه فى وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقى فيه العوج ، فلقب بالأعوج ؛ وقد جاء فى معنى بيت المتنبى شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إذا خَزَنَ المالَ البخيلُ فإنما ... خزائنه خَطِّيَّةٌ ودروع

وقال مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة يرثيه :

ولم يَكُ كنزُه ذهبًا ولكن ... حديدَ الهند والحلقَ المُذالا

(٤) الأروع : الذكى الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأنقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعنى أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع شملها وقال العكبرى — عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة ،



. . . .

وهى منصوبة بأخسر — التى هى عطف على المجد — وهذا غير جائز ، لأن صفقة تحل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفا على الضمير فى أخسر ؟ فإن عطفته على الضمير الذى فيه لم يكن أجنبيا منه ، فلا يعد فصلا بينه وبين صفقة ، فيصير نحو قولك . مررت برجل أكل وعمرو خبزا ، بعطف عمرو على الضمير فى أكل ونصب خبزا بأكل ، وفى نوادر أبى زيد :

بخيرٍ نحنُ عند البأسِ منكم إذا الدّاعى المثوِّبُ قال يالا[1]

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعا بالابتداء ، ومنكم : متعلق بخير — على أن يكون «خير» خبر المبتدأ — لئلا يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير فى «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التى هى مبتدأ لمجىء الثانية توكيدا للضمير فى «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب « صفقة » بفعل مضمر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفا على «المجد» — لا على الضمير فى «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجرى مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضا كذلك ، ثم قال صفقة وكأنه قال خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم فى قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

---

(١) بعده :

ولم تَثِقِ العوَاتِقُ مِن غَيورٍ بغَيرتِه وخَلّين الحِجالا

وقد نسب أبو زيد فى نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبى ولأئمة النحاة فى إعراب «بخير نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والمثوب : الذى يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعرى ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليرى فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنى فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحميهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم



والنَّاسُ أَنْزَلُ فى زَمانِكَ مَنْزِلاً ... مِنْ تُعَايِشُهُمْ وقَدْرُكَ أَرْفَعُ(١)

بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ ... فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذا تَشاءُ وتَنْفَعُ(٢)

ما كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا ... ما يُسْتَرَابُ بِهِ ولا ما يُوجِعُ(٣)

ولقَدْ أَرَاكَ ومَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... إِلاَّ نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ(٤)

ويَدٌ كأَنَّ قِتَالَها ونَوالَهَا ... فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وهْوَ تَبَرُّعُ(٥)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذى دل عليه «أعلم»، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» فى موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعلم أفعل ، وأفعل إذا أضيف إلى شيء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلابد أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعام لأنه ليس من النعام، فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى « من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .

(١) يقول : إن الناس فى زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم تخالطهم وتعاشرهم، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلمنى كلمة وأسمعنى منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما فى قلبى من لوعة الحزن ، فلقد كنت فى حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك ، وتنفع أولياءك : أى فانفعنى بكلامك

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريبه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تفجعهم بنفسك : ما يريبهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أوجعت قلوبهم وأبكيت عيونهم .

(٤) الأصمع : الذكى الحاد ؛ وقوله وما تلم : حال . يقول : كنت أراك فى حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونفاها عنك يد شنشنتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكأن النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفى هذا يقول أبو تمام :

ثوى ماله نَهْبُ المعالى فأوجبت ... عليه زكاةُ الجود ما ليس واجبا

ويقول ابن الرومى :

ملكٌ لا يرى اللُّها ... تستحق الوسائلا

يا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً ... أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لاَ تُنْزَعُ (١)

ما زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلى مَنْ شَاءَهَا ... حَتَّى لَبِسْتَ الْيَوْمَ مَالاَ تَخْلَعُ

مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ ... حَتَّى أَتَى الأَمْرُ الَّذِى لاَ يُدْفَعُ (٢)

فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لاَ رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيمَا عَرَاكَ وَلا سُيُوفُكَ قُطَّعُ (٣)

بِأَبِى الْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ ... يَبْكِى وَمِنْ شَرِّ السِّلاَحِ الأَدْمُعُ (٤)

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلاَحِ عَلى الْبُكَا ... فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ (٥)

وَيَرَاها فرائضــا ... وتُسمّى نوافــلاَ

ويقول آخر :

أغرُّ متى تَسْأَلْهُ جاد فريضة ... وإن أنت لم تسأله جاد تبرعا

(١) يريد : يامن كان فى حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع الملبوس على من يقصده — كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعنى الكفن — والحلة : اللباس من ثوبين — إزار ورداء — ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(٢) الفادح : الذى يثقل حمله ، وفى هذا المعنى يقول الحماسى :

دَفَعنا بِكَ الأيَّامَ حتى إذا أَتَتْ ... تُرِيدُكَ لم نَسْطِعْ لها عنك مَدفعا

(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول : ظللت — أقمت — تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك فى دفع مانزل بك ؛ إذ لا مدفع للموت . .

(٤) بأبى : تفدية . وقوله وجيشه متكاثر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكاثر : خبر أول لجيشه ؛ ويبكى : خبر ثان . يقول : إنه — مع كثرة جيوشه — كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تغنى شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا فى البيت التالى .

(٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء فى البكاء ؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الخد : أى أنه لا يجدى ولا يدفع شيئاً .

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْـــبَازِى الْأُشَيْهِبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ (١)

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ والسُّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّراً لا يَطْلُعُ (٢)

وَمَنِ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لا يَكَادُ يُضَيِّعُ (٣)

قُبْحًـــا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ (٤)

---

(١) الأشيهب ـ تصغير الأشهب ـ وهو الذى غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذى فى صدره بياض ، وهو فى الطير والكلاب ، كالأبلق فى الدواب . يقول : وصلت إليك ـ يخاطب المرثى ـ يد ـ يريد يد المنية ـ سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبازى مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . ويروى ألباز الاشهب ـ بقطع همزة أل : من الباز ـ ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة أل قد وقعت فى أول الشطر الثانى ، فكأنه أخذ فى بيت ثان ، كما قال حسان :

لتسمعنّ وشيكا فى ديارِكم الله أكبر يا ثاراتِ عثمانا

وقال الآخر :

حتى أتين فتًى تأبّطَ خائفاً ألسيفَ فهوَ أخو لقاء أروَعُ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلا للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول ـ متفجعاً عليه ـ : من للمحافل فى إرشاد جماعتها ، والجحافل فى تصريف كتائبها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء فى الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذى كانت تستمد برأيه ، والنير الذى كانت تهتدى بضوئه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروبا لا يطلع بعده ، قاله العكبرى .

(٣) يقول : ومن الذى اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع قصادك بعدك ومثلك من لا يضيع فى حياته قاصده .

(٤) يقول: قبح الله وجهك يازمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبائح ؛ فكأنه اتخذ القبائح برقعا . فقوله : قبحا، مفعول مطلق نائب عن عامله ـ من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقيا له ؛ والقبح ـ فى المصراع الثانى ـ الحسن .



أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِى شُجَاعٍ فَاتِكٌ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِىُّ الأَوْكَعُ(١)
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَىْ رَأْسِهِ وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا أَلاَ مَنْ يَصْفَعُ(٢)
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ
وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ(٣)
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ(٤)
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ(٥)

---

(١) الأوكع فى الأصل : الذى أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتى يكددن فى العمل ، ويقولون أمة وكعاء : أى حمقاء ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لئيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبى شجاع فاتك فى جوده وفضله مع بقاء حاسده ــ يعنى كافورا ــ الأحمق أو اللئيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبى شجاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصفع ؟ ولكن الأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من المتنبى ، إذ خرج إلى هجاء كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو ــ كافور ــ أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسامعين ــ أى أصدق الناس ــ يعنى المرثى . فقوله أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريحة والريح : واحد ، وتتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه فى الفلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . فدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال ... والتطلع : الاستشراف



وَتصالَحَتْ ثمرُ السِّياطِ وَخَيْلُهُ ... وَأَوَتْ إِليْهَا سُوقُهَا وَالأَذْرُعُ(١)

وَعفَا الطِّرَادُ فَلاَ سِنَانٌ رَاعِفٌ ... فَوْقَ القَنَاةِ ولا حُسَامٌ يَلْمَعُ(٢)

وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ ... بَعْدَ اللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ(٣)

مَنْ كَانَ فيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأً ... وَلِسَيْفِهِ فى كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ(٤)

إِنْ حَلَّ فى فُرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا ... كِسْرَى تَذِلُّ لهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ(٥)

أَوْ حَلَّ فى رُومٍ ففيهَا قَيْصَرٌ ... أَوْ حَلَّ فى عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ(٦)

---

(١) ثمر السياط : العقد التى تكون فى عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض فى قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهى ـ فى شدة جريها أو كثرته ـ كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان فى الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذى يسيل منه الدم ـ من رعاف الأنف ـ والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التميمى :

تركْتَ المَشْرَفيةَ والعَوالِي ... مُخَلاَّة وقد حان الورود

وغادرْتَ الجيادَ بكل مَرْج ... عواطِلَ بعدزِينتها ترُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مربض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والمنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و «من» ـ فى البيت الثانى ـ فاعل ولى ؛ والمرتع : المرعى . يقول: ولى وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع فى كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول : إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل فى العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك فى كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله فى البيت الثانى ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .



قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فى طَعْنَةٍ   فَرَساً وَلٰكِنَّ الْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ[1]
لا قَلَّبَتْ أَيْدِى الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ   رُمْحاً وَلا حَمَلَتْ جَوَاداً أَرْبَعُ[2]

***

وقال فى صباه :

بِأَبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا   وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا[3]
فَافْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمَّا الْتَقَيْنَا   كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَىَّ وَدَاعَا[4]

* * *

---

(١) فرساً : نصب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان فى الطعان ؛ أى كان إذا طعن لم يدرك ، ولكن المنية كانت أسرع منه فأدركته .

(٢) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول — على طريق الدعاء — : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيل قوائمها .

(٣) بأبى : هذه الباء باء التفدية ؛ أى أفدى بأبى من وددته : أى جعل فداء له .

(٤) يقول : كان تسليمه على عند اللقاء توديعا لفراق ثان . وفى هذا يقول على ابن جبلة العكوك :

رَكِبَ الأهوالَ فى زَورتِهِ   ثم ما سلم حتى وَدّعا

ويقول الآخر :

بأبِى وَأُمِّى زائر مُتقنِّع   لم يخف ضوءُ البدر تحت قِناعهِ
لَمْ أستتمَّ عِناقه لِلقــائهِ   حتى ابتدأت عِناقه لِوَداعه

قافية الفـــاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْقِـعُ الْخَيْــــلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوَ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَـــا أُلُوفُ (١)

وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـــفَ وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ (٢)

مَالَنَا فِى النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَـــارٌ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ (٣)

---

(١) الطفيف : القليل الحقير ـ من قولهم : طف له الشىء ، وأطف ، واستطف: إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطاياك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نزرا قليلا ، ولو كان فى الخيل التى تهبها ألوف من الجياد .

(٢) المطهم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التى توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هى لفظة المطهم ؛ يعنى أنك أمرتنى أن أختار وصف فرس تهبه الى ، والذى أختاره هو المطهم ، وهو المعروف عند أهله : أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالى من العيوب والإشارة بقوله وذاك ، إلى الوصف ، لأن المطهم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتنى الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالا لأمرك ، فأما الذى عندى فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .



وأهدى إليه رجل يعرف بأبى دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص ، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ ... وَالسِّجْنِ وَالقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ (١)

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِى ... وَالْجُوعُ يُرْضِى الْأُسُودَ بِالْجِيَفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكان صديقا له من قبل . قال صاحب الصبح المنبي : لما اشتهر أمر المتنبي ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سلمية — من عمل حمص فى بنى عدى — قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين » وجعل فى رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف، فقال المتنبي .

زَعمَ المقيمُ بِكوتكِينَ بأنه ... من آلِ هاشم بن عبد منافِ

فأجبتهُ مذ صِرْتَ من أبنائهم ... صارت قيودهمُ من الصفصافِ

ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

بيدِى أيُّها الأميرِ الأريب ... لا لشىء إلا لأنى غريب

أو لأمٍّ لهـا إذا ذكرتنى ... دَم قلبٍ بدمعِ عينٍ يَذوب

إنْ أكن قبل أنْ رأيتك أخطأ ... تُ فإنى على يديكَ أتوب

عائبٌ عابَنِي لديكَ ومنه ... خُلِقَتْ فى ذَوِى العيوبِ العيوب

وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجدها فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه — صيغة تعجب — والثواء . الإقامة . يريد مقامه فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى وطنت نفسى عليها ، ومن وطن نفسه على شىء هان عليه — وإن اشتد — كما قال كثير .

فقلت لها يا عزُّ كل مصيبة ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفس ذَلَّتِ

ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والمصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان . يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أيُّها السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ (١)
لوْ كانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً لم يَكُن الدُّرُّ ساكِنَ الصَّدَفِ (٢)

يقول : قبلت برك بى اضطرارا – لا اختيارا – لاحتياجى إليه ، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لحما . وفى مثل هذا يقول المهلبي الوزير .

ما كُنْتَ إلا كلحْمِ مَيْتٍ دَعا إلى أكلِهِ اضْطِرارُ

ومثله لأبى على البصير :

لعَمْرُ أبيكَ ما انتسب المُعَلَّى إلى كرَمٍ وفى الدنيا كَرِيمُ
ولكنَّ البلاد إذا اقشعرّت وصوّحَ نبتها رُعِيَ الهشيمُ

ومثله قول الآخر :

فلا تحمَدونى فى الزيارةِ إننى أزورُكمُ إذ لا أرَى مُتَعَلَّلا

ومثله :

خذ ما أتاكَ من اللئا مِ إذا نأى أهل الكرمْ
فالأسْد تفترس الكلا بَ إذا تعذّرتِ الغنمْ

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذللها . يقول – للسجن – : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكنى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى نقصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن بالدر فى الصدف . قالوا : وهو من قول أبى هفان .

تَعجبتْ دُرُّ من شيبى فقلت لها لا تعجبى فطلوع البدر فى السُّدَفِ
وزادها عجباً أنْ رُحتُ فى سَمَلٍ وما دَرَتْ دُرُّ أن الدرَّ فى الصَّدَفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي :

لِجِنِّيَّةٍ أمْ غادةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لِوَحْشِيَّةٍ لاَ ما لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ (١)

نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجاذَبَتْ سَوَالِفُهَا وَالْحَلْيُ وَالْخَصْرُ وَالرِّدْفُ (٢)

---

(١) لجنية : أراد الجنية ؟ فحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله فى الشعر ، أنشد سيبويه للأسود بن يعفر :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنْ كنتُ دارِياً شُعَيثُ بنُ سَهمٍ أم شعيثُ بنُ مِنْقَرِ (١)

ولعمر بن ربيعة .

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإن كنت دارياً بِسبعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أمْ بِثمانِ (٢)

والغادة والغيداء : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب الستر إذا كان بنصفين ، وقوله لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما ـ كالأول ـ ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه قال : ليس لجنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية ـ أى لظبية وحشية ـ ثم رجع منكراً على نفسه فقال : ما لوحشية شنف ـ والشنف : ما يعلق فى أعلى الأذن ـ يعنى أن السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنوفا ، والوحشية لا شنف لها . يتعجب من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب إذا بالغت فى مدح شىء جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

جِنِّيَّةٌ أو لها جِنٌّ يُعلِّمها رَمْىَ القلوبِ بقوسٍ مالها وَتَرُ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعا وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة أصلية ، ونفرة من رؤية الرحال فتجاذبت سوالفها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت تتحلى به جذب عنقها بثقله ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

---

(١) يقول : ما أدرى أشعيث من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعيث حى من تميم ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدعياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا حى من قيس . قال الشنتمرى : ويروى شعيب ـ بالباء ـ وهو تصحيف :

(٢) يقول : ألهانى النظر إليهن واشتغال البال بهن عن تحصيل رميهن الجمار بـ«منى» وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟



وَخُيِّلَ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَثَنَّى لَنَا خُوطٌ وَلاَ حَظَنَا خِشْفُ(١)

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيَادَتِى وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِى ضَعْفُ(٣)

هَرَاقَتْ دَمِى مَنْ بِى مِنَ الْوَجْـــدِ مَا بِهَا

مِنَ الْوَجْدِ بِى وَالشَّوْقُ لِى وَلَهَا حِلْفُ(٢)

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها — من قوله تعالى : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » أى يرون ذلك كالخيال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والخوط : الغصن ؛ والخشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها — ثوبها — أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة ، فإذا هى كغصن بان يتثنى ، وظبى يرنو — ينظر — وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل — بالباء الموحدة — والخبل : الذى قطعت يداه ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكأن ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إنْ أقبلتْ فالبدر لاحَ وإنْ مَشَتْ فالغصنُ مال وإنْ رنت فالرِّيمُ

(٣) يقول : حالى — أو شأنى — زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وأُسَرُّ فى الدنيا بِكلِّ زيادة وزيادتى فيها هو النقص

وكما قال المتنبي — وقد تقدم — :

متى ما ازدَدْتُ من بعدِ التناهى فقد وقع انتقاصِى فى ازديادى

(٢) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : الملازم . يقول : أراقت دمى بحبها تلك التى أجد بها من الحب ما تجد بى والشوق لى ولها ملازم ، أى أنى أحبها كما تحبنى ، وأشتاق إليها كما تشتاق لى . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بى من الوجد بها ما بها من الوجد بى لكان أشد اعتدالا ، لكنه — للوزن — حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وإذا تأملت البـــلادَ رأيتَها تُثْرِى كما تُثْرِى الرجال وتعدِمِ

أراد كما يعدمون ، فحذف



وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... كَسَاهَا ثِيَاباً غَيْرَهَا الشَّعَرُ الْوَحْفُ(١)
وَقَابَلَنِي رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ ... يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ(٢)
أَكَيْداً لَنَا يَا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصْلَنَا ... فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو(٣)
أُرَدِّدُ وَيْلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً ... وَأُكْثِرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غُلَّةً لَهْفُ(٤)
ضَنًى فِي الْهَوَى كَالسُّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِناً ... لَذِذْتُ بِهِ جَهْلاً وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ(٥)
فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا ... أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ(٦)

---

(١) الوحف : الكثير الملتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها فى سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل :

رأت عينَ الرقيب على تدان ... فأسبلت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرمانتين : ثدييها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعنى : أنها قامت عند الوداع بحذائى فقابلنى من ثدييها رمانتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكأن وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أكيداً : أى أتكيد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين ــ البعد ــ فتواصل وصلنا ــ أى تلازمه ؟ ــ أى كلما تواصلنا تعرض لنا فتفرقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؟ ومثله للبحترى :

فوا أسفى لو قاتل الأسفُ الجوى ... ولَهفى لوَ انّ اللهف من ظالمى يُجدى

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع فى هلكة ؛ واللهف : التحسر على ما فات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أكثر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى إياهما ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكامنا : حال من السم ؛ وجهلا : مفعول له ؛ والحتف : الموت . يقول : بى ضنى مستتر كما يكمن السم فى الشهد ــ العسل ــ إذا مزج به ، وقد استلذذت الهوى جهلا بذلك الضنى وحتفى فى تلك اللذة .

(٦) فأفنى : أى الضنى . والكهف ــ هنا ــ الملجأ ، ففاعل أفنى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَليلُ الكَرَى لَوْ كانَتِ البِيضُ وَالقَنا ... كآرائِهِ ما أغنَتِ البَيْضُ والزَّغْفُ [١]

يَقُومُ مَقامَ الجَيشِ تَقْطيبُ وَجْهِهِ ... وَيَسْتَغرِقُ الألفاظَ مِنْ لَفظِهِ حَرْفُ [٢]

وإنْ فَقَدَ الإعطاءَ حَنَّتْ يَمينُهُ ... إليْهِ حَنينَ الإلْفِ فارَقَهُ الإلْفُ [٣]

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفا لتأخر مرجعه لفظاونية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ، فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة عن كهف . والضمير : للضنى، ودونها :صلة كهف . يقول:فأفنى الضنى نفسى وما أفنيته ، كأن للممدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرى : النوم . والبيض الأولى ـ بكسر الباء ـ السيوف . والثانية ـ بفتح الباء ـ جمع بيضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع اللينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يحمل على حصوله من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقظانُ أحصدت التجارب عَقدَه ... شَزْراً وثُقِّفَ عزمه تثقيفا

واستلَّ من آرائه الشُّعَلَ التى ... لو أنهن طُبِعنَ كنّ سيوفا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة .
وفى مثل هذا يقول البحترى :

وإذا خِطابُ القومِ فى الخَطْبِ اعتلى ... فَصَلَ القَضيّةَ فى ثلاثةِ أحْرُفِ

(٣) يقول : ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتاقت يده إلى الإعطاء كما يحن الإلف إلى الإلف إذا فارقه . وفى مثله يقول أبو تمام .

واجِدٌ بالعطاءِ من بُرحاء الشوْ ... قِ وِجدانَ غيره بالحبيبِ

ويقول غيره :

يَحِنُّ إلى المعروف حتى يُنيلَهُ ... كما حَنَّ إلفٌ مستهامٌ إلى إلفِ



أديبٌ رَسَتْ لِلعِلْمِ في أرضِ صَدْرِهِ ... جِبَالٌ جِبَالُ الأرضِ في جَنْبِها قُفُّ(١)

جَوَادٌ سَمَتْ في الخَيْرِ والشَّرِّ كَفُّهُ ... سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أنْ اسْمَهُ كَفُّ(٢)

وأضحى وبَيْنَ النَّاسِ في كُلِّ سَيِّدٍ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ في سِيَادَتِهِ خُلْفُ(٣)

يُفَدُّونَهُ حَــتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ ... لِجَارِي هَوَاهُ في عُرُوقِهِمِ تَقْفُو(٤)

وُقُوفَيْنِ في وَقْفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ ... فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وشُكْرُهُمُ وَقْفُ(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لايبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعلمه اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وشدة رسوخه ومتانته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعني أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره .

(٢) الجواد : الكريم المعطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالي في كل خير لاوليائه وشر لأعدائه — لأنهما يصدران منه — حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه — الذي هو مجمع الخير والشر — في الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو: تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له: نفديك بأنفسنا ، فكأن هواه جرى أولا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أي أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبي تمام:

لو أن إجماعَنا في فضْلِ سُؤْدُدِهِ ... في الدِين لم يَختلفْ في المِلةِ اثنانِ

وقول البحتري :

وأرى الناسَ مجمعينَ على فضــــلكَ مابين سَيِّدٍ ومَسُودِ

(٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يفدونه ، كما تقول رأيتك راكبين : أي أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع ، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

ولمَّا فقدْنا مِثْلَهُ دامَ كشْفُنَا
عَلَيْهِ فَدامَ الفَقْدُ وانكَشَفَ الكَشْفُ(١)

وما حارتِ الأوْهَامُ فِي عُظْمِ شأنِهِ بأَكْثَرَ مِمَّا حارَ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ(٢)

وَلاَ نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الغَيْظُ وَالأذى بأعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفْرِهِ العُرْفُ(٣)

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وظَاهِرُهُ ظَرْفُ(٤)

وقفين ؛ ونائل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والممدوح فريقان واقفان فى شيئين وقفين ـ محبوسين ـ أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثانى على الممدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعنى أنه أبداً يعطى والناس أبداً يشكرونه ، وفى مثل هذا يقول البحترى .

أعيال لهم بَنُو الأرض أم ما لَهُمْ راتِبٌ على الناس وقف

ويقول : ابن الرومى :

أموالهُ وقف على تنقيلنا وثناؤنا وقف على تحقيقهِ

[تنقيلنا : إصلاحنا ـ من نقل الخف أو النعل : رقعه وأصلحه] .

(١) كشفنا : بحثنا ؛ والضمير فى عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله فى المجد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشا كله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد : أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث ـ لأنا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظير .

(٢) يقول : حارت الأوهام فى عظم شأنه ، والطرف ـ النظر ـ فى حسنه وجماله، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية فى العظمة والحسن

(٣) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيهم نقصاً وهزالا كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فعلت مقلتاك بالصبِّ ما تفْـــعَلُ جَدْوى الأمير بالأموالِ

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر فى العلم ، وإذا نطق نطق بالحكمة . وباطنه ينطوى على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسنِ الأخلاق . قال الحريمى :



أَمَاتَ رِيَاحَ اللؤْمِ وَهْىَ عَوَاصِفٌ
وَمَغْنَى الْعُلَى يُودِى وَرَسْمُ النَّدَى يَعْفُو(١)

فَلَمْ نَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابِعاً
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيَمُ الْوُطْفُ(٢)

ولاَ سَاعِياً فِى قُلَّةِ المَجْدِ مُدْرِكاً
بأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ(٣)

ولَمْ نَرَ شَيْئاً يَحْمِلُ الْعِبْءَ حَمْلَهُ
وَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُه طِرْفُ(٤)

فتى جهرُهُ ظَرفٌ و باطِنهُ تُقَى
تزيَّنَ ما يُخْفِى بصالح ما يُبْدِى

قال ابن جنى : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل أبداً تجيء مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أوفعولن فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ، وهو تخليط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهى مفاعيلن لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر المدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها. قال الواحدى: ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم ـ أى الخسة ـ والمغنى : المنزل؛ ويودى: يهلك، والرسم: أثر الديار؛ ويعفو : ينمحى ؛ والواو — فى قوله ومغنى العلا — واو الحال . ولما استعار للؤم رياحاً استعار للعلى مغنى وللندى رسما ؛ إذ أن الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول سكن الممدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت تعفوها وتذهب بهما أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .

(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ،وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً . يقول : لم ير قبل هذا الممدوح أحد إذا أعطى استحيت السحب وخجلت من عطائه . وفى هذا يقول أبو نواس :

إن السَّحَابَ لتَسْتَحْيِي إذا نظرتْ
إلى نَدَاكَ فقاسَتْهُ بمـــا فيها

(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن الممدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .

(٤) العبء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرْف . الفرس الكريم .



وَلاَ جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ　　وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ(١)

فَوَاعَجَبَا مِنِّي أُحَاوِلُ نَعْتَهُ　　وَقَدْ فَنِيَتْ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحْفُ(٢)

وَمِنْ كَثْرَةِ الأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ　　يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفُ(٣)

وَتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصَالٍ كَأَنَّهَا　　ثَنَايَا حَبِيبٍ لاَ يُمَلُّ لَهَا رَشْفُ(٤)

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمِ
كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الأَنْفُ(٥)

يقول : إنه يحمل من أثقال المهمات مالا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مرتقى همته وقوة نجدته ؟ إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم .

(١) جعله كالبحر المحيط بالدنيا فى كثرة عطاياه وغزارة نداه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يقله ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسى كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيرى حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتهم سِيَرًا لو أنها كتبت　　لم تُبقِ فى الأَرْض قرطاساً ولاَ قلما

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتى غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؟ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أى لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتى صنف يقصدونه ، وقوله : له أى لأجله .

(٤) وتفتر : أى الأخبار ؟ أى تسفر وتنجلى ؟ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا: الأسنان فى مقدم الفم؛ والرشف: المص؛ شبه خصاله — فى حسنها وحلاوتها — بثنايا حبيب لا يمل مص ريقها .

(٥) يقول : إنى قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكنى آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الحطيئة .



وَلاَ الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتِّبْرُ وَاحِدٌ ... نَفُوعَانِ لِلْمُكْدِى وَبَيْنَهُمَا صَرْفُ(١)

وَلَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ ... وَلاَ مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِى خَلْفَهُ خَلْفُ(٢)

وَلاَ وَاحِداً فِى ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ ... وَلاَ الْبَعْضَ مِنْ كُلٍّ وَلَـكِنَّكَ الضِّعْفُ(٣)

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ ... ومن يُسَوِّى بأنف الناقة الذَّنبا

وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما قال فيهم هذا فخروا بلقبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من النعت المراد به التأكيد كما فى أمس الدابر ؛ والتبر : الذهب . والمكدى : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛ تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة سواء وإن اجتمعا فى المنفعة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتـكم مثلَ الدنانير فيهم ... وسائرَ هذا الخلق مثلَ الدراهم

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ فخلفه : خبر مقدم ، منصوب على الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا ترتجى أنت : أى أنت والغيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للجود منتهى ، يعنى أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية القصوى للجود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قَصَّر الجودُ عنكم يا بنى مطر ... ولا تجاوزكم يا آلَ مسـعود

يَحُلُّ حيثُ حللتم لا يفارقـكم ... ما عاقب الدهر بين البيض والسود

وقال أشجع السلمى :

فما خلفَه لامرئٍ مطمعُ ... ولا دونه لامرئٍ مَقنعُ

وقال أبو تمام :

إليك تناهَى المجدُ من كل وِجهة ... يصير فما يعدوك حيث تصـير

وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس — فى البيت السابق — . يقول : ولست واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، ولـكنك ضعف جميعهم ، أى أنت تغنى غناءهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشىء على الشىء .

وَلا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ... وَلا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ (١)

أَقَاضِينَا هَـذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... غَلِطْتُ وَلا الثُّلْثَانِ هَذَا وَلاَ النِّصْفُ (٢)

وَذَنْبِيَ تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا ... بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو (٣)

***

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا: أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة ـ وهو ألف ـ قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لمية مُوحِشاً طلَلُ (١) *

وألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الغثاثة والتكلف والغلو ماترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثنيت به عليك ، ثم قال: غلطت ـ ليس هذا ثلثى ماأنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ماتقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجئ مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وعنـــدى أيادٍ جمّةٌ لم أجِدْ لها ... بإحصائها عنـــدى لسانًا معبِّرا

ولـكنْ جُهدى أن أقول وما عسَى ... لذى الجهد إلا أن يقول فيُعذرا

ولأبى تمام :

وما كنت إلا مذنبًا يوم أنتحى ... ســـواك بآمالى فجئتك تائبا

(١) عجزه :

* يَلوحُ كأنهُ خللُ *

وهو لذى الرمة . والخلل ـــ بالكسر ـــ جمع خلة . قال الجوهرى : الخلة واحدة خلل السيوف ، وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب .



وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً(*) فقال كيف تراه فقال مرتجلا :

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ ... وَزَلَّتْ عَنْ مُبَاشِرِهِ الْحُتُوفُ(١)

فَدَعْهُ لَقًى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامٍ ... جَوَاشِنُهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ(٢)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبى الطيب فأرسل غلماناً له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلا فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبى العشائر ، فقال أبو الطيب(*) :

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِى إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلنَّبْلِ حَوْلِى مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ(٣)

---

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن ـ الدرع ـ يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمنا على نفسه لحصانته ، ولا تعمل الحتوف ـ المنايا ـ فى من لبسه .

(٢) لقى : أى ملقيا . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرماح والسيوف لمكانه من الشجاعة ولا يحتاج إلى الدروع ، وفى مثله يقول الآخر :

ونحنُ أناس لاحُصونَ بأرضِنا ... نَلوذُ بها إلاَّ القَنا وَالقواضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التى مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وفيها يعرض ببنى حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بمحضر من أبى العشائر فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليوقعوا به ، وقد تقدم ذلك فى موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعنى أبا العشائر ـ يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه مع ذلك أراد قتلى ، فللنبل حوالى من يديه صوت يخف بى .



فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ ... حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ[1]
وَكُلُّ وِدَادٍ لا يَدُومُ عَلَى الأذَى ... دَوَامَ وِدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ[2]
فإنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِداً ... فَأَفعَالُه اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ[3]
وَنَفْسِي لهُ نَفْسِي الْفِدَاهُ لِنَفْسِهِ ... وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ[4]

وقال فى عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا ... أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنافَا[5]

---

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه ، وما كان شوقي إليه فى هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .

(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادى ؛ وضعيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادى للحسين ـ أبي العشائر ـ هو وداد ضعيف .

(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعفى الكثير ولا يغلبه . يقول : إن ساءنى بفعل واحد فقد سرنى بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .

أيذهبُ يومٌ واحد أنْ أسأتُهُ ... بصالح أيامى وحُسْنِ بلائيا

(٤) نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرنى بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بى ، كما قال الآخر :

* أريد حياتهُ ويريد قتلى *

وقوله: نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أفديه بنفسى .

(٥) يعنى بالغادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيوفا أجدع ـ أقطع ـ بها أنوفهم ، يعنى أذلهم بها وأنكل .



لا يَرْحَمُ اللهُ أَرْؤُساً لَهُمُ أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا[1]

مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ المِئُونَ آلافَا[2]

يا شَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَمٍ وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا[3]

قَدْ كُنتَ أَغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِي مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا[4]

وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ

وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلافَا[5]

---

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأقحاف : جمع قحف ـ بكسر القاف ـ العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف ـ أى ما ينكر ويعيب ويكره ـ إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المؤن منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . فقوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، لحذف « لا » وهو يريدها .

(٣) فجعه : أوجعه بشىء يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تخمع فى مشيها ـ أى تمشى مشى الأعرج . يقول ـ لمن قتل من عبيده ـ : يا شر لحم أسلت دمه ففجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا العبد سأل عائفاً عن حال المتنبى فذكر له من حاله مازين له الغدر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى « فاسأل به خبيراً » وزجر الطير وعيافتها ضرب من التكهن كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول ـ للعبد الذى قتله ـ لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتعرضك للغدر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف ـ يعنى سيفه ـ أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالغدر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتعرضه : أى تعرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لا يُذْكَرُ الخَيْرُ إنْ ذُكِرْتَ ولا ... تُتْبِعُكَ المُقْلَتَانِ تَوْكَافَا(1)

إذا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَــدْرَتِهِ ... أَوْرَدْتُهُ الغَـايَةَ الَّتِي خَافَا(2)

* * *

(1) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء ـ جريانه ـ يقول : لم يكن فيك خير تذكر به ولا تبكى عليك العين .

(2) يقول : إذا راعنى ـ خوفنى ـ امرؤ بغدرته كافأته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء



قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية :

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا ... وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا(1)

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ ... تَلاَقَى فِى جُسُومٍ مَا تَلاَقَى(2)

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاًّ ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمِ وَسَاقَا(3)

---

(1) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه إلى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربع - ربع الأحبة - ما فعل من إراقة دمى وما هاج فى قلبي من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربع هيج شوقه وجدد له ذكر الأحبة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم «شاق» على «أراق» ، لأن الربع إذالم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتدأ بالاهم ثم عاد إلى ذكر سببه ،وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حمله على الشوق .

(2) تلاقى : أى تتلاقى ، فحذف إحدى التاءين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع - يعنى الأحبة - قلوب تتلاقى فى جسوم ماتتلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، فكأننا نتلاقى بالقلوب وإن لم نتلاق بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى البِعادِ والتفرُّقِ ... لنلتقى بالذكرِ إنْ لم نَلتقِ

(3) عفته الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربع منزلا ، فلا ذنب للريح فى دروس منازله ، إنما عفاه الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربع . وهذا كما قال أبو الشيص :

ما فرّقَ الأُلاَّفَ بَعْـ ... ـدَ الله إلا الإبلُ

والناسُ يَلحَوْنَ غُرَا ... بَ البَينِ لمَّا جهلوا

وَما إذا صاحَ غُرَا ... بٌ فى الدِّيَارِ احتمَلوا

ولا عَلَى ظَهرِ غُرَا ... بِ البَينِ تُطْوَى الرُّحلُ

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كَانَ عَدْلاً فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا[1]
نَظَرْتُ إِلَيْهِمِ وَالعَيْنُ شَكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا[2]
وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ البَدْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ المُحَاقَا[3]
وَبَيْنَ الفَرْعِ وَالقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا[4]

وما غرابُ البينِ إلا ناقةٌ أوْ جَمَلُ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق لجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فيارَبِّ قدْ حَمَّلتنِي فوْقَ طَاقتِي مِنَ الْحُبِّ حِمْلاً فاتلِي فوْقَ مَا بِيَا
وإلا فساوِ الحبَّ يارَبِّ بيننا يكونُ سواءً لا علىَّ ولا ليَا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ والماق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجوانب ماق يسيل الدمع منه ، يشير إلى غلبة البكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق ـ بضم الميم ، وكسرها ـ نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام : الكمال ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم الكمال فى الحسن والإشراق ، وأنا لسقمى كأنه أعطانى المحاق يعنى : أن الحبيب كان فى الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا فى الدقة والنحول كالقمر فى المحاق ، وقد أخذ هـذا القائل :

يامَنْ يحاكى البدْرَ عِندَ تمامِه إرْحَمْ فتًى يحكيهِ عندَ محاقِه

(٤) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة ، والنياق : جمع ناقة . وقوله : بين الفرعين والقدمين ظرف لنور وما يليه فى البيتين التاليين ، والضمير فى أزمتها : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر فى الرتبة . لما جعله بدراً والبدر لا يخص النور بعضه وصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة ؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التى بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم ثنى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى العتاهية :

وَطَرْفٌ إنْ سَقَى الْعُشّاقَ كَأْساً ... بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا(١)

وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأبْصَارُ فِيهِ ... كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا(٢)

سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَيْفِي ... وَرُمْحِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا(٣)

تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْدًا ... وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا(٤)

فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ ... لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ ائْتِلَاقَا(٥)

وَلَوْ أنَّ رَكْباً يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ ... نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(١) دهاقا : ملأى . يقول : وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأساً ناقصة سقانيها مترعة ، يعنى أنه أعشق العشاق له ، وفيه نظر إلى قول القائل :

وَمَا لَبِسَ الْعُشّاقُ مِنْ حُلَلِ الهوى ... ولا أَخْلَقوا إلا الثيابَ التى أُبْلِي

ولا شَرِبُوا كَأْساً مِنَ الحب حُلْوَةً ... ولا مُرَّةً إلا شَرابُهُمُ فَضْلِي

(٢) يقول : إن الأبصار تثبت فى خصره استحساناً له وتكثر عليه من الجوانب حتى تصير كالنطاق عليه . وفى هذا المعنى يقول بشار :

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالعُيُو ... نِ طَرَقْنَنِي وَرَجَعْنَ مُلْسَا

[يريد بشار أنهن — لحسنهن — تعلو الأبصار إلى وجوههن ورءوسهن حتى كأن لهن إكليلا من العيون . وملسا : أى لم يعلق بهن أذى ولا ريبة] ويقول أبو العتاهية :

أَحَاطَتْ عُيُونُ العَاشِقِينَ بِخَصْرِهِ ... فَهُنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ

(٣) الهملعة : الناقة السريعة ؛ والدفاق : المتدفقة فى السير . يخاطب محبوبته يقول : سلى عن حال سيرى هذه الأشياء تخبرك بإقدامى وتجلدى للأهوال ؛ يعنى أنه كان وحده لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة .

(٤) العيس : الإبل البيض ؛ ونكبه : عدل عنه ؛ والسماوة : فلاة بين الشام والعراق . يقول : خلفنا — فى قصدنا إلى الممدوح — نجدا وراءنا وملنا عن طريق السماوة وطريق العراق ومنتوانا حلب .

(٥) ترى : أى العيس ؛ ودجى الليل : أظلم ؛ والائتلاق : البريق والالتماع ؛ يقال : ائتلق البرق وتألق : إذا لمع . يقول : لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة فى ظلمة الليل يسطع لها فتستصبح به ويقتادها ، وهذا من قول سحيم :



أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ المِسْكِ مِنْـــهُ　　إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا[1]
أَبَاحَكِ أَيُّهَا الوَحْشُ الأَعَادِي　　فَـــلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا[2]

إذا نحنُ أدلجنا وأنتَ أمامنا　　كفى لمطايانا بوجهكَ هَادِيا

ومثله قول أبى الطمحان القينى :

أضاءتْ لهم أحسابُهم وَوُجُوهُهمْ　　دُجَى اللَّيلِ حتّى نَظَّمَ الجِزعَ ثَاقِبُهُ[1]

(١) انتشاقا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس فى طريقها إلى سيف الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

فَهَدَت عيونَهُمُ له أَضْوَاؤُه.　　وَهَدتْ أُنُوفَهم له أروَاحه

ويقول أيضاً :

إنْ جَاء مَنْ يَبغِى لنا مَنزِلاً　　فَقُلْ له يَمْشى وَيَسْتَنشِقُ

ولعلهم يريدون المعنى المجازى فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون بائتلاقه مجده ومكارمه ؛ فعبروا عن المعنوى بالحسى مبالغة فى ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رفقة ، وهى الجماعة فى السفر . يقول : — للوحش — إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصدين الرفاق التى تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على من يعارضه ويخفر ذمته ،قال الواحدى قوله : فلم تتعرضين الرفاقا ، تقديره فلم تتعرضين الرفاق له : أى رفاقه .

---

(١) الجزع — بفتح الجيم ، وكسرها — ضرب من الخرز اليمانى فيه بياض وسواد تشبه به العيون . وقبل البيت :

وإنى من القوم الذين هم هم　　إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب　　بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وبعــده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوَّد　　تسير المنايا حيث سارت ركائبه

إلى أبيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى .

وَلَوْ تَبِعْتِ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ ... لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا[1]

وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ ... مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا[2]

إِمَامٌ لِلْأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا[3]

يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَاماً ... وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا[4]

فَلَا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَاماً ... إِذَا فَهِقَ الْمَكَرُّ دَماً وَضَاقَا[5]

---

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تتبعت أيها الوحش ما طرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا ولكان لك فيه غناء عن التعرض لنا — لكثرته .

(٢) يقول : نحن آمنون فى طريقنا إليه حتى لو سرنا فى النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه فى أمن وطمأنينة . ومثله لأبى تمام :

فَمَضى لَوَانَّ النار دونك خاضها ... بالسيف إلا أن تكونَ النارا

« يريد جهنم » ولأبى حية النميرى :

لو أن جَمر النار دون بلادهم ... لَعلمتَ أنِّى جَمرَها مُتخوِّضُ

(٣) من قريش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء — يعنى خلفاء بنى العباس — إذا شاقهم عدو — أى تمرد عليهم — يحذرون شقاقه — خلافه وعصيانه — تقدمهم اليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لعلو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما فى إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة فى البيت التالى .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذى يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذى تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه المتفيهق الذى يفهق فمه بالكلام . والمكر : مجال الحرب . يقول : لا تنكر تبسمه فى أهوال ساعة الحرب وهو عند ضيق المكر بازدحام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعنى أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والحيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه فى البيت التالى ، وفى مثل هذا يقول البحترى :



فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ المُهَجَ العَوَالِي ... وَحَمَّلَ هَمَّهُ الخَيْلَ العِتَاقَا(١)

إِذَا أُنْعِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ ... وَإِنْ بَعُدُوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا(٢)

وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ ... نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا(٣)

فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا ... وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوَاقَا(٤)

ضَحوكٌ إلى الأبطال وَهْوَ يَرُوعُهُم ... وللسَّيفِ حَدٌّ حينَ يَسْطُو ورَوْنَقُ

(١) المهج : الأرواح ، والعوالى : الرماح ؛ وهمه : همته؛ والعتاق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه فى هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه فى الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى فى البيت التالى .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أنعلت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بحوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبى الأخزر الحمانى :

لَمْ تَشْكُ خَيلُهمُ الوَجَى مِن رَوْحَةٍ ... إلا انْتَعَلْنَ مِنَ الدماءِ قَتِيلاَ

(٣) نقع : ارتفع صوته وبعد . والصريخ : المستغيث . وضمير نصبن للخيل والمؤللة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخرُجْنَ مِن مُسْبطِرِّ النقعِ دَامِيَةً ... كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقلاَمِ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها المرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير فى بينهما للصريخ والخيل : والفواق ـ بضم الفاء ، وفتحها ـ مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلا فى السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للانسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعان من غير بطء فى إجابته فتجعل الطعن جوابا ، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة ، أو فواق إنسان : أى لا لبث بينهما . ولله سلامة بن جندل حين يقول :

كنّا إذا ما أتانا صَارِخٌ فزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ له قرْعَ الظَّنابيبِ(١)

---

(١) يقول : إذا استغاث بنا مستغيث ، كان جوابه الجد فى نصرته ، ويقال قرع



مُلاَقِيَـــةً نَوَاصِيهَا المَنَايَا مُعَـــاوَدَةً فَوَارِسُهَا العِنَاقَا[١]
تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ العَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا[٢]
تَمِيلُ كَأَنَّ فِى الأَبْطَالِ خَمْراً عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحاً وَاغْتِبَاقَا[٣]
تَعَجَّبَتِ المُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا[٤]

---

(١) النواصى : جمع ناصية : شعر مقدم الرأس ؛ وملاقية ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيهما : المصدر — من قوله وكان الطعن يقول: إن خيله تلقى نواصيها المنايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فوارسها معانقة الأبطال فى الحرب ، قالوا : والمعانقة آخر حالة فى الحرب ؛ وأولها اللاقاة من بعيد ، ثم المراماة بالسهام ، ثم المنازلة بالرماح ، ثم المنازلة إلى الاقران ، ثم المعانقة .

(٢) أراد — بالهوادى : أعنق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبيت رماحه معروضة فوق أعناق خيله فى سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذى تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومى :

وإعمالى إليك بها المطايا وقد ضرب العَجاجُ بها رواقا

(٣) العلل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب فى الصباح ؛ والاغتباق الشرب فى العشى . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها صباحاً وغبوقا فهى لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو للينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشياً وفى مثل هذا يقول البحترى :

يتعثرنَ فى النحور وفى الأو جُه سكراً لمّا شربْنَ الدماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومتانته ، ولما جاد بالمال لم يفق من سكر الجود ولم يصح من أريحيته ، وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى إذ يقول :

تــكرمْتَ مِنْ قَبلِ الــكئوسِ عَليهمِ فما اسْطَعْن أن يُحدِثن فيك تــكرما

لهذا الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه ؛ والظنبوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب .



أقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ العَطَـايَا ,فَلَمَّا فَاقَتِ الْأَمْطَارَ فَاقَا(١)
وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْـهُ وَوَفَّيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّـدَاقَا(٢)
وَحَاشَا لِارْتِيَاحِكَ أن يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِى لَكَ أَنْ يُبَاقَى(٣)
وَلَـكِنَّا نُدَاعِبُ مِنكَ قَرْماً تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا(٤)
فَـتًى لاَ تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوِثَاقَا(٥)

---

(١) يقول : أقام الشعر يبابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ؛ يعنى كثرت عطاياه وكثرت الأشعار فى مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للغنية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاه فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحرة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبعيد للشىء ؛ والارتياح : الاهتزاز للبذل ويبارى : يجارى . ويباق : يغالب من البقاء . وقد استدرك فى هذا البيت ما ذكره فى البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشىء ، فهو أكثر من أن يعارضه شىء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقى من كرم غيرك ، يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيهما به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : يريد أنى قلت ذلك — أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر — ممازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفعاً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلالهم وقيودهم : أى يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل فى هذا المعنى قول عنترة :

يُخْبِرْكِ مَن شَهِدَ الوقيعَـةَ أنَّنى
أغْشَى الوَغى وأعِفُّ عنـد المغنم



وَلَمْ تَأْتِ ٱلْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْواً وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ ٱسْتِرَاقَا(١)
فَأَبْلِغْ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لَحَاقَا(٢)
وَهَلْ تُغْنِي ٱلرَّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبًى رِقَاقَا(٣)
إِذَا مَا ٱلنَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ وَذَاقَا(٤)
فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إِلَّا خِدَاعاً وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقَا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ وَعَمَّا لَمْ تُلِقْهُ مَا أَلَاقَا(٥)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ ٱلْخَلَّاقِ قُلْنَا أَعَمْداً كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا(٦)

---

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكنى كنت أهلا لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوننى عليك أنهم لا يلحقوننى ولا يبلغون شأوى لأن البرق إذا حاول اللحاق بى كبا على وجهه ـ عثر وسقط ـ وإذا لم يلحقنى البرق فكيف يلحقوننى هم ؟ قال الواحدى : وتحميله الممدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله — حاسدى عليك .

(٣) الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفينى منهم الرسالة ، إنما يشفينى منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف المجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والآكل أعرف بالمأكول من الذائق .

(٥) ألاق الشىء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفاكَ كَفٌّ ما تُليقُ دِرْهَما جُوداً وأُخرَى تُعطِ بالسيفِ الدِّمَا

يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم تمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقا ـ اتفاقا ـ أو عن عمد ، لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .



فَلاَ حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرْجاً ... وَلاَ ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا(١)

وقال يمدحه ويذكر الفداء الذى طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِى ... وَلِلْحُبِّ مَالَمْ يَبْقَ مِنِّى وَمَا بَقِى(٢)

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ ... وَلَـكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ(٣)

وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى ... مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقْرِقِ(٤)

---

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحترى :

حُطَّتْ سروج أبى سَعِيدٍ وَاغْتَدَتْ ... أسيافه دون العـدوِّ تشام

(٢) يقول . إن عينيك هما دائى فـكل ما لقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنتاه من السحر . وإن الحب هو الذى أذاب جسمى وأ كل لحى فالذى لم يبق منى ـ وهو الذاهب ـ وما بقى ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام ـ فى قوله لعينيك ـ للتعليل : ومن قوله للحب : للملك ويروى بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عزهاة يعزف عن النساء ولا يميل إلى الغزل والعشق ولـكن جفون عينى حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر إلى قول صريع الغوانى :

وقَدْ كانَ لا يَصْبُو ولـكنَّ عَينَهُ ... رَأَتْ مَنظَرًا يُضْنِي القلوبَ فرَانَها

وقوله ولـكن من يبصر : أراد ولـكنه ـ بضمير الشأن ـ فحذفه وجزم بعده على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكى فى كل حال رضى عنه المحبوب أو سخط عليه ، قرب منه أوه بعد عنه . لأنه فى حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد . والمترقرق الذى يجول فى العين ولا ينحدر . وعبارة العـكبرى : ما بين ماأرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما أتمناه من اقترابه وأخافه من بعده مجال للدموع التى تترقرق فى المقل كلفا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسى حين يقول :

وما فى الأرض أشقى من مُحِبٍّ ... وإن وَجَد الهوَى حُلوَ المذاقِ



وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (١)

وَغَضْبَى مِنَ الإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ (٢)

تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ وَقْتٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ

فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ

فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِي

(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه شاكا بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا تيقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَاسِ

وفى هذا المعنى يقول قيس بن الرقيات :

تَرَكْتِنِي وَاقِفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ بِيَأْسٍ مِنْكُمْ وَلَمْ أَرِدِ

ويقول ابن أبى زرعة الدمشقى :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوِصَالِ وَبَيْنَ الْـ ـهَجْرِ مِمَّنْ مُقَامُهُ الْأَعْرَافُ

فِي مَحَلٍّ بَيْنَ الْجِنَانِ وَبَيْنَ النَّا رِ أَرْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ

قال العكبرى : وأصل البيت من قول الحكيم : الرجاء تمن والشك توقف ، وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرتجيه . ولقد أحسن أبو حفص الشطرنجى فى قوله :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدَّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَتْبِ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتْبِ

(٢) وغضبى : أى ورب غضبى . وريق الشباب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله . جعلها غضبى لفرط دلالها ، فهى ترى من نفسها الغضب دلالا على عاشقها ، وجعلها سكرى من الصبا والحداثة فهى مزهوة مختالة . ثم جعل شبابه شفيعاً إليها كما قال محمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ سَتَرْتُ فَمِى عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِى (١)
وَأَجْيَادِ غِزْلاَنٍ كَجِيـدِكِ زُرْنَنِى فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ (٢)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَـلاَ عَفَافِى وَيُرْضِى الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِى (٣)

كَفَاكَ بالشَّيْبِ ذَنْباً عِنْدَ غانيةٍ وَبالشَّبابِ شَفِيعاً أَيُّها الرَّجلُ

وقال البحترى :

أأخيبُ عِنْدَكِ والصِّبا لِى شَافعٌ وأُرَد دونَكِ والشبابُ رَسولى

وقال أيضاً :

وإذا توسَّلَ بالشَّبابِ أخُو الهوَى ألفاهُ نِعْمَ وسِيـلةَ المتوسِّلِ

(١) وأشنب : عطف على غضى ؛ والأشنب : الأبيض الأسنان الحسنها والمعسول : الحلو الذى كأن فيه عسلا . والثنيات الأسنان التى فى مقدم الفم ، والمفرق موضع افتراق الشعر من الرأس . يقول : ورب حبيب حسن الأسنان حلو رضاب الثنايا واضح الوجه ــ مشرقه ــ تعففت عنه وتصونت بستر الفم منه عفة وتورعا كيلا يقبلنى فقبل رأسى إجلالا لى وميلا إلى . يريد أنه أحب وصله وتعفف هو عما لا يليق به .

(٢) الأجياد : جمع جيد ، العنق . والعاطل : الذى لا حلى عليه ، والمطوق الذى قد تطوق بالحلى . يصف نفسه بالعفة والنزاهة ، وأنه قد زاره من الحسان عاطلات وحاليات ، فلم يعرف ذات الحلى ممن لا حلى عليها .

(٣) الحب ــ بكسر الحاء ــ المحبوب ؛ وعفافى مفعول مطلق . وقوله : والخيل تلتقى حال . يقول : ليس كل عاشق عفيفاً مثلى وقت الخلوة بالمحبوب ومع أنى عفيف أرضى المحبوب فى الوغى ــ الحرب ــ بشجاعتى ؛ قال ابن جنى : سألته ــ المتنبى ــ عن معناه وقت القراءة عليه ، فقال : المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقداماً فى الحرب فترضى حينئذ عنه . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

يَقُتْنَ جِيادَنَا وَيَقلْنَ لَسْتُمْ بُعولتنَا إذا لم تمنعونا (١)

وفى مثل هذا المعنى يقول القائل

---

(١) من معلقته . يقول : يعلفن خيلنا ويقلن لنا : لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبى الأعداء إيانا .

سَقَى اللهُ أيَّامَ الصِّبا ما يَسُرُّها ... وَيفْعَلُ فِعلَ البَابِلِيِّ المُعتَّقِ (١)

إذا ما لَبِسْتَ الدَّهرَ مُسْتَمْتِعاً بِهِ ... تَخَرَّقْتَ وَالمَلبُوسُ لَمْ يتَخَرَّقِ (٢)

وَلَمْ أرَ كَالألْحاظِ يَوْمَ رَحِيلِهمْ ... بَعَثْنَ بِكُلِّ القَتلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ (٣)

أخذتُ لطَرْفِ العَينِ مما تصيبهُ ... وأخليْتُ مِنْ كَفِّي مكانَ المخَاخَلِ

ويقول الآخر .

لِي ما حَوَاهُ قِنَاعُها مِنْ فوْقِ ما ... حوَتِ الجيوبُ ولِي مكانُ ثرَاهَا

لم تُلف مُعْتنقَيْنِ لَيْسَ عليْهما ... حَرَجٌ سِوَاىَ مَعَ الهوَى وسِوَاها

وقال العكبرى : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع محبة ائتلاف الأرواح إنما نمنع محبة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلى : الخمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة ؛ وهذا على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه اشتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا الثوب ـ الدهر ـ باق لا يبلى ـ أما لابسه ـ وهو الإنسان ـ فإنه يبلى ويفنى . ومن ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع ـ أى أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبداً جذع لا يسن . قال الأخطل :

يا بِشْرُ لو لم أكن منكم بمنزلةٍ ... ألقى علىّ يَدَيه الأزْلمُ الجذعُ

وفى مثل هذا المعنى يقول ابن دريد فى مقصورته :

إن الجديدَين إذا ما استوليا ... على جديد أدنياه للبِلَى

(٣) الكاف ـ فى قوله كالألحاظ ـ اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال؛ وبكل القتل : أى بقتل فظيع . يقول : لم أر مثل الألحاظ ولا مثل فعلها يوم رحيل الذين أحبهم ! بعثت لنا القتل ؛ أى قتلتنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ، والأصل فى هذا قول النابغة :

فى إثر غانيةٍ رَمَتْكَ سِهامُها ... فأصابَ قلبَكَ غير أنْ لم تُقْصِدِ

[رماه فأقصده . قتله فى المكان]

أَدَرْنَ عُيُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا   مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ (١)
عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبُكَا   وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ (٢)
نُوَدِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ   قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ (٣)

---

(١) الضمير — فى أدرن — للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة — سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زئبق . وهو معروف أن الزئبق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عقعقا — طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلِّبُ عينَين فى رأسِه   كأنهما قطرتا زئبقِ

(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن الدمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نظرْتُ كأنى مِنْ وراء زُجاجةٍ   إلى الدارِ مِنْ فرْطِ الصَّبابة أنظرُ

وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، الا ترى إلى قول البحترى :

لا تَعْذُلَنِّى فى مَسِيرى يَوْم سِرْتُ ولم أُلاقِكْ
إنى خَشِيت مَوَاقفاً   للبَيْن تَسْفَح غرْبَ ماقِكْ
وَذَكرْت ما يَجِد الْمُوَدْ   دِع عِندَ ضَمِّكَ واعتناقِكْ
فتَرَكْت ذاكَ تعمُّداً   وَخرَجْت أهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكْ

ومن هذا قول الآخر :

يَوْم الفِرَاقِ شَكرت تَركَ وَدَاعكمْ   والعذْر فِيهِ موَسَّعٌ توْسِيعاً
أَوَهَلْ رأيْتَ وهَل سَمِعْتَ بِوَاحدٍ   يَمشى يُوَدِّع رُوحَهُ تَوْديعاً

وقول الآخر :

صدَّنى عن حَلاوةِ التشْييع   حَذَرى مِن مَرَارةِ التوْدِيع
لَمْ يَقُمْ أُنسُ ذَا بوَحشَةِ هذا   فرأيْتُ الصَّوابَ ترْكَ الْجَمِيع

(٣) القنا : الرماح . وأبو الهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا ... إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ (١)

هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا ... تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي (٢)

تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ ... وَتَفْرِى إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ (٣)

من الجيش . يقول : إن البين — البعد — يفتك بنا فتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه . وهذا من حسن التخلص وهو بديع .

(١) قواض : قواتل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرنق — بالدال والذال — العنكبوت وإذا جمعته حذفت آخره فقلت خدارن ؛ وفى الصحاح : بالدال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة للزفيان السعدى :

وَمَنْهَلٍ طَامٍ عليـه الغَلْفَقُ ... يُنِير أَوْ يُسْدِى بِهِ الخـدَرْنَقُ (١)

يقول : هى — أى رماح سيف الدولة — قواتل من يقصدها نوافذ فى دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج العنكبوت .

(٢) هواد — من الهداية — يقال هداه فهدى ، والأملاك الملوك : وتخير بحذف إحدى التاءين أى تتخير ، والكماة جمع كمى : البطل المستتر فى سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هى بنفسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تتخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَبَايَا والمَنَـايا كأنها ... تُهَدَّى إلى الرُّوحِ الخَفِىِّ فتهتَدِى (٢)

(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها — تقطعها — ولا الأسوار والخنادق فإنها تفريها — تقطعها — وتأتى عليها وذلك لشدة طعن فرسان الممدوح وشجاعتهم .

---

(١) الغلفق الطحلب: الخضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت فى الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندبايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحى بابك الخرمى .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى الله منه بابَكاً وولاتَه ... بقاصمةِ الأصلاب فى كل مَشهد

فتًى يَوْم بذ الخرمية لم يكن ... بِهيَّابة نـكْسٍ ولا بمعرَّد

قفا سِندَبَايا والرماح مُشيحَة ... تهدى إلىَّ الروح الخفى فتهتدى



يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ ٱللُّقَانِ وَوَاسِطٍ وَيُرْكِزُهَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجِلِّقِ (١)
وَيُرْجِعُهَا حُمْراً كَأَنَّ صَحِيحَهَا يُبَكِّى دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ (٢)
فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ (٣)
ضَرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقَّقِ (٤)
كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكِ ارْفُقِ (٥)

---

(١) اللقان : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الحجاج وجلق : دمشق أو غوطتها . قال الواحدى : وكان أوقع ببنى البريدى بواسط ، يريد كثرة غاراته وفشوها فى البلاد من العراق إلى أقاصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقاصى الشام .

(٢) المتدقق : المتكسر . يقول : يرد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحها تبكى على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويبكى كيبكى . والتشديد للمبالغة .

(٣) فلا تبلغاه أى الممدوح ، يقول — مخاطباً صاحبيه على عادة العرب — لاتبلغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق إليها وحن والبيت منقول من قول كثير :

فَلَا تُذْكِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةَ إنه متى تُذْكِرَاه الحاجبية يَحْزَنِ

(٤) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذى شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن مخرج. يقول: إنه شجاع فى الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبرى : وقد نقل هذا المعنى فى الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فباعِدْ يزيداً مِن قِراعِ كتيبةٍ وأدْنِ يزيداً مِن كلامٍ مُشَقَّقِ

(٥) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو فى غنى عنه ، إذ أن قطر الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل الممدوح يتكلف مالا حاجة به إليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان الممدوح مطبوعا على الجود لم يكن فى استطاعته العدول عنه، وإذن يكون عاذله عليه ، كمن يقول للفلك ارفق فى حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كعاذله من قال . وذهب ابن جنى إلى أن المعنى : كما أن

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فى كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ (١)
رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِى الْمُتَمَلِّقِ (٢)
وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِراً لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ (٣)
وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ (٤)
وَقَدْ سَارَ فى مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (٥)

الغيث لاتؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لايؤثر فى ماله وجوده ، قال العروضى ــ ناقداً ــ: وهذا على خلاف العادة فى المدح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة إليه ، قال تعالى : «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» وقال الشاعر :

ولم يَكُ أكثرَ الفتيانِ مالا ولكن كانَ أرحبَهم ذِراعا

والذى فسره — أى ابن جنى — مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد — أى المتنبى — : من عادته وطبعه الجود كعادة الغيث أن يقطر — أى يمطر — فسائله مستغن عن تكليفه ما هو فى طبعه .

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعاً لما نالوا من برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والمتملق: المتودد ، أو الذى يخضع ويلين كلامه — مأخوذ من الصخرة الملقة ، وهى الملساء — يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تملق إليك تملق السائل ؛ وفى هذا نظر إلى قول القائل :

ولو لم تُناهِضْهُ وأبصرَ عُظمَ ما تُنيلُ من الجَدْوَى لَجاءكَ سائِلا

(٣) الرماح السمهرية : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح ؛ وأدرب : من الدربة ، وهى العادة ؛ يقال درب بالشىء : اعتاده وضرى به . والحاذق: الخبير بالشىء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صغارا لااختيارا لمن هو أحذق بالطعان وأجرى عادة به منه ــ يعنى سيف الدولة ــ يعنى ترك الحرب صاغرا واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعلمه أنها لا يبعد على خيلك السبق فإنك تدركه بها متى أردت . وقوله بعيد: يروى بالجر ،على أنه نعت سببى لأرض. ومرامها ــ أى مطلبها . . . فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .

(٥) المسرى : الموضع الذى يسار فيه ليلا : والهام : الرءوس . يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ ... شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ (١)
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى ... إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي (٢)
وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ ... بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمَّقِ (٣)
وَكُنْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ ... كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ (٤)

فى أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك فى طريقك فما سار إلا فوق رءوس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ... جَنَاجِنٌ فَاَقَ فيها قَنًا قِصَدُ(١)

وقول الأول :

بكل قرارةٍ وبكل نجدٍ ... بنانُ فتًى وجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حواليه . وقال العكبرى : الضمير فى « مكانه » للرسول : أى حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد فى عسكر سيف الدولة .

(٢) فى البساط : يروى فى السماط ؛ والسماط : صف يقومون بين يدى الملك . وقوله إلى البحر : أى أإلى البحر ، فحذف همزة الاستفهام . ويرتقى : يصعد ، يقول : وأقبل الرسول يمشى إليك بين السماطين فغشيه من هيبتك مالا يعرض مثله إلا لمن قصد إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عاين .

(٣) لم يثنك : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونمق الكلام : زينه : يقول : لم يجد الأعداء شيئا يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك فى كتاب يكتبونه إليك لأنك لاتدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبى تمام :

فَحَاطَ لَهُ الْأَقْرَارُ بالذنب رُوحَهُ ... وجُثمانَهُ إذ لم تَحُطْه قبائله

وقوله أيضاً :

عدا خائفا يعتنجد الكتب مذعنا ... عليك فلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ ولا كُتْبُ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدمستق : القائد من قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكاتبته كتبت إليه بما تحدثه

---

(١) الجناجن : عظام الصدر : ويروى جماجم .

فإنْ تُعْطِهِ مِنكَ الأمانَ فَسائِلٌ وَإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الحُسامِ فَأخْلَقِ (١)
وَهَلْ تَرَكَ البِيضُ الصَّوارِمُ مِنهُمُ أسِيراً لِفادٍ أوْ رَقِيقاً لِمُعْتِقِ (٢)
لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ القَطا شَفَراتِها وَمَرّوا عَلَيْها زَرْدَقاً بَعْدَ زَرْدَقِ (٣)
بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً أنَرْتُ بِها ما بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ (٤)
إذا شاءَ أنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أحْمَقٍ أراهُ غُبارِي ثُمّ قالَ لَهُ الْحَقِ (٥)

سيوفك فى قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يتبين بها كيفية الامر كما تتبين بالكتاب ــ وكان الدمستق قد جرح فى بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار المتنبى إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ماأظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كتبْتَ أوجُهَهُمْ مَشْقاً ونمْنمَةً ضرْباً وطَعْناً يُقاتُ الهامَ والصُّلُفا
كِتابةً لا تَني مقروءةً أبداً وما خَطَطْتَ بها لاماً ولا ألِفا
فإنْ ألَطُّوا بإنكارٍ فقدْ تَرَكتْ وُجُوهُهمْ بالذى أولَيْتَهم صُحفا

[المشق : مد الحروف ؛ والنمنمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق وألطوا بإنكار ــ بالطاء والظاء ــ لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خليق بهذا أى جــدير به . يقول : فإن أعطيته مايطلب من الأمان فهو سائل يسألك ؛ وأنت لاتخيب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حربى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق .

(٣) الضمير فى شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس ــ تعريب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حتى أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لقد وردُوا وِرْدَ القطا بنفوسِهم رِضاً اللهِ مَصْفُوفَ القنا المُتَشاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعد صيته وشهرة اسمه فى الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول: هو نور وقد بلغت بخدمته رتبــة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيتى اشتهار النور فى المشرق والمغرب .

(٥) الأحمق : الجاهل الذى لاعقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من

وَمَا كَمَدُ الْحُسَّادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ (١)

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ ... وَيُغْضِى عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ (٢)

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ (٣)

أحمق من الشعراء أمره باللحاق بى ؛ فهو بحمقه يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والغبار واللحاق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

يا طالباً مَسْعاتَهُمْ لِينالَها ... هيهاتَ مِنكَ غُبارُ ذاكَ المَوْكِبِ

قيل إن الخالديين ـ أبا بكر وأخاه عثمان ـ قالا لسيف الدولة : إنك لتغالى فى شعر المتنبى ، اقترح علينا ماشئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعهما زمانا ، ثم كررا عليه ، فأعطاهما هذه القصيدة : فلما أخذاها قال عثمان لأخيه أبى بكر : ماهذه من قصائده الطنانات فلأى شىء أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملا شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حسادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لى لم يطيقوا مزاحمتى فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق فى تياره . وقال الخطيب التبريزى المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا التعجيز لهم قصدت فيما خلدته ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَإِنَّا وما يُهْدَى بِهِ مِنْ هِجائِنا ... لَكَالبَحْرِ مَهْمَا يُرْمَ فى البَحْرِ يَغْرَقِ

(٢) المخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والأباطيل : مأخوذة من المخراق ، وهو شىء يلعب به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كَأَنَّ سُيُوفَنا فِينا وفِيهِمْ ... مَخارِيقٌ بأَيْدِى لاعِبِينَا

يقول : يمتحن الناس بعقله ليعرف ما عندهم ثم يغضى مع علمه بذى العبث منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى ببصرك إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاءه عن هؤلاء العابثين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبارة العكبرى : يريد هو يغضى للمخرق إغضاء تجاوز وحلم لا إغضاء غيظ وسوء ، وغض العين



فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِرْهُ تَمْتَنِعْ ، وَيَا أَيُّهَا الْمَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ (١)
وَيَا أَجْبَنَ الْفُرْسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ (٢)
إِذَا سَعَتِ الأَعْدَاءُ فِى كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِى كَيْدِهِمْ سَعْىَ مُحْنَقِ (٣)
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ (٤)

***

لطرفها وكفها للحظها لاينفع المموه المغالط والمقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى :

والفؤاد الذكى للناظرِ المُطْـرِقِ عينٌ يَرَى بها مِنْ وراء

ولابن دريد :

ولم يَرَ قبلى مُغْضِياً وَهْو ناظِر ولم يرَ قبلى ساكتاً يتكلَّم

(١) يقول : يامن يطلب فيخاف طالبه كن جاراً له حتى تصير منيعاً لايصل إليك سوء ، ويامن حرم حظه من الرزق اقصده سائلا تصر مرزوقا ، فهو ذو نجدة يحمى الذمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريئا إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقة بنصرته . ومن فارقه — وإن كان شجاعا — فرق — خاف وفزع — وصار جبانا ؛ قال على بن جبلة :

بهِ عَلِمَ الإعطاءَ كلُّ مُبَخَّلٍ وأقدمَ يومَ الرَّوعِ كلُّ جبانِ

وقال البحترى :

يَسْخُو البخيلُ — إذ رآكَ — بنفسه والنِّكسُ يملأُ مضربَ الصَمْصامِ

(٣) المحنق : المغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويبطلوه سعى جده — سعده — فى إبطال كيدهم سعى محنق ، ويروى سعى جده فى مجده : أى فى تشييد مجده أى أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنت الشىء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير الفضل الأول : أى إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لايعنيك فضلك الظاهر إذا لم يعنك جدك القاهر ، أى أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيئا ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه ببنى عقيل وقشير وبنى العجلان وكلاب لما ماثوا فى نواحى أعماله ، وقصدَه إياهم ، وإهلاكَ من أهلكه منهم ، وعفوه عن عفا بعد تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ ما بَيْنَ العُـــذَيْبِ وَبَارِقِ
مَجَرَّ عَـــوَالِينا وَمَجْرَى السَّــوَابِقِ (١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ ... بِفَضْلَةِ ما قَدْ كَسَّرُوا فى المَفَارِقِ (٢)

وَلَيْلاً تَوَسَّـــدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ ... كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فى المَرَافِقِ (٣)

رُبَّ حِلْمٍ أضَاعَهُ عَدمُ المَا ... لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الحمق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لا يَرْفَعُ المَجْدَ بِلا لُبٌّ ولا ... يَحُطُّكَ الجهلُ إذا الجدُّ عَلا

(١) العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسوابق : الخيل ؛ ومابين : لك أن تجعله ظرفا لتذكرت ، ومجر عوالينا بدل منه بدل اشتمال ؛ كأنه قال مجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين العذيب : ظرفا لمجر ، ومجرى — بفتح الميم وضمها — وهو ومجر : مصدران ميميان . يقول تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان ونتسابق على الخيل . يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الخيل .

(٢) القنيص : الصيد ؛ والمفارق : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس . يقول : وتذكرت صحبة قوم صعاليك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا لايكسرون سيوفهم إلا فى جماجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة الضرب بحيث يذبحون مايصيدون بفضول مابقى من سيوفهم التى كسرت فى رؤوس الأعداء .

(٣) الثوية : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشىء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛ والمرافق : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثراها : ترابها . يقول : وتذكرت ليلا اتخذنا فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكأن ترابه الذى ارتفقنا به حين اتكأنا عليه عنبر فى المرافق ، وقال ابن جنى : المرافق جمع مرفقة وهى الوسادة . وهذا غير موائم للمقام ، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على



بِلادٌ إذَا زَارَ الْحِسَانَ بِغَيْرِهَا   حَصَا تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ (١)
سَقَتْنِي بِهَا الْقُطْرُبُلِّيَّ مَلِيحَةٌ   عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ (٢)
سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ   وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ (٣)

مشقة السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداهم والأرض وسائدهم ، ولا يفتخر الصعلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى :

فى رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ   وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يشابُ بِعَنْبَرِ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانق : جمع مخنقة ، وهى القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ وجعلنه قلائد لهن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد مايوجد حول الكوفة من الحصا الفرومى أى أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر ، وحصباءها ينوب عن الدر والياقوت ، كأن النساء يتحلين به وينظمنه فى عقودهن. وفيه نظر إلى قول دعبل :

فكأنما حَصْباؤُها فى أرضِها   خَرزُ العَقيقِ نُظِمْنَ فى سِلْكِ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الخمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعدها ؛ نعت لكاذب يقول. سقتنى الشراب القطربلى امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أى يستحسن كلامها فيقبل كذبها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفى مثله يقول منصور النمرى :

تُعَلِّلُه منها غداةَ يَرَى لها   ظَواهِرَ صِدْقٍ والبواطِنِ زُورُ

(٣) قال ابن جنى : أى قد اجتمعت فيها — أى المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقا إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهى سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جنى — كما ترى — إلى أن البيت صفة للمليحة ؛ وقال العروضى : إنما يصف القطربلى — الخمر — والخمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهى — بشعاعها — كالشمس للناظر ، وهى ترخى الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهى طيبة الرائحة فهى مسك لمن شمها ، والأظهر ماذهب اليه ابن جنى . وقد عاب ابن وكيع على المتنبى هذا ، وقال ينبغى : أن يقول :



وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقِ (١)
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ
بَلَا كُلَّ سَمْعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَائِقِ (٢)
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدْغَاهُ فِى خَدَّىْ غُلَامٍ مُرَاهِقِ (٣)
وَمَا الْحُسْنُ فِى وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ (٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان و بُرء سقام

حتى يصح التقسيم والطباق .

(١) وأغيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر — على إضمار رب — والأغيد : الناعم المتثنى لينا . يقول : وسقانى أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق يميل إليه حبا لجسمه ، والعاقل العفيف — الذى لا يفسق — يصبو إلى روحه لخفته وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فَتَنَتْنِى وَصِيفَةٌ كالغلام المراهقِ
هِمَّةُ الناسكِ العفيفِ وسُؤل المنافقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : المانع . يقول : إذا تناول العود لجس الأوتار أتى بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إذا ما حَنَّ مِزْهَرُها إليها وَحَنَّتْ نحوَه أُذنَ الكِرَامُ
وأصغَوْا نحوَها الأسماعَ حتى كأنهُمُ — وما نامُوا — نِيام

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالى .

(٣) عاد : هى تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذى قد راهق الحلم — أى داناه وقاربه — يقول : إنه يأتى بالألحان القديمة والاشعار التى قيلت فى الدهور الماضية ، فهو بغنائه يحدّث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن جنى : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) ضمير يكن : للحسن . والخلائق : كالشمائل — الخصال — أى الأخلاق .



وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَـــيْرُ الْمُوافِقِ ... وَلاَ أَهْلُهُ الْأَدْنَوْنَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ (١)
وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى ... وَإِنْ كَانَ لاَ يَخْفَى كَلاَمُ الْمُنَافِقِ (٢)

يقول : إذا لم تـكن أفعال الفتى وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفا له ، قال العباس بن مرداس :

وَما عِظَمُ الرِّجالِ لهم بفخرٍ ... ولـكن فخرُهم كَرَمٌ وخيرُ

وقال الفرزدق :

ولا خيرَ فى حُسْنِ الْجسـومِ وطولها ... إذا لم يَزِنْ حسنَ الْجســوم عُقول

وقال دعبل :

وما حُسْنُ الجســومِ لهم بزيْنٍ ... إذا كانت خَـــلائقهمْ قِبــاحَا

(١) الأدنون : الأقربون — جمع أدنى — والأصادق : جمع أصدقاء ، جمع صديق قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا مايوافقه، ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان وافقه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأدنون . قال العـكبرى : وأخـذ صدره من قول القائل :

يُسْرُ الفَـــتَى وطنٌ لهُ ... والفقْر فى الأوْطانِ غُربَهْ

وأخذ عجزه من قول الآخر :

دَعوتُ وقدْ دهَتني دَاهِياتٌ ... وَللأيّام دَاهِيَـــة طَروقُ
صَدِيقاً لا شَقيقاً فيهِ غِلٌّ ... ألا إنَّ الصَّديقَ هو الشَّقيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها ، ولـكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العـكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا يخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى : يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

والعينُ تَعْــلم مِنْ عَيْنَيْ محدِّثِها ... مَنْ كَانَ مِنْ حزبِها أوْمِنْ أعادِيها

ويقول القائل :

خَليـــلىّ لِلبغْضَاء حالٌ مُبِينةٌ ... وَلِلحبِّ آياتٌ ترَى ومَعارِفُ

بِرَأْىِ مَنِ انْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى ... وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ (١)
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِى يُعْجِزُ الْوَرَى ... وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ (٢)
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ ... وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ (٣)
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ ... وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَاحِقِ (٤)
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَغَوْا بِهَا ... رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ (٥)
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِى كَفَرُوا بِهِ ... سَقَى غَيْرَهُ فِى غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ (٦)

---

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذى أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذى أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشمتوا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعنى أنهم أساءوا فى هذا التدبير .

(٢) على : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذى يعجز الورى : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذى يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذى يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرته وازدحامه ؛ يعنى أنه لايقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقاتلوه بسطوا أكفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بنى عقيل — وأنهم كانوا فى تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعنى أنهم لم يؤتوا من ضعف فى حربهم ولا من تقصير فى هربهم ، ولكنهم رأو من لا يواقف فى حرب ولا يمتنع منه بهرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطغوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طغوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وتقتيلهم ، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله: سقى غيره : أى سقاهم كأس الموت فى غير بوارق الغيث؛ يعنى فى بوارق السيوف .



وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ
كما يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ (١)

أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا ... سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ (٢)

عَوَابِسَ حَلَى يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا ... فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (٣)

والمعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاهم من عسكره فى مثل السحائب البارقة ، فكانت ضد السحائب التى أحسن إليهم بها فكفروها . وفى مثل هذا يقول البحترى :

لقدْ نشأتْ بالشامِ منكِ سَحَابَةٌ ... تؤمّل جَدْوَاهَا وُيخشَى دَمَارُها

فإن سألوا كانتْ غمامةَ وَابِلٍ ... وغيثاً وَإلا فالدمارُ قِطَارُها

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبنى كعب لما حرمت أنفسها فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة سابغة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاءه فحرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيل — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الغبار . والقنا : الرماح ؛ والسنابك : أطراف الحوافر ؛ والحمالق — بحذف الياء ، لأنها الحماليق — جمع حملاق : بطن جفن العين . يقول : أتاهم بالخيل وقد أحاطت بها الرماح والغبار فهى حشو هذين ، وحوافرها تحشو العيون بما تثير من الغبار . وقال العروضى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رءوس القتلى فتحشو حماليقها بسنابكها ، كما قال :

* وَمَوْطِئُها مِنْ كل باغ مَلاغمه *

فأما أن يرتفع الغبار فيدخل فى العيون فلا كثير افتخار فى هذا .

(٣) عوابس : حال — أى كالحة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية . وأراد بيابس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف ابيض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتتهم الخيل كالحة وقد جف العرق على حزمها فابيض ، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ طِوَالَ الْعَوَالِي فِي طِوَالِ السَّمَالِقِ [١]
وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا قَبَائِلَ لَا تُعْطِي الْقُفِيَّ لِسَائِقِ [٢]
قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلَانِ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ [٣]
تُخَلِّيهِمِ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ [٤]
يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا بِضَرْبٍ يُسَلِّي حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ [٥]
أَتَى الظُّعْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ [٦]

---

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالى الرماح ؛ والسمالق : جمع سملق ، للفازة المستوية الأرض المترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حى فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة فى المفاوز الطوال.

(٢) القفى : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لاتنهزم من أحد ولا تولى أقفيتها من يسوقها ، يعنى ؛ إنك أذللت من العرب من لم يذلله غيرك . واللام فى لسائق : زيادة فى التوكيد .

(٣) بلعجلان : يريد بنى العجلان ، فحذف النون لمشابهتها اللام ، كما قالوا فى بنى الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أى القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين ماتبدد من القبائل التى هربت بين يديك ، فقلتا وخفيتا فيها خفاء راءين فى لفظ ألثغ إذا كررهما ؛ وفيه إشارة الى كثرة الجموع التى ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالهرب .

(٤) فركت المرأة : اذا أبغضت الزوج ، فهى فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة مالحقهم من الخوف وتشتتهم فى كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دعانا النساء إذ عَرَفْنَ وُجوهَنا دُعاء نساء لم يُفارِقْنَ عن قِلَى

(٥) الضمير فى يفرق : لسيف الدولة : والكماة : الأبطال عليهم السلاح ـ جمع كمى ـ والضمير فى بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسائهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أى أن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر فى هربهم منه .

(٦) الظعن : جمع ظعينة ، وهى النساء فى الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ،



بكلِّ فلاةٍ تُنكِرُ الإنسَ أرضُها
ظعائنُ حُمْرُ الحَلْيِ حُمْرُ الأيانِقِ (١)

وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ يَصِيحُ الحَصَى فيها صِياحَ اللَّقالِقِ (٢)

بَعِيدَةُ أطْرافِ القَنا مِن أُصُولِهِ قَرِيبَةُ بَيْنَ البِيضِ غُبْرُ اليَلامِقِ (٣)

ما ترشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه: أتى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن — بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالهاء ضمير الطعن أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعائن : مبتدأ مؤخر . والظعائن : جمع ظعينة ، وهى النساء المحمولات فى الهوادج ، وحمر الحلى : أى أن حليهن الذهب ، والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حليهن الذهب ومركوبهن النياق الحمر — وهى أكرم النياق عند العرب — يقول : إنهم أبعدوا فى الهرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لاعهد لها بالأنس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحمر الايانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فحمر حليهن ونوقهن ؛ فيكون الكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملمومة : عطف على ظعائن ؛ والكتيبة : الملمومة المجتمعة ؛ وسيفية نسبة إلى سيف الدولة : وربعية : لأنه من ربيعة ، واللقالق : جمع لقلق ، طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها : أى عند وقع حوافر الخيل عليه ، شبه صوت الحصى بصوت اللقالق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة لملمومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة تكون على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلمق : وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق ، لأنها صفة للكتيبة ، لكنه جمع ذهابا إلى المعنى ، لأن الكتيبة جماعة ، وهذا كما تقول : مررت بكتيبة صفر الأعلام طوال الرماح : يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متكاثفون مجتمعون ، لازدحامهم ،



نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ ... فَمَا تَبْتَغِي إِلاَّ حُمَاةَ الْحَقَائِقِ (١)
تَوَهَّمَهَا الأَعْرَابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ ... تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ (٢)
فَذَكَّرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةَ غَبَّرَتْ ... سَمَاوَةُ كَلْبٍ فِي أُنُوفِ الْحَزَائِقِ (٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفى هذا إشارة إلى أن الفلوات التى لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدهم فقد أقحمها عليهم ولم يتهيب اختراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يغنيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون مايحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء فى توهمها : للسورة ؛ أى توهم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسره بمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : المتنعم ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرادق : مايدار حول الخيمة من شقق بلا سقف . يقول : توهم الأعراب أن حربك سورة متنعم إذا صار فى البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعيم كعادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هربا من العطش والحر ؛ وفى هذا نظر إلى قول البحترى :

أَلُوفُ الديارِ فإنْ أزمعَ الـ ... ـترحُّلَ حَرَّمَ إيطانَهَا
إذَا هَمَّ لم يَهتَدِمْ عَزْمَه ... مَقاصيرُ يَعتادُ أَكْنانَهَا

وإلى قول منصور النمرى :

كَذَبَ العِدَا لو كُنْتَ صاحبَ نعمة ... صَرَعَتْكَ بين إقامةٍ وكَلالِ

(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أى سماوة بنى كلب ، وهى برية معروفة بناحية العواصم ؛ والحزائق : جمع حزيقة ، وهى الجماعة . يقول : فى هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أى حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم فى برية السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعنى عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ماظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تتبعهم .

وَكَانُوا يَرُوعُونَ المُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا ... وَأَنْ نَبَتَتْ فى المَاء نَبْتَ الغَلاَفِقِ (١)

فَهَاجُوكَ أَهْدَى فى الفَـــــلاَ مِنْ نُجُومِهِ

وَأَبْدَى بُيُوتًا مِنْ أَدَاحِى النَّقَـــانِقِ (٢)

وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ ... وَآلَفَ مِنْهَـــا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ (٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من الثقيلة ؛ والضمير فى نبتت : للملوك . والغلافق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بانهم نشأوا فى البادية فلا يكترثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء ؛ وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه — أى فى جواره — كما ينشأ الطحلب فى الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .

(٢) أهدى : أفعل تفضيل — من الهداية — وهو حال من ضمير المخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحده التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى — ككرسى — موضع بيض النعام من الرمل ؛ والنقانق : جمع النقنق ، ذكر النعام . يقول : فهيجوك وأثاروك عليهم بعصيانهم فكنت أهدى إليهم فى الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لاعش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدويبة البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرءوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شىء أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلى يرثى صخراً :

حامى الحقيقة نسالُ الوديقةِ معتاق الوسيقة لا نِكسٌ ولا وانى (١)

(١) قبله :

آبى المضيمة نابٍ بالعظيمة متلاف الكريمة جلد غير ثُنيانِ

قال ابن الأعرابى : يقال فلان يحمى الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا فى وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها .



وَكَانَ هَدِيراً مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا   مُهَلَّبَةَ الأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ (١)

فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً   وَلٰكِنْ كَفَاهَا الْبَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ (٢)

وَلَا شَغَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ   عَنِ الرَّكْزِ لٰكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ (٣)

وأصبر : عطف على أهدى — فى البيت السابق — . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب — والضب لا يرد الماء قط — وكنت آلف مقلة للهجير — شدة الحر — من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا فى تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدا منه من الأيد والجلد .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديراً : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا ردده فى حنجرته ؛ والمهلبة : المقطوعة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهى لهاة البعير إذا هدر أخرجها من فمه . يقول : كان طغيانهم وغيهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم — فحل كريم — هو سيف الدولة — مصعب فضعمها — عضها بملء فمه — أى نال منها — وسار عليها فتركها — صيرها مهلبة الأذناب ساكنة الهدير ، يعنى أذلهم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنابها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

* أَبَى صِغَرُ الأَذْنَابِ أَنْ تَخْطِرُوا بِهَا *

والمعنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستذل بقطع الأذناب ، وسكنتها بغلبتك عليها فانقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشواهق : جمع شاهق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير فى البرارى عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه فى الأرض قائماً لا يطعن به ؛ والدماسق : جمع دمستق — على حذف التاء — والدمستق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك



أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِى يَمْسَخُ الْعِدَا وَيَجْعَلُ أَيْدِى الْأُسْدِ أَيْدِى الْخَرَانِقِ (١)
وَقَدْ عَايَنُوهُ فِى سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مَارِقًا فِى الْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ (٢)
تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ (٣)
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ (٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن قلوب قواد الروم: أى فلا راحة لخيلك ولا لسلاحك .

(١) المسخ: قلب الخلقة؛ والخرانق: جمع خرنق ـ بكسر الخاء ـ وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها . يريد بمسخه الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جبناء والأقوياء ضعفاء ، فتصير الأيدى القوية التى كأنها أيدى الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدى الأرانب . وعبارة العكبرى : ألم يحذر الأعداء سطوته التى هى على عدوه كالمسخ الذى يقلب الخلق ويقبح الصور ويعيد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدى الأسد من أعاديه وقد تناهت فى القوة كأيدى الخرانق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار ؟ وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

لو أن أيديكم طوالٌ قصّرتْ عنه فكيف تكونُ وهْى قِصَارُ

(٢) وقد عاينوه : حال من ضمير يحذروا ـ فى البيت السابق ـ والمارق فى الأصل : الذى يمرق من الدين ؛ والمراد : الخارج عن الطاعة ـ من مروق السهم ـ والمصرع : مصدر صرعه ، إذا طرحه على الأرض ؛ ويراد به القتل . يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديراً بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصى المتمرد عليه حتى يعتبر الثانى بالأول ، كما قال أشجع :

شدَّ الخِطامَ بأنفِ كل مُخالِف حتى استقامَ له الذى لم يخطَمِ

(٣) القضم : أكل الشىء اليابس ؛ والهام : الرءوس ؛ والعلائق : جمع عليقة ، وهى المخلاة تعلق من رأس الدابة لتعتلف ؛ وجنوبها: نواحيها . قال ابن جنى : سألته ـ المتنبي ـ عن معنى هذا البيت فقال : الفرس إذا علقت عليه المخلاة طلب لها موضعا مرتفعا يجعلها عليه ثم يأكل ؛ فخيله أبدا إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها ، فقد تعودت خيله ذلك فى غزواتها .

(٤) ولا ترد : عطف على لا تقضم ؛ والغدران : جمع غدير ، وهو ما غدره السيل ـ تركه ـ والشقائق : نور أحمر ؛ يقال له شقائق النعمان ، قال ابن جنى . أى



لَوَفْدُ نُمَيْرٍ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ ... وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الوَسَائِقِ[1]
أَعَدَّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا ... بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الفَيَالِقِ[2]

لكثرة ماقتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم، والماء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق ، وماء الغدير أخضر من الطحلب فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق . وقال ابن فورجه : إنما يعنى أنه لا يروم الهوينا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء ، كما قال بشار :

فَتًى لا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ ... وَلاَ يَشْرَبُ المَاءَ إلا بِدَمْ

وقال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة ، ولا تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه كالريحان فى خضرته إذا استبان تحت الشقائق ، واستولت بحمرتها على جملته ؛ وأشار بخضرة الماء إلى صفائه وكثرته ، ونبه بذلك على جمومه ، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه صفته ، وترد منه ماهذه حقيقته ؛ وفيه نظر إلى قول جرير :

وما زالتِ القَتْلى تَمُورُ دِمَاؤُها ... بِدِجْلَةَ حتى ماءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ[1]

(١) لوفد : اللام للابتداء ؛ والوفد : القوم الوافدون ؛ ونمير : قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة ــ كما سيذكر فى البيت التالى ــ والأظعان : جمع ظعن ، جمع ظعينة ، للمرأة مادامت فى الهودج . والوسائق : جمع وسيقة : الطريدة من الغنم أو الإبل . يقول : إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بنى نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق .

(٢) ضمير رد : للخضوع ؛ وغرب كل شىء : حده . والفيالق : جمع فيلق ، القطعة من الجيش . يقول : إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم ، وهذا كما يقول أبو تمام:

لحاطَ لهُ الإقرارُ بالذنبِ رُوحَهُ ... وَجُثْمانَه إذ لم تَحُطْهُ قَنَابلُه

(١) تمور : تجرى ؛ وأشكل : فيه بياض وحمرة ، قد اختلطا .



فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَـــيْرَ مُخَاتِلٍ   وَأَسْرَى إلَى الأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقِ (١)
تُصِـــيبُ المَجَانِيقُ العِظَامُ بِكَفِّهِ   دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ البَنَادِقِ (٢)

* * *

وقال فى صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى الأزدى :

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْـــلِيَ يَأْرَقُ   وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ (٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى   عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ (٤)

---

(١) المخاتل : المخادع ؛ والمسارق : الذى يترقب غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى أعداءه جهارا ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مسر كما يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه ، وفى هذا يقول البحترى :

فَتُدْرِكُ بالإقدامِ بُغيتَنَا التى   نُطالِبُهَا لا بالخديعةِ والمكرِ

وهو معنى قديم .

(٢) المجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون فى الحصار ؛ والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب المكانى . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه يقدر على مالا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رميه وتعذر ضبطه من الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التى ترمى بها البنادق ، يعنى أنه معان موفق مؤيد .

(٣) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقة — من حزن أو عشق — . والعبرة : الدمعة تتردد فى العين ؛ وتقول : رقرقت المـاء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول : لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثلى ممن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ، وحرقته تزداد كل يوم ودمعه يسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد — بالفتح — المشقة ، وبالضم الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لغتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبرا عن جهد الصبابة ، وأن تكون فى موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ، وقال البحترى :

مَا لاَحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلاَّ انْثَنَيْتُ وَلِى فُؤَادٌ شَيِّقُ(١)

جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِى نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ(٢)

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ(٣)

هلْ غاية الشَّوْقِ المبرِّحِ غيرَ أن يَعْلُو نشيجٌ أَوْ تَفيضَ مَدَامِعُ

(١) انثنيت : رجعت ؛ ولى فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذى هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير فى أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغنَّى القُمْرِىُّ إلا شجانى وَغِناء القُمْرِىِّ لِلصَّبِّ شاجِى

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى ناراً تكل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفىء عنه ولا تحرقه، يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لو كان قلبىَ فى نارٍ لأحرقها لأن إحراقه أذكى من النار

فما — من قوله ماتنطفى — : مصدرية ؛ والضمير فى تحرق : لنار الهوى ؛ وعما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفى — كما يقول العكبرى — محذوف على رأى البصريين فى إعمال ثانى الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفحت عن زيد ، فحذفت معمول الأول لدلالة الثانى عليه ؛ وحجتهم أن الثانى أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول لأنه أسبق فى الذكر ، وقد جاء فى الكتاب العزيز إعمال الثانى . فهو دليل «البصرى» ، وجاء فى أشعار العرب إعمال الأول ففى القرآن «آتونى أفرغ عليه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه» وفى البيت محذوفان هذا الذى ذكرناه ؛ والثانى حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرهما جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية فى الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أى من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذى يوجبه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر فى النفوس أن الموت فى أعلى مراتب الشدة قال : لما ذقت العشقَ وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !



وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِيَ أَنَّنِي ... عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا(١)

أَبَنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ ... أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ(٢)

نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا(٣)

أَيْنَ الْأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأُلَى ... كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا(٤)

مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ ... حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ(٥)

---

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق فى وقوعهم فى العشق وفى جزعهم وعرفت أنى أذنبت بتعييرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت فى العشق من الشدائد ما لقوا ، وفى مثل هذا يقول على بن الجهم :

وقد كنتُ بالعُشّاق أهزأ مرّةً ... وها أنا بالعُشّاق أصبحتُ باكيا

ويقول أبو الشيص :

وكنتُ إذا رأيتُ فتى يُبكّي ... على شجنٍ هزأتُ إذا خلوتُ

وأحسَبُني أدالَ اللهُ مِنِّي ... فصِرْتُ إذا بَصُرتُ به بكَيْتُ

(٢) نعق الغراب ونغق : صاح . انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت ، ومثل هذا — كما قال الواحدى — يستحسن فى المراثى لا فى المدح . وقوله :أبنى أبينا : أى يا إخواننا . يجوز أن يكون نداء لجميع الناس — لأن الناس كلهم بنو آدم — ويجوز أن يريد قوما مخصوصين : إما العرب ، وإما رهطه وقبيلته . يقول: نحن نازلون فى منازل يتفرق عنها أهلها بالموت . وإنما ذكر غراب البين لأن العرب تتشاءم بصياح الغراب ، يقولون : إذا صاح الغراب فى دار تفرق أهلها ، وهو كثير فى أشعارهم .

(٣) مثله :

لا يُلْبِثُ القرناء أنْ يتفرقوا ... لَيلٌ يكرُّ عليهم ونَهارُ

(٤) الألى : أى الذين ، وبقين : أى الكنوز ؛ وبقوا : أى الأكاسرة .

(٥) من — فى أول البيت — للتفسير ؛ والجار والمجرور فى موضع الحال من الأكاسرة ؛ ومن — المضافة إليها كل — نكرة موصوفة . والجملة بعدها : صفتها .وثوى: أى أقام فى قبره ؛ ويروى : توى ، أى هلك . يقول : أولئك الذين ذكرناهم من كل

خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقُ (١)
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسٌ وَالْمُسْتَغِرُّ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ (٢)
وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ (٣)
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَّتِي مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ (٤)
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ (٥)

ملك كثرت جنوده حتى ضاق بهم الفضاء لجمعه لحد ـ شق فى جانب قبر ـ ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

أصبحَ فى لحدٍ مِنَ الأرضِ ضيِّقٍ وكانت به حيًّا تضيقُ الصحاصحُ

« الصحاصح : جمع صحصح: الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء»

(١) يقول : إنهم موتى لا يجيبون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لان الميت لا يوصف بما ذكره . . . قاله الواحدى .

(٢) النفيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يضن به : والمستغر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لا يغتر بما جمعه من الدنيا لعلمه أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئا ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق. وروى المستعز : أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإن امرأً أَمِنَ الزما ن لَمُسْتَغِرٌّ أحمقُ

(٣) شهية : مشتهاة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيش . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يفيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الطيش والخفة .

(٤) اللمة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف «قد» ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يبلع ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق بريق ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر ـ وهو من باب غير هذا الباب ـ:



أَمَّا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا ... فَأَعَـزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الأَيْنُقُ[(١)]

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ ... مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا المَشْرِقُ[(٢)]

وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَـحَابُ أَكُفِّهِمْ ... مِنْ فَوْقِهَا وَصُـخُورُهَا لاَ تُورِقُ[(٣)]

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتِ رَاضِيَةً ... عَنِّي بِذَاكِ الرِّضَـا بِمُغْتَبِطِ

عِـلْماً بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتْبَعُهُ ... مِنْكِ التَّجَنِّي وَكَثْرَةُ السَّـخَطِ

(١) الأينق : النياق ، جمع ناقة ـ على غير قياس ـ والقياس : الأنوق يقول : إن قوم هذا الممدوح أعز الناس لمنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصدويسرى إليه الطلاب والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمى الرضا ـ بضم الراء ـ وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون ابن عبد مناف .

(٢) جعلهم كالشموس فى علو ذكرهم واشتهارهم أو فى حسن وجوههم . يقول : كبرت لله ـ أى قلت الله أكبر ـ تعجباً من قدرته حين أطلع شموساً لا من المشرق ، وكانت منازل الممدوحين فى جهة المغرب : قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها فى الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى «رب المشرقين ورب المغربين» و « رب المشارق والمغارب » وقال الله تعالى « ولله المشرق والمغرب » وقال النخعى :

حَمِيَ الحديدُ عليهم فكأنهُ ... لمعَانُ بَرقٍ أوْ شُعاعُ شموس

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تنبت الورق وهذا من قول البحترى يصف أيام المتوكل :

أَشْرَقْنَ حتى كَادَ يَحتبِسُ الدُّجي ... وَرَطُبْنَ حتى كَادَ يَجْرِى الجندَلُ

ويقول أبو الشمقمق ـ وكان مع طاهر بن الحسين فى حراقة فى دجلة ـ :



وَتفُوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ ... لَهُمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ(١)
مِسْكِيَّةُ النَّفحاتِ إِلاَّ أَنَّهَا ... وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لاَ تَعْبَقُ(٢)
أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فى عصرِنَا ... لاَ تَبلُنَا بِطِلاَبِ مَالاَ يُلْحَقُ(٣)

عجبتُ لحرّاقةِ ابنِ الحسينِ كيفَ تعومُ ولا تغرَقُ
وبحرانِ مِن تحتِها وَاحِدٌ ... وآخرُ مِن فوقِها مُطْبِقُ
وأعجبُ مِن ذاك عيدانُها ... وَقد مسها كيفَ لا تورقُ

ويقول مسلم :

لو أنَّ كفاً أعشبَتْ لسماحةٍ ... لبَدَا براحتِهِ النباتُ الأخضر

(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكانتكم » والثناء يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة المثنين عليهم، ولله ابن الرومى حين يقول :

أعبقتَه مِن طِيبِ رَيحِكَ عبقةً ... كادتْ تكون ثناءك المسموعا

ولآخر :

لو كان يوجدُ ريحُ مجدٍ فائحاً ... لوجدتَهُ منه عَلَى أميالِ

ولابن الرومى أيضاً :

إن جاء مَن يبغى لنا منزلا ... فقل له يَمشى ويستنشق

ومثله :

ولو أن رَكْباً يَمّوك لقَادَهُمْ ... شَمِيمُك حتى يستدلَّ بك الرَّكْبُ

(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ، يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يامن يريد أن يوجد له نظير لا تمتحنا بطلاب مالا يدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول البحترى :

ولئن طلبتُ نظيرَه إنى إذن ... لمكلِّفٌ طلبَ المُحالِ رِكابى

لمْ يَخْلُقِ الرَّحْمنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أبدًا وَظَنِّى أنَّهُ لاَ يَخْلُقُ(١)
ياذَا الَّذِى يَهَبُ الجَزِيلَ وَعِنْدَهُ أنِّى عَلَيْهِ بِأخْذِهِ أتَصَدَّقُ(٢)
أمْطِرْ عَلَىَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إلَىَّ بِرَحْمَةٍ لاأغْرَقُ(٣)

---

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلا كان طلب مثله محالا ، وعبارة العكبرى : لا تطلب مثله ، فظنى أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق فى الأول ولا فى الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم، ومثله لأبى الشيص :

ما كان مثلك فى الورى فيمن مضى أحــــد وظنّى أنه لا يخلقُ

ولابن الرومى :

فهل من سبيل إلى مثله أبى الله ذاك على من خلق

وللحصنى :

لم يكن فى خليقــة الله ندٌّ لك فيما مضى وليس يكونُ

(٢) وعنده : أى وفى اعتقاده أنى إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل فى هذا قول زهير :

تراه — إذا ماجئتَه — متهللا كأنك تُعطِيهِ الذى أنت سائلُه

فقوله : أتصدق ، أى أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رُزِقوا على أقدارهم للقِيت أ كثرَ من ترى يتصدق

(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحاب جودك ماطراً على مطراً غزيراً ثم ارحمنى بأن تحفظنى من الغرق كيلا أغرق فى كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبى السمط فى وصف سحابة :

حتى ظلِلْتُ أقول فى إلحاحها بالوبل : هل أنا سالم لا أغرقُ

هذا : وقد قال ابن الشجرى فى أماليه تعليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجهين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، فحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

أُوجَدُ مَيتاً قُبيلَ أفقدُها

. . . .

كما جاء فى قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضُرُ الوَغى[(١)] *

أراد أن أحضر ، فحذفها ؛ يدلك على حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثانى : أن يكون بالفاء مقدرة ، وإذا كانت فى الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإثباتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون فحذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها[(٢)]

وأما قوله تعالى « لا يضركم » فى قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثانى على التقديم والتاخير ، كأنه قال : « لا يضركم كيدهم » « وإن تصبروا وتتقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إنك إن يُصْرَعْ أخوكَ تُصْرَعُ[(٣)] *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

---

(١) من معلقة طرفة ، وقد تقدم شرحه فى غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقبله :

إن يَسْلم المرء من قتل ومن هرمٍ — للذة العيش أفناه الجديدان

فإنما هذه الدنيا وزينتها — كالزاد لابد يوماً أنه فانى

من يفعل الحسنات الله يشكرها — والشر بالشرِّ عِند الله سيّانِ

(٣) من رجز لعمرو بن خثارم البجلى وهو :

يا أقرعُ بنَ حابس يا أقرعُ — إنى أخوك فانظرَنْ ما تصنعُ

إنك إن يُصرع أخوكَ تُصرعُ — إنى أنا الداعى نزاراً فاسمعوا

فى باذِخ مِن عِز مجد يَفرعُ — به يَضُر قادرٌ وينفع

وأدفع الضيمَ غداً وأمنع — عِزٌ ألدٌ شامخٌ لا يُقمَع

يَتبعهُ الناسُ ولا يُستَتبعُ — هل هو إلا ذَنَبٌ وأكرُعُ

وزَمَعٌ مؤتَشَبٌ مُجَمَّعُ — وَحَسبٌ وغلٌ وأنفٌ أجْدع

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ(١)

***

وقال فى صباه ارتجالا :

أَىَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِى أَىَّ عَظِيمٍ أَتَّقِى(٢)
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّـــهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ(٣)
مُحْتَقَرٌ فى هِمَّـــتِى كَشَعْرَةٍ فِى مَفْرِقِى(٤)

---

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كنى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادمت فى الأحياء مرزوقا ؛ ويروى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيهم أرزاقهم ، والأولى أجود .

(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة فى العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيما .

(٣ و ٤) المفرق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر وقوله ومالم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لايجوز أن يكون مخلوقا كذات البارى عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا لزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابى ، وكانت هذه المنافرة فى الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصرع الهلاك ؛ ونزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : المرتفع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أرطاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذنب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح فى نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخى :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزَائِقُ ... وَيَا قَلْبِ حَتَّى أَنتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ (١)

وَقَفْنا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنـــا ... فَرِيقَىْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ (٢)

وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكَا

وَصَارَ بَهَاراً فى الْخُـــدُودِ الشَّقَـــائِقُ (٣)

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شرطية التفسير ، كقوله تعالى «قل هو الله أحد» وَحق : ابتدائية . وتأنى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتمهل وتترفق ، والحزائق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شىء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً — على مالك من علائق القرب — ممن أفارقه ! يعنى أن الأحبة إذا فارقونى ذهب القلب معهم ففارقنى وفارقته . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفرّقَ قلبى مِنْ مُقِيم وظاعنٍ ... فلله دَرِّى أىَّ قلب أُشَيِّعُ

ولآخر :

كأنَّ أرواحَنا لم تَرتَحِلْ معنا ... أو سِرْنَ فى أثرِ الحىِّ الذى سارا

(٢) البث : الحزن . وفريقى هوى : نصب على الحال من الضمير فى وقوفنا . يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق ـ وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه ـ وشائق ـ وهو المعشوق يشوق عاشقه ـ وجعل هذه الحالة تزيده حزنا ؛ لأن فراق الأحبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قريح : أى جريح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جنى : قلت له ـ للمتنبي ـ عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهى اسم لا وصف ، والبهار : زهر أصفر ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النعمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الخدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن المعذل :



عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ... وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ (١)

تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا ... وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ (٢)

سَلِ الْبِيدَ : أَيْنَ الْجِنُّ مِنَّا بِجَوْزِهَا ... وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي: أَيْنَ مِنْهَا النَّقَانِقُ (٣)

باكرتهُ الحمّى وراحتْ عليهِ ... فكستهُ حُمّى الرّواحِ بهارَا

لمْ تشنهُ لمّا ألحّتْ ولكنْ ... بدّلتهُ بالاحمرارِ اصفرارَا

وقال أبو تمام :

لم تشنْ وجههُ المليحَ ولكنْ ... حوّلتْ وردَ وجنتيهِ بهارَا

وقال أيضاً :

لها منْ لوعةِ البينِ احتراقٌ ... يُعيدُ بنفسجاً وردَ الخدودِ

(١) اجتماع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله وميت : أى ومنهم ميت يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقول : على هذا مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم قال — مبغض — ووامق — محب — كما قال الأعشى :

شَبابٌ وشَيْبٌ وافتقارٌ وثروَةٌ ... فللهِ هذا الدهرُ كيفَ تردَّدَا

وقال الآخر :

وما الناسُ والأيّامُ إلا كما ترى ... رزيّةُ مالٍ أوْ فراقُ حبيبِ

هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحذلقين ، فقال كان ينبغى أن يقول : على ذا عهدنا الناس : راض وساخط ، وميت ومولود ؛ أو يقول : اجتماع وفرقة ، وموت وولادة ، وقلى ومقة .

(٢) الغرانق الشاب الناعم الجميل ، وجمعه غرانق — بفتح الغين — ويقال الغرانيق ، وهو فى الأصل طائر مائى يشبه الكركى . يقول : تمر الليالى وتجىء وهى على حالها وبمرها تغير حالى وشيبتنى وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبلى ولا يبلى .

(٣) جوز كل شىء : وسطه : والمهارى : جمع مهرية ، وهى الإبل المنسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهارى فتح الراء وكسرها : — كصحارى وصحارى — بتشديد الياء وتخفيفها — قال رؤبة :

وَلَيْـــلٍ دَجُوجِىٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا
مُحَيَّاكَ فِيـــهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ[1]

بِهِ تَمطَّتْ غَولُ كلِّ مِيلَهِ بِنَا حَرَاجِيجُ المَهَارِى النُّفَّه[1]

والنقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . يقول — لصاحبه — : سل البيد تخبرك أين تقع الجن منا بهذه المفازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن ـ وعن إبلنا أين تقع منها الظلمان فى السرعة : أى أن إبلنا كانت أسرع من النعام .

(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى موضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأنا الخ . ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والمحيا : الوجه . والسمالق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه : الليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السمالق التى كنا نقطعها أظهرت لنا وجهك فاهتدينا الطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلى :

وُجُــوه لوَ أَنَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بها
صَدَعْنَ الدُّجَى حتى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِى

---

(١) قبله :

وَمَخفقٍ مِن لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ فى مَهْمَهٍ أطرافهُ فِى مَهْمَه
أَعْمَى الهُدَى بالجاهِلِينَ العُمَّهِ بِهِ تَمطت غَوْلَ كلِّ مِيـلَهِ
بنـا حَرَاجيج المهـارِى النّفهِ يَجذِبْنَه بالبـــوع والتأوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، واللهله : المكان المستوى الذى ليس به علم؛وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يغتال المشى فلا يستبين فيه ، ولا يكاد يقطع من بعده ، وبعير نافه : كال معى ، والجمع نفه ويجذبنه : يريد يجذبن أنفسهن فيه ، والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إذا ما قمت أرحلها بليــــل تأوّهُ آهــةَ الرجلِ الحزين



فَمَا زَالَ لَوْلاَ نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ ... وَلاَ جَابَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلاَ الْأَيَانِقُ[١]

وَهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... مِنَ السُّكْرِ فِي الْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ[٢]

ويقول أشجع السلمى :

مَلِكٌ بِنُـــورِ جَبِينِهِ ... نَسْرِى وَبَحْرُ اللَّيْلِ طَامِى

ولصريع الغوانى :

أَجِدَّكِ هل تدرين أَنْ بتُّ ليلةً ... كأن دجاها مِنْ قُرونِكِ يُنشرُ

صَبَرتُ لها حتى تجلّتْ بِغُرَّةٍ ... كغُرَّةِ يَحيى حِينَ يُذكرُ جعفرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله بظلامه يجنح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها ـ أى السمالق ـ والأيانق : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق لمـــا قطعنا السمالق .

(٢) وهز : عطف على الأيانق ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والغرز : ركاب للابل من جلد مخروز ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا: مزقه قال امرؤ القيس :

فأدْرَكْنَهُ يأخذْنَ بِالسَّاقِ والنَّسَا ... كَمَا شَبرَقَ الوِلدانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِى[١]

والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبانها فى سرعة سيرها ، وذلك يمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مائدا بين الغرزين كالثوب الخلق لكثرة تمايله . يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لمـا قطعنا السمالق إليه .

---

(١) المقدسى : الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركا ، والنسا قال الأصمعى : بوزن العصا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفى النسا ، ولا يقال عرق النسا .



شَدَوْا بِابْنِ إِسْحٰقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيَهَا كِيرَانُهَا وَالنَّمَارِقُ(١)
بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الْأَرْضُ خَوْفاً إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ(٢)
فَتًى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى يُرَجَّى الْحَيَا مِنْهَا وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ(٣)

---

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصافحت : أى ماست مأخوذ من مصافحة الأكف . والذفارى : جمع الذفرى ، الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع الكور ، وهو الرحل ؛ و لنمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة تحت الراكب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صافحت أقفاؤها الرحال والوسائد التى عليها ـ وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،

وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لا تَضْرِبُ الرَّكْبُ الطَّلَائِحُ نَحْوَهُ بَلْ بِاسْمِهِ يَزْجُرْنَ كُلَّ طَلِيحِ

ويقول إسحاق بن خلف :

إذا ما حُدِينَ بِمَدْحِ الأمِـــير سَبَقْنَ لَحَاظَ الحَثِيثِ العَجِلِ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشواهق : جمع شاهق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبـــال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون — بفتح الجيم — وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

سَمَاحاً وبأساً كالصواعِقِ والحَيـــا
إذا اجتمعَا فى العـــارِضِ المُتَألِّقِ



وَلٰكِنها تَمضى وَهٰذَا مُخَيِّمٌ ... وَتَكذِبُ أحيانًا وَذَا الدَّهْرَ صادِقُ(١)

تخَلَّى مِنَ الدُّنيَا لِيُنسَى فمَا خلَتْ ... مَغارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ(٢)

غَذَا الْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى ... فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ الْمَخَانِقُ(٣)

تَشَقَّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إذا غزَا ... وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى وَالْمَفَارِقُ(٤)

ويقول الآخر :

هوَ عارِضٌ زَجِلٌ فمَنْ شاء الحيا ... أرْضَى ومنْ شاء الصواعِقِ أغْضبا

(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضى ، وهذا مقيم فى كل وقت ، والسحاب قد تكذب فى الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والممدوح صادق فيا يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومى :

فَضلْتَ أخاكَ الغيثَ بالعلِمِ والحِجَى ... وحاصصتَهُ فى الجود أىَّ حِصاص

على أنه يَمضِى وأنت مُخيِّمٌ ... سماؤكَ مِدْرار ورَوْضُك واصِ(١)

ومثله للبحترى :

أنى يكون له احتفالُك فى الندى ... ووُقوعُه فى الحين بعدَ الحِينِ

(٢) يقول : زهد فى الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إعراضاً عن الخلق فلم يزده ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تخل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه شامل . ولعله ينظر إلى قول البحترى :

وشُهِرتُ فى شرقِ البلاد وغرْبها ... فكأننى فى كل نادٍ جالِسُ

(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أى التى عملت ببلاد الهند ؛ والهام: الرءوس، والطلى : الأعناق ؛ والمدارى جمع مدرى ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والمخانق جمع مخنقة ، وهى القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رءوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت صحبتها للرءوس والأعناق كما تصاحبها المدارى والمخانق ؛ يعنى إذا علت سيوفه الرءوس صارت بمنزلة المدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزله المخانق .

(٤) تشقق — بحذف إحدى التاءين — أى تتشقق ؛ ويروى تشقق ـ بضم التاء

---

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاسمه فأخذ كل واحد منهما حصته وروض واص متصل النبات .

يُجَنِّبُهَا مَـــنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ ... وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ (١)

يُحَاجَى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ ... يُرَى سَاكِتاً وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ (٢)

نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي ... وَلاَ عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللهُ خَالِقُ (٣)

كَأَنَّكَ فِى الإِعْطَــاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ ... وَفِى كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ (٤)

على البناء للمجهول ـ والجيوب : نائب فاعل ؛ وضمير منهن للسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما ينفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفرق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شققت الثاكلات جيوبهن من جراء مايفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء .

(١) جنبته الشىء : إذا باعدته عنه ؛ وصلى بالأمر يصلى : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه — موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقته : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لا محالة قاتلته

(٢) يحاجى به : أى يغالط ـ من الأحجية ، وهى الكلمة المخالفة اللفظ للمعنى ، كالشىء الملغز به يلقى على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : ماذو ثلاث آذان، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجا يحجو إذا أقام وثبت ، فقيل لها أحجية ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى التثبت والتفكر . يقول : إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا الممدوح يقولون : ماناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا بالمصراع الثانى فقال يرى ساكتاً ـ يعنى الممدوح ـ لا يفتخر ولا يذكر شجاعته والسيف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عمن بهذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشىء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ — الماضى — ومنه قول الأعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا

يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغربتك لكثرة ما رأيت فيك من المحاسن التى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبى ثم علمت أن الله قادر على أن يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .

(٤) من قول البحترى .

ألاَ قلَّمَا تبقَى عَلَى ما بَدَا لهـــا ، وَحلَّ بهاَ منكَ القَنا وَالسَّوابقُ(١)

سَيُحْيِي بكَ السُّمَّارُ مالاَحَ كَوْكَبٌ وَيَحْدُو بكَ السُّفَّارُ ماذَرَّ شارِقُ(٢)

خَفِ اللهَ وَاسْــتُرْ ذَا الْجَمالَ بِبُرْقُعٍ فإنْ لُحْتَ ذَابَتْ فى الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ(٣)

فَمَا تَرْزُقُ الأقْدارُ مَنْ أنتَ حارِمٌ وَلا تحْرِمُ الأقْدارُ مَنْ أنتَ رازِقُ(٤)

وَلاَ تَفْتُقُ الأيَّامُ ماأنتَ راتِقُ وَلاَ تَرْتُقُ الأيَّامُ ماأنتَ فاتِقُ(٥)

تَسَرَّع حتى قال مَن لقِيَ الوَغى لِقاَهُ أعادٍ أمْ لقـــاهُ حَبائِبُ

(١) ألا أداة : استفتاح ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح — فاعل تبق — والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبق على مانزل بهامنك من كثرة استعمالها فى الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلا ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم الذى يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله مالاح وماذر : فما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأبيد ؛ يعنى : أنت أبداً يحيي السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى المسافرون بمدائحك فيحدون الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والخدور : جمع خدر . يقول : استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب فى خدورهن شوقاً إليك وهياماً بك ، ويروى حاضت ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال — زعموا — دم حيضها ؛ والمعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً وهياماً .

(٤) و (٥) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :

فلا يرفعُ الناسُ مَن حَطهُ ولا يضعُ الناسُ ما يرفَعُ

وقال آخر :

كنا ملوكا وكانَ أوّلُنا لِلْحِلمِ والبأسِ والنَّدَى خُلقوا

لا يرتق الراتقونَ مافَتَقوا يوماً ولا يَفتُقون ما رَتقوا

والأصل فى هذا كله قول العباس بن مرداس للنبى صلوات الله وسلامه عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِى رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى ... وَغَيْرِى بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ(١)
هِىَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ الْمُنَى ... وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ(٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصحبة للشرب فى غد فقال ارتجالا :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَّابَةً ... تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ(٣)
تُسِىءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ ... وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ(٤)
وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُّهُ ... وَذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ(٥)
وَقَدْ مُتُّ أَمْسِ بِهَا مَوْتَةً ... وَلَا يَشْتَهِى الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ(٦)

وما كنتُ دونَ امرىءٍ منهما ... ومَن تضعِ اليوم لا يُرْفَعِ

(١) لك الخير : دعاء للمدوح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛ ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد الممدوح يقول : غيرى يطلب الغنى من غيرك أى أنا لا أطلبه إلا منك ، وغيرى يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .

(٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية مايطلبه الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئاً ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأنت جميع الناس .

(٣) المدامة : الخمر ؛ وغلابة : تغلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك الشوق ، كما قال البحترى :

مِنْ قهوةٍ تُنسِى الهمومَ وتبعثُ الشـوقَ الذى قد ضلَّ فى الأحشاءِ

(٤) أراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الخنا ، والعربدة والحركات المفرطة — وبتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من السماحة والبذل ؛ وفى الخمر يقول القائل :

رأيتُ أقلَّ الناسِ عقلا إذا انتشى ... أقلَّهُمُ عقــلا إذا كان صاحيا
تزيد حُمَيّاها السفيهَ سفاهةً ... وتترُكُ أخلاق الكريم كما هيا

(٥) يقول : أعزو أثمن ما للانسان : عقله ، والعاقل يكره ضياع عقله .

(٦) جعل غلبة السكر على عقله كالموت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهى العود



وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَـدَائِرٍ لا عَيْبَ فيهَا ‏ سِوَى أنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ[١]

أَمَرْتَ بأَنْ تُشَالَ فَفَارَقَتْنَا ‏ وَمَا أَلِمَتْ لِحَادِثَةِ الفِـرَاقِ[٢]

إذا هَجَرَتْ فَمَنْ غَـيْرِ اخْتِيَارٍ ‏ وَإنْ زَارَتْ فَمَنْ غَيْرِ اشْتِيَاقِ

***

وعرض عليه محمد بن طغج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي الْخَمْرَ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي ‏ وَوُدٌّ لَمْ تَشُبْهُ لِي بِمَذْقِ[٣]

يَمِينـاً لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ ‏ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِي[٤]

***

إليه ، وقد تجنى ابن وكيع ـ شنشنته مع المتنبي ـ فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر :

يُسِيء ويعذِرهُ حُسـنُهُ ‏ لَدَى عاشِقيه بغير اعتذار

مَحَاسِنُ تغفرُ ذنب الصدود ‏ كما غفر السكر ذنب الْخُمار

وأين هذين من بيت المتنبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .

(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الذؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبرى « أن » هى مخففة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفاصل يفصل بينها : نحو سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل لا تصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . المزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت بحياتك فشربتها ، ولأنى أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقانيها إقسامك على بذلك قسما لو أقسمته تريد به قتلى لفعلت ذلك .

وكان لأبى الطيب حِجْرة (*) تسمى الجهامة ، ولها مهر يسمى الطخرور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمُرُوجِ الْخُضْرِ وَالْحَدَائِقِ ... يَشْكُو خَلاَهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ (١)

أَقَامَ فِيهَا الثَّلْجُ كَالْمُرَافِقِ ... يَعْقِدُ فَوْقَ السِّنِّ رِيقَ الْبَاصِقِ (٢)

ثُمَّ مَضَى لاَ عَادَ مِنْ مُفَارِقِ ... بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَائِقِ (٣)

كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ ... يَأْكُلُ مِنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لاَصِقِ (٤)

كَقَشْرِكَ الْحِبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ ... أُرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوذَانِقِ (٥)

---

* أى فرس أنثى ، والذى فى كتب اللغة أنها الحجر ، قالوا : والحجر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وسميت كذلك لأنهم جعلوها كالمحرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تمرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والخلا : الكلأ الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشىء . يقول : نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا بصق جمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن المعذل :

ونسجَ الثلجَ على الطيور ... وأجمد الريقَ على الثغورِ

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ماذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقا ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكأن الذوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائد الشىء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخرور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : الهارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لايرتفع عنها . يقول : إنه – لإعواز المرعى – كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يثبت فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها ؛ معرب ؛ وذلك أنهم كانوا



بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَافِقِ (١)
رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِى مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لاحِقِ (٢)
مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زَاهِقِ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ (٣)
* كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِى بَارِقِ (٤) *

يأخذون الحرق ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاصق بالأرض بقشر الكاتب الحبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للمهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بمهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر — معرب سه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه كنصف البازى يقول : أطلب الكلأ والنبات من هذا المهر بمهر كالشوذانق لخفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل فى القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس فى العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع فى العضد ؛ وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له .

(٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يجىء ويذهب ليكون خطوه أبعد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق :فالطرائق طرائق اللحم؛ ونائه من ناه الشىء ينوه: إذا علا ونهت به ونوهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق: أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه. وقال ابن جنى: الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيما جليلا . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يحبس نفسه والإطل : الخاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسيم العالى المشرف . والكميت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمهزول؛ والغرة . البياض فى وجه الفرس ، والغرة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلا ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحى الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .



بَاقٍ عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالشَّقَائِقِ[1] وَالأَبْرَدَيْنِ وَالْهَجِيرِ الْمَاحِقِ[2]
لِلْفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنْهُ الْوَاثِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ[3]
كَأَنَّهُ فِي رَيْدِ طَوْدٍ شَاهِقِ[4] يَشْأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقِ[5]
لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ مَجِيءَ السَّابِقِ
يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْحَلْيِ فِي الْمَنَاطِقِ[6]
* مَشْياً وَإِنْ يَعْدُ فَكَالْخَنَادِقِ[7] *
لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ لأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الأَيَانِقِ[8]

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوغاء التربة الرخوة . والشقائق جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والهجير: شدة الحر وقت الهاجرة ـ نصف النهار ـ والماحق الذى يمحق كل شىء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود: الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) يشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدّته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطىء الأبرق بحوافره ترك فيه آثاراً كآثار الحلى إذا قلع من المناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا — جرى — ترك آثاراً كالخنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالخنادق وغب سحاب:أى بعده. وأحسبت :

إذا ٱللِّجَامُ جاءهُ لِطَارِقٍ شَحاَ لَهُ شَحْوَ الغُرَابِ النَّاغِقِ (١)

كأنَّمَا الجُلْدُ لِعُرْىِ النَّاهِقِ مُنْحَدِرٌ عَنْ سِيَتَىْ جُلاَهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والخوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر الخاء — وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالخنادق بعد إقلاع سحاب صادق المطر لكان فيها من الماء ما يكفى نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أقلع السحاب وامتلأت آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض إذا عدا .

(١) شحا : فتح فاه . والناغق — بالغين والعين — الصائح . يقول : إذا ألجم لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق ، يريد أنه — مع شدته وعتقه — لا يمنع من اللجام ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم ناتىء فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : الناهقان عظمان شاخصان يندران — يبرزان — من ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما النهاق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواهق. قال النابغة الجعدى يصف فرسا :

بِعَارِى النواهِقِ صَلْتِ الجَبِيـنِ يَستَنُّ كالتيْسِ ذِى الْحُلبِ (١)

وفى التهذيب : النواهق من الخيل والحمر حيث يخرج النهاق من حلقه ؛ وأنشد للنمر بن تولب :

فأرسل سهماً له أهزَعا فشكّ نواهِقَهُ والفما (٢)

---

(١) الحلب : نبات ينبت فى القيظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلزق بالأرض حتى يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، إنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتحتبل عليها الظباء ، قال الأصمعى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى هذا النبت .

(٢) الأهزع : قيل هو خير السهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر ما يبقى من السهام فى الكنانة : جيداً كان أورديئا .



بَزَّ الْمَذَاكِى وَهْوَ فِى الْعَقَائِقِ ... وَزَادَ فِى السَّاقِ عَلَى النَّقَانِقِ (١)
وَزَادَ فِى الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ ... وَزَادَ فِى الْأُذْنِ عَلَى الْخَرَانِقِ (٢)
وَزَادَ فِى الْحِذْرِ عَلَى الْعَقَاعِقِ ... يُمَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَائِقِ (٣)
وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقِ ... يُرِيكَ خُرْقًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ (٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهق : البندق الذى يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيق قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكى : جمع مذك : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : المذاكى الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أى السن ، قالوا والمذكى أيضاً من الخيل الذى يذهب حضره — جريه — وينقطع ؛ وفى المثل : جرى المذكيات غلاب : أى جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجرى غلابا ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية فى الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والعقائق : جمع عقيقة ، وهى الشعر الذى يولد المولود وهو عليه ؛ والنقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الخيل المسنة وهو بعد فلو — أى مهر — صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام فى طول الساق وصلابته ، وذلك محمود فى الخيل كما قال امرؤ القيس :

* لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعامَةٍ *

(٢) الخرانق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبى : وإن أذنه تزيد فى الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٣) العقاعق : جمع عقعق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل فى الحذر فيقال : أحذر من عقعق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه — أى ركضه — فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أوجد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق فى الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحُكُّ أنَّى شاءَ حَكَّ الباشِقِ ... قُوبِلَ مِنْ آفِقَةٍ وآفِقِ (١)

بَيْنَ عِتاقِ الخَيْلِ والعَتائِقِ ... فَعُنْقُهُ يُرْبِي عَلَى البَواسِقِ (٢)

وحَلْقُهُ يُمْكِنُ فِتْرَ الخانِقِ ... أُعِدُّهُ لِلطَّعْنِ في الفَيالِقِ (٣)

والضَّرْبِ في الأَوْجُهِ والمَفارِقِ ... والسَّيْرِ في ظِلِّ اللِّواءِ الخافِقِ (٤)

إنه لذكائه وحذقه إذا أحس سارقا بليل صهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ، أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو ـ الجرى ـ تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ، وحذقه أنه لا يخرج ماعنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبق جريه ، كما قال القائل :

وللقارحُ اليَعْبوبُ خيرٌ عُلالةً ... مِن الجذَعِ المُرْخَى وأبْعَدُ مَنزَعا

وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

ذُو أَوْلَقٍ عند الجِراءِ وإنما ... مِن صحة إفراطُ ذاكَ الأَوْلَقِ

[الأولق : الخفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومنقاره إلى أى موضع أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق ـ الكرم ـ يكتنفه من قبل أبيه وأمه ؛ فكرم الأم يقابل فيه كرم الأب . فالآفق من الخيل : الكريم الطرفين ، وهى آفقة ، ومن آفقة : حال ، أى مولودا من آفقة و آفق : أى إنه كريم الام والأب وكل من أمه وأبيه كذلك

(٢) البيت تتمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الخيل : الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه آفقان بين كرام الخيل وكرائمها : أى إنه وسيط فى العتق، ثم قال: وعنقه يزيد على النخل الطوال طولا والخيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وهادِيها كأن جذعٌ سَحُوقُ *

(٣) يقول : إن أعلى حلقه دقيق حتى لو أراد الخانق أن يطوقه بفتره ـ ما بين الإبهام والسبابة ـ لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق : الكتائب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرءوس حيث يفترق الشعر واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّفَاسِقِ ... يَقْطُرُ فِي كُمِّي عَلَى الْبَنَائِقِ (١)

لا أَلْحَظُ الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ وَامِقِ ، ... وَلا أُبَالِي قِـلَّةَ الْمُرَافِقِ (٢)

أَيْ كَبْتَ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقِ ... أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ (٣)

وقال يهجو إسحاق بن كيغلغ وقد بلغه أن غلمانه قتلوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ : ... هٰذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحُمُقِ (٤)

إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلاَ فَقْدٍ وَلاَ أَسَفٍ ، ... أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلاَ خَلْقٍ وَلاَ خُلُقِ (٥)

---

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه : طرائقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة القميص . يقول : يحملني فى الحرب وسيفي يقطر دما — دم القتلى — فى كمى على بنائق . أى يحملني والسيف هذه حاله ؛ قال العكبرى : الرواية التى قرأت بها الديوان على شيخى أبى الحزم وعبد المنعم :والنصل ذو ، بالرفع ،ورفعه على الابتداء ، والواو للحال ، أى فى هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنصوب فى يحملنى ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أى مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه بمؤخر عينه . والوامق : المحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق محب لها فيذل لطلبها ولا أبالى أن لاأجد فيها من يوافقنى على طلب معالى الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدى .

(٣) أى : حرف نداء ؛ و كبت عدوه : أذله ورده بغيظه ، وكبته الله لوجهه : صرعه. قال ابن جنى يخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس فى هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؟ إنما يخاطب المهر الذى وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدوننى عليك ثم قال: أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحمق إلا الموت ، كما قال البحترى :

ما قضى اللهُ للجهولِ بسِتْرٍ ... يتلافاهُ مِثلُ حَتفٍ قاضِي

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

فإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيدِ

مِنهُ تَعلَّمَ عَبدٌ شَقَّ هَامَتَهُ خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الغَدْرِ فى المَلَقِ (١)

وَحَلْفَ أَلفِ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ فى نَسَقِ (٢)

مَا زِلتُ أَعرِفُهُ قِرْداً بِلاَ ذَنَبٍ صِفْراً مِنَ البَأْسِ مَمْلُوءاً مِنَ النَّزَقِ (٣)

كَرِيشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لا تَستَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ القَلَقِ (٤)

وإن عاش عاش وليس من يحفل به أو يبالى ؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة كما قال الخبز أرزى :

فأنت فى الخلق لا وجه ولا بدن وأنت فى الخُلق لا عقلٌ ولا أدبٌ

(١) هامته : رأسه ؛ والخون : الخيانة ؛ والملق : إظهار المحبة . يقول : إن العبد الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفى قلبه دغل . فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٢) وحلف : عطف على خون. يقول: وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه :

شرفٌ تتابعَ كابراً عن كابر كالرُّمح أنبوباً عَلَى أنبوبِ

وقوله أيضاً :

نسبٌ كما اطردَت كعوب مُثقف لَدْنٍ يزيدُكَ بسطةً فى الطُّولِ

(٣) يقول : مازلت أعرفه قرداً إلا أنه لاذنب له ، وأعرفه فارغا من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً ، ولله ابن الرومى حين يقول :

معشرٌ أشبهوا القرودَ ولكن خالفوها فى خِفَّةِ الأرواحِ

(٤) يقول : هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لاتستقر من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لايثبت على حال ، كما قال ابن الرومى :

لحِلمكَ أطيشُ من ريشةٍ ورُوحُكَ من هَضْبةٍ أرجحُ

ولبعضهم :

يا ريشةً فوقَ مهبِّ الصبا يهفو بها الريحُ على مَرْصَدِ

أطيشَ من قلب فتًى عاشقٍ متيم بات على موْعدِ

تَستغرِقُ الكفُّ فَوْدَيْهِ ومَنكِبَهُ ... وَتكتَسِي مِنهُ رِيحَ الجَوْرَبِ العَرِقِ (١)
فَسائِلُوا قاتِلِيهِ كَيفَ ماتَ لَهُمْ ... مَوْتاً مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتاً مِنَ الفَرَقِ (٢)
وَأَيْنَ مَوْقِعُ حَدِّ السَّيفِ مِن شَبَحٍ ... بِغَيرِ رَأْسٍ وَلا جِسْمٍ وَلا عُنُقِ (٣)
لَوْلا اللِّئامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشابَهَةٍ ... لَكانَ أَلْأَمَ طِفْلٍ لُفَّ فِي خِرَقِ (٤)
كَلامُ أَكْثَرِ مَنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ ... مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الآذانِ وَالحَدَقِ (٥)

* * *

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو «الشراب» الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذى بله العرق . يقول هو صغير الرأسَ قصير العنق ، وهو أيضاً شيء حقير ، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فتكتسى أكفهم نتنا منه لنتن رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدا لك أن تقول فإننى ... أُثنى عليك بمثل ريح الجورب

(٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أى أماتهم موتاً ؛ والفرق : الخوف والفزع . يقول : هو جبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفا أو مات بالضرب ؟ ولله أبو تمام حين يقول :

وإلا فأعلِمْهُ بأنك ساخط ... عليه فإن الخوفَ لاشك قاتله

(٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له .

(٤) يريد باللئام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه لكان ألأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الألأم ، وبهذا قد سوى بينه وبينهم ؛ وفى هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا وَلدتْ حَليلةُ باهليّ ... غلاماً زيد فى عددِ اللِّئامِ

(٥) ومنظره : أى وجهه ، أوالنظر إليه ، ويشق : يثقل . يقول : إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لمافيه من السقط والهذر ، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوى عليه من الغل والخبث وإضمار غير الجميل وإن كان يلقاك بالبشر .

يلقاكَ والعسلُ المصفّى يُجتنى ... مِن قوله ومن الفِعالِ العلقمُ



وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن على بن الحسين بن حمدان العدوى :

أتُرَاهَا لِكَثْرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فى المآقى (١)

كَيْفَ تَرْثِى التى تَرَى كلَّ جَفْنٍ رَاءهَا غَيْرَ جفْنِهَا غَيْرَ رَاقِى (٢)

أنتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكِ لَكِنَّكِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنًى وَاشْتِيَاقِ (٣)

يُبدى الهوى و يثورُ – إن عرضت له فرصٌ – عليك كما يثور الأرقمُ

« الابيوردى »

فلا تغرَّنك ألسنةٌ رطاب بطائنهن أكبادٌ صَوَادِى

« الديلمى »

فيارُب وجه كصافى النمير تشابه حاملهُ والنمِر

« شوقى »

إن شئتَ أن يسودَ ظنك كلهُ فأجلْهُ فى هذا السوادِ الأعظم

ليس الصديقُ بمن يُعيرك ظاهراً مُتبسما عن باطنٍ متجهمِ

« أبو تمام »

(١) حسب يحسب – بفتح السين فى المضارع وكسرها لغتان – وأتراها : أتظنها : والمآقى : جمع مؤق ، مؤخر العين مما يلى الأنف . يقول – لصاحبه : أتظنها لكثرة ما ترى الدمع فى مآقى عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يبكى ولا ترثى ، كما قال فى البيت التالى .

(٢) راءها : أصله رآها ؛ قدم الألف وأخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقئ : تقول رقأ الدمع والدم يرقأ إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المعشوقة لاترحم باكياً ، وكيف ترحمه وهى ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها فهى لاترحم أحداً لأنها تظن الدموع فى أجفان العشاق خلقة ؟ .

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو حال من الضمير المستتر فى الخبر يقول : أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعتها منا إلا أنك عوفيت من الضنى – النحول – والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومع

حُلْتِ دُونَ المَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْزُرْ ... تِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ العِنَاقِ [(١)]

إِنَّ لَحْظًا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا ... كَانَ عَمْداً لَنَا وَحَتْفَ اتِّفَاقِ [(٢)]

لَوْ عَدَا عَنْكِ غَيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ ... لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ المَنَاقِي [(٣)]

وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا ... مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الأَرْمَاقِ [(٤)]

فتنت نفسك : أى بالحب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جحظة :

لو ترى ما أراهُ منكَ إذا ما ... جال ماء الشباب فى وجْنتيكا

لتمنّيتَ أن تُقبِّلَ خدَّيك وإن لم تصلْ إلى خدَّيكا

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والمزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نحلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نحولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحتف ــ الهلاك ــ من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى حبائل الهوى .

(٣) عدا عنك . صرف عنك ومنع من لقائك . وغير : استثناء مقدم ؛ وبعد : فاعل عدا ، وقال العكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف النكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والمناقى : جمع منقية ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى ــ أى مخ ــ يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لا هجرك لواصلنا السير إليك حتى تنضى الإبل ويسيل مخها : أى لأتعبناها فى طى البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو مالا سبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أبْعَدُ نأْى المليحةِ البخَلُ ... فى البُعدِ مالا تُكلفُ الإبلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناقى ، والأرماق : جمع رمق ، بقية الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نحلنا وهزلنا من شدة الشوق حتى نصير من الخفة كأننا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الذماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

* أُنضاء شَوْق على أنضاء أسْفارِ *



مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْعُيُونِ اللَّوَاتِى ... لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ (١)
قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِى الْمَوَاضِى ... فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِى الْبَوَاقِى (٢)
كَاثَرَتْ نَائِلَ الأَمِيرِ مِنَ الْمَا ... لِ بِمَا نَوَّلَتْ مِنَ الإِيرَاقِ (٣)
لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ ... سَادَ هٰذَا الأَنَامَ بِاسْتِحْقَاقِ (٤)

وكما قال هو أيضاً :

بَرَتنى السُّرَى بَرْىَ المُدَى فرددننى ... أخفُّ على المركوبِ من نفسى جِرْمِى

وقال ابن جنى : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهى تحملنا على استكراه ومشقة كما تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأنا قد بلغنا أو اخر أنفسنا ؛قال الواحدى : هذا محال كيف يحمل الرمق النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره؟ ثم فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) مابنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب؛ والحداق: جمع حدقة سواد المقلة . يقول : أى شيء أصابنا من هوى العيون الكحلاء الجفون السوداء الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتها بالهجران ، وأيام الوصال توصف بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى الهجر بليالى الوصال . أى بذكرها والتحسر عليها .

(٣) قال الواحدى: الإيراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى: إذا لم يغنم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئا . قال: وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت : هى تطاب بإسهادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية، فكأنها تكاثره نوالا ، لكن نوالها الأرق ونواله الورق. قال الواحدى: فإن كان أبو الطيب أراد بالإبراق هذا ـ أى أنه من الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإيراق من الأرق إنما يقال أرق يأرق أرقا وأرقه تأريقا، والأولى أن يحمل الإيراق على منع الوصل والتجنيب منه . يقول : هى فى منعها وصلها فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكاثر عطاءه بمنعها لينظر أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق : اسم ليس ؛ وخبرها الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فساد الخلائق بحق غير هذا الممدوح ؛ ومما يتصل بمعنى البيت قول البحترى :



طَاعِنُ الطَّعْنَةِ التى تَطْعَنُ الْفَيْـلَقَ بالذُّعْرِ وَالدَّمِ الْمُهْـرَاقِ (١)
ذَاتُ فَرْغٍ كَأَنَّهَا فى حَشَا الْمُخْـبَرِ عَنْهَا مِنْ شِـدَّةِ الإطْرَاقِ (٢)
ضَارِبُ الْهَامِ فى الْغُبَارِ وَمَا يَرْ هَبُ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِى هُوَ سَاقِى (٣)
فَوْقَ شَـقَّاءَ لِلأَشَقِّ مَجَالٌ بَيْنَ أَرْسَاغِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ (٤)

قدرُه مرتفـع عن حظهِ لا يرُعْك الحظُّ لم يوجد بحقٍّ

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : المصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعتها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفاً شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما فى البيت ، يريد أنه يخرج منها دم ثائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف : أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والمخبر : يروى بفتح الباء وبكسرها يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجرى من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظاماً حتى لكأنها فى جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام ـ الرءوس ـ فى الهيجاء ويسقى الأقران كؤوس الموت ولا يبالى أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعا بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالى بالموت .

(٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رحب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بنى معاوية بن بكر التغلبى :

ويومَ الكُلاَبِ استنزلَتْ أسلاتُنا شُرَحْبيلَ إذ آلَى أليَّةَ مُقْسِمِ
لينتزعَنْ أرماحنـا فأزالهُ أبوحنَشٍ عن ظَهر شَقَّاء صِلْدِمِ (١)

والأرساغ : جمع رسغ ، وهو مستدق ما بين الحافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

---

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول :ـ حلف عدونا لينتزعن أرماحنا من أيدينا فقتلناه .



مَا رَآهَا مُكَذِّبُ الرُّسْلِ إِلاَّ صَدَّقَ القَوْلَ فِى صِفَاتِ البُرَاقِ (١)
هَمُّهُ فِى ذَوِى الأَسِنَّةِ لاَ فِيـهَا وَأَطْـرَافُهَا لَهُ كَالنِّطَاقِ (٢)
ثَاقِبُ الرَّأْىِ ثَابِتُ الحِلْمِ لاَ يَقْـدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِقْلاَقِ (٣)
يَا بَنِى الحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لاَ تَعْـدَمْكُمُ فِى الوَغَى مُتُونُ العِتَاقِ (٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعى : الصفاق الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، وأنشد للجعدى :

لُطِمْنَ بِتِرْسٍ شَدِيدِ الصفاَ قِ مِنْ خَشَبِ الجَوْزِ لَمْ يُثْقَبِ (١)

يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان ـ الذكر ـ الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذى روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبه ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء فى ليلة ، وقيل فى وصفه أنه يضع يديه عند منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجرى جرى البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل فى وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها ـ رماحها ـ حوله كالنطاق فإن همته حينئذ إنمـا هى فى الأبطال وأخذ أرواحهم لا فى اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالى بها ولا هى تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأى : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : المضىء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم : الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

يعتصمُ الحـلم بجنبى حبوتى إذا رياح الطيْش طارت بالحبا

(٤) الحارث بن لقمان : جد أبى العشائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا فى الوغى ـ الحرب ـ قال ابن جنى : قوله فى الوغى حشو إلا أن فيه نكتة ، وهى أنهم ملوك إنمـا يركبون الخيل لحرب أو دفع ملم ، لذلك خص حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل فى الوغى لا قتضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها فى وقت

---

(١) يقول : ذلك الموضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .



بَعثوا الرُّعْبَ فى قلوبِ الأعادِ ى فَكانَ القِتالُ قبلَ التَّلاقِى (١)
وَتَكادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إلى الأعْناقِ (٢)
وَإذَا أشفَقَ الفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ القَنَا أشْفَقُوا مِنَ الإشْفَاقِ (٣)
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي المَوْتِ حُسْناً كَبُدُورٍ تَمَامُهَا فِي المُحَاقِ (٤)

وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم فى قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكأنهم قاتلوهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمــام :

لوْ لم يزاحفهمْ لزاحفهم لهُ ما فى قلوبهم من الأوجالِ

هذا : والأعادى ـ بالتشديد ـ جمع الأعداء ، وأصله أعادئ بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛وتنتضى: تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد فى الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أغمادها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبى تمـام :

وَنبّهْنَ مثل السيف لو لم تَسُلَّهُ يدانِ لسلّته ظُبَاهُ من الغِمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفزع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم ـ الممدحون ـ كل ذمر الخ ؛ والمحاق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا فى طلب المجد والرفعة ازداد شرفهم فازداد حسن ذكرهم بموتهم ، كالبدور فإنها تستفيد الكمال بالمحاق ، ومالم تصر إلى المحاق لم تتم ، لأنها فى المحاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فمحاقها سبب كما لها ؛ كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفا . وقال ابن جنى : تمامها فى المحاق الكلام متناقض الظاهر ، لأن المحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له ذلك قوله «يزيد فى الموت حسناً» : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا فى طلب المجد ، فشبههم ببدور تمامها فى محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعا وتصرفا . وقال ابن فورجه : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى المحاق . فهو غايتها التى تجرى إليها ومصيرها الذى تصير اليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام فى هذا البيت الذى

جَاعِــلٍ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقِ[١]
كَرَمٌ خَشَّنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهْوَ كَالْمَاءِ فِي الشِّفَارِ الرِّقَاقِ[٢]

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبدور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوئها ، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهلة . . . قال الواحدى : وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك ؛ وإنما شبههم ببدور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاء آخر أمرهم إلى الموت ، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولا .

(١) جاعل : صفة لذمر . يقول : إنه يتقى العار ولو بموته ، فإذا لم يجد واقيا من العار غير منيته جعلها درعا له ، فاتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك .
قال أبو تمام :

وقد كان فَوْتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

وقال بعضهم :

ومَوْتٌ لا يكون عَلَىَّ عاراً أَحَبُّ إلىَّ مِنْ عَيْشٍ رِماق[١]

(٢) الكرم : ضد اللؤم ؛ والشفار : جمع شفرة ، حد السيف . والرقاق هنا : الحداد القاطعات . يقول : إن لهم كرما خشن جوانبهم على الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الخسف ويقبلوا الإهانة ، ثم شبه ذلك الكرم بالماء ، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابة ومضاء ونفاذا ، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه . وهذا من قول بعضهم :

وكالسيف إن لا ينتَهُ لانَ مَتْنهُ وحدَّاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

فإنَّ الحسامَ الهِندُوانىَّ إنمــا خُشونتُه ما لم تُفَلَّلْ مضاربه

---

(١) الرماق : العيش اليسير الدون الذى يمسك الرمق ؛ ومن كلامهم : موت لا يجر إلى عار خير من عيش فى رماق ، ومثله العيش المرمق : أى الدون قال الكميت :

أرانا على حُبِّ الحياة وطُولِهَا يُجَدُّ بنــا فى كل يوم ونَهْزِلُ
نُعالِج مُرْمَقاً من العيش فانياً له حارِكٌ لا يحملُ العِبْءَ أجزل

[الحارك : أعلى الكاهل] .

وَمَعالٍ إذَا ادَّعَاهَا سِـــوَاهُمْ لَزِمَتْهُ جِنَــايَةُ السُّرَّاقِ (١)
يَابْنَ مَنْ كُلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِى غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الأَخْلاَقِ (٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِى المَكَرِّ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلاَقِ (٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزَّنْدُ وَالآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِى الآفَاقِ (٤)
قَلَّ نَفْعُ الحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَـــاكَ إلاَّ مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ (٥)
إلْفُ هٰذَا الهَوَاءِ أَوْقَعَ فِى الأَنْفُـــسِ أَنَّ الحِمَامَ مُرُّ المَذَاقِ (٦)

---

(١) يقول : لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاها سواكم نسب إلى الخيانة والسرقة .

(٢) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لى شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومى :

إذا سَلَفٌ أَوْدَى وَخَلَّفَ مثلَهُ فما ضَرَّهُ أن غَيبتْه الرَّوَامِسُ

(٣) تنكرت : غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر : مكان الكر فى الحرب . يقول : لو غيرت زيك فى ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التى لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جنى : فى المكر حشو وفيه نكتة ، وهى أنه إنما شبهه فى المكان الذى يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبهه فيها لا فى غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزى : حلفوا أنك ابنه : أى ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ،فكأن المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحى الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهى قد اشتملت على نواحى الأرض ،أى استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت فى قبضته .

(٥) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيوف الحديد لا متناعك على أسلحتهم بيأسك وشجاعتك وشدة شوكتك . فلا يلقونك الا بسيف النفاق ، يعنى أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعرى : إن هذا البيت والذى بعده يفضلان كتابا من كتب



وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ ... وَالْأَسَى لاَ يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ (١)

كَمْ ثَرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ ... كَانَ مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقِ (٢)

وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ ... قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلاَقِ (٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان فى الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألفت هذا الهواء فظنت أن الموت كريه الذوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع فى الأنفس أن الموت مر الطعم . قال الواحدى : وفى هذا بيـان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهروه بالحرب لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية بضد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الميت بشىء مما هو فيه . وعبارة أبى الفضل العروضى : لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر وينغص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب فى هذا إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذى قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر

(٢) الثراء : كثرة المـال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقته من إساره وأبحته لطلابه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المـال فى يد اللئيم قبيح — لأنه يضن به عن حقوقه — كما يقبح الفقر فى يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم فى الإملاق : يريد أن يقول قدر قبح الإملاق فى الكريم ، فقلب للضرورة والقافية : وللصراع الأول من قول أبى تمام :

كم نِعْمَةٍ للهِ كانَتْ عِندهُ ... فكأنَّهَا فى غُربةٍ وإسارِ

وقول العطوى :



لَيْسَ قَوْلِى فِى شَمْسِ فِعْلِكَ كَالشَّمْـــسِ وَلَـكِنْ فِى الشَّمْسِ كَالإِشْرَاقِ (١)
شَاعِرُ الْمَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْــظِ كِلانَا رَبُّ الْمَعَانِى الدِّقَاقِ (٢)
لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَـكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَــيْرُ النهَاقِ (٣)
لَيْتَ لِى مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِى الأَدْ هُرِ أَوْ رِزْقِهِ مِنَ الأَرْزَاقِ (٤)

نعمة الله لا تُعاب ولـكنْ ربما استُقبِحَتْ على أقوام
لا يليق الغِنى بوجه أبى يَعـ لى ولا نُورُ بهجةِ الإسلامِ
وسِخ الثَّوب والقلانِس والبرِ ذَوْنِ والوجهِ والقفا والغُلَامِ

(١) يقول : إن قولى لا يبلغ فعل الممدوح فى الشرف والرفعة ، ولـكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولـكن كالشمس فى الإشراق : أى أن قوله فى فعل الممدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيـكون كفوًا له ، ولـكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التى تملأ الـكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فـكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعانى الدقيقة فهو يفتن فى صناعته : وأراد بالخدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا ــ صاحبا وصديقا ــ للممدوح ترفعا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبى تمام :

غَرُبَتْ خلائقُهُ فأغرب شاعرٌ فيهِ فأبدَعَ مُغربٌ فى مُغربِ

(٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار فى مديحك ــ لأنك ملك همام كثير المداح ــ ولـكن شعرى يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحمير ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول خداش بن زهير :

ولنْ أكونَ كمن ألقى رِحالتهُ على الحِمارِ وخَلَّى مَنْسِجَ الفَرَسِ

وقول الآخر :

ألِمِّى بابْنِ عَمِّكِ لا تـكونى كمختارٍ عَلَى الفَرَسِ الحِمَارا

(٤) يقول : إن دهرك مجدود ــ محظوظ ــ مرزوق بك ، فليت لى مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك فى البيت التالى .



أنت فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الخَلَّاقِ[١]

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثر سُؤّاله وغاشيته فقال له إنسان جعلت مضربك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لَامَ أُنَاسٌ أَبَا العَشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالعَيْنِ وَالوَرِقِ[٢]

وَإِنَّمَا قِيلَ لِمْ خُلِقْتَ كَذَا وَخَالِقُ الخَلْقِ خَالِقُ الخُلُقِ[٣]

قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطُّرُقِ[٤]

فَقُلْتُ إِنَّ الفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشُّحِّ صُورَةَ الفَرَقِ[٥]

---

(١) يقول : كان كل عصر يشتهى بعض هذه السعادة لأنه لا يطمع فى كلها ومثله لمسلم بن الوليد :

كالدهرِ يحسُدُ أولاه أواخِرَهُ إذ لم يكن كان فى أعصارِه الأوَل

وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

مَضَى طاهِرَ الأثوابِ لم تبق بُقْعَةٌ غَداةَ ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هى الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذى يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أى أنه طبع على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن المطبوع على الشىء لا يستطيع أن يحيد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذى خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بميافارقين ، فضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحته ونداه فى البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصاد ؟ !

(٥) الشح : البخل ؛ والفرق : الخوف والذعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف ، وذلك أن الشح خوف الفقر : والشجاع لا يفرق، كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول أبو تمام :

وإذا نظرتَ أبا يزيد فى وَغَى ونَدَى ومُبدِىَ غارةٍ ومُعيدا



بِضَرْبِ هَامِ الكُمَاةِ تَمَّ لَهُ ... كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالمَلَقِ (١)
الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا ... يَحْجُبُهَا بُعْدُهَا عَنِ الحَدَقِ (٢)
كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ ... آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الغَرَقِ (٣)

* * *

يَقْرِى مُرَجِّيه مُشاشَةَ ماله ... وشَبا الأَسِنَّةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدا (١)
أيقنتَ أن من السماح شجاعةً ... تُدْمِى وأن من الشجاعة جودا

ويقول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ البخلَ مِنْ جُبُنٍ ... وباسلٍ بُخله يعتده جُبنا
يَلقَى العفاةَ بما يَرْجون من أملٍ ... قبل السؤال ولا يبغى به ثمنا

(١) الهام : الرءوس ؛ والكماة : جمع كمى ، الشجاع المستتر فى سلاحه . يقول : إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتملق الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب الهام ما يكسبه المتملق ، كما قال :

ومِن شَرَف الإقدام أنكَ فيهِمِ ... على القتلِ مَوْموقٌ كأنك شاكِدُ (٢)

(٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع بعدها يراها كل راء .

(٣) يقول : كن أيها الجود بحراً ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالا أخذ له سيفه أضعاف ذلك ؛ وهذا كقوله :

فالسِلْمُ يَكْسِر مِن جناحَىْ مالِهِ ... بنواله ما تَجْبُرُ الهيجاء

وقيل المعنى : كن أيها الجود بحرا إن شئت فإنه لا يخاف أن يغرق لأن سيفه أعطاه الأمان من كل تهلكة ، يريد أنه مع سماحته شجاع حتى لو صار الجود تهلكة ما خافه .

---

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة: رأس العظم الذى يمكن مضغه، والثغرة – بالضم نقرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .



قافية الكاف

وقال وقد أجمل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا ... وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاظَتْ بِهِ مَلِكَا[1]

مَنْ يَعْرِفُ الشَّمْسَ لاَ يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا ... أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لاَ يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا[2]

تَسُرُّ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ ... إِنَّ الْبِلاَدَ وإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَا[3]

ولما أُنشد أجاب دمعي[4] الخ استحسنها فقال :

إِنَّ هٰذَا الشِّعْرَ فِي الشِّعْرِ مَلَكْ ... سَارَ فَهْوَ الشَّمْسُ والدُّنْيَا فَلَكْ[5]

---

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك - انصب - بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاظت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسنها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يجحد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، هما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بمالك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر فى هذا إلى قول عدى بن زيد :

ولك المال والبلاد وما ... يملكُ من ثابتٍ ومُستاقِ

(٤) أراد القصيدة التى مطلعها :

أجاب دمعى وما الدّاعى سوى طَلَلٍ ... دعاه فلباهُ قبل الرَّكبِ والإبلِ

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالملك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخلق ، وهو سائر فى الدنيا سير الشمس فى السماء . هذا : والملك - بالتحريك - واحد وجمع . قال الكسائى : أصله مألك - بتقديم الهمزة - من الألوكة ، وهى

عَدَلَ الرَّحْمنُ فِيــهِ بَيْنَنَا   فَقَضَى بِاللَّفظِ لى وَالْحَمْدِ لَكْ(١)
فَإِذَا مَرَّ بِأُذْنَىْ حَاسِـدٍ   صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلَكْ(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملأك . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلى يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافى : هو لأبى وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلْأَكٍ   تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السماءِ يَصوبُ

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك ، فلما جمعوه ردوها إليه ، فقالوا : ملائكة وملائك أيضاً ، قال أمية بن أبى الصلت :

وكأنَّ بِرَقِيعَ والملائكَ حَولهــا   سَدِرٌ تواكلَه القوائمُ أجْرب(١)

قال ابن برى : صوابه أجرد ـ بالدال ـ لأن القصيدة دالية ، وقبله :

فأتمّ سِتًّا فاستوتْ أطباقهــا   وأتى بسابِعة فأنّى تورَد

وفيها يقول فى صفة الهلال :

لاَ نَقصَ فيه غير أن خَبِيئَهُ   قَمَرٌ وساهورٌ يُسَلُّ وَيُغمَدُ(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بينى وبينك فقضى لى بالإحسان فى نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فحكم لى بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائماً ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ التى أعْطَيْتَنِي   فالدُّرُّ دُرُّكَ والنِّظَامُ نِظَامِي

(٢) يقول : إذا سمع شعرى حاسد لى من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من المحامد لم يمدح به أحد من الملوك .

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هى السابعة ، وسدر : أى بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد لملاسته لا لجريه . وقوله تواكله القوائم : أى تواكلته الرياح فلم يتموج
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعمه العرب .



وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :

أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا المَلِكُ كَأَنَّنَا فِى سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُكُ(١)

أَلْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُـــهُ وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكُ(٢)

* * *

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحترى :

بَكَيْتُ يَا رَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكَا وَجُدْتُ بِى وَ بِدَمْعِى فِى مَغَانِيكَا(٣)

فَعِمْ صَبَاحاً لَقَدْ هَيَّجْتَ لِى شَجَناً وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوكَا(٤)

---

(١) الحبك : طرائق النجوم فى السماء . جعل مجلسه فى علو قدره كالسماء . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جعل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقدالآخر ، وفى هذا نظر إلى قول على بن الجهم :

كأنه وَوُلاةُ الأمر تَتْبعُهُ بدر السماء تليه الأنجمُ الزهرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبى نواس :

قَضى أيلولُ وارتفــع الحرور وأذكت نارَها الشِّعْرى العَبور

فقُوما فانــكِحاَ خمرا بمـــاء فإنْ نتاجَ بينِهما السرور

نتاجٌ لا تَدِرُّ عليـــــه أم بحَمْل لا تعدُّ له الشهور

إذا الــكاسات كرتهـــا علينا تــكوَّن بينها فلك يدور

تسير نجومه عَجـــلا وَرَيْثاً مُشرَّقةً وأحيــانا تغور

إذا لم يُجْرِهِنَّ القطب مِتْنا وفى دوراتهن لهـــا نشور

(٣) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى كان به أهله . يقول : بكيت عليك ياربع حتى لو كنت ممن يعقل لرثيت لحالى وبكيت لبــكائى ، فقد أتلفت نفسى وأفنيت دمعى فى مغانيك أسفا عليك وتذكراً لأهلك . فقوله وجدت بى : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أتلفتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أنعم ، يخاطب الربع على عادة العرب فى مخاطبة الربوع

بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذاً ... رِئْمَ الفَلاَ بَدَلاً مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَا(١)
أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا انْبَعَثْنَ لَنَا ... إِلاَّ ابْتَعَثْنَ دَماً بِاللَّحْظِ مَسْفُوكَا(٢)
وَالعَيْشُ أَخْضَرُ وَالأَطْلاَلُ مُشْرِقَةٌ ... كَأَنَّ نُورَ عُبَيْدِ اللهِ يَعْلُوكَا(٣)
نَجَا امْرُؤٌ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ ... وَخَابَ رَكْبُ رِكَابٍ لَمْ يَؤُمُّوكَا(٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربع — على سبيل الدعاء : أنعم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق لفقد الأحبة .

(١) الرئم : الظبي الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا من ظباء الإنس اللاتى رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وَظِبَاءَ أنسك لم تبدَّلْ بعدها ... بظباء وَحشِكَ ظاعناً بمقيمِ

(٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وانبعثن : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وابتعثن : أسلن . يقول : إنى لأذكر أيام فيك شموس ما ظهرن لنا إلا أبكيننا دماءمصبوبا بنظرنا إليهن : أى أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :

يا ناظراً ما أقلعَتْ لحظاتهُ ... إلا تشحَّطَ بينهنَّ قتيلُ

وقال أشجع السلمى :

فإذا نظرتَ إلى محاسنها ... فلكل موضع نظرةٍ قَتلُ

وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وجفون لك لا تطرف إلا عن قتيل
ما جميل الصبر عنها ... عند مثلى بجميل

(٣) خضرة العيش : كناية عن الخصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار . يقول : كان العيش رغداً طيباً وأطلالك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة قبل تفرق الأحبة وارتحالهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك : يقول : تخلص من مكاره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بانتجاعه وخاب من لم يقصدك

أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا(١)
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ المَجْدَ وَاقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ المَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَا(٢)
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيكَا(٣)
شُكْرُ العُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ العُرْفِ مَسْلُوكَا(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء ؛ أى قوم ركبوا وفى قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك

(١) يقول : إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والمجد ، وعلمتهم من غوامض المعانى حتى استغنوا عن إخراجها بالفكر ، فسهل عليهم الشعر حتى كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً ، فامتدحوا ممدوحيهم بما فيك من خصال المجد ومعانى الشرف وهى لك ، غير أنهم ينحلونها ممدوحيهم ، وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى :

مدحَ الأولونَ قوماً بأخلا قِكَ من قبلِ أن ترى مخلوقا
نحلوهم ذخائراً لكَ بالبا طِلِ مِنْ قولهم وكان زهوقا
فانتزعنا الحقوقَ من غاصبيها فحبا صادقٌ بها مصدوقا

وفى البيت التالى زيادة بيان لمقصوده .

(٢) مثله لأبى العتاهية :

شِيَمٌ فتحتْ منَ المدحِ ماقد كان مُستغلِقاً على المدّاح

ولابن أبى فنن :

يُعَلِّمُنا الفتحُ المديحَ بجوده ويُحْسِن حتى يُحسِنَ القولَ قائله

وقال أبو تمام :

ولولا خِلالٌ سنها الشعرُ ما درَى بُناة العلى مِنْ أينَ تؤتى المكارم

وقال أيضاً :

تُغرَى العيون به ويُفلقُ شاعر فى وصفه عفواً وليسَ بمفلقِ

(٣) يقول : كن على الحالة التى أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك فى أوصافك وأخلاقك ، وإنما قال : كما شئت : لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم والمجد بديعة فى جميع أحواله .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ؛ وأوليت : أعطيت . وأوجدنى :

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فى الآفَاقِ أَوْهَمَنِي ... أَنِّى بِقِلَّةِ مَا أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا[١]

كَفَى بِأَنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ فى شَرَفٍ ... وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِيكَا[٢]

وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ ... عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِى مِثْلَ شَانِيكَا[٣]

لَبَّى نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِي ... يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَا[٤]

جعلنى أجد . يقول : إن شكر السائلين لعطائك دلنى عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فسلكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحى . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر فى جنب قدرك حتى لتخيلت الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحترى :

جَلّ عن مذهبِ المديح فقد كا ... د يكون المَديحُ فيه هِجاء

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : فى موضع رفع فاعل كفى ؛ وفى شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر فى الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والموالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — فى موضع شريف أو نسب شريف فإن فخرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : المبغض ، وأصله الشانئ — بالهمز — فلينه للقافية ، يقول لونقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقلة مثل عدوك الذى يبغضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لو كما تنقُص تزدا ... د إذَنْ نِلْتَ السماء

ثم نقله أبو تمام فقال :

أما لو انّ جهلك كان عِلماً ... إذن لنفذتَ فى عِلم الغيوب

(٤) لبى : تثنية لب — مثل لبيك ، واللب : اسم من الإلباب ، وهو للملازمة يقال ألب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الاضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم لبيك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ، وقوله من رجل: ف «من» زائدة ؛ والمجرور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبى نداك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا مجيب لما يريد بى من الاحسان



مَا زِلْتَ تُتبِعُ مَا تُولِي يَدًا بِيَدٍ ... حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِى مِنْ أَيَادِيكَا[1]

فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتٌ عُرِفْتَ بِهَا ... أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فُوكَا[2]

***

إلى وصوغ المديح له . ثم دعا للممدوح فقال : يفديك من رجل صحبي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ ويدا : بدل بعض من الموصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أياديك عندى فظننت أن حياتى كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لا تَنتفِنّى بعدَ أنْ رِشــتنى ... فإننى بعض أيادِيكا[1]

(٢) ها — ههنا — بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لى : خذ فتلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لاتقول لا — أى لا أعطيك أولا أقضى حاجتك — فإن فاك — فمك — لايجود بهذه الكلمة ، ولسانك لايؤتيك عليها ، لأنك لم تتعود ذلك ؛ وفى مثل هذا يقول الفرزدق :

ما قالَ «لا» قطُّ إلا فى تشهدهِ ... لولا التشهُّدُ كانت لاءهُ نعَمُ

ويقول أبو العتاهية :

وإن الخليفةَ من بُغْضِ لا ... إليهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالهـــا

ويقول العكوك فى أبى دلف :

ماخط لا كاتباهُ فى صحيفته ... كما تخطط لا فى سائر الكتب

وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى الصاحب كتبا وكتب معها :

العمـيرى عبد كافى الكفاة ، ... وإن اعتدّ من وجوه القضاة

خدَمَ المجلسَ الرفيعَ بكُتْبٍ ... مُتْرَعاتٍ من حسنها مُفْعَمات

---

(١) يقال راشه يريشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، ونتف الريش نزعه ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

وورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهَنَّا بِصُورٍ أمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا وَقَلَّ الّذِى صُورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا(١)

وَمَا صَغُرَ الأُرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الّذِى حُبِيتَ بِهِ إلاّ إلى جَنْبِ قَدْرِكَا(٢)

تَحَاسَدَتِ البُلْدَانُ حَتّى لَوَ انَّهَا

نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ نَحْوَكَا(٣)

فكتب إليه الصاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً وَرَدَدْنا لوقتها الباقيات

لستُ أستغنم الكثير فطبعى قول خُذ ليس مذهبى قول هات

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتهنا بصور : أى أتهنأ بصور ؛ فحذف همزة الاستفهام لما دلت عليه أم ولين همزة تهنأ للوزن . يقول : أتهنأ بولاية صور أم نهنئ صورا بك ؟ ثم قال : وقل لك الذى صور له وأنت له :أى أنت أحد أصحابه » يعنى ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق ـ أى لو كنت تملك مايملكه ـ لعد ذلك قليلا بالنسبة إلى ماتستحقه ، فصور ـ فى الشطر الثانى ـ مبتدأ ؛ وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكا : متعلق بقل ؛ وفى مثل هذا . يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أُهَنِّيكَ بطوسٍ أمْ نُهَنِّى بكَ طوسا

أصبحَت بعد طلاقٍ بك يا فضل عروسا

ويقول أشجع السلمى :

إن خراسان وقد أصبحتْ ترْفع مِنْ ذِى الهِمّةِ الشانا

لم يَحْبُ هارون بها جَعْفراً لكنه حابَى خراسانا

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكى]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحبيت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك ، وإلا فهى عظيمة الشأن فى نفسها .

(٣) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضا على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرٌ لا تكُونُ أَمِيرَهُ ... وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمٍ بَكَى (١)

***

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة فى الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إلاَّ كَا ... لا لِسِوَى وُدِّكَ لِى ذَا كَا (٢)

وَلاَ لِحُبِّيهَا وَلَٰكِنَّنِي ... أَمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَاكَا (٣)

لسعى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلمساً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير فى كلامهم ، قال أبو تمام :

لوْ سَعَتْ بَلدَةٌ لإعظامِ نُعمى ... لسعَى نحوَها المكانُ الجديبُ

وقال البحترى :

ولوَ أن مُشتاقاً تكلفَ فوق ما ... فى وسْعهِ لسَعَى إليكَ المِنبَرُ

(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح — ههنا — تامة . والواو — من قوله ولو أنه — واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للمصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .

(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشىء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنادمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن — ههنا — نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فما نُبالى إذا ما كنتِ جارتَنا ... أن لا يجاورَنا إلاكِ ديَّارُ (١)

(٣) لحبيها : أى لحبي إياها — يعنى الخمر — كنى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأنى أحب الخمر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعداؤك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

---

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى مابها أحد ، وهو فيعال : من دار يدور يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكترث لعدم مجاورة غيرك لنا .



وقد كان تاب بدر بن عمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارتجالا :

يَا أيُّهَــــا المَلِكُ الَّذِى نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فى مِلْكِهِ لا مُلْكِهِ (١)

فِى كلِّ يَوْمٍ بَيْنَنَا دَمُ كَرْمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفْكِهِ (٢)

وَالصِّــــدْقُ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ فَنَبِّنَا

أَمِــــنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ (٣)

وقال فى محمد بن طغج وهو عند طاهر العلوى :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِى أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَا (٤)

وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فى وَقْــتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَا (٥)

* * *

وقال فى أبى العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة فى داره فقال :

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ فى وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فى الْوَصْفِ لَكَ (٦)

---

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك فى مالك ، لا فى ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

ومَنْ كثرت فى ماله شركاؤه غدا فى مَعَاليه قليلَ المشارِكِ

(٢) جعل الخمر دم الكرم ، وجعل شربها سفكا لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .

(٣) يقول الصدق ديدن الكرام الأشراف فخبرنا عن أيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فنبنا ، هى فنبئنا ، فترك الهمز .

(٤) و (٥) يقول – وكان عنده فى مجلس الشراب ليلا وأطال – : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجىء إليك الدار اشتياقا إليك ومحبة لك .

(٦) يقول : إن كان قد أحسن فى وصف البركة فقد ترك الحسن فى وصفه إياك إذ لم يصفك ولم يمدحك .



لِأَنَّكَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ لَتَأْنَفُ مِنْ مَدْحِ هَذِى الْبِرَكْ (١)
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لا ما مَلَكْتَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلاَ ما مَلَكْ (٢)
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرْيِهَا مَا وَهَبْتَ
وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكْ (٣)
أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ وَدُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكْ (٤)

* * *

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام كأنه ينعى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها فى شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وفيها قتل :

فِدًا لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا فَلاَ مَلِكٌ إِذَنْ إِلاَّ فَدَاكَا (٥)

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدى : والذى سمعته فى معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان قد شبه البركة بأبى العشائر ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن فى وصفك حيث شبهها بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .

(٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تفنى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يفنى مايظفر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا ـ حيث قال ولا ما ملك ـ مجازاً ، ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .

(٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ماجرى من هباتك وعطاياك أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها .

(٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أيهذا الوزير لا زال يفديـ ـك من الناس كلُّ مَنْ هُو دُونَكْ
وإذا كانَ ذاكَ أوجبَ قولى أنْ يكونوا بِأسرهِمْ يَفدونكْ

هذا : ويقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأنقذه ؛ وفداه بنفسه وفداه : إذا قال له جعلت فداك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر



وَلَوْ قُلْنَا فِدًى لَكَ مَنْ يُسَاوِى دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلاَكَا[١]
وَآمَنَّا فِــدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وإِنْ كَانَتْ لِمَمْلَــكَةٍ مِلاَكَا[٢]

أو له يمد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء ـ بالتنوين ـ إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعى للنابغة :

مَهلاً فِدَاء لك الأقوامُ كلهُمُ وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِن ولَدِ

وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وتمده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالو فداك . وقال فى موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال النابغة ـ وعنى بالرب : ـ النعمان بن المنذر ـ

* فَدًى لك مِنْ رَبٍّ طريفى وتالدى *

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقليه قلى وقلاء إن فتحت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيبويه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفى الحديث : «وجدت الناس أخبر تقلة[١]» وتقلى الشىء تبغض قال كثير :

أَسِيئى بِنا أوأَحْسِنِى لا مَلومَةٌ لدينا ولا مَقْلِيةٌ إنْ تَقلَّتِ[٢]

يقول المتنبى : ولوقلنا يفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولايساوونك : وقال ابن جنى : المراد أن الخلق كلهم فداء الممدوح لأنهم يقصرون عن مداه فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك فى الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وآمنا : عطف على قوله دعونا . وملاك الشىء : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه : إذا كان يفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبارة العكبرى : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكهم المترفين ، وإن كان من

---

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث: وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غايب .



وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً ... وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشِّبَاكَا[1]

وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهُ ... وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ السُّكَاكَا[2]

فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمُ صَدِيقاً ... لَقَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ عِدَاكَا[3]

لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَباً نَحِيفاً ... إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَا[4]

بين تلك النفوس من هو ملاك مماسكة ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إضافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظ لهم فى الملك . . . فقوله فداءك : مفعول ثان لآمنا مقدم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يفتعل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً فى جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذى هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذى يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : يروى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمنا فداءك كذلك من ألصقه عماه وغفلته بالتراب أو بالحضيض — وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والخلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن والتك قلوبهم فقد عادتك أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بوناً بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك فى الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة — من الضنك الذى هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجاج يصف جارية :

فَهِىَ ضِنَاكٌ كَالْكَثِيبِ الْمُنْهَالْ ... عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِى الْأَسْهَالْ

* ضَرْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بِالتَّهْتَالْ *[1]

---

(١) الضناك : الضخمة — كالكثيب الذى ينهال عزز منه — أى سدد من الكثيب ضرب السوارى : أى أمطار الليل ، فلزم بعضه بعضاً . شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر ، وهو معطى الأسهال : أى يعطيك سهولة ماشئت .



أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي ... بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا[١]

وَقَدْ حَمَّلْتَنِي شُكْراً طَوِيلاً ... ثَقِيلاً لاَ أُطِيقُ بِهِ حَرَاكَا[٢]

أُحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا ... فَلاَ تَمْشِي بِنَا إِلاَّ سِوَاكَا[٣]

لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً ... يُعِينُ عَلَى الإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَا[٤]

يبين المتنبي الوجه فى معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المآثر والمحامد ، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته ، والنحف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم :

سَليلُ خِلافَةٍ وغـذىُّ ملكٍ ... جَسيمُ مَحامِدٍ مَنْهُوكِ مَالِ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبي بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك فلم يدع حبك فيه لغيرك مكاناً ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لا أشرِكُ النَّاسَ فى محبّتِهِ ... قَلبي عَنِ العالَمِينَ قد خُتِمَا

(٢) وقد حملتنى : عطف على الحال — فى البيت السابق — والحراك بمعنى الحركة . كنى بثقل الشكر عن كثرة النعم التى تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

قدْ قُلت للعبـاسِ معتذِراً ... من ضَعْفِ شُكريهِ ومُعْترفا

لا تُسْدِيَنّ إلىّ عارفـةً ... حتى أقومَ بشكرِ ما سلفا

(٣) الضمير — فى يشق — للشكر ؛ والسواك : بطء السير من عجف أو إعياء ، يقال تتساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلى ضعيفة ، قال الشاعر :

إلى الله أشكو ما جَرى بجيادنا ... تساوَكُ هَزْلَى مُخهنّ قليـل .

يقول : أحاذر أن يثقل هذا الشكر على دوابى لكثرة ما حملتنى منه — والمراد النعم — فلا تمشى بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير فى يجعله : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلا ، فأضمر للأول وفسره بالثانى . والذرا : الكنف والناحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق سلما لإقامتى عندك بأن أصلح أمورى وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلى إلى حضرتك فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفى هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تقولُ سُليمى لَوْ أقمْتَ بِأَرْضِنا ... ولَمْ تَدرِ أنى لِلْمُقامِ أُطَوِّفُ

وَلَوْ أَنِّى اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِى ... فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا(١)

وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِى ... نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكَا(٢)

أَتَتْرُكُنِى وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِى ... فَتَقْطَعَ مِشْيَتِى فِيهَا الشِّرَاكَا(٣)

أَرَى أَسَفِى وَمَا سِرْنَا شَدِيداً ... فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَا(٤)

وقول أبي تمام :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كم افتراقٍ ... أظلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ

وليسَتْ فَرْحَةُ الأوبَاتِ إلا ... لِمَوْقُوفٍ على تَرَحِ الوَدَاعِ

(١) يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصرى إلى أحد بالنظر إليه حتى أعود إليك ، قال أبو النجم :

لمَّا تيقَّنْتُ أنِّى لا أعايِنُكم ... غَضضتُ طرْفى فَلَمْ أُبْصِرْ بهِ أحَدا

وقال صريع الغواني :

إن يَحْجُبُوها عَنِ العُيونِ فقَدْ ... حَجَبْتُ طرْفى لها عن البشر

(٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفاني ماجدت به على ولم يكفك ذلك فتأبى إلا أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا أسرع العود إليك : وفيه نظر إلى قول البحتري :

فَلَمْ أَمْلَ إلا مِنْ مَوَدَّتِهِ يَدِى ... ولا قات إلا مِنْ مواهِبِهِ : حسبى

(٣) أتتركني : أراد أأتركك فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛ والاستفهام إنكاري : أي لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام : والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من انتعل عين الشمس ، وإذا فارقتك فارقتني هذه الرفعة ، فكأني مشيت في تلك النعل حتى قطع مشيي شراكها . وإليك عبارة ابن جني : بحصولي عندك وقصدي لك شرفت عند الناس ، فإذا بعدت عنك زال ما كسوتنيه من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت نعله عين الشمس فمشى فيها فانقطع شراكها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنا : حال معترضة بين مفعولي أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله السقوط على الركب . يقول: أرى أسفي لمفارقتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف يكون أسفي إذا جد بنا المسير ؟ وفي هذا المعنى يقول سحيم عبد بني الحسحاس :

وَهٰذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَا كَا(١)

إِذَا التَّوْدِيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتَ لَا صَاحَبْتَ فَا كَا(٢)

وَلَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةٌ لَقُلْتُ وَلَا مُنَا كَا(٣)

أَشَوْقًا ولمَّا يَمْضِ غيرُ لُيَيْلَةٍ فكيف إذا جَدَّ المطيُّ بِنا عشرا ؟

وقال أشجع السلمى :

فما أنتَ تَبْكِي وَهُمْ جيرةٌ فكيف تسكونُ إذا ودّعوا

لقدْ صنعوا بِكَ مَالا يَحِلُّ ولوْ راقبوا اللهَ لَمْ يَصْنَعوا

أَتطمَعُ فى العَيْشِ بعد الفِراق مُحَالٌ لعَمْرُكَ ما تطمَع

وقال آخر :

لقد كنتُ أبكي خيفةً لفِراقه فكيف إذا بَانَ الحبيبُ فودّعا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك ـ لغتان ـ أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل فى عمل السيف ولم نتفارق وأثر فى تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا حضر الوداع قال لى قلبي الزم الصمت بعد مفارقته ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت فاك : أى لانطقت . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والمنى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا مناك فى الارتحال حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى الممدوح . وعبارة بعض الشراح : قوله ولا منا كا : أراد ولا صاحبت مناك ـ بضم تاء صاحبت ـ ضمير الشاعر ، أو بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين ـ فى البيت السابق ـ يقول : ولولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت مناك أيضا : أى لا كانت لك منية تتمناها ، وهو دعاء عليه باليأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرحيل حينئذ ، فهو من جملة تلك المنى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال المنى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى عند الممدوح .

قَدِ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ ... وَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا(١)

فَأَسْـــتُرُ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي ... هُمُوماً قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَاكَا(٢)

إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِـــدَاداً ... وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَاكَا(٣)

وَكَمْ دُونَ الثَّوِيَّةِ مِنْ حَزِينٍ ... يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بِذَاكَا(٤)

---

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه — : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للممدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تداويت من فراقه بمـا هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويروى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق الممدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا داويت شوقك بفراقه فقد داويته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :

أَرَى بَصرِى قد رَابَنِي بعد صحة ... وحَسْبُكَ داء أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا

وقال بعضهم :

أفضَى بك الهجـــر إلى آلِمَا ... فجئت من داء إلى داء

(٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فأسترعنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عراكها ومغالبتها .

(٣) الركاك : الضعاف ، جمع ركيك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هـــذه الهموم — هموم الشوق إلى الأهل — ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمعت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه الهموم فى فراق الممدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها . ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كم أُمـــورٍ عاصَيْتُهُنَّ زماناً ... ثم هوَّنتهـــا علىَّ فهانت

(٤) الثوية ؛ مكان بالكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدومى فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمـام :

ولَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلا ... لمَوْقوفٍ عَلَى تَرَحِ الوَداعِ



وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنخْنَا ... يُقَبِّلُ رَحْلَ تُرْوَكَ وَالوِرَاكَا(١)

يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطِّيبَ بَعْدِي ... وَقَدْ عَبِقَ العَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا(٢)

وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ ... وَيَمْنَحُهُ البَشَامَةَ وَالأَرَاكَا(٣)

يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّـــوْمُ عَنِّي ... فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا(٤)

وقال ابن الرومى يخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فقلتُ لها إن اكْتئاباً بشاخِصٍ ... سَيُتْبِعُهُ اللهُ ابتهاجاً بِقَـــادِمِ

(١) ومن عذب : عطف على من حزين ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أى أنخنا مطايانا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حمله عليها عضد الدولة ؛ والوراك : النمرقة :التى تلبس مقدم الرحل ثم تثـنى تحته يزين بها ، والجمع ورك . قال زهير :

مقوَّرَةً تتبارَى لا شَوارَ لهـا ... إلاالقطوعُ على الأجْوَاز والوُرُكِ(١)

يقول : وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا مطايانا قبل رحل ناقتى ووراكها لأنها أدتنى إليه .

(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثلكِ مُعْجَبَـــةٍ بالشبـ ... ـابِ صاكَ العبير بأجلادها

والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزنا على فراق ، وهو مع ذلك تشم منه راوئح الصب حتى لـكأن الطيب قد لصق به .

(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولـكنه يبذل ثغره لسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدومى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه حدثه عن إحسانك إلى حتى يعذرنى فى الإقامة عندك .

---

(١)الشوار والشارة : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة يابسة ـــ من الضمر ، والمقور أيضا من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفى البعير ، والأجواز : الأوساط .



وَأَنَّ البُخْتَ لاَ يُعْرِقْنَ إلاَّ ... وَقَدْ أَنْضَى العُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا[١]

وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ ... إذَا انْتَبَهتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا[٢]

وَلاَ إلاَّ بِأَنْ يُصْغِى وَأَحْكِى ... فَلَيْتَهُ لاَ يُتَيِّمُهُ هَوَاكَا[٣]

وَكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِى ... أَيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائِى أَمْ عُلاَكَا[٤]

وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكاً ... وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِى وَالمَدَاكَا[٥]

---

(١) البخت الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى السمان من الإبل ؛ ويعرقن : أى يأتين العراق ؛ والكوفة بلد أبى الطيب ـ : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللكاك : المكتنزة اللحم . يقول : وليت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لاتبلغ العراق إلا وقد أنضاها ثقل ماحملت من عطاياك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عنى فلست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه توهمه كذبا : أى أنى آبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ماوصف له الحلم .

(٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، لحذف الفعل للعلم به ـ يقول : ولاأرضى بشىء إلا بأن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمـــك وإفضالك ، فليته عند ذلك لايتيمه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان؛ و«فليته» و«لايتيمه»على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الياء من يصغى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكم من إنسان تطرب مسامعه إذا سمع شعرى فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علوشأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؟وعبارة العكبرى : والمعنى كلا هما عجب لأنى أثبت فى شعرى من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ماليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟

(٥) النشر : الرائحة الطيبة ؛ ويريد به : الثناء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاية التى يداك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرائحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك؛ وكان شعرى بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلاَ تَحْمَدْهُمَا وَاحْمَدْ هُمَامًا ... إِذَا لَمْ يُسْمِ حَامِدُهُ عَنَاكَا (١)
أَغَرَّ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ ... غَداً يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَا (٢)
وَفِي الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ ... وَآخَرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَا (٣)
إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى (٤)
أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعٍ ... لِعَيْنِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُولاَكَا (٥)

وما ازدَادَ فَضْلٌ فيكَ بِالْمَدْحِ شُهْرَةً ... بَلَى كَانَ مِثْلَ المِسكِ صادَفَ مُحُوضا

[المحوض : الذى يحرك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحه ، كذلك هذا الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس ولا يزيده فضلا] .

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا تحمد الفهر والمداك اللذين جعلتهما مثلا لشعرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده يعنى بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إنعامك ولم أذكر اسمك كنت أنت المعنى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

وإن جرَتِ الألفاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إنساناً فأنتَ الذِى نَعنِي

(٢) أغر : صفة لهماما ؛ والمراد بالأغر : الشريف ؛ والشمائل : الأخلاق . يقول أنت ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بنيك ، فهم غدا : أى إذا شبوا عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم ـ يلقون أباك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك . قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أباك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففيهم من يكون حزينا عند فراق أحبته مختصا بالوجد دون غيره ، وفيهم من يدعى الاشتراك فى الوجد وليس لدعواه حقيقة ، يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .

(٥) يقولون : أذم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأذم له على فلان : أخذ له الذمة ليجيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاكا : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح



فزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِى رِكَابٍ ... لهَا وَقْعُ الْأَسِنَّةِ فِي حَشاَ كَا(١)

وَأَيًّا شِئْتِ يَا طُرُقِى فَكُونِى ... أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلاَ كَا(٢)

فَلَوْ سِرْنَا وفى تَشْرِينَ خَمْسٌ ... رَأَوْنِى قَبْلَ أَنْ يَرَوُا السِّما كَا(٣)

فى معنى البيت ، فذهب ابن جنى إلى أن المعنى : أن مكرمات أبى شجاع أخذت لعينى عهداً من البعد أن تكون فى مأمن من تلك الدموع : أى دموع المتباكى ، يعنى أن مكرماته تمنع عينى أن تجرى على فراقه دموعا كاذبة لأنه قد ملك قلبى بإحسانه ، فأنا أبكى على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة فى أولاكا للدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عينى وعقدت لها عقدا على أهلى من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة فى أولا كا لأهله ، وهذا على رواية نواى ؛ وروى : ثواى — مقصور الثوى — أى المقام ، يعنى أن مكرماته أذمت لعينى من المقام عليهم — أى على أهله — أى عقدت لعينى عقدا يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولا كا متعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد، يقول: تنح عن أيدى هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول — لطريقه — : كونى كيف شئت فإنى لا أبالى وإن كان الهلاك فى سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛ والسماكان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شىء ، والمراد هنا : السماك الأعزل، وقد كان هذا النجم يطلع فى الثالث عشر من تشرين الأول. يقول: لو سرنا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرآنى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدآبه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة — بلده — وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة مايزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُمْنُ فَنَّاخُسْرَ عَنِّي قَنا الْأَعْدَاءِ وَالطَّعْنَ الدِّرَاكَا(١)

وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِلَاحًا يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَا(٢)

وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا(٣)

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا(٤)

حَيِيٌّ مِنْ إِلٰهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَا(٥)

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والطعن الدراك : المتتابع . يقول : سعده ويمنه يطرد عنى رماح الأعداء وطعنها المتتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك — على حذف العين — حاد ذو شوكة يقول : رضاه عنى بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عنى . هذا : والسلاح اسم جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد — يؤنث ويذكر والتذكير أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر — مثل حمار وأحمرة ورداء وأردية — ويجوز تأنيثه . قال الطرماح — يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهُزُّ سِلَاحًا لَمْ يَرِثْهَا كَلَالَةً يَشُكُّ بِهَا مِنْهَا أُصُولَ الْمَغَابِنِ(١)

(٣) هذا استفهام إنكارى . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معناك ، وهذا كقول عمران ابن حطان :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا فى انطلاقى من عندك وسرعة عودى إليك كالسهم إذا رمى به فى الجو فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا البيت والذى قبله إلى أنه ينوى الرجوع إليه .

(٥) حيي : أى أنا حيي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إنى أستحيي من إلهى أن يرانى وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكل إليك أرزاق العباد ، فكأنى إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

(١) سمى روقيه سلاحا لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول ؛ لم يرثه كلالة أى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

. . . .

جنى : واصطفاكا ــ بكسر الطاء ــ قال وهو من باب قصر الممدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر الممدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وأنتَ لو باكرتَ مشمولةً صَفْرًا كلَوْنِ الفرس الأشقر

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحى من الله إذا فارق دار الممدوح واختياره له ؟ بل لاوجه لحيائه فى فعله ذاك ، وإنما يستحي من الله إذا فارق دار الممدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحي من خالقه وإنما يقول : أستحي من الله أن أفارقك، وقد اصطفاك ووكل إليك الأرزاق ؟ ألا تراه كيف بين وجه حيائه ، إذ ذكر اصطفاءه ولو لم يذكره لـكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمدبن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر فى شعرى ممدوداً إلا فى موضع واحد وهو :

خذ مِنْ ثناى عليك ما أسطيعه لا تلزِمَنّى فى الثناء الواجبــا

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه فى هذه القصيدة بما لم يقع له فى غيرها وما لم يخطر على قلبه فى جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وترامبها فى البلاد ، وقد وقع له فى أثنائها كلام كأنه ينعى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحاله من شيراز ومفارقته لأعمال فارس قتل فى الطريق كما تراه فى مدخل هذا الشرح وهذا ــ عمرك الله ــ من غريب الاتفاق .



قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أيُّهَا المَلِكُ الجَلِيلُ ... تَأَنَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ (١)

وَجُودَكَ بِالمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً ... فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ (٢)

لِأَكْبِتَ حَاسِداً وَأُرَى عَدُوًّا ... كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ (٣)

---

(١) تأن : تمهل ، ويروى : تأى توقف ؛ والضمير فى عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأن ؛ وتنيل : تعطى . يقول: أمهل سيرك وترفق فى رحيلك واحسب هذا التمهل من جملة ماتعطيه ، يعنى أنا نعده منك نوالا وعطاء لو أقمت ساعة ؛ وهو ماذكر فى البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام: الإقامة؛ وقليلا : خبر كان محذوفة بعد «لو» ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجود به لايعد قليلا، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلا نظرةٌ إن نظرتُهَا ... إليكِ وقلٌّ منكِ غيرُ قليلِ

وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلّ منكَ يَكثُرُ عندى ... وكثير ممّنْ تحب القليـلُ

(٣) الكبت : الإغاظة والإذلال؛ وأصل الكبت: الكبد فقلبت الدال تاء، أخذ من الكبد ، وهو معدن الغيظ والأحقاد ، فكأن الغيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد وأرى من الورى ــ وهو إصابة الرئة. وقال أهل اللغة : الورى ــ على مثال الرمى ــ قرح شديد يقاء منه القيح والدم؛ والعرب تقول للبغيض إذا سعل وريا وقحابا . وللحبيب إذا عطس رعياً وشبابا ، وفى الحديث «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرله من أن يمتلىء شعراء » يقول المتنبى : جد بالإقامة لأكبت من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام فى قبح الوداع :

وَيَهْدَأُ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَكْنَا
أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَبِيلُ(١)

وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلاً فى سَمَاحٍ   فَهَا أَنَا فى السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ(٢)

وَمَا أَخْشَى نُبُوَّكَ عَنْ طَرِيقٍ   وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِى الصَّقِيلُ(٣)

وَكُلُّ شَوَاةِ غِطْرِيفٍ تَمَنَّى   لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ(٤)

قَبُحْتَ وزدْتَ فوْقَ القُبْحِ حتى   كأنكَ قد خُلقتَ من الوداع

(١) ويهدأ : عطف على أكبت ؛ وتغلب : قبيلة الممدوح ؛ والحيا : المطر ؛ والقبيل: العشيرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلا من أياديك الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر فى الكثرة وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

فقلت نَدَى السماء أم ابن وَهْبٍ   تجلَّى نُورُهُ أم عاش وهبُ

(٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف الدولة فى الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عطاءٌ لوِ اسْطاعَ الذى يَسْتَمِيحُهُ   لأصبحَ مِن بين الورَى وهْو عاذلُ

وقال البحترى :

إلى مُسرفٍ فى الجودِ لوْ أن حاتماً   لديه لأضحى حاتمٌ وهْو عَاذِلُهْ

وقال ابن القطاع : الضمير فى «له» للسحاب ، يعنى صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه فى السماح مخافة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : الكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال . يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضى الصقيل ، والسيف إذا كان ماضيا لا يخاف عليه الكلال . يريد : إنى لم أطلب إليك عدم الرحيل فى المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشواة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والغطريف : السيد الكريم فى قومه وتمنى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتمنى . والمفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعنى لشرفك لا يستنكف السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك تشرفا بك ، وفى هذا نظر إلى قول أبى تمام:

وَمِثْلِ الْعَمْقِ مَمْلُوءٍ دِمَاءً ... جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولُ(١)
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا ... فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ(٢)
وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ ... أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ(٣)
أَتَخْفِرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَالِي ... وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ(٤)

مضَى طاهِرَ الأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ ... غداةَ ثَوَى إلاَّ اشتَهَتْ أنها قَبرُ

(١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الموضع العميق ؛ وقيل واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكترث لذلك ، فكيف أخشى عليك قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول؛ يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه تعود أن يخوض ماهو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ماخشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول :من تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يمتنع عليه ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بعثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والخامل : الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته بالمحن تخفره وتجيره منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نشرتُكَ مِنْ مَوتِ الخمول بِقُدْرَتِي ... لِمَا هو أدهى لو عَلِمتَ وأنكَرُ(١)

هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنعه، وكذلك خفره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

---

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبى ، وقبله :

أخالد أعييتَ الهجاء وَفَنَّهُ ... فقولى وإن أبلغتُ فيكَ مُقصر .

وبعده :

وللموت خير لامرئٍ مِنْ نشورِه ... إذا كان للتخليد فى الناس يُنشَرُ

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ(١)
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلاَّ الْقَطْعَ فِعْلٌ وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ(٢)
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَّالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنِيَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ(٣)
يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ(٤)
فَلَوْ قَدَرَ السِّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ(٥)

ولكنَّنى جَمْرُ الغَضى من ورائه يُخَفِّرُنِى سيفى إذا لم أُخَفَّرِ

والاسم من ذلك الخفرة والخفارة والخفارة ـ بالفتح والضم ـ ويقال أخفرته إذا بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الذمة : لم يف بها .

(١) الحسام: السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال وأنت حسام يعيش به القتيل : أى أنك تحيي من قتله الفقر وأماته الذل بجودك — كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم . ومثله قول الكميت :

ومالى إلا آل أحمدَ شيعةٌ ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا صبرا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقد الرجل على الكلام ولا الفرس على الصهيل . فقوله صبرا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهومقول القول.

(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن ينالك مع طوله هيبة لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترىء على مطاعنته .

(٥) يقول : لوكان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحيد عنك وأقصر ـ مع طولى ـ عن طعنك لهيبتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيف لو نطقا لَخَبّرَا عنك يوم الروع بالعجب

وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْداً   وَلَـكِنْ لَيْسَ لِلدُّنيَا خَلِيلُ(١)

وقال يرثى والدة سيف الدولة وقد توفيت بميّا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وأنشده إياها فى جمادى الآخرة من السنة :

(١) نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي   وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلاَ قِتَالِ(٢)

(٢) وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ   وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي(٣)

وللحصفى :

يُثنى عليك إذا النفوس تطايرت   حَدُّ الْمُهَنَّدِ والسنانُ اللهذَمُ

وأصله قول عنترة :

لو كان يعلم ما المحاورة اشتكَى   ولكانَ لوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمى

(١) يقول : لوجاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولـكن الدنيا لاتخلد أحدا وشنشنتها إفناء خلانها ، فهى مطبوعة على الغدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فلو كان حىٌّ فى الحياة مخلداً   لخلدتَ لكن ليس حىٌّ بخالد

ومثله لمحمد بن يزيد المهلبى :

لو خلد الله مخلوقاً لِنَجْدته   لكان ربُّكَ فى الدنيا مخلِّده

(٢) المشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالى: الرماح ؛ والمنون : المنية ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤنث ويذكر ، ويكون واحدا وجمعا : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولـكن المنية تخترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تغنى عنا تلك الأسلحة شيئا .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدناة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والخبب : ضرب من العدو ــ الجرى ــ لا يستفرغ الجهد: يقول : ونرتبط الخيول الـكريمة لتنجو بنا إذا ألم بنا حادث ، ومع هذا لاتنجينا من سعى الليالى ، وخببها فى آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركنا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن طاهر فى الدهر :

كأننا فى حُروبٍ مِنْ حوادِثه   فنحْنُ من بين مجروح ومَطعونِ



(٣) وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا ... وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (١)

(٤) نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ (٢)

(٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ (٣)

(٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ (٤)

---

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال: يروى إلى وصال ـ أى مواصلة ـ يقول : من الذى لم يعشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك ـ الأول ـ مبتدأ . خبره : نصيبك ـ الثانى ـ يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيبه فى حياته كحظه من وصال خياله فى منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كالمنام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

وقال التهامى :

فالعيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سارى

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحتى : ابتدائية ؛ والغشاء : مايغطى الشىء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبى فجائعة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار فى غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدة التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رمانى الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبى ، إذ لا تجد لها موضعاً للاصابة ، وإنما تتكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالت على حتى هانت عندى والشىء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع ـ وما أكثر ما يتجنى على المتنبى ـ قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمى من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

(٧) وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بالرَّزَايَا ... لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي[١]

(٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا ... لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ[٢]

لم يَنْتظرْن فتستبيك قلوب ... حتى رَمَيْنَ فَرَشْقهنَّ مصيبُ

نَجْلٌ يُتَبِّعْنَ السهامَ بمثلها ... فلهن مِن تحتِ الندوب ندوب

فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخى ذى الرمة .

ولم يُنْسِنِي أوفى المصيباتُ بعدهُ ... ولكِنَّ نَكْأَ القرح بالقَرْح أوجعُ[١]

(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رمانى الدهر . يقول : وهان الدهر على فلا أحفل بمصائبه علما بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسى :

وقد جَعَلتُ نفسى على البَيْنِ تنطوى ... وعَيني على فقد الحبيب تنام

وفارقتُ حتى ما أبالى من النوى ... وإن بان جيران علىَّ كِرام

ومثله قول الخريمى :

صبرتُ فكَان الصبرُ خير مغبَّةٍ ... وهل جزع أجدى علىَّ فأجزَعُ

ويروى بدل هان فما أبالى : وها أنا ما أبالى .

(٢) يقول : هذا الناعى ــ وكان نعيها ورد إلى أنطاكية ــ أول الناعين جميعا لأول امرأة ماتت فى هذا الجلال ، يعنى لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة ــ بفتح الميم ــ

---

(١) قيل إن إخوة ذى الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعودا رثى بشعره بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب عليها ، وقبل هذا البيت :

تعزَّيتُ عن أوفى بِغيلانَ بعده ... عَزاءً وجَفنُ العين مَلآنُ مُترَع

نعى الرَّكبُ أوفى حين وافت رِكابُهُمْ ... لعمرى لقد جاءوا بِشَرٍّ وأوجعوا

نعَوْا باسِقَ الأخلاقِ لا يخلفونه ... تكاد الجبالُ الصُّمُّ مِنه تَصدَّعُ

خوَى المَسْجدُ المعمور بعد ابْنِ دَلْهَمٍ ... وأمسى بأوْفى قومُه قد تضعضعوا

(٩) كأنَّ الموتَ لمْ يَفجعْ بنفسٍ ... ولمْ يَخطُرْ لمخلوقٍ ببالِ (١)

أى ميتة ، خففت ؛ ورويت ميتة – بكسر الميم – يعنى الحال التى ماتت عليها، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طراً أى جميعا منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلاحالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بنى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنعى والنعى: خبر الموت أو الدعاء بموت الميت، والإشعار به ،نعاه ينعاه نعيا ونعيانا، وقال الجوهرى . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا . أى انعه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال ، بمعنى أدرك وانزل ، وأنشدوا للكميت .

نعاءِ جُذاماً غيرَ موتٍ ولا قتلٍ ... ولكن فِراقاً للدعائم والأصلِ

(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت – وليس من قبيل بيت المتنبى ، ولكنه ينظر إليه من بعيد – قول الحسن البصرى . مارأيت حقا أشبه بباطل من الموت وقال البحترى .

ولمْ أرَ مثلَ الموتِ حقًّا كأنهُ ... إذا ما تخطتْهُ الأمانىُّ باطِلُ

وقال زين العابدين أو جرير

نُراعُ إذا الجنائزُ واجهتنا ... ونلهو حين تغدو رائحاتِ

كروعةِ ثُلةٍ لمغارِ ذِئبٍ ... فلما غاب عادتْ راتعاتِ (١)

وأخذه محمد بن وهب فقال .

نُراعُ لذكرِ الموتِ ساعةَ ذِكرِهِ ... وتعترض الدُّنيا فنلهو ونلعب

يقينٌ كأنَّ الشَّكَّ أغلبُ أمرِهِ ... عليهِ وعِرفانٌ إلى الجهلِ يُنسَبُ

(١) الثلة . القطيع من الغنم .



صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ (١)
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ (٢)
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصاً جَدِيداً ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي (٣)

---

(١) صلاة الله : مغفرته ورحمته ؛ والحنوط : طيب يخلط لغسل الميت يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت ، وجعل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفى ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار ، وهو من قول النمري

تحيَّاتٌ ومغفرة ورَوح على تلك المحلَّةِ والحلول

وعبارة ابن الأفليلى : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التى غيبها الجمال كما غيبها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه — فى البيت السابق — وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق فى جانب القبر ، والخلال : الخصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن فى الترب ، وقبل أن تدفن فى اللحد كانت مدفونة فى كرم الخلال : أى أنها كانت محجبة مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصالها يمنعها ويعفها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أى ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنلزمكموها » وأنشد سيبويه

وقد جعلت نفسى تطيب لضغمة لضغمهماها يقرع العظم نابها (١)

---

(١) الضغم : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه مما أهوى إليه ، ومنه سمى الأسد ضيغما — بزيادة الياء — قال الشنتمرى : وصف هذا الشاعر عضة أصابه بها رجلان فيقول . قد جعلت نفسى تطيب لإصابتهما بمثل الشدة التى أصابانى بها ، وضرب الضغمة مثلا ثم وصف الضغمة فقال يقرع العظم نابها فجعل لها نابا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدى والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبل التفرق شربة يمر على باغى الظلام شرابها

« والظلام جمع ظلامة »



(١٣) وَمَا أَحَــدٌ يُخَلَّدُ فِى الْبَرَايَا ... بَلِ الدُّنْيَا تَؤُولُ إِلَى زَوَالِ

(١٤) أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتًا ... تَمَنَّتْهُ الْبَوَاقِى وَالْخَــوَالِى (١)

(١٥) وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَىْ يَوْمًا كَرِيهًا ... يُسَرُّ الرُّوحُ فِيــهِ بِالزَّوَالِ (٢)

(١٦) رِوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ ... وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِى كَمَالِ (٣)

(١٧) سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِى الْغَوَادِى ... نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِى النَّوَالِ (٤)

(١٨) لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ ... كَأَيْدِى الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ الْمَخَالِى (٥)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى فى القبر إلا أن ذكرنا إياه جديد باق أبداً لايبلى : قال الخريمى :

وإنْ تكُ للبِلَى أمسيتَ رَهْنًا ... فقدْ أبقيتَ مَجْدًا غَــيْرَ بَالِى

(١) الخوالى : المواضى . يقول : مت فى العز والعفاف ، فموتك كان موتاً يتمنى مثله من بقى النساء ومن مضى منهن . وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخيرى الدنيا والآخرة .

(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارقتنا دون أن ترى يوماً كريها يبغض لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن فى مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهوَّنَ مِنْ وَجْدِى وليس بِهَيِّنٍ ... سَلاَمَتُهَا بِالموت من جَرْعَة الثُّكل

(٣) مسبطر : ممتد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها فى مرثية النساء من الخذلان المبين .. والصاحب مولع بنقد المتنبى وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا فالكلمة لاغبار عليها ؛ وقال العروضى : سمعت أبا بكر الشعرانى خادم المتنبى يقول : قدم علينا المتنبى وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضى : وإنما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت فى هذه الحال من العز المتطاول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذى أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضا كما كان عطاء كفها يفضل عطاء الأكف سخاء ؛ وفيه إرشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحى : الذى يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : القبور ؛ والحفش : شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشا : إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية : سالت



أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِى بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِى (١)
يَمُرُّ بِقَبْرِكِ الْعَافِى فَيَبْكِى ، وَيَشْغَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ (٢)
وَمَا أَهْدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ لَوَ انَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالِ (٣)

والمخالى : جمع مخلاة ، الوعاء الذى يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ فى وصف المطر حيث جعله فى إلحاحه على القبر بالقشر كأيدى الخيل إذا رأت مخالى الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدى : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطر يحفر حفر أيدى الخيل . وقال ابن جنى : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

ولا زالَ قبر بين بُصْرَى وجاسِم عليهِ مِن الوَسْمِىِّ سَحٌّ ووابِلُ
فيُنبِتُ حَوْذانًا وعوفًا مُنَوِّرًا سأُتبِعُهُ من خير ما قالَ قائلُ (١)

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأسرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبته الملازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالى : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدى بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كعادته ، قال البحترى :

فَلَم يَدْرِ رسمُ الدارِ كيفَ يُجيبُنا ، ولا نحنُ مِنْ فَرْطِ البكا كيف نسألُ

(٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعال : الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كعادتك فى الحياة .

---

(١) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .



بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ فَإِنَّ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غَيْرُ سَالِي (١)
نَزَلْتِ عَلَى الكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتِ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ (٢)
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الخُزَامَى ، وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ الطِّلَالِ (٣)
بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الهَجْرِ مُنْبَتُّ الحِبَالِ (٤)
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ المُزْنِ فِيهِ كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ المَقَالِ (٥)
يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ الشَّكَايَا ، وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ المَعَالِي (٦)

---

(١) قال الواحدى : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبي وإن بعدت عنك غير سال عن نوالك ؟ وقال ابن جنى وآخرون: هذا مما وضعه فى غير موضعه ، ولا يجوز أن يرثى بمثل هذا، قالوا: والمعنى هل سلوت عن الحياة فإنى غير سال عن الحزن عليك، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك، وأندبك وإن كنت منتزحا عن موضعك.

(٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعائد محذوف أى بعدت فيه — والنعامى : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التى تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت — على كراهتنا لنزولك — فى مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامى : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحجبت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها فى حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره إياهم ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمل . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدى :

تبدّل دراً غيرَ دارى وجيرةً سوايَ وأحداثُ الزمان تنوبُ
أقام بها مستوطنًا غير أنه على طول أيامِ المُقامِ غريبُ

(٥) الحصان : العفيفة ؛ وحصان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول فى هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن فى النقاء والطهارة ، كاتمة للسر ، صادقة فى القول :

(٦) يعللها : أى يعالجها من علتها ؛والنطاسى: الطبيب الحاذق. والشكايا: واحد


إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ ... سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ (١)


وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ وَلاَ اللَّوَاتِي ... تُعَدُّ لَهَا القُبُورُ مِنَ الحِجَالِ (٢)


وَلاَ مَنْ فِي جِنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ (٣)

مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً ... كَأَنَّ المَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّئَالِ (٤)

شكوى ، يريد الأمراض التى تشكى ، وأراد بواحدها : ابنها سيف الدولة الذى هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالى : أى العالم بأدواء المعالى فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب .

(١) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقى لنفى ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستعارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لغلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعنى : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل فى هذا المعنى قول ليلى الأخيلية :

إذا هَبط الحَجَّاجُ أرضاً مريضة ... تتبَّعَ أقصَى دائها فشفاها

شَفاها مِنَ الداءِ العُضالِ الذى بها ... غلامٌ إذا هَزَّ القناةَ سَقاها

وقال أبو تمام :

وقد نُكِسَ الثغرُ فابعث له ... صدورَ القَنا فى ابتغاء الدواء

(٢) الحجال : جمع حجلة ، بيت صغير فى جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتى يعدلها القبر ستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر .

(٣) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوقة يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أى أنها كانت ملكة .

(٤) حوليها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحواليك وحوالك : الجميع بمعنى واحد ؛



٣٢ وَأَبْرَزَتِ الْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الْغَوَالِي (١)

٣٣ أَتَتْهُنَّ الْمُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ ... فَدَمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ (٢)

٣٤ وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ (٣)

٣٥ وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ

وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ (٤)

والمرو : حجارة بيض براقة ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حواليها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النقس : المداد ؛ والغوالى : جمع الغالية ، أخلاط من الطيب يتضمخ بها. يقول خرجت لموتها نساء كن مخبآت فى الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالمداد مكان الغالية التى كن يتطيبن بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المرثية ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قد كانت الأبكار بيضاً فاغتدت ... سوداً لفقدك أوجُهُ الأبكار

وهَتَكْنَ أستار الحياء وطالما ... سُترت محاسنُهنّ بالأستار

وظهرن للأبصار بعد تَسَتُّرٍ ... بالحُجْبِ دون لواحظ الأبصار

ومثله :

قد كن يَخبأنَ الوجوهَ تستراً ... فالآن حين بَدَوْنَ للنُّظّار

(٢) يقول : فجعن بفقدها على حين غفلة . فبيناهن يبكين دلالا على سبيل الدعابة إذ بكين حزناً ، فاختلط الدمعان ، فهن يبدين الدلال مع الحزن والذلة مع الحسن .

(٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المرثية فى الكمال لفضلن على الرجال . يعنى أن هذه المرثية كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها فى الفضل — أى فضلهن على الرجال — قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول على بن الجهم :

إذا ماعُدَّ مِثلكم رجالاً ... فما فضلُ الرجالِ على النساء

(٤) ما — هنا — تميمية ؛ وذلك أن تجعلها حجازية فتنصب «عيب» و«فخر» يقول :

٣٦ وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا ... قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ (١)

٣٧ يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي ... أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْاوَالِي (٢)

٣٨ وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحِي ... كَحِيلٌ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ (٣)

٣٩ وَمُغْضٍ كَانَ لا يُغْضِي لِخَطْبٍ ، ... وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي الْهُزَالِ (٤)

٤٠ أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ ، ... وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم تزر بها الأنوثة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكورة لا تعد فضيلة فى أحد كما لا يحصل للقمر فخر بتذكير اسمه :

والشمسُ ليسَ بضائرٍ تأنيثُهَا ... وتزيدُ بالنورِ المُنيرِ عَلَى القمرْ

(١) أفجع : مبتدأ ، خبره : من وجدنا ؛ ومفقود المثال : مفعول ثان لوجدنا. يقول أشد المفقودين فجعة على الفاقدين من كان مفقود النظير فى حال حياته ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عمن لا نظير له ؟

(٢) الهام ؛ الرءوس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، فقلب ، وهو كثير فى كلامهم . يقول : ندفن أمواتنا ونمشى على رءوسهم بعد الموت ؛ يعنى لانخلو من فقد ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصـــل فى هـذا المعنى قول النابغة :

حَسْبُ الخليلَيْنِ أن الأرض بينهما ... هـــذا عليها وهذا تحتَها بالِي

(٣) النواحى: الجوانب ؛ وكحيل : بمعنى مكحولة ، خبر«كم» يقول : كم عين كانت تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟ .

(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل فى الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفواً عنه . والخطب : الأمر العظيم . والهزال : النحول : يقول : وكم من إنسان أغضى للموت وكان لا يغضى لنزول خطب به ، وكم من بال تحت التراب وكان إذا رأى فى جسمه هزالا يشتغل قلبه به ويفكر فى علاجه ، وهذا ينظر إلى قول البحترى يرثى غلامه قيصر :

وأصفحُ لِلبِلَى عن ضَوءِ وَجْهٍ ... غَنِيتُ يَروعُنى فيه الشحوبُ

(٥) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذى فجعت به ، فأنت أهل الصبر الثابت على الأرزاء حتى لقت الجبال فى هذا وبودها أن تكون مثلك فى ثباتك .



(٤١) فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّى
وَخَوْضَ الْمَوْتِ فى الْحَرْبِ السِّجَالِ (١)

(٤٢) وَحَالاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فى كلِّ حَالِ (٢)

(٤٣) فَلاَ غِيضَتْ بِحَارُكَ يا جَمُوماً عَلَى عَلَلِ الْغَرَائبِ وَالدِّخَالِ (٣)

(٤٤) رَأَيْتُكَ فى الَّذِينَ أَرَى مُلوكاً كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فى مُحَالِ (٤)

(٤٥) فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ (٥)

* * *

(١) الحرب السجال : التى تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك فى غنى عن أن يصبر ويعزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرست بشدائد الدهر وغمرات الحروب، حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت فى غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فحالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لا أُمسِكُ المالَ إلا رَيْث أُتلِفُهُ ولا يُغيِّرُنى حالٌ إلى حالِ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم: الذى يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : فى موضع الحال من فاعل جموما والعلل: الشرب الثانى بعد النهل ؛ والغرائب : الإبل الغريبة التى ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول ـ على طريق الدعاء ـ لا نقصت بحارك يا بحراً كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقص عطاؤك وإن كثر العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثر وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالى المحن وشدتها . يدعو له بذلك

(٤) المحال : المعوج ، من قولهم حالت القوس والعصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . يقول : أنت بين الملوك كالمستقيم بين المعوج : أى أنك تفضلهم فضل المستقيم على المعوج . وقوله فى الذين أرى ملوكا : أى فى الذين أراهم ملوكا ؛ فملوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف.

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الشىء

وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوى من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إلامَ طَماعِيَةُ العـاذِلِ ، وَلاَ رَأْيَ فى الُحبِّ لِلْعاقِلِ[1]

جملته ، كالمسك ـ وهو بعض دم الغزال ـ وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى : قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربى : كان سيف الدولة يسر بمن يحفظ شعر المتنبى ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك فى الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذى يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف الدولة : كذا حدثنى الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبى واهتز ، فأردت أن أحركه ، فقلت إلا أن فى أحدها عيباً فى الصنعة ، فالتفت المتنبى التفات حنق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم فى محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة، وإنما ضدها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمية ، فكيف تعمل فى تغيير قافية البيت الثانى ؟ فقلت عجلا كرد الطرف :

فإن تفُق الأنام وأنت منهم فإن البَيْض بعضُ دم الدجاج

فضحك ، وضرب بيده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح أن يباع فى سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هى «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما » طلبا للخفة وإعدادا بإلى الجارة ، وكذلك يفعلون فى : «مم» و « فيم » ، و « عم » ، و «علام». و «حتام». والعاذل : اللائم ؛ والواو ـ فى«ولا رأى» حالية.و«الطماعية» مصدر بمعنى الطمع ، كالكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطمع العاذل فى أن أستمع كلامه والحب يقع اضطراراً لا اختيارا ، والعاقل لا يقع فى شرك الحب برأيه واختياره فلا معنى للوم فيه لأن المحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما مِن فتًى فى الناس يُحْمَدُ عقله فيوجَدُ إلا وهْو فى الحب أحمقُ

قال العكبرى : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين قوله فى ظاهره : ولا رأى فى الحب ،من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفى تعلقه به وجوه أحدها يريد إلام يطمع عاذلى فى إصغائى إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع الحب رأى يصغى به إلى قول ناصح فعذله غير مجد نفعا ؟ والثانى أن العاقل لا يرتئى فى



يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (١)
وَإِنِّى لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولِى وَكُلَّ امْرِىءٍ نَاحِلِ (٢)
وَلَوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيْتُ عَلَى حُبِّىَ الزَّائِلِ (٣)
أَيُنْكِرُ خَدِّى دُمُوعِى وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُ فى مَسْلَكٍ سَابِلِ (٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراراً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رأيه أن يورط نفسه فى الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذل الجاهل أضيع من سراج فى الشمس ؛ وكيف يطمع فى نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبى أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أنتقل عن شىء طبعت عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لا تحسبنى عنكم مقصراً إنى على حبكم مطبوعُ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقى لكم وحبى إياكم أنى أحب نحولى فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس فى الحب لأنه يشبهنى فى أثر حبكم . قال ابن جنى ، وفيه معنى قول أبى الشيص :

أجِدُ المَلامةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنى اللُّوَّمُ

وهو معنى قول الآخر :

أحِب لحبها السودانَ حتى أحِب لأجلها سودَ الكلاب

(٣) زلتم : بعدتم . يقول ، ولو فارقتمونى ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبى إياكم ، يعنى : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عنى الحب لبكيت على فراقه لاغتباطى بما ألاقيه فى هذا الحب . قال العكبرى : وقوله ولو زلتم وتعقيبه فى آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع فى الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدى ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهى تجرى منه فى طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ (١)
وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لاَمَنِي ، وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِى شَاغِلِ (٢)
كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ (٣)
وَلَوْ كُنْتَ فِى أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى
ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِى وَائِلِ (٤)
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النُّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ (٥)

---

(١) يقول : ليس دمعى الآن باول دمع جرى فوق خدى ، وليس حزنى على هذا الفراق بأول حزن على مفارق . يعنى أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة .

(٢) يقول : تركت السلو لمن يلومنى على الوجد ، فهو حظه – لا حظى – إذ لى من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللائم .

(٣) الثاكل : التى فقدت ولدها . يقول : تباعد ما بين جفونى سهرا فليست تلتقى النوم ، فكأنها ثياب ثاكل شقت . يعنى : إنى فقدتهم وفقدت النوم بعدهم ، فكأن جفونى شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن ، وهذا كقوله الآتى :

قَدْ عَلَّمَ البينُ مِنَّا البينَ أجفانَا

قال العكبرى : شبه مقلتيه فى حزنهما بتلك الثاكل فى وجدها ، وتبعيد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا ، وهذا مما شبه فيه شيئان بشيئين، وهو من أرفع وجوه البديع . وأخذ المهلبى الوزير هذا المعنى فقال :

تصارَمَتِ الأجفانُ لمَّا صَرَمْتَنِي فما تَلْتَقِى إلاَّ عَلَى عَبرةٍ تجرِى

(٤) أبو وائل : هو ابن عم سيف الدولة ، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج . يقول : لو كان الذى أسرنى شيئا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل ، إذ ضمن للخارجى الذى أسره مالا حتى خرج من أساره ، وقد بين ذلك فيما يلى .

(٥) النضار : الذهب ؛ والقنا الذابل : الرماح ، والرمح يوصف بالذبول للينه . يقول : ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح ، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء ، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأنقذ أبا وائل .

وَمَنَّاهُمُ الْخَيْـــلَ مَجْنُوبَةً   فَجِئْنَ بِكُلِّ فَـــتًى بَاسِلِ (١)

كَأَنَّ خَـــلَاصَ أَبِي وَائِلٍ   مُعَــــاوَدَةُ الْقَمَرِ الآفِلِ (٢)

دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ   عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ (٣)

فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فِي جَحْفَـــلٍ   لَهُ ضَـامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ (٤)

خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِي عَارِضٍ   وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَابِلِ (٥)

فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِينَ السِّـــيَاطَ   بِمِثْلِ صَفَا الْبَــلَدِ الْمَاحِـــلِ (٦)

---

(١) مناه الشيء : جعله أمنية له ؛ والأمنية : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل فى فدائه ، فجاءت الخيل ولـكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .

(٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأننا فى ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لا ستنقاذه فأجبته ، ولو سكت لما قعدت عنه ولما غفلت ، فكم سا كت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبته على انتزاح مستقره ، ورب سا كت لبعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجبه كرمك من اهتمامك بشأنه ، واعتنائك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيته بنفسك فى جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النقع : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوابل . المطر الـكثير ؛ وخرجن . أى الخيل . يقول . خرجت الخيل للحرب فـكانت من الغبار فى سحاب ومن العرق فى مطر .

(٦) الصفا . الصخر . والماحل . الذى لم يمطر . يقول: لما نشفت الخيل من العرق تلقت السياط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسياط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد المـاحل .

شَفَنَّ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبْنَ ... قُبَيْـــلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ (١)
فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الثَّرَى ... عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْغَاسِلِ (٢)
وَمَا بَيْنَ كَاذَتِ الْمُسْتَغِـــيرِ ... كَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْبَائِلِ (٣)

---

(١) يقال شفنت الرجل : إذا نظرت اليه بمؤخر عينك ، أو نظرا فى إعراض ، وأنشد الجوهرى للقطامى :

يُسَارِقْنَ الْكَلَامَ إِلَىَّ لَمَّا ... حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونِ

قال : وهو الغيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبى وائل ـ الذى كانت جادة فى طلبه ـ قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعنى أن فرسان هذه الخيل لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أباوائل فى ركضة واحدة وأوقعوا بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت قوائمها فى التراب إلى مرافقها ثقة بأن الدم الذى سيسفكه فرسانها سيغسلها ويزيل عنها ذلك التراب ، ويروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأسدى

مَاذَا ابْتَغَتْ حُبَّى إِلَى حَلِّ الْعُرَى ... حَسِبَتْنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى
بِفِيكَ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى (١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يبروه برواً أى خلقه ؛ وقيل : البرية الخلق ، وأصله الهمز ، يقال برأه الله .

(٣) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستغير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى يتفحج ـ يباعد ما بين رجليه ـ ليبول . يقول : إن هذه الخيل المستغيرة على هؤلاء الخوارج كانت لشدة العدو ـ الجرى ـ تتفحج كما يتفحج البائل لئلا يصيبه البول . ويجوز أن يريد ـ كما قال الواحدى ـ أنها تعرق فى عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها كأنها تبول .

---

(١) يقال فى الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم. بفيه البرى ، وحمى خيبرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا



فَلَقِينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّـــةٍ ... وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّـــائِلِ (١)

وَجَيْشَ إمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ ... صَحِيحِ الإمَامَةِ فِى الْبَاطِلِ (٢)

فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُـــدَّامَهُ ... نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ (٣)

فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ ... رَأَتْ أُسْدُهَا آكِلَ الآكِلِ (٤)

---

(١) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمصبوحة: الفرس التى تسقى اللبن صباحا لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، فحذف الهاء ، وهى الناقة التى قل لبنها وخف ومرؤ ونجع فى شاربه ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل ؛ قال ابن القطاع . حذف الهاء لإقامة الوزن ، والشائلة . التى مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل ــ بلاهاء ــ التى تشول بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كراكع وركع . . قال ابن جنى . سألت المتنبى عن قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التى لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بالهاء ، فقال أردت الهاء وحذفتها ، كقول كثير .

لَعَمْرِى لَئِنْ أُمُّ الحَكِيمِ تَرَحَّلَتْ ... وَأَخْلَتْ لِخَيْمَاتِ العُذَيْبِ ظِلَالَهَا

أراد العذيبة ، فحذف الهاء . يقول المتنبى : إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجى بالرماح الردينية وبالخيل التى تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل ــ فى البيت السابق ــ والمراد بالإمام : الخارجى . يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام فى قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين ... وإنها لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة فى الباطل . وقال ابن جنى : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك فى ذلك . والتفسير الأول أوجه.

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل : الذى يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل الخارجى تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجى . أى إن خيل الممدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل . يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجى رأى شجعانهم منك شجاعا يأكلهم ويفنيهم ، يعنى كنت أشجع منهم وإن كانوا شجعانا



بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَائِرٍ لَهُ فِيهِمِ قِسْمَةُ الْعَادِلِ (١)
وَطَعْنٍ يُجَمِّعُ شُذَّانَهُمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الْحَافِلِ (٢)
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ (٣)
فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْهَا اللِّحَى فَتًى لاَ يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ (٤)
وَلاَ يَسْتَغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلاَ يَتَضَعْضَعُ مِنْ خَاذِلِ (٥)
وَلاَ يَزَعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ وَلاَ يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ (٦)

---

(١) يقول : إن أكلك إيام كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالغت فى الضرب وأسرفت إسراف الجائر ـ الظالم ـ إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذاالضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو فى الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفى معناه لحبيب :

أَنْ لَسْتَ نِعْمَ الجَارُ لِلسُّنَنِ الأُلَى إِلاَّ إِذَا مَا كُنْتَ بِئْسَ الجَارِ (١)

(٢) الشذان : المتفرقون ؛ والدرة : اللبن إذا كثر وسال ؛ والحافل . التى حفل ضرعها ؛ أى امتلأ باللبن . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل اجتمعوافيه اجتماع اللبن فى الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته ، كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس ـ وهو أقدر على الفرار من الراجل ـ تحير فزعا منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولوذهاب الواحدمن الرجالة.

(٤) الناصل : الذى ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء الحاهم بدمائهم ، غير أنه لايعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعنى أنه إذا ضرب إنسانا بسيفه لم يبق فيه مايحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عمن ينصره فلا يستنصر أحداً مستغيثاً إليه ولا يجزع ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة فى جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان : أى عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل الأمر العظيم المخيف .

---

(١) بئس الجار : يريد للكفار .



إذَا طَلَبَ التَّبْـلَ لَمْ يَشْأَهُ ... وَإنْ كَانَ دَيْناً عَلَى مَاطِلِ (١)
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا ... فَإنَّ الْغَنِيمَـةَ فى الْعَاجِلِ (٢)
وَإنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ ... فَعُودُوا إلَى حِمْصَ مِنْ قَابِلِ (٣)
فَإنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِى ... قُتِلْتُمْ بِهِ فى يَدِ الْقَاتِلِ (٤)
يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِى رُمْتُمُ ... فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ (٥)
أَمَامَ الْكَتِيبَـةِ تُزْهَى بِهِ ... مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ (٦)

يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شىء يقدم عليه ؛ أى لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شىء فيرد طرفه ــ نظره ــ عنه .

(١) التبل: الثأر؛ و«لم يشأه»: لم يسبقه: يقول: إذا طلب ترة ــ ثأراً ــ لم تفته وإن كانت ممتنعة صعبة الحصول كالدين عند الماطل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزئ بهم . يقول : اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبى وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذى أتاهم به هو الوقيعة بهم .

(٣) حمص : كانت موضع الواقعة ، ومن قابل : أى العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم فى عامكم هذا من قصد حمص فعودوا فى السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : المخضوب . يقول : فإن السيف الذى خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال فى يد من قتلكم به ، فمتى عدتم لقيتم فى المرة الثانية كما لقيتم فى الأولى .

(٥) على السائل : متعلق بـ«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذى طلبتموه من الضمان فلم تدركوه لأنكم طلبتموه لا عن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن فى الخبر بعد ــ وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير الممدوح ــ وتزهى : تفتخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ ... قِتَــالاً بِكُمْ عَلَى بَازِلِ (١)
أَقَالَ لَهُ اللهُ لاَ تَلْقَهُمْ ... بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ (٢)
إِذَا مَاضَرَبْتَ بِهِ هَامَــةً ... بَرَاهَا وَغَنَاكَ فِى الْكَاهِلِ (٣)
وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِى هِمَّــةٍ ... دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤)
يُشَـــمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ ... وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِى السَّاحِلِ (٥)

الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح، وهو الطاعن ، وهم بدونه لايغنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذى قد فطر نابه وظهر فى السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجى قد ركب ناقة ، وهو يشير بكمه يحث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إنى لأعجب ممن يؤمل ظفرا بتحريكك كم وركوب ناقة !

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الخيل : التى لم تحمل ، وإذ حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلق جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجى يدعى النبوة ويقول : لا آتى إلا ماأمرنى الله به ــ فقال المتنبى : آلله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجعل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبو نواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ ... لَهَا خَطْوهُ وَسْطَ الْغِنَاء قَصِير

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل المتنبى وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجى بأول من دعته همته إلى مالايناله ؛ وكان هذا الخارجى يطمع فى الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجى فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه فى ادعائه النبوة وطمعه بها فى الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة ــ وهو أحد أمراء الإسلام ــ كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والموج يغمره فى ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .



أَمَا لِلْخِـــلاَفَةِ مِنْ مُشْفِقٍ ... عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ (١)

يَقُدُّ عِـــدَاهَا بِلاَ ضَارِبٍ ... وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ بِلاَ حَامِلِ (٢)

تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَـــا ... وَمَا يَتَخَلَّصْنَ لِلنَّـــاخِلِ (٣)

فَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيعَ السِّبَاعِ ... فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِـلِ (٤)

وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا ... كَعَوْدِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِـلِ (٥)

وَمِثْلُ الَّذِى دُسْتَهُ حَافِيًا ... يُؤَثِّرُ فِي قَـــدَمِ النَّاعِلِ (٦)

---

(١) الفاصل : القاطع ، ويروى : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبق عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبق الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعنى إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالمحاماة عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكثيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بحوافر الخيل فطحنتها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شىء

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ربيعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأثنت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، مايتزين به ؛ والعاطل : التى لا حلى عليها . يقول: وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرى إنك ناعلة (١) يقول : إن مافعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الحافى مثلا لمن لم يتأهب والناعل مثلا للمتأهب .

---

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال فى جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا: أن رجلا قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى — أى خذى فى أطرار الوادى — وهى نواحيه — فإنك ذات نعلين . قال الجوهرى :وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدميها .



وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ ... لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الجَائِلِ (١)

وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى ... بَغِيضُ الحُضُورِ إِلَى الوَاغِلِ (٢)

تَفُكُّ العُنَاةَ وَتُغْنِي العُفَاةَ ... وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الجَاهِلِ (٣)

فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ ... وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِي الآجِلِ (٤)

فَذِي الدَّارُ أَخْوَنُ مِنْ مُومِسٍ ... وَأَخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الحَابِلِ (٥)

---

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلق : الذى فيه سواد وبياض ؛ والجائل الذى يجول بين الصفين . يقول : كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشتهر اشتهار الشية فى الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخل على القوم فى شرابهم من غير أن يدعى ، أما الذى يدخل على القوم فى طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله، وتكره المشاركة فى ذلك الشراب، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناة : جمع عان ، الأسير؛ والعفاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ماقابل العاجل . والآجل فى غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خبأه وهيجه ؛ قال توبة ابن مضرس العبسى :

وأهلِ خِبـاء آمنين فجعتهم ... بشىء عزيز عاجـلٍ أنا آجِـله

وأقبلتُ أسعى أسأل القوم ما لهمْ ... سُؤالكَ بالشىء الذى أنت جاهله

« أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مر بصبية يتضاربون، فاستغفاه بعضهم على بعض، فضرب صبيا منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به » يدعو المتنبى له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه.

(٥) المومس والمومسة : الفاجرة. والكفة : الحبالة ، أى الشرك ؛ والحابل: الصائد ذو الحبالة . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالمومس لا تقيم على خليل ، وهى أخدع من حبالة الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى حُبِّهَـــا ... وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ (١)

* * *

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لمـا قصده معز الدولة الديلمى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى المَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ ... وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ (٢)

وَمَا تَقِرُّ سُيُوفٌ فِى مَمَالِكِهَا ... حَتَّى تُقَلْقَلَ دَهْراً قَبْلُ فِى القُلَلِ (٣)

مِثْلُ الأَمِيرِ بَغَى أَمْراً فَقَـــرَّبَهُ ... طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِى الخَيْلِ وَالإِبِلِ (٤)

---

(١) الطائل : كل شىء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس فى التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شىء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ماتبنى وتمر بعد حلاوتها، وتعوج بعد استقامتها ، قبحها الله وقبح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى المماليك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبل : أى يستلذ الطعن استلذاذ القبل وعجز البيت من قول أبى تمام :

يَستعذبون منـــــايامْ كأنهمُ ... لا ييأسون من الدنيا إذا قُتلوا

والذى يؤخذ من كلام العـكبرى أن الضمير فى محبيهن للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى الممالك — جمع مملكة — سلطان الملك فى رعيته .

(٣) تقلقل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف فى الممالك حتى تتحرك زمانا فى رءوس الأعداء ، يريد لا يثبت لك الملك حتى تقطع رءوس المعادين لك . قال العكبرى: وأشار بذلك إلى انصرف الديلمى عن الموصل بغير حرب هيبة لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

ســـأجهدُ عزمى والمطايا فإننى ... أرَى العفولا يُمتاح إلا من الجَهدِ

ونصب دهرا على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناه على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد المنال قربته عليه الرماح وأيدى الخيل والمطايا يعنى أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بمـاله من العدة والاعتزام الذى ذكره فى البيت التالى .

وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّـةٌ زُحَـلٌ
مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَـلِ (١)

عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمُلْقَى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ (٢)

تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الْكُتْبَ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسُلِ (٣)

يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلاَ يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ وماَ أَعَدُّوا فَلاَ يَلْقِى سِوَى نَفَلِ (٤)

صَانَ الْخَلِيفَةُ بِالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ صِيَانَةَ الذَّكَرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ (٥)

---

(١) عزمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان الترب ؛ والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل ـ الكوكب المعروف ـ بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش : بمعنى الوحشة . ويريد بملقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيثما قصد : أى يستقبل به ؛ ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات ـ النهر المعروف ـ رياح تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفى حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تتلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول . إن رماحه تتبع كتبه إلى أعدائه فهو ينذرهم أولا ، فإن لم يطيعوه صمد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو استعتاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يحب الظفر اغتيالا ومواراة لثقته بنفسه وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحيَّا لا يخاتلُ قِرْنَهُ ولكنه بالصحصحان ينازله

وقول صريع الغوانى :

من كان يختلُ قِرْناً عند مَوقِفِهِ فإن قِرنَ عَلِيٍّ غيرُ مختتلِ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوهم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم وبجيوشهم ، فلا يكونون إلا مأكلا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .

(٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندى

الفَاعِلُ الفِعْلَ لَمْ يُفعَلْ لِشِدَّتِهِ ... وَالقَائِلُ القَوْلَ لَمْ يُترَكْ وَلَمْ يُقَلِ (١)

وَالبَاعِثُ الجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ... ضَوْءَ النَّهارِ فَصَارَ الظُّهرُ كَالطَّفَلِ (٢)

الجَوُّ أَضيَقُ مَا لاقَاهُ سَاطِعُهَا ... وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحيَرُ المُقَلِ (٣)

يَنَالُ أَبعَدَ مِنهَا وَهْيَ نَاظِرَةٌ ... فَمَا تُقَابِلُهُ إِلاَّ عَلَى وَجَلِ (٤)

السيف ؛ والحلل أغشية الأغماد يقول :إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من من الأبطال والرجال كما يصان السيف الهندى بالحلل . وعبارة العكبرى : لما علم الخليفة أنه سيفه الذى يسطو به صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم فى رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه ، كما يصان السيف الكريم بالأغماد التى يتخلل فيها ، والجفون التى يحفظ بها ؛ وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيبه بسيف الدولة .

(١) يقول : إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد أتى به بكرا ويكون أبا عذرة ذلك الفعل ، ويقول مالم يقله أحد فى بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً لأن كل بليغ يريد أن يأتى بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه. قال العكبرى :من روى الفعل ؛ بالنصب أراد : يفعل الفعل ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل ؛ ومن روى بالجر جعله مضافا : كقوله تعالى « والمقيمى الصلاة » .

(٢) غاله يغوله : ذهب به ؛ وأصله الإهلاك ، والعجاجة : الغبرة ؛ والطفل : وقت غروب الشمس . يقول : يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذى يستر ضوء الشمس بغباره حتى يصير الظهر كوقت الطفل ؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

(٣) الساطع : المنتشر ؛ والضمير المضاف إليه : العجاجة . يقول : إن ماسطع من غبار هذا الجيش ملأ كل فضاء ، فكان الجو أضيق شىء به ، لأنه على سعته ملأه حتى ساوى أضيق مافيه ، وكانت عين الشمس فيه أحير العيون ، لأنه بلغ إليها وأحاط بها ؛ وكل هذا مبالغة . وعبارة العكبرى : مابعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار مما قرب ، لأنه فيه تجتمع جملته وتتراقى كثرته ، وما قرب فإنما يرده الشىء بعد الشىء فينجلى منه ولا يجتمع ، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه

(٤) يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهى ترى ذلك فما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدها ، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده . وقال بعض الشراح : يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع



قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
وَظَاهَـرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغِيَلِ (١)

وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ ... لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٢)

هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ ... وَهْوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلِ (٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابله وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النوائب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاغتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتيالا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نوائب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعاً ويخفونه دونه ، فعلم ماأسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألمعى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لان الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإِذا رأيتَ أبا يزيدٍ فى وغًى ... ونَدًى ومُبدِى غارةٍ ومُعيدا

يقـرِى مُرجِّيه مُشاشَةَ مالهِ ... وشَبا الأسِنَّةِ ثُغْرَةً ووَرِيدا (١)

أيقنْتَ أنَّ من السماح شَجاعةً ... تُدْمِى وأن من الشجاعةِ جودا

---

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثغرة : نقرة النحر ،



يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيْـــهِ غَيْرَ مُحْتَفِلِ (١)

وَلاَ يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُغْيَتَهُ وَلاَ تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ الْبَطَلِ (٢)

إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ (٣)

وعبارة ابن الإفليلى : يريد أنه الشجاع المتناهى الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد المتناهى الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن مِن بخـــلٍ وباسلٍ بخلهُ يعتدُّه جُبُنـــا

يَلقى العفاة بمـا يَرْجُون مِن أمل قبلَ السؤالِ ولا يبْغِى به ثمنـــا

وقد بين صريع الغوانى أن الشجاعة جود بالنفس فى قوله :

يجودُ بالنفس إذ ضَنَّ الجواد بهـا والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

(١) أغذ : أسرع فى السير ؛ واحتفل بالأمر : اهتم . يقول : كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفتخر بها ، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقته بقوته وشجاعته ؛ وعبارة العكبرى : هو يفتتح الفتوح العظيمة فلا يفخر بها ويسرع إليها ، ولا يحتفل لهـا . استقلالا لعظيم ما يفعله وارتفاعا عن نهب من يقصده . قال ابن جنى : فإن قيل كيف يكون مغذا غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، وإن كان محتفلا عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده .

(٢) أجار عليه : منعه مما يطلبه . قال تعالى : «وهو يجير ولا يجـار عليه» أى لا يمنع ممـا يريده . يقول : إذا رام الممدوح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحميه منه ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده كان ما كان من البطولة . أو تقول : إذا تحصن قرنه بالدرع لم يمتنع بها .

(٣) خلعت : يروى جعلت . يريد أن يقول : إذا مدحته تزين مدحى به أكثر ممـا يتزين هو بمدحى . فضرب لهذا المعنى مثلا فقال : إذا ألبست عرضه حللا وجدت تلك الحلل من عرض الممدوح فى شىء أحسن من الحلل : أى أن عرضه أحسن من الحلل ، وهذا من قول أبى تمـام :

بِذِى الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ ... كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ (١)

لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا ... وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّوَلِ (٢)

فَمَا تُكَشِّفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلَلٍ ... مِنَ الْحُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلِ (٣)

وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ ... تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلِ (٤)

ولم أمدحْكَ تَفخيما لشعْرى ... ولكنى مدحتُ بِكَ المديحا

والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .

(١) الجعل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجعل . يقول : إذا أنشد الجاهل شعرى تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغيظه ذلك ، فيظهر عليه من أثر الجهل والغيظ ما يظهر على الجعل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛وعبارة العكبرى : إذا أنشد شعرى بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك فى نفسه ، وانكشف له قدر تقصيره ، واستضر بحسن قولى وبديع شعرى كما يستضر الجعل برائحة الورد التى تؤذيه وتقتله لمضادته لها . يعنى إنما يعرف شعرى وجودته وجوهره من هو صحيح الفكر، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجعل، وإن كان مستلذا فى الحقيقة. قال :وهذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .

(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، خيرة : مؤنث خير ، بمعنى أفضل ؛ أنثوها بالتاء تشبيها لها بالوصف المحض لمفارقتها صيغة التفضيل ؛ وجربت : يروى وجردت . يقول : أنت ملء كل عين بهيبتك وبهائك وأنت خير سيف لخير دولة ، يعنى دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره. يقول: لا تمل الحروب وإن طالت،لأنك ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب، ولا تزل فى رأى ، فقد أوتيت السداد فى التدبير حتى لا يفضى بك رأى إلى زلل .

(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفى عن الأبصار حتى كأنهم رجال بلا أرض ، فقتلتهم وأفنيتهم حتى خليت أرضهم فبقيت ولا رجل فيها ؛ قال العكبرى : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب فى صفة الجيش :

ملأ الملا عُصباً فكاد بأن يُرَى ... لا خَلْفَ فيه ولا لهُ قُدّامُ



مَا زَالَ طِـرْفُكَ يَجْرِى فِى دِمَائِهِمِ
حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْىَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ (١)

يَامَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ ... فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِى الْجَذَلِ (٢)

إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ ... وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)

أَجْرِ الْجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا ... وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِى أَخْلَاقِكَ الْأُوَلِ (٤)

يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَهَا ... قَرْعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ (٥)

---

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثمل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العينان ، والجذل : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شىء ، فما حكمت به عيناه استحسانا فهو له : أى مايريده مما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا تمنى قلبه شيئاً وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفليلى : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه الله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم ـ ههنا ـ اسم للمفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون فى أفعال نواظرهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وفقت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أوارتحلت،قال العكبرى يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من الموادعة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم , وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العكبرى : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت مجريها أولا من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كفاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرن : أى الجياد : والأحجة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين .

فلاَ هَجَمْتَ بِهَا إلاَّ عَلَى ظَفَرٍ وَلاَ وَصَلْتَ بِهَا إلاَّ عَلَى أَمَــلِ (١)

* * *

وقال يرثى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، وقد توفى بميافارقين فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِى الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِى يُضْنِى كَذَاكَ الذِى يُبْلِى (٢)

كأنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِى بِى وَخِفْتَهُ
إِذَا عِشْتَ فَاخْتَرْتَ الحِمَامَ عَلَى الثُّكْلِ (٣)

تَرَكْتَ خُــدُودَ الغَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ فى الأَعْــيُنِ النُّجْلِ (٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرماح : أى إن الرماح لا تقع إلا فى مقاديمها ، لأنها لا تنثنى حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها، قال العكبرى يشير بذلك إلى ما حضه عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد ألفت ذلك

(١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذى بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت فى الأرض ، فإن هذا الحزن يضنى ويهزل مثل الموت الذى يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يا ملكُ إن كنتِ تحتَ الأرضِ باليةً فإننى فوقهـــا بالٍ مِنَ الحَزَنِ

(٣) الحمام : الموت ؛ والثكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرتَ مابى من الوجد بك والحزن عليك فخفت أن تبتلى بمثله لو عشت وفقدت حبيبا عزيزاً عليك ، فاخترت الموت على فقد الأعزة والحزن عليهم

(٤) الغانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التحسين ، والأعين النجل الواسعة الحسنة يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة عليك



تَبلُّ الثَّرَى سُوداً مِنَ المِسْكِ وَحْدَهُ ... وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعَرِ الجَثْلِ (١)

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي الحَشَى ... وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؟ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين، ويزيل حسنها ، كما قال :

أليس يضُرُّ العينَ أن يكْثُرَ البُكَا ... ويُمنَعَ عنها نومُها وهُجُودُها

وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئا فشيئا، كان استعارة الإذابة لمثله أحسن ، وأيضا لما كان الذوب فى معنى السيلان والدمع سائل، كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة المقلة ، فتذيب حسنها ، والثانى أن الحسن عرض لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب مالا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟

(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تعليل ، والجثل : الكثيف يقول : إن هذه الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهى سود لا متزاجها بالمسك وحده لأن الغانيات لا يكتحلن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهن يغنيهن عن التكحل ، وقد استعملن المسك قبل المصيبة فبقى فى شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلا، وهذه الدموع قطرت وهى حمر لا متزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سودا ، وإنما قطرت على الشعر لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ، وهذا من قول أبى نواس :

وقد غلبتها عَبرَةٌ فدموعها ... على خدِّها حُمْرٌ وفى نحرِها صُفْرُ

فجعلها صفرا على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران

(٢) الأسى : الحزن، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن كنت طفلا صغيرا فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير . ومعنى المصراع الأول من قول أبى تمام :

لهـا منزلٌ تحت الثرى وعَهِدتُها ... لهـا منزِلٌ بين الجوانحِ والقلبِ

والثانى من قول الآخر :

إن تَكُنْ مُتَّ صَغيراً ... فالأَسَى غيرُ صَغيرِ

وَمِثْلُكَ لاَ يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ ... وَلٰكِنْ عَلَى قَدْرِ المَخِيلَةِ وَالأَصْلِ (١)

أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الأُلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ ... نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاَهُمُ مُهْجَةُ البُخْلِ (٢)

بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ ... وَلٰكِنَّ فِى أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الفَضْلِ (٣)

تُسَلِّيهِمِ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ ... وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ (٤)

---

(١) المخيلة — ههنا — الفراسة ، وهى فى الأصل : السحابة التى يرجى مطرها يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة فيك ، إذ كنا نتفرس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الذين . يقول — مخاطبا الميت — أنت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، وندام من رماحهم ، والبخل من قتلاهم : أى أنت من القوم الذين أفنوا البخل بجودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبى تمام :

وإن أزماتُ الدهرِ حلّتْ بمَعْشَرٍ ... أُرِيقت دماء المَحْلِ فيها فطُلَّتِ (١)

وقال ابن الرومى :

وما فى الأرضِ أسمحُ من شُجاعٍ ... وإن أعطى القليل منَ النوالِ

وذاك لأنه يُعطيك مِمّا ... تنوء عليه أطراف العوالى

(٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول : إن صبى هؤلاء القوم كغيره من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل فى أعطافه ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيهم عما يصيبهم ، فهم يترفعون عن الجزع الذى هو شنشنة النفوس الوضيعة ، أما من نبل قدره ؛ وارتفعت فى المعالى همته ؛ فإنه يتسلى بالمعالى عن الجزع والهلع ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله عن الشغل بما عدا ذلك . والعلياء — : بفتح العين والمد . أما بضم العين فهى مقصورة .

---

(١) المحل : الجدب ، ويقال طل دمه : اى أهدر .

أَقَلُّ بِلاَءً بِالرَّزَايَا مِنَ القَنــا ... وَأَقْدَمُ بَيْنَ الجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ (١)

عَزَاءكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المُقْتَدَى بِهِ ... فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ (٢)

مُقِيمٌ مِنْ الهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوارِمِ فِي أَهْلِ (٣)

---

(١) أقل : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هم أقل بلاءً ؛ والبلاء : فعال من البالاة ؛ والرزايا : جمع رزية ، المصيبة ؛ والقنا : الرماح . وأقدم : أى أشد إقداماً ، استعمل : أفعل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن ، أو تقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم ؛ قال حسان بن ثابت :

كلتاهما حلبُ العصيرِ فعاطِنِي ... بزُجاجــةٍ أرخاهما للمفصِلِ (١)

أراد أشد إرخاء . والجحفل : الجيش العظيم يقول :هم لا يبالون بمـا يصيبهم من الرزايا كما لا يبالى بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا ، والقنا جماد ، والجماد لا يوصف بالمبالاة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام المرسلة التى تأبى إلا التقدم وبعبارة أخرى : إذا أصابتهم مصيبة لم يبالوا بها ، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها ، فهم فى ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالى بمـا يصيبها ، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شىء ؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته .

(٢) النصل : حديدة السيف . يقول : الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذى يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى ، لأنك قد تعودت الشدائد ، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم المبالاة بمقارعة الحديد . فقوله عزاءك : منصوب على الإغراء ؛ أى الزم عزاءك ؛ أو بفعل مضمر تقديره تعز عزاءك ؛ والمقتدى به فى موضع نصب صفة لـ«عزاءك» والضمير فى « به » للعزاء .

(٣) مقيم : إما صفة لنصل — فى البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف . أى أنت مقيم . والهيجاء : من أسماء الحرب ، والصوارم : السيوف القواطع . يقول : أنت مقيم فى كل منزل من منازل الحرب تأنس بهـا ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت فى أهلك ، وهذا من قول أبى تمام :

---

(١) قبله :

إن التى ناولتَنِي فردَدْتُهــا ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَهاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ

فقوله كلتاهما : أى التى قتلت — أى مزجت بالماء — والتى لم تقتل — أى لم تمزج وأرخاهما للمفصل : أى التى لم تمزج — أى الصرف .



وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً ... وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ (١)

تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ ... وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ (٢)

وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ (٣)

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ ... فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي (٤)

حَنَّ إلى المَوْتِ حتى ظَنَّ جَاهِلُهُ ... بأنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إلى الوَطَنِ

وقوله أيضاً :

لِتعلمَ أنَّ الغَرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ... غَدَاةَ الوَغى آلُ الوغى وأقاربُهْ

(١) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمعة الحزن ، ولا أثبت عقلا منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفزع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش فى الحروب . وعبرة: أى دمعة، تمييز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأنثى : سليلة ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السليلة بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إلاَّ مُهرة عربيةٌ ... سليلة أفراسٍ تجلَّلها بَغْلُ (١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه فى ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفعاً ولكنها تنصره فى الحرب وتنفذ مراده فى أعدائه ، وفى هذا إشارة إلى أن للموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

ألَمْ تعجَبْ له أنَّ المنايا ... فتَكْنَ به وهُنَّ له جُنودُ

(٣) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع — الصدأ — ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغنته عن تعزية غيره وأسلته عن

---

(١) تجللها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نغل — بالنون — وهو الخسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .



وَمَا الْمَوْتُ إِلاَّ سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلاَ كَفٍّ وَيَسْعَى بِلاَ رِجْلِ (١)
يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلاَدَةِ لِلنَّمْلِ (٢)
بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لاَ تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ (٣)

مصيبته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو فى دهره من الحوادث ؛ ومن عرف هذا وطن نفسه على فقد الأحبة .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، يريد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسعى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه ــ أى لا شخص له ــ يصول دون كف يظهرها ، ويسعى دون رجل ينقلها ، فلا يدرى كيف يأتى ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، والخميس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمى ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ماوصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقة وكل حامل : نشب ولدها فى بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لها صَرْخَةٌ ثُمَّ إسْكَاتَةٌ كما طرَّقت بِنِفاسٍ بِكْرُ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم ــ وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدى : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات فى بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطونها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل « فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة » وفسر قوم هذا البيت على العكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق ــ من قولهم طرق طرق : أى خل



بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرِّوَى ... وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ البَلَدِ المَحْلِ (١)

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ العِتَاقُ عُيُونَهَا ... إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)

وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ العَدُوِّ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِي (٣)

أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ ... وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ البُلُوغِ إِلَى الأَكْلِ (٤)

وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ ... وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ العَذْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن المتنبي كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجيه .

(١) الروى — بكسر الراء — مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى — بالكسر والقصر — ورواء — بالفتح والمد — أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشمائله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ماتوضع فيه الرجل من السرج . يقول: صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس: الشديدة العض ، ومامشى ، وما تغلى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تغلى — أى الحرب — تنبيه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يغلى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم،ومن روى يفلى— بالفاء — فهو من فليت رأسه بالسيف: أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، ويروى يقلى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب: لغة في التراب؛ والفطام : منع الصبي من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه باشتماله عليه قبل أن تفطمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السلمى :

فَطَمَتْك المَنونُ قبل الفِطام ... واحتواكَ النُّقصانُ قبل التَّمامِ

(٥) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن



وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السِّلْمِ وَالْوَغَى ، وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي مَلِيكاً بِلاَ مِثْلِ (١)

تُوَلِّيهِ أَوْسَاطَ الْبِلاَدِ رِمَاحُهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ (٢)

نُبَكِّي لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ

تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ مَوْهِبٍ جَزْلِ (٣)

إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ

تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ (٤)

يرى من جوده ما رأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام فى الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت .

(١) السلم : المسالمة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، وبفتح السين وكسرها ، والوغى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقى ما تلقاه أنت من ارتفاع الشأن وعظم السلطان فى السلم ، ومن ثمرة الظفر فى الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكا لا نظير له .

(٢) توليه : صفة مليكا . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسرا فيغتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل

(٣) الموهب ـ كالموهبة ـ العطية ، والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غنائه من الباكى يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفتهم من الدنيا شىء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شىء له خطر

(٤) يقول : إذا ألقيت بالك إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك فى الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره فى الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذى ينتهى إليه الإنسان ضربا من القتل ، ومن أجل ذلك لا يجمل بالمرء أن يغتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال فى آخر القصيدة «وما الدهر الخ» وعبارة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان فى مكروههما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشىء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ وهذا يوجب الزهد فى الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ المصير فى الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :



هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُـــوبُ إلاَّ تَعِـلَّةٌ ، وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إلاَّ أَذَى الْبَعْلِ (١)
وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصِّـبَا ، فَلاَ تَحْسَبَنِّى قُلْتُ مَا قُلْتُمُ عَنْ جَهْلِ (٢)

إذا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أنه نجا و بِهِ الداء الذى هُوَ قاتلهُ

قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتوم على كل أحد ، فجعل الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ماجاء فى الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ، وحَسْبُكَ داءً أن تصِح وتَسلما

ويقول الآخر :

كانت قَنَاتى لا تَلينُ لِغَامِزٍ فألانَها الإصباحُ والإمســاء
ودعوت ربى بالسلامة جاهداً ليُصِحَّنى فإذا السـلامة داء

(١) التعلة : العلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلة : إذا كان يطيب به نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلة إلى وقت والحزن بسببه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بامرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها تجلب لك ولداً تغتم من أجله ، وتتأذى بتربيته ، ولعل العاقبة إلى الثكل . ينهى عن الخلوة بالمرأة لئلا تلد . وقال ابن جنى : وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدى ذلك إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلحق مواصل الغوانى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .

(٢) الحلواء : الحلاوة . قال زهير :

تبدلتُ مِنْ حَلوائها طعمَ علقمِ *

يقول : جربت حلاوة الأولاد وقت شبابى فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله :«هل الولد المحبوب إلا تعلة ؟» ويجوز أن يكون قوله« على الصبا» على صبا البنين ـ أى فى حال صباهم. وعبارة ابن جنى : لست أسليك إلا عما قد فجعت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا ـ أى الذى قال ابن جنى ـ بعيد .

وَمَا تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا ، وَلاَ تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي (١)

وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ (٢)

* * *

وقال يمدحه :

لاَ الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلاَ بِمِثَالِهِ لَوْلاَ ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ (٣)

---

(١) يقول: إن علمى بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمى ،وإن ما أمليه من الحكم ونوابغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه . يعنى أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله ، فهى مع أنها تأتى بالعجائب ـ لا تحسن أن تكتب ما أمليه ؛ فكيف تعلمه ؟ يريد توكيد ماقدمه من حنكته وطبه بالأمور وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وفقده .
وعبارة العكبرى : ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتيقنه من شدة نكدها ، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتمال عليه ، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أمليه وتضبط ما أعده ؛ والمعنى أن الأيام التى تأتى بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أمليه من الحكمة والكلام النادر ؛ فكيف تعلمه ؟

(٢) يقول : إن الدهر خوان ليس أهلا أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء فى الحياة ولا يفى بالأمل ، وليس أهلا لأن يشتاق فيه إلى الولد ، لأن الولد إذا عاش بعدك لقى من مكاره الدهر ما ينغص عيشه ويسأم معه الحياة ، ولأنه لا يبقى على الولد بل يفجع به الوالد .

(٣) الحلم : النوم ؛ والمثال : الصورة ؛ والزيال : المزايلة والمفارقة . والضمائر فى البيت : للحبيب ـ وإن لم يجر له ذكر ، لدلالة المقام ـ يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به فى النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة فى النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب ، كما قال أبو تمام :

* صَدَّتْ وعلَّمتِ الصدودَ خَيالَهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود ، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعا من صدوده . يقول : لم يجد الحلم بالحبيب : أى لم أره فى النوم ولا رأيت خياله لولا أنى أطلت تذكر وداعه ومفارقته وواصلت الفكر فيه ليلا ونهاراً . يعنى : تذكرى فى اليقظة الوداع والفراق أرانى فى النوم خياله ، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره فى النوم : أى أن موجب رؤية الخيال هى استدامة ذكر الوداع والفراق ، قال



إنَّ المُعِيدَ لَنَا المَنَامُ خَيالَهُ كَانَتْ إعادَتُهُ خَيالَ خَيالِهِ (١)

بِتْنَا يُناوِلُنا المُدَامَ بِكَفِّهِ

مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبالِهِ (٢)

الواحدى ناقداً : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته فى وهمه ، وصار إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول لولا استدامة هذا التذكر ماجاد على الحلم بمرأى خياله ولا خيال صورته ؛ وهذا تفسير وجيه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

ثمَّ فما زارَكَ الخيالُ ولكنـ ـكَ بالفكرِ زُرتَ طيفَ الخيالِ

(١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأراناه فى النوم كان ذلك الذى أرانا خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله؛ فالذى رأيناه فى النوم كان خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام — فى البيت — فاعل المعيد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى حصلت ؛ وخيال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشىء المعاد — على تسمية المفعول بالمصدر — فيكون «خيال خياله» خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعاطينا الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحترى :

أُرَدُّ دُونكِ يقظاناً ويأذَنُ لى عليكِ سُكرُ الكَرَى إن جئتِ وسْنانَا

ولأبى نواس :

إذا التقى فى النوم طيفانا عادا إلى الوصل كما كانا

يا قُرَّةَ العين فما بالنا نشقى ويلتذ خيالانا



نَجْنِى الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَائِدِ جِيدِهِ ۞ وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (١)

بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فِيكُمُ ، ۞ وَسَكَنْتُمُ ظَنَّ الْفُؤَادِ الْوَالِهِ (٢)

فَدَنَوْتُمُ وَدُنُوُّكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، ۞ وَسَمَحْتُمُ ، وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٣)

إِنِّى لَأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ ۞ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وِصَالِهِ (٤)

لو شئتِ إذ أحسنتِ لى نائمًا ۞ أتممتِ إحســـانك يقظانا

(١) التشبيه فى البعد ، لا فى الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأنا نرى بقلائده الكواكب وبخلخاله الشمس ، يعنى رأينا فى المنام ما لم نصل إليه فى اليقظة ، وقال العكبرى : ما فى قلادته من الدر بالكواكب وخلخاله بعين الشمس ؛ يريد لمعان خلخاله ، وذكر أنه يجنى الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلمسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبات التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه فى حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة والملامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنيا للكواكب وإلى الخلخال نيلا لعين الشمس .

(٢) القريحة : التى بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعد تم عن مرأى التى قرحت بالبكاء فى سبيلكم وسكنتم فى ظنى وفكرى ـ أى فى قلبى ـ فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن الفؤاد : ويروى طى الفؤاد ، وهذا كقول القائل .

لئن بعُدْت عنى لقد سكنْت قلبى ۞ فسيَّانِ عندى غايةُ البعدِ والقُرْب

ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إنا على البِعادِ والتفرقِ ۞ لنَلتقى بالذكرِ إن لم نلتقِ

(٣) يقول : استدناكم القلب بتفكره فالدنو من قبل القلب — لا من قبلكم — وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسماح ـ على الحقيقة ـ إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لامنة لكم فى هذا . ولما ذكر السماح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير فى « عنده » وفى « ماله » للفؤاد .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل فى مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسهم طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالأَسَى   فَارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تَرْحَالِهِ [(١)]
وَقَدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ   مِنْ عِفَّتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ [(٢)]

طيف الخيال الذي يراه النائم ؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : أى ألم فى النوم . قال كعب بن زهير :

أنى ألمّ بكَ الخيـــالُ يَطيف   ومَطافهُ لك ذِكْرَة وشُعوفُ [(١)]

والضمير المستتر فى « يهجرنا » للحبيب . وضمير « وصاله » للطيف . يقول : إنه يبغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر ، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب؛ وعبارة العكبرى : هو يبغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التئام الشمل ، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر . قال ابن جنى : هذا يسمى الأكذاب لانه قال فى الأول لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه يبغض طيفه . وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر ، لأن هجر الطيف زمان الوصل لايوجب بغضاله ؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر .

(١) لك أن تقرأ «مثل» بالرفع على أنهـا خبر عن محذوف هو ضمير الطيف ؛ وبالنصب : على تقدير أبغضه بغضا مثل . والصبابة : رقة الشوق ؛ والأسى ؛ الحزن ، والضمير من «فارقته» للمحبوب ؛ والجملة تفسير للمماثلة ، أو حال من الصبابة وما يليها ، والتى تعود إليها النون من قوله « فحدثن » على حد قولك : جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس . يقول : فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء ــ الصبابة والكآبة والأسى ــ وكذلك الطيف إنمـا زار زمن الهجر .

(٢) استقدت : اقتصصت ، من القود ؛ وهو قتل القاتل بالقتيل . والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فربما قتلوه به وربما عفوا عنه . والبلبال : الهم والحزن وهذا تمثيل . يريد : كان الهوى يؤذينى والحبيب غائب ، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الهوى وتعفنى عما يجرنى إليه جزاء له . وبعبارة أخرى : إنى انتقمت من الهوى بتعفنى وإعراضى عن إجابة داعيه ، فأذقته بذلك من الغيظ مثل ما أذاقنى من

---

(١) شعوف : يحتمل أن يكون جمع شعف ؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها .



وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً ... تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
تَلْقَى الوُجُوهُ بِهَا الوُجُوهَ وَبَيْنَهَا ... ضَرْبٌ يَجُولُ المَوْتُ فِى أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الكَلامِ سُلافَهُ ... وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الجِيَادُ بِسَهْلِهِ ... بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ (٤)
وَحَكَمْتُ فِى البَلَدِ العَرَاءِ بِنَاعِجٍ ... مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جنى : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض — أى الهوى نفسه — فيكون هذا من مبالغة الشعر التى ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التى شبب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرغام : تستدعى إسراعه فى الهرب — من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع — والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتتاح أو غزو أو قتال كل أرض . وكنى بالساعة عن قصر المدة التى يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروع مايضطره إلى الفرار عن أشباله لشدتها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحى ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير فى « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال فى تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول فى نواحيه ؛ وفى البيت جناس بين « يجول » و« أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الخمر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ماكان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذى سمعه الناس من كلامى ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلافة : أى لم أخرج لهم مختار شعرى وجيد كلامى ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المجيدون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ؛ يعنى إذا لم يقدروا على السهل القريب كنت قادرا على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلا لفحول البلاغة ؛ والسهل والجبال مثلا لسهل الكلام وصعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و« معتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذى يقطع الأرض بالسير . والمغتال : المهلك — أى الذى يفنيه بالسير — يصف قوته على السير

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ المَطِيُّ وَرَاءَهُ ، وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَكَلَالِهِ (١)
وَتُرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلًا بِعِقَالِهِ (٢)
فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا المِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ (٣)
وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَـــيْفِهَا ،
وَشَقَقْتُ خِيسَ المُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ (٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت فى الفلوات أجوبها متى شئت بجمل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به، على ما قدرت كما أردت، لاعتمادى على قوة مطيق .

(١) عدت : ركضت ؛ والمطى : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياؤه ؛ وفرس جموم : إذا ذهب منه إحضار — جرى — جاءه إحضار ؛ وكذلك الانثى ، قال النمر بن تولب :

جَمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذُّنَابَى يَخَالُ بَيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجَا (١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهى مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) تراع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال ، والجمع عقل — والمتجفل : المسرع . يقول: إذا طرأ على الإبل مايروعها فنفرت فاشتد عدوها — جريها — وهى غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو فى العقـــال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، مجمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح فى قوائمه ، وهو نشيط فى عدوه لا نشاط إلا فى إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحى كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا فى إسراعه :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرئبال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة فى

---

(١) قوله شائلة الذنابى : يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو — أى الجرى —



عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ يُنْسِي الفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ(١)

وَتَوَاضَعُ الأُمَرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ، وَتُرِي المَحَبَّةَ وَهْيَ مِنْ آكَالِهِ(٢)

وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبَشُّ قَبْـلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ(٣)

إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِعْجَالِهِ(٤)

أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى المُلُوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ(٥)

سيف الدولة : أى جعلته سيفا لى ، كما هو سيف دولة هاشم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من عطاياه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث ـ الأسد ـ الذى أعطى من الكمال مالم تعطه الاسود ، لأنه يشركها بيأسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعدوه شغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقعه من بأسه ؛ والأسود إذا افترست فريسة أفزعتها لقبح منظرها ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول ، لأنه المخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتواضع ؛ والآكال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريره ويظهرون له المحبة وهى ـ المحبة ـ من جملة الأرزاق التى تجبى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبش للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها ـ بكسر الباء ـ أى مايستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها ـ بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدرا وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك ممن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعفو عنهم وترك مما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحترى :

وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَزِّهِ ، وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَالِهِ (١)
وَكَأَنَّمَا جَدْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ (٢)
غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ، وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ (٣)
وَاللهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ، وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ (٤)
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ (٥)

عمّتْ صنائعهُ البريّةَ كلها ، فغدَا المقلُّ عَلَى الغنيِّ المكثر

(١) هزه: أى تحريكه للعطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى وواله: أمر من الموالاة ، والضمير للعطاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطاءه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبى نفسه حين سأله ابن جنى عن معناه ، قال المتنبى : أردت إفراطه فى الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلا – كسائله – فهو يفرط فى إعطائه طلباً للاقلال ، فكأنه – لكثرة إعطائه – يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) فغرن : أى فغربن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تغرب وتغور فى مكان أدنى من هممه وتطلع من مكان أدنى من الغاية التى ينالها : أى أن همته تبلغ إلى ماهو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهى دون ما ناله بهمته ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانتزاح مغاربها ومطالعها تغرب مقصرة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يجدد الله له كل يوم سعادة ويجعل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكأن سيف

لَمْ يَتْرُكُوا أَثَرًا عَلَيْهِ مِنَ الوَغَى ... إلاَّ دِمَاءَهُمُ عَـلَى سِرْبَالِهِ[1]

فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ العَرَمْرَمُ نَفْسَهُ ، ... وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ[2]

يَا أَيُّهَا القَمَـرُ المُبَاهِي وَجْهَهُ ... لاَ تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ[3]

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق المشاكله . والمهجة : دم القلب والروح .

(١) الوغى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه أثراً غير تلطيخ ثوبه بدمائهم التى سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال فصمه يفصمه فصما فانفصم : كسره من غير أن يبين ؛ أما القصم ـ بالقاف ـ فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصما فانقصم وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كأنه دُمْلجٌ من فِضَّـةٍ نَبَهٌ ... فى مَلعبٍ مِن جوارى الحى مفصومُ[1]

والعرى ـ هنا ـ القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل ـ بكسر القاف ـ أى المقاتل قال عبد الله بن قيس الرقيات :

واغترابى عن عامرِ بنِ لؤىٍّ ... فى بلادٍ كثيرة الأقتالِ

والضمير فى «إقتاله» للممدوح ، أو للجيش . يقول : لمثل سيف الدولة ـ أى له لا لغيره ـ يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو ـ لأنه يغنمه ويسلبه ـ كأنه جمع نفسه له . ثم قال : وبمثله من أولى الحزامة والتدبير انفصمت عرى أعدائه وانفرط عقدهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أمامه شيئاً .

(٣) المباهى : المفاخر . يقول : ـ للقمر ـ لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

---

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شىء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له فهو نبه ، وقيل فى نبه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود عن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مفصوما لتثنيه وانحنائه ، ولم يقل مقصوم ـ بالقاف ـ فيكون بائنا باثنين .

وَإِذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ ... دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ (١)
وَهَبَ الذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى ... أَفْعَالَهُمْ لِابْنٍ بِلاَ أَفْعَــالِهِ (٢)
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التُّرَاثُ سِوَى الْعُلاَ ... قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطِوَالِهِ (٣)

---

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر — إذا امتلأ ماء — دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفى مثل هذا يقول البحترى :

قد قلتُ للغيثِ الرُّكام ولجَّ فى ... إبراقــــه وألحَّ فى إرعاده
لا تَعرِضَنَّ لجعفــرٍ مُتشبهاً ... بِنَدَى يديْهِ فلستَ مِنْ أنداده

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيداً مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله «بلا أفعاله» فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمــآثر كلها فوهب المــال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مفتخر بها ، لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى :وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تمــاثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليثى .

لسنا وإنْ أحسابُنا كرُمتْ ... يوماً عَلَى الأحْسابِ نَتكلُ
نبنى كما كانت أوائِلُنــــا ... تَبنى ونفعلُ مثلَ ما فعــلوا

وقال كشاجم :

وإذا افتخرتَ بأعظُمٍ مقبورةٍ ... فالناس بين مُــكَذِّبٍ ومُصَدِّقِ
فأقم لنفسِكَ فى انتسابِكَ شاهداً ... بحديثِ مجدٍ للقــديم محقِّقِ

وقال الشريف الرضى :

فَخَرْت بنفسى لا بِقَوْمِى مُوَفِّراً ... على ناقصى قومى مآثرَ أسرَتى

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فنى التراث سوى العلا : لأن المال يفنى بالهبة ؛ والعلا لا تفنى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لمــا لم يبق من المال الموروث شىء قصد الأعداء بالرماح الطوال فامتلأت يده بغنائمهم : أو تقول : لمــا فنى ماورثه من الأموال

وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ العَجَاجَ إِلَيْهِمِ فَوْقَ الحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ (١)
فَكَأَنَّمَا قَذِيَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)
الجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
تَرِدُ الطِّعَانَ المُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ وَتُنَازِلُ الأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ (٤)

لا من المعالى ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آبائه ـ ركب إلى العدا فاتسعت يده بغنائمهم . وقوله بطواله : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرته ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن» لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعناء : أى تشبيها برعن الجبل ؛ قال الفرزدق :

لَوْلَا أَبُو مَالِكٍ المَرْجُوُّ نَائِلُهُ ما كانت البصرة الرعناء لى وَطَنَا

والعجاج الغبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد دروعا من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما كثر كثر الغبار ؛ ومن فى قوله من أذياله ـ زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع فى العين من الغبار ونحوه ؛ والنقع : الغبار ؛ وغض الطرف كسره وخفضه ؛ والضمير فى نقعه : للجيش . وفى عنه وإجلاله : للجيش ، أولسيف الدولة يقول : أظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع فى ضوئه قذى من الغبار ، يعنى أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى فى عينه ، أو كأن النهار غض طرفه إجلالا له . قال الواحدى : وطرف النهار هو الشمس ، فالمعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس وسترها بتكاثفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحاه تتقوى بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حكمك ، ولكنك أنت فى الحقيقة جيشه الذى يقى قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتمى الملوك بجيوشهم فأنت تحمى جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يومَ الوَغَى لَغَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

(٤) هذا تبيين لما ذكره فى البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقاتل



كُلٌّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ ... يَامَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
دُ نَ الحَلاَوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةٌ ... لاَ تُخْتَطَى إلاَّ عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلِيٌّ وَحْدَهُ ... وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إلَى آمَالِهِ (٣)

***

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يُؤَمِّمُ ذَا السَّيْفُ آمَالَهُ ... وَلاَ يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٤)
إذَا سَارَ فِي مَهْمَهٍ عَمَّهُ ... وَإنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فتكفيهم القتال ومقاساة الطعان . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعان بالمنهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليبقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامى دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى المتنبي هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : مارأيت أعجب منك ! أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى ثم أبارزك ؟ ! والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الاهوال ، كما قال :

* ولابُد دون الشَّهْدِ من إبَرِ النَحلِ *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ والمنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ماذكر جاوزها — قطعها — الممدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤمم : يقصد . يقول : هو — سيف الدولة — سيف يقصد ويطلب مايؤمله ، ولكنه أمضى من السيف فى بلوغ آماله .

(٥) المهمه : المفازة البعيدة . وطاله — من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته فى الطول



وَأَنتَ بِمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ يُثَمِّرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ(١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْغَمٌ يُرَشِّحُ لِلْفَرْسِ أَشْبَالَهُ(٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التى رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بميا فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة فتكلم الناس فى ذلك فقال » :

أَيَقْدَحُ فى الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ(٣)
وَتَعْلُو الَّذِى زُحَلٌ تَحْتَهُ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تُسْأَلُ(٤)

يقول : إذا سار فى الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار فى الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأنماه . يقول : أنت بما تعطينا كالمالك الذى ينمى أمواله ، ولكنك تنمى بعضها ببعض .

(٢) الضيغم : الأسد . ورشحه للأمر : هيأه وأهله ، والفرس بمعنى الافتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت — لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران — أسد ينهج لأشباله ما يأتيه ويفعله ويضريها على ما يمتثله ؛ يعنى أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباله للافتراس فيعلمها ذلك .

(٣) أيقدح : أيعيب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛ والعذل : جمع عاذل ، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أيعيبونها وعذرها فى هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟ قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشىء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ يعنى علم كل شىء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شىء ولا يحيط به شىء . هذا : وفى رواية * أينفع فى الخيمة العذل * أى أينفع عذل العاذلين فى سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما » من « ماتسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحته فى علو القدر والنباهة ؟ فالذى تسأله الخيمة وتكلفه



فَلِمْ لاَ تُلومُ الَّذِى لاَمَهَا وَمَا فَصُّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ(١)

تَضِيــقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا وَيَرْكُضُ فى الْوَاحِــدِ الْجَحْفَلُ(٢)

وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فى جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذُّبَّلُ(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى «ماتسأل» بفتح التاء ــ المعلوم ؛ فالضمير للخيمة أو المخاطب : أى أن ما تسأله هى أو ما تسألها أنت من ذلك محال .

(١) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الخيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الخيمة . وعبارة ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الخيمة على عجزها عن علوها الممدوح، وهو غير ممكن ــ لعلوه عنها ــ فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتمه يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الخيمة لا تقدر أن تعلو الممدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفليلى : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إنى تهيبت الرئيس وأعجزنى الاشتمال عليه بقصر يذبل مع عظمته عن فص خاتمه وخفته بجانب رزانته وقلته بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيق الاشتمال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما ــ من قوله وما فص خاتمه يذبل ــ بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتمه : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لائمها ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتمه يذبل تحتها ؟ فحذف الخبر . . . وهذا ــ كما ترى ــ تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت المتنبى عن هذا البيت فقال «ما» بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الخيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتمه يذبل والضمير راجع إلى اللائم . هذا : والخاتم ــ بكسر التاء وفتحها ــ لغتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحى ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الخيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هيبةً لك وإجلالا أن تعلوك .

(٣) «ما» مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل يوصف به الرماح للينها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت فى جوفها فلا تستطيع أن تعلوك إجلالا لك وهيبة لعلو مرتبتك مع أنها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح



وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَأَنَّ الْبِحَارَ لَهَا أَنْمُلُ(١)
فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ(٢)
فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدْتَهُمُ بِالَّذِي يَفْضُلُ(٣)
رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنِ الْغَزَالَةِ لَا يُغْسَلُ(٤)
وَأَنَّ لَهَا شَرَفًا بَاذِخًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخْجَلُ(٥)

---

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الخيمة قائمة وتحتها راحتك الواسعة الجود ؟ فكأن البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ماتطيق حمله ، فإنك لو فعلت ذلك لحص الخيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ماتصير به سيد الناس . يصف رزانة حلمه وكثرة وقاره ، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له مايسود به الناس

(٤) الغزالة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزالة ، ولا يقال غابت الغزالة ، وإنما يقال غربت الجونة ، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزالة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حُزْوَى أُرَاقِبُهُمْ وَمَا أُغْنِى قِبَالَا(١)

يقول : صارت الخيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يغسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الخيمة اكتسبت من نورك ماصارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف باذخ : أى عال ؛ والباذخ والشامخ : الجبل الطويل ؛ وبذخ البعير يبذخ

---

(١) يريد بقوله أراقبهم : الأظعان ؛ ونصب الغزالة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزالة — فى البيت — الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة : أى طلوع الشمس .

فَلاَ تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ(١)

وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ ... لَخَانَتْهُمُ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ(٢)

وَلَمَّا أُمِرْتَ بِتَطْنِيبِهَا ... أُشِيعَ بِأَنَّكَ لاَ تَرْحَلُ(٣)

فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا ... وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ(٤)

وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ ... وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتدّ هدره فلم يكن فوقه شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيما إذ سكنتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتمال عليك .

(١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبرمقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك نكراً مستغربا ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أى لا تسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتمال عليك لخانتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خانتها أطنابها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها أشيع الخبر فى الناس أنك لست راحلا للغزو ، لامر دعاك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغى أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة ـ لأنه وصله بالباء . وقال العكبرى : أشار من الإشارة ، لا من المشورة فى الرأى ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجارحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبيه ؛ أى فنبهك بوقوعها على الرحيل الذى أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوع . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حى وإما موات ؛ إذ لا جارحة له تعالى .

(٥) من همه : مما يهتم به ويحتفل . ويقال رفل يرفل : إذا تبختر وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى



فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَثَّلُوا   وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا(١)
هُمُ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا   وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ(٢)
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ   وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ(٣)
وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا   وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ(٤)

ما تفعل ، وأنك تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لمسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استفهم بلفظ «ما». وعند يعند عنوداً فهو عاند : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العاند : البعير الذى يجور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند ـ مثل راكع وركع ـ وأنشد أبو عبيدة:

إذا رحلتُ فاجعلونى وسطاً   إنى كبير لا أطيقُ العُنَّدا(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والحاسدون ماهم وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وحدهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أثلوا ما أصلوا من الكلام وجعلوه أصلا لتكذابهم ؛ ويروى : ما أملوا ويقال قولتنى مالم أقل : أى نسبته إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحكون أقوالا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس؛ وقال ابن جنى: قولوا،أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى« فما أدركوا » يقول: هم يطلبون رتبتك.فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تلفيق الأحاديث عنك ، ولكن من يقبل كذبهم ويصدقه؟.

(٣) الجد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك ـ فى البيت السابق ـ يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وثوبها : مبتدأ مؤخر ـ أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالخمل لتلك الثياب، وهو ما تدلى من

---

(١) جمع بين الطاء والدال وهو إكفاء ، ويقال هو تمشى وسطا لا عندا

يُفاجِئُ جَيْشاً بِهَا حَيْنُهُ ... وَيُنْذِرُ جَيْشاً بِهَا الْقَسْطَلُ[(١)]

جَعَلْتُكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لاَ تُجْعَلُ[(٢)]

لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ ... لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا مُنْصُلُ[(٣)]

فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ ... فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ[(٤)]

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا ... فَإِنَّكَ فِي الْكَرَمِ الْأَوَّلُ[(٥)]

الثياب المخملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين مايشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدروع لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابغ إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرماح ، وروى ابن الأفليلى: وملمومة ـ خفضاً ـ قال : أى ورب ملمومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : الغبار . يقول : يفاجىء بهذه الكتيبة جيشا هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشا آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلا فيباكر جيشا من الأعداء لا يشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك الغبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن ـ فلا تثير غبارا ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غبارا

(٢) العدة : ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتك عدة لى بقلبى وعزمى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فيما أحتاج إليه لأنك لست من العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد :أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح ـ وقد روى البيت فى القلب وفى اليد اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحا لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد

(٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : « من » زائدة ؛ يقول :لقد رفع الله دولة جعلتك سيفها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبع السيف :صنعه والمقصل القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحكمك مالا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم ير قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسببك ، ولولا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان الكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولا فى الكرم .



وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ ... وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ(١)
وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى ... أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لاَ تُنْجِلُ(٢)
فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُومِ ... وَمَنْ يَدَّعِى أَنَّهَا تَعْقِلُ(٣)
وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُهَا ... تَرَاكَ تَرَاهَا وَلاَ تَنْزِلُ(٤)

---

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشبل : ذات أشبال ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة فى الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟ فأمك أشبلت بك من أبيك الذى هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلا لشجاعته وعضانه كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثها - بفتح ميم من - ف «من» عبارة : عن الأم ، وهى خبر المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والمشبل - على هذا - هو الليث ، وهو الأب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا فى رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس : ألم تكن الشمس لا تنجل - أى لا تولد - فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا ينظر إلى قول الأول :

لَأُمٌّ لكُم بخلت مالِكاً ... مِن الشمس لو نجلَتْ أكرمُ

ومن روى لا تنجل - بالبناء للمعلوم - جعل أمه الشمس : أى فقال الناس ولدت الشمس وهى لا تلد ، جعل الممدوح - لعلو قدره - كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق - تقول العرب : ما أدرى أى الورى هو ؟ : أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وكائنْ ذعَرْنا من مهاة ورامح ... بلاد الورى ليست له ببلاد

قال ابن جنى : لا يستعمل الورى إلا فى النفى ، وإنما سوغ لذى الرمة استعماله واجبا ، لأنه فى المعنى منفى كأنه قال ليست بلاد الورى له ببلاد .

(٣) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضلالا وخسارا للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة فى البيت التالى .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتك وعرفت أنك أجل منها قدراً ، فما بالها لاتنزل إليك لتخدمك ، وهى تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو عقلت لنزلت إليك .

وَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا لَبِتَّ وَأَعْلاَكُمَا الأَسْفَلُ (١)
أَنَلْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَّلُوا أَنَالَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمُلُ (٢)

وقال يمدحه و يعتذر إليه وذلك فى شعبان سنة إحدى وأربعين:*

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالإِبِلِ (٣)
ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أُكَفْكِفُهُ وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العُذْرِ وَالْعَذَلِ (٤)

---

(١) يقول : لو بات كل منكما فى الموضع الذى يستحقه قدره لبت فى موضع النجوم وباتت هى فى موضعك لإربائك عليها فى الشرف .

(٢) قال الواحدى : لو قال عبيدك كان أحسن ، لأن الأكثر فى الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى ، فأما المضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد . يقول : أعطيت عبيدك ــ يعنى الناس ، جعلهم عبيداً لأنه ملك مارجوه من عطائك ، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينيله ما يؤمله .

(*) قال الواحدى : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً ، فتلقاه الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية ، فخلع عليه ونضح بالطيب ، ثم أدخل على سيف الدولة ، فسأله عن حاله وهو مستحى ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلى من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعا له ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب يمدحه بعدذلك ، وأنشده إياها فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه..

(٣) الطلل: ما شخص من آثار الديار ، والركب : القوم الراكبون. يقول استدعى الطلل دمعى بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب ببكائه قبل أصحابى وقبل الإبل . يريد أن الإبل . تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكى عليه كما قال التهامى :

بكيتُ فحنَّتْ ناقتى فأجابها صهيلُ جوادِى حين لاحت ديارُها

والمعنى : أنه وقف على ديار محبوبه ، فشجاه ماشاهد من دروس رسومها وتغير طلولها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين .

(٤) أصيحابى : تصغير تعظيم . وأكفكفه : أكفه مرة بعد أخرى . ويسفح : يجرى ويسيل . يقول : ظللت أكف الدمع خوفا من لوم الركب فظل الدمع يسيل



أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبٌ
كَذَاكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلَلِ (١)

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلِ (٢)

مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لاَ يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ (٣)

وأصحابى من بين عاذرلى وعاذل ـ لائم ـ والدمع يسيل بين العذر والعذل فى شاغل عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلاوظلولا ، وظللت أنا وظلت وظلت ، لا يقال ذلك إلا فى النهار لكنه سمع فى بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت ، ظللت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلتم تفكهون » ومثله مست ، فى « مسست » قال الجوهرى : وربما قالوا مست الشىء : يحذفون منه السين الأولى ويحولون كسرتها إلى الميم ، ومنهم من يترك الميم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد الأخفش لابن مغراء :

مسنا السماء فنلناها وطاء لهم حتى رأوا أحداً يهوى وثهلانا

والأصل مسسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائى للفراق ، ولا عجب فى ذلك ، فإنى كنت على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربى لا يحجبها عنى غير الستر ، فكيف الآن وقد حجبها عنى الفراق ؟ فالواو فى قوله « وما أشكو للحال » أى حين لاأشكوسوى الستر: أى فى حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذاك كانت » فمعناه كانت العبرة حين كان الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثانى رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أى لا تتعجبوا من بكائى على فراقها ، فلقد كنت أبكى فى هجرها وما أشكو مانعاً دون الستور التى تحجبها والمنازل متجاورة والدور متصاقبة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاق » أراد كصبابة مشتاق ، فحذف المضاف . يقول : إن المشتاق الذى لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالا ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل خفف التأميل برح اشتياقه قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالا لاستراوحه إلى اليأس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول :ـ مخاطبا نفسه ـ إن هذه الحبيبة منيعة فى قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالهجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ   أَنَا الغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ البَلَلِ [١]
مَا بَالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا   بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ [٢]

لأجلها كانت تخفته من قبلهم السيوف والرماح : يعنى أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته أى إن الوصول إليها متعذر لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير «من» على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولو رده على اللفظ لقال زيارته .

(٢) ما يراقبه : يعنى ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من سلاحهم ، فإذا كان مقتولا بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق فى الماء لم يخش البلل . وهذا من قول بشار :

كَمُزِيلٍ رجليه عن بللِ القطـ   ـرِ وما حَوْلَهُ مِنَ الأرضِ بَحْرُ

وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبى — : هذا مأخوذ من قول عدى بن زيد :

لَوْ بِغَيْرِ المــاء حلقى شَرِقٌ   كنتُ كالغصانِ بالماء اعتصارى [١]

قال العكبرى : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول ما بال فؤادى لا ينتقل عن حبها وبكل فؤاد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — مابى ؟ لأن التعجب إنمــا هو من فؤاده ، لامن أفئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبهـا عنى ولا أسلوها إذا كان قومها وعشيرتها يحبونهـا كحبى ؟ يشير إلى أنها محبوبة فى قومها منيعة فيما بينهم ، وأنه فى يأس من الوصول إليها ، واليأس من الشىء يوجب السلو عنه ، كما قالوا : اليأس إحدى الراحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوغة فى حبها مبلغاً لا يبلغه أحد مالم ينتقل إليه منه ؛ وهذا وجه التعجب فى البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب عشيرتها فيه من حبها مثل ما فى قلبى مع أن مافى قلبى باق فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟

---

(١) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه عليلا قليلا ؛ والغصان : الغاص. ويقال: غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه .



مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الأَلْحَاظِ مَالِكَةٌ ... لِمُقْلَتَيْهَا عَظِيمُ المُلْكِ فِي المُقَلِ (١)

تَشَبَّهُ الخَفِرَاتُ الآنِسَاتُ بِهَا ... فِي مَشْيِهَا فَيَنَلْنَ الحُسْنَ بِالحِيَلِ (٢)

قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتَهَا ... فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلاَ عَسَلِ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغا من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبارة ابن جنى : أجود مايتأول فى هذا أن يجعل الذى يجده من الشوق كأنه شخص، والشخص إذا حصل فى مكان لم يشغل غيره. فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده، لأنه فى أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكانا ،فإذا كان فى قلب واحد جاز أن يكون فى قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب فى عشيرتها به الذى بأبى الطيب من حبها ، فما بال حبها فى قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسنها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

(١) يقول : هى مطاعة اللحظ من بين ألحاظ الحسان ؛ إذا دعا لحظها إنسانا إلى هواها لبى مطيعاً فهى مالكة القلوب فتانة ؛ ولمقلتيها ملك عظيم فى دولة المقل ، لهما دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجة : أى إن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف ألحاظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأن عينيها مالكة العيون . وهو معنى قول أبى نواس :

كلَّ يوم يسترقُّ لهــــا ... حُسنُهَا عبداً بلا ثمن

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين— أى تتشبه: والخفرات:الحييات،والآنسات: جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك . يقول : إن النساء الحييات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيتشبهن بها فى حسن المشية ويرين مثل دلها ، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويحتلن حتى ينلن ذلك وعبارة ابن جنى والواحدى : إذا كان فى حسن امرأة تقصير تشبهت بها فى مشيها ، فيجبر حسنُ المشى تقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بى من الدهر حلاوته ومرارته ،فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانقضائهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئا منهما : وهذا من قول البحترى :



وَقَدْ أَرَانِى الشَّبَابُ الرُّوحَ فِى بَدَنِى ... وَقَدْ أَرَانِى الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِى بَدَلِى (١)

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَىِّ مُرْتَدِيًا ... بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلاَ غَزِلِ (٢)

فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدَفِّعُهُ ... وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلاَ الْقُبَلِ (٣)

ومن عرَفَ الأيام لا يرَ خفضها ... نعيما ولا يعدُدْ تصرُّفها بلوَى

(١) يقول : إنه إنما كان حيا حين كان شابا ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره ، كما قال الآخر :

من شاب قد مات وهْوَ حىٌّ ... يمشى على الأرض مشى هالكْ

والمعنى : أنه تغير بعد المشيب حتى صار غير ما كان أولا ، وعبارة العكبرى : قد صحبت الشباب مسرورا وأرانى الروح - يريد القوة والجلادة والنهضة - فى بدنى ثم صحبت المشيب مستكرها لصحبته فأرانى الروح فى بدلى بتغير أحوالى وعجزى عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب ، وصرت أستعين بغيرى يساعدنى على أحوالى ، وكأنى بهذا قد أرانى الروح فى بدلى - يريد القوة والنشاط - والذى كنت أفعله وحدى صرت أحتاج فيه إلى مساعد وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره ، وقال ابن فورجه : أحسن ما يحمل عليه البدل فى هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أو أن شيخوخة الأب وإذا مات ورثه، فيكون كأنه بدله فى ماله وبدنه .

(٢) رجل عزهاة وعزهاءة وعزهى وعزه وعزهى وعزهاء وعنزهوة وعنزهو : كله عازف عن اللهو والنساء لايطرب للهو ويبتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن ، والجمع عزاه مثل سعلاة وسعال وعزهون - بالضم - قال ابن برى : ويقال عزهاة للرجل والمرأة . قال يزيد ابن الحكم :

لحقا أيقنى لا صبر عنـــدى ... عليه وأنتِ عِزْهـــاة صبور

والغزل : الذى يهوى محادثة النساء . يقول : أتيت حبيبتى ليلا ومعى سيفى وقد جعل السيف موضع الرداء والسيف لايوصف بالميل إلى النساء ولا بالميل عنهن .

(٣) التراقى : جمع الترقوة ؛ العظم الذى بين المنكب وبين ثغرة النحر . يقول : فبات السيف بيننا ونحن متعانقان ولاعلم له بما يجرى بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولاغير ذلك مما يجرى بين المحبين إذا هما تعانقا ، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والمخافة وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف



ثُمَّ أُغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ   عَلَى ذُؤَابَتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخِلَلِ (١)

لاَ أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلاَّ مِنْ مَضَارِبِهِ   أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ (٢)

جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ   فَزَانَهَا وَكَسَانِي الدِّرْعَ فِي الْحُلَلِ (٣)

---

(١) الردع : التلطخ بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى لطخ وأثر ، وردعه بالشيء يردعه ردعا فارتدع : لطخه به فتلطخ ؛ قال ابن مقبل :

يخدِى بهـا بازِلٌ فُتْلٌ مَرَافِقُهُ   يجرِى بديباجتيهِ الرشحُ مُرْتَدِعُ (١)

ويروى من درعها : أى ثوبها . وذؤابة السيف — هنا — حمائله . وجفنه : غمده. والخلل : جمع خله — بكسر الخاء — وهى مايغشى به الغمد من الجلد المنقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه الغمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان: نصل الرمح، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمحذوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنبوبتين يقول لاأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه. قال العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان — بالتنوين —والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى:ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لاللسنان ،وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضا فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ماوهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

---

(١) خدى البعير والفرس يخدى خديا أسرع وزج بقوائمه مثل وخد ، وجمل بازل بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والفتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أفتل بين الفتل . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصبغ بالعرق الأسود ، كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنه .



وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِي ... بِحَمْلِهِ مَنْ كَعَبْدِ اللهِ أَوْ كَعَلِي (١)

مُعْطِى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاهِبِ وَالْبِـ ... يضِ الْقَوَاضِبِ وَالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ (٢)

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ ... مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٣)

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ ... وَالْبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ (٤)

مِنْ تَغْلِبَ الْغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ ... وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجُبْنِ وَالْبَخَلِ (٥)

وهبنيها وكسانى فى جملة ما أعطانى من الثياب الدرع ؛ يعنى أنه وهبه سيفاً ودرعا فى جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة . يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لى ومعلمى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعنى لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفتى : مبتدأ مؤخر .

(٢) الكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التى كعبت ـ نبتت ـ ثديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاهب : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع الماضية . والعسالة : الرماح التى تضطرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التى تدل على أنه يستصحب كماة الفرسان وأعلام الشجعان فيعتمدهم فى هباته بما يوافقهم ويعضدهم بما يشا كلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يخلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويجشمه مالا يعهده ، فيضيق عن فخامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه : وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجذل الفرح ؛ والوجل الخوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم فى خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشتغل بجيشه لا يتفرغ لغيره والبحر فى خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة الممدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه



وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ ... بِالْجَاهِلِيَّةِ عَـيْنُ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ (١)

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ ... فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ (٢)

خُـذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ ... فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَـلِ (٣)

وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَاسَعَةٍ ... فَإِنْ وَجَـدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ (٤)

إِنَّ الْهُمَامَ الَّذِي فَخْرُ الْأَنَامِ بِهِ ... خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَّيْ خَيْرَةِ الدُّوَلِ (٥)

مبتدأ مؤخر ؛ والنصب : الأصل . وأعادى الجبن، صفة لعدى . يقول : أصله من تغلب التى غلبت الناس نجدة وشجاعة ، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل .

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة ، وجملة تنجده — أى تعينه — حالية ، والعى العجز عن الكلام ؛ والخطل : اضطراب القول وفساده . قال الواحدى : هذا تعريض بأبى العباس النامى الشاعر ، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا فى الجاهلية . يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين العى ثم أكد هذا المعنى وتممه فى الأبيات التالية .

(٢) قوله فما كليب : أدخل ما على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه . وكليب : هو كليب بن ربيعة رئيس بنى تغلب فى الجاهلية . يقول: ليت ما مدح به من الشعر يستوفى ذكر فضائله ومحامده ، ومتى يتفرغ الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة وأين هم منه ؟

(٣) يقول . امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به ، فإن الشمس تغنيك عن زحل ، جعله كالشمس ، وآباءه كزحل وهو نجم بعيد خفى — يعنى فما قرب منك عوض عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد : قال العكبرى . وهذا من قول الحكيم : العيان شاهد لنفسه ، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ ما كان دليلا على نفسه .

(٤) يقول : وقد وجدت من مآثر الممدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعاً للقول فإن وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئاً تقوله ؛ يعنى أنه لا ينقصه شيء يمدح به ، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح مافيه .

(٥) الهمام ذو الهمة العالية ؛ وخيرة : تأنيث خير ، بمعنى أفضل ، لما ألقوا الهمزة

تُمْسِي الْأَمَانِيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ ۝ فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي (١)

أُنظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي رَهَجٍ ۝ إِلَى اخْتِلَافِهِمَا فِي الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ (٢)

هٰذَا الْمُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً ۝ أَعَدَّ هٰذَا لِرَأْسِ الْفَارِسِ الْبَطَلِ (٣)

من أوله استسهلوا تأنيثه بالتاء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشيء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ، ويقال تركته صريعاً : أى قتيلا يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفيساً إلا وله خير منه،أو صار له ذلك الشيء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطا منها فلم يبق فى الدنيا شيء يستحق أن يتمناه ، لأن كل شيء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى فى قوله :

ومُظفَّرٌ بالجـــدِ إذرا كأنهُ ۝ فى الحـــظ زائدةٌ على أوطارِهِ

وهو ضد قول عنترة :

ألا قاتل الله الطلول البَوَاليــــا ۝ وقاتلَ ذكراكِ السنين الخواليا

وقولكِ للشيءِ الذى لا تنـــالهُ ۝ إذا ما حلا فى العين يا ليتَ ذاليا

(٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : الغبار وريب الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا ــ أى مجرداً ــ حال من ضمير المعد . يقول إذا اجتمع السيفان فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين ــ وهو الممدوح ــ معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطعُ لزَباتِ الزمانِ مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة يضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو الكل فى الكل . ومن هنا كان اختلافهما .



فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ
وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ (١)

وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعِلِ (٢)

جَازَ الدُّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ (٣)

فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ (٤)

---

(١) الكدرى : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر فى حجم الحمام ، أحمر المنقار والرجلين ، وهو يعيش فى الجبال ، والعرب بلادها المفاوز والصحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا فى الفلوات والروم تفر منه مع الحجل فى جبالها .

(٢) من أسد : يروى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومعقله : المكان الذى يعتصم به فى رءوس الجبال: يقول: ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشى به خيله فى آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال فى آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها فى سرعة العدو ــ الجرى وطول الساق ــ قال الواحدى وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد فى الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العراب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشى بسيف الدولة فى الجبال لطلب الروم وقتالهم واستنزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفزع . يقول إنه تغلغل فى بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة ما رأوا من السبى والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأت فى نومها السبى الذى تحذر وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر فى قلوبهم من الخوف لا يفارقهم فى النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمته أيضا ، قال الأخطل :

فحلمتها و بنور فيدة دونها لا يبعدن خيالها المحلوم (١)

---

(١) قال الجوهرى : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم فى نومه أنه يباشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .



إنْ كُنتَ تَرْضَى بأَنْ يُعْطُوا الجِزَى بَذَلُوا
مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بالحَـــوَلِ (١)

نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَــدَرَا
يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَــيْرِ مُنْتَحِلِ (٢)

بِالشَّرْقِ وَالغَــرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمُ
فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُــلِ (٣)

أما الحلم ـ بالكسر ـ فهو الأناة والعقل . تقول : حلم ـ بالضم ـ يحلم حلما : أى صار حليما ، وتحلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائى

تحلَّمْ على الأدنينَ واستبقِ وُدَّهُم ولن تستطيع الحلم حتى تحلَّمَا

أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع فى الجلد فيأ كله ، قال الوليد بن عقبة بن أبى عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام، ويقول له : أنت تسعى فى إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلم ـ الذى وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به :

فإنَّكَ والكتابَ إلى عليٍّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ

(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبته ويحفظ دمه . يقول ـ مخاطبا سيف الدولة ـ : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتعفو عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهم ، كالأعور يتمنى الحول ، والحول خير من العور يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : المدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت مجدك الموصوف فى شعرى وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا فى الآفاق وبعد ذكرهما يامجدا غير منتحل فى شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره فى شعره وأنهما يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثى إلا شذوذا . يقول : ـ لشعره ومجد الممدوح ـ أنتما سائران فى الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم فى أمرنا ومطالعتهم بأحوالنا فتحملا إليهم رسالتى وهى ماذكره فى البيت التالى .



وَعَــرَّفَاهُمْ بِأَنِّى فِى مَكَارِمِهِ أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ (١)

يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِى ،

وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإِحْسَانِ لاَ قِبَلِى (٢)

مَا كَانَ نَوْمِىَ إلاَّ فَوْقَ مَعْرِفَتِى بِأَنَّ رَأْيَكَ لاَ يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ (٣)

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٤)

---

(١) الخول : الخدم . يقول : عرفاهم أنى متقلب فى نعماء فى سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف فى فواضله ، أقلب الطرف ـ النظر ـ بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أتاك الشكر من جهة إحسانك فإحسانك هو الذى شكرك ، لا أنا كأنه ينفى المنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتى : رواها ابن جنى «إلا بعد معرفتى» وقال: ما لحقنى السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك وحلمك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ما نمت عما وجب على من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقتى باحتمالك وسكونى إلى جزالة رأيك . قال الواحدى ـ بعد أن أورد كلامهما ـ : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى . إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسى واطمأنت مع عتبك لثقتى بحلمك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلمى أنك لا تعجل على ولا ترهقنى عقوبة، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيقى لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتى ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلل ؛ أى أنت موفق فى كل ما تفعله لا تأتى الزلل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنهضك من عثرته ؛ وأنل : من الإنالة ـ الإعطاء ـ وأقطع : من قولهم أقطعه أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حمله على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جاهى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب الغم ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش ـ وبش : من قولهم بش بالرجل يبش : أى ابتسم إليه وآنسه . ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنل : يحمل إليه كذا وكذا من الدراهم، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية ـ وهى ضيعة بباب حلب ـ وتحت «عل» : قد

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ (١)

وَمَا سَمِعْتُ ، وَلاَ غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ؛ وتحت زد : يزاد كذا وكذ ، وتحت تفضل ـ وهو من الأفضال ـ قد فعلنا ، وتحت أدن: قد أدنيناك منا، وتحت «سر» قدسررناك ،فقال المتنبي : إنما أردت من التسرى ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له المعقلى ، فحسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هيء هيء هيء؟ـ يعنى حكاية الضحك ـ فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرىء القيس:

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وذادَ وقادَ وعادَ وأفضلْ

ومثله لأبي الهميثل :

يا مَنْ يُؤمِّلُ أن تكون خِصالُهُ كخِصالِ عبدِ الله أنصِتْ واسمعِ

أصْدُقْ وعِفَّ وبَرَّ واصبرْ واحتمِلْ واحلُمْ ودارِ وكافِ وابذلْ واشجعِ

(١) يقول : لعلى أحمد عاقبة عتبك وذلك أن أرتدع بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقق وفائى وإخلاصى فى خدمتك ، ويقطع عنى ألسنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ماقد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفى هذا نظر إلى قول الآخر :

لعلّ سَبًّا يُفيدُ حُبًّا فالشرُّ للخيرِ قد يجرُّ

وقريب منه قول ابن الرومى :

أحمَدُ اللهَ إذْ رُزِقْتَ هجاءً هُوَ بعْدَ الخمولِ نَوَّهَ باسْمِكْ

قد تذكرتُ مُوبقاتِ ذُنوبي فرجوتُ الخلاصَ منها بشَتْمِكْ

(٢) غيرى : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ«لا» كما فى قوله تعالى « ماأشركنا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول: ماسمعت ولا سمع غيرى بملك

لأنَّ حِـــلْمَكَ حِـــلْمٌ لاَ تَـكَلَّفُهُ
لَيْسَ التَّـكَحُّلُ فى الْعَيْنَيْنِ كَالْـكَحَلِ (١)

وَمَا ثَنَاكَ كَلاَمُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ ... وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ (٢)

أَنْتَ الْجَوَادُ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرٍ ... وَلاَ مِطَالٍ وَلاَ وَعْدٍ وَلاَ مَذَلِ (٣)

أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ ... غَيْرَ السَّنَوَّرِ وَالْأَشْلاَءِ وَالْقُلَلِ (٤)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب ـ يذود ويدافع ـ عمن يغتاب عنده زوراً وبهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشايات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفعل تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل ـ يعنى المغتاب ـ وقد بين علة ما ذكره هنا فى البيت التالى .

(١) تكلفه بحذف إحدى التاءين ـ أى تتكلفه ؛ والكحل : سواد فى أجفان العين خلقة * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأن لك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تتكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للتكلف والمطبوع .

(٢) ثناك : ردك وصرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجبه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؟ أى كما أنه لا يستطاع هذا لا يستطاع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : والمطال ـ بالكسر ـ المماطلة ؛ والمذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروحُ على التجارِ مُرَجَّلا ... مَذِلا بمالى لَيِّناً أجيــادى

وقال قيس بن الحطيم :

فلا تمـذُلْ بسرِّك كلُّ سِرٍّ ... إذا ما جاوزَ الإثنـين فاشِى

يقول : لا تكدر عطاءك بالمن أو المماطلة أو الوعود أو الملل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وسميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى قتلى هوازن :



وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً ... كَأَنَّهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلِ (١)

لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرُضٍ ... بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ (٢)

* * *

ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :

أَقِلْ أَنِلْ أَنْ (٣) صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٣)

وجاءوا به في هَوْدَجٍ ووراءه ... كتائبُ خُضْرٌ في نسيج السَّنَوَّرِ (١)

والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم وأجسامهم ورءوسهم : أى أنت الشجاع في مثل هذه الحال التى تنخلع فيها قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يطأ » ومقارعة : حال من القنا أو مفعول ، والجدل ، اللدد فى الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل فجدلته : أى غلبته ، ولعله من قولهم جدلت الرجل : أى ألقيته على الجدالة ، وهى الأرض قال الراجز :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلهْ ... وأتركُ العاجزَ بالجدالهْ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها . وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضا بتخالف الطعان وتقارع الأقران حتى كأنه من شدة تلك المقارعة ، واتصال تلك المقاومة فى جدل لا يقلع ، وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعو له ، يقول : لا زلت ضاربا أعداءك كيفما وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل فى أجل مستأخر : أى معصوما بأجل يستأخرك ، وهذا من قول بعضهم ــ وقد سئل فى أى شىء تحب أن تلقى عدوك ؟ ــ قال فى أجل مستأخر .

(٣) أن : أى ارفق .

---

(١) قوله وجاءوا به : يعنى قتادة بن مسلمة الحنفى ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم مسلمة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبى .



فرآهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِفِ اسْرِ نَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ[١]
وَهَـذَا دُعَاءٌ لَوْ سَـكَتُّ كُفِيتَهُ ... لِأَنِّى سَأَلْتُ اللهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ[٢]

* * *

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أُتْرُجٌّ وَطَلْعٌ وهو يمتحن الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب، فقال أبو الطيب :

شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ ... تُرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلْعُ النَّخِيلِ[٣]

---

(١) عش : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع . وسد : من السيادة . وقد: من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من الجود ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كن صاحب أمر ونهى . ور : من الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رئات أعدائك بأن توجعهم وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل؛ أى نل ماتريد بسعدك وإقدامك وتأييدك : وغظ : من الغيظ ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمى ، أى ارم بيأسك من يكيدك ويبغضك . وصب : من صاب السهم الهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب : أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو: أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبى : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفزع أعداءك ؛ وزع : من وزعه — أى كفه — أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل الدية عمن تجب عليه . و ل : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محموداً فى ولايتك . واثن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أدع به كنت مكفيا ذلك ، لأنى سألت الله هذه الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٣) الشمول : من أسماء الخمر . والترنج . لغة فى الأترج ، وهو ثمر من جنس الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول ما يرى من عذق



وَلَـكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيـهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ (١)
وَمَيْدَانُ الْفَصَـــاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ (٢)

* * *

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي (٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعنى أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذهما لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، فحذف لديك وأتى به فى البيت الثانى ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضمر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شىء فيه طيب مما دق إلى ما جل ،أى أكان صغيراً أم كبيراً .فقوله : لديك خبر كل .

(٢) وميدان : عطف على كل — فى البيت السابق — وممتحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يمتحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وتمتحن الفوارس والخيل بالتسابق والتجاول والطراد، هذا هو الذى الذى تنزع إليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهو . قال الواحدى : عارض المتنبى بعض الحاضرين فى هذه الأبيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت من شرب الشمول على الأترُجِّ أو طلع النخيل
لشغلك بالمعـــالى والعوالى وكسبِ المجد والذكرِ الجميل
وقدحِ خواطر العلمـاء فحصاً ومُمتَحن الفوارس والخيـول

فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيباً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان بيانى فيه بقدر ماعاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولـكنه بنى الـكلام على ماعاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد وفى مجلسك ترنج الهند .

فَعارَضَــهُ كَلامٌ كانَ مِنْهُ ... بِمَنْزِلَةِ النِّساءِ مِنَ الْبُعُولِ[١]
وَهَذا الدُّرُّ مأمُونُ التَّشَظِّى ، ... وَأَنْتَ السَّيْفُ مأمُونُ الْفُلُولِ[٢]
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِى الأَفْهامِ شَىْءٌ ... إذا احْتاجَ النَّهارُ إلَى دَلِيلِ[٣]

* * *

ودخل عليه فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وعنده رسول ملك الروم وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الغلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقِيتَ الْعُفاةَ بِآمالِها ، ... وَزُرْتَ الْعُداةَ بِآجالِها[٤]
وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِى إلَيْــكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وَأَشْبالِها[٥]

---

(١) البعول : جمع بعل ، الزوْج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامى انحطاط المرأة عن درجة الرجل . وهذا ينظر إلى قول أبى النجم :

إنى وكلُّ شاعر من البشَرْ ... شيطانه أنثى وشيطانى ذَكَرْ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشظى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من السيف ، والتشظى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التى تصيب السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تتفتت أجزاؤه ولا يصير قطعا لاكتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذى لا يتثلم حده ولا يخشى عليه الانفلال .

(٣) يقول : إن من لايعرف النهار إلا بدليل يدله عليه لم يصح فى فهمه شىء لأنه لا فهم له ، كذلك كلامى كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهاراً إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة :جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك تعطى سائليك ما أملوه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بزيارتك لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليوث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إذَا رَأَتِ الأُسْدَ مَسْبِيَّةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا[١]

* * *

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحاً كان بين يديه وَرُفع فقال ارتجالا :

وَصَفْتَ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلَاحاً كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ[٢]

وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إلَى الْقِتَالِ[٣]

فَلَوْ أَطْفَأْتَ نَارَكَ تَا لَدَيْهِ قَرَأْتَ الْخَطَّ فى سُودِ اللَّيَالِى[٤]

إنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ[٥]

---

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَانَت الأُسْدُ مِن صَيده فَلَنْ يُفلِتَ الدهْرَ منه أحدْ

(٢) يقول : وصفت لنا سلاحا ولم نره ـ لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه ـ فكأنك تصف وقت النزال ـ الحرب ـ لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير فى نره : عائد إلى السلاح لأنه فى نية التقديم . قال العكبرى : ونصب سلاحا على إعمال الفعل الأول ـ وهو وصفت ـ على مذهبه ـ أى مذهب المتنبى وهو كوفى مثل العكبرى ـ فى إعمال الفعل الأول ، ومثله لذى الرمة :

ولم أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِى لئيماً أن يكون أصاب مالا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب . فـ« أن » وصلتها عطف على سلاحا .

(٤) تا : أى هذه . يعنى ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التى يستضىء بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يغنى عن النار فى الإضاءة ، حتى يقرأ ما خط فى الصحف فى الليالى الحالكة . قال العكبرى : « تا » : نعت لـ« نارك » وهى فى موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيداً هذا ، فهذا نعت لزيد : أى هذا المشار إليه ، ولو جعل بدلا لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ« ذا » إلى المذكر الحاضر

(٥) استحسنت : أراد استحسنته ، فحذف الهاء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسنت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلك إعماله فى الوغى ، وهو على الرجال .



وَإنَّ بِهَا ، وَإنَّ بِهِ لَنَقْصًا ، وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الكَمَالِ (١)
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ جَانِبَيْهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالاً لِحَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة (*) :

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)
يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الَّذِي لا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

---

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكمالها بك .

(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبى ذلك السلاح لأكثر من تقليب رأيه فى التوقى منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى على ، مثلها فى قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها ، فنزل حران وأخذ رهائن بنى عقيل وقشير وبلعجلان ، ثم حدث له بها رأى فى الغزو ، فعبر الفرات إلى دلوك إلى قنطرة صنجة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قباقب حتى ورد المخاض على الفرات ، ورحل إلى سميساط ، فورد الخبر بأن العدو فى بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلوك وعبرها ، فأدركه راجعاً على جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيه يقول : إن ليالى الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهى متشابهة فى الطول لبعد الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشاكلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحا ولا نوما . يقول : لا يتغير حالى فى ليالى بعد الأحبة ولا ينقضى غرامى ووجدى بهم : أى أنه لا يسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ما شئتَ أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٤) الضمير فى « يبن » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء الذى لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب :



وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً ‏ وَلَـكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُـــولُ[1]

وَإِنَّ رَحِيلاً وَاحِـــداً حَالَ بَيْنَنَا ،

وَفِى الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيـــلِ رَحِيلُ[2]

إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ ‏ فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَـــةٌ وَقَبُولُ[3]

---

(١) يقول : ليس بقائى بعدهم سلواً عنهم ، ولكن لأنى صبور على النوائب والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلى :

فلا تحسَبِي أنى تناسيْتُ عهدَ كم ‏ ولـكنَّ صبرى يا أميمَ جميـلُ

وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة «حال بيننا» خبر «إن» . يقول : إن ارتحال الأحبة عنى حال بينى وبينهم ، لأنا افترقنا ، وفى الموت الذى يسببه الفراق ارتحال آخر : يعنى أنه لا يعيش بعدهم ، أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتنى : فارقتنى . والقبول : ريح الصبا . يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدنينى إليكم — لأنها تذكرنى روائحكم وطيب أيام وصالكم — فلا فارقتنى روضة أتنشق روائحها وريح قبول أتنسم بها لأكون أبداً على ذكر منكم ؛ وفى هذا المعنى يقول البحترى :

يذكّرنا ريّا الأحبةِ كلما ‏ تنفَّسَ فى جُنح من الليل باردُ

والأصل فيه قول الأول :

إذا هبّ عُلْوِىُّ الرياح وجدْتُنى ‏ كأنى لِعُلْوِىِّ الرياح نسيب

هذا . وقوله أدنى : أى أشد إدناء ، فبنى أفعل من المزيد . وقد ذهب ابن جنى فى تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدين . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح فى الدنيا وملاقاة نسيمها ، فلا زلت روضة وقبولا انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنو منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولا ؛ فجعل الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوى على شوق، فأما الأحبة — وإن كان إيثار الروح طبعاً فى الناس — فإنهم لا يوصفون بطلب الروح وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشفى بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أن



وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً ... لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ(١)
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ ... فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ(٢)
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا ... لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ(٣)؟
أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي ... فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ(٤)
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لَقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ(٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هي من برح فلان مكانه : أي فارقه . يقول : إذا لم يكن لي من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسم وطلب روح الهواء وتشممي لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالني أيام اللهو والفرح بقربكم فلا فارقتني روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح ـ هنا ـ بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذي يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتني روضة وقبول يأتيني برائحتكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفي الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرق : الغصص . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سدّت مسدّ الخبر ، بمعنى متذكراً ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إني كلما شربت الماء غصصت به لأني أتذكر الماء الذي نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لي الماء الذي أشربه

(٢) يقول : إن ذلك الماء الذي نزل به الحبيب يحرم ورده لمع الرماح التي ركزها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أي فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) في النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل ـ في آخر البيت ـ مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس في هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلني على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيتي : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستفهام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينيها كما نظرت إليهما فيفتتن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عني وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت كبدي

وَيَوْماً كَأَنَّ الحُسْنَ فِيهِ عَلاَمَةٌ   بَعَثْتِ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ(١)
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ   وَلاَ طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلاَمِ ذُحُولُ(٢)

والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بدا له الفجر عند هذا المكان ، فاشتفت كبده بانصرام الليل كما يشتفى العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلا لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبهها بالدم . قال ابن جنى : سألته — المتنبى — عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنى لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلا وشننا الغارات وغنمنا ، وشفيت كبدى لا نحسار الليل عنى ، والليل قتيل فى ذلك الوضع . فكأن النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . .
وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصبحَ قد سَلَّ سيفَهُ   وَولى انهزاماً ليلُهُ وكواكِبُهْ
ولاح احمرارٌ قلت قد ذُبِحَ الدُّجى   وهذا دم قد ضَمَّخَ الأرضَ ساكِبُهْ

(١) ويوما : عطف على الفجر — فى البيت السابق — يقول : ولقيت بدرب القلة بعد ذلك الليل المستبشع الكريه يوما حسناً جميلا ، فذكرت به محاسنك فكأن حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هى الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكأنها جاءت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جنى : لما ثار الغبار ستر الشمس فكأنها رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفى معناه قول الآخر :

إذا طَلَعتْ شمسُ النهار فإنها   أمارة تسليمى عليكِ فسلِّمى

(٢) اثار : افتعل ، من الثأر ، وأصله الهمز . اثأر يثئر اثئارا : إذا أدرك الثأر ، ظلمه . والذحول : جمع ذحل ، الثأر والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهارى بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلى وما قاسيته فيه ، فكأنى أدركت ثأرى منه ، وهى أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن نزيد المقام إيضاحا قال : قد خلط أبو الطيب فى هذه الأبيات تشبيباً بتقريظ وهى من محاسن هذه القصيدة، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من هم ، وجعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلَـٰكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَـةٍ ... تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ[١]

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا ... وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ[٢]

شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا ... لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ[٣]

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ ... بِحَرَّانَ لَبَّتْهَـا قَنًا وَنُصُولُ[٤]

سيف الدولة لسروره به كالعلامة التي جاءت من المحبوب، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوعها، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبي الطيب على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين وإن كانت من المحال. يدل على هـذا البيت التالي.

(١) الغريبة: الأمر الغريب. وتروق: تعجب. وعلى استغرابها: أي مع استغراب الناس لها. وتهول: تفزع وتخيف. يقول: ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل، وهي مع استغراب الناس لها تعجب المتأمل فيها لحسنها وتوقع في نفسه الهيبة استعظاما لقدرها.

(٢) الدرب: المدخل إلى بلاد الروم. والجرد: الخيل القصيرة شعر الجلد، وهو آية كرمها. يقول: رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا.

(٣) شوائل: حال من الجرد ـ في البيت السابق ـ وشالت العقرب ذنبها: رفعته؛ وتشوال: مفعول مطلق؛ وبالقنا: متعلق بشوائل؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنابها. والمرح: لعب يتبعه النشاط والضمير في تحته: للقنا، ويجوز أن يكون للممدوح. شبه الرماح على الخيل بأذناب العقارب إذا رفعتها، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذناب في ذلك الجرى، وهو دليل كرمها وقوتها، والتشوال أكثر ما يكون عند الجرى، ثم دل على نشاطها بمراحها وعلى عـزة نفسها بصهيلها.

(٤) هي: ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد؛ والخطرة: اسم مرة من خطر له كذا: من باله ـ وحران: بلد؛ ولبتها: أجابتها؛ والنصول: السيوف. يقول: لم تكن هذه الغزوة التي رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له، فأجابت خاطره الرماح والسيوف، أي أنها كانت ـ مع عظمتها وجلالها ـ من غير استعداد ولا احتفال.

هُمَامٌ إذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ ... بِأَرْعَنَ وَطْءُ المَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ (١)

وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فى كُلِّ بَلْدَةٍ ... إذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ (٢)

فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكٍ وَصَنْجَةٍ ... عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ (٣)

عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ ... وَفِى ذِكْرِهَا عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ (٤)

فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً ... قِبَاحًا وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ (٥)

---

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . وهم : أراد فعل الشىء ؛ وأمضى: أنفذ؛ والهموم: الهمم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرته . يقول : هو همام إذا هم بأمر فعله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقيل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وتقيل : أى تنزل وقت الهاجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يجشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل تقيل ببلد آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنجة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعيل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياته وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت ـ فى البيت السابق ـ والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والخمول : خفاء الذكر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذكر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستقبحة وقال العكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : فجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم ، فكانت قبيحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقوله الآتى :

حسنٌ فى عيونِ أعدائهِ أقْـ ... ـبَحُ من ضَيفهِ رأتهُ السوامُ



سَحائِبُ يُمْطِرْنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمِ ... فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ[١]

وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ ... كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُيُولُ[٢]

وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمَوْزَارَ قُفَّلاً ... وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولَ قُفُولُ[٣]

فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَمْعِ خَوْضاً كَأَنَّهُ ... بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ[٤]

تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِى كُلِّ مَسْلَكٍ ... بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ[٥]

---

(١) سحائب : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هى ـ الخيل ـ سحائب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحائب : الغبار الثائر . يصف خيله بالكثرة يقول : سحائب تمطر الحديد عليهم وتحمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والجيب : ما انفتح من القميص على النحر . والثاكلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلا أو أبا أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللائى سبين من الروم يبكين بهذا الموضع منفجعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهدلت إلى الأرض فصارت كأنها ذيول .

(٣) موزار ؛ حصن ببلاد الروم . والقفول : الرجوع يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ ويروى «نجيع» القوم يقول : نخاضت الخيل الدم الذى سفكت من الروم خوضاً وافراً تاماً هائلا حتى هان غمره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الخيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهله فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ ... مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ[(١)]

وَأَضْعَفْنَ مَا كُلِّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ ... فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ[(٢)]

وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا ... تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ[(٣)]

يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ ... سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ[(٤)]

تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، ... وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ[(٥)]

وَفِي بَطْنِ هِنْزِيطٍ وَسِمْنِينَ لِلظُّبَى ، ... وَصُمِّ الْقَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ[(٦)]

---

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمى ، والاسم الأعجمى إذا وقع إلى العرب تصرفت فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والثكول : التى تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت فى دماء أهل ملطية . أى سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أماً لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباقب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أى كلفن قطعه و «من» الداخلة على قباقب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعفت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزاحمها فأضحى ماؤه كالعليل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .

(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته ـ أفزعته ـ كثرة الخيل ـ أى كثرة الجيوش ـ التى خاضته ، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا لأن الروع يكون فى القلب .

(٤) السابح : الفرس الذى يمد يديه كأنه يسبح فى جريه ، ويحتمل هنا سباحة الماء والغمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : مجرى الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويجرى أمامها وهى تتبعه ، فجعل ذلك كالمطاردة، ثم قال: إن هذه الخيل ـ لقوتها كانت لا تكترث لغمرة الماء ، بل سواء لديها الغمرة والمسيل ، فتسبح فى الغمرة كما تسير فى المسيل الذى لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس فى النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقى الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنزيط وسمنين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . والظبى : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ وممن أبدن . متعلق



طلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَـةً يَعْرِفُونَهَا ... لَهَا غُرَرٌ ما تَنْقَضِي وَحُجُـولُ[(١)]

تَمَلُّ الْحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا ، ... فَتُـلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ[(٢)]

وَبِتْنَ بِحِصْـنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى

وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيـلُ[(٣)]

وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ ، ... وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولُ[(٤)]

وَدُونَ سُمَيْسَاطَ الْمَطَامِيرُ وَالْمَلَا ، ... وَأَوْدِيَةٌ مَجْهُـولَةٌ وَهُجُولُ[(٥)]

بيديل يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا ممن أفنتهم . يعني أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتهاهذهالخيل .

(١) الغرر : جمع غرة : البياض فى وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون فى قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة ، قد عرفوها لها شهرة كغرر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .

(٢) الشم ؛ الطوال المرتفعة فى السماء . يقول : إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هى عن أماكنها بالخراب وتمكننا من أهلها .

(٣) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى ؛ ساقطة هزالا من الإعياء . والوجى : الحفى . يقول : باتت الخيل معيية بهذا الموضع مما أصابها فى حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذلت له وإن كانت عزيزة قوية .

(٤) قوله وفى كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل — فى صدر البيت السابق — والفلول : الثلوم . يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة مالاقوا ماخلا سيف الدولة ، فإنه لا يفتر ولا يمل ، وكذلك كل سيف فى ذلك الجيش قد فله — ثلمه — الضرب ، أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .

(٥) سميساط : بلد بشاطىء الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة فى الأرض يخبأ فيها الطعام والشراب والملا : جمع ملاة ، وهى الفلاة ذاتالحروالسراب . الهجول : جمع هجل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زيد :

لَبِسْنَ الدُّجَى فيهَا إلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ
وَلِلرُّومِ خَطْبٌ فِي البِلَادِ جَلِيلُ[1]

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ العَالَمِينَ فُضُولُ[2]

وَأَنَّ رِمَاحَ الخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، وَأَنَّ حَدِيدَ الهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ[3]

فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَتًى بَأْسُهُ مِثْلُ العَطَاءِ جَزِيلُ[4]

تَحِنُّ لِلظِّمْءِ مما قد ألَمَّ بها بالهَجل منها كأصواتِ الزنابيرِ[1]

يقول : قبل الوصول إلى سميساط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بالثغر قرب أنطاكية ؛ أى سارت الخيل فى تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت فى الظلمة . وقوله وللروم خطب ذلك أن سيف الدولة لما نزل بحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم فى بلاد المسلمين يعيثون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر قسطنطين بن الدمستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بحوافر خيله وذلل أهلها .

(٢) فضول : أى زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما رأوه كذلك علموا أنه يغنى غناء الناس جميعا وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكليل : الذى لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهيبة فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : الذكر من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحد سيفه .

---

(١) قوله بالهجل : خبر مقدم ؛ وكأصوات — أى مثل أصوات — مبتدأ مؤخر. قال ابن برى : والذى فى شعره الزنانير — بالنون — وهى الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلاَّتِ بِالْمَالِ كُلِّهِ ... وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بَخِيلُ[(1)]

فَوَدَّعَ قَتْلاَهُمْ وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ ... بِضَرْبٍ حُزُونُ الْبَيْضِ فِيهِ سُهُولُ[(2)]

عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ... وَإِنْ كَانَ فِى سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ[(3)]

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ ... فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَئُولُ[(4)]

لجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافحة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتى باسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذى عليه الدرع . يقول : يجود بماله على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبذل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدار عين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبارة ابن جنى : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميهم اصطناعا[(1)]

(٢) الفل : المنهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل. والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رءوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشييع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الدمستق ، والكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة .وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لعلك يوما تعود إلينا فيحيق بك الهلاك الذى استدفعته بفرارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، ولعله من قول ابن الرومى :

---

(١) من اصطناع المعروف



نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً ... وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ (١)

أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِبًا ، ... وَيَسْكُنَ فِى الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ (٢)

بِوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ ... نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ (٣)

أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا ... عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ (٤)

إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلاَّ فَرِيسَةً ... غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ (٥)

وإذا خشيتَ من الأمور مقدراً ... وهربت منه فنحـوه تتوجّه

(١) المهجة : الروح ، وأنث جريحة بالتاء ضرورة ، وخلفت : تركت خلفك : أراد بمهجته الأولى — وهى الجريحة — نفس الدمستق ، وبالثانية : — التى تسيل — ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة ليدنه لأن جرح البدن يسرى إلى الروح ، وكنى بسيلان المهجة الأخرى — وهى ابنه — عن الهلاك : أى أنه يقتل فيسيل دمه ، قال السموءل :

تسيل على حدّ الظُّباتِ نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل

يقول : إنه هرب مجروحا — لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الوقعة — فنجا بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك ، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى — ابنه — لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه .

(٢) أسلمه . خذله وتركه والاستفهام : استفهام إنكار وتوبيخ ، والخطية : الرماح ويسكن بمعنى يطمئن ويركن ، وهو جواب الاستفهام . يقول : أتخذل ابنك وتتركه للرماح وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خلانك ؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا .

(٣) المرشة : الطعنة ترش الدم ، والرنة : الصياح ، والعويل : البكاء . يقول : بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل ، يعنى أنك عاجز عن نصرة نفسك فكيف تنصر ابنك ؟

(٤) يقول : أغركم كثرة رجالكم ؟ لا تغرنكم الكثرة ، فإن علياً — اسم سيف الدولة — يغلبكم وإن كثر عددكم ، فالمراد بالشرب والأكل : الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر ، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين ، وكأن هذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فإن يكُ باقى إفْكِ فرعونَ فيكم ... فإن عصى موسَى بِكَفِّ خصيبِ

(٥) غذاه : صار له غذاء ، والضمير لليث : وأنك فيل : فاعل ينفعك أو غذاه



إذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ ... هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ (١)

فإنْ تَكُنِ الأيَّامُ أبْصَرْنَ صَوْلَهُ ... فَقَدْ عَلَّمَ الأيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ (٢)

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا ، ... فَإنَّكَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ (٣)

إذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ ... فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ (٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أنتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئاً ، كالفيل مع الأسد فإن الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن إلا فريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخم الجثة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك فى النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا فى يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا فى شفائه بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؟ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان

(٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك مالم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواضيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشابهتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويزمر . وعنى ببعض الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؟ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاتل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال العروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا مخبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أنا السَّابِقُ الْهَادِى إِلَى مَا أَقُولُهُ ... إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ (١)

وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيبُنِى ... أُصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِيهِ أُصُولُ (٢)

أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى ... وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ (٣)

سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فَإِنَّهُ ... إِذَا حَلَّ فِى قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ (٤)

وَلَا تَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ فِى مَوَدَّةٍ ... وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ (٥)

وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ ... كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ (٦)

يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا ... وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ (٧)

وجواب وجوابات ، وهوكثير فى كلام العرب فى جمع مالا يعقل من المذكر ؛ إذ لا يوجد له مثال القلة

(١) الهادى : بمعنى المهتدى ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول : أنا الذى أتقدم غيرى وأسبقه إلى ما أقول ، يعنى أنه يخترع المعانى الأبكار التى لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أرابه : جعل فيه ريبة ، والريبة الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادى فيما يريبنى لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أى ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادى على علمى وفضلى وتقدمى فى الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول فى ولاتسكن : أى لا أتعرض لهم ، أمامهم فلا يفترون عن تلمس ما يشنعون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بمداواة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل فى قلب فلا أمل فى زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتنيل : تعطى . يقول : لاتطمعن فى مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنا لنلقى الحادثات بأنفس جلدة تحتقر الخطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبى تمام :

لا يأسفون إذا هم سمنت لهم ... أحسابهم أن تهزل الأعمار



فَتِيهاً وَفَخْراً تَغلِبَ ابنَةَ وَائِلٍ ، فَأَنتِ لِخَيرِ الفَاخِرِينَ قَبِيلُ(١)

يَغُمُّ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَـدُوُّهُ إذَا لَمْ تَغُلْهُ بالأَسِنَّةِ غُولُ(٢)

شَرِيكُ المَنَايَا وَالنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ ، فَـكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولُ(٣)

فَإنْ تَـكُنِ الدَّوْلاتُ قِسماً فَإنَّهَا لِمَنْ وَرَدَ المَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ(٤)

لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبِيضِ فِى هَامِ الكُمَاةِ صَلِيلُ(٥)

* * *

(١) أنث « تغلب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : افخرى وتيهى ، فإنك قبيلة خير من فخر ، يعنى سيف الدولة . وتيها وفخراً : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه حتف أنفه ولم يقبل برماحه غمه ذلك ،لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمى ، والضمير فى قوله لم يمته : مفعول مطلق مثله فى قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » والغلول: الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة وكل من خان فى شىء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله. يقول : بينه وبين المنايا شركة فى النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خانته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه .

(٤) الدولات : جمع دولة ــ بضم الدال وفتحها ــ العقبة فى المال والحرب سواء ، وقيل بالضم فى المال ، وبالفتح فى الحرب . وقيل بالضم اسم للشىء الذى يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى فى الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفىء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر، والموت الزؤام : الوحى ــ العاجل ــ أو الكريه. يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزؤام غير متهيب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » فى البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والكماة : الأبطال المدججون بالسلاح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع صليل الحديد فى رءوس الشجعان .

وقدجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول في هذا وما تحكم يا أبا الطيب ؟ فقال :

إن كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الأنامِ سائِلاَ   فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضائِلاَ
مَنْ أنتَ مِنْهُمْ يا هُمامَ وائِلاَ   ألطّاعِنِينَ فى الوَغَى أوائِلاَ[1]
وَالعاذِلِينَ فى النَّدَى العَواذِلاَ   قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ القَبائِلاَ[2]

***

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هذِى الرَّسائِلُ   يَرُدُّ بِها عَنْ نَفْسِهِ وَيُشاغِلُ[3]
هِيَ الزَّرَدُ الضّافِى عَلَيْهِ وَلَفْظُها   عَلَيْكَ ثَناءٌ سابِغٌ وَفَضائِلُ[4]

---

(١) من : مبتدأ ، خبره قد فضلوا — فى البيت التالى — والهمام : الملك العظيم الهمة . ووائل ، أبو قبيلة الممدوح ، جعله اسما للقبيلة فلم يصرفه . والطاعنين : نعت وائلا . والوغى : الحرب . وقوله أوائلا : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن تكون حالا أى أنهم السابقون إلى الطعان : ومن روى الأوائلا : تعينت المفعولية . أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٢) العاذلين : جمع عاذل . أى اللائم ؛ والندى : الجود ؛ والعواذل : جمع عاذلة ، أى لائمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ، ومن كان هذا شأنهم فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك ، ويتفردون بالمكارم بما زدتهم من مجدك .

(٣) هذى الرسائل : مبتدأ مؤخر ؛ ودروع : خبر مقدم ؛ وملك — بسكون اللام — مخفف ملك — بكسرها — . يقول — مخاطبا سيف الدولة — : إن هذه الرسائل التى أرسلها ملك الروم هى له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله ، وقد زاد ذلك بيانا فيما يلى ، وقوله يشاغل : قال ابن جنى لفظة غريبة ، إلا أن العامة ابتذلتها فلو تجنبها كان أجود .

(٤) الزرد : الدرع المزرودة ، يدخل بعضها فى بعض ؛ والضافى والسابغ بمعنى الطويل التام . يقول : هذه الرسائل عليه درع سابغة : أى تقوم فى الرد عنه مقام الدرع ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه واستسلام إليك ، فهو يخطب منك الصلح خوفا ورهبة .



وَأَنَّى اهْتَدَى هٰذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ
وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ[١]

وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي جِيَادَهُ وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ[٢]

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ[٣]

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطَيْنِ مَشْيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ[٤]

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيُّكَ وَالْخِلُّ الَّذِي لَا يُزَايِلُ[٥]

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمِعٌ
وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلُ[٦]

---

(١) أنى : بمعنى كيف ؛ والاستفهام : للتعجب ، والقساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الجياد : الخيل ، والمناهل : الموارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(٣) يجحد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاك ؛ وتنقد : تنقطع . يقول : أتاك هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقعاً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توهما منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هيبة لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدى سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هيبة لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق مابينهما فمر مستقيما .

(٥) سميك : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزايله — لا يفارقه — يقول : إن سيفك قاسمك عينى الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيه إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هيبة سيف الدولة ماملكه من هيبة سيفه ، فأجال لحظه متهيباً لهما معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : المفزع المخيف . والضمير فى منه : للسيف يقول : فأبصر منك

وَقَبَّلَ كُمًّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ ... وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ(١)

وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ ... هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ(٢)

مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَهُ ... صُدُورُ المَذَاكِي وَالرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ(٣)

فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةٌ ... عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ(٤)

وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ ... إِلَيْكَ العِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الجَحَافِلُ(٥)

فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ ،

وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ(٦)

بعموم جودك الرزق الحي فأطمعه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع واليأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأميل والخوف .

(١) الكمى : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفا يقول : وقبل الرسول كمك بعدأن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيبة لك.

(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفا عظيما لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكى من الخيل : التى كملت أسنانها ؛ والذوابل من الرماح : اللينة لطولها. يقول : كمك مكان تتمنى الشفاه أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنه سألك ذلك وأنت لا تخيب السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى «فلما رأينه أكبرنه » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شىء ينبعث بنفسه كالعبد ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شىء لاينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع مايعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم — بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم — تنتظرقدومه ليبلغهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم

تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ ... وَطَابِعُهُ الرَّحْمٰنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ(١)

وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ ، ... وَلاَ حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الْأَنَامِلُ(٢)

إِذَا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا ... عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ(٣)

رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا ... لَدَيْهِ وَلاَ تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ(٤)

فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقَهُمْ

فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ(٥)

أزرى بهم ولامهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديدك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفا قبلك بهذه الصفة

(٢) المقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رءوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بحده عزيمته ، وكلا الامرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هيبة له كما قال :

كأن شُعاعَ عين الشمس فيهِ ... ففى أبصارِنا عنه انكسارُ

ولا تجس الأنامل حده كما تجس حد السيف لأنه ليس سيفاً على الحقيقة . وقال ابن وكيع هذا من قول الأول :

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي ... كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تدور

(٣) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أتوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحترى :

لَحظوكَ أوَّلَ لَحْظَةٍ فاسْتَصغَروا ... منْ كان يُعظَمُ عِندهُمْ وَيُبَجَّل

(٤) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحدتها . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يدال عليه فيظفر بإدراك ترته .

(٥) يقول : إن كان الذى ساقهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَخَافُوكَ حَتَّى ما لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ ... وَجَاءُوكَ حَتَّى ما تُرَادُ السَّلَاسِلُ[1]
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ ... كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ[2]
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ ... فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ[3]
كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ ... وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلُ[4]
أَذَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ... وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ[5]

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والانقياد مالا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا في البيت التالي .

(١) يقول : نخافوك خوفا ، لو قتلتهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل ، وفي المثل : الحذر أشد من الوقيعة

(٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أي منتهاه إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتذوا حذوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ يعني أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم

(٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أي أنت كريم ؛ ولقحت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقح مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَهْبَاءُ لَاقِحٌ ... عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا وأظلت[1]

يقول : أنت كريم ما تسأل شيئاً إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعني لو سئلت شيئاً في أحوج ماتكون إليه لوهبته

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعري ، أي لاتحوجني إلى مدح غيرك ، وقال ابن جني : أي لا تعط الناس أشعاري فيسلخوا معانيها ، قال الواحدي : وهذا — أي كلام ابن جني — ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

---

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أي عضته .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ(١)
لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ(٢)
وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لاَ تُجِيبُهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لاَ تُشَاكِلُ(٣)
وَمَا التِّيهُ طِبِّي فِيهِمِ غَيْرَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ(٤)

الشعر ماسار فى الناس ، وقال المعرى : يريد لا تعط الناس شعرى فتجعلهم فى طبقى فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : مابين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ،والاستفهام :للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صناعته فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباريني فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضبنى ؟ يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضبنه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء — فى الشطرين — بمعنى «فى» أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول: يعدل عنه لسانى فلا أ كلمه ولا أهاجيه لأنى لا أراه أهلا لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتا لا أبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى «هذا» والهزل ضد الجد يقال: هزل يهزل قال الكميت :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وطولِهَا تَجِدُّ بِنَا فى كُل يَوْمٍ ونَهْزِلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيبهم لأتعبهم بترك الجواب كما أنهم يغيظونى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أغيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك ترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فإِنْ نَغْلِب فغلّابون قِدماً وَإِنْ نُغْلَبْ فغيرُ مُغَلَّبِينا
فما إِنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنايانا وَدولةُ آخرينـا
كذاكَ الدهر دولتهُ سجال تـكُرُّ صُروفه حِيناً فحينا(١)

---

(١) قوله وإن نغلب فغير مغلبينا . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّنِي بِكَ وَاثِقٌ ... وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ[(١)]

لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّةً ... يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ[(٢)]

رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ ... وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ[(٣)]

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ ... وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ[(٤)]

وبغيض : خبر مقدم عن المرفوع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندى . يقول ليس الكبر عادتى وديدنى غير أنى أبغض الجاهل الذى يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعنى أن الذى يمنعنى من تكليمهم إنما هو بغضى إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولو عكس المعنى وقال إنى أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء — لأنهم أقل من أن يبغضوا — لكان أروع ، وما أجمل قول الطرماح .

لقدْ زادنى حُبًّا لنفسىَ أنَّنِى ... بغيض إلَى كلِّ امْرِىء غيرِ طائِلِ

إذا مارآنى قطع الطرْفَ بينه ... و بينى كفعلِ العارف المتجاهِلِ

قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وتمقته النفوس

(١) يقول : أكبر ما أتيه به أنى واثق بجميل رأيك فى ، كما أن أكثر ثرائى هو من ناحية تأميلى لك ورجائى فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة . يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك ، فيهلك باطلهم — يعنى شعرهم — ويبقى الحق — يعنى شعره — .

(٣) المراد بالقوافى : القصائد ؛ والغوازى : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة فضائله — فكأنى رميت بتلك القوافى التى ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً وحسداً ، وجعل القوافى غوازى قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها سالمات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ثاكل ، الفاقدة ابنها أو أباها أو أخاها . يقول : لو كانت

فغلبتنا فغير مغلبين ؛ والمغلب . الذى يغلب مراراً . أى لم نغلب إلا هذه المرة . وقوله فما إن طبنا الخ : أى ما عادتنا وشأننا ؛ وقيل الطب ههنا . العلة والسبب أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال عنا والدولة ، والسجال — بالكسر — مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .



وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَـا ... وَأَلْطَفَهَـا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ(١)

قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى ... إِذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ(٢)

تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ ... وَلَيْسَ لَهَا وَقْتاً عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ(٣)

النجوم جيوشا ثم حاربته لقامت عليها النوائح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تفنى لو حاربته لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدها وألطفها ـ أخفها ـ لوحاول تناولها ، يعنى أن سعده يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ وألطفها برد الكناية ـ الضمير ـ إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : وألطفه ، برد الكناية إلى الممدوح : أى ما ألطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول ، من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ، فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) النائى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدتها قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس الطائفة منهم ، وقدر قنبلانية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة . يقول . قريب عليه كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجيشه فانعقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى حتى يصير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنفذ نحو العدو خيله ولثمت كتائبه بما تثيره من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير مستعص عليه .

(٣) وقتا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يدبرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شىء يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لا يغفل عن الجود وإن عظم شغله ، كما قال البحترى :

تَبِيتُ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ ... لِمَجْدِكَ يَوْماً أَنْ تَبِيتَ عَلَى شُغْلِ

وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وهم يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يُتْبِعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ (١)

وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ (٢)

فَتًى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلًا حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ (٣)

إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلَاحِلُ (٤)

أَطَاعَتْكَ فِى أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ (٥)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى وهذا الذى قاله ـ ابن فورجه ـ باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه ظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانياً ليتبع ؛ وحربا : نصب على الحال ؛ أى محاربا ـ يقال فلان حرب لفلان إذا كان معاديا له ، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية تغول : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة تأتى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حيثما توجه عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل الولى والحاسد ويعم المحسن والمسىء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وإذا سَرَحْتَ الطَّرفَ حَولَ قِبَابِهِ لَمْ تلقَ إلا نِعمـــةً وَحسودا

(٣) وهو كامل: حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ «يرى» وقوله : له الضمير للممدوح، والظرف حال من الضمير فى «كاملا» : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول : هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لا يراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علو همته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت ، وفتاها : كريمها وسخيها ؛ والحلاحل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم ببذل أرواحهم لبذلوها فى طاعتك ، وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .



وَكُلُّ أَنَابِيبِ الْقَنَا مَـــدَدٌ لَهُ ... وَمَا يَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إِلاَّ الْعَوَامِلُ(١)

رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فى الْوَغَى ... إِلَيْكَ انْقِيَاداً لاَقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ(٢)

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ ... مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ(٣)

* * *

---

(١) الأنابيب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة فى القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛ والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلى السنان من الرمح . والنكت : الوخز . ويقال طعنه فنكته : أى ألقاه على رأسه . شبه قبائل العرب بأنابيب الرمح وسيف الدولة بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مدد لك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خُلقوا سـادةً فكانوا سواءً ... ككعوبِ القناةِ تحت السِّنان

وقال البحترى :

كالرُّمح فيه بضعَ عشرَةَ فِقرةً ... مُنقادةً تحت السِنان الأصيـد

وبعبارة أخرى : يقول له ــ مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره ــ كل أنابيب الرمح مما تمده وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان. جعل موضع سيف الدلة من العرب ــ وإن كانوا مدداً له ــ موضع العامل من الرمح الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنابيب . وقال ابن جنى : المعنى أن أصحابك وإن كانوا أعوانا لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها كتقدم السنان .

(٢) الوغى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفا من طعنك أطاعوك حبا لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك من الطعان فى القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك طوعا ورغبة خضع لك خوفا ورهبة .

وقال يعزيه بأخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها فى رمضان سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِى الرَّزِيَّةِ فَضْلاً ... تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلاَّ[١]

أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الْأَحْبَابِ فَوْقَ الَّذِى يُعَزِّيكَ عَقْلاَ[٢]

وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ ... اكَ قَالَ الَّذِى لَهُ قُلْتَ قَبْلاَ[٣]

---

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلا له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعنى أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزيئة ــ بالهمز وبتركه ــ المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عمن ترزأ به من الأحباب لأنك أعقل من الذى يعزيك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق ــ الأولى ــ نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون حذف المنادى : أى أنت ياسيف الدولة وعلى هذا تكون فوق ــ الأولى والثانية ــ ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعتا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلا : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزيك . ونصب « قبلا » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولا وآخراً ، كما قال :

وساغ لِىَ الشرابُ وكنت قبلاً ... أكادُ أغصُّ بالماء الفُرَاتِ[١]

---

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم وروى أيضا بالماء المعين ، وروى ؛ أغص بنقطة الماء الحميم ؛ قال البغدادى : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد ابن الصعق وهى :

ألا أبلغ لديك أبا حُريثٍ ... وعاقبة الملامة للمُليمِ

فكيف ترى معاقبتى وتسعى ... بأذواد القُصَيْبَةِ والقصيمِ

وما برِحَتْ قلوصى كلَّ يوم ... تكر على المخالفِ والمقيمِ



قَدْ بَلَوْتَ ٱلْخُطُوبَ مُرًّا وَحُلْوًا ... وَسَلَكْتَ ٱلْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلَا[١]

وَقَتَلْتَ ٱلزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْـــرِبُ قَوْلاً وَلاَ يُجَدِّدُ فِعْـــلَا[٢]

يقول : إن الذى يعزيك، منك تعلم ألفاظ التعزية . فهو يقول لك فى التعزية ما قاله قبل ذلك واستفاده منك . وعبارة العكبرى الإنشائية الانيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى هجر القطيعاء(١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خبرت . والخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ماخشن من الأرض وارتفع ؛ والمنصوبات — فى البيت — أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها وتفسير العكبرى الجميل ؛قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت فى الأيام مالكا صعبها تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بعلمك .

(٢) يغرب ؛ يجىء بشىء غريب ؛ وعلماوقولا ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصروفه معرفة تامة ، فلا يأتى بشىء غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعنى علمت منه كل شىء حتى أذللته بعلمك ولينته لك ، ومعنى القتل فى اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورته بالماء .

فنِمتُ الليل إذ أوقعت فيكم ... قبـــائل عامر وبنى تميم

وساغ لى الشراب . . . البيت . المليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة — من العقبة ، وهى النوبة — والذود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصيبة والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون فى الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص : مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ماغص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) هجر : بلد بالبحرين، مذكر مصروف ، مشهور بتمره؛ والقطيعاء — ممدود، مثل الغبيراء — صنف من التمر .



أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظاً وَعَقْلاً   وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْراً وَجَهْلاً[١]
لَكَ إِلْفٌ يَجُرُّهُ وَإِذَا مَا   كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلاَ[٢]
وَوَفَاءٌ نَبَتَّ فِيهِ وَلَكِنْ   لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلاَ[٣]
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْناً لَدَمْعٌ   بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلاَّ[٤]

---

(١) الذعر : الخوف قال ابن فورجه . يقول : أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل ؛ وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ماذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل : الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشىء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفا حزن على فراق من ألفه ؛ وعبارة العكبرى : لك إلف لكرم صحبتك يجر الحزن إليك ممن تفقده من أحبتك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريما كأصلك متمكنا فى مثل نصاب شرفك ، كان أصلا لكريم المواصلة والمؤالفة، وباعثا على مشكور المعاملة ، لمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجره » : رواها ابن جنى : تجره ـ بالتاء ـ قال : أى تسحبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف ـ فى البيت السابق ـ . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فانحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف فى كلام العرب ، يقولون فلان شريف غير أنه سخى ؛ وفى الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب فى كونى أفصحهم. وقالوا :

فتى كملت أخلاقه غير أنه   جواد فما يُبقى من المال باقيا

(٤) الرعاية : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى



أَيْنَ ذِي الرِّقَّةُ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْ … بِ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلَّا[1]
أَيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الرُّ … ومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُفْلَى[2]

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عونا على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف برح الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدَارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً … من الوجد أو يَشفى نجىَّ البلابِل

وقوله عوناً : يروى «عندى» وروى ابن جنى : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز كقولك : إن أحسن الناس وجها لزيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمعه حق استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أى أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله فى الحرب ؛ وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التى نشاهدها منك الآن أين هى فى وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجالد الأبطال ؟ قال البحترى :

لم يكن قلبك الرقيق رقيقــا … لا ولا وَجْهُك المصونُ مصونا

وقوله إذا استكره الحديد وصلا : قال العكبرى . فيه نظر إلى قول لبيد :

أحْكَمَ الجِنْثِيُّ من عَوْراتها … كلُّ حِرْباَء إذا أُكْرِهَ صل[1]

(٢) خلفتها : رواها ابن جنى : غادرتها ، وهما بمعنى ؛ والغداة البكرة ،وهى مضافة إلى الجملة التى بعدها . والهام : الرءوس . والصوارم : السيوف ؛ وتفلى: من فليت رأسه إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلو عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول : أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم فى الحرب والرءوس تطلب بالسيوف فى جميع الجهات كالفالى يتتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعد فى تفسيره «تفلى» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء فى كتب أهل اللغة أنه يقال فلى رأسه بالسيف فليا : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بألسنةِ المنـــايا … وتَفْلى الهام بالبيضِ الذُّكور

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم فى الحرب والرءوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالحتوف ؟

---

(١) الجنثى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أى رد الحرباء — وهو مسمار الدرع — من عوراتها السيف .

قَاسَمَتْكَ المَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْراً   جَعَلَ القِسْمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلا (١)

فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذْنَ بِمَا أَغْـدَرْنَ سَرَّى عَنِ الفُؤَادِ وَسَلَّى (٢)

وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى   وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى (٣)

---

(١) المنون : المنية ؟ ويجوز تذكيره وتأنيثه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي — كما يدل على ذلك البيت التالي — وجوراً : حال ؛ والقسم — بالكسر — الاسم من قسمه . يعزيه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك الموت شخصين — يعني أختيه — فذهب بإحداهما — الصغرى — وترك الأخرى — الكبرى — وكانت هذه القاسمة جوراً — ظلماً — لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركك حياً وكانت القاسمة معك في الاختين : يعني إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلا » يعني أن القسم جعل نفسه عدلا في الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل التقاسمين . ولنرجع إلى المنون فنقول ؛ قال علماء اللغة : المنون الموت لأنه يمن كل شيء أي يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل المنون : الدهر ؛ وجعله عدي بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت المنون خلدن أم من   ذا عليه من أن يُضام خفـيرُ

وهو يذكر ويؤنث ، فمن أنث حمل على المنية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلي :

أمِنَ المُنون وريْبه تَتوجَّع   والدَّهرليس بمُعتِب من يجزع

وقد روى : وريبها حملا على المنية ، وقيل إنما أنث على معنى الدهور فرده على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال ؛ والسماء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : المنون يحمل معناه على المنايا فيعبر بها عن الجمع ، وأنشد بيت عدي بن زيد : من رأيت المنون الخ أراد المنايا ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير في سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التي أخذتها المنية بالكبرى التي أبقتها لك وجدت في ذلك ما تتعزى به لأنها أبقت لك أحبهما إليك .

(٣) أي حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أي سعدك .



وَلَعَمْرِى لَقَدْ شَغَلْتَ الْمَنَايَا ... بِالْأَعَادِى فَكَيْفَ يَطْلُبْنَ شُغْلَا(١)

وَكَمِ انْتَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْـ ... ـرِ أَسِيراً وَبِالنَّوَالِ مُقِلّاً(٢)

عَدَّهَا نُصْرَةً عَلَيْـــهِ فَلَمَّا ... صَالَ خَتْلاً رَآهُ أَدْرَكَ تَبْلَا(٣)

كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْلِيـ ... ـهِ وَتَبْقَى فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى(٤)

وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُـدَاةُ كَمَا رَا ... مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا لِشَخْصِكَ ظِلَّا(٥)

وَلَقَـــدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضاً ... مِنْ نُفُوسِ الْعِـدَا فَأَدْرَكْتَ كُلَّا(٦)

---

(١) يقول : لقد شغلت المنايا بما تواصله فى أعدائك من القتل فى الحرب فكيف تطلب المنايا شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟

(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال : العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بعطائك فأنقذته من أنياب الإقتار ، والفاقة .

(٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة : أى عد نصرتك لهذين نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال؛ والختل الغدر ؛ والتبل : الثأر . يقول : عد الدهر أفعالك ــ من انتياشك الأسير والمقل من يده ــ نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك ثأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأراً لأنك تبلى الدهر بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى فى نعمة لا تفنى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلا عن أن ينالوا خاصة نفسك والمعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت الكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحُكَ عُزْلاَ[1]
لَوْ يَكُونُ الذِي وَرَدْتَ مِنَ الفَجْعَةِ طَعْنًا أَوْرَدْتَهُ الخَيْلَ قُبْلاَ[2]
وَلَكَشَفْتَ ذَا الحَنِينَ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَّفَ الكُرُوبَ وَجَلَّى[3]

فى الظفر بالأعداء ، يعنى أن سعده يقاتل أعداءه عنه ويؤتيه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله: بالسعادة ، متعلق بـ «رمت»

(١) الرامحين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركتهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطعن والاقتدار على التصرف فى الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجعة : المرة من فجعه : إذا أوجعه بعزيز لديه والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل ــ وكان قد فر عن توبة يوم قتل ــ ؛

ولمّا أن رأيتَ الخيلَ قُبْلاً تبارِى بالخُدُودِ شَبا العوالِي[1]

يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخيل والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالا لأوردت ذلك الموطن خيلك قبلا مقدمة ولأقحمتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

---

(١) بعده :

نسيتَ وِصالهُ وَصَدَدْتَ عنه كما صَدَّ الأزبُّ عَنِ الظِّلاَل

« الأزب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كل أزب نفور ، لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نفر »



خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَ دٌّ وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةَ ثُكْلَا(١)
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفُوًا ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلَا(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْـسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى(٣)
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَـلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَّا(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذى تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين المتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموجعة ، ولكن الموت لايدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزواج: والحمام : الموت والثكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب .جعل الثكل خطبة لها لأنها كانت بكراً : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المسماة بالثكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا ؛ هذا إذا نصبت المسماة على أنها خبر كان ونصب ثكلا بالمسماة ، كما تقول ضربت المعطاة درهما ؛ وإن رفعت المسماة فالمعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها ثكلا ، فتكون « ثكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخطاب .

(٢) الكفو والكفوء : المثل ؛ وبعلا — أى زوجا — حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوا لها من الناس تتزوج منه اختارت الموت بعلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لانها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفيها حق جلالتها .

(٣) يقول : إن الحياة للذاذتها أنفس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تمل وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الخدر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفو فتمتهن ، لا بغضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها المتضجر الكاره للشىء ، وهى بتثليث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر والملال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبيبة والكبر . هذا : وقوله



آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى (١)
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلاَ (٢)
فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمَّ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خِلاَّ (٣)
وَهْىَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لاَ تَحْفَظُ عَهْداً وَلاَ تُتَمِّمُ وَصْلاً (٤)

وإنما الضعف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو فى مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ« إنما » ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنغص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولى العيش وذهب

(٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

وَلَلْمَنْعُ خيرٌ من عَطَاء مُكدَّرِ

وقال الأول :

الدهرُ آخذُ ما أعطى مُكدِّرُ ما أصفى ومُفسد ما أهوَى له بِيدِ
فَلاَ يغرَّنك من دهرٍ عطيَّتُهُ فليس يترك ما أعطى على أحَدِ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا ؛ وقد قال العلامة العكبرى النحوى الكوفى : « الدنيا » مرفوعة بـ« تسترد » عندنا ، وبـ« تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثانى .

(٣) هذا جواب التمنى فى قوله « فياليت » . وكفيته الشىء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة ـ بالضم والفتح ـ اسم بمعنى المسرة ، ويغادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والخل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحبا لمن فقده . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئا ، فلما فرح به واغتبط أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتباطه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى ـ أى الدنيا ـ مع غدرها بالناس ـ فلا تحفظ لأحد عهدا ولا تدوم على العهد ورجوعها ـ على ما تهب ـ معشوقة محبوبة .



كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا ... وَبِفَكِّ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى (١)
شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَلاَ أَدْ ... رِى لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لاَ (٢)
يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرِّقَ مَحْيًا ... وَمَمَاتًا فِيهِمِ وَعِزًّا وَذُلاَّ (٣)
قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْـ ... ـتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى (٤)
فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِىَ بَذْلاً ... وَبِهِ أَفْنَتِ الأَعَادِىَ قَتْلاَ (٥)
وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا ... وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلاَ (٦)

(١) يسيل : صفة لدمع ؛ ومنها : متعلقة بـ«يسيل» وعليها : خبر كل ؛ والحرفان للتعليل . أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها : أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكى أسفا على فوت شىء منها ولا يخلى الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يداه عنها بالموت .

(٢) الشيم : الطبائع ؛ والغانيات : الحسان اللاتى غنين بحسنهن وجمالهن . وقوله لذا : أى ألذا ؟ لحذف الاستفهام . يقول : شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد ؛ وكذلك الدنيا ، ثم قال : ولست أدرى ألهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا ؟ وهذا من تجاهل العارف ، لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغوانى ، كما قال زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى ... أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نساء

هو يدرى أنهم رجال ، ولكنه تجاهل هذا ، لأن فيه ضربا من الهزء بهم .

(٣) الورى : الخلق . والمحيا : الحياة . يقول : إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والعز والذل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه .

(٤) سيفها أنت : نعت «دولة» وحساما : أى سيفاً قاطعاً ، مفعول قلد . يقول إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الذائد عن بيضتها سيفا قاطعا حلاه بالمكارم ، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها .

(٥) أغنت وأفنت: أى الدولة ؛ وبذلا وقتلا : تمييز . والموالى :الأصدقاء والحلفاء والأعادى : جمع أعداء ، جمع عدو ، يشدد ويخفف : أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلا . وبه أفنت أعاديها قتلا ، فهو يحي الموالى بماله ، ويميت الأعادى بسيفه ورجاله .

(٦) اهتز : ارتاح ؛ والوغى . الحرب ؛ والنصل : السيف ؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَ الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْساً وَإِذَا الْأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلاَ[1]

وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيبَةِ وَالطَّعْـنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى[2]

أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعَقُولَ فَمَا تُدْ رِكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلاَ[3]

كان كالبحر فى كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف فى نفاذ عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجدب وقلة النبات فى الأرض لقلة المطر . والوبل : المطر الكثير ؛ أى إذا أظلمت الأرض وأعتمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجدبت كان جوده كالسحاب المغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتغلو — من غلاء السعر — أى يعز وجودها والجملة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غاليا عزيز المنال لصعوبة الموقف واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غاليا كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح — أى مقدار رمح — فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب . وقال ابن جنى : يريد إن كان الطعن صعبا على الطاعن فهو أيسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامى أبعد من الطاعن ، وقد رتبه زهير فقال :

يَطْعنهم ما ارتمَوْا حتى إذا اطّعنوا ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وعبارة العكبرى : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يغلو ويشتد ، والضرب أغلى وأشد فدل على أن سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .

(٣) بهره : غلبه ؛ ووصفا تمييز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطاب للممدوح . وبالياء عوداً على لفظ المنادى ؛ والعقول : قال العكبرى بالنصب هو الأصل ، وبالخفض تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال



مَنْ تَعاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أَعْيا ه وَمَنْ دَلَّ في طَرِيقِكَ ضَلاَّ(١)

فَإِذَا ما اشْـتَهى خُلُودَكَ داعٍ قالَ لاَ زُلتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلاَ(٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*)

فما يدرك وصفك أتعبت فكرى إذ لم يبلغك . فمهلا : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلا على فكرى فقد أتعبته ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا عنى به وتفرغ له ؛ وأعياه أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يقدر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعد مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتهى أحد أن يدعو لك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت — أى لامت — كما فى رواية — حتى ترى لك مثيلا ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثيل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكايد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قصده وأنجدهم بأصناف من البلغر والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة نافرا ؛ وانتقل إلى غير الموضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فنزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجمة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرسل . فنزل سيف الدولة بظاهره وأتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى هٰكَذَا هٰكَذَا وَإِلَّا فَلَالَا(١)

شَرَفٌ يَنْطِحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الْأَجْبَالَا(٢)

حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدَّ وْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالَا(٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه في حصنهم ،

(١) ذي: أي هذه اسم مبهم: يشار به إلى المؤنث كما يشار بـ«ذا» إلى المذكر؛وهكذا خبر عن محذوف : أي هكذا المعالى ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق ، عامله فليعلون: أي فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل : أي هكذا فليعلون ، وإلاهى « إن » الشرطية و « لا » النافية ، والشرط والنفي محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر « لا » توكيدا . يقول : هذه المعالى التي تراها لك هي المعالى حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع التعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة في بداره إلى جيوش الروم وانهزامهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث — : هذه هي المعالى التي تؤثر والمكارم التي تخلد فمن حاول التعالى ، فلينهض بمثلها فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف : مبتدأ محذوف الخبر : أي لك شرف ؛ والروق : القرن . واستعار للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح ، وهو معلوم أن القرنين في الحيوان من أسباب القوة ودواعي الإقدام والمنعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم في العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقة ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخا يمس أعلاه النجوم وعزاً راسخا لو صادم الجبال لأقلقها وبقي راسخا لا يتزعزع : أو تقول : وبلغت عزا تتقلقل الجبال هيبة له وإجلالا . قال الواحدى :ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ في كل شيء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها.

(٣) قوله : ابن السيوف : ذهب إلى ما في السيف من معنى المضاء والقهر : أي كلهم ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة في كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال : تذكر وتؤنث .



كُلَّمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيراً أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الإِعْجَالاَ[1]
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلاَّ الْحَدِيدَ وَالأَبْطَالاَ[2]
خَافِيَاتِ الأَلْوانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعاً وَجِلالاَ[3]

---

(١) قال ابن جنى : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياد سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أعجلته بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم. أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها ؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى: قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أعجلوا النذير بهم وبادروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة فى الأطراف والمتصرفين فى أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرتهم خيوله ولحقتهم جيوشه وأعجلتهم عن ذلك الأعجال فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه، ومسيراً : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الإعجالا — فى آخر البيت — والنذير : الذى ينذر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فأتتهم : أى الجياد ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل — ويروى لا تحمل — حال أخرى . يقول : فأتتهم خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الارض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفى التنزيل : « إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » وقد روى العكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أتتهم ؛ وليس بوجيه ، وزاد على ذلك أن قال:خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمرك الله تخليط أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها مسرعة — هذا : والحصر فى البيت — فى قوله ماتحمل إلا الحديد — لمجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد: أى المعروف بهوله وقوة بطشه

(٣) خافيات الألوان : حال أخرى ؛ والنقع : الغبار ؛ والجلال جمع جل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتتهم وقد خفى لونها فلا يعرف الأدهم من الكميت والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف



حَالَفَتْهُ صُدُورُهَا وَالْعَوَالِي لَتَخُوضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالَا[1]
وَلَتَمْضِنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمْحُ مَدَاراً وَلَا الْحِصَانُ مَجَالَا[2]

ذلك الغبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكأن هذا المعنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملى :

يتعاوران من الغبار مُلاءةً دكناء مُحدثةً هما نَسجاها[1]

قال العكبرى : وفيه نظر إلى قول عرف بن الخرع :

كأنَّ الظِّباءَ بها والنِّعا جَ يُكْسَيْنَ مِنْ رَازِقيٍّ شِعارًا[2]

(١) المحالفة : المعاهدة ؛ والعوالى ؛ الرماح ؛ واللام — من قوله لتخوضن — للقسم . يقول ؛ إن صدور خيله وعوالى رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه : أى تكفيه إياها ، كما قال :

فقدْ ضَمِنتْ له المُهجَ العوالى وحمَّل همَّه الخيلَ العِتاقا

وقد روى ابن جنى لتخوضن ، ليخوضن، ثم قال ؛ طال الكلام بينى وبينه أى — المتنبى —؛ فى قوله: ليخوضن ، فقال— أى المتنبى:— هو مثل قولى ؛وقلنا السيوف هلمن — بضم الميم— . وذلك أنه لما وصفها بالمحالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ، ويؤيده قوله تعالى ؛ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم » وقوله « وكل فى فلك يسبحون » وقوله جل شأنه:«ورأيتهم لى ساجدين» كل هذا أجرى مجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل، لأن كل ذى عقل يصح منه الفعل، وما ليس من ذوى العقول فإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ،ومنه مالا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح، فإحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام. انتهى كلام ابن جنى مضافا إليه العكبرى .

(٢) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفعل ما عجز عنه غيرها ؛ وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجالدة ولا الحصان مجالا لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

---

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكانا جاسياً وإذا السنابك أسهلت نشراها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب بيض من الكتان .



لاَ أَلومُ ابْنَ لاَوُنٍ مَلِكَ الرُّو م وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالاَ[1]
أَقْلَقَتْهُ بُنَيَّـــةٌ بَيْنَ أُذْنَيْـــهِ وَبَانٍ بَغَى السَّماء فنالاَ[2]
كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنْـــىُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذَالاَ[3]
يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْـــغَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الآجَالاَ[4]

ولتمضين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء فى مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتمضن لسكونها وسكون النون بعدها ـ ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكنا أن يقول : وليمضين ـ بالياء دون توكيد . هذا : والحصان : الفحل من الخيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسمى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضن بمائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه محرز لفارسه ، والعرب تسمى الخيل حصونا .وسئل بعض الحكام عن رجل جعل مالا له فى الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها فى سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفى :

وَلقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَوَقِّىَ الرَّدَى أَنَّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرى

(١) يقول : لا ألوم ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبا لغرة سيف الدولة ثم بين سبب عدم اللوم فيما يلى .

(٢) البنية : بمعنى المبنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبغى : طلب . يقول : أقلقت ملك الروم هذه القلعة التى بناها سيف الدولة وهى من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه ، وأقلقه بانيها ـ يعنى سيف الدولة ـ الذى بغى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أى أن لملك الروم العذر فى محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إنزالها . والبنى : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتى القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إنزالها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلا فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مضض ملك الروح وغيظه .

(٤) فيها : أى فى نواحيها وجوانبها : أى يجمع هؤلاء ليهدمها بهم وتجمع أنت آجالهم إذ تاتيهم فتقتلهم .



وَتُوَافِيهِمِ بِهَا فِى الْقَنَا السُّمْـــرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلاَلاَ[1]
قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَىْ يُقَصِّرُوهُ فَطَالاَ[2]
وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَـــرْبِ حَتَّى
تَرَكُوهَا لَهَـــا عَلَيْهِمْ وَبَالاَ[3]
رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لاَ تَحْمَدُ الْفُعَّا لَ فِيهِ وَتَحْمَـــدُ الأَفْعَالاَ[4]
وَقِسِىٍّ رُمِيتَ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِى قُلُوبِ الرُّمَاةِ عَنْكَ النِّصَالاَ[5]

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطربين أرضين لم تمطرا . يقول : وتأتيهم بآجالهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المطورة

(٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بعثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبوهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربوهم مستعينين على قتالهم به .

(٤) الفعال هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعلهم حملهم إلى القلعة المكايد والآلات ، وهم الروم ـ غير محمودين لأنهم أعداء المسلمين ، أما أفعالهم ـ وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة ـ فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عونا عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على راميها . يريد السلاح الذى حمله الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهام عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع ـ وأنت تعلم تجنى هذا ابن وكيع دائما على المتنبى ـ : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِى هُمُ قتلوا ـ أُمَيْمَ ـ أخى فإذا رَمَيتُ يصيبنى سهمى[1]

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛



أَخَــــذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْـ
ـلَ فَكَانَ انْقِطَاعُـــهَا إِرْسَالاَ(١)

وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلاَّ أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلاَ(٢)

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَـكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِى كَفَاكَ الْقِتَالاَ(٣)

وَالَّذِى قَطَّعَ الرِّقَابَ مِنَ الضَّرْ بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الآمَالاَ(٤)

وَالثَّبَاتُ الَّذِى أَجَادُوا قَدِيماً عَـلَّمَ الثَّابِتَيْنِ ذَا الإِجْفَالاَ(٥)

---

(١) يقول : أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطأت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف .

* قصدُوا هَدْمَ سُورِهَا فبَنَوْهُ *

(٢) الغوارب : أعالى الأمواج ، جمع غارب . والآل : ما تراه فى أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر المائج توافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحلوا أمام جيوشك فصاروا كالآل ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جل وعظم .

(٣) «ما» نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غيرمقاتلين ولـكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولـكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائعك قلوبهم من الهيبة وأودعها من المخافة ، حتى صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يثنى عزائمهم .

(٤) يقول : إن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٥) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : إن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يغن عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يحل بهم ماحل بالذين سبقوهم . قال الواحدى : يريد بهذه الأبيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولـكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم ، فيكون هذا أمدح له .

نَزَلُوا فِي مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا ... يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالاَ[1]

تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْهَا ... مِ وَتُذْرِي عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالاَ[2]

تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا ... وَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالاَ[3]

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكاً ... قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالاَ[4]

---

(١) يقول : نزلوا فى الأماكن التى قتلت فيها أقرباءهم فلما نظروا إليها عرفوها فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال فى أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم مايشبهها؛ والمصارع : جمع مصرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .

(٢) الأوصال : جمع وصل ـ بالضم والكسر ـ وهو العضو . والهام : الرءوس . وتذرى : تنثر وتفرق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذرى ، وأذرى يذرى ، يريد : لم يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها الريح وتلقيها عليهم فيفزعهم ذلك فينزعجون ويهربون .

(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تريهم لكل عضو منهم عضواً من المقتولين . قال العكبرى :ويجوز أن يكون الضمير فى تنذر للأوصال ،قال : والمعنى تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها فى مثل حالها وتريه لكل عضو من أعضائها مثالا شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على الروم عند بنائه الحدث وقد وصفها فى قوله :

* على قدر أهل العزم تأتى العزائمُ *

ولم تكن ببعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) فى القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكا متتابعاً ، وخيالا : متخيلا ، وهما حالان من الطعن ؛ وفى البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن فى القلوب دراكا خيالا قبل أن يبصروا الرماح ، يعنى ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ماصنعت بهم قديماً رأوا الطعن متداركا متتابعاً فى قلوبهم تخيلا قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب التبريزى : اعتبر المتأخرون ـ أى من الروم ـ بالمتقدمين ـ منهم ـ فكأنهم تخيلوا الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح



وَإذا حاوَلَتْ طِعانَكَ خَيْـــلٌ أبْصَرَتْ أذْرُعَ القَنا أمْيالاَ[١]
بَسَطَ الرُّعْبُ في اليَمِينِ يَميناً ، فَتَوَلَّوْا ، وَفي الشِّمالِ شِمالاَ[٢]
يَنْفُضُ الرَّوْعُ أيْدِياً لَيْسَ تَدْرِي أسُيُوفاً حَمَلْنَ أمْ أغْـــــلالاَ[٣]
وَوُجُوهاً أخافَها مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَها لَهُ وَالجَمالاَ[٤]

---

(١) القنا : عيدان الرماح ، والخيل ، يريد بها الفرسان، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفاسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان ، قال ، والمعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أى أنها تثقل عليهم جبنا وخوفا منك،

(٢) يعنى أن الرعب ــ الخوف ــ شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه فى ميمنة جيشهم وشماله فى ميسرته فتولوا هاربين،وقال ابن الأفليلى: المعنى بسط الرعب فى أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إنا وجدْنا بنى جُلاّنَ كلَّهُمُ كساعِدِ الضبِّ لا طُول ولا قِصَر

(٣) الروع : الخوف والفزع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التى فى أيديهم أغلال لها وعبارة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت فى قلة الغناء ــ وإن كان فيها سيف ــ بمنزلة الأيدى المغلولة وعبارة العكبرى : ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم فى أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير فى الفرزدق :

ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشَت يداكَ فقالوا مُحْدَث غيرُ صارِمِ

(٤) وجوها : عطف على أيديا ــ من جهة اللفظ ، لامن جهة المعنى ــ لأنه لا يريد ينفض وجوها : والمعنى يغير وجوها : أى يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب:

وَرأيتُ زَوْجَــكِ فى الوَغَى مُتقـــلداً سيفاً ورُمحـــا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتقع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نضير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك لا لها ، إذ سلبها الخوف حسنها فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونضرتك.

وَالعِيَانُ الجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالاً وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالاَ (١)
وَإِذَا مَا خَلاَ الجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالاَ (٢)
أَقْسَمُوا لاَ رَأَوْكَ إِلاَّ بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ العُيُونُ الرِّجَالاَ (٣)
أَيُّ عَيْنٍ تَأَمَّلَتْكَ فَلاَقَتْكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَآلاَ (٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعاينوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد الذى كانوا يريدونه من محاربتك.

(٢) هذا كما تقول العرب فى أمثالها :

كل مُجْرٍ فى الخلاء يُسَر *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه ، فإذا قاربه مثله ذهب سروره. يقول المتنبى : إن الجبان ــ والجبان ضد الشجاع ــ إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطعان والمنازلة ، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك . وقوله وحده : فى موضع نصب على الحال ؛ أى منفردا . والنزال فى الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفى المحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قطام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن المنازلة ، ولهذا أنثه زهير فى قوله :

ولَنِعمَ حَشْوُ الدرْع أنت إذا دُعِيَتْ نزالِ ولُجّ فى الذُّعْر

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعملان أفكارهم فى قتالك ، ثم قال: طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن فى مكنتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعاينوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم فى مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون فى الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدى : ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر، وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التى تأملتك لا يجترىء صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك



مَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِى أَخْذِكَ الْجَيْـــشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالاَ[1]

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا ؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه فى المصراع الأول ، وأنكر فى الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين العدو لا تديم النظر إليه هيبة له ، وعين الولى تتحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا قتك : إنه من لاق الشىء وألاقه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا مما لم يتكلم فيه أحد من الشراح . وما أظرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى : وصدق الواحدى فى قوله ، لان أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا . ولنعد بعد هذا إلى «رنا» ؛ قال الجوهرى : يقال أرنانى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رنوناة أى دائمة على الشرب ساكنة ووزنها فعلعلة ؛ قال ابن أحمر :

مدتْ عليه الْمُلْكَ أطنابَها كأسٌ رَنُوناة وطِرف طِمِرّ[1]

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجاهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

---

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيْسِ على عهـدِهِ فى إرْثِ ما كان أبوهُ حُجُرْ

وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بُكْرَةً تَزْعُمُ أنى بالصبا مُشْتَهِرْ

وإنمـا العَيْشُ برُبّانِهِ ، وأنت من أفنـانه مقتفـرْ

ومنها :

إن الفـتَى يُقتِرُ بعـد الغِـنَى ويَغتنى من بعـد مايفتقـرْ

والحىُّ كالميت ويبقى التقى ، والعيشُ فنـانِ : فحلو ومُرّ

قوله : وإنما العيش الخ : يريد أن عاذلته قالت له قد شهرت بالصبا وأنت مسن به ؛ وإنما الصبا والعيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه ـ أى من نواحيه واحدها فنن ـ مقتفر ؛ أى واجد ماطلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتفر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس رنوناة عليه أطناب الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطنابها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظره

مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِى الأَرْ ضِ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهِلَالاَ[١]
إِنَّ دُونَ الَّتِى عَلَى الدَّرْبِ وَالأَحْـدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْلَطاً مِـزْيَالاَ[٢]

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعثه إليك تغنمه وتأتى عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها ولتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هَدَى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمى : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حبالة ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تناله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحبالة ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأحدب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلاط مزيال : يخالط الأمور ثم يزايلها — أى يفارقها — إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الغارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزيالا لاتلحقه ، قال أبو داود الأيادى :

مِخلطٌ مِزْيَلٌ مِكرٌّ مِفرٌّ أجْوَلىٌّ ذو مَيعة إضريجُ[١]

ويريد بالتى على الدرب والأحدب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها يحمى حريمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحميها من هيبته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

---

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريج : الجواد الشديد العدو — الجرى —



غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالَا(١)

فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعَرُوسِ اخْتِيَالَا

وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالَا(٢)

وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَّرِدِ الأَكْـ ـعُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالَا(٣)

وَظُبًى تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِـ ـلِّ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلَالَا(٤)

---

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبناها ، فكانت خالا فى وجنة الدهر، فكأن الدهر تزين بها كما يتزين الوجه بالخال . وقال الواحدى: يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشماخ :

فمنْ أَرْمِهِ مِنها بسهمٍ يَلُحْ به كشَامَةِ وجهٍ ليْسَ للشامِ غاسِل

وعبارة العكبرى يقول إنه بناها فى وجه الدهر كالخال الذى يتزين به الوجه مع مخالفته للونه ويحسنه مع ماثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكأن الدهر زين بها وجهه ووسم برفعتها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو، والتكبر وتثنى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتثنى . والدلال : الشكل والغنج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تريه جراءة عليه فى تغنج وتشكل كأنها تخالفه ،وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالعروس ـ لحسنها ـ جعلها تمشى اختيالا وتتثنى دلالا . يقول: لوكانت هذه القلعة تمشى لا ختالت فى مشيها عزة وتكبراً ولتدللت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(٣) المطرد : المتصل الذى لاعوج فيه . والأكعب ؛ العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال ؛ المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفزع يقول ؛ ذاد العدو عنها بالرماح فحماها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٤) وظبى ؛ عطف على كل ـ فى البيت السابق ـ والظبى ؛ جمع ظبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكماةُ تنحَّوا أن ينالهمُ حَدُّ الظباةِ وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة ؛ ظبو ـ بوزن صرد ـ فحذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظباة وظبون . يقول ؛ وحماها بسيوف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى العدو



فِي خَمِيسٍ مِنَ ٱلْأُسُودِ بَئِيسٍ يَفْتَرِسْنَ ٱلنُّفُوسَ وَٱلْأَمْوَالاَ(١)
إِنَّمَا أَنْفُسُ ٱلْأَنِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَٱغْتِيَالاَ(٢)
مَنْ أَطَاقَ ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلاَبًا ، وَٱغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاَ(٣)
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ ٱلْغَضَنْفَرَ ٱلرِّئْبَالاَ(٤)

* * *

وأشباههم من المعادين ، ونسبة التميز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز ، إذ الذى يميز بينهما فى الحقيقة هم أصحاب السيوف . وقال ابن جنى : هذا مثل ضربه ؛ أى سيوفه معودة الضرب ، فهى تعرف — بالدربة — الحلال من الحرام ، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليستا مما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبى أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجد : أى يأخذه . والبئيس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموالا : أى وينتهبن الأموال ، فهو من باب * علفتها تبناً وماءاً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس — الذى معناه المؤانس — الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالخديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع — وهى الحيوانات المفترسة — لوجود الافتراس منهم فى الحالين ، مجاهرين ومغتالين ، والبيتان التاليان تأكيد لهذا .

(٣) غلابا : مغالبة . والاغتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : الغلبة طبع الحياة ؛ والمسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشىء بالغلبة .

(٤) غاد — فى الأصل — ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهاب ، أى وقت كان ؛ والغضنفر والرئبال : من أسماء الأسد ، وجعل الرئبال وصفا للغضنفر مبالغة كأنه قال : الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأسا وقوة ليتناول ما يريده ببأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدى سيف الدولة أنفا ومكارهة وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته كافوراً ، فقال : يمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَا رَسُولُ ... أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ المَتْبُولُ[1]

كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا ... غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ[2]

أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الأَمَانَاتِ عَيْنَا ... هَا ، وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ العُقُولُ[3]

تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْ ... قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ[4]

---

(١) كلناجو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرقة فى القلب من حزن أو عشق . والمتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ يتهم رسوله الذى أرسله إلى الحبيبة بمشاركته إياه فى حبها . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو بحبها فأنا الوامق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهنى فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن بحبها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدى من الرسالة إلى منها وإليها منى

(٣) الضمير فى قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عيناها بسحرهما أمانة الرسول حتى ترك الأمانة فى الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ،وهذا كقوله:

وما هى إلا لحظة بعد لحظة ... إذا نزلت فى قلبهِ رحلَ العقلُ

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحبيبة تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كنى عن تكذيبها فى تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوقى ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لاشوق ، وقال ابن الأفليلى : الضمير فى «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ، فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ[١]

زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَا دَا
مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ[٢]

وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِي هَذِهِ الدُّنْـيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ[٣]

لرسوله ــ وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته النحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن يبوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل مابى لأنك ناحل والنحول يدل على الشوق ، وهذا كالإثبات لما يتهمه به من حبها ، هذا وقوله «حيث النحول» فالنحول مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولابس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق : أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبارة العكبرى : إذا خالط قلب محب هوى من محبه فملكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضمره ، ومخبر على ما يجنه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تتغير وتتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزول ، لأن الشبيبة يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والهرم

(٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمى بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام ــ بالضم والفتح ــ كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لأنه مشبه ببنات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرىء « لا مقام لكم » ــ بالضم ــ أى لا إقامة لكم « وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَتِ الديارُ مَحلها فَمُقَامُها بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجَامُها[١]

---

(١) محلها : أى ماحل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ماطالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والغول والرجام جبلان ، والضمير فيهما : للديار .



مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَـا شَاقَهُ القُطَّا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ[1]
إنْ تَرَيْنِي أَدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذبُولُ[2]

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم» قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بعينها : أى بعين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحمول المرتحلون المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى ينبغى أن ينظر بها إليها رق للباقين لقلة مقامهم ووشك فراقهم رقته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها تيقن أن أهلها راحلون ـ لا محالة ـ فلم يجد بين المقيم والراحل فرقا ، فهذا يشوقه : أى يستدعى رقته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملهما ، وقد كنى عن الرقة بالشوق لأن الشوق رقة القلب ، وعبارة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخليتها والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين ، وقد فسرنا الحمول بالمتحملين الراحلين ، ولكن الحمول فى الأصل : الإبل عليها الهوادج والأثقال ، وهى أيضا الهوادج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحمول أيضا على النساء المتحملات كقول معقر :

أمِنْ آلِ شَعْثَاءَ الحُمُولُ البواكِرُ مَعَ الصُبحِ قَدْ زَالتْ بِهِنَّ الأباعِرُ

وإذا أبقيت الحمول على معنى الإبل عليها الهوادج ، أو الهوادج ، كان الكلام على حذف مضاف : أى ذوو الحمول .

(٢) أدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة ويقال أدم وأدم بكسر الدال وضمها . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة . يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد بياض الوجه ، فليس ذلك بعار فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلابتها كما قال أبو تمام :

لانَتْ مَهزَّته فعزَّ وإنمـــا يَشْتَدُّ رَأسُ الرُمحِ حِينَ يَلينُ

وعبارة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد بياضه ونضرته : أى تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ، وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه، وتدل ذبولته على صلابته وصدقه .

صَحِبَتْــنِى عَلَى الْفَلاَةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ(١)

سَتَرَتْكِ الْحِجَالُ عَنْهَا وَلٰــكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ(٢)

مِثْلُهَا أَنْتِ لَوَّحَتْــنِى وَأَسْقَمْــتِ وَزَادَتْ أَبْهَا كُمَا الْعُطْبُولُ(٣)

نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْــدٍ أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَـــا أَمْ يَطُولُ(٤)

---

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوعها يتجدد ، فهى بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها ، كبرا ، والشمس من عادتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتنى على الفلاة التى قطعتها فى سيرى والأسباب التى عاينتها وتجشمتها فتاة لايهرم شخصها ولاينتقص حسنها، عادتها فى الألوان أن تبدلها وتنقلها إلى الأدمة ـ السمرة ـ وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر : الأزلم الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناه فهو أبداً جذع لا يسن ،

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهى الستر وبيت العروس . واللمى : سمرة فى الشفة . يقول : ـ لمحبوبته ـ سترتك الحجال عن هذه الفتاة ـ الشمس ـ التى غيرت لونى : لأنك فى كن عنها لا يصيبك حرها ، ولـكن بك منها تقبيل لما فى شفتيك من الأدمة ـ السمرة ـ كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمى الذى فى شفتيك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن فى شفتيك سواداً من قبيل السواد الذى تحدثه حتى لـكأنها قبلت فاك فأثرت فى موضع التقبيل .

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتنى : غيرت لونى ؛ وأسقمت أراد وأسقمتنى ؛ وأبها كما : من البهاء وهو الحسن . والعطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والعطبول : بيان لـ « أبها كما » . يقول : أنت مثل الشمس فى تغير جسمى فهى لوحتنى وسفعتنى وغيرت لونى وأنت أسقمت جسمى ، وزادت تأثيراً فى أبها كما التى هى العطبول ، وهى أنت . وعبارة بعض الشراح : أنت مماثلة لها بحسنك وغير بعيدة منها فى فعلك ، وكلا كما له فى جسمى فعل غيره وتأثير بدله ؛ فالشمس لوحته وأنت أسقمته وأذهبت نضرته وأنحلته ، وزدت أنت فى قوة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبته من التغيير . وهذا إشارة إلى أن محبوبته بزيادتها على الشمس فى حسنها زادت عليها فى فعلها .

(٤) يقول : كنـا أعلم بمقدار الطريق ولـكنا سألنا تعللا بذكر الطريق



وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ   وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيـــلُ(١)
لاَ أَقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا   بَ وَلاَ يُمْكِنُ المَكَانَ الرَّحِيلُ(٢)

إليه — كما قال فى البيت التالى — فإن الإنسان إذا أحب شيئا أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبى خازم :

أسائِلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِى   بصيراً بالظعائِنِ حَيث صَاروا

وكما قال الآخر :

وَخبَّرَنى عَنْ مجلِس كنتَ زَينه   بحَضرةِ قوْم والمَـــلاء شهُود
فقلْت لهُ كَرِّ الحَديثَ الذى مَضَى   وذكْركَ مِن كَرِّ الحديث أرِيد
أنَاشِـــدهُ إلا أعادَ حَديثَه   كأنى بَطِيء الفهم حِين يُعِيد

ورواية ابن جنى :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا فى الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشىء : ألهاه به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تطبيباً للسائل ، يريد أن الذى حملنى على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلل به عن طول الطرق .

(٢) لا أقمنا : معناه لم نقم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نقم فى الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك المكان لئلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذى نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبرى : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أى لا نقيم ألبتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى تلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم فى مكان وإن طاب ، وقيل نفى النفى إثبات فى كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم فى مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

. . . .

بِأَيْدِى رِجالٍ لم يَشِيموا سُيوفَهُم ولم تَــكْثُرِ القَتْلَى بِها حِينَ سُلَّتِ [١]

قيل معناه لم يشيموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفى البيت معنى آخر ، وهو وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء ، والمراد ضده ، فــكأنه قال : لم يشيموا ولم تــكثر القتلى : أى كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلِيَتْ مِنِى هُذَيل بِخِرْقٍ لا يَمَلّ الشَّر حتى يَمَلّوا [٢]

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء فى الحديث « إن الله لا يمل حتى تملوا » [٣] معناه لا يجازيكم جزاء الملل وإن مللتم ؛ وجاء فى الحديث « وإن صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه » [٤] معناه لو لم يخف : أى أمن ، فــكأنه قيل لو أمن الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نفى النفى إيجاب فيكون التقدير : إن صهيباً لو أمن الله ما عصاه : أى لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أى لم يعصه أبداً ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » فى الــكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فيــكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أى لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو أمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان امتنع من أجل الخوف .. . وقال الواحدى : قوله « لا أمّنا » يجوز أن يكون على الدعاء كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جنى : يجوز أن يكون على القسم : أى والله

---

(١) لم يشيموا سيوفهم ـ هنا ـ لم يغمدوها ، قال ابن برى : الواو فى قوله « ولم » واو الحال : أى لم يغمدوها ، والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها.

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها : والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » قيل معناه : إن الله لا يمل أبداً : مللتم أو لم تملوا ؛ فجرى مجرى قولهم حتى يشيب الغراب ويبيض الفار ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا فى الرغبة إليه ، فسمى الفعلين مللا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب فى وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه ، نحو قول عدى بن زيد :

ثم أضحوا لعبَ الدهرُ بهم وكذاك الدهر يودِى بالرجال

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمى ، صحابى ، من ولد النمر ابن قاسط .



كُلَّمَا رَحَّبَتْ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ[(١)]

فِيكِ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ[(٢)]

وَالْمُسَمَّوْنَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِى بِهَا الْمَأْمُولُ

الَّذِى زُلْتَ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِى مَا يَزُولُ[(٣)]

وَمَعِى أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّى كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوَجْهِى كَفِيلُ[(٤)]

لا أقمنا ، وقالا تعليقاً على قوله« ولا يمكن المكان الرحيل» : أى لو أمكنه لا ارتحل معنا شوقاً إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقلنا له لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت الممر فلا نقدر أن نقيم عندك وإن كنت طيباً ؛ ورحب به : قل له مرحبا ؛ والروض : جمع روضة ، المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير فى « إليها » لحلب . والوجيف : ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول ـ مخاطباً الروض ـ : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين .

(٣) زلت عنه : فارقته . يقول : الذى سافرت عنه شرقاً وغرباً ولم يفارقنى عطاؤه فهو مقابلى حيثما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده العراق ـ كما تقدم ـ وهذا مثل قوله فيه :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيثما سار نائل

(٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير فى « له » للندى . والكفيل : الضامن .

جعل إهلاكه إياهم لعبا ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله ؛ فسمى فعل الله مللا على طريق الازدواج فى الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع فى العربية كثير فى القرآن .

وَإِذَا الْعَذْلُ فِي النَّدَا زَارَ سَمْعاً ... فَفِدَاهُ الْعَذُولُ وَالْمَعْذُولُ (١)

وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمِ مِنْ يَدَيْهِ ... نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ (٢)

فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ ... وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ (٣)

يقول : ونداه معى فى أى طريق سلكته ، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه فى وجهى : أى أمامى ، وهذا فيمن يعدّى «كفل» بنفسه ، فتكون اللام من «له» «للتقوية» والباء بمعنى فى ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة: بهلوجهى أى كأن كل جهة كافلة لوجهى بلقاء نداه . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجها إلا واجهه جوده ، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداه بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداه يرينيه ويأتينى به ، والقلب شائع فى الكلام كثير فى الشعر. يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداه ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشترك فيها يستوى المعنى فى إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيداً ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفليلى : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمننى له بكثرة الحض عليه .

(١) العذل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العذل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع : يقول إذا عذل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه ففداء هذا الممدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عذل فى جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً. وعبارة بعض الشراح : أى فداه كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معذول ؛ لأنه فوقه فى الجود .

(٢) وموال : عطف على العذول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواليه يستخدمون نعمه فى قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم فى البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفداه موال شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابح » بدل « سابق » ؛ والسابح : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة الملساء . والزغف : اللينة



كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَـدُوٍّ
قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هٰذِى السُّيُولُ (١)

دَهِمَتْهُ تُطَايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ (٢)

تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ (٣)

وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوْ
لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ (٤)

المحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير عونا لهم على قتل أعدائه قال العكبرى : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فبين ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن الذى يهبه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغيوث : الأمطار ؛ وهذى السيول : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه: هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواليه ديار عدو صباحا للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثا بالإضافة إلى السيول ؛ يريد كثرة مواليه . وقال ابن جنى : هذا مثل ، وعنى بالغيوث سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواليه ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواليه به قدروا وعزوا .

(٢) دهمته : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزرد : حلق الدرع ؛ والمحكم : الوثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدروع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيل : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقليل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كفيل له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ ... وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ(١)

وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ ... فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَمِيلُ(٢)

لَيْسَ إِلاَّكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ ... سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ(٣)

كَيْفَ لاَ يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ ... وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ(٤)

لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي ... رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ(٥)

بعده ؛ والهول : الفزع ؛ والتهويل : التفزيع ؛ والضمير فى أنه : للهول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينيه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعنى أنه لا يفزعه شىء يراه ، فكأن الهول يقول له : لا يهو لنك ماترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بما يرى من أهوالها، فكأن الهول يظهر لعينيه فى صورة التهويل ؛ يعنى أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . ويروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى نثاه ؛ والنثا : الخبر ، وهو ما ينثى — أى ينشر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، فنى المكان الذى يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك يقى عرضه بسيفه غيرك: أى أنت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير المتصل فى موضع المنفصل وهو جائز فى ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش مابين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت فى وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لا ستبيحت تلك الديار :

(٥) تحرفت : انحرفت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لو ملت عن



وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ(١)
أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ(٢)
وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ(٣)
قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ(٤)

طريق الروم لساروا فأوغلوا فى ديار العرب دون أن يقف فى طريقهم أحد حتى يربطون خيولهم بالسدر والنخيل التى بالعراق ومصر ؛ يعنى : لولا ذودك عن هذه الممالك لملكتها الأعداء ، يريد بهذا : الغض ممن بالعراق ومصر من الملوك والرفع من شأن سيف الدولة ، هذا : وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً ،لأنها هى الممسكة إذا ربطت الخيل إليها ، فكأنها ربطتها ، وهذا كما تقول أحلنى بلد كذا : أى حللت فيه ؛ وعبارة ابن جنى : هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه ، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تركوا جارهم يأكلـــه ضَبُعُ الوادى ويرميه الشجرْ

(١) درى : عطف على ربط ؛ وفيهما : أى فى العراق ومصر ، يقول: ولو تحرفت عن طريق الأعادى لعلم من أعزه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر – يعنى كافوراً وآل بويه – أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه ، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلا :

(٢) أن يكون : أى بأن يكون – أى يحصل – القفول، أى الرجوع ؛ فـ«يكون»: تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى : استثناء مقدم ؛ وخلف ظهرك روم : مبتدأ وخبر ، أى أن خلف ظهرك روما سوى الروم – يريد آل بويه – أى أن هناك أعداء لك كالروم ، فليس أعداؤك الروم حسب ، وإنما أعداؤك كثير فأيهم تقاتل ؟

(٤) المساعى : جمع مسعاة ، المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود والقنا: الرماح والنصول : جمع نصل ، حد السيف ، يقول : لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِى عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا ... كَالَّذِى عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ(١)

لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا ... وَزَمَانِى بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ(٢)

نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا ... مَرْتَعِى مُخْصِبٌ وَجِسْمِى هَزِيلُ(٣)

إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَاىَ دَاراً ... وَأَتَانِى نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ(٤)

مِنْ عَبِيدِى إِنْ عِشْتَ لِى أَلْفُ كَافُو ... رٍ وَلِى مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ وَنِيلُ(٥)

مَا أُبَالِى إِذَا اتَّقَتْكَ الرَّزَايَا ... مَنْ دَهَتْهُ حُبُولُهَا وَالْخُبُولُ(٦)

* * *

---

(١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والشمول : الخمر ، يقول : إن غيره من الملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فشغله الشاغل الحرب .

(٢) وزمانى الخ : حال. وبأن أراك :متعلق بـ«بخيل». يقول :لاأرضى بأن يصل إلى عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك .

(٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنغيص : التكدير ؛ والهزيل : ضد السمين ، يقول : أنا فى قرب عطائك منى وبعدى عنك كمن يرتع فى مكان مخصب وهو مع ذلك مهزول: إى لست أهنأ بعطائك مع البعد عن لقائك :

(٤) تبوأ المكان ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول:إن عطاياه تتبعه حيثما سار . فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها

(٥) يقول : إذا عشت وبقيت حيا كان لى من العبيد الذين تهبهم لى ألف عبد مثل كافور الذى رغبت عنه واحتويت البقاء فى جملته ، وكان لى من نداك وجودك عوض من ريف مصر ونيلها اللذين بهما شرف بلده وفيهما بسطت يده

(٦) اتقتك : اجتنبتك ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهى المصيبة ؛ والحبول:الدواهى، جمع حبل ـ بكسر الحاء ـ أنشد المفضل :



وقال فى صباه وقد قيل له وهو فى المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لاَ تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالْ[1]

عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يَعُلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِى السِّبَالْ[2]

* * *

فَيَا عَجَباً لِلْخَوْدِ تُبْدِى قِناعَهَا تُرَأْرِئُ بِالعينين لِلرَّجُلِ الْخَبْلِ[1]

وقال الأخطل :

وكنت سليمَ القلْبِ حتى أصابنى مِنَ اللامِعاتِ الْمُبْرِقَاتِ خبُول

وقال كثير :

فلا تعجلِى يا عَزّ أن تتفهمى بنصحٍ أتى الواشون أم بِخُبول

والخبول : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والخابل : الشيطان ؛ والخابل : المفسد ؛ والخابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتيان على أحد إلا خبلاه بهرم ؛ وفى الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أى لا تقصر فى إفساد أمره ؛ وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى المبالغة ، قال :

نُدَافِعُ قوماً مُغْضَبِين عليكم فعلتمْ بهم خبْلاً من الشرّ خابِلاَ

يقول : إذا تخطتك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالى من أصابته دواهيه وآفاته ، لأن أملى إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على الرأس من الذوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر: فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعنى بهذا أنه شجاع صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ«منشورة» ـ فى البيت السابق ـ وهو عاب فى الشعر يسمى التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنكب القوس وتقلد السيف إذا حمل كلا منها حمل مثلها ؛ ومعنى يعلها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافى

---

(١) يقال : رأرأت بعينها : إذا أدارتهما ، تغمز الرجل :



وقال فى صباه :

مُحِبِّى قِيَامِى مَا لِذَالِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ (١)

أَرَى مِنْ فِرِنْدِى قِطْعَةً فِى فِرِنْدِهِ

وَجَوْدَةُ ضَرْبِ الْهَامِ فِى جَوْدَةِ الصَّقْلِ (٢)

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِى الْخُضْرَةِ الَّتِى

أَرَتْكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِى مَدْرَجِ النَّمْلِ (٣)

السبال : أى يعلها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول : إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسليما : حالان ؛ ومحبى قيامى ، منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن يحب مقامى وترك الأسفار كيف أقيم ولم أجرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى : القيام هنا قيام إلى الشىء أو بالشىء . يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب أو بالحرب ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن احببتم قيامى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرها ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرءوس ؛ والنصل ، السيف يقول ، أرى من قوتى ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى، ثم قال إن جودة الضرب فى جودة الصقل؛أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد بهالضرب،وهذا تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف

(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والخصب ، استعارة من خضرة النبات ، والنبات إذا كان أخضر كان رطبا ناعما . وقوله فى الخضرة الخ : يعنى خضرة السيف ، ويحمد من السيوف ما كان مشربا خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنَّدٌ كَأَنَّمَا طَابِعُهُ أَشْرَبَهُ بِالْهِنْدِمَاءِ الْهِنْدَبَا (١)

وقال البحترى :

حملت حمائله القديمة بقلة من عهد عاد غضة لم تذبل

---

(١) [illegible]با — بفتح الدال — مقصور ، نبت معروف يؤكل



أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلاَ أَحَـدٌ مِثْلِي (١)
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِـــــرْفِي وَذَابِلِي نَـكُنْ وَاحِـداً يَلْقَى الْوَرَى وَانْظُرَنْ فِعْلِي (٢)

* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه فى السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

(١) الإماطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبهه بكذا وكأنه كذا . يقول: لا تشبهنى بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبهه بفلان، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهنى به ، وهناك أقوال أخرى للشراح فى قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شىء موضوعة للعموم كأنه قال أمط عنك تشبيهى بشىء من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشىء معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمى : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها فى المشبه به ذكره المتنبى مع كأن . وقال ابن جنى : إنه يعتبر كأن قائلا قال بما يشبه فيقول الآخر: كأنه الأسد ، فقال هو معرضا عن هذا القول : أمط عنك تشبيهى بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : مالان واهتز من الرماح . وقوله «نكن» جواب الأمر . يقول: دعنى وهذا السيف وفرسى ورمحى حتى نجتمع فنكون فى رأى العين شخصا واحداً يلقى الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء ، قال ابن جنى : وقد لاذ فى هذا البيت بلفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليلٍ كجلباب العروس أدَّرَعْتُهُ بأربعةٍ والشخصُ فى العين واحد
أحَمُّ غُـدَافِيٌّ وأبيضُ صارم وأعيسُ مَهرِىٌّ وأرْوَعُ ماجدُ

وقال فى صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابى المنبجى :

أُحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا ... وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا(١)

وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا ... وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحِلَا(٢)

وَلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ ... لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا(٣)

هذا : وقوله يلقى الورى : نعت « واحداً » ؛ ويروى نلق : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل المتكلم ، وجملة «وأيسر» : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حى باق ، مع أن أقل مايقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ماقاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى و بين أحبتى وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى ببعدهم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا فى معنى أفعل التى للتفضيل : أى أعقد ما يكون فى الإنسان وأيسر ما قاسيت شىء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أى الشىء الذى يقتل أحيا وأيسر مالاقيت ، ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أى أحيا ما لاقيت وأيسر مالاقيت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم اقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرره لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعدل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق الى أرواحنا : أى إنما توصلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لم يجدْ ... إلا الفراق على النفوس دليلا



بِمَا بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً ... يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلاَ[1]

إِلاَّ يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ ... شَيْباً إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلاَ[2]

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة والمعنى ماوجدت لهوات المنايا الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والمنايا : فى موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبيل ؛ والسبيل : الطريق ، تذكر وتؤنث .

(١) الدنف : الذى أثقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم المخامر ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال دنف : لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى وجمع وأنث لا محالة فقال رجل دنف ــ بالكسر ــ ورجلان دنفان ، ورجال أدناف . وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفاً ... أدْفعها بالراح كىْ تزَحْلفا[1]

يقول : أقسم عليك بحق ما بجفنيك من سحر أن تصلى مريضاً يحب الحياة فى وصالك فإن هجرت ، وأعرضت فليس يحب الحياة ؛ وعنى بسحر جفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتسبى عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، والمعنى من قول دعبل :

ما أطيب العيش فأمّا علىّ ... أن لا أرى وَجْهَكِ يوماً فلا

لو أنّ يوماً مِنْكِ أو ساعةً ... تباعُ بالدُّنيا إذن ما غلا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفاً ، ويروى : يهو ــ بدون ياء على أنه جواب للأمر ــ وقال العكبرى ــ تعليقا على قوله « وإما إن صدذت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى لأكرمنك بجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا تقدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول :إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) نصل الخضاب : ذهب ؛ والسلوة : الاسم ــ من سلا عنه سلواً ــ والسلو : طيب نفس الإلف عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت نفسى عنك ، قال :

---

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنفت الشمس وأدنفت : إذا دنت للمغيب واصفرت .

يُجَنُّ شَــوْقًا فَلَوْلاَ أَنَّ رَائِحَةً   تَزُورُهُ فِي رِيَاحِ الشَّرْقِ ، مَا عَقَلاَ[1]

هَا فَانْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِي تَرَىْ حُرَقًا   مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَأَلاَ[2]

عَلَّ ٱلْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي   إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي ٱلْهَوَى مَثَلاَ[3]

جعلتُ لِعرّاف اليمامةِ حُكمه   وعرّافِ نجدٍ إن هُما شفيانى

فما تركا من رُقيةٍ يعلمانِهَا   ولا ســلوةٍ إلاّ بِهَا سقيانى

يقول : إن لا يشب هذا الدنف ـ يعنى نفسه ، لأنه لا يزال شابا ـ فلقد شابت كبده لشدة مايقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الخضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال خضاب كبده وعاد شيبه . يريد إذا سلا حينا لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبى تمام :

شَابَ رَأْسِى ومَارَأَيْتُ مشيبَ الرَّأْ   سِ إلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفؤادِ

والمتنبي نقل شيب الفؤاد إلى الكبد ، وهو مما استقبح من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يحن ـ من الحنين ، وهو الصبوة والطرب ـ ورواية يجن أليق ليطابق قوله عقلا ـ فى آخر البيت ـ يقول : إن هذا الدنف يصير مجنونا لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية الشرق لما كان له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجدريح الشرق من قبل أحبائه :

فإنّ الصَّبا رِيحٌ إذا ما تنسّمت   على كِبْدٍ مَحْزون تجلّتْ هُمُومها

وقد نظر المتنبي فى هذا إلى قول عبد الله بن الدمينة :

وأستنشِقُ النّساء مِن نحو أرضكم   كأنى مريضٌ والنسيمُ طبيبُ

(٢) ها : للتنبيه . أى ها أنا ذا فانظرى : وترى : جواب الأمر ؛ ووأل . نجا يقول : ها أنا ذا فانظرى إلى أو فكرى فى إن لم تنظرى ترى بى حرقا من حبك ، من لم يجرب القليل منها ، فقد نجا من بلاء الحب ، وقد أجمل المتنبي ما فصله البحترى فى بيتين قال :

أعِيــدى فِىَّ نظرةَ مُسْتَثِيبٍ   توخَّى الأجْرَ أو كَرِه الأثاما

تَرَىْ كبداً مُحَرَّقَةً وَعَيناً   مؤرَّقَــةً وقلباً مُسْتَهاما

(٣)عل : كلعل ؛ ويشفع ـ بالنصب ـ جواب الترجى ؛ وبالرفع : عطف على يرى



أَيقَنْتُ أَنَّ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَمِي   لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلاً[1]

يقول : لعلّ الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعاً لى إلى الحبيبة ـ التى جعلتنى بحيث يضرب بى المثل فى العشق ـ لتواصلنى بشفاعته ، قال الواحدى : وهذامن قول أبى نواس :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد   هواهـا لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا

قال : وهذا أحسن من قول المتنبى لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان، وذلك نوع من القيادة .. . قال : على أبى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعرانى يقول:لم أسمع المتنبى ينشده إلافيشفعنى ـ من قولهم كان وتراً فشفعه بآخر وإلى آخر : أى صيره شفعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال العكبرى ـ تعليقاعلى قوله عل ـ : « عل » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . وحجتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها « اليوم تنساه » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا يدخلها شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها فى « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؟ فدل على أن اللام الأولى فى « لعل » أصلية ، والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزاد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟وحجة البصريين أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

ولستُ بلوَّامٍ على الأمر بعدَمَا   يفُوت ولكن علَّ أن أتقدَّما

وكقول الآخر :

لا تُهِينَ الفقيرَ علَّكَ أن   تركع يوماً والدهرُ قد رفعه[2]

(١) بصرت به : أى أبصرته . واعتقل رمحه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى

(٢) لا تهين . أراد لا تهينن ، فحذف النون الخفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأضبط بن قريع السعدى .

وَأَنَّنِي غَيْرُ مُحْصٍ فَضْلَ وَالِدِهِ   وَنَائِلٌ دُونَ نَيْلِي وَصْفَهُ زُحَلاَ(١)

قَيْـــلٌ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ   فِي الْأُفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلاَ(٢)

يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ

وَيَحْمِلُ الْمَوْتُ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلاَ(٣)

أيقنت بأن الممدوح يطلب بدمى إن سفكته الحبيبة ويأخذ منها ثأرى لأنى رأيته قد اعتقل رمحه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل، العطاء . وزحل، الكوكب المعروف وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول ؛ وأيقنت أنى لاأستطيع عد عطائه لكثرته وأنى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك ـ بلغة حمير ـ أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج : بلد بالشام . والمثوى . المنزل والمقام . والأفق ، القطر والناحية ؛ وقيل ؛خبرمبتدأ محذوف أى هو قيل؛ وبمنبج خبرمقدم، ومثواه ، مبتدأ مؤخر؛ ونائله ،مبتدأ ،خبره ؛ فى الأفق؛ يسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الآفاق يسأل عمن يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام .

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شُرَّداً   تسائلُ فى الآفاقِ عَنْ كلِّ سائلِ

ويقول :

وفدتْ إلى الآفاقِ مِنْ معرُوفه   نِعمٌ تسائلُ عَنْ ذَوى الإقتارِ

ويقول أبو العتاهية :

وإن نحنُ لم نبـغِ معروفه   فمعرُوفُهُ أبداً يَبْتَغِينـــــا

(٣) الغرة : غرة الوجه ؛ وصحنها : وسطها ؛ والهيجاء : الحرب . يقول : إن وجهه لحسنه يضىء كالبدر فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يحمل معه ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى : الموت ـ بالنصب ـ أى أنه إذاحمل على أعدائه أصحب الموت حاملا إياه إليهم .



تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كُحْلُ أَعْيُنِهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذَلَا(١)
لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَا(٢)
هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمُ بِهِ قِدْمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنُهَا الْأَجَلَا(٣)
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْحِلَلَا(٤)
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا(٥)

---

(١) يقول : إن كلابا ــ وهم قبيلة الممدوح ــ لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذى يمشى عليه ــ كناية عن اغتباطهم بولائه ، وسيفه فى جناب ــ وهم قبيلة عدوه ــ يسبق ملامة من يلومه فى قتلهم ــ كناية عن شقائهم بعداوته ــ وهذا مثل يقال سبق السيف العذل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العذل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس فى روايات الديوان وهو:

مهذب الجدّ يُستسقى الغمامُ له حلو كأنّ على أخلاقه عسلا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرأ من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول: ممزوج بالعسل.

(٢) استعار للفخر « سماء » لعلو الفخر . يقول : له نور يصعد فى سماء الفخر لو صعد فكر واصفا فى مخترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى فى أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد فى الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع فى الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدما : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميما لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التى قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى المنازل التى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا الممدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا فى أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة ما لحقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا ــ كقوله تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ــ وهاربهم إذا رأى ما ليس

فَبعدَ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضتْ   بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلاَ[1]
فَقَدْ تَرَكْتَ الْأُلَى لاَقَيْتَهُمْ جَـزَراً   وَقَدْ قَتَلْتَ الْأُلى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَـلاَ[2]

بشيء يعبأ به أو توهم ماليس بشي شيئاً ظنه إنسانا يطلبه ، وكذا عادة الهارب الخائف كقول جرير :

ما زلتَ تحسَبُ كُلّ شيء بعدهم   خيـلا تـكُرُّ عليهمِ ورجالا

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقه والله من كتابهم — يريد القرآن الكريم — : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيدا — وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقيل هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله يخلق من لاشيء جعل لاشيء شيئا يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لامن شيء لأنه إذا قال لامن شيء : نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهاة ، وهى لحمة فى الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعداليوم الذى بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذى نحن فيه لو ركضت خيلهم فى لهوات صبى صغيرلما شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ فى هذا حتى أحال . . . قالوا: وهذامأخوذ من قول الشاعر :

لو أنه حرّكَ الجرْدَ الجياد على   أجفان ذى حـلم لم ينتبه فرقا

وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرَّ بفـكرى خاطراً فَجرَحتُهُ   ولم أرَ شيئاً قَطُّ يجرَحُهُ الفـكرُ

وقال بعض الشراح : ويجوز أن يجعل الطفل منهم — أى من تميم — أى ماجسر الطفل منهم أن يسعل خوفا وإشفاقا مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم فى أمر لخوفه وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقبيلته وقومه .

(٢) الألى : بمعنى الذين ، والجزر : اللحم الذى يلقى للسباع ، يقال ما كانوا إلا جزراً لسيوفنا : أى الذين نقتلهم فنلقيهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن الذين لقوك منهم أفنيتهم وجعلتهم جزرا للسباع . والذين لم يلقوك ماتوا خوفاً منك .



كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلْبُ الدَّلِيـــلِ بِهِ ... قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِى بَعْدَ مَا مَطَلَا(١)

عَقَدْتُ بِالنجمِ طَرْفِى فِى مَفَاوِزِهِ ... وَحُرَّ وَجْهِى بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلَا(٢)

أَنْكَحْتُ صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ ... تَغَشْمَرَتْ بِى إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا(٣)

لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِى فَوْقَ نُمْرُقِهَا ... سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِى غِيطَانِهَا زَجَلَا(٤)

---

(١) المهمه : الفلاء الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول: كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها – أى الذى يدل على الطريق – مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعتها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد ماطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمه كالمطلوب منه انقطاعه بالمسير فيه وهو – بطوله وتأخير انقطاعه – كالماطل عما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائما فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم – أى فى النهار – كنت أنصب وجهى للشمس دائما حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شىء ، واليعملة : الناقة القوية . وتغشمرت : تعسفت وركضت على غير قصد . يقول : أو طأت خف ناقتى حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الراكب، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمأن من الأرض وانخفض . والزجل : الصياح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن لبعدها عن الإنس ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

ملاعِبُ جِنَّانٍ كأن تُرَابهـــا ... إذا اطَّردَت فيها الرياح مُغربَلُ

وبيت المتنبي من قول ذى الرمة :

لِلجنِّ بالميلِ فى حافاتها زجـــل ... كما تجاوبَ يوم الريح عَيشُومُ

« العيشوم : شجرله صوت مع الريح »

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَلَا[١]

أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا[٢]

* * *

وقال فى صباه ـ وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل :

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغُلِ[٣]

تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا لَكُنْتَ فِى الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ[٤]

---

(١) يقول : وصلت إلى الممدوح بنفس مات أكثرها : أى ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقى من نفسه ليقضى حق الممدوح بخدمته له . وعبارة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً : سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتنى أصادف عيشا بما بقى من عمرى قبل أن أموت ، فقوله ليتنى عشت : أراد ليتنى أعيش ، فعبر بالماضى عن المضارع .

(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلا لعلو همتك ، فالدنيا حقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيلَ ولا يراهُ عندهُ إلا كبعض عطيَّة المذموم

ومن قول أبى العتاهية :

إنى لأَيأَسُ مِنها ثمَّ يُطمِعُني فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

(٣) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فيما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطماعهم ، والبيت فى ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، اما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام كرماً .

(٤) أراد : تمثلوا بحاتم ، فحذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية فى الجود .



أهلاً وَسَهلاً بِمَا بعَثْتَ بِهِ إيهاً أبَا قَاسِمٍ وَبالرُّسُلِ (١)
هَدِيَّةٌ مَا رَأيْتُ مُهْدِيهَا إلاَّ رَأيْتُ العِبَادَ فِي رَجُلِ (٢)
أقَلُّ مَا فِي أقَلِّهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بِرْكَةٍ مِنَ العَسَلِ (٣)
كَيْفَ أُكَافِي عَلَى أجَلّ يَدٍ مَنْ لاَ يَرَى أنَّهَا يَدٌ قِبَلِي (٤)

* * *

وقال أيضاً فى صباه :

قِفَا تَرَيَا وَدْقِي فَهَاتَا المَخَايِلُ وَلاَ تَخْشَيَا خُلْفاً لِمَا أنَا قَائِلُ (٥)

---

(١) وبالرسل : عطف على بما بعثت . وإيها : اسم فعل بمعنى كف ودع ؛ أما إيه – بالخفض – فهى الاستزادة من المتكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثرت الهدايا وغمرنى إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذى أهداها – يعنى الممدوح – إلا رأيت الناس كلهم فى شخص واحد ، يعنى أنه جمع فيه جميع مافى الناس من معانى الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ فى واحدِ

وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال :

* أمِ الخلقُ فى شخص حى أعيدا *

وقال :

* ومنزلك الدُّنيا وأنتَ الخلائقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذى كان فيه العسل ؛ يعنى أن هذه الهدية عظيمة أقل شىء اشتمل عليه أقل مافى هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكافى : من المكافأة ، وهى أن يقابل الشىء بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكافىء من لا يعتقد فى أعظم نعمة له عندى أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكافىء الذى أسدى إلى نعمة عظمية وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندى .

(٥) الودق : المطر . وهاتا : بمعنى هذه . والمخايل جمع المخيلة – بضم الميم وكسر الخاء – السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف فى الوعد . يقول



رَمَانِى خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبٍ أُسْتِهِ
وَآخَــرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ(١)

وَمِنْ جَاهِلٍ بِى وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عِلْمِى أَنَّهُ بِىَ جَاهِــلُ(٢)

وَيَجْهَلُ أَنِّى مَالِكَ الْأَرْضِ مُعْسِرٌ
وَأَنِّى عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَيْنِ رَاجِــلُ(٣)

ـ لصاحبيه ـ : اصبرا قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت مخايله وما يشهد لى بتحقيق ما كنت أعدكما من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لا أقول شيئاً أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر ـ بالنصب ـ عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر. يقول: عابنى أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرمينى به : أى يلحقه ما يعيبنى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمينى به ولا يعلق بى ما يقوله فى كأنه يرمينى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلمى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول علمى : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عـذرتنى أو كنتُ أجهل ماتقول عذلتكا

لكن جهلتَ مقالتى فعذلتنى وعلمتُ أنك جاهل فعذرتـكا

وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعـلم بأنك جاهـل فَمَنْ لِى بِأَنْ تدرى بأنَّكَ لا تدرى

(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماكين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همتى ، وأنى إذا علوت السماء وركبت السماكين عددت نفسى راجلا ، لاقتضاء همتى مافوق ذلك .



تُحَقِّرُ عِنْدِى هِمَّتِى كُلَّ مَطْلَبٍ ... وَيَقْصُرُ فِى عَيْنِى الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ(١)

وَمَازِلْتُ طَوْدًا لاَ تَزُولُ مَنَاكِبِى ... إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِىَّ زَلاَزِلُ(٢)

فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِى قَلْقَلَ الْحَشَا ... قَلاَقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ(٣)

---

(١) يقول : إن همتى تريني كل شيء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة فى عيني .

(٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومناكبه : أعاليه . والضيم : الظلم . يقول : لم أزل ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركنى شيء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت لدفعه عن نفسى .

(٣) القلقلة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : مافى داخل الجوف . والقلاقل ـ الأولى ـ جمع قلقل ، وهى الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا سريعى الحركة . والقلاقل ـ الثانية ـ جمع قلقلة ، وهى الحركة . يقول حركت ـ بسبب الهم الذى حرك نفسى ـ إبلا خفافا فى السير ، يعنى سافرت ولم أعرج بالمقام الذى يلحقنى فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن : يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلاقل . يقول : خفاف إبل كلهن خفاف ، يعنى أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاءه وهذه القافات الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه فى هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله ـ قال الثعالبى : قال لى أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم . وسلسل الثانى ، وقلقل الثالث ؛ أما الذى شلشل فالأعشى ـ وهو من رؤساء شعراء الجاهلية ـ قال :

وَقَدْ غدوْتُ إلى الحانوت يَتْبَعُنِى ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشل : المطرد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها : المبالغة » . وأما الذى سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول :

سُلَّت وسَلَّت ثم سَلَّ سَليلُها ... فأتى سليلُ سليلِها مسلولا

وأما الذى قلقل فهو المتنبى الذى . يقول : البيت ـ ثم قال : لى فبلبل أنت أيضاً فقلت : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرَتْنَا خِفَافُهَا بِقَدْحِ الْحَصَى مالاَ تُرِينَا الْمَشَاعِلُ(١)

كَأَنِّى مِنَ الْوَجْنَاءِ فِى ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِى بِحَاراً مَا لَهُنَّ سَوَاحِلُ(٢)

يُخَيَّلُ لِى أَنَّ الْبِلاَدَ مَسَامِعِى، وَأَنِّى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ(٣)

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلاَ

تَسَاوَى الْمَحَايِى عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ(٤)

الشعراء ـ فاعلَمَنّ ـ أربعهْ فشاعر يَجْرِى ولاَ يُجْرَى معهْ

وشاعر يُنشِدُ وسْط المعمعه وشاعر من حقِّه أن تسمعَه

* وشاعر من حقه أن تصفعه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وإذا البلابِلُ أفصَحت بِلغَاتِها فانفِ البلابِلَ باحتساء بلابِلِ

قال الثعالبي : وفى هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبى الطيب .

(١) وارانا : سترنا . والمشاعل : جمع مشعلة ـ بفتح الميم ـ النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التى تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتنقدح النار فيها فترى مالا نراه بضوء المشاعل .

(٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كالموج ، وجعل المفازة كالبحار فى سعتها . يقول : كأنى منها إذا ركبتها فى هذه المفازة فى ظهر موج ترمينى فى بحر لاساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلفظنى فلا أستقر فيها . كما لا يستقر فى مسامعى كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه ببلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا المعنى من قول القائل :

* كأنى قذًى فى عينِ كلِّ بلادِ *

وقد قال البحترى .

تَقاذَفُ بى بلاد عن بلادٍ كأنى بينهـــا عَيْرٌ شرُودُ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى ـ كالكبر فى جمع الكبرى ـ وتساوى : إنْ كان ماضياً ثبت الياء فى آخره ، وهو فى موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى ـ بحذف إحدى التاءين ـ فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والمحايى والمقاتل جمع المحيا والمقتل : مصدرين ميميين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب



أَلاَ لَيْسَتِ الْحَاجَاتُ إِلاَّ نُفُوسَكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ السُّيُوفَ وَسَائِلُ(١)
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُــهُ لَهُ
وَلاَ صَدَرَتْ عَنْ بَاخِــلٍ وَهْوَ بَاخِلُ(٢)
غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغِثَّ الْمَآكِلُ(٣)

* *

وقال لصديق له فى صباه :

أَحْبَبْتُ بِرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِيــلاَ
فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيــلاَ(٤)
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِى الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةً وَأَصِــيلاَ(٥)
فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِى إِلَىَّ هَــدِيَّةً مِنِّى إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَّأْمِيــلاَ(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالى الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكترث له

(١) نصب السيوف لانها استثناء مقدم كبيت الكميت :

ومالى إلا آلَ أحمــدَ شيعة ومالى إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

والوسائل جمع الوسيلة ، وهى الواسطة بين الطالب والمطلوب . يقول : ـ لملوك عصره ـ : لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا .

(٢) قال ابن جنى : يعنى إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلا غير بخيل، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفتدى روحه بماله :

(٣) الغث : الردىء من كل شىء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولا . يقول رداءة عيشى فى رداءة كرامتى لا فى رداءة مطاعمى

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندى قليلا بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب فى الشىء : أراده وطلبه : ورغب عنه : لم يرده : والبكرة : أول النهار : والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدى : قال ابن جنى . هذا البيت يحتمل معنين : أحدهما أن يكون

بِرٌّ يَخِفُّ عَلَى يَدَيْكَ قَبُولُهُ ، وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَلَيَّ ثَقِيلاً[١]

***

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى :

عَزِيزُ أَسًى مَنْ دَاؤُهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ

عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ[٢]

أهدى إليه شيئاً كان أهداه إليه صديقه الممدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية منى إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد – أى المتنبى – أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية منى إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وظرفها التأميلا ، فالظرف وعاء الشىء . يقول : جعلت تأميلى مشتملا على قبول هذه الهدية كاشتمال الظرف على مافيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئا من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلا على لتكامل صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية بر تحبه فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، ومحمله إنما يثقل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتنى أثقلت رقبتى بالشكر .

(٢) العزيز : الشىء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح آسوه أسوا وأسى إذا داويته وأصلحته قال الأعشى :

عنده البرُّ والتُّقى وأسا الشقِّ وحَمْلٌ لمضلِعِ الأثقالِ[١]

وعزيز : خبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . والنجل جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هو الحدق النجل وهو داء عياء به مات العشاق من قبلنا ويروى عزيز أسى من داؤه – بتنوين عزيز –

---

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المثقل للأضلاع ، أى الأثقال الأحمال المضلعة .



فَمَنْ شَـــاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِى
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ[1]

وإضافة أسى إلى « من » ورفعه بالابتداء لتخصصه بالإضافة ، وعزيز : خبره، والتقدير أسى من داؤه الحدق النجل عزيز . ويروى عزيز أسى — على أن أسى تمييز كما تقول : عزيز دواء ، فيكون عزيز خبراً مقدما ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبرى : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزيز مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم فى أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب .
و« من » توصف . على وجهين بالجملة والمفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبَّ مَنْ أَنضجتُ غَيظاً قلبه قد تمنَّى لِيَ مَوْتاً لم يُطَعِ[1]

وبالمفرد نحو قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فكفى بنا فضلاً على مَن غيرِنا حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا[2]

فمن : نكرة فى البيتين ، لأن « رب » لا يليها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أى على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماما على الذى أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسى ـ أى ونون عزيز ـ أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظرى : أى موضع النظر منى ، ويجوز أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول

(١) من أبيات لسويد ابن أبى كاهل اليشكرى : وبعده :

ويرانى كالشجا فى حلقه عَسِرًا مُخرَجهُ ما يُنتزَع
ويحيِّينى إذا لاقيتـه وإذا يُمكِنُ من لحمى رتع

وقوله رب من : أى رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أى أكمدته . والشجا : ما يعترض فى الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلا : يروى شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفى ؛ والباء زائدة فى المفعول ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إلاَّ لَحْظَةٌ بعدَ لَحْظَةٍ إذَا نَزَلَتْ فِى قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ(١)
جَرَى حُبُّهَا مَجرى دَمِي فى مَفَاصِلِي فأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ(٢)
وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً فَمَا فَوْقَهَا إلاَّ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ(٣)
إذَا عَذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بِأَنَّةٍ حُبَيِّبَتَا قَلْبًا فُؤَادَا هَيَا جُمْلُ(٤)

والنذير : المنذر ؛ وعداه بإلى على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فمنظرى منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ماهى إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .

(٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة فى عروقى مجرى الدم لشدة امتزاجه بى ، فشغلى عن كل ماسواها ، ويروى به ـ أى بالحب ـ ؛ وقوله حبها : الضمير المحبوبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير فى كلامهم . قال الواحدى : ويروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبتنى بِدَلٍّ ذاتُ حُسْنٍ يَزِينها تَكَحُّلُ عَينيها وليس لها كُحْلُ
كأنَّ لحاظ العَين فى فَتْكِه بنا رقيبٌ تَعدّى أو عدوٌّ له دَخْلُ

« سبتنى أسرتى ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاظ : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »

(٣) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد فما دونها فى الصغر ، يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شىء من بدنى فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

خَطراتُ ذِكركِ تستفزُّ مدامِعى فأحِسُّ منها فى الفؤادِ دبيبا
لا عُضوَ لى إلا وفيه صَبابةٌ فكأنَّ أعضائى خُلقن قلوبا

(٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فعلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن يئن أنينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء ـ كيا وأيا وأى والهمزة ـ والحبيبة : الحبيبة . قال العكبرى : قوله حبيبتا : أراد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه ،

كَأَنَّ رَقِيباً مِنكِ سَـدَّ مَسَامِعِي
عَنِ العَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا العَـذْلُ(١)

يابنَ أمى ويا حبيِّبَ نفسى أنتَ خلّفتَـنى لدهرٍ شـديد

وتصغير التعظيم كقول لبيد:

وكلُّ أناس سوفَ تدخل بينهم دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأنامِـلُ

وكقول الحباب بن منذر يوم السقيفة «أنه جذيلها المحكك وعذيقها المرجب»(١)

وتصغير التحقير مثل أنيسان ونحوه. قال ابن جنى: والألف فى «حبيبتا» وفى «قلبا» وفى «فؤادا»: بدل من ياء الإضافة، وكلها فى موضع نصب، لأنه نداء مضاف، أراد: ياحبيبتى، ياقلبى، يافؤادى، ياجمل ــ وجمل اسم الحبيبة ــ وقال الواحدى: يجوز أن تكون الألف فيها للندبة أراد ياحبيبتاه، ياقلباه، يافؤاداه، فحذف الهاء للدرج قال: وكذا ذكر ابن فورجه، ثم قال ابن فورجه: قلبا فؤادا يدعوها لأنه يتشكاهما شكوى العليل، كما قال ديسم ابن شاذلويه الكردى:

أَنِينِى أَنِيسِى، وشجوى وِسَادِى، وعَينى كَحِيلٌ بشَـــوكِ القَتَادِ

إذا قِيــلَ دَيسمُ ما تشتكى أقول بشَـــجْوٍ فؤادِى فؤادِى

فهذا أيضاً يقول قلبى فؤادى: أى هو الذى أتشكاه، ومعنى البيت: إنى إذا عذلت فى حبها أجبتهم بأنة ثم قلت قلبى فؤادى ياجمل. يريد أنى لا ألتفت إلى العذل ولا أزيد على الأنين ودعاء المحبوب ليغيثنى مما أنا فيه. وقال بعض الشراح: قلباً فؤاداً فى محل رفع على تقدير حبيبتى قلبى فؤادى: أى هى لى بمنزلة القلب، وعلى هذا «جمل» اسم واحدة من العواذل: أى أقول لها هى قلبى فلا أفارقها ولا أسمع عذلك فيها:

(١) المسامع: جمع مسمع ــ كمنبر ــ الأذن. يقول ــ لمحبوبته ــ: كأنك أقمت رقيباً

---

(١) عنى بالجذيل ــ ههنا ــ الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفى به: أى قد جربتنى الأمور ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل؛ وصغر على جهة المدح؛ وعذيق: تصغير العذق، وهو النخلة؛ والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط: أى أن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى؛ والتصغير للتعظيم.



كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي ، فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ(١)

أُحِبُّ الَّتِي فِي الْبَدْرِ مِنْهَا مَشَابِهٌ ، وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ(٢)

على مسامعى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس ابن الأحنف :

أقامت على قلبى رقيباً وناظرِى فليْس يؤدِّى عن سواها إلى قلبى

وقول الآخر :

كأن رقيباً منكِ يرعَى خواطِرى ، وآخرَ يرعَى ناظرى ولسانى

هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب: المنتظر،رقبه يرقبه رقبة ورقباناً ـ بالكسر فيهما ـ ورقوبا ، وترقبه وارتقبه : انتظره ورصده ، ورقيب القداح : الأمين على الضريب ، وقيل هو أمين أصحاب الميسر ، وهو أيضا اسم السهم الثالث من قداح الميسر؛ والرقيب الذى فى المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل، وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : ـ

أحقاً عبادَ اللهِ أنْ لستُ لاقِيا بثينة أوْ يَلقى الثريَّا رقيبُهـا

(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل ـ بالكسر ـ يسهد سهدا وسهدا وسهادا: لم ينم . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلى :

فأتت بهِ حُوشَ الفؤادِ مُبطناً سُهداً إذا ما نام ليلُ الهوْجَلِ(١)

والضمير فى « بينهما » : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عينى ، أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله ـ أى المتنبى ـ :

إنى لأُبغض طَيف مَن أحبتهُ إذ كان يَهجرُنا زمانَ وِصالهِ

يجعل الطيف يهجر عند الوصال ، كما أن السهاد يصل عند الهجران .

(٢) المشابه : جمع الشبه ـ بفتحتين ـ على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل المشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص فى هذا البيت من النسيب إلى المديح مفضلا

---

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والمبطن : الضامر البطن .



إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعِ الَّذِي لِلَّهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ[١]

الممدوح بالكمال على المعشوق فى الجمال ، فذكر أن فى البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذى : أراد شجاع الذى ، بالتنوين ، فحذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذى» وذلك كثير فى الشعر . وعبارة العكبرى :شجاع بدل من ،«ابن»وحذف منه التنوين على مذهبه ، ومثله كثير فى الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم والبخارى وابن إسحاق فى المغازى من قول عباس بن مرداس السلمى بالجعرانة للنبى صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أتجعلُ نَهبِى ونَهبَ العُبيـــدِ بَيْنَ عُيينـــةَ والأقرعِ
وما كان حِصْنٌ ولا حابِس يَفوقان مِرداسَ فى المجمع
وما كنتُ دون امرِئ منهما ومَن تخفِضِ اليومَ لاَ يُرَفعِ[١]

فترك تنوين مرداس ، وهو اسم منصرف ، ومثله :

عَمرو العُلا هشم الثريدَ لقومِه ورجالُ مكة مُسنِتون عِجافُ[٢]

فهذا حجة الكوفيين فى ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة فى قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

فَبيناه يَشرِى رَحلهُ قال قائِل لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيب[٣]

(١) النهب — ههنا — بمعنى المنهوب ، والعبيد — مصغر — اسم فرسه .

(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من ثرد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لابن الزبعرى ، ومسنتون ، أصابتهم سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والعجاف : من العجف ، وهو الهزال وذهاب السمن .

(٣) هو للعجير السلولى ، وصف بعيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجعل يبيع رحله ، فبينا هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ماولى العضد من الجنب . ويقال



إلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِى طَيِّئٌ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلُ(١)
إلَى سَنَدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّةً بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ(٢)

لجواز حذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير فبينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة الممدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل الممدوح كالثمر الحلو فى جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هى طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهرى : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشرا وبشوراً من البشرى ، وكذلك الإبشار والتبشير ، والاسم البشارة ـ بكسر الباء وضمها ـ يقال بشرته بمولود فأبشر إبشارا : أى سر ، وبشرت بكذا ـ بالكسر ـ أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس ابن خفاف البرجمى :

وإذا رأيت الباهِشينَ إلى العلا غُبْراً أكفهم بِقاعٍ مُمحِل
فأعِنهم وابْشِر بما بشِروا بِهِ وإذا هُمُ نزلوا بضَنكٍ فانزِل

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، وقد يكون هذا على حد قولهم : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أبعد لتجافى عضديه عن كركرته وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضبب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضده كركرته ـ زور البعير ـ ومعنى يشرى : يبيع ، وهو من الأضداد .



إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِى
تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ(١)

إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِى تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَا شَمْلُ(٢)

هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ(٣)

رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ
فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ(٤)

عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ
غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِى صَدْرِهِ وَبْلُ(٥)

---

(١) الضيغم : الأسد . وسكن القاف ــ فى وقفاته ــ للضرورة . وقوله تحدث الخيل: يعنى أصحابها ؛ أى الفرسان . والرجل : الرجالة وهم المشاة . وإلى القابض الأرواح : أى أشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الاعداء . والأرواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالخفض على الإضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشمل : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع شمل معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل المعالى

(٣) من خفض همام : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف، والهمام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يمضى فى الامور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمُدّونَ بالبِيضِ القواطِعِ أيدياً وَهُنَّ سواءٌ والسيوفُ القواطع

(٤) ابن أم الموت : يعنى أخا الموت، جعله أخا الموت لكثرة قتله أعداءه والباس: الشدة . وفشا شاع يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذ ذاك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابح : الفرس الذى كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمي فرسه سابحا : استعار للمنايا موجاً ، ونصب « موج المنايا » على الظرفية : أى فى موج المنايا و« بنحره » صلة سابح ، وهذا كقول مالك بن خالد الخناعى :

وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ ... فَلَمْ تُغْضِ إلَّا وَالسِّنَانُ لهَا كُحْلُ(٢)

بِأَسْرَعَ الشدّ مِني يَوْمَ لانِيَةٌ ... لَمَّا عَرَفتهم واهْتَزّت اللِّمَمُ(١)

أراد بأسرع فى الشد منى ، لحذف ونصب؛ ويروى موج المنايا ـ بالرفع ـ فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنحره : أى أن موج المنايا صار عند نحره . وأضاف « غداة » إلى الجملة التى بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسى ؛ يراد بهما مطلق السكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت الممدوح على فرس يسبح فى موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء فى صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالى لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفؤ فى الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غزوا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسى :

ولقد شهدتُ الخيل يوم طِرادِها ... بِسَليم أو ظِفةِ القوائِم هَيكلِ
فدعَوا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازل ... وعَــلامَ أرْكبهُ إذا لم أنزلِ(١)

---

(١) نية : لغة فى نية ؛ واللمم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد منى . يريد بأسرع شداً منى ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها فى بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه فى حين أنا راكب ؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة ـ لا بمعنى النزول ـ كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى فى حين عدم قتالى عليه ، والشعر لربيعة ابن مقروم الضبى . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب .



إِذَا قِيلَ رِفْقاً قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ(١)
وَلَوْلَا تَوَلِّى نَفْسِـــهِ حَمْلَ حِلْمِهِ
عَنِ الْأَرْضِ لَانْهَـدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحَمْلُ(٢)

ثم سمى القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ؛ والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانه ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .

(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقا ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعنى أن الرفق والحلم إنما يكونان فى السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والمتحلم فيها جاهل – أحمق – يضع الشىء فى غير موضعه .

وهذا المعنى قد طرقه كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزمانى :

* وبعض الحِلمِ عندَ الجَهلِ لِلذِّلَّةِ إذعان *

وقول سالم بن وابصة :

إنَّ من الحِــلم ذلاًّ أنتَ عارفه وَالحِلمُ عن قدرةٍ فَضْلٌ مِنَ الكرم

وقال الحريمى :

أرَى الحِلمَ فى بعض المواطِنِ ذِلةً وفى بعضها عِزًّا يُسوِّد صاحبهُ

وقال الأعور الشنى :

خُذِ العَفوَ واغفر أيُّها المرء إننى أرَى الحِلمَ مالمْ تخشَ منقصَةً غُنْما

والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الحمل : أثقله ؛ ويقال ناء بالحمل : إذا نهض به مثقلا ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها أى تثقلها ؛ وهى تنوء بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة . والحمل – بكسر الحاء – ما حمل على ظهر أو رأس ، وأما الحمل – بفتح الحاء – فهو ما يحمل فى البطن من الأولاد فى جميع الحيوان ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيها بحمل البطن ، ومنهم من يكسره يشبهه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل – بالفتح – وكل منفصل حمل – بالكسر – يصف حلمه بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حلمه عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان الحلم يوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود – الجبل – ساغ فى وصف حلم الممدوح هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسما لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ ... وَضَاقَ بِهَا إلاّ إلَى بَابِكَ السُّبْلُ[(١)]

وَنَادَى النَّدَى بالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى ... فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ[(٢)]

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ إنْجَازُ وَعْدٍ وَلاَ مَطْلُ[(٣)]

---

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله «وضاق بها الخ» أى لا سبيل لها إلا إلى بابك ويروى إلى بابه على الغائب .

(٢) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلا ،و«هبوا» وما بعدها إلى آخر البيت ـ حكاية ـ . يقول: إن شيوع نداه يستحث القاعدين عنه على طلبه،فكأنه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسروا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ،فقد قالوا. إن الهباب النشاط ما كان ، قال لبيد :

فَلَها هِبابٌ فى الزِّمَامِ كأنها ... صهباء خَفَّ مع الجَنوبِ جَهامها[(١)]

ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون . وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطاياه لم تدع مجالا للوعد لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل ، كما قال أشجع السلمى :

يسبق الوعدَ بالنوال كما يسـبق برقَ الغيوث صوبُ الغمام

هـذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها ـ بالضم ـ نجزاً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرما وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال[(٢)] وكل ذلك من نجز الشيء : فنى وذهب فهو ناجز .

---

(١) الهباب : النشاط ؛ وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهام ، السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه الناقة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكأنها فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك



فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا القَطْرُ وَالرَّمْلُ (١)
وَمَا تَنْقِمُ الأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ (٢)
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ (٣)
كَفَى ثُعَلاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ (٤)

قال النابغة الذبياني :

وكنتَ ربيعاً لليتامى وعِصْمةً فَمُلكُ أبي قابوس أضحى وقد نجز (١)

(١) يقول : إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها : أى أن يجعل لها حداً تنتهى إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفياً وإخبارا . والضمير فى وجوهها : للأيام ؛ وفى أخمصه : للممدوح ؛ والأخمص: باطن القدم ، ووجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخمصه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلت له الأيام ذل من يطؤه بأخمصه حتى يصير تحت رجله كالنعل فى الذل فالأيام لا تقدر أن تخالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله «وإن عز» أى قل وجوده . يقول : انه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظير له فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحترى :

كل الذى تَبْغِى الرجالُ تصيبهُ حتى تُبَغِّى أنْ يُرَى شَرواه .

« شرواه : أى مثله » ويقول أيضاً :

وَلَئِنْ طَلَبْتُ شَبيهَهَ إنى إذاً لمكلَّفٌ طلب المحالِ رِكابى

(٤) ثعل : بطن من طيىء ، وهم رهط الممدوح ، وهو مفعول كفى ، وفخرا تمييز ، وأنك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها فى قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفاهم فخرا أنك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

---

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . يقول ؛ كنت لليتامى فى إحسانك إليهم بمنزلة الربيع الذى به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونجز: فنى وذهب ، أى انقضى وقت الضحى لأنه مات فى ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً   وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو (١)
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ   وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ (٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعني وليفخر دهر قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تجعل دهر مبتدأ محذوف الخبر : أي وكذلك دهر . ويجوز رفع دهر عطفا على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذي هو كائن تقديره كفى ثعلا فخراً كونك منهم ودهر مستحق لان أمسيت من أهله : أي وكفاهم فخراً دهر أنت فيه أي أنهم فخروا بكونك منهم وفخروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كأنّ أيامَهُمْ مِنْ حسنِها جُمَعُ *

وروى ابن فورجه ودهرا عطف على ثعلا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالمعنى : كفى ثعلا فخرا على سائر العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه فخرا على سائر الأزمنة كونك من أهله .

(١) حاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أي غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إبصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى لفلان أي العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى : اسم الجنه بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهري : « ويل » كلمة عذاب ، وويح : كلمة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد ، وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويح لزيد ، ولك أن تقول ويلاً لزيد وويحا لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك ، ولك أن تقول ويحك وويح زيد . وويلك وويل زيد — بالإضافة — فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبارة الزجاج : الويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة . قلت : وأصل الويل في اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع في هلكة لم يستحقها . قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام البرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إمطاره ، والفاقة : الحاجة . والصيب : المطر الشديد . والمحل : الجدب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك تحقق مرجوه ، ولا جدب حيث كنت لأن جودك خصيب حيث كان ، وشام برقك : مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .



وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى :

صِلَةُ الْهجرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ ... نَكَسَانِى فى السُّقْمِ نُكْسَ الْهِلَالِ (١)

فَغَدَا الْجِسْمُ نَاقِصًا ، وَالَّذِى يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فى بَلْبَالِى (٢)

قِفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بِالدَّوِّ مِنْ رَيَّا كَخَالٍ فى وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ (٣)

بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ ... فى عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِى (٤)

وَنُؤِىٍّ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ (٥)

---

(١) نكس المريض نكسا ونكسا ونكاسا : عاودته العلة بعد النقه والبرء : قال أمية بن أبى عائذ الهذلى :

خَيَالٌ لِزَيْنب قد هاج لى ... نُكَاساً من الحب بعد اندمال

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لى وهجر وصاله إياى قد أعادانى إلى السقم بعد الصحة كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان الجسم تكون زيادة الحزن : أى كلما نقص من جسمه شىء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص

(٣) الدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أى من دمن ريا ، فـ«من» بيانية ، كقول زهير :

* أمِنْ أمّ أوْفى دِمنة لم تكلّم *

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والخال : شامة ، أى بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون فى الخد . شبه دمنتيها فى الصحراء بخالين فى خد يقول : قف بدمنتى هذه المحبوبة لتنظرهما وتذكر من كان فيهما من أهليهما ، فقد بقيتا كأنهما خالان فى خد .

(٤) الطلول : ما بقى من آثار الديار وبطلول : متعلق بقف . والعراص : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطلول لائحات فى العراص كما تلوح النجوم فى الليالى . يعنى أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح فى عراص خالية كما تلوح النجوم فى الليالى المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الخباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لاَ تَلُمْنِي فَإِنَّنِي أَعْشَقُ الْعُشَّـــاقِ فِيهَا يَا أَعْذَلَ الْعُـذَّالِ (١)

مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَّةِ الذَّوَّا قِ حَرَّ الْفَلاَ ، وَبَرْدَ الظِّلاَلِ (٢)

فَهْوَ أَمْضَى فِى الرَّوْعِ مِنْ مَـــلَكِ الْمَوْ تِ ، وَأَسْرَى فِى ظُلْمَـةٍ مِنْ خَيَـالِ (٣)

وَلِحَتْفٍ فِى الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ ، وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فِى الذُّلِّ قَالِى (٤)

كالخندق . والخدام : جمع خدمة ـ بفتحتين ـ الخلخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛ والسوق : جمع ساق ، والخدال : الغلاظ السمان . شبه النؤى حول آثار الاخبية فى استدارتها بالخلاخيل حول الأسؤق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخلخال فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النؤى لم تدفن فى التراب ، وأن ما أحدقت به ملأها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال ، وهذا من قول أبى تمام :

أثافٍ كالخدودِ لُطمنَ حُزناً ، ونؤىٌ مِثلُ ما انقصم السوار

فنقل اللفظ من السوار إلى الخدام ، وأصله من قول الأول :

نُؤى كما نقصَ الهلالَ مِحاقهُ أو مثـلُ ما قصمَ السوارَ المعصمُ

(١) فيها ، فى المحبوبة ، أى فى هواها : متعلق بتلمنى : أى لا تلمنى فى هواها فإنى أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

(٢) النوى: البعد والفراق وعنى بالحية نفسه، والحية تطلق على الذكر والأنثى. يريد: أنه قد تمرس بحر الفلوات فى النهار وببرد الليل ، والليل ظل كله ، يعنى أنه تعود السير فى الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدى : وهذا شكاية من الفراق وأنه مبتلى به .

(٣) أمضى : أنفذ والروع . الفزع والهول وأسرى من السرى ، وهو السير ليلا، شبه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ، والخيال يوصف بالسرى ولا يكترث لبعد المسافات .

(٤) الحتف : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة لحتف ، ومحب : عطف على أمضى ـ فى البيت السابق ـ والقالى : المبغض يقول إنه محب للحتف القريب إذا كان فى العز ، ومبغض للعمر فى الذل وإن طال ذلك العمر ، يعنى أن الموت فى العز أحب إليه من الحياة فى الذل .



نَحْنُ رَكْبُ مِلْجِنٍّ فى زِىِّ نَاسٍ   فَوْقَ طَيْرٍ لهَا شُخُوصِ الجِمَالِ [(١)]
مِنْ بَنَاتِ الجَدِيلِ تَمْشِى بِنَا فى الـ   ـبِيدِ مَشْىَ الأيَّامِ فى الآجَالِ [(٢)]
كلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فِيهَا   أَثَرُ النَّارِ فى سَلِيطِ الذبَالِ [(٣)]
عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضِّرْ   غَامَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ [(٤)]
مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمَانَ فى الْمُلْـ   ـكِ جَلَالاً وَيُوسُفاً فى الْجَمَالِ
وَرَبِيعاً يُضَاحِكُ الْغَيْثُ فِيهِ
زَهَرَ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِى [(٥)]

---

(١) الركب : جمع الراكب . وقوله ملجن : أراد من الجن ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعنبر فى «بنى العنبر» وبلقين فى بنى القين والزى : الهيئة . يقول : إنهم كالجن فى إلفة المجاهل والفلوات وركائبهم كالطير فى سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبى تمام :

فى ثُبةٍ إن سَرَوا فجنٌّ   أو يمموا شُـقة فطير

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجديل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التى هى كالطير فى السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للآجال حتى تفنيها . وهذا من قول صريع الغوانى :

مُوفٍ عـلى مُهَجٍ واليوم ذو رَهَجٍ   كأنه أجـل يسعى إلى أملِ

(٣) الهوجاء: الناقة التى لاتستوى فى سيرها النشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم: جمع ديمومة ، وهى المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهى الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الفلوات تأثير النار فى دهن الفتيلة ، والمعنى قد أفناها السير كما تفنى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظمأ والحر فأثرت فيها أثر النار فى دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه الممدوح بالبدر فى الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر فى الجود والكرم . وبالأسد فى البأس والشجاعة ، ثم قال إنه مفضال أى كثير الفضل .

(٥) وربيعا : عطف على مفعول يزر — فى البيت السابق — جعل الممدوح ربيعا —

نَفَحَتْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ رَدَّ رُوحاً فى مَيِّتِ الآمَالِ (١)
هَمُّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ نَفْعُ الْمَوَالِى وَبَوَارُ الأَعْدَاءِ وَالأَمْوَالِ (٢)
أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّعْـ نُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرِّئْبَالِ (٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الخصب ، وجعل عطاءه غيثا ـ مطرا ـ لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للجود ما أثنى عليه الشاكرون يقول : إن جوده يمطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .

(١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الرياح : هبوبها فى البرد ؛ واللفح : هبوبها فى الحر . ونفح المسك ينفح : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه الممدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحيت ماما ت من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصديق ، والبوار : الهلاك

(٣) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماه ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبرى ـ تفسيراً لصدر البيت ـ أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل . هذا : والرئبال مهموز ـ وقد سمع مخففاً ؛ والجمع : الرآبيل والرايبيل ـ على الهمز وتركه ـ قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رَيَابِيلُ البلادِ يَخَفْنَ منى وحَيَّةُ أريحاءَ لِيَ استجابا (١)

ومثله لأبى حية النميرى .

ويلقى كما كنا يداً فى قتالنا رَيَابِيلَ ما فينا كَهَامٌ ولا نِكْسُ

ويقال فلان يترأبل : أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

---

(١) أريحاء ؛ بيت المقدس .

وَالجِرَاحاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ   سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ (١)
ذَا السِّرَاجُ المُنِيرُ هٰذَا النَّقِيُّ الـــجَيْبِ هٰذَا بَقِيَّةُ الأَبْدَالِ (٢)

---

(١) النغمات : جمع نغمة ، وهى هنا الصوت ؛ والسيب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نغمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أنى يطلبه ؛ يعنى أنه يشق عليه نغمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكى أن الحسن بن على عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لغلامه : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابى وقال له : يابن بنت رسول الله ! والله ماأتيتك إلا قاصدا، فماذا أعلمك بحالى ؟ فقال له: إنا أناس نعطى قبل السؤال شحا على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحنُ أناس جَنابُنا خَضِل   يُسرع فيه الرجاء والأملُ
نبذُل قبل السؤل نائلَنا   شُحًّا على ما رجاه من يَسَلُ

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة يرثى معن بن زائدة :

ثوى مَن كان يحملُ كل ثِقل   ويسبقُ فيضُ راحته السؤالا

وقال الخطيب التبريزى : المعنى : يلتذ بنغمات السائل كما يلتذ الجراح (١) وقد روى اليازجى هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعمات   سُبقت قبل سيبه بسؤال

وشرحه هكذا : يجوز فى « نعمات » كسر العين على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وبسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطائه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلما له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجا منيراً لأنه برأيه يهتدى فى مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو بعلمه يهتدى إلى ما أشكل من المسائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقى الجيب : عبارة عن الطاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس

---

(١) لعل الإمام التبريزى يريد كما يلتذ بالجراحات التى تصيبه فى الوغى : أى أنه كريم شجاع .



فَخُذَا ماءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فى الْـــمُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزَالِ (١)
وَامْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ئِكُمَا تُشْفَيَا مِنَ الإِعْلَالِ (٢)
مَالِئًا مِــــنْ نَوَالِهِ الشَّرْقَ وَالْغَرْ
بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُــــلُوبَ الرِّجَالِ (٣)
قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْــيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشِّمَالِ (٤)
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْــرُ ، وَأَلْحَاظُهُ الظُّبَى وَالْعَوَالِى (٥)
وَلَهُ فى جَمَاجِمِ الْمَـالِ ضَرْبٌ وَقْعُهُ فى جَمَاجِمِ الأَبْطَالِ (٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سموا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء فى إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضح : الرش . والبوائق: جمع بائقة ، وهى الداهية . والزلزال ـ بفتح الزاى ـ الاسم ، وبكسرها : المصدر . يقول ـ مخاطباً صاحبيه ـ : رشا الماء الذى يسيل من رجله إذا توضأ على المدائن تصر آمنة من الزلزال ببركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإعلال : مصدر أعله الله إذا أصابه بعلة ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركا به حتى تشفيا مما بكما من الإعلال

(٣) مالئا : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها لملكها .

(٥) الظبى . جمع ظبة . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش ، وتدبيره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيبته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فنى المال أتى أعداءه فضرب جماجمهم وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رءوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رءوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم ، وهذا كقوله :

فالسلمُ يكسرُ مِنْ جناحَى ماله بِنَوَالِهِ ما تجبرُ الهيجاء



فَهُمُوا لِأُتَّقَائِهِ الدَّهْرَ فِى يَوْ م نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالٍ (١)
رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ دِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالِ (٢)
فَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتِ الْمَا ءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةً فِى الزُّلَالِ (٣)
وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتِ النَّا سَ فَصَارَتْ رَكَانَةً فِى الْجِبَالِ (٤)
لَسْتُ مِمَّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السِّلْمَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ (٥)
ذَاكَ شَىْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلاً وَقِلَّةُ الْأَشْكَالِ (٦)
وَاغْتِفَارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْهُ جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ (٧)

---

(١) يقول : هم أبداً يخافونه حتى كأنهم فى يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جنى : أى فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضائه فيهم ، وإن لم يباشرهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذى يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقائه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) الماء الزلال : البارد السائغ . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقى طينته التى خلق منها اجتمع مع الماء فصار عذبا .

(٤) عاف الشىء : كرهه ، والركانة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقى مما أعطى من الحلم والرزانة كره وأنف أن يحل فى الناس فحل فى الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركانتها .

(٥) يغره : يخدعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأى ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتتمة المعنى فى البيت التالى .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشانى : هو الشانئ — بالهمز — أى المبغض ؛ وذليلا : حال ، والأشكال : الأشباه والأمثال . يقول : لا يغرنى ما أراه من محبتك السلم وأنك لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أكفاء لك يستحقون أن تنازلهم فى حرب :

(٧) واغتفار : عطف على فاعل كفاكه ، و« من » فى منه زائدة : أى لو غيره السخط والهام : الرءوس ، والكناية فى هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانيك

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فى الحَرْبِ أَعْرَا ءً وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فى جِلاَلِ [١]
وَاسْتَعَارَ الحَـدِيدُ لَوْناً وَأَلْقَى لَوْنَهُ فى ذَوَائِبِ الأَطْفَالِ [٢]
أَنْتَ طَوْراً أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ وَطَوْراً أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ [٣]

يقول : وكفاك القتال عفوك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لدست رءوسهم بحوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالها . وقال ابن جنى : لو احفظوك وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، ولقد أحسن فى كنايته عن الحفيظة بقوله : لوغير السخط منه ، ومثله :

ولو ضَرَّ خَلقاً قبلـه ما يَسُرُّهُ لأَثَّرَ فيه بأسُـه والتَّكرُّمُ

كنى عن الضرر بأثر فيه .

(١) لجياد : متعلق بمحذوف حال من نعال ـ فى البيت السابق ـ ففيه تضمين، وقد عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذى لا سرج عليه . يقال فرس عرى وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول: إنها تدخل الحرب أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها ، كما قال جرير :

وتُنكر يومَ الروْع ألوان خيلنـا مِن الطعن حتى تحسب الجونَ أشقرَا

(٢) استعار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف. والذوائب جمع ذؤابة ،الخصلة من الشعر. يقول: إن سيوفه تستعير وتعير فإن لون الذوائب ـ وهو السواد ينتقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها ـ وهو البياض ـ ينتقل إلى الذوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(٣) الطور :التارة، ونصب على الظرفية ؛ والناقع من السم : الثابت فى بدن شاربه لا يزايله حتى يقتله ؛ والسلسال : الماء العذب الذى يتسلسل فى الحلق يقول : أنت سم لأعدائك حلو لاوليائك ، وهذا المعنى طرقه كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فهـــمُ لِلمُلاَينِينَ أَناة وَعُرَام إذا يُرَامُ العُرامُ

وقال أبو نواس :

حَذَر امْرِىءٍ نُصِرَت يداهُ على العِدَا كالدَّهْرِ فِيـهِ شراسـة وليانُ

ونقله أبو الشيص إلى السيف قال :

وكالسيفِ إن لا ينتَهُ لان مَتْنُهُ وَحَـدَّاهُ إن خاشَـنته خَشِنانِ

إنما النَّاسُ حيثُ أنتَ وما النَّا ... سُ بناسٍ في موضعٍ منكَ خالِي[1]

* * *

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا ، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملاك ، فطردنا به ظبياً ، ولم يكن لنا صقر . فاستحسنت صيده ، فقال : أنا قليل الرغبة فى مثل هذا ، فقال أبو على : إنما اشتهيت أن تراه فتستحسنه ، فتقول فيه شيئاً من الشعر ، قال : أنا أفعل ، أفتحب أن يكون الآن ، قال : أيمكن مثل هذا ؟ قال : نعم . وقد حكمتك فى الوزن والقافية ؛ قال : لا ، بل الأمر فيهما إليك ، فأخذ أبو الطيب درجاً ، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال :

وَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلِ ... وَلاَ لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهُطَّلِ[2]

نَدِى الْخُزَامَى ذَفِرِ الْقَرَنْفُلِ ... مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لَمْ يُحَلَّلِ[3]

---

(١) يقول : أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .

(٢) ومنزل : أي ورب منزل . والغاديات : السحائب المنتشرة صباحا ؛ والهطل : جمع هاطلة ، وهى الكثيرة الماء . يقول : رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لانا نرتحل عنه وليس بمنزل لشيء غير السحاب الباكرة الماطرة ، يعنى روضا نزلوه . وقد أسلفنا القول على واو «رب» فى هذا الشرح

(٣) الندى : الرطب ؛ والخزامى والقرنفل : نبتان طيبان . والأذفر : الذكى الرائحة . والمحلل : الذى يحل كثيرا . وقوله ملوحش : أى من الوحش ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام . يقول : يحله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنس . قال الجوهرى : مكان محلل : إذا أكثر الناس به الحلول ، قال امرؤ القيس :

كبكرِ المقاناةِ البياض بصُفْرةٍ ... غذاها نمير الماء غيرُ المحلَّلِ[1]

---

(١) أراد بقوله «بكر المقاناة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنَّ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزِلِ ... مُحَيَّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْئِلِ [1]
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحُلِي ... وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّفَضُّلِ [2]
كَأَنَّهُ مُضَمَّخٌ بِصَنْدَلِ ... مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيِّلِ [3]

---

(١) عن : ظهر؛ والمراعى . الذى يرعى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها:أى راعت معها ، والمغزل : الظبية لها ولد والمحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله: أى أهلكه والموئل : المنجا . يقول : ظهر لنا فى هذا الموضع ظبى يرعى مع ظبية مغزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حيثما ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلى بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقافية . جمع حلى بفتح فسكون ماتتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يبتذل فى المنزل ، ومنه قول امرىء القيس :

وتُضْحى فتيتُ المسكِ فوق فراشها ... نَؤومُ الضُّحى لم تنتطِقْ عن تفضل [1]

وفى حديث امرأة أبى حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبى حذيفة يرانى فضلا ــ أى متبذلة فى ثياب مهنتى ــ وليس لنا إلا بيت واحد ، فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبى حسن جيده عن أن يلبس حليا يتزين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الظباء ، ومعترضا : حال مضمرة العامل ، أى أصفه بما ذكر فى حال كونه معترضا ،والأيل: الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أيابيل ، وربما قالوا فى إيل «إجل» يبدلون الياء جيما ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك ، والمقاناة الخلط ، وكل شىء خالط شيئا فقد قاناه ، ويروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . فى البيت آراء كثيرة فى معناه (انظر الزوزنى واللسان مادة قنى)

(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .



يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ فَحَلَّ كَلاَّبِي وَثَاقَ الأَحْبُلِ[1]
عَنْ أَشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ أَقَبَّ سَاطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ[2]
مِنْهَا إِذَا يُثْغَ لَهُ لاَ يَغْزَلِ مُوَجَّدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ[3]

كأن فى أذنابهن الشــوّل مِن عَبَس الصيف قُرُون الأَجّلِ[1]

قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الياء المشددة جيما . ويروى قرون الإيل ، شبه المتنبي لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .

(١) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل. يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ«حل» ، أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق : الواسع الشدق . والمسوجر الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير والمسلسل : الذى فى عنقه سلسلة . والأقب : الضامر ؛ والساطى : الذى يسطو على الصيد أى يصول ، عليه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض ، والشرس : السيء الخلق . والشمردل : القوى السريع الفتى الحسن الخلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير فى « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابى : أى صاحب كلابى؛ وقوله إذا يثغ من الثغاء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يغزل : أى لا يفتر عن الطلب . وذلك أن الكلب إذا دنا من الظبي وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه فغزل الكلب — أى تحير — ووقف مكانه من صوت الغزال ، وجزم الفعلين — يثغ ويغزل — بإذا على تضمنها معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب لا يفرق من صوت الغزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد : الموثق القوى ؛ والفقرة : — بكسر الفاء وفتحها — ومثلها الفقارة — بالفتح : واحدة فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، والجمع فقر وفقار ، وقيل فى الجمع: فقرات وفقرات وفقرات. يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل وذلك أسرع لأخذه .

---

(١) العبس : — ما ييبس على هلب الذنب من البول والبعر



لَهُ إِذَا أَدْبَرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنْجَلِ (١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدْوَ الْمُسْهِلِ إِذَا تَلَا جَاءَ الْمَدَى وَقَدْ تُلِى (٢)
يُقْعِى جُلُوسَ الْبَدَوِىِّ الْمُصْطَلِى بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ (٣)
فُتْلِ الْأَيَادِى رَبِذَاتِ الْأَرْجُلِ آثَارُهَا أَمْثَالُهَا فِى الْجَنْدَلِ (٤)
يَكَادُ فِى الْوَثْبِ مِنَ التَّفَتُّلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ (٥)

---

(١) السجنجل : المرآة . يقول : إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك لسرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقته بالمرآة ويروى فى سجنجل . أى كأن أمامه مرآة ينظر فيها فتريه ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك فى الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك فى السهل ؛ وتلا : تبع ؛ والمدى : الغاية . يقول : إنه يعدو فى الحزن من الأرض عدو الذى هو فى السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب فى طلب صيد بلغ الغاية التى يريدها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقعاء . أن يجلس الكلب على إليته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفأ بها ـ أقعى على أسته ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره وجلوس مفعول مطلق معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف: متعلق بـ«يقعى» ، والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد ، وإنما هى كذلك خلقة .

(٤) فتل الأيادى : صفة لأربع ، يقال يدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسها عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك فى التثنية . هذا : والأيادى أكثر ما تستعملها العرب فى النعم يقولون لفلان عندى يدوأياد والربذات الخفيفات السريعات . والجندل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريعة فى العدو شديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارا مثل صورتها . هذا : وقد قالوا: إن الكلب لا يوصف بثقل الوطء ،وإنما جاء هذا فى الخيل والإبل ، فنقله المتنبى إلى الكلب .

(٥) التفتل : كالانفتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصلب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره فى آن واحد .



وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسْمِيٍّ الْحِضَارِ بِالْوَلِى(١)
كَأَنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرْوَلِ مُوَثَّقٌ عَلَى رِمَاحٍ ذُبَّلِ(٢)
ذِى ذَنَبٍ أَجْرَدَ غَيْرَ أَعْزَلِ يَخُطُّ فِى الأَرْضِ حِسَابَ الْجُمَّلِ(٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَعْزِلِ
لَوْ كَانَ يُبْلِى السَّوْطَ تَحْرِيكٌ بَلِى(٤)

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : مايليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جاراه فى الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كنى بما بينهما عن جسمه، وشبه تتابع حركته فى الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثانى فى القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعنى أنه لا يعيا ولا يفتر .

(٢) المضبر : المشدود المحكم الخلق ومثله الموثق ، والجرول الحجر ومنه سمى الحطيئة جرولا كما سموا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعنى بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذى لا يكون ذنبه على استواء مع فقاره ، وذلك عيب فى الكلاب والخيل ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لمتنه ، ثم قال : إن آثار ذنبه فى الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال العكبرى : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والمئين والألوف وهو خط قبطى ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفصل عن جسمه لكثرة تلويه وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكثر تحريكه ولا يبليه هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه — الكلب — من سرعته وحدته يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ فى هذا بقول ذى الرمة إلا أنه تجاوزه :

لا يذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرّى عنهما الأُهُبُ

وبقول أبى نواس :

تراهُ فى الحُضْرِ إذَا هاهَى بِهِ يَكادُ أن يخرُجَ مِنْ إهَابِهِ(١)

(١) هاهى به : زجره والضمير : لكلابه ؛ والإهاب : الجلد .

نَيلُ المُنَى وَحُكْمُ نَفسِ المُرسِلِ   وَعُقلَةُ الظَّبيِ وَحَتفُ التَّتفُلِ (١)
فانبَرَيَا فَذَّيْنِ تحتَ القَسطَلِ   قَدْ ضَمِنَ الآخَرُ قتلَ الأوّلِ (٢)
فى هَبْوَةٍ كِلاهُمَا لمْ يذْهَلِ   لا يَأْتَلِي فِي تَرْكِ أنْ لاَ يَأْتَلِي (٣)

فهذان ذكرا الإهاب ـ الجلد ـ وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشىء من قيد ونحوه؛ والحتف الهلاك ؛ والتتفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبى فيمنعه عن الإفلات ؛ وهومن قول امرىء القيس :

* بمُنْجَرِدٍ قيدِ الأوَابِدِ هَيكلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فانبريا : أى الكلب والظبى : أى اعترضا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبى ظبى آخر وعنى بالقسطل: الغبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبى ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمان الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمانا منه .

(٣) الهبوة : الغبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائتليت وما أليت : أى ماقصرت والذهول : الغفلة عن الشىء ، و « لا » فى « أن لا يأتلى » زائدة ، وهى تزاد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشعر ( ) *

---

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها:

قد جبرَ الدينَ الألهُ فَجَبَرْ   وعوّر الرحمن من ولى العَوَر

إلى أن قال :



مُقْتَحِماً عَلَى الْمَكَانِ الْأَهْوَلِ
يَخَالُ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجَدْوَلِ (١)
حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ افْعَلِ   افْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَالْأَنْصُلِ (٢)
لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ   مُرَكَّبَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ (٣)
كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمْأَلِ   كَأَنَّهَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَذْبُلِ (٤)

أى فى بئر حور ؛ و « لا » زائدة « والحور الهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الهرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك التقصير ، وإذالم يقصر فى ترك التقصير فقد جد .

(١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والاقتحام : الدخول فى الأمرالشديد؛والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالى بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول .

(٢) افتر : كشر . والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول :حتى إذادنا الكلب من الصيد ، وقيل له ــ بلسان الحال ــ أدركت فافعل ما تريد فعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

(٣) لما شبه أنيابه بالنصال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ هى محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه (١) فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

(٤) يذبل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ريح الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورىّ البطر   فى بئر لاحورٍ سَرَى وما شَعر
بإفكه حتى رأى الصبحَ جَشَرَ

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاه الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجى. وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك :الكذب ؛وجشر الصبح : انفلق وأضاء .

(١) الخطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهَا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوْجَلِ كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ[1]
عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الأَكْحَلِ[2]
فَحَالَ مَا لِلقَفْزِ لِلتَّجَدُّلِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي المِرْجَلِ[3]
فَلَمْ يَضِرْنَا مَعْهُ فَقْدُ الأَجْدَلِ إِذَا بَقِيتَ سَالِمًا أَبَا عَلِي[4]
فَالْمُلْكُ لِلّٰهِ العَزِيزِ ثُمَّ لِي[5]

* * *

الكلب وسرعته فى العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة فى جبل . جعل الكلب فى خفة العدو كالريح ، وفى ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : المفازة ؛ والمقتل : الموضع الذى إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق فى الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه فى صحراء ، وكأنه من تمييزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط — وهو الطبيب المعروف — علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التى يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له فصار فى دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التى يجوز فصدها كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا انتفى نقد الصاحب بن عباد هذا البيت إذ يقول ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل . . .

(٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة — أى الأرض — والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما فى جلده : لحمه . يقول : إن قوائم هذا الظبى التى كانت للوثوب صارت للتمرغ فى التراب حين أخذه الكلب وصار لحمه فى القدر .

(٤) و (٥) ضاره الأمر يضيره : كضره ومعه : أى مع الكلب . والأجدل : الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر ، لأنه فعل فعله فأغنانا عنه . ثم قال — مخاطبا الممدوح — : إذا بقيت سالما سدت بك الناس كلهم ، فيكون الملك بعد الله لى بك .



وقال يمدح بدر بن عمار، وقد فصد لعلة، فغاص المبضع فوق حقه، فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأْىِ الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فى الْبُعْدِ مَا لاَ تُكَلَّفُ الْإِبِلُ[1]

مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ[2]

---

(١) أبعد : تفضيل؛ والنأى : البعد؛ و« ما » : نكرة موصوفة بمعنى شىء. يقول: أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلها، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان البعيد. ثم قال : فى البعد أى فى جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد بالبخل، لأن الابل لا تقرب هذا البعد، وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلم النأى قد كانت خلائقُها

من قبل وشكِ النوى عِندى نَوًى قَذَفَا

ويقول أيضا :

ففراقٌ جرّعتهُ مِن فراق وَفِراقٌ جرعته من صُدودِ

ويقول البحترى :

على أن هِجران الحبيب هو النوى لدى وعِرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا :

دنَتْ بأناس عن تنـاء زِيارةٌ وشَطَّ بِليلى عن تدانٍ مَزارُها

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإن مُقيماتٍ بمُنعـرج اللوَى لأقرب من مَىٍّ وهاتيك دارها

والأصل فى هذا قول المثقب العبدى :

أفاطمُ قبـلَ بَينكِ مَتِّعِينى ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تبينى

(٢) ملولة : أى هى ملولة؛ والتاء فيها : للمبالغة، لأنه يقال : رجل ملول وامرأة ملول؛ و« ما » : مفعول به؛ و« لها » : خبر ليس مقدم؛ وملل ــ آخر البيت ــ اسمها مؤخر، ومن ملل : متعلق به. يقول : إنها تمل كل شىء يدوم إلا مللها الدائم، فإنها لا تمله، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل. ومن روى تدوم ــ بالتاء ــ كانت « ما » للنفى : أى ليست تدوم على حال.

كَأَنَّمَا قَدُّهَا إِذَا انْفَتَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ(١)
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ(٢)
بِي حَرُّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَصِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ(٣)
الثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخَلْخَلُ وَالْمِعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ(٤)
وَمَهْمَهٍ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُلُ(٥)

---

(١) انفتلت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل ثمل : أخذ منه الشراب. يقول: إنها تمايل فى مشيها تمايل السكران ، فكأن قدّها نظر إلى طرفها فسكر من خمر عينيها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها ـ ردفها ـ ثقيل بكثرة اللحم ، فهو يجذبها ـ إذا همت بالنهوض ـ إلى القعود فكأن عجزها فى ارتعاده واضطرابه ـ لكثرة لحمه ـ خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ، كما قال :

* إذا ماست رأيتُ لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جنى المصراع الثانى بقوله : أى كأن عجزها وجل من فراقها فهو متساقط متجدل قد ذهبت منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفها : أى إلى ترشف فمها ؛ أى مص ريقها . يقول: إذا اتصل بى ذلك الشوق انفصل الصبر : أى أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين الانفصال والاتصال .

(٤) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلخال من الساق ؛ والمعصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به الشعر ؛ والرجل ـ بفتح فكسر وبفتحتين ـ الذى بين السبط والجعد . يقول . إنه يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهى داؤه .

(٥) ومهمه : أى ورب مهمه ـ أى فلاة ـ وجبته : قطعته . والعرامس : النوق الصلاب الشديدة ، واحدتها عرمس . والذلل : المذللة بالعمل المروضة بالسير ـ جمع ذلول ـ يستوى فيه المذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يجوب الفلاة ـ التى تعجز عنها النوق الصلاب التى اعتادت السير ـ على قدمه .



بِصَارِمِي مُرْتَدٍ بِمَخْبُرَتِي مُجْتَزِئٌ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ[1]
إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعْيِنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيَلُ[2]
فِي سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ ، وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ[3]

---

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجتزىء ومشتمل : أى أنا مرتد بصارمى مجتزىء ـ أى مكتف ـ بمخبرتى ـ أى معرفتى ـ مشتمل بالظلام . يقول : جبت هذا المهمه وأنا متقلد بسيفى مكتف بعلمى وخبرتى فلم أحتج إلى دليل يهدينى الطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٢) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياه الأمر : أعجزه ، ويقال عى بأمره وعيي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال فى الجمع عيوا ـ مخففا ـ وعيوا أيضا ـ بالتشديد ـ وأعيانى الأمر ، قال عمرو بن حسان من بنى الحارث ابن همام :

فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديماً ، ولم أُفتِرْ لدُنْ أنِّى غُلام[1]

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحواله لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، أى فارقته ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان: قطرا الهواء ، وهما الشرق والمغرب. والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجيء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسى بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إذا تَنكَّرَ خِلٌّ فاتخذ بدلا فالأرضُ من تُربةٍ والناسُ من رَجل

وقال البحترى :

فإذا ما تنكرتْ لى بلاد أو صديق فإننى بالخيار

وقال عبدالصمد بن المعذل :

إذا وطن رابنى فكل بلاد وطن

---

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفتقر فقراً شديداً ، ولا أمكننى جمع المال الكثير ويروى « أعنانى » أى أذلنى وأخضعنى .



وَفِى ٱعْتِمَارِ ٱلْأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّا رٍ عَنِ الشُّغْلِ بِٱلْوَرَى شُغُلُ[1]
أَصْبَحَ مَالٌ كَمَالِهِ لِذَوِى الْــحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلُ[2]

وما أجمل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها خرجتُ مع البازى عَلَىَّ سواد[1]

(١) الاعتمار : الزيارة يقال أتانا فلان معتمرا : أى زائرا ، قال أعشى باهلة :

وجاشتِ النفسُ لما جاء فلهُمُ وراكب جاء من تثليثَ معتمر[2]

ويقال : اعتمر الأمر : أى أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله ابن معمر القرشى :

لقد سما ابن مَعمر حين اعتمر مغزًى بعيداً من بعيد وَضَبَرْ

تَقَضِّىَ البازِى إذا البازى كَسَرْ[3]

يقول : قصدى إياه يشغلنى عن قصد غيره لأنى صببت رجائى عليه وعلقت آمالى به ، ويروى اعتماد — بالدال — ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتعليق الرجاء به .

(٢) كماله : صفة لمال ؛ ولذوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أى يسأل — حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين — يقول : إن المال المبذول مثل ماله قد صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا ؛ فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه مالهم —لا ماله — ويروى : أصبح مالا — بالنصب — : أى أصبح للناس نافعا كما أصبح ماله نافعا لذوى الحاجات ، أى أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن فى الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله بلا ابتداء ولا مسألة من الوراد .

---

(١) يقول : إذا لم يقدرنى أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازى الذى هو أبكر الطيور مشتملا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعى : معتمر : أى زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ، وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موضعا بعيداً من الشام ، وجمع لذلك جيشا ، وضبر — أى جمع قوائمه — ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع .



هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلاَ جَذَلُ[١]
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحِمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجَلُ[٢]
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا يَفْعَلُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعِلُ[٣]
تُعْرَفُ فِى عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ كَأَنَّهُ بِالذَّكَاءِ مُكْتَحِلُ[٤]
أُشْفِقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ يَشْتَعِلُ[٥]

---

(١) الجذل : السرور . يقول : لرجحان لبه ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لهما أثر فيه فلا يبطر لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل منتهى الحياة . يقول : إن الموت طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقا له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والخبر : ينفعل ؛ وقبل : متعلق بينفعل. يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزيمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفعل قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شىء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِكَتْ به الأقدارُ حتى إنها لتكاد تفجؤهُ بما لم يُقدرَ

« سدكت به: لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الخصال والمعانى التى طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكأن ذكاءه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه ، فهى ظاهرة فيها ظهور الكحل؛ وعبارة بعض الشراح : إن حقائق ماطبع عليه ـ من حدة الذهن وذكاء النفس ـ تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتعل : أى أخاف أن يشتعل ، فحذف « أن » ورفع الفعل . يقول: إذا اضطرمت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتعل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حدتها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومى :

أَخْشَى عليك اضطرامَ الذهنِ لا حَذَراً

أغرُّ أعداؤُهُ إذا سَلِمُوا ... بالهَرَبِ استكبَرُوا الذى فعلوا (١)

يُقبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سابحَةٍ ... أَرْبَعُهَا قبلَ طَرْفِهَا تَصِلُ (٢)

جَرْدَاءَ مِلْءِ الحِزَامِ مُجْفَرَةٍ ... تَكُونُ مِثْلَىْ عَسِيبِهَا الخُصَلُ (٣)

إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ لا تَلِيلَ لَهَا ... أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ (٤)

وَالطَّعْنُ شَزْرٌ وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ ... كَأَنَّمَا فِى فُؤَادِهَا وَهَلُ (٥)

---

(١) أى هو أغر ؛ والأغر : السيد الكريم ، وأعداؤه : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده . يقول : هو سيد شريف ، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه : أعظموا فعلهم واستكثروه ، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم . وقوله إذا سلموا بالهرب : إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات .

(٢) أقبلته وجهى : حولته إليه وجعلته قبالته ، والسابحة : الفرس تسبح فى جريها ؛ وأربعها : أى قوائمها الأربع ، يقول : يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها طرفها : أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها ؛ وهذا من قول أبى نواس :

* يسبقُ طرفَ العين فى التهابه *

« أى فى شدة عدوه » . قال ابن جنى : أسرف فى المبالغة حتى خرج إلى مايستحيل وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف .

(٣) الجرداء : القليلة الشعر ، والمجفرة : الواسعة الجنبين ؛ والجفرة : سعتهما ؛ والعسيب : عظم الذنب ؛ والخصل : جمع الخصلة من الشعر . يقول : إنها تملأ الحزام بسعة جنبيها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها ، ويستحب فى الخيل قصر العسيب وطول شعره .

(٤) التليل : العنق ؛ والكفل : الردف ، ويستحب فيهما الإشراف . يقول : إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر ، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها ، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها ؛ وعبارة الواحدى : من حيث تأملتها وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها ، كما قال على ابن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ فى استقباله ... حتى إذا استدبرتَهُ قلت أكبْ

يريد : هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتها حسنة فى إقبالها وإدبارها .

(٥) والطعن شزر : جملة حالية : أى يقبلهم وجه كل سابحة فى هذه الحالة ؛ الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ؛ وذلك أشد الطعن ، وواجفة : مضطربة

قَدْ صَبَغَتْ خَدَّهَا الدِّمَاءُ كَمَا ... يَصْبُغُ خَدَّ الْخَرِيدَةِ الْخَجَلُ(١)
وَالْخَيْلُ تَبْكِى جُلُودُهَا عَرَقًا ... بِأَدْمُعٍ مَا تَسُحُّهَا مُقَلُ(٢)
سَارَ وَلَا قَفْرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ ... كَأَنَّمَا كُلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ(٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ ... شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسَلُ(٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا ــ أى فزعا ــ فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبارة بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدباراً حتى كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض متلطخا بالدماء بخد الجارية الحيية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خداً لمشاكلة مافى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، والمقل : جمع مقلة . وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد . يريد أن الخيل ــ من شدة الطراد وما هى فيه من هول الحرب ــ قد عرقت ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتنوين : اسم فاعل . من السرى ، ويروى بالفتح : فعلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار والأماكن الخالية بجيوشه فملأها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكمت فى السهول على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحهم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها والتحامها ؛ وأصل هذا المعنى لقيس بن الحطيم :

لو أنك تُلقِى حنظلاً فوق بيضنا ... تدحرج عن ذِى سامِه المتقارِب

« عن ذى سامه » : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى البيض ؛ يعنى البيض المكسوة بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَـــةُ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ[(١)]
إنَّ الْبَنَانَ الَّذِى تُقَلِّبُـــهُ عِنْدَكَ فِى كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ[(٢)]

فى الحرب حتى لو وقع حنظل على رءوسهم — على إملاسه واستواء أجزائه — لم ينزل إلى الأرض » . ثم قال ابن الرومى :

فلو حصبتهُمْ بالفضاء سحابة لظلت على هاماتِهِمْ تتدحرج

فنزل عن الحنظل إلى البرد ، وبالغ فى ذلك ثم نزل المتنبى عن البرد إلى المطر ، وهو ألطف منه ثم أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

تضايق حتى لو جرى المـاء فوقه حماه ازدحامُ البَيْضِ أن يتسربا

فنقله من المطر إلى الماء .

(١) ليث الشرى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر فى الحسن ، بحر فى الجود ، سحاب فى كثرة العطاء ، أسد فى الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل فى الحقيقة ، يعنى جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفى كل موضع : صلة مثل . يقول إن كفك التى تقلبها وأنت فى بلدك وتصرفها فى العطايا والهبات قد اشتهر ذكرها فى كل موضع حتى صارت مثلا فى الجود . ويروى — نقبله — من التقبيل أى نقبله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبى ربيعة :

* فقالت وعضّت بالبنامِ فَضَحْتَنِى *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيبويه :

قد جعلت مَىّ على الظـــرار خَمْسَ بَنانٍ قانىء الأظفار[(١)]

(١) قال الشنتمرى : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهى حجارة مستديرة محددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الطرار ؛ ويروى على الطرار — بطاء غير معجمة —



إنكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا ... مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا[١]

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا ... قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا[٢]

أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفَتْ ... قَوَاضِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ[٣]؟

أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَـٰكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى زُحَلُ[٤]

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان مخضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحده الهاء فإنه يوحد ويذكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار وبعبارة أخرى : إن مقتضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرئوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جعله بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبي وولوعه بالتشهير به وبسرقاته — أخذ هذا من قول عوف بن محلم الشيباني :

إن الثمانينَ وبُلِّغتَها ... قد أحوجت سمعي إلى تَرجُمانِ

وبدلتني بالشطاط انحنا ... وكنتُ كالصعدةِ تحت السنان

(٣)و(٤) قواضب الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شيء : معظمه ؛ والوغى : الحرب . وزحل : من كواكب النحس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل نقيض اسمه فى الحرب ، لأن البدر الذى هو اسمك من كواكب السعد ولكنك فى الحرب نحس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيهتدى به فى الأسفار ، وأنت فى الحرب نقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير الغبار بالخيل فتظلم الأرض ، ففعلك فى الحرب نقيض فعلك فى السلم .

جمع طرة ، وهى عقيصة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج فى صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقانىء : الشديد الحمرة من الخضاب .



كَتِيبَةٌ لَسْتَ رَبَّهَا نَفَــلٌ وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ(١)

قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَـــا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ(٢)

لَمْ تُبْقِ إلاَّ قَلِيــلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلَلُ(٣)

عُـــذْرُ الْلُّوَّمَيْنِ فِيكَ أَنَّهُمَا آسٍ جَبَانٌ وَمِبْضَعٌ بَطَلُ(٤)

---

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والخبر : نفل ؛ وكذا فى المصراع الثانى ؛ والنفل : الغنيمة ؛ والحلى : الزينة . والعطل : التى لاحلى لها يقول : كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو ، وكل بلدة لست زينتها هى عطل لا زينة لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب : الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذللت بالخفاف والحوافر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين .. وليس بشىء ، وشكوى الإبل كثيرة فى الشعر قال أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليكَ سباسباً ورمالاً

وقال البحترى :

تشكّى الوجي والليلُ مُلتبِسُ الدجى غُرَيرِية الأنساب مَرْتٌ بقيعُها

«الوجى : الحفا ؛ والمرت : المفازة لانبات فيها ؛ والبقيع : الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى »

أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبى .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة ، فهو من إضافة الصفة للموصوف وتجتديكها : أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلاقليل من العافية فقدمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقوله السالف :

وبذلت ما ملكتهُ نفسُكَ كُلّهُ حتى بذلت لهـــذه صِحّاتِهَا

(٤) الآسى : الطبيب ؛ والمبضع : حديدة الفاصد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد باللومين : ماذكره بعد من الآسى والمبضع . وقدكان الفصاد فصده وأخطأ فى فصده



مَدَدْتَ فى رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا ... وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الأَمَلُ (١)

إنْ يَكُنِ الْبَضْعُ ضَرَّ بَاطِنَهَا ... فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبَلُ (٢)

ونفذت حديدته فى يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطبيب والمبضع ملومين فى ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطبيب كان جبانا فارتعدت يده هيبة لك والمبضع كان شجاعا ــ أى حاداً نافذاً ــ فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطبيب عذراً آخر فى البيت التالى .

(١) يقول : إنما وقع للطبيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطبيب كيف يقطع الأمل ؛ لأنه إنما تعود قطع العروق ، لاقطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله :

يا قاصداً لِيَدٍ جلَّتْ أياديهـــا ... ونال منها الذى يرجوه راجيها

يَدُ الغِنى هى فارفقْ لاتُرِقْ دمهَا ... فإنَّ أرزاقَ طُلاب الغِنَى فيها

وقال أيضا للخليفة المعتمد :

يا دماً ســـال من ذراع الإمام ... أنت أذكى من عنبر ومدام

قد حسبناك إذ جريت إلى الطسـ ... ـت دموعا من مُقلتى مستهام

إنمـــا غيب الطبيبُ شَبا المِبْـ ... ـضع فى نفس مهجة الإسلام

(٢) البضع : الفصد ؛ والقبل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقبيل . وأراد بضرر القبل : كثرة تقبيل الناس ظهر كفه حتى أثر فيه وضره . قال الواحدى : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقبيل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقبل غير أبى الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومى :

فامْـــدُدْ إلىَّ يداً تعوَّد بطنُهَا ... بذل النوالِ وظهرُها التقبيلا

وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل :

لفضل بن سهلٍ يَدٌ ... تَقاصَرَ عنها المثَـــلْ

فباطِنُهَا للنـــدى ... وظاهرها للقُبَـــلْ

وقال أبو الضياء الحمصى :

وما خُلقَتْ كفَّاكَ إلا لأربع ... وما فى عبادِ الله مِثلكَ ثانِ

يَشُقُّ فى عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلاَ ... يَشُقُّ فى عِرْقِ جُودِهَا الْعَذَلُ(١)

خَامَرَهُ إذْ مَدَدْتَهَا جَزَعٌ ... كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةٍ عَجِلُ(٢)

جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى ... غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأُمِّهِ الْهَبَلُ(٣)

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ(٤)

أُرْثِ لَهَا إنَّهَا بِمَا مَلَكَتْ ... وَبِالَّذِى قَدْ أَسَلْتَ تَنْهَمِلُ(٥)

لتجريد هِنْدِىٍّ وإسداء نائلٍ ... وتقبيل أفواه وأخذِ عِنان

وقد ملح من قال :

يَدٌ تَرَاهَا أبدًا ... فَوْقَ يد وتحت فَمْ

ما خُلقت بنانها ... إلا لسيف أو قلم

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاذ . ومن ثم عدّاه بفى ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والعذل : اللام . يقول : إن الفصد يؤثر فى يده ، ولكن لايؤثر اللام فى جودها ، أى لاينجع قول اللائمين فيه . وقد نظر فى هذا إلى قول أبى تمام :

خلائقُ كالزَّغْفِ المضاعف لم يكن ... لِيُنقذَهَا يوماً شَباةُ اللوائم

(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذاقة : مصدر كالحذق ؛ والعجل : المستعجل . يقول : خامرى الطبيب — حين مددت يدك إليه للفصد — جزع من هيبتك فعجل فى الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة عجل من خوفه .

(١) جاز الشىء : تعداه ؛ وغير اجتهاد : مفعول أتى ؛ والهبل : الثكل . يقول : بالغ فى الاجتهاد حتى جاوزحد الاجتهاد ففعل ماهو غير اجتهاد لأن الخطأ من فعل المقصرين المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الثكل .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشىء — وهو أقصاه — يريد به المبالغة ومجاوزة الحد . يقول : إن النجاح فى الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سجيتها ، فإذا تكلف وبالغ وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما وبالذى : متعلقان بتنهمل . يقول مخاطبا الطبيب — : ارفق

مِثْلُكَ يا بَدْرُ لاَ يَكُونُ وَلاَ تَصْلُحُ إلاَّ لِمِثْلِكَ الدُّوَلُ(١)

* * *

وقال أيضاً يمدحه :

بَقَائِى شَـاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالاَ وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لاَ الْجِمَالاَ(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أى تجود بمالها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أى إلا لك . يقول : لايخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريما سخيا لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى ليس الأمر والخبر هم شاءوا . لحذف «شاءوا» لتقدمه فى أول الكلام ، ويجوز أن يكون «هم» : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون «ليس» هنا حرفا عاطفاً فلا يكون لها اسم ولاخبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائى ، فكأن بقائى شاء ارتحالا ؛ لاهم شاءوا ذلك ، وكأنهم زموا صبرى للسير ، لاجمالهم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما نفى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنا ، فكأن ارتحالهم ليس ارتحالا عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه . وعبارة بعض الشراح : لماارتحل الأحبة ارتحلت حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لاهم . ولما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لوصبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شىء واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أى سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشآه : إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من المشيئة ، فليتنى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .



تَوَلَّوْا بَغْتَــةً فَــكَأَنَّ بَيْناً تَهَيَّبَنِى فَفَاجَأَنِى اغْتِيــالاً(١)
فَــكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمِ ذَمِيلاً وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالاً(٢)
كَأَنَّ الْعِيسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِى مُنَاخَاةٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سَالاً(٣)
وَحَجَّبَتِ النَّوَى الظَّبْيَاتِ عَنِّى فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِــعَ وَالْحِجَالاَ(٤)
لَبِسْنَ الْوَشْىَ لاَ مُتَجَمِّلاَتٍ وَلٰــكِنْ كَىْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالاَ(٥)

---

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبنى : هابنى . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لايدرى . يقول : كأن البين هابنى ففاجأنى باغتياله ، يريد فاغتالنى اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ ويروى عيرهم ، وهى الإبل التى تحمل الميرة ، والذميل : السير المتوسط والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمعى ينصب فى أثرهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومى :

لهم على العيس إمعان يشطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعــانُ

(٣) أناخ البعير : أبركه ؛ وثرن : أى نهضن للمسير ؛ والبيت مبنى على ماقبله . يقول : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكأن إبلهم كانت تمسك دمعى عن السيلان ببروكها فوق جفنى ، فلما فارقونى سال دمعى ، فكأنها ثارت للرحيل من فوق جفنى فسال ما كانت تمسك من دموعى . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الخدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عينى ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والخدور .

(٥) الوشى : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أى حجر من معدن فيه ذهب ، أنشد ابن الأعرابى لأحيحة بن الجلاح يرثى ابنا له :

وما هِــبْرِزِىٌّ من دنانير أيلة بأيدى الوُشاةِ ناصِــع يتأكلُ
بأحسن منهُ يوم أصبح غادياً ونفسنى فيهِ الحِمــامُ المعجلُ

« الوشاه الضرابون : يعنى ضراب الذهب ؛ ونفسنى فيه : رغبنى ، والهبرزى الدينار الجديد » والتجمل : التزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبى الطيب فى قولك :



وَضَفَرْنَ الْغَدَائِرَ لاَ لِحُسْنٍ ... وَلَـكِنْ خِفْنَ فِى الشَّعَرِ الضَّلاَلاَ (١)

بِجِسْمِى مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ ... وِشَاحِى ثَقْبَ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالاَ (٢)

وَلَوْلاَ أَنَّنِي فِى غَـيْرِ نَوْمٍ ... لَـكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّى خَيَالاَ (٣)

لبِسْـن بُرُود الوشى لا لتجمل ... ولـكن لصون الحسن بين برود

فقال : نعم ، كما أغار هو فى قوله :

ما بال هـذى النجوم حائرةً ... كأنها العُمْىُ مالهـا قائدْ

على بشار فى قوله :

والشمسُ فى كبدِ السماء كأنها ... أعمى تحـير ما لديه قائدُ

(١) التضفير : فتل الذوائب ؛ والغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر . يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولـكن خفن أن يضللن فيها لو أرسلنها لأنها تغشاهن كالليل : قال ابن جنى : قد وصفت الشعراء الشعر بالـكثرة ، ولـكن لم تفرط فى ذلك مثل المتنبى ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلُها ذوائِبَهـا ... فجئن من قرنها إلى القـدم

(٢) بجسمى : أى أفدى بجسمى ؛ وبرته : هزلته ؛ والوشاح : شبه قلادة تشده المرأة بين العاتق والـكشح يقول : أفدى بجسمى التى هزلته حتى لو جعلت وشاحى ثقب لؤلؤة لوسعنى حتى يدور على إذا شئت أن أديره ، يصف دقته ونحوله ، ومثل هذا يقول الآخر :

قد كان لى فيما مضى خاتم ... والآن لو شئت تمنطقتهُ

(٣) يقول : لولا أنى يقظان لـكنت أظن نفسى خيالا ، يعنى أنه كالخيال فى الدقة ، إلا أن الخيال لا يرى فى اليقظة ، فقوله أظننى : أى أظن نفسى وقوله منى : متعلق بخيالا : أى خيالا منى ، كما تقول : جاءنى خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله منى : أى من دقى ، ويبعد أن يقال من نفسى ، لأنه قال أظننى ، ومعناه أظن نفسى ، ولا يقال أظن نفسى خيالا من نفسى . هذا : والعرب تقول ظننتنى وخلتنى وعلمتنى ، ولم يروعنهم ضربتنى ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا فى أحدهما لقوة تعديته . وقد جاءت عدمتنى شاذة فى قول جران العود :

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالاَ(١)

وَجَارَتْ فِى الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبْدَتْ لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالاَ(٢)

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِى فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالاَ(٣)

لقد كان لى فى ضَرَّتين عدِمْتُنِى وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحْزَحُ

(١) الخوط : الغصن الناعم : ورنت : نظرت ؛ والمنصوبات فى البيت أسماء وضعت موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقة ، ومالت متثنية ، وفاحت طيبا ، ورنت مليحة ؛ أو تقول المعنى : بدت مشبهة قمرا فى حسنها ، ومالت مشبهة غصن بان فى تثنيها ، وفاحت مشبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالا فى سواد مقلتها . وهذا يسمى التدبيج فى الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بُدُوراً وانتقبن أهِلَّةً ومِسْن غصوناً والتفتن جآذِرَا

(٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله فى الظلم لأنه جور عن الحق . يقول: هى فى حكمها جائرة , ولكن قدها معتدل لاجور فيه .

(٣) يقول : كأن الحزن يعشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتنى ، يعنى كلما هجرتنى واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله «مشغوف» روى بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة ؛ وقد قرىء قوله تعالى «قد شغفها حبا » بالعين وبالغين ، فمن قرأها بالعين فمعناه تيمها ، ومن قرأها بالغين يعنى أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛ وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الحطيم :

إنى لأهواكِ غَيْرَ ذِى كَذِبٍ قد شَفَّ مِنِّى الأحْشاء والشغَفُ

أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هنئ بالقطران يجد له لذة مع حرقة .

قال امرؤ القيس :

لتقتلنى وقد شَعَفْتُ فؤادَها كما شَعَفَ المهنوءةَ الرجُلُ الطالى

« يعنى أحرقت فؤادها بحبي كما أحرق الطالى هذه للمهنوءة ففؤادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة » .



كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يُدِمْنَ عَلَيْهِ حَالاَ[1]
أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالاَ[2]
أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قُتُودِي وَالْغُرَيْرِيَّ الْجُلاَلاَ[3]
فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلاَ أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالاَ[4]
عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي أُوَجِّهُهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالاَ[5]

---

(١) كذا : خبر مقدم عن «الدنيا» وصروف : خبر عن محذوف : أى هى صروف ؛ والصروف : الأحداث : يقول : إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن : أى كما هى على الآن ، ثم بين ذلك فقال : هى صروف لا تدوم على حاله واحدة

(٢) فى سرور : خبر «أشد» والجملة بعده : نعت سرور . يقول : إن السرور الذى يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد الغم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور .

(٣) قتودى : جمع قتد ، وهو خشب الرحل ، والغريرى : المنسوب إلى غرير ، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال : كالجليل ـ أى العظيم ـ كما يقال : طوال ، وطويل . يقول : تعودت الارتحال حتى ألفته ، وصارت الرحال أرضا لى ، لأنى أبداً على الرحال ، فهى لى كالأرض للمقيم .

(٤) المقام : مصدر ميمى ، بمعنى الإقامة . وأزمع الأمر : وأزمع عليه : مضى فيه ؛ وثبت عليه عزمه ؛ وقال الكسائى : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه . قال الأعشى :

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا وَشَطَّتْ عَلَى ذِى هَوًى أَنْ تُزَارَا

وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه : بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه يقول : ما طلبت الإقامة فى أرض لأنى أبداً على سفر ، ولا عزمت على الرحيل عنها . لأنى الرحيل إنما يكون بعد الاقامة ، ولا إقامة لى حتى أرحل .

وقال ابن جنى : المعنى إذا كان ظهره — أى البعير — كالوطن لى فأنا — وإن جبت البلاد — كالقاطن فى داره

(٥) على قلق : القلق الاضطراب ؛ والجار والمجرور : فى موضع الحال من التاء فى ألفت ؛ ويروى على قلق ـ بكسر اللام ـ أى بعير قلق . يقول : لا أستقر فى مقام

إلَى ٱلْبَدْرِ بْنِ عَمَّارِ ٱلَّذِى لَمْ ... يَكُنْ فى غُرَّةِ ٱلشَّهْرِ ٱلْهِلاَلاَ[1]

وَلَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ ... وَلَمْ يَزَلِ ٱلْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالاَ

بِلاَ مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ ... لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالاَ[2]

حُسَامٌ لِاُبْنِ رَائِقٍ الْمُرَجَّى ... حُسَامِ الْمُتَّقِى أَيَّامَ صَالاَ[3]

سِنَانٌ فى قَنَاةِ بَنِى مَعَدٍّ ... بَنِى أَسَدٍ إذَا دَعَوُا النِّزَالاَ[4]

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبر بالريحين عن الجانبين ، ويروى يميناً أو شمالا ، فتكون بكسر الشين .

(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار — بدون أل — لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسبه إلى أبيه ، لأنه ليس بدراً على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالا أولا ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالا قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص «البيت» . وترك التنوين من «عمار» ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله «لنقص» فى البيت التالى — بمعنى بعد كما فى قوله :

* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول:هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلا والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشىء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .

(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام — الثانى — بدل من ابن رائق. يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للمتقى لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان المتقى حاربهم به فى خبر ليس هذا موضعه .

(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبنى أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط الممدوح . قال الواحدى : يقول إن الممدوح سنان فى قناة العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكأنه قال : هو سنان قناة بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران —

أعزُّ مُغالِبٍ كَفًّا وَسَيْفاً ... وَمَقْدِرَةً وَمَحْمِيَــــةً وَآلاَ(١)
وَأَشْرَفُ فَاخِرٍ نَفْساً وَقَوْماً ... وَأَكْرَمُ مُنْــتَمٍ عَمًّا وَخَالاَ(٢)
يَكُونُ أحقُّ إثْنَاءٍ عَلَيْهِ ... عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا مُحَالاَ(٣)

بعض إلى بعض – من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذى به يقاتلون ، وفى مثل هذا المعنى يقول النامى – وقد قصر عنه المتنبى – :

إذَا فَاخَرَتْ بِالمَكْرُماتِ قَبِيلَة ... فَتَغْلِبُ أبناء العُـلَى بِكَ تَغْلِبُ
قناة مِنَ العَلياءِ أنْتَ سِنانُها ... وَتِلْكَ أنَابِيب إليكَ وَأَكْعُب

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناة ، ثم قال : جعل بنى أسد – وهم رهط الممدوح – قناة – أى رمحا – لبنى معد ، وجعل الممدوح سناناً لهذه القناة : يعنى أن الممدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد – على أنه جمع أسد – وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى: يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافا : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا يابنى أسد ، فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم إذا دعوهم أغنوا عنهم .

(١) أراد بالعز – ههنا – الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة – بتثليث الدال – أى قدرة : ومحمية . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى الحمية : أى الأنفة وعزة النفس . ونصب المنصوبات الخمس على التميز . يقول : هو أعز من يغالب الأقران كفا ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الذود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منتسب . يقول : هو شريف حسيب إذا انتمى كان له الشرف من أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أثنى عليه . يقول : إن المدح الذى يستعظم للدنيا وأهلها حتى يكون لإفراطه محالا عليهـا إذا أطلق عليه كان حقا ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان النسبة إليهم محالا . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبقَى ضِعفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ ... إذَا لَمْ يَتَّرِكْ أَحَدٌ مَقَالاَ (١)

فَيَا ابْنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدْنٍ ... مَوَاضِعَ يَشْتَكِى البَطَلُ السُّعَالاَ (٢)

وَيَا ابْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ ... مِنَ العَرَبِ الأَسَافِلَ وَالقِلاَلاَ (٣)

أَرَى المُتَشَاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّى ... وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ العُضَالاَ (٤)

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلاَلاَ (٥)

---

(١) ضعف الشىء : أن يزاد عليه مثله ؛ ويتّرك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدروا عليه حتى لم يتّرك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعنى للمادح والمثنى لا يبلغ فى مدحه مايستحقه ، كما قالت الخنساء .

وما بَلغَ المُهْدُونَ نحوَكَ مِدْحةً ... وَإنْ أطنبوا إلاَّ وَمَا فِيك أفْضَلُ

وقال أبو نواس :

إذَا نحنُ أثنينَا عَلَيْك بِصالِحٍ ... فَأنتَ كما نُثنِى وَفوقَ الذى نُثنِى

(٢) بكل لدن : أى بكل رمح لين للهز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ،مضاف إلى الجملة بعده . يقول . ياابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى .

وَأتبعْتُها أُخرَى فَأضْلَلتُ نَصلَها ... بحَيثُ يكونُ اللبّ والرُّعبُ والحقدُ

(٣) العضب السيف القاطع ؛ والقلال جمع قلة ، أعلى الشىء والمراد هنا الرءوس يقول . ياابن الضاربين بكل سيف رءوس العرب وأرجلها قال ابن جنى . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس فى قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسافل اللئام ، وبالقلال الكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والدنىء فلا يتركون أحداً ، أو لايهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون:الذين يدعون الشعر وليسوا من أهله . وغرى بالشىء : أولع به، والداء العضال : الذى لا دواء له يقول : إنه داء لهم يسقمون به حسدا ، ولذا لا يمكن أن يحمدوه .

(٥) الزلال : العذب الصافى الذى يزل فى الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثلى معى كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرا لمرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذموننى

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا ... فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالاَ[(١)]

هُوَ الْمُفْنِي الْمَذَاكِى وَالْأَعَادِى ... وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الطِّوَالاَ[(٢)]

وَقَائِدُهَا مُسَوَّمَةً خِفَافًا ... عَلَى حَىٍّ تُصَبِّحُهُ ثِقَالاَ[(٣)]

جَوَائِلَ بِالْقُنِىِّ مُثَقَّفَاتٍ ... كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذُّبَالاَ[(٤)]

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعرى ، فالنقصُ فيهم لا فى ولوصحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا لى حسدا له على ولى عليه : هل برفعك الممدوح إلى الثريا ؟ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن أنحط عن منزلتى : أى أنه رفعه إلى مافوق الثريا فإن استفل وانحط رجع إلى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة الممدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوئها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خَلِيلَىَّ إنى لِلثريا لحاسد ... وإنى على ريب الزمان لواجد

أيجمعُ منها شملها وهى ستة ... وأفقِدُ مَن أحببته وهو واحد

(٢) المذاكى : الخيل المسنة ، وهى التى أتى عليها بعد قروحها سنة . وبيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى يفنى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة العكبرى : هو مفنى الخيل والأعادى بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهيبة والسيوف والرماح بالضرب والطعن ، ويجوز بالهبة .

(٣) قائدها : معطوف على المفنى ؛ والضمير : للمذاكى : والمسومة : المعلمة . يقول : وهو قائد الخيل خفافا فى الركض ثقالا على الحى الذى تحل بساحته صباحاً للغارة ، أى ثقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقنى : أى تجول بأرماح فرسانها ، والقنى : جمع القنا . ومثقفات : أى مقومات بالثقاف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايلى الأسنة والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل .

إذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيهَا صُخُوراً يَفِئْنَ لِوَطْءِ أَرْجُلِهَا رِمَالاَ[1]
جَوَابُ مُسَائِلِي أَلَهُ نَظِيرٌ وَلاَ لَكَ فِى سُؤَالِكَ لاَ أَلاَ لاَ[2]
لَقَدْ أَمِنَتْ بِكَ الإِعْدَامَ نَفْسٌ تَعُدُّ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالاَ[3]
وَقَدْ وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى غَدَتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وِجَالاَ[4]

---

(١) يفئن : يعدن ويرجعن ؛ ويروى : بقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المعتز :

* كأن حصى الصمانِ من وقعها رَمْلُ *

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله أله نظير : فى محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألنى سائل فقال : هل لهذا الممدوح نظير ؟ فجوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير فى هذا السؤال ، لأن أحداً لا يجهل هذا غيرك ، فأنت فى جهلك به بلانظير . وأراد «لا» و«لالك» فأخر المعطوف عليه ضرورة ، كما قال الأحوص:

ألا يا نخلةً مِن ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ[1]

وكرر النفى بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هـذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه

(٣) الإعدام : الإقتار والفقر . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبتة .

(٤) وجالا : جمع وجل ـ بكسر الجيم ـ أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنونك مجنون ولست بِواجِدٍ طبيباً يداوى مِن جنونِ جنونِ

---

(١) بعده :

سألتُ الناسَ عَنكِ فخـبرونى هَنًا مِنْ ذاك تَكْرهه الكرامُ
وليس بِما أحـلَّ اللهُ بأسٌ إذا هو لم يخالِطه الحـرامُ

والنخلة : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكنى بالهناة عن الرفث .



سُرُورُكَ أَنْ تَسُرَّ النَّاسَ طُرًّا ... تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلاَلاَ(١)

إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالاَ(٢)

وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيحٌ ... يُنِيلُ الْمُسْتَمَاحَ بِأَنْ يَنَالاَ(٣)

يُفَارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ الْمُلاَقَى ... فِرَاقَ الْقَوْسِ مَا لاَقَى الرِّجَالاَ(٤)

فَمَا تَقِفُ السِّهَامُ عَلَى قَرَارٍ ... كَأَنَّ الرِّيشَ يَطَّلِبُ النِّصَالاَ(٥)

---

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس : وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ، لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك، إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعددته منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لايفوتك لذة العطاء .

(٣) الاستماحة : طلب العطاء ؛ والسماحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطى مسئوله بأن ينال منه شيئاً ، يعنى أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئا . والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فيراه حقا عليه ويسر بذلك . قال البحترى :

فَيكون أولَ سنةٍ مأثورة ... أن يَقبلَ الممدوحُ رِفدَ المادِح

(٤) «ما» نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفا ، والتقدير فراقه للقوس وهو مالاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذى يلاقيه نافذا منه ، وفيه نفس القوة التى فارق بها القوس حين لم يلاق أحدا بعد : أى إذا رمى رجلا بسهم خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس وقوة الرمى وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفيا ، كأنه قال : يكون الأمر كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلمك ماطار طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديدة التى تكون فى السهم . يقول : إن سهامك إذا رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكأن ريشها يطلب نصالها ليدركها فهى تمضى أبدا ، لأن الريش لايدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى ... وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى(١)

وأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شِمَالاَ(٢)

أُقَلِّبُ مِنْكَ طَـرْفِي فِي سَمَاءٍ ... وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالاَ(٣)

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا ... وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالاَ(٤)

* *

وهذا من قول ليلى الأخيلية :

ولمـا أن رأيتَ الخيلَ قُبْلاً ... تبارِى بالخـدودِ شبا العوالي

نسيتَ وصاله وصـددت عنه ... كما صد الأزبُّ عن الظلال(١)

فنقل المعنى من الخيل والخدود والعوالى : إلى السهام والريش والنصال .

(١) جاراه : جرى معه ؛ وعالاه : غالبه فى العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا فى مراحل المساعى والمكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعاليك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين : الأولين : أى الذى غبروا ومضوا .

(٢) يفضله على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شىء ماصلح الناس كلهم أن يكونوا شمالا لذلك الشىء ، وفى مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خلقُ الله جنباً واحـداً ... وكنت فى جنبٍ لـكنت زائدا

نباهة ونائلا ووالدا

(٣) يقول أنت فى علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالا ، جعله كالسماء ، وخصاله فى الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحترى :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً ... لو كُنَّ فى فلكٍ لـكُنّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب ــ فى البيت السابق ــ وتنشا : أصله تنشأ ــ بالهمز ــ فلينه للوزن ، وأراد أن تنشا ، فحذف «أن» . يقول : أنت قد ولدت كاملا ، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

---

(١) قالت ليلى هذين البيتين فى فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .



وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضربه بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِى الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاَ ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولاَ (١)

يَا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ وَغَادَرَتْ ... فِى حَدِّ قَلْبِى مَا حَيِيتُ فُلُولاَ (٢)

كَانَتْ مِنَ الْكَحْلاَءِ سُؤْلِى إِنَّمَا ... أَجَلِى تَمَثَّلَ فِى فُؤَادِى سُولاَ (٣)

---

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يخالطك ويعاشرك ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إن الخليط أجدُّوا البين فانجردوا ... وأخلفوكَ عِدى الأمر الذى وعدوا

وجمع الخليط : خلطاء وخلط ، قال وعلة الجرمى فى جمعه على خلط :

سائل مجاورَ جَرمٍ هل جنيت لهم ... حرباً تُفرِّق بين الجيرةِ الخُلُطِ

يقول : إن فى خده — لأن عزم الحبيب فراقاً — مطرا — يعنى الدمع — تزيد الخدود به محولا — جدبا — ومحول الخدود : شحوبها وتخدد لحمها وذهاب نضرتها والمطر من شأنه أن تخصب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لو نبت العُشْبُ مِن دموعٍ ... لكان فى خَدِّىَ الربيعُ

(٢) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرته إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبارة بعض الشراح : وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤلى ؛ ولين السول — فى آخر البيت — للقافية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِــدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلاَّ فِي نَوَاكِ جَمِيلاَ[١]

وَأَرَى تَدَلُّلَكِ الْكَثِيرَ مُحَبَّباً وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولاَ[٢]

تَشْكُو رَوَادِفَكِ الْمَطِيَّــــةَ فَوْقَهَا

شَكْوَى الَّتِي وَجَــدَتْ هَوَاكِ دَخِيلاَ[٣]

وَيُغِيرُنِي جَذْبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكِ كَطَالِبٍ تَقْبِيلاَ[٤]

هذه المرأة الكحلاء . ولكنها كانت فى الحقيقة أجلى تصور مرادا فى قلبى ، يعنى أن نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأتت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلى . والنوى : البعد . يقول : إنى أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصبر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

ما أحسن الصبرَ إلا عندَ فُرْقةَ مَنْ ببينِهِ صِرْتُ بين البثِّ والحَزَنِ

(٢) يقول : إنى آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :

إن كان شــأنُكم الدلال فإنه حسن دلالكِ يا أُمَيمَ جَمِيلُ

(٣) الروادف : الكفل وما حوله ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية ثقل روادفك فوقها شكوى النفس التى وجدت هواك مداخلها ، يعنى العاشق لها ، يعنى نفسه .

(٤) يقول — مخاطباً حبيبته — : يحملنى على الغيرة جذبك زمامها إليك لأنها تقلب فمها إليك كأنها قبلة ، كما قال مسلم بن الوليد :

والعيسُ عاطِفة الرؤوسِ كأنّما يطلبنَ سِرّ مُحَدِّثٍ فى الأحْلُسِ

هذا ، والغيرة : الحمية والأنفة ، لعلها من غار النهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوراً :

لهنّ نشيجٌ بالنشيل كأنها ضرائرُ حِرْمِيٍّ تفاحش غارها[١]

---

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمى وهو من المعدول الذى يأتى على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمية

حَدَقُ الْحِسَانِ مِنَ الْغَوَانِي هِجْنَ لِي ... يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلاَ[(١)]

حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلاَ[(٢)]

الْفَارِجُ الْكُرَبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا ... وَالتَّارِكُ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلاَ[(٣)]

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلها . هذا : والفم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوك وفاك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كالحوت لا يكفيه شىء يلهمه ... يصبح عطشان وفى البحر فمه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاعج الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق – الأولى – ويذم : يجير ويعطى الذمام ؛ وغيرها : يجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية. وبدر ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه يجير من كل ما يقتل إلا من أحداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وُقِىَ الأميرُ هوى العيونِ فإنهُ ... ما لا يزولُ بباسهِ وسخائهِ

وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فلو طُرِحتْ قلوبُ العِشقِ فيها ... لما خافت مِنَ الْحَدَقِ الْحِسانِ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإنزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم ليغنى أولياءه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفريجاً : إذا أزال عنه الغم وكشفه، والكرب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالخفض تشبيها بالحسن الوجه .

وأصله من قولهم ، وحرمية البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم – وهم قريش – أول من اتخذ الضرائر . شبه غليه القدور بصخب الضرائر



مَحِكٌ إذَا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ   جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلاً(١)
نَطِقٌ إذَا حَطَّ الْكَلَامُ لِثَامَهُ   أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولاً(٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ   وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلاً(٣)

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوها ، وقد محك يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك وتماحك البيعان والخصمان تلاحا ، قال الفرزدق يهجو جريراً :

يا ابن المراغةِ والهجاء إذا التقتْ   أعنــاقهُ وتماحك الخصمانِ
ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتهــا   أمْ بُلت حيثُ تناطح البحران(١)

يقول . إنه يلج فى تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى فى ذلك ؛ فإذا مطلوه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا أخضعهم قهراً .

(٢) النطق — كالمنطيق — اللسن البليغ ؛ والضمير فى « لثامه » . للممدوح ، قال الواحدى . وكانت العرب تتلثم بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقه قلوب السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا — جاد — به على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، والمصراع الأول من قول ابن الخياط .

لمستُ بكفِّى كفَّهُ أبتغى الغِنى   ولم أدرِ أنّ الْجُود مِن كفِّهِ يُعْدِى
فلا أنا منهُ ما أفادَ ذوُو الغِنى   أفدتُ وأعدانِى فأتلفتُ ما عندِى

وقال أبو تمام :

علمنى جُــودك السماح فما   أبقيْتُ شيئاً لدىّ مِنْ صِلتِكْ

وقال أيضا :

لستُ يحيَى مُصافِحاً بسلام   إننى إن فعلتُ أتلفتُ مالى

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرْقاً فِى مُتُونِ غَمَامَـةٍ هِنْدِيُّهُ فِى كَفِّهِ مَسْلُولاَ[١]
وَمَحَلُّ قَائِمِـهِ يَسِيلُ مَوَاهِباً لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَدْنَ مَسِيلاَ[٢]

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والمصراع الثانى من قول أبى تمام :

هيْهَاتَ لا يأتى الزمانُ بمثلهِ إنّ الزّمان بمثلـهِ لبخيلُ

وقال ابن جنى : للمعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا فى الوجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم مايكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ما تصور من السخاء لبقى أبدا بخيلا ، والشىء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه فى حالة عدمه كثير من الأوصاف التى يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الموجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى يسخى سخاء وسخوة قال الجوهرى وقول عمرو بن كلثوم

مشعشعةً كأن الحُصَّ فيهـا إذا ما المـاء خالطها سخينا[١]

أى جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال فليس بشىء .

(١) جعل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والمتون جمع متن ، وهو الظهر . والغمامة السحابة . والهندى السيف المصنوع من حديد الهند، وفى كفه ومسلولا حالان . وقد عكس التشبيه فى هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال كأن برقا فى ظهور الغمام سيفه إذا سله فى يده ، مبالغة فى بريقه ولمعانه .

(٢) محل قائمه أى قائم السيف أى مقبضه هو يد الممدوح ؛ ومواهبا تميز . يقول : إن كفه تسيل نعما وهبات لو كانت مطرا لما وجدت موضعا تسيل فيه لكثرتها ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام :

---

(١) شعشع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران ، يقول اسقنى الخمر ممزوجة بالماء كأنها من شدة حمرتها بعد امتزاجها بالماء التى فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .



رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّمَا
يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولاَ(١)

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الْهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ
لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولاَ(٢)

وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ
نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولاَ(٣)

وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا
وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَالنِّيلاَ(٤)

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لاَبِسٌ
فِي غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلاَ(٥)

أفاد من العُليا كُنوزاً لو انهـــا
صَوامِتَ مالٍ ما دَرَى أين تجعلُ

(١) مضاربه ـ جمع ـ مضرب ـ حد السيف الذى يضرب به الرقاب ؛ ويبدين : يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى اللزوم والرقة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأنما هى ـ لرقتها ـ تبدى نحولا من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لهـا فأثر فيها هذا العشق نحولا ، فرقتها من ذلك النحول .

(٢) عفره : مرغه فى التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار ـ كما أسلفنا ـ هاج أسدا عن بقرة قد افترسها فوثب على كفل فرسه وأعجله عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط ـ وهو أشد الحيوان بأسا ـ فلمن خبأت سيفك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرءوس . والرفاق : جمع رفقه : الجماعة فى السفر . وتلولا : حال : أى مماثلا للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصف بالمسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زأر فى طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة ـ الغابة ـ واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلاَّ ظُنَّتَا   تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاَ[1]

كأنه فى غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما على كتفيه من الشعر وكثرته . شبه لبدتيه بالغابة .

(١) الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ؛ وحلولا ـ أى حالين نازلين ـ حال من « الفريق » ؛ وتحت الدجى : فى موضع الحال من نائب « ظنتا » . يقول : ما استقبلت عين هذا الأسد فى الظلام إلا ظنت ناراً أوقدت لجماعة نزلوا موضعا ؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السنور وعين الحية تتراءى فى ظلمة الليل بارقة هذا : وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق ، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف . وإن كان قد جاء فى شعر العرب القدامى ، كقول النابغة الجعدى من قصيدة يصف فرسا :

كَأَنَّ حَوَامِيَهُ مُـدْبِراً   خَضِبْنَ وإن لم تـكن تخضَبِ

حِجارة غَيْـل بِرَضْرَاضة   كُسِينَ طِلاَءً مِن الطُّحْلُبِ[1]

وكقول زيد الفوارس :

عَوْذ وبُهْثَة حاشدون عليهم   حلقُ الحديدِ مُضاعفاً يتلهَّبُ[2]

وقول تأبط شراً :

سَلَبْتَ سِلاحِى بائِساً وشتَمْتَنى   فيا خيرَ مسلوبٍ ويا شرَّ سالِبِ[3]

(١) الحوامى : جمع حامية ، ما عن يمين الحافر وشماله ؛ وتخضب بدل من « تـكن » والغيل : الماء الجارى على وجه الأرض ؛ والرضراضة : الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة فى ماء قليل وذلك أصلب لها . والنون من « كسين » للحجارة ؛ والطلاء كل ما يطلى به ، والطحلب ، خضرة تعلو الماء المزمن ؛ ومدبراً حال من الهاء فى « حواميه » وهو محل الشاهد .

(٢) عوذ وبهثة . اسما رجلين ، وحلق الحديد الدروع ، مضاعفا حال من « الحديد » وهو الشاهد وجائز أن يجعل « يتلهب » فى موضع الحال ، ومضاعفا ، حال من المضمر فى « يتلهب » . ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير لمعان الدرع .

(٣) والشاهد هو مجىء بائسا حالا من المضاف إليه ، وهو الياء من « سلاحى » وجائز أن يكون حالا من مفعول « سلبت » المحذوف ، والتقدير سلبتنى بائسا سلاحى

فِي وَحْدَةِ الرُّهْبَــانِ إِلاَّ أَنَّهُ
لاَ يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيــلا(١)

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيــلا(٢)

وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِــهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِــهِ إِكْلِيــلا(٣)

وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُــهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا(٤)

قَصَرَتْ مَخَــافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا
رَكِبَ الْكَمِيُّ جَــوَادَهُ مَشْكُولا(٥)

---

(١) يقول : هو فى غيله منفرد انفراد الرهبان فى متعبداتهم ، غير أنه لا يعرف حراما ولا حلالا . والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه فى غيله غيره من الأسود .

(٢) الثرى ويروى البرى : التراب ، والتيه : الزهو والعجب . والآسى : الطبيب والأسد لعزته فى نفسه وقوته لا يسرع المشى لأنه لا يخاف شيئا ، وقد شبهه فى لين مشيه بالطبيب الذى يجس العليل ــ المريض ــ فإنه يرفق به ولا يعجل .

(٣) العفرة : الشعر المجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والإكليل : التاج . يقول : ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالأكاليل ، وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته فى أعالى بدنه .

(٤) نفسه : فاعل « تظنه » وزمجر الأسد : ردد زئيره . ومشغولا : مفعول ثان للظن ؛ وعنها : صلة مشغولا يقول : إن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزمجر من شدة غضبه وغيظه . ووقع فى بعض الروايات : نفسه ــ بالنصب ــ أى يزمجر لنفسه ؛ والرواية الأولى أصح .

(٥) القصر ــ هنا ــ ضد التطويل ؛ والمخافة : مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والخطى : جمع خطوه ، وهى مسافة مابين القدمين ، والكمى : البطل المستتر فى سلاحه ؛ والمشكول : المقيد بالشكال . قال الواحدى : وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وفجج(١) وبال . يقول : كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله(٢) فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه ، قال : هذا تفسير الناس لهذا البيت ، قال : وقال ابن فورجه : المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هيبة ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس

---

(١) فجج : باعد ما بين رجليه ليبول (٢) الشكال الحبل الذى تشد به قوائم الدابة



أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا ، وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلاَ[١]
فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِى إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفَا فِى بَذْلِكَ الْمَأْكُولاَ[٢]
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
مَتْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدًا مَفْتُولاَ[٣]
فِى سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلاَ[٤]
نَيَّالَةِ الطَّلَبَاتِ لَوْلاَ أَنَّهَا تُعْطِى مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلاَ[٥]

كمى ركب فرسه مشكولا ، فهو يهيجه للاقدام بجرأة ، والفرس يحجم عجزاً عما يسومه لمكان شكاله .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التى هاجه عنها . والبربرة : الصياح والبربرة — فى الأصل — كلام المغضب استعارها لزمجرة الأسد . وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل من كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل فى الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى الفريسة وزمجر دونها ، يعنى ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .

(٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق الممدوح ، والضمير من « إقدامه » للأسد . يقول : تشابهتا فى الجرأة والإقدام وتخالفتا فى أن الأسد شحيح بطعامه وأنت جواد باذل له ، كما قال البحترى .

شاركته فى البأس ثم فضلته بالجود محقوقاً بذاك زعيما

(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛ والأزل : الأرسح — أى القليل لحم العجز والفخذين — وامرأة زلاء : لا عجيزة لها ؛ والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهى صفة لازمة له كما يقال الضبع العرجاء والمفتول المندمج الشديد كأنه فتل أى لوى — يقول : إن هذا الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبه منك هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعنى فرسا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب فى سرج فرس بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .

(٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة — بفتح فكسر — الحاجة

تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولاَ[١]

مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِى زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولاَ[٢]

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
يَبْغِى إِلَى مَا فى الْحَضِيضِ سَبِيلاَ[٣]

والشىء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حضرها ـ جريها ـ وهى طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزى : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهى مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

ومُلجَمُنا ما إنْ ينالُ قذاله ولاقدماهُ الأرضَ إلاَّ أنامِلُهْ

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضر ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شاءت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدوداً قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ، عاد إلى وصف الأسد يقول : ما زال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه فى صدره حتى صار عرضه فى قدر طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والحجار والحجارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو فى أسفله ؛ وكتب يحي بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا فى الطلب ، فلو أن رزق أحدكم فى



وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى ... لاَ يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلاَ[1]

أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ ... فِى عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاَ[2]

وَالْعَارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ ... مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلاَ[3]

سَبَقَ الْتِقَاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ ... لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لَجَازَكَ مِيلاَ[4]

عرعرة جبل أو حضيض أرض لأتاه قبل أن يموت ؛ وعرعرة الجبل : أعلاه . يقول : إنه لغضبه يضرب الأرض بصدره فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ سبيلا إلى قرارها .

(١) ادنى : افتعل ، من الدنو : أى اقترب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هيبة لك ، ولكنه مغرور ، ظن الخطب الجليل ـ وهو مقاتلتك ـ غير جليل .

(٢) الأنف والأنفة : الاستنكاف ، قال ابن جنى : من عادته ـ أى المتنبى ـ أن يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه ، كقول الآخر :

وقد أدركتنى والحوادث جمة ... أسنّةُ قومٍ لاضعافٍ ولا عُزلِ

فالحوادث جمة : جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه . يقول : إن الكريم يأنف من الدنية فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل فى عينه : قال العكبرى : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت فى عينه العدد الكثير قليلا حتى كأنه فى عينه قليل . وقال اليازجى يقول : إن أنفة الكريم فى أن يغلب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير فى عينه قليلا ، يشير إلى ثبات الممدوح وإقدامه على الاسد خوفا من عار الهزيمة .

(٣) مضاض : مؤلم موجع ؛ والحتف : الهلاك . يقول : إن العار موجع فمن خافه لم يخف الهلاك ، وهذا كقولهم من أنف من الدنية لم يحجم عن المنية وهذا البيت مثل الذى قبله فى الاعتراض كما قال ابن جنى .

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، والميل من الأرض : قدر منتهى مد النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع ؛ أميال وميول ، يقول : أنه أعجلك من التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .



خَـــــذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ
فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْـــدِيلاَ[١]

بعصت مَنيتـــه يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْـــلُولاَ[٢]

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أمسِ مهولاَ[٣]

وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنـــه فراره ، وَكَقَتْلِهِ أَنْ لاَ يَمُوتَ قَتِيلاَ[٤]

---

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكافحه استقبله فى الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديل : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهى الأرض : أى صرعه ، يقول ؛ خانته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك ـ الانقياد وترك الخصومة ـ وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر فى ذلك ، وهذا من التهكم .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يديك فقبضت على يده وعنقه لايستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا . قال الواحدى: أساء أبو الطيب فى هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح ولاغناءفىقتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى فى نسبة الإساءة إلى المتنبى ، لأن المعنى بديع ـ كما ترى ـ ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب فى العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسدا آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقتله : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم والعاب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَلِفُوا المنايا فالقتيـــلُ لديهمِ مَن لم يُخَلِّ العيش وهْو قتيـــل

وله أيضا :

لو لم يَمُت بين أطـــراف الرماح إذن
لمات إذ لم يَمت من شـــدة الحَزَن



تَلَفُ الَّذِى اتَّخَذَ الجَــرَاءَةَ خُــلَّةً
وَعَظَ الَّذِى اتَّخَذَ الفِــرَارَ خَلِيلا[١]

لَوْ كَانَ عِلْمُــكَ بالإِلهِ مُقَسَّماً فى النَّاسِ ما بَعَثَ الإِلهُ رَسُولا[٢]

لَوْ كَانَ لَفظُكَ فِيهِمِ ما أَنْزَلَ الــقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيــلا

لَوْ كَانَ ما تُعْطِيهِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيهِمِ لَمْ يَعْــرِفُوا التَّأْمِيــلا[٣]

---

(١) الخلة : الخليل ، يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه فى الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلولة . وقال أوفى بن مطر المازنى :

ألا أبلغا خُــلّتى جابراً بأنّ خليلك لم يُقتــل
تخطأتِ النبلُ أحشاءه وأخّر يومى فلم يعجــل[١]

ومثله قول الحماسى :

ألا أبلغا خُلّتى راشداً وصِنوِى قديماً إذا ما تصل[٢]

يقول : إن تلف الأسد الذى اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذى فر منك ،وحبب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط فى هذا البيت والذى بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لـكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الموجود لا يؤمل : أى فـكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدى هذا المعنى فقال :

لم يُبق جُودُك لى شــيئاً أُؤَمِّله تركتنى أصحبُ الدنيــا بلا أمل

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب ــ وهو تعطيهم الثانية ــ ضرورة قال

---

(١) تقدم شرحهما .
(٢) يقول : أبلغا ابن عمى راشدا صديقى من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؟ وبعده:

بأن الدقيقَ يهيجُ الجليلَ وأن العــزيز إذا شاء ذَل

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُــرِفْتَ حَقِيقَةً ،
وَلَقَدْ جُهِلْتَ ، وَمَا جُهِلْتَ خُمُــولا (١)

نَطَقَتْ بِسُـؤْدُدِكَ الْحَمَامُ تَغَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيـلاَ (٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِيَ نَافِذًا فِيهَا وَلاَ كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولا (٣)

* * *

وقال وقد نظر إلى جانبه خلعة مطوية فسأل عنها فقيل هى خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلا :

أَرَى حُلَلاً مُطَوَّاةً حِسَــانًا عَدَانِى أَنْ أَرَاكَ بِهَا اعْتِلاَلِى (٤)

العكبرى : وهذا كثير إذا كان فى حرفى العلة ـ الواو والياء ـ ومثله بيت الكتاب ـ كتاب سيبويه ـ :

كأنّ أيْدِيهِنّ بالقاعِ القَرِقْ أَيْدِى نساء يتعاطَين الورِق (١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ وخمولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشىء ما ثبت من أمره ؛ والخامل : الساقط الذى لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخائك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك خامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمام إذا غنت فإنما تنطق بسيادتك ، والخيل إذا صهلت فإنما تنطق بغزواتك التى تكلفها إياها ، والبيت تتميم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذا وفحولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشىء والخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفوذا ، ورجل نافذ فى أمره ونفوذ ونفاذ : ماض فى جميع أمره وأمره نافذ : أى مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذا ونفاذاً : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوذاً .
يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالى يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شجعان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عدانى : منعنى ؛ واعتلالى : فاعل عدانى ؛ وأراك بهـا : أى أراك وهى عليك

---

(١) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذى لا حجارة فيه .

وَهَبْكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجْتَ عَنهـا ... أَتطْوِى مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ[1]

لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِـرُهَا الأَعَالِى ... مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فى قِتَالِ[2]

تُلَاحِظُكَ الْعُيُونُ وَأَنتَ فِيها ... كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ[3]

مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فى كَلَامٍ ؛ ... فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ[4]

وَإِنَّ بِهَا ، وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًا ... وَأَنتَ لَهَا النِّهَايَةُ فى الْكَمَالِ[5]

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذى لبس فيه الخلعة عليلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعنى أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقى عليه من الجمال مالا يطوى ولا يزول .

(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعالى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعالى ثيابك تحسد الذى يلى جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الحلل : أى إن العيون تنظر إليك نظر المحبة والسرور وأنت فى هذه الحلل كأنك فى قلوب أصحاب العيون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبهـا من ناحية الاستحسان . وقال غيرهما : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعيون إنما تنظر إليـك لأن القلوب تحبك ــ كما قال ابن جنى ــ أو تستحسن الخلع ــ كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيها فكأنى أقول إنى أحصى الرمل ، وهذا مالا تقبله العقول ، لأنه محال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَذَلَتْ مُنَادَمَةُ الأمِيرِ عَوَاذِلِي
فى شُرْبِهَا وَكَفَتْ جَوَابَ السَّائِلِ (١)

مَطَرَتْ سَحَابُ يَدَيْكَ رِىَّ جَوَانِحِى
وَحَمَلَتْ شُكْرَكَ وَاصْطِنَاعُكَ حَامِلِى (٢)

فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِى وَالقَوْلُ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القَائِلِ (٣)

* * *

(١) العذل الملام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامنى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف، وليس للعاذل أن يعذل على مايورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فإنْ كنت ندمانى فبالأكبر اسقِنى ، ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أميرَ المؤمنين يسوؤه تنادُمنا فى الجوسَق المتهدم

وجمع النديم : ندام وندماء ، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة ندمانة ، والنسوة ندامى ، ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه ، لأن القلب فى كلامهم كثير كالقسى من القووس ، وجذب وجبذ وما أطيبه وأيطبه ؛ وخنز اللحم وخزن .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلى الصدر .والاصطناع المعروف والإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على هذا الإحسان ، وإحسانك حملنى ــ لأنه كفانى المؤنة ــ وتحمل أثقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومتى سؤال عن الزمان ، كأنه قال ــ منكراً ــ أى زمان أقوم بشكر ماأعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أثنيت عليك وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علوا ورفعة : أى أن شكريك يرفع قدرى .



وقال يمدحه :

بَدْرٌ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَّالِهِ … يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ[1]

تَتَحَيَّرُ الأَفْعَالُ فِى أَفْعَالِهِ ، … وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِى إِقْبَالِهِ[2]

قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعٍ … مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ[3]

سَفَكَ الدِّمَاءَ بِجُودِهِ لا بَأْسِهِ … كَرَمًا لأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ[4]

---

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالا :

* يا أيها الملك الذى ندماؤه *

إلى أن قال :

والصِّدقُ من شيم الكرام فقل لنا … أمن الشراب تتوب أم من تركه[1]

فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل فى جانب دولته لاقتضائها الزيادة على ما فعل .

(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثانى . قال ابن جنى : أى إن يمينه تسح العطاء، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين فى كل شىء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالمعاونة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالا له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقوله :

ما به قتلُ أعاديه ولكن … يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ماقاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعدا

---

(١) انظر قافية الكاف .



إنْ يُفنِ ما يَحوِى فَقَدْ أَبقَى بِهِ ... ذِكْراً يَزُولُ الدَّهرُ قَبلَ زَوالِهِ (١)

* * *

وسأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :

قَدْ أُبْتُ بِالحَاجَـةِ مَقْضِيَّةً ... وَعِفتُ فِى الجِلْسَةِ تَطْوِيلَهَا (٢)

أَنتَ الذِى طُـولُ بَقَاءٍ لَهُ ... خَـيْرٌ لِنَفْسِى مِنْ بَقَائِى لَهَا

* * *

وقال يمدح القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكى :

لَكِ يا مَنَازِلُ فى القُـلوبِ مَنَازِلُ ... أَقْفَرْتِ أَنتِ وَهُنَّ مِنكِ أَوَاهِلُ (٣)

وقال ابن جنى : أبلغ من هذا فى المدح أنه ينحر ويذبح ليأ كل الطير مما يجده من اللحم، فكأنه سفك الدماء بجوده لا بيأسه .

(١) قال ابن جنى : لوقال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبي غرام لست أبلغ وصفه ... على أنه ما كان فهْوَ شـديد

تمر به الأيامُ تسحبُ ذيلها ... فتبْلَى به الأيامُ وهْوَ جـديدُ

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ،وليست هذه الأيام جميعه؛ وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء المحب ، فقال إن الغرام باق بقلبي فإذا مازال زال معه الذكر ، وقول أبى الطيب بقى الذكر له إنما يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعفت : كرهت . يقول : لم أطول فى جلوسى عنده لأنى رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أقفرت : خلوت ورحل عنك أهلوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول: مخاطباً منازل الأحبة ـ : قد تمثل خيالك فى قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت آهلة بك ، لأن مثالك لا يزايلها . وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك فى القلوب وإن أقفرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها فى قلبه . وهذا من قول أبى تمام :

وقفتُ وأحشائى منازِلُ للأسى ... به وهْو قفر قد تعفت منـازِله



يَعْلَمْنَ ذَاكِ وَمَا عَلِمْتِ وَإِنَّمَا ... أَوْلاَ كُمَا يُبْكَى عَلَيْهِ الْعَاقِلُ[١]

وَأَنَا الَّذِى اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ الْمُطَالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ[٢]

ومثله للبحترى :

* عفَت الديارُ وما عفَت أحشاؤه *

وقال ابن المعتز :

بؤساً لدهرٍ غيّرتكَ صُرُوفُه ... لم يَمْحُ من قلبي الهوَى ومحا كا

قال ابن جنى : بيت المتنبى أجمع من بيت أبى تمـام ، لأنه ذكر منازل الحزن فخص، والمتنبى ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى فى كلمتين .

(١) قوله يبكى عليه : يروى يبكى عليه ، أى أولا كما بأن يبكى عليه ؛ فحذف الجار ثم حذف «أن» ، وأولا كما : أى أحقكما ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذاك : خطاب للمنازل . يقول : إن القلوب التى هى منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذى يعلم ـ وهو القلوب ـ هو الأولى بأن يبكى عليه لعلمه بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازلك التى فى القلب تعلم إقفارك وخلوك من الأحبة وأنت لا تعلمين ، والأحق منكما بالبكاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى أن قلبى أحق بأن يبكى عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ، وقال ابن جنى . أى إن منازل الحزن بقلبى تعلم ما يمر بهـا من ألم الهوى وأنت تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والمنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون الطرف اسم جامع للبصر . لا يثنى ولا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفى هو الذى جلب المنية إلى بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى ؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :

وما كنتُ أخشَى أنْ تـكونَ منيتى ... بكَـفِّىَ إلا أنَّ ما حَانَ حَائنُ[١]

(١) قبله :

وإنى لمفنٍ دمعَ عينىَّ بالبكا ... حذاراً لمـا قد كانَ أوْ هو كائنُ

وقالوا غداً أوْ بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حَبيبٍ لم يبن وهو بائنُ

وفى الأغانى :

* بكفيك إلا أنَّ منْ حانَ حائنُ *

« والحائن الهالك



تخلُو الدِّيَارُ مِنَ الظباءِ وَعِندَهُ ... مِنْ كُلِّ تابِعَةٍ خَيالٌ خاذِلُ(١)
اللاءِ أفتَكُها الجَبانُ بِمُهجَتِي ... وَأحبُّها قُرْباً إلَيَّ الباخِلُ(٢)
الرّامياتُ لَنا وَهُنَّ نَوافِرٌ ... وَالخاتِلاتُ لَنا وَهُنَّ غَوافِلُ(٣)
كافأننا عَنْ شِبْهِنَّ مِنَ المَها ... فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرابِ حَبائِلُ(٤) -

ويقول دعبل :

لا تَعجبي يا سَلْمُ مِنْ رجلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ بِرأسِهِ فَبَكَى
لا تأخُذا بِظُلامَتِي أحداً ... قلبي وطرْفِي فِي دَمِي اشترَكا

(١) الضمير فى « وعنده » للذى اجتلب ـ فى البيت السابق ـ يعنى نفسه . والظباء أى الحبائب التشبهات بالغزلان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول: وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها. يقول: تخلو الديار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواه لايفارقنى . وقال الواحدى : تخلو الديار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهن خيال يأتينى كأنه تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أى اللواتى ، نعت الظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفتكها : مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتى : صلة « أفتكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتى » على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتى » متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لايمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ، ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها ، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتكت بمهجتى ؛ ويريد بالجبان : النافرة من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتى هى النفور التى أنا مغرم بها . والبخيلة منهن بالوصل هى أحبهن إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الخاتلات . والختل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا — يصدننا — بحسنهن غير عالمات بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والحبائل : جمع حبالة الشرك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشبهن بقرالوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن



مِنْ طَاعِنِي ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ وَمِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلاَخِلُ(١)

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ(٢)

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقاً بَعْدَمَا

غَرِىَ الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ(٣)

ونحن نصيد بقر الوحش ، فجازيننا عنهن وأخذن بثأرهن فى صيدنا شبههن فصدننا بحبائل نصبنها فى غبر التراب ، يعنى بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهى نقرة النحر التى بين الترقوتين ، والجآذر ، جمع جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد بالجآذر : النساء والدمالج : جمع دملج وهو حلى يلبس فى العضد . والخلاخل : جمع خلخل ، لغة فى خلخال . وجآذر وخلاخل : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بحسنهن مايفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ماتفعل الرماح ، وعبارة ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجآذر بحليهن يفعل مايفعل الطاعن بالرمح ، كما قال الآخر :

هلْ يَغلِبَنِّي واحد أقاتلهْ رِيمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سلاسلُه

* سِلاحُهُ يومَ الوَغى مكاحِلُهُ *

وقال صريع الغوانى .

بارَزْته وسِلاحُه خَلخالُهُ حتَّى فَضَضْت بكَفِّيَ الخلخالا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفونا لأنها تتضمن أحداقا تعمل ما تعمله السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ، والضمير — من قوله أنها — للعيون . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(٣) سجرتك : ملأتك ، ومنه : «والبحر المسجور» ويجوز أن تكون بمعنى ألهبتك ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك : من قولهم شجرت الدابة: إذا أصبت شجرها — والشجر ما بين اللحيين — باللجام لتكفها، ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رئتك . وغرىَ به : أولع ؛ واللجاج : التمادى فى المماحكة . يقول — مخاطباً نفسه — : كم وقفة لك مع الحبيبة تركتك على هذه الحال ؟ وتمام الكلام فى البيت التالى.

دونَ التَّعانُقِ ناحِلَينِ كَشَكْلَتَيْ ... نَصْبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ(١)
إنعَمْ وَلَذَّ فَلِلأُمورِ أَواخِرٌ ... أَبَداً إذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ(٢)
مَا دُمْتَ مِنْ أرَبِ الحِسَانِ فَإنَّمَا ... رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلُ(٣)
لِلَّهْوِ آوِنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا ... قُبَلٌ يُزَوَّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلُ(٤)
جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذٌ خَالِصٌ ... مِمَّا يَشُوبُ وَلاَ سُرُورٌ كَامِلُ(٥)
حَتَّى أَبُو الفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللهِ رُؤْ ... يَتُهُ المُنَى وَهِيَ المَقَامُ الهَائِلُ(٦)

---

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفة وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى بعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضا من بعض ولم نتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب ـ أى فتحتين ـ قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إنى رأيتُكَ فى نوْمِى تعانقُنِى ... كما تُعانِقُ لامُ الكاتِبِ الألِفَا

ومثله لأبى إسحق الفارسى :

ضَمَمْتُها ضمَّةً عُدنابها جَسداً ... فلو رأتْنا عُيونٌ ما خشِيناها

(٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقى لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : ما مصدريه زمانية ، والظرف المتأول منها سلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولذ مادام للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمنة ؛ والقبل : جمع قبلة . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيذة ولكنها وشيكة الانقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمح الفرس : غلب فارسه ، وجمح الرجل : ركب هواه فلا يمكن رده قال الشاعر :

خلعتُ عِـــذارى جامحاً لاَ يردُّنِى
عَن البيض أمْثالِ الدُّمَى زجْـرُ زاجر



مَمْطُورَةٌ طُرُقِى إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جودِهِ فِى كُلِّ فَجٍّ وَابِلُ(١)
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَثْنِي الْأَزِمَّةَ وَالْمَطِيُّ ذَوَامِلُ(٢)

وجمحت المرأة تجمح جماحا من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها ومثله طمحت طماحا ، قال :

إِذَا رَأَتْنِي ذَاتُ ضِغْنٍ حَنَّتِ وَجَمَحت مِن زوجها وأَنَّتِ

وجمح إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمحون » قال الزجاج : أى يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شىء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى: فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راكبه ، وهذا من الجماح الذى يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثانى أن يكون سريعاً نشيطاً مرحا ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و «ما» من قوله « مما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شىء . ويشوب : يخلط . وأبو الفضل : كنية الممدوح ؛ والمنى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهوب المخوف . يقول : جمح الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه المنية من شائب ينغصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — مخلص — ماروى أغرب منه

(١) ممطورة : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل ؛ المطر الغزير . يقول :إن طرقى إلى رؤية الممدوح ممطورة بآثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ، ودون الوصول إلى رؤيته ـ أى بينى وبينها ـ وابل من جوده قد ملأ كل فج ،فالضمير فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح.

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ماتقاد به الدابة وذوامل : مسرعات . يقول : إن رؤيته محجوبة بما يغشاها من المهابة التى ترد الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطيا أسرعت فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقا من الإقدام ؛ قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس أبدا ينحون نحوه . هذا : والسرادق ـ وجمعه سرادقات ـ هو كل ما أحاط بشىء ، نحو الشقة فى المضرب . أو الحائط المشتمل على شىء ، أو الخباء ؛ قال فى الصحاح:السرادق



لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحَا ... بِ وَلِلبِحَارِ وَلِلْأُسُودِ شَمَائِلُ[1]
وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا ... دِ وَمِلْحَيَاةِ وَمِلْمَمَاتِ مَنَاهِلُ[2]
لَوْ لَمْ يُهَبْ لَجَبُ الْوُفُودِ حَوَالَهُ ... لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلُ[3]

الذى يمد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف — أى قطن — فهو سرادق قال رؤبة :

يَا حَكَمُ بنَ الْمُنذرِ بنِ الجارودْ ... أنتَ الجوادُ بنُ الجوادِ المحمودْ
سُرَادِقُ المَجْدِ عليكَ مَمْدُودْ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ بيتاً سَمَاؤُه ... صدور الفيول بَعْدَ بيتٍ مُسَرْدَقِ

(١) الشمائل : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنفعتها وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح فى أحياء البلاد وسوق الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه فى المطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالغنة ؛ ومثله: ملحياة وملممات ؛ والعقيان: الذهب. والمناهل الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن الحياة : أى لأوليائه ؛ ومن الممات : أى لأعدائه ، وقد زاد على أبى تمام فى قوله :

ترمِي بأشباحِنَا إلى مَلِكٍ ... نأخذ مِنْ مَالِهِ ومن أدبِهْ

لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضجيج ؛ والوفود ؛ الذين يفدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛ كحوله وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على منهل الماء ؛ قال ابن جنى ؛ يعنى لولم يخف القطا أصوات الوفود ببابه لسرى إليه ليشرب منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعنى أن القطا يراه ماء معينا فيهم بوروده ويشفق من لجب وفوده على عادة الطير ؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم الطير بالورود عليه لتنقع غلتها . ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما ذكر الشيخان .

يَدْرِى بِمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ ... مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلُ(١)

وَتَرَاهُ مُعْتَرِضاً لَهَا وَمُوَلِّيَا ... أَحْدَاقُنَا وَتَحَارُ حِينَ يُقَابِلُ(٢)

كَلِمَاتُهُ قُضُبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ ... كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَهُنَّ مَفَاصِلُ(٣)

هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا ... حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلُ(٤)

وَقَتَلْنَ دَفْراً وَالدُّهَيْمَ فَمَا تُرَى ... أُمُّ الدُّهَيْمِ وَأُمُّ دَفْرٍ هَابِلُ(٥)

---

(١) أراد قبل « أن » فى الموضعين لحذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدرى . يقول : هو ــ لذكائه وحدة ذهنه ــ يدرى ما تطالب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعترضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهيبة ، وإنما تراه فى حال اعتراضه وتوليه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى المظمين . يقول : كلماته سيوف قواطع أينما أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر . وأم الدهيم ؛ والدفر ــ فى الأصل ــ النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ ــ فى الأصل ــ اسم ناقة كانت لعمرو بن الريان بن الذهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقيهم كثيف بن زهير فضرب أعناقهم ، ثم حمل رءوسهم فى جوالق وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم خلاها فى الإبل فراحت على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوالق : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوالق ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البز على القلوص . فذهبت مثلا . فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والهابل : الثاكل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكأن أمها صارت ثاكلا ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لان مكارمه

عَلاَّمَــةُ الْعُلَمَــاءِ وَاللُّجُّ الَّذِي لاَ يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لُجٍّ سَــاحِلُ[(١)]

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ[(٢)]

لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمُ اُنْثَى الْحَامِلُ[(٣)]

لِيَزِدْ بَنُو الْحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعاً هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلاَمِ مَشَاعِلُ[(٤)]

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح فى إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتدأ وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد فما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلوقَةٌ زُلُّ بِهَــا العَيْنَانِ تَنْهَلُّ[(١)]

فلم يقل تنهلان لاكتفائه بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه فى مسائلهم ، وهو فى جوده لج ليس له منتهى ، وكل لج له منتهى ينتهى اليه إلا هذا .

(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوابل: جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوابل فى تلك الحال.

(٣) الجنين : الولد فى بطن أمه ؛ وبيانه : مفعول مطلق : أى كبيانه ؛ وضمير « به » : للجنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنثى : أراد أذكر هو أم أنثى فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنثى » بعد نقل حركتها إلى الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم — أى كما بان كرمه حين كان جنيناً — لما التبس على الحامل الذكر بالأنثى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى .

(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به فى الأسفار وغيرها

---

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة — بالقاف — تروى زحلوفة — بالفاء — وهما لغتان ، وهى آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل .



سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ ... فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ[1]

جَفَخَتْ وَهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الأَغَرِّ دَلاَئِلُ[2]

مُتَشَابِهِي وَرَعِ النُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ ... وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الإِزَارِ حُلاَحِلُ[3]

يَا افْخَرْ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلاَثَةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ[4]

قال الواحدى : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل فى الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومتى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال التبريزى : كان لهذا الممدوح نسب فى ولد الحسن بن على عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا فى التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا ينكتم ، كما أن المشاعل لا تنكتم فى الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا ينكتم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : فخرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وبهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهى الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأغر السيد الكريم . يقول : إن لهم شيما كريمة تدل على مالهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لبعدهم عن الزهو والخيلاء .

(٣) متشابهى : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : متنزه عن الفحشاء ؛ والحلاحل : السيد العظيم . يقول : هم سواء فى التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .

(٤) يا افخر : يريد : يا هذا افخر ؛ فحذف المنادى : ويجوز أن تكون «يا» للتنبيه كقوله تعالى « ألا يا اسجدوا لله الذى يخرج الخبء » كأنه قال «ألا اسجدوا» وكقول ذى الرمة :

أَلا يا اسْلَمِى يا دارَمَىَّ عَلَى البِلَى ... ولا زالَ مُنْهَلاً بِجَرعائِكِ القَطْرُ

ويروى : فافخر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما رى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل يجهل قدرك .

وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَمَا ... عَرَفُوا : أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ (١)

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتَ لِي ... قَصَّرْتَ فَالْإِمْسَاكُ عَنِّيَ نَائِلُ (٢)

لاَ تَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ تُنْشِدُ هٰهُنَا ... بَيْتاً وَلٰكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ (٣)

مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ ... شِعْرِي وَلاَ سَمِعَتْ بِسِحْرِيَ بَابِلُ (٤)

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ (٥)

---

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكترث لذم الحاسد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحمد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ماعرفوا : أى بعد الذى عرفوه — فالضمير للناس ، والعائد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إنى قصرت فى الثناء عليك ، فكان حقك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عنى تكرماً وتفضلا فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزه لكفانى .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، لحذف « أن » فرفع الفعل ، والهزبر : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبتك وعلمك بالشعر وتمييزك جيده من رديئه لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى — لجودة شعرى واقتدارى — أجرؤ على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة فى هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيْلُمِّها عند السُّرَادق هَيبةً ... لو سابَقَتْ قضبَ العِظام فضائلى

نفضَتْ عَلَيَّ من القَبُولِ مَحَبَّةً ... قامَتْ بضَبْعِي فِي المقامِ الهائلِ

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها — كما جاء فى القرآن الكريم — . يقول . ما نال شعراء الجاهلية جميعاً شعرى ولا سمع أهل بابل بمثل سحرى فى الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمنى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لقدْ آسف الأعداء فضْلُ ابنِ يوسُفٍ

وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولَع



مَنْ لِي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي ... أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلُ[٣]
وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ ... لَلْحَقُّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ[١]
الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ[٢]

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حفصة :

ما ضرّني حسَدُ اللئامِ ولَمْ يزلْ ... ذو الفضْل يَحْسُده ذَوو التقصير

وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لقدْ زادَني حُبًّا لنفسيَ أنـني ... بغيض إلى كلِّ امرىء غيرِ طائل
وَأَنِّي شَـقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقيًّـا بهم إلا كريم الشمائل

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى: يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعى ، وفيه جرى المثل : أعيا من باقل . يقال إنه كان اشترى ظبياً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته؟ فعيي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما ـ فأفلت الظبي . يقول : من يكفل لى بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعنى أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لى باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جنى ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفحم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى ـ رداً عليه ـ : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو بنى من سبابته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي ، نصح قول أبي الطيب فى نسبته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : يروى بكسر السين ـ على أنه اسم فاعل ـ وبفتحها ـ على أنه مصدر ميمى بمعنى القسم .

(٣) تقدير البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ : وأنت : مبتدأ ثان : وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثانى ؛ وروى ابن جنى ، والماء أنت ـ بنصب الماء ـ قال : وتقديره وتغسل أنت الماء ، دل على هذا المضمر قوله الغاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ
قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ أَنَامِلُ[1]

* * *

وقال يهجو قوما توعدوه :

أَمَاتَكُمُ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الْجَهْلُ
وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّةٍ بِكُمُ النَّمْلُ[2]
وُلَيْدَ أُبَيِّ الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالَكُمْ
فَطِنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالَكُمُ عَقْلُ[3]

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء كما قال الآخر :

وإذا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حسنُ وَجْهِكِ زَيْنا
وتَزِيدِينَ أَطْيبَ الطيبِ طيبا أن تَمَسِّيه أينَ مِثْلُكِ أينا

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سوء — يقال فلان حسن النثا وقبيح النثا ، ومنه نثا الحديث والخبر نثواً حدث به وأظهره وأشاعه . ويروى ثناك يقول : مادار اللسان فى الحنك وما قلبت أنامل قلما بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أماتكم الجهل قبل أن تموتوا : أى أنتم موتى من جهلكم وإن كنتم أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولخفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم ، والسفيه الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف بثقل الوزن .

(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ، والدعوى : الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل الخسيس أنتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطنتم للانتساب إلى من لستم منه فى شيء ؟ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ
قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلاَ أَصْلُ[(١)]

وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ
لَمَّا كُنْتُمُ نَسْلَ الَّذِي مَا لَهُ نَسْلُ[(٢)]

***

---

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . قال صاحب اللسان : المنجنيق ـ بفتح الميم وكسرها ـ والمنجنوق : دخيل أعجمى معرب ، وأصلها بالفارسية : من جى نيك : أى ما أجودنى ، وهى مؤنثة ، قال زفر بن الحارث :

لقدْ تركتْنِي مَنْجنيقُ ابن بَحْدل أحيدُ عَنِ العُصفور حين يطيرُ

وتقديرها منفعيل ، لقولهم : كنا نجنق مرة ونرشق أخرى . قال الفراء : والجمع منجنيقات ، وقال سيبويه : هى فنعليل ، الميم من نفس الكلمة أصلية ، لقولهم فى الجمع مجانيق وفى التصغير مجينيق ، ولانها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان فى أول الاسم ، وهذا لا يكون فى الأسماء ولا الصفات التى ليست على الأفعال للزيدةولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا ، والزيادات لا تلحق ببنات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج ، ومنهم من قال : إن الميم والنون زائدتان ، لقولهم جنق يجنق: إذا رمى ، والمتنبي يريد بالمنجنيق هنا : هجاءه . ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس » . على حد قول الحماسى :

مَنْ صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قَيْسٍ لا براحُ[(١)]

يقول : لو ضربتكم بهجائى وأصلكم قوى لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف ؟

(٢) يقول : لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب : أى فقد ظهرت دعواكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون . يهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء .

---

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها فى الحماسة ، وقد تقدم شرحها وأولها :

يَا بُؤْسَ للحرب التى وَضَعَتْ أراهطَ فاستراحوا



وقال : وقد جعل أبو محمد بن طفج يضرب بكمه البخور ، ويقول سَوْقاً إلى أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ   وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ(١)

إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبَخُورِ سَوْقاً   فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ(٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كيغلغ يتهدده وهو ببلاد الروم ، وكان أبو الطيب بدمشق(*) :

أَتَانِي كَلَامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيَغْلَغٍ   يَجُوبُ حُزُوناً بَيْنَنَا وَسُهُولاً(٣)

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ   وَبَيْنِي سِوَى رُمْحِي لَكَانَ طَوِيلاً(٤)

---

(١) قال الليث : الفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن الأعرابي : الفعال فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال وفلان لئيم الفعال ، قال : والفعال — بكسر الفاء — إذا كان الفعل بين الاثنين .

(٢) البخور — بفتح الباء — قال البكري : والعامة تضمها ، وقلت — ههنا — بمعنى أشرت ، ويقال قال بكمه : أي أشار ، وقال برأسه نعم : أي أشار ، والنوال : العطاء . يقول : إن أشرت في هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء .

*كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به وهو في طرابلس — وكان محافظاً على الطريق — فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاه بالقصيدة التي مطلعها :

لِهَوَى النفوس سريرة لا تُعْلَمُ   عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

وستمر بك في قافية الميم ، وهي من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أتاني وعيده من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بنسبة الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بأنَّ بَني أُستها نذروا دمي *



وَإِسْحقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ   وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلاً(١)
وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ   وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلاً(٢)
وَيَكْذِبُ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ   لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلاً(٣)

* * *

وقال يمدح أبا العشائر :

لاَ تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلاَ طَلَلَهْ   أَوَّلَ حَىٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ(٤)

يقول : إنه على البعد يوعدنى ، ولو لم يحل بينى وبينه إلا رمحى لكان مابينى وبينه طويلا بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجبنه .

(١) يقول : إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكترث له ، وقصاراه إذامسه الهوان أن يبكى ، ولا يلجأ فى الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة .

(٢) يقول : إن عرضه ليس جميلا حتى يستحق أن يصان ، لأنه إنما يصان الجميل، وعرضه لا يجمل أن يجمل .

(٣) يقول . هو كاذب فى دعواه أنى أذللته بهجائى ، فهو ذليل حقيرمن قبل هجائى إياه ، فقوله ما أذللته بهجائه : كلام مستأنف ، و«ما» : نافية .

(٤) الربع : المنزل ؛ والطلل : ما شخص من آثار الديار . جعل كون الأحبة فى الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلا ، لأن الأمكنة إنما تحيا بالعمارة والسكان ، فإذا خلت من العمار فهى ميتة ، وفى الحديث « من أحيا مواتا فهو أحق به » الموات : الأرض التى لم تزرع ولم تعمر ، ولا جرى عليها ملك أحد ، وإحياؤها : مباشرة عمارتها. يقول رحلتم : فخرب ربعكم وعفا طللكم ، ولكنهما ليسا أول حى قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلى . هذا : وحسب الشىء يحسب : أى ظنه ، بفتح السين وكسرها ، فى المضارع ، قال فى التهذيب : والكسر أجود اللغتين . وقال الجوهرى : ويقال أحسبه — بالكسر — وهو شاذ ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتى مفتوح العين ، — نحو علم يعلم — إلا أربعة أحرف جاءت نوادر : حسب يحسب . ويبس ييبس ويئس ييئس ، ونعم ينعم ، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالكسر : ومق يمق ، ووفق يفق ، ووثق يثق ، وورع يرع ، وورم يرم ، وورث يرث ، وورى الزند يرى ، وولى يلى .

قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَه(١)

خَلاً وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبِلَه(٢)

لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ مَا رَضِيَ الشَّمْسَ بُرْجُهُ بَدَلَه(٣)

أُحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَدْوُرَهُ وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَه(٤)

يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَهْيَ ظَامِئَةٌ إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطِلَه(٥)

---

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسببكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون — اللائمون — عذلهم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والمروح : الذي يروح إبله من المرعى . يقول : إن الربع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لارتحال أحبابنا عنه : يعني أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد في حق كالخالي الموحش لي ، فكأنه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير في « برجه » : للحبيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عداه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذي كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تغني غناءه ، إذ لا تعادله في المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » عطفاً على الضمير المنصوب في قوله «أحبه» فيكون من قبيل قوله :

وإني لأعشقُ من عِشقِكم نُحولي وكلَّ فتىً ناحِلِ

ولك أن تجعله قسما ، كقول البحتري :

* أما وهواكِ حِلفةَ ذي اجتهادِ *

والأدوُر : جمع دار ؛ والصبابة : رقة الشوق ؛ والوله : ذهاب العقل : أي أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صبابة تملك قلب العاشق ووله : أي فهو يجمل كل شيء للحبيب .

(٥) ينصرها : أي الأدور ؛ والهطلة : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذي سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها ؛ قال الشاعر :



وَاحَرَبَا مِنْكِ يَا جِـدَايَتِهَا مُقِيمَةً فَاعْلَمِي وَمُرْتَحِلَهْ[١]
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتِ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَفِلَهْ[٢]
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ[٣]
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ[٤]

من كان أخطأهُ الربيعُ فإنما نُصر الحجازُ بغيثِ عبد الواحد

ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهى منصورة : أى ممطورة ؛ ونصر القوم : إذا غيثوا .

(١) الحرب ـ بالتحريك ـ فى الأصل نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له، والمراد هنا : الهلاك . يقول الواقع فى الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبى . ومقيمة : حال من الضمير فى « منك » . وفاعلمى : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار أقمت أو رحلت : لأنك إن أقمت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى ـ البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان فى هلاكى

(٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير فى « بها » للأدؤر . والتفلة : المنتنة الريح . يقول : إنما كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطب لى رياها وكانت عندى تفلة ، ولو خلطوا ترابها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذى بالأصائل والضُّحى إذا لم يعد ذاكَ النسيمُ الذى هبَّا

(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذى بعضه ـ أى ولده ـ يفوق أبا الباحث عن نسبي ، أي أنا فوق أب الذى يبحث عن نسبي ، وقوله والنجل الخ: أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أى فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق فيقولان له : أى نفرينا أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالمغلوب منفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذى فيـه تماريتما واعترف المنفورُ للنـافر[١]

---

(١) يروى : قد قلت شعرى فمضى فيكما واعترف ... الخ

وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثه وكانا قد تنافرا إلى هرم بن سنان المرى ؛ والمنفور ؛ المغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .



فَخْراً لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ وَسَمْهَرِىٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ(١)

وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِياً خَيْرَهُ وَمُنْتَعِلَهْ(٢)

أَنَا الَّذِي بَيَّنَ الْإِلٰهُ بِهِ الْأَقْدَارَ وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ(٣)

جَوْهَرَةٌ يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةٌ لَا تُسِيغُهَا السَّفِلَهْ(٤)

وأنفدوا : أفرغوا وأفنوا . يقول : إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يجد حيلة فافتخر بالآباء ؛ يعنى إنما يحتاج إلى الفخر بجدوده من لا فضيلة له فى نفسه .

(١) العضب : السيف القاطع ؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا ؛ مفعول مطلق نائب عن فاعله . أى ليفخر فخرا ؛ ومشتمله ؛ أراد مشتملا به . والاشتمال أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذى يشتمل به . والسمهرى ؛ الرمح واعتقل الرمح ؛ جعله بين ساقه وركابه . يقول . إن سيفى ورمحى يفتخران بى ، لا أنا بهما .

(٢) خيره ؛ أى أفضله ، يروى « حبره » أى زينته وجماله . يقول . لبست الفخر فصار رداء على منكبى ، ونعلا تحت قدمى ، فجدير به إذن أن يفخر بى .

(٣) يقول : بى بين الله أقدار الناس فى الفضل ، لأنى أصف كل أحد بما فيه ؛ أو لأن من أكرمنى وأحسن إلى : دل ذلك على مروءته ، وميله إلى ذوى الفضل ، ومن استخف بى ، ولم يكترث لى ؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نحيزته كما قال البحترى :

وإن مُقامى حيثُ خَيَّمْتُ مِحْنَةٌ تدلُّ على فهم الكرام الأجاوِدِ

وقوله والمرء حيثما جعله : أى حيثما جعل نفسه ؛ فمن صان نفسه ، ورفع قدرها ؛ رفع الناس كذلك قدره ، ومن تعرض للهوان أهين ، كما قال :

إذا ما أهان امرُؤٌ نفســـــه فلا أكرم الله من أكرمه

وقدما قيل :

وأكرِمُ نفسى إننى إن اهنتُها وَحقِّكَ لم تكرُمْ على أحدٍ بعدِى

ويجوز أن يكون المعنى ، والمرء حيثما جعله الله : أى لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته التى وضعه الله بها .

(٤) جوهرة ؛ أى أنا جوهرة ؛ والغصة : ما يغص به الإنسان فلا يسيغه والسفلة ـ بكسر الفاء ـ كنبقة ـ بسكونها وكسر السين ـ أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم



إنَّ الكَذَّابَ الَّذِى أُكَادُ بِهِ ... أَهْوَنُ عِنْدِى مِنَ الَّذِى نَقَلَهْ[1]
فَلاَ مُبَالٍ وَلاَ مُدَاجٍ وَلاَ ... وَانٍ وَلاَ عَاجِزٌ وَلاَ تُكَلَهْ[2]
وَدَارِعٍ سِفْتُهُ فَخَرَّ لَقًى ... فِى الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَهْ[3]

يقول : أنا زينة الناس إذ أنوه بمناقبهم ، وأشيد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى فى حلوق اللئام لا يقدرون على إساغتى ، لأنى أقول فيهم ما أدلهم به وأكشف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : الكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذابا وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذوب ، وكذوبة ، وكذبة — مثال همزة — وكذبان ، وكيذبان ، وكيذبان ، ومكذبان ؛ ومكذبانة وكذبذبان ، وكذبذب وكذبذب قال جرية بن الأشيم :

فإذا سمعت بأننى قد بعتكم ... بوصال غانية فقل كُذّبْذُبُ

والكذب : جمع كاذب ، مثل راكع وركع ، قال أبو دواد الرؤاسى :

متى يقل تنفع الأقوامَ قولتُه ... إذا اضمحلّ حديث الكُذّبِ الولعه[1]
أليس أقربهُمْ خيراً وأبعدهُمْ ... شرًّا وأسمحهُمْ كفا لمَنْ منعه
لا يحسُدُ الناسَ فضلَ الله عندهُمُ ... إذا تَشوه نفوس الحُسَّد الجشِعهْ

والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعتا للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيد بى . يعرض بقوم وشوابه إلى أبى العشائر . يقول : ذلك الكذب أهون عندى من راويه وناقله : أى لا أكترث له ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداجى : الذى يساتر العداوة ؛ والوانى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفى عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداج لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسىء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقى : الشىء المطروح ؛

(١) الولعة : جمع والع ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .



وَسَامِعٍ رُعْتُــــهُ بِقَافِيَةٍ يَحَارُ فِيهَا الْمُنَقِّحُ الْقُوَلَهْ(١)

وَرُبَّمَـــا أُشْهِدُ الطَّعَـــامَ مَعِي مَنْ لاَ يُسَاوِى الْخُبْزَ الَّذِى أَكَلَهْ(٢)

والعجاج : الغبار : والعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذى يكون من الضارب والطاعن فى الضرب والطعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الثكل — من قولهم ناقة عجول: إذا فقدت ولدها — قال علماء اللغة : والعجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا ، قالت الخنساء .

فما عجولٌ على بوٍّ تُطيفُ بِهِ لها حنينانِ إعلانٌ وإسرارُ(١)

ويجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل فى قوله تعالى «خلق الإنسان من عجل» أى من طين ؛ وقال الشاعر :

والنَّبعُ فِى الصخرةِ الصماء منبتُهُ والنَّخلُ ينبتُ بين الماء والعجلِ

يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشىء الملقى وقت التقائنا .

(١) رعته : أعجبته أو أرهبته ، والقافية هنا : القصيدة ؛ والمنقح : الذى يهذب القول ويختاره ، والقولة الجيد القول . يقول : إنه يبده السامع بالقافية الجيدة يرتاع لها ويتحير فى حسنها الشاعر الجيد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهديروى يشهد : ويروى أشهد — مضارع شهد ، فتكون « معى » بحذف واو الحال أى ومعى : وقد تحذف : كما تقول مررت بزيده على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذى وشى به ، وكان يقال له المسعودى ، كان المتنبى قد وصله بأبى العشائر فصار نديما له ، ثم تناوله عند أبى العشائر :

---

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هى إقبـــال وإدبارُ

يوماً بأوجـــد منى يوم فارقنى صخرٌ وللعيشِ إحلاءٌ وإمرارُ

وترتع مارتعت : يروى ترتع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهى لا تراه ، ويدنى منها فتشمه وترأمه فتدر فتدر عليه اللبن .



وَيُظهرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفهُ ... وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهُ [(١)]

مُسْتَحْيِيًا مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ ... أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَلَهُ [(٢)]

أَسْحَبُهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ ... ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَهُ [(٣)]

وَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ ... أَوَّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الْحَمَلَهُ [(٤)]

مَالِيَ لا أَمْدَحُ الْحُسَيْنَ وَلا ... أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَذَلَهُ [(٥)]

أَأَخْفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ خَبَرًا ... أَمْ بَلَغَ الْكَيْذُبَانُ مَا أَمَلَهُ [(٦)]

---

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأونى طالعاً من ثنيّةٍ ... يقولون من هذا وقد عرفونى

(٢) الحلل : الثياب : ومستحييا : أى إنما أفعل ماذكرت مستحييا : فهو حال ، العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقمت مع الأعداء فى بلد لأنى أستحي من أبى العشائر أن ألبس خلعه فى غير بلده .

(٣) وجلة : خائفة . يقول : إن ثيابه لا تحب أن تفارقه لتشرفها به فهى تخاف أن يخلعها على جليسه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلمانه البيض كعطائه فى أنه يهبهم ــ أى غلمانهم ــ أى أنه يهب غلمانه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يحمله إليك من العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء ــ وهم الغلمان ــ

(٥) ويروى : أبذل ماود مثل ما بذله : أى من الود ، فحذف النون . وهذا كالمعاتبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيذبان : الكذاب ــ وقد وفينا القول على هذه المادة قريبا ــ يقول : أكذبتنى عينى فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فغير ما بيننا ؟ ويجوز أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنث : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده خبراً من أخبارى فى حبى إياه وميلى إليه ؟ وقال بعض الشراح : يقول . هل أخفت عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فجحدها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عندهما يأمله من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر فى حقه ولا آلو جهدا فى مدحيه . هذا : ويقال أمل خيره يأمله أملا ، وكذا أمله تأميلا أى رجاه .

أَمْ لَيْسَ ضَرَّابَ كُلِّ جُمْجُمَةٍ مَنْخُوَّةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعِلَهْ(١)
وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَهْ(٢)
وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لا يُفَتِّرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزِمٌ هَزَلَهْ(٣)
وَفَارِسَ الأَحْمَرِ الْمُكَلَّلَ فى طَيِّءٍ الْمُشْرَعَ الْقَنَا قِبَلَهْ(٤)

---

(١) منخوة : أى ذات نخوة — أى عظمة وكبر — والرأس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعلة : النشيط ، والزعلة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس الممدوح ضراب كل رأس متكبر بطر يوم الوغى والقتال ؟ .

(٢) عذله : أى لامه على إسرافه وكثرة عطاياه .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه . والمحزم : مايقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوبا أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المحزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .

(٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقعته بأنطاكية ؛ والمكلل الحاد الماضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدما . ولم يخم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقَ الداء عنه فقضبْ تكليلةَ الليثِ إذا الليث وثب

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فما كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

ولا أُكلِّل عن حرب مُجلِّحةٍ ولا أُخدِّر لِلْمُلْقِينَ بالسلم

ويقال إن الأسد يهلل ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلل ، والمكلل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلل ؛ يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع .ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأعشى :

ويَنكلُّ عن غُرٍّ عِذاب كأنها جنى أقحوان نبته متناعِم

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وتنكلُّ عن عذب شتيت نباته له أُشُرٌ كالأقحُوان المنوِّرِ

ومن روى « المكلل » — فى البيت — بفتح اللام : أراد المتوج. ويجوز فى « المشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خُيُولُهُمُ أَقْسَمَ بِاللهِ لا رَأَتْ كَفَلَهْ(١)

فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِى فَعَلَهْ(٢)

الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا

بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ(٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والخفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفرس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول . لما رأت خيولهم وجه فرسه فى حومة الوغى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفله حتى يأتى عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر .

حتى يظنوه إنسانا بغير قفا وأنه راكب طرفا بلا كفل

(٢) يقال أكبرت الشىء إذا استكبرته ، وأصغره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام ههنا ثم استأنف فقال . أكبر من فعله الذى فعله . أى هو أكبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لايكون مدحا ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أكبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيرا من الخير فاعله ، وإن شرا من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطانى فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى « ما » فذهب إلى « من » ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أكبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أكبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصغره بضم الراء — على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده : أى وأصغر فعله أكبر مما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقاتل . والكميل : بمعنى الكامل ؛ أنشد سيبويه :

على أننى بعد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولا كميلا



فَوَاهِبٌ وَالرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِنٌ وَالهِبَاتُ مُتَّصِلَه(١)

وَكُلَّمَا آمَنَ البِلَادَ سَرَى وَكُلَّمَا خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَه(٢)

يذَكِّرنيكِ حنين العجولِ ونوحُ الحمامة تدعو هديلا(١)

وكمل – بفتح العين وضمها – يكمل – بالضم – فى مضارعهما : وكمل – بكسر العين – يكمل – بالفتح – لا غير . قال الجوهرى : والكسر أردؤها . يقول : يقطع ويصل كما يشاء ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلى .

(١) تشجره : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسى :

يذكرنى حاميمَ والرُّمحُ شاجرٌ فهلا تلا حاميمَ قبل التقدُّم(٢)

يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطعان .

(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى فى طلب الغزو والفتح ، وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

---

(١) يقول : لم أنس عهدك على بعده ، فكلما حنت عجول – وهى الفاقدة ولدها من الإبل وغيرها – أو ناحت حمامة ، رقت نفسى فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة ونصبه على المصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل الفرخ الذى يزعم الاعراب أن جارحا صاده فى سفينة نوح فالحمام يبكى عليه ، كما قال طرفة :

* كداعى هديل لا يُجابُ ولا يُمل *

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعوه نائحة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه .

(٢) قبله :

وأشعثَ قوّامٍ بآيات ربِّه قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ

شككت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعاً لليدين وللفم

على غير شىء غير أن ليس تابعاً عليًّا ومن لا يتبع الحق يظلمِ

يذَكِّرنى حاميم ... ... [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال وكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحاميم – لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » حتى حمل

وَكُلَّمَا جَاهَرَ العَـدُوَّ ضُحًى أمْكَنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَتَلَه[١]

يَحْتَقِرُ البِيضَ وَاللِّـدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيْهِ الدِّلَاصَ أوْ نَثَلَه[٢]

قَدْ هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الفَقَاهَةُ لِي وَهَذَّبَتْ شِعْرِيَ الفَصَاحَةُ لَه[٣]

---

(١) الختل : الأخذ خدعة ؛ أى على بغتة . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأتاهم بغتة ؛ وضمير « أمكن » للعدو : أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض — بكسر الباء — السيوف ، وتروى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تجعل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة الملساء . ونثل الدرع : ألقاها عنه : قال ابن جنى : وذكر الدرع بقوله نثله ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه يحتقر السيوف والرماح — دارعا كان أو حاسراً — وسن بالسين المهملة — يروى بالشين المعجمة ، وكلتاهما بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صبه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبها عليه ، قال الجوهرى : سننت الماء على وجهى : أى أرسلته إرسالا من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الغارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهة : الفهم والفطنة والعلم : فقه الرجل يفقه فقاهة . يقول : إن فقاهة الممدوح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعرى ويعرف جيده ، وفصاحتى هذبت شعرى له ، فانا آتيه به فصيحاً لا عاب فيه .

عليه العبسى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام فى الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط فى العين فيمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فيما ترى العين : أى فى رأى العين ، شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق قميصه كناية عن طعنه به فى صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحا على على يديه ووجهه وعبر بالفم مبالغة فى التنكيل ، ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه ، وذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لعلى بن أبى طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرنى حاميم . والحال أن رمحى قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّـيْفِ حَامِداً يَدَهُ   لاَيَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهْ[١]

* * *

واستأذن كافوراً فى المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور فى مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث فى خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْلِفُ لا تُـكَلِّفُنِى مَسِـيراً   إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيـهِ مَالاَ

وَأَنْتَ مُكَلِّفِى أَنْبَى مَكَاناً ،   وَأَبْعَدَ شُـقَّةً وَأَشَدَّ حَالاَ[٢]

إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْـطَاطِ يَوْماً   فَلَقِّـنِىَ الْفَوَارِسَ وَالرِّجَالاَ[٣]

---

(١) يقول : أنا أحمده حمد السيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفى : حال : وأنبى : تفضيل — من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافقه ، ونبا السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : المسافة . يقول : تمنعنى من المسير خوفا على أن ينبو بى المكان الذى أنا قاصده وتتعبنى مشقة السفر وأنت تكلفنى من الإقامة عندك بما هو أنبى بى وأطول تعبا وأشد حالا من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديما . وأراد بلقنى اجعلهم يلقوننى : أى ابعثهم خلفى ليردونى إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردى إليك . هذا : والرجال الرجالة قال تعالى « فرجالا أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلا فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر فى سفر يركبه وشاهد رجلان :

علىَّ إذا لاقيتُ ليلى بخـلوة   أن ازدارَ بيت الله رَجْلان حافيا

والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالى ورجالى ورجلان ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأراجل وأراجيل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمَّ بنيه صيفهُم وشـتاؤهم   وقالوا تَعَدَّ واغزُ وسْط الأراجل[١]

قال ابن برى : الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل — مثل صاحب

---

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تعد أى انصرف عنا وحارب وسط الرجالة . وقال الجوهرى : أراجل هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .



لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّى وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِى مُحَالَا[1]

وقال يمدح أباشجاع فاتكا(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصاحيب ـ إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو المثلم الهذلى :

يا صخرُ واردَ ماء قد تتـــابعَه سَومُ الأراجيل حتى ماؤه طَحِل[1]

والرجلان بمعنى الراجل ، جمعه رجلي ورجال ـ مثل عجلان وعجلى وعجال ـ ويقال رجل ورجالى : مثل عجل وعجالى ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال مثل عجال ، ورجالى مثل عجالى . أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات . جمع الجمع . قال الجوهرى فى جمع الرجل : أراجل ، واستشهد ببيت أبى ذؤيب المتقدم ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جار ظـــل مغتبطاً غير جيران بنى جَبَـله

خــرَقوا جَيبَ فتاتهم لم يبالوا حرمة الرجـــله[2]

(١) منى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم ـ الظلم ـ وإن فوارسه ورجالاته لا يقدرون على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالمجنون ، كان روميا أخذ صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذى الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيد من سيده بالرملة كرها بلا ثمن وأعتقه ، فكان حراً عنده فى عدة المماليك ، وكان كريم النفس ، بعيد الهمة ، شجاعا كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « المجنون » ، وكان رفيق الأستاذ كافور فى خدمة الأخشيد ، فلما مات مخدومهما وتقرر كافور فى خدمة ابن الأخشيد أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج أن يركب فى خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعا له فانتقل إليها ـ وهى بلاد وبيئة كثيرة الوخم ـ فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبها المتنبى ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

---

(١) سوم الأراجيل : أى حر الرجالة ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بجيب فتاتهم : هنها .



لا خَيْـلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ[1]

خدمته خوفا من كافور ، و « فاتك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا فى الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فاتك » إلى داره حمل إلى أبى الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « المتنبى » الأستاذ كافور فى مدحه فأذن له ، فمدحه فى التاسع من جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل فى هذه القصة ما يفسر به قول المتنبى :

فأمسك لا يطال له فيرعى ... [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإعانة : يقول ـ مخاطباً نفسه ـ : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى الممدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق : أى فامدحه ، وجازه بالثناء عليه إن لم تعنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول يزيد المهلبى :

إن يُعجزِ الدهرُ كفِّى عن جزائكم ... فإننى بالهوَى والشكر مجتهـدُ

قال العكبرى : «وهذا من الابتداء الذى يكرهه السامع بأن يقول للممدوح : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال فى إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيبويه والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد العجاج :

تالله لولا أن تحُشَّ الطُّبَّـخُ ... بِىَ الجحيمَ حين لا مُسْتصرَخ[1]

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفى قراءة من قرأ : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر فى « الحج » وقرأ بعضهم برفع « الرفث . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبى الصلت .

فلا لغو ولا تأثيمَ فيهـا ... وما فاهُوا به لهُمُ مقيمُ[2]

(١) يريد بالطبخ : الملائكة الموكلين بالعذاب ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشا : إذا أسعرها وهيجها تشبيها بإسعار النار .

(٢) قالوا فى قوله تعالى « لا لغو فيها ولا تأثيم » أن تأثيم يجوز أن يكون مصدراً



وَاْجزِ الأمِـــــيرَ الّذِى نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّـــاسِ أقْوَالُ[1]

يقرأ آخرون بنصب الأولين ورفع الثالث وهو كبيت أبى الطيب ومثله :

هـــذا لعَمْرُكُمُ الصغار بعينِهِ   لا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أب[1]

وهذا محمول على الوضع ، لأن موضع الأول رفع بالابتداء ،ويكون «لا» بمعنى «ما» فكأنك قلت : ما رجل ولا غلام فى الدار .

(١) يقول : واجزه بالمدح والثناء عليه والشكر له فإن إنعامه يأتى فجأة من غير تقدم سؤال وانتظار ، وغيره من الناس اقتصر على القول دون الفعل ، قال المهلبى :

وكم لك نائلا لم أحتسبه   كما يُلقى مفاجأةً حبيبُ

والنعمى والنعماء والنعمة : المال واليد والصنيعة ، وما أنعم الله به عليك والخفض والدعة : ضد البأساء والبؤس ، والنعمى إذا كانت على فعلى : قصرت وإذا كانت على فعلاء : مدت .

قال ابن سيدة : ولم أسمع به ، قال : ويجوز أن يكون اسما كما ذهب سيبويه فى التثبيت والتمتين .

(١) هو لرجل من مذحج يقال له هنى بن أحمد الكنانى ، وكان هنى هذا ممن يبر أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له عليه يقال له جندب فقال :

هل فى القضية أن إذا استغنيتم   وأمنتم فأنا البعيـــــد الأجنب
وإذا الكتائب بالشدائد مرة   حَجَرَتكم فأنا الحبيب الأقربُ
ولجُندَبٍ سهلُ البلاد وعذبُها   ولىَ المِلاحُ وحَزْنهن المُجْدِب
وإذا تكونُ كريهة أُدعَى لها   وإذا يحاسُ الحيس يُدْعى جُندبُ
عجباً لتلك قضــــيةً وإقامتى   فيكم على تلك القضـــيّةِ أعجبُ
هذا لعمركم الصغار ... ... [البيت]

الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، و«عجبا» يروى عجب .

فَرُبَّمَا جَـــزَى الإِحْسَانَ مُولِيَهُ   خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ(١)

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِى   ظُهورَ جَرْىٍ فَلِى فِيهِنَّ تَصْهَـــالُ(٢)

---

(١) الخريدة الجارية الحيية . والمكسال ، من النساء : الفاترة القليلة التصرف ؛ وخريدة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثان مقدم ؛ ومُوليه ـ أى معطيه ـ مفعول أول . يقول : ربما جازت بالإحسان من يولى ـ يعطى ـ الإحسان امرأة عاجزة عن كل شىء ؛ يعنى إن لم تمكن المكافأة فعلا فهى ممكنة قولا كالمكافأة من هذه المكسال ، يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلا فيما يلى . هذا : والجزاء المكافأة على الشىء جزاه به ، وعليه جزاء ، وجازاه مجازاة ـ قال الجوهرى جزيته بما صنع جزاء وجازيته : بمعنى ، ويقال جازيته فجزيته : أى غلبته وقوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً . يقال جزيت فلانا حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى بردة بن نيار حين ضحى بالجذعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك » أى تقضى قال الأصمعى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه لا تقضى عن أحد بعدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضت ، وبنو تميم يقولون أجزأت عنك شاة ـ بالهمز ـ أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس شيئا » : لا تغنى .

(٢) الشكل ـ بالضم ـ جمع شكال ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح : مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتصهال بمعنى الصهيل أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه المثل فى عجزه عن المكافأة بالفعل والاجتزاء عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاله فعجز عن الجرى لكنه يصهل . يقول : إن لم يكن عندى الفعل فعندى مكافأة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقا إليها ، وقال المعرى : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولا وجعل التصهال مثلا لثنائه على الممدوح : وكان « فاتك » هذا يسر خلافا للأسود ـ كافور ـ وينطوى على بغضه ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه . ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفا من كافور



وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ المَالَ فَرَّحَنِي ... سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ[1]

لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا، ... وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ الحَقِّ بُخَّالُ[2]

فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ الحَزْنِ بَاكَرَهُ ... غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ الأَرْضِ هَطَّالُ[3]

غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ ... أَنَّ الغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ[4]

لَا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ[5]

لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ ... وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ[6]

---

(١) سيان : مثنى « سى » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول ليس شكريك عن فرح بما أهديته إلى ، لأن الغنى والفقر عندى سواء لقلة مبالاتى بالدنيا قال ابن جنى : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لفاتك . وكان يقول حمل إلى ماقيمته ألف دينار فى وقت واحد .

(٢) بخال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من القبيح أن يجاد لى بالبر والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأننا » يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباخ : جمع سبخة ، وهى الأرض لا تنبت لأنها ذات نز وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، نضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف منى سبخة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والنز والعمق والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول إن موقع إحسانه منى يبين للناظرين أن غيره من المحسنين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لايقلدونه من يستأهله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى الغيوث على معناها الحقيق : يعنى أن الممدوح أحكم من الغيوث لأنه يضع إحسانه فى موضعه أما هى فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بفعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسئال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سئال ، يقول : لايدرك المجد إلا سيد لم يرث أباه مالا ـ والممدوح لم يرث أباه لأنه كان جوادا فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ ... إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَذَّالُ (١)
تَدْرِي الْقَنَاةُ إِذَا اهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ (٢)
كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ ... كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ (٣)

يخاف مالا — ويمينه تجهل ما وهب لكثرته ، وليس هو كسوبا ولا سئالا بغير السيف أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(١) الضمير فى « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له — بلسان حاله — إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله فى سبيل المجد . وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعذال : مبالغة ، من العذل وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخيل يفوت على نفسه كسب المحمدة والذكر باستبقاء ماليس بباق . وقال ابن جنى : أكرم الناس من تعب فى جمع الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزى : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكأنه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٢) القناة : الرمح والبيت فى صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح فى يده أنه سيشقى به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فاتك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فاتك » والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التى ذكرت ، ثم استدرك فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره فى الظاهر ، لأنه يوهم أن له شبيها ، وإنما هو كالشمس إذا شبهت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هى التى يقال لها كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف ما لا يقبل الحركة كالألف . وقال ابن جنى : إذا قيل كفاتك ودخول الكاف منقصة جعل له شبيه ، فانتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس — وإن كانت لاشبيه لها والكاف زائدة — كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقْ (١) *

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقْ *

راجعها فى أراجيز العرب للبكرى ، وفى خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق الأقراب ؛ خماص البطون قد لحقت بطونها بظهورها ، والمقق : الطول .



أَلقَائِدِ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ ... بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ (١)

أَلقَاتِلِ السَّيْفَ فِي جِسْمِ القَتِيلِ بِهِ ... وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ (٢)

تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الغَارَاتِ هَيْبَتُهُ ... وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الأَرْضِ أَهْمَالُ (٣)

أى فيها مقق ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقال : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف فى كفاتك ، فقال الكاف ههنا زائدة ، وإنما معناه وتقديره : فاتك أى هذا الممدوح فاتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكاف ، فكيف يقال إنها زائدة ؟ وعبارة الإمام التبريزى: لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبهه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله: ودخول الكاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فاتك » : أى أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره ، لأنه يوهم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشىء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجالا هم أسود تغذوهم براثنه — يعنى سيوفه وسلاحه فهن له كالبراثن . — برجال مثلهم من الأعداء أى أنه يغنمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغذيتهم ، قال الشراح : يشير إلى غلمانه الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا .

(٢) به صلة القتيل ؛ وللسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : للسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره فى جسمه . فجعل ذلك قتلا للسيف ، ثم قال : وإن للسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهرى الهمل — بالتحريك — الإبل بلا راع : مثل النفش ؛ إلا أن الهمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفش لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركتها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالهمل . والمرعى : الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الغارة وماله مهمل لا راعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هيبة له ، فكأن هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال: وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وجملة المعنى أنه — لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه فى النفوس — تنهيبه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لهُ مِنَ الوَحْشِ ما اخْتارَتْ أسِـــنّتهُ
عَــيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْســاءُ وَذَيّالُ (١)

تُمْسِي الضُّيُوف مُشَهّاةً بِعَقْوَتِهِ ... كأنّ أوْقاتَهــا فى الطِّيب آصالُ (٢)

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قارِيها لَبادَرَها ... خَرادِلٌ مِنْهُ فى الشِّيزَى وأوْصالُ (٣)

---

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من «ما» ؛ والهيق : الظليم ـ ذكر النعام ـ والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها ـ والخنس قريب : من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذيال : الثور الوحشى لأنه يجر ذنبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره ،وجعل الاختيار للأسنة مجازا ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هى التى تختار . وعبارة العكبرى : يعنى أنه كان ملازم الحروب فى الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفا بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته .

(٢) مشهاة : أى تعطى ما تشتهيه ، وإنما يقال فى هذا المعنى أشهاه ـ بالألف ـ تقول تشهت المرأة على زوجها فأشهاها : أى أنالها شهواتها ، ولكن المتنبى استعمل « فعل » فى موضع « أفعل » والعقوة : الساحة . والآصال : جمع أصل : جمع أصيل، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم. يقول : إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

أيامُنا مَصقولة أطرافُها ... بكَ والليالى كلها أسْحار

(٣) القارى : المضيف ، وقاريها : يعنى الممدوح ، والخرادل القطع ـ كأنها مقصورة من قولهم : لحم خراديل : أى مقطع ـ وهو من الجموع التى لا واحد لها والدال فيه لغة . وقال كعب بن زهير :

يَغْدُو فَيَلحَمُ ضِرْغامَينِ عيشُهما ... لَحْمٌ من القَوْمِ مَعفورٌ خَراديلُ (١)

---

(١) من قصيدة «بانت سعاد» التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا . يقول : يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحمها. والعيش هنا : القوت ؛ ولحم معفور : أى ملقى فى العفر ـ بفتحتين ـ وهو التراب ؛ وخراديل : مقطع .



لاَ يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلاَ وَلَدٍ   إلاَّ إذَا حَفَزَ الأضيافَ تَرْحَالُ(١)

يُرْوِي صَدَى الأرْضِ مِنْ فَضْلاَتِ مَا شَرِبُوا   مَحْضُ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ(٢)

تَقْرِي صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ   كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ(٣)

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان ـ القصاع ـ يقول : لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتاهم وشيكا ، قطع من لحمه حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يجسر فيه بما لا يكون إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفزه واحتفزه : دفعه من خلفه يحفزه حفزاً ، قال الراجز :

تُرِيحُ بَعْدَ النفَسِ المَحْفوزِ   إرَاحَةَ الجِدَايَةِ النَّفوزِ(١)

يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يناله من ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات ـ بفتح الضاد ـ ولكنه سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللقاح : جمع لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد بصافى اللون : الخمر والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والخمر فيفضل عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلقى كل وارد بقرى جديد من اللبن والخمر . وعبارة ابن الأفليلى : يروى عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من اللبن والخمر وما يتابع لهم من الألطاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ، وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والعبط والعبيط : الطرى من الدم ، والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف ـ منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

---

(١) يريد بالنفس المحفوز : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية : الظبية ؛ ونفز الظبى : جمع قوائمه ثم وثب .



تَجْرِى النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً ... مِنْهَا عُـداةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ(١)

لاَ يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ ... وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأُطَيْفَالُ(٢)

أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِى أَقْرَانِهِ ظُبَةً ... وَالْبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلَّالُ(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يجدد فيها ذبحا ، كأن الساعات نزال ينزلون عليه ؛ وقفال : رجعوا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم الغب ، بل يجدد لهم الذبح والنحر كل ساعة فيجرى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يريق دما طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى الدم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموءل بن عادياء .

تَسِيلُ على حَـدِّ الظبَاتِ نفُوسُنا ... وليْسَتْ على غيْرِ الظبات تسِيل(١)

وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دماء الأعداء بدماء الذبائح للأضياف ، كما قال البحترى :

ما انفَكَّ مُنتَضِياً سَيْفَىْ وغىً وَقِرًى ... على الـكَواهِل تَدْمَى والعَرَاقِيبِ

(٢) نائله : عطاءه . والأطيفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب والبعيد فيه سواء ، حتى الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعروفه ، فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة : حد السيف . وهادية — من هدى اللازم — أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول : إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية — لأنها تمضى قدما على استواء — والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو الطعن الشزر . فهو أمضى الفريقين سيفاً فى أقرانه . وقال العكبرى : أراد أن القوم إذا دنا بعضهم من بعض تجالدوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرت الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجالدة

---

(١) من أبياته التى يقول فى مطلعها :

إذا المرء لم يَدْنسْ من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميـل

والظباة جمع ظبة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أشبه ذلك .



يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ ... بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ[(١)]
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ ... إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ[(٢)]
يَرْمِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدٌّ لَهُ وَلَهَا ... مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ[(٣)]

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، فحينئذ يكون أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اختبرته رأيته يربى أضعافا على ما أراك منظره . ثم قال : وفى الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال وفيهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعانى ، كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها من المشى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان «فاتك» يلقب بالمجنون ، ففسره أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند المنكر له أن يتلقب بمثله . وقد نظر فى لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

رَإِنْ يَبنِ حِيطانا عليهِ فإنما ... أولئكُ عُقَّالاتُهُ لا مَعاقِلُه[(١)]

وفى معناه إلى قول الكلابى :

ألا أيها المغتابُ عِرضِى تعيبنى ... تُسَميَنِى الجنونَ فى الجد واللعْبِ
أنا الرجل المجنون والرجلُ الذى ... به تُتَّقَى يومَ الوَغى غِرَّةُ الحربِ

(٣) يقول : يرمى الجيش الذى يناصبه بالبيض — السيوف — ولا بد له ولتلك السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى «بها»

---

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إذا مارقٌ بالغدرِ حاوَلَ غدرة ... فذاكَ حرىٌّ أن تئيم حلائله
فإنْ باشَر الأصحار فالبيض والقنا ... قِراه وأحواض المنــايا مناهله



إذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ (١)

يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَداً ... مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ (٢)

أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ ... فَمَا الَّذِى بِتَوَقِّى مَا أَتَى نَالُوا (٣)

إذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ ... مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَّالُ (٤)

للبيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا » عمل « ليس »

(١) نشبت : علقت ؛ والمخلب ، للسبع والطير : بمنزلة الظفر للانسان ، أثبت له المخالب على إضمار تشبيهه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والرئبال : الأسد . قال الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقبه بالمجنون من أعدائه ،لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا الممدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء . يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيهم مخالبه زايله الحلم . لأن الحلم والأسد لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .

(٢) يروعهم : يفزعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثانه ؛ والاغتيال الإهلاك على غفلة . يقول : هذا الممدوح دهر يغول الأعداء ، إلا أنه يغولهم جهاراً ، أما الدهر فإنه يغتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيما لشأنه ، ثم بالغ وفضله على الدهر» .

(٣) «ما»: خبر مقدم عن «الذى»؛ونالوا : الضمير للعدى ؛ والجملة صلة «الذى» يقو« : هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى ، فما الذى نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتيه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب؛ والكعب ؛ الناشز بين أنبوبى الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت الملوك بالتيجان ونحوها تزين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياسة مغالبة بنفسه واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و«حليته» تروى بالنصب على أنه خبر كان ، و « مهند »اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ، فقربه من المعرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها . والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشان أو ضمير الممدوح .



أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ(١)
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِى الْحَمْدِ حَاءٌ وَلاَ مِيمٌ وَلاَ دَالُ(٢)
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِىِّ سِرْبَالُ(٣)
وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالاً أَيُّهَا النَّالُ(٤)
لَطَفْتَ رَأْيَكَ فِى بِرِّى وَتَكْرِمَتِى إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ(٥)
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِى كَفَّيْكَ آمَالُ(٦)

---

(١) أبو شجاع . كنية الممدوح ، وهو خبر عن محذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجعان . بدل وقاطبة . جميعا ، والهول . ما أخاف وأفزع وهو خبر آخر ونمته . غذته وربته أو نسب إليها ، يقال . نماه جد كريم ونميته إلى فلان . والهيجاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجعان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب فى أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه المحمود فى أفعاله وأقواله وليس محمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والماذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه فى الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سرابيل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الذم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : الرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : لا أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقتنى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتدبير ورأى تحصيلا لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيده شرفا وذكرا ، يشير إلى ما وصله به «فاتك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور فى مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يجسر أن يمدحه ابتداء خوفا من كافور .

(٦) غدوت ــ هنا ــ تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزا

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِى طُولُ لَابِسِهِ ... إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ[(١)]

إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِى بَشَرٍ ... فَإِنَّ قَدْرَكَ فِى الْأَقْدَارِ يَخْتَالُ[(٢)]

كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا ... إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ[(٣)]

وَلَا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا ... إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِى الرَّوْعِ بَذَّالُ[(٤)]

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... أَلْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَّالُ[(٥)]

تختال على العلياء حتى غدوت والأخبار تجول فى الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ، وصار لكل أحد أمل فى كفيك حتى الكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمعه تنابل وتنابلة ، لما جعل الثناء لباسا للممدوح : عبر عن طول معانيه بطول الممدوح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائى لطول ما يتضمنه من وصف مناقب الممدوح . وعبارة الواحدى يقول : مدح الشريف يشرف الشعر ، ومدح اللئيم يؤدى إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعرى قد شرف بشرف هذا الممدوح . وزاد على ذلك العكبرى فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال، الراغب عن الكرم والإفضال

(٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فمشى الخيلاء . تختال وقوله أن تختال أى عن أن تختال فحذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك تترفع عن عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك يختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضال وتربى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تعدك قائما بحق صيانتها حتى تبذلها وتجود بها فى الروع فتقتحم المهالك ، وتتعرض لمواجهة الحروب والمتالف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى فى السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون



وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ (١)

إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ (٢)

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ (٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين ـ كما لا يخفى ـ وهو من قول منصور النمرى :

الجودُ أخشَنُ مسّاً يابنى مطرٍ ... مِنْ أن تبزّكموه كفُّ مستلِبِ

ما أعلمَ الناسَ أنّ الجودَ مكسبةٌ ... للمجدِ لكنه يأتى على النشب

(١) الطاقة : اسم ـ من أطاقه : إذا قدر عليه ـ والشملال : الناقة القوية الخفيفة المشى السريعة . يعتذر عمن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى فى السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود ويبلغ مبلغ الممدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .

(٢) يقول : من يتجنب معك القبح ولا يعاملك به فى هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا ، لكثرة من يعاملك بالقبيح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال :

وصرْنا نرى أنّ المُتارِكَ مُحسِنٌ ... وأنّ خليلا لا يضرُّ وَصولُ

وقال العكبرى : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، وما يحتاج إليه فى دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غنَى النفس ما يكفيكَ من سَدِّ خَلَّةٍ ... فإنْ زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال ابن جنى : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رؤى يستقى ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

تم — بعون الله — الجزء الثالث ؛ ويليه إن شاء الله — الجزء الرابع



فهرست

قوافى الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبي

مطلع القصيدة : صفحة

قافية الكاف

قافية اللام

مطلع القصيدة :	صفحة

شرح
ديوان المتنبّي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنياً عن جميع الشروح

الجزء الرابع

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان



وقال يمدح أبا الفوارس دلير بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذى نجم بها من بنى كلاب ، وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دلير إليها :

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ العَقْلِ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ (١)

لِهَنَّكِ أَوْلَى لَائِمٍ بِمَلَامَةٍ ، وَأَحْوَجُ مِمَّنْ تَعْذُلِينَ إِلَى العَذْلِ (٢)

تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي (٣)

مُحِبٌّ كَنَى بِالْبِيضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ (٤)

وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ القَنَا غَيْرَ أَنَّنِي جَنَاهَا أَحِبَّائِي وَأَطْرَافُهَا رُسْلِي (٥)

---

(١) يقول — للعاذلة — : كل أحد يدعى لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعنى أنك بلومك إياى تدعين أنك أصح عقلا منى ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيبويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء لئلا يجتمع حرفان للتوكيد فى الصورة . يقول : أنت أولى باللوم وأحوج إلى العذل منى ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) مثلك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت لمحبوبى مثلا فى الحسن وجدت لى مثلا فى العشق : يعنى كما أن محبوبى لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلى .

(٤) محب خبر عن محذوف ضمير للتكلم . والبيض : النساء . والمرهفات : السيوف . والضمير فى « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا محب أعشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيت به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكنى كذلك بالسمر عن الرماح السمر . ويعنى بجناها ما يجتنى منها من المعالى التى يرتقى إليها بالعوالى . يقول : فالمعالى هى أحبائى ورسلى التى تتردد بينى وبينها : هى الأسنة — الرماح — يريد : أنى أخطب المعالى بالرماح .

عَدِمْتُ فُؤَادًا لَمْ تَبِتْ فِيهِ فَضْلَةٌ لِغَيْرِ الثَّنَايَا الغُرِّ وَالْحَدَقِ النُّجْلِ (١)
فَمَا حَرَمَتْ حَسْنَاءُ بِالهَجْرِ غِبْطَةً ، وَلاَ بَلَّغَتْهَا مَنْ شَكَى الهَجْرَ بِالوَصْلِ (٢)
ذَرِينِي أَنَلْ مَا لاَ يُنَالُ مِنَ العُلَى
فَصَعْبُ العُلَى فِى الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِى السَّهْلِ (٣)
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ المَعَالِى رَخِيصَةً ، وَلا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ (٤)

---

(١) الثنايا : الأسنان التى فى مقدم الفم . والغر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم ـ الفقد ـ يقول : لا كان لى قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف فى أجلها وأكرمها .

(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هى فى كسب المعالى ونيل المجد والشرف لا فى نيل اللذات ومواصلة الغانيات . فالهاء فى « بلغتها » : مفعول أول لبلغت ، وهى عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق يبلغتها ؛ ومن شكى الهجر هو العاشق : أى وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزى : نهى عن الحرص فى طلب النساء. يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقعاً عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها الهجر وتذللت لها هنت فى عينها ؛ فحرمتك وصلها فضلا عن تبليغك الغبطة .

(٣) يقول ـ للعاذلة ـ : دعينى أنل من العلى مالم ينل قبلى ، فإن العلى الصعبة الشاقة ـ وهى التى لم يبلغها أحد ـ فى الأمر الصعب الذى لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعنى لا يدرك من المعالى ما تجلى قيمته إلا بتكلف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فبحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد ـ بفتح الشين وضمها ـ العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول ـ للعاذلة ـ : تريدين أن أدرك المعالى رخيصة ـ أى دون أن أبذل فيها نفسى وأعرضها للأهوال ـ والمعالى لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابى :



حَذِرْتِ عَلَيْنَا المَوْتَ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيِّ عَاقِبَةٍ تُجْلَى [١]
فَلَسْتُ غَبِينًا لَوْ شَرَيْتُ مَنِيَّتِي بِإِكْرَامِ دِلَّيْرَ بْنِ لَشْكَرَوَزَّ لِي [٢]
تَمُرُّ الأَنَابِيبُ الخَوَاطِرُ بَيْنَنَا، وَنَذْكُرُ إِقْبَالَ الأَمِيرِ فَتَحْلَوْ لِي [٣]

وإن جسيمات الأمورِ مَشوبة بمستودعاتٍ فى بطون الأساودِ [١]

هذا : وقال الواحدى : قرىء على المتنبى لقيان ــ بضم اللام ــ وكذلك أملاه ، وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيبويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والخيل تلتقى : يروى والخيل تدعى : يريد أصحاب الخيل ؛ والجملة حالية ؛ والادعاء فى الحرب : الاعتزاء والانتساب ــ وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان : وتجلى : تتفرج وتنكشف ، يقال أجلت المعركة عن كذا قتيلا : يقول : تخافين علينا الموت عند التحام الحرب وتبارز الفرسان ولم تعلمى عن أى عاقبة تنفرج الخيل : أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبرى : يشير إلى الموقعة التى شهدها فى الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا الممدوح إليها .

(٢) الغبين : ــ المغبون ــ فعيل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبنه فى البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت ههنا : ابتعت ، ويروى شربت ، « ودلير » و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناهما : الشجاع والمسعود ، وقال اليازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وعلى فرض أن الدائرة كانت علينا ، وكنت أنا من جملة الهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده ربحاً مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا الممدوح .

(٣) أمر الشىء يمر إمراراً : صار مراً ، ويقال مر يمر ــ بفتح الميم . وضمها ــ والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كعبين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر الريح اهتز ؛ و « تحلو لى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الخاطرة بيننا وبين أعدائنا تصير مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة المرارة . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة لنا ، لأنا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد عاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

---

(١) الأساود : الحيات



. . . .

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي[1]

يارب سَدِّدْنى لِنَحْتِ قَوْسِى فإنهـــا مِنْ لَذَّتى لنفسى

* وانفعْ بِقَوْسِى ولدِى وعِرْسِى *

---

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حي من اليمن رماة ، أو من بنى ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به المثل فى الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الكُسَعِىِّ لَمَّا غَدَتْ مِنِّى مُطَلَّقَـــةً نَوارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلا له فى واد فيه حمض وشوحط فإما ربى نبعة حتى اتخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط ثابتا فى صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يارب سَدِّدْنى لنَحْتِ قوْسِى فإنهـــا مِنْ لَذَّتى لنفسى

* وانفعْ بقوْسِى وَلدِى وعرْسِى *

أَنْحتُ صَفْرَاءَ كلوْن الوَرْسِ كَبْدَاءَ لَيْسَتْ كالقِسِىِّ النُّكْسِ

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هنَّ وربى أَسْهُمٌ حِســـانُ يَلَذُّ للرمْىِ بهـــا البَنَانُ

كأنما قوَّمها مِـــــيزانُ فأبشِرُوا بالخِصبِ يا صِبيانُ

إنْ لم يُعقْنِى الشؤمُ والحرمانُ

ثم خرج ليلا إلى قترة له ـ القترة : بيت الصائد ـ على موارد حمر الوحش ؛ فرمى عيراً منها ، فأنفذه . وأورى السهم فى الصوانة ناراً ، فظن أنه أخطأ فقال :

أعـــوذ بالمهيمن الرحمنِ من نكد الجدِّ مع الحرمان

* مَالى رأيْتُ السهمَ فى الصَّوَّان *

. . . .

وقد قال البحترى

* إن سَيرَ الخليطِ حين استقلا *

ثم قال فى هذه القصيدة :

كنْتَ من بين البرايا به أحق وأوْلى *

وقال ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو فى «تحاولى» ردف لأنها ساكنة قبل حرفَ الروى . وليس فى هذه القصيدة قافية مردفة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، بيد أنه جاء فى الشعر القديم :

إذا كنت فى حاجة مرسلاً فأرسل حكيما ولا توصهِ

يُورِى شَرَارَ النار كالعِقْيان أخلفَ ظنِّى ورَجاَ الصبيان

ثم وردت الحمر ثانية فرمى عيرا منها فكان كالذى مضى من رميه فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القَدَر لا باركَ الرحمٰن فى أمِّ القُتَرَ

أأمغِطُ السهمَ لإرهاق الضررَ أم ذاكَ من سوء احتمالٍ ونظر

* أمْ ليسَ يُغنى حَذرٌ عند قدَرْ *

«المغط والإمغاط : سرعة النزع بالسهم» ثم وردت الحمر ثالثة ؛ فكان كما مضى من رميه فقال :

إنى لشؤْمى وشقائى ونكَدْ قد شفَّ منى ما أرَى حرَّ الكبِدْ

أخلَفَ ما أرجو لأهلى وولَدْ *

ثم وردت الحمر رابعة ؛ فكان كما مضى من رميه الأول فقال :

ما بالُ سهمى يُظهرُ الْحُباحِبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا

إذ أمكن العَيرُ وأبدَى جانباً فصار رأيى فيه رأياً كاذبا

ثم وردت الحمر خامسة ؛ فكان كما مضى من رميه ، فقال :

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدّها أحملُ قوسى وأريدُ رَدها

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِى أَنَّهَــا سَبَبٌ لَهُ لَزَادَ سُرُورِى بِالزِّيَادَةِ فى القَتْلِ (١)

وإن بَابُ أمر عليك التوى فشاور لبيباً ولا تعصـــه (١)

(١) يقول : لو كنت أعلم علما ليس بالظن أن هذه الفتنة التى دعت إلى إعمال الرماح تكون سببا لمجىء الممدوح إلينا والتملى بقربه : لزاد سرورى بزيادة الفتنة وكثرة القتل . قال العكبرى: يشير إلى الوقعة التى جرت بالكوفة ولم يشهدها الممدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة .

أخزَى إلهى لينَها وشدَّها ، واللهِ لا تَسْلَمَ عندى بعدها
* ولا أُرَجِّى ما حَيِيتُ رِفْدَها *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبله مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله عض إبهامه فقطعها ، ثم أنشأ يقول :

نَدِمْتُ ندامـــة لو أن نفسى تطاوعنى إذاً لَبَــتَرْتُ خَمْسى
تبيَّنَ لى سَـــفاهُ الرأى مِنِّى لَعَمْرُ الله حين كَسَرْتُ قوْسى

(١) وبعدها :

ولا تنطقِ الدهـــرَ فى مجلس حـــديثاً إذا أنت لم تُحْصِهِ
وَنُصَّ الحديث إلى أهـــله ، فإن الوثيقـــةَ فى نَصِّـــه
وإنْ ناصحٌ منك يوماً دَنا ، فلا تنأ عنه ولا تُقْصِـــه
وَكَمْ من فتًى شاخصٍ عقلُه ، وقد تعجب العينُ من شخصِهِ
وآخَـــرَ تحســبه جاهلا ، ويأتيك بالأمر من فَصِّـــهِ

وهى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة فى الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، وفص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصه : يعنى من مخرجه الذى قد خرج منه .

فَلاَ عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً ... دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْمَحْلِ (١)
ظَلِلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نُصُولَنَا ... نُجَرِّدُ ذِكْراً مِنْكَ أَمْضَى مِنَ النَّصْلِ (٢)
وَنَرْمِي نَوَاصِيهَا مِنِ اسْمِكَ فِي الْوَغَى ... بِأَنْفَذَ مِنْ نُشَّابِنَا وَمِنَ النَّبْلِ (٣)
فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا ... فَقَدْ هَزَمَ الأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالا . والخوف : يروى البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والمحل : الجدب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سببا لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجدب بجود راحتك :

(٢) أنبى : جعلها نابية لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون نفاذها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فنفذت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أمضى من السيف .

(٣) الضمير في « نواصيها » لخيل الأعداء — وإن لم يجر لها ذكر — وسكن الياء في « نواصيها » للضرورة . والوغى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا سميناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن اسمك سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمناهم بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لا نحن . وجعل « قبلا » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغَ لِيَ الشرابُ وكنتُ قبلاً ... أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ (١)

(١) هو ليزيد بن الصعق ، وقبله :

فَنِمْتُ الليلَ إذ أوقعتُ فيكم ... قبائلَ عامرٍ وبني تميمِ
وساغَ لِيَ الشرابُ . . . . . . « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصا — من باب تعب — والغصة : ما غص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم يبلعهما ، والحميم ، الماء الحار — وليس بمراد — ومن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازِلْتُ أَطْوِى الْقَلْبَ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا ... عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالسُّبْلِ (١)

وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ ... غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الأَهْلِ (٢)

وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ ... أَبَتْ رَعْيَهَا إِلاَّ وَمِرْجَلُنَا يَغْلِى (٣)

وَلٰكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِى الْفَضْلِ شِرْكَةً ... فَكَانَ لَكَ الْفَضْلاَنِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ (٤)

وَلَيْسَ الَّذِى يَتَّبَّعُ الْوَبْلَ رَائِدًا ... كَمَنْ جَاءَهُ فِى دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (٥)

(١) السنابك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت أنتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهى حاجة بين سنابك الخيل والطرق .

(٢) الجياد : الخيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هى غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التى لاتوجد فى غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلا للمجد وعليا المراتب .

(٣) خيل : عطف على « نفس » ؛ والمرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش ، لاترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا مررنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا المرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تستريح وترعى ؛ وهذا من قول امرىء القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا ... تعالَوْا إلى أن يأتِىَ الصيد نحطب

(٤) فى الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة السير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها فى الثانية ، ومثله : اطير واثاقل : والوبل : المطر الغزير . والرائد : الذى يرسله القوم يطلب لهم الكلأ ومساقط الغيث . وقوله رائد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب المطر كمن مطر وهو فى داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر ببلده لا يتعنى بنشدان الموضع الممطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفوا بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزى : أنت كالسحاب الذى جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبته فيما بعد من الأماكن البعيدة التى تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِى الشَّوْقَ قَلْبُهُ ... وَيَحْتَجُّ فِى تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ (١)

أَرَادَتْ كِلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ ... لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْىَ الشُّوَيْهَاتِ وَالإِبْلِ (٢)

أَبِى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الوَحْشَ وَحْدَهَا

وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الخَبِيثَ مِنَ الأَكْلِ (٣)

---

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذبا فى دعواه ، لأن من عالج الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن الممدوح لو تأخر عن المجىء إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعيدٌ عنِ الكَسلانِ أو ذى ملالة ... وَأمّا على المشتاق فهو قريبُ

(٢) كلاب : هى القبيلة الثائرة التى قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلوها قبل قدوم هذا الديلمى الممدوح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام، والشويهات جمع شويهة ،تصغير شاة . يقول . إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؟ يعنى أنهم ليسوا أهلا لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم،ويأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التى حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأنثى ضبة ، والعرب تستقذر الورل ، وهو دابة على خلقة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبثه فلا تأكله ، وأما الضب فإنهم يحرصون على صيده وأكله ، وفى المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله ـ أولاده ـ حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب الماء لأن الضب لا يشرب الماء، ومن كلامهم الذى يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً ياضب ، فقال :

أصبحَ قلبى صَرِدًا * لا يشتهِى أن يردَا * إلا عراداً عَرِدَا

وصِلِّيانًا بَرِدَا ... وعَنكثًا مُلتبِدًا

« صرداً : أى باردا ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، ينبت فى البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على المبالغة ـ والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد باردا ؛ ويروى زردا : أى سريع الازدراد ؛ والعنكث ، شجر يشتهيه الضب فيسحجه بذنبه حتى يتحات فيأكل المتحات »



وَقَادَ لَهَا دِلْبِرُ كُلَّ طِمِـــرَّةٍ تُنِيفُ بِخَدَّيْهَا سَحُوقٌ مِنَ النَّخْلِ (١)

وَكُلَّ جَوَادٍ تَلْطِمُ الأَرْضَ كَفُّهُ بِأَغْنَى عَنِ النَّعْلِ الْحَدِيدِ مِنَ النَّعْلِ (٢)

فَوَلَّتْ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثُ خَلَّفَتْ

وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرِّجْـــلِ (٣)

---

(١) الطمرة : الفرس العالية الوثابة . وتنيف : تشرف . والسحوق : النخلة الطويلة يقول : قاد هذا الممدوح لـكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق — طويلة — قد أشرف خداها من فوقها ؛ وهذا من قول الآخر :

كأن الجِسْمَ للرائين طَـــود وهاديها كأن جِذْع سحوقُ

هذا : ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة ؛ يريدون العلو ، وأنها ممتنعة لا يصل إليها أحد إلا بالتعب ، وأنشدوا :

يا ربِّ أرْسِل خارفَ المساكينْ عَجَاجةً ســـاطِعةً العثانِينْ

* تنفضُ ما في السُّحق المجانين *

« يعنى بخارف المساكين الريح الشديدة التى تنفض لهم التمر من رءوس النخل وعثنون الريح هيدبها إذا أقبلت تجر الغبار جرا » .

(٢) الجواد : الفرس الكريم ، وبأغنى : أى بحافر أغنى ، فحذف الحافر للعلم به ؛ والحديد : بيان للنعل . يقول : وقاد لها كل فرس جواد ، قوى الأسر . شديد الخلق يضرب الأرض بحافر مستغن عن النعل بصلابة خلقته ، كما يستغنى النعل عن النعل . وسمى حافره كفا : استعارة من الإنسان كما استعير للانسان الحافر من الفرس فى قول جبيهاء الأسدى يصف ضيفا طارقا أسرع إليه :

فأبْصَرَ نَارِي وَهْيَ شقراء أُوقِدَتْ بِليلٍ فَلَاحتْ لِلعيُونِ النواظِرِ

فما رقدَ الوِلْدَانُ حتى رَأَيْتُه على البكرِ يَمْرِيهِ بساقٍ وحافـــر

يمريه : يستخرج ما عنده من الجرى » .

(٣) ولت : أدبرت . والضمير : للقبيلة . وتريغ : تطلب . وخلفت : تركت خلفها . يقول : إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطمعها فى الإمارة فى أمن ونعمة، فلما طمعت فى الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا ـ يعنى أمنا ونعمة ـ وقد خلفت أمنا كان فى يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان فى يدها: أى تطلب بهربها وإغذاذها السير ما كان

تُحاذِرُ هزلَ المَالِ وَهيَ ذَليلَةٌ ۝ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذُّلَّ شَرٌّ مِنَ الهزلِ (١)

وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ ۝ كَرِيمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ القَوْلَ بِالفِعْلِ (٢)

تَتَبَّعَ آثَارَ الرَّزَايَا بِجُودِهِ ۝ تَتَبُّعَ آثَارِ الأَسِنَّةِ بِالفُتْلِ (٣)

أرجلها ـ ماكان حاصلا فى أيديها . فدلت بذلك على جهل وحمق وقال ابن فورجه : يعنى أنها كانت فى غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا هاربين يطلبون مأمنا وحصنا وقد خلفوا أمنا كان حاصلا لهم . وقوله تطلب بأرجلها ماكان فى أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها ـ جريها على أرجلها ـ ماكان حاصلا فى أيديها ، والمعنى أنها تطلب ماكان فى أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة متوقعة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه : أى يطلبه ويديره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِى عن سالِمٍ وَأُرِيغُهُ ۝ وجلدةُ بين العينِ والأنفِ سالِمُ

(١) المراد بالمال ـ ههنا ـ المواشى . والهزل ـ بفتح الهاء وضمها ـ الهزال : ضد السمن . وقد هزل الرجل والدابة ـ على ما لم يسم فاعله ـ وهزل هو هزلا وهزلا ، وهزلته أنا أهزله هزلا فهومهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشيهم سنة ـ جدب ـ فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم من الذل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى الممدوح والسجايا : الخلائق والطبائع يقول : أهدت إلينا كلاب ـ بتمردها وعصيانها ـ من الممدوح كريم السجايا يسبق ـ فى الإحسان ـ فعله قوله ، ويتقدم ـ فى الإفضال ـ إنجازه وعده ، يعنى أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : المصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى تحدثها : والفتل . جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب المرهم ليوصله إلى الجرح . يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح مالحقهم من الرزايا والخسائر بسبب غارة بنى كلاب وآسى جروحهم وداواها بجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتداوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :



شَفَى كُلَّ شاكٍ سَيفُهُ وَنَوالُهُ
مِنَ الدّاءِ حَتَّى الثّاكِلاتِ مِنَ الثُّكْلِ (١)

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمسَ صُورَةُ وَجْهِهِ ... وَلَوْ نَزَلَت شَوْقاً لَحادَ إلى الظِّلِّ (٢)

شُجاعٌ كَأنَّ الحَرْبَ عاشِقَةٌ لَهُ ... إذا زارَها فَدَّتْهُ بِالخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)

وَرَيّانُ لا تَصْدَى إلى الخَمرِ نَفسُهُ ... وَعَطْشانُ لا تَرْوَى يَداهُ مِنَ البَذْلِ (٤)

فَتَمْليكُ دِلِّيرٍ وَتَعْظيمُ قَدْرِهِ ... شَهيدٌ بِوَحْدانِيَّةِ اللهِ وَالعَدْلِ (٥)

وَما دامَ دِلِّيرٌ يَهُزُّ حُسامَهُ ... فَلا نابَ في الدُّنيا لِلَيْثٍ وَلا شِبْلِ (٦)

بِيضٍ مفارِقُنا تغلِى مَرَاجِلُنَا ... نأسو بأموالِنا آثارَ أيدِينا

(١) النوال : العطاء ؛ والثاكلات : الفاقدات أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتلى، وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثاكلات من حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الثكل بجوده . قال العكبرى : والثاكلات فى موضع نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والثاكلات . ويجوز أن يكون فى موضع جر ، ولكن العطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ، فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنثى حتى عن الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل ولا يقتل ، فكأن الحرب تعشقه وتحبه ، فإذا زار الحرب وأتاها استبقته وأفنت من سواه من الفرسان والرجال ، فكأنها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل مبتكر بديع .

(٤) ريان : من الرى ، وتصدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء . يقول : إنه لايشرب الخمر ، فكأنه مرتو منها لايعطش إليها ، ولا يفتر عن البذل ، فكأنه عطشان لايروى منه .

(٥) يقول : مملكته وعظم قدره يشهدان بوحدانية الله تعالى وعدله ورأفته بعباده ، إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول : مادام قائم سيفه فى كفه فلا عادية لقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وما دَامَ دِلِّيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ
فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلِّ (١)

فَتًى لَا يُرَجِّي أَنْ تَتِمَّ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهِّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ (٢)

فَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ أَصْلًا أَتَى بِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الأَصْلِ (٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وَهْشُوذَان بن محمد الكردى بالطرم ، وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده :

إِثْلِثْ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلَلُ نَبْكِي وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الإِبِلُ (٤)

الناس ، والليث والناب : مثل — أى ولو كان القوى ليثا لكان بلا ناب — وقال ابن جنى : يعنى لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه فى كفه . فكأنها ليست موجودة ، وليس بشىء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يجود أحد جوده .

(٢) يقول : هو مجبول على البذل والجود ، يمقت البخل ويجتويه ، فلا يرى طاهرا مبرءاً من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلا أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل الذى نشر علينا فضله فإنى رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثا — من قولهم ثلثت الرجلين أثلثهما : إذا صرت ثالثهما — والطلل ماشخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول — للطلل — كن ثالثنا فى البكاء على فقد الأحبة ، فإنا نبكى والإبل تحن كأنها تبكى كذلك ؛ وعبارة العكبرى التى كأنها شعر منثور : كن أيها الطلل ثالثا فى البكاء على فقد الأحبة ، فنحن نبكى والإبل تحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبائنا العامرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإنا نبكى فيك ، ونوقنا ترزم ، وننذب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول البحترى :

أَطْلُبَا ثالثاً سِـواى فإنى رابعُ العيسِ والدُّجى والبيد



أولاَ فلاَ عتبٌ عَلى طَلَـلٍ   إنّ الطّلولَ لِمِثْلِهَا فُعُلُ[١]
لَوْ كُنتَ تَنطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِراً   بى غَيْرُ ما بِكَ أيُّهَا الرَّجُلُ[٢]
أبْكَاكَ أنكَ بَعضُ مَنْ شَغَفُوا   لَمْ أبكِ أنى بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا[٣]
إنّ الّذِينَ أقمْتَ وَاحْتَمَـلُوا   أيّامُهُـمْ لِدِيَارِهِمْ دُوَلُ[٤]
الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلّمَا رَحَـلُوا   مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا[٥]

ومن هذا قول التهامى :

بكيتُ فَحَنّتْ نَاقَتِى فَأجابهـا   صهيل جوادى حين لاحت ديارها

(١) أولا : عطف على محذوف : أى إن بكيت فخليق بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولمثلها : أى لمثل هذه الفعلة — يعنى عدم البكاء — وفعل : جمع فعول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهى فاعلة لمثل هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول — للطلل — : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يبكى لما قدرت على البكاء مع ماحل بك من البلاء بسبب ارتحال الأحبة، وهو قوله « بى غير ما بك » وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لأنى ، والضمير من « شغفوا وقتلوا » للأحبة والعائد محذوف : أى شغفوهم وقتلوهم . والبيت من تتمة قول الطلل ، ويروى شغفوا وقتلوا — بالبناء للمجهول — والأولى أجود . يقول : لقلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم — الأحبة — شغفوك حبا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا فإنهم قتلونى بارتحالهم — كناية عن دروسه بعدهم — والقتيل لايقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقمت بعدهم أيامهم دول لديارهم : تعمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبارة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلونها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى صرف عنك من ذلك يوحشك ومامنعته منهم لامحالة يؤلمك . وأقمت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبارة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلفاً بهم .



فِى مُقْلَتَىْ رَشَأٍ تُدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الحِلَلُ(١)
تَشْكُو المَطَاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُودِهَا وَمَنِ الَّذِى تَصِلُ(٢)
مَا أَسْأَرَتْ فِى القَعْبِ مِنْ لَبَنٍ تَرَكَتْهُ وَهْوَ المِسْكُ وَالعَسَلُ(٣)

---

(١) فى مقلتى رشأ : متعلق بـ« يرحل » ـ فى البيت السابق ـ والرشأ : ولد الظبية. والحلل : جمع حلة ، وهى القوم المجتمعون فى بيوت مجتمعة النزول : يقول : إن الحسن يرحل فى مقلتين مستعارتين من رشأ تديرهما امرأة بدويه ـ تقيم فى الباديه حيثما نزلت افتتن بها القوم الذين تنزل بهم .

(٢) يقول : إن هذه المرأة قتين(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها وصدودها ، ثم قال : ومن الذى تصل ؟ وهو استفهام ، يعنى أن الهجر ديدنها فهى لا تصل أحدا حتى الطعام ، وقوله وصدودها : قال العكبرى : روايتنا فيه عن شيخى بالنصب والجر : فالنصب عطفا على طول ، والجر عطفا على هجرتها .

(٣) ما أسأرت ، أى الذى أسأرت وأبقت : مبتدأ ؛ والخبر : تركته ؛ والقعب : قدح من خشب مقعر : وجملة « وهو المسك » حالية . يقول : إذا شربت لبنا من قدح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل . يريد طيب نكهتها وعذوبة ريقها . وفيه نظر إلى قول جميل :

فلو تفلتْ فى البحر والبحرُ مالح لعاد أُجاجُ البحرِ من ريقها عَذْبَا

هذا : وقد قلنا أسأرت : أى أبقت ، فالسؤر : بقية الشىء ، والجمع أسآر ، وفى الحديث « إذا شربتم فأسئروا » أى أبقوا شيئاً من الشراب فى قعر الإناء والنعت منه سئار ـ على غير قياس ـ لان قياسه « مسئر » قال الجوهرى : ونظيره أجبره فهو جبار قال الأخطل :

وشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكأسِ نادَمَنِى لا بالحَصُور ولا فيها بسَئَّارِ

« سئار ـ بالهمز ـ بوزن سعار : معناه أنه لا يسئر فى الإناء سؤراً بل يشتفه كله؛ والرواية المشهورة بسوار : أى بمعربد وثاب من سار : إذا وثب وثب للعربد على من يشاربه والحصور الذى لا ينفق على الندامى ، وقيل الهيوب المحجم عن الشىء ، وإنما أدخل الباء لانه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعته له فى النفى » .

---

(١) امرأة قتين : قليلة الطعم ؛ وهذا من الصفات المحمودة فى النساء .



قَالَتْ أَلاَ تَصْحُو فَقُلْتُ لَهَا ... أَعْلَمْتِنِي أَنَّ الْهَوَى ثَمَلُ(١)
لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ ... وَبَرَزْتِ وَحْدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ(٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَائِبُهُ ... إِنَّ الْمِلاَحَ خَوَادِعٌ قُتُلُ(٣)
مَا كُنْتِ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمُ ... مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكِ الْبَخَلُ(٤)

(١) ثمل : أى سكر . يقول : قالت لى — لائمة على العشق — ألا تصحومن بطالتك فقلت لها أخبرتنى — فى فحوى كلامك حين أمرتنى بالصحو — أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيمانه وأنها نبهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخسر : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أتاكم صباحا للغارة والغزل : الكلف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة — مع جده وتوفره على تدبير الملك — أتاكم صباحا للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلا فمال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن الهزيمة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدا : لو كانت هذه إحدى السعالى(١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه الهزيمة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم الخ ! وكيف يضاف المنهزم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتائبه ، وإنما تتفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتائبه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخدعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة — وهو من هو ؟ ! وتتفرق كتائبه من جرائك . فكأنك هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شىء كنت فاعلة وقد أتاكم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به ويكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالى : جمع سعلاة ، قيل: هم سحرة الجن ، وقيل: الغيلان الخبيثة .



أَتَمْنَعِينَ قِــرًى فَتَفْتَضِحِى ... أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِى يَسَلُ(١)
بَلْ لاَ يَحُلُّ بِحَيْثُ حَــلَّ بِهِ ... بُخْلٌ وَلاَ جَوْرٌ وَلاَ وَجَلُ(٢)
مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمْحُ أَدْرَكَهُ ... طَنَبٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَعْتَدِلُ(٣)
إِنْ لَمْ يَــكُنْ مَنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا ... عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا(٤)
حَــتَّى أَتَى الدُّنْيَا ٱبْنُ بَجْدَتِهَا ... فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ(٥)
شَكْوَى الْعَلِيلِ إِلَى الْــكَفِيلِ لَهُ ... أَنْ لاَ تَمُرَّ بِجِسْمِهِ الْعِلَلُ(٦)

---

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهمزة وألق حركتها على السين يقول : أكنت لا تقومين بقراه فتفتضحى فى فعلك أم تقومين بذلك فتخرجى عن المعهود من أمرك

(٢) الضمير فى « به » : لحيث والجور : خلاف العدل ـ ويروى : ولا خور ؛ والخور: الضعف ، والوجل : الخوف. يقول : بل لا يسعك حينئذ البخل ، لأن المكان الذى يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج فى الرمح يقول : إنه ـ لاستقامته واعتداله فى الأمور ـ إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح المعوج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها العالم بالشئ المتقن له ، وهو عالم ببجدة أمرك وبجدة أمرك وبجدة أمرك ـ بضم الباء والجيم ـ أى بدخيلته وبطانته ، وعنده بجدة ذلك ـ بفتح الباء ـ أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهوعالم بهاوضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكا إليه السهل والجبل كما يشكو العليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة. يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو ـ بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة ـ كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هــذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تَتَبَّعَ أقصى دائها فشفاهــا

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ ... أَقْدِمْ فَنَفْسُكَ مَا لَهَا أَجَلُ[١]

فَهُوَ النِّهَايَةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ ... أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغًى مَنِ الْبَطَلُ[٢]

عُدَدُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ ... دُونَ السِّلَاحِ الشُّكْلُ وَالْعُقُلُ[٣]

فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ ، ... وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُخْتِهِ شُغُلُ[٤]

تُمْسِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ ... هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوِ الْبَدَلُ[٥]

---

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كآجال الناس : يعنى أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال: لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية فى الشجاعة حين يراد ضرب المثل فى الشجاعة أو يراد الدعاء إلى النزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكال، وهو ما يجعل فى قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التى يحتاجون إليها فى قصدهم إياه هى شكل الخيل وعقل الإبل ثقة بنيل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين فى «الشكل» على لغة تميم ، وضمها فى «العقل» على لغة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية، وهى غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعنى أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجائهم فيه فيعطيهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلى أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها ، فأمواله أبداً جميعها على أيدى مواهبه توزعها على عفاته فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها فى وقت معاً ، وإذا بقى منها شىء وهبه لمن يفد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعنى أن جميع أمواله فى تصرف مواهبه . وعبارة الخطيب التبريزى : خيله وإبله التى تأخذها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهى تسلم إليهم وإما لأن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكمون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيره

يشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إلَى سَـــبَلٍ شَوْقاً إلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَـــلُ[1]
سَبَلٌ تَطُولُ الْمَـكْرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لاَ الْحَوْذَانُ وَالنَّفَـلُ[2]
وَإلَى حَصَى أرْضٍ أقَامَ بِهَـــا بالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَـــا يَلَلُ[3]

فهم يأخذون البدل . وقال المعرى : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب فى الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : المطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجرى على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح: أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما فى البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبارة الواحدى والعكبرى: إن الناس يشتاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصحب يده : أى ليطعن بها ويستعملها فى الحرب ،فقوله شوقا إليه الخ:أى وينبت الأسل شوقا إليه ــ أى إلى الممدوح ــ أى إلى مباشرتها بيده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجرى على يديه من العطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواه بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف والحوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الخيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل ــ مطر ــ ينبت المكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلل : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ واليلل : قصر الأسنان ــ يقال رجل أيل ، والأنثى يلاء ــ وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فرَميْتُ القومَ رشقاً صائباً ليس بالعُصْـلِ ولا بالمُقْتَعـلْ
رَقَمِيَّات عليهـــا ناهِض تُـكلِحُ الأرْوَقَ منهم والأيَلْ[1]

---

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم يبر بريا جيداً . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر



إنْ لَمْ تُخَالِطْهُ ضَـــوَاحِكُهُمْ فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذْخَرُ الْقُبَـلُ[1]
فى وَجْهِهِ مِـــنْ نُورِ خَالِقِهِ قُدَرٌ هِىَ الآيَاتُ وَالرُّسُـلُ[2]
وَإذَا الْقُـــلوبُ أبَتْ حُكُومَتَهُ رَضِيَتْ بِحُكْمِ سُيُوفِهِ الْقُلَلُ[3]
وَإذَا الْخَمِيسُ أبَى السُّجُودَ لَهُ سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ[4]
أرَضِيتَ وَهْشُوذَانُ مَا حَكَمَتْ أمْ تَسْتَزِيدُ لِأُمِّكَ الْهَبَلُ[5]

يقول : ويشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولـكثرة ماقبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم البلل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جنى : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تنعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون البلل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التى بين الأنياب والأضراس ، وهى أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شىء بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشىء وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدر تقوم مقام الآيات والرسل ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تمليكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسل فى بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره :

(٣) القلل : الرءوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فـكأنها رضيت بحكم سيوفه :

(٤) الخميس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لطعنه بها — وذلك سجود القنا — لحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشوذان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم — موضع فى عراق العجم — والهبل : الثـكل — الفقد — تقول العرب : لأم

ناهض ، أى وفر جناحاه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشدته أصابه بالـكلوح وهو بدو الأسنان عند العبوس .

وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُغْمَدَةٍ ، وَكَأَنَّهَا بَيْنَ الْقَنَا شُعَلُ[١]
وَالْقَوْمُ فِى أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَالْخَيْلُ فِى أَعْيَانِهَا قَبَلُ[٢]
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بِمَنْ أَتَوْا قِبَلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بِمَنْ نَأَوْا خَلَلُ[٣]

فلان الهبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشوذان » ما حكمت به سيوف ركن الدولة ، أم تمادى فى طغيانك ، فتستزيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتنكيل ؟

(١) وردت : أى السيوف ؛ وغير مغمدة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشعل : جمع شعلة ، القبس من النار ، شبه سيوف الممدوح المصلتة بشعل النار :

(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل فى الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعزة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد المدان :

ولكننى أغدو علىّ مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم[١]

قال ابن جنى : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس : أى أتوك عليها ، قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جنى » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، سيما وأكثرهم ديلم ، والممدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خُزْرٌ عيونهم إلى أعدائهم *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والخيل نشاط عزيزة الأنفس

(٣) يقول : أتاك قومه وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جملتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى «وهشوذان» ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يختل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال . وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن نأوا عنه .

---

(١) المفاضة : الدرع السابغة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقه ، وشبه حلقها فى الدقة والزرقة ، وتقارب السرد ، بعيون جراد نظم بعضه إلى بعض وجمع

لَمْ يَدْرِ مَنْ بِالرَّىِّ أَنَّهُمُ فَصَلُوا وَلاَ يَدْرِى إِذَا قَفَلُوا[(١)]
فَأَتيْتَ مُعْتَزِماً وَلاَ أَسَدٌ ، وَمَضَيْتَ مُنْهَزِماً وَلاَ وَعِلُ[(٢)]
تُعْطِى سِلاَحَهُمُ وَرَاحَهُمُ مَا لَمْ تَكُنْ لِتَنَالَهُ الْمُقَلُ[(٣)]
أَسْخَى الْمُلوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ[(٤)]
لَوْلاَ الْجَهَالَةُ مَادَلَفْتَ إِلَى قَوْمٍ غَرِقْتَ وَإِنَّمَا تَفَلُوا[(٥)]
لاَ أَقْبَلُوا سِرًّا وَلاَ ظَفِرُوا غَدْراً وَلاَ نَصَرَتْهُمُ الْغِيَلُ[(٦)]

---

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشوذان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقفولهم .

(٢) يخاطب «وهشوذان» يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، فخبر «لا» فى الموضعين محذوف ـ كما ترى ـ للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول ـ لوهشوذان ـ : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والكراع[(١)] والسلب ما لم تكن العيون لتطمع أن تراه ، لمنعته وبعد نيله .

(٤) يقول : أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يغصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسخوت بمملكتك لئلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخرا : ينتقل .

(٥) دلف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بأدنى حرب منهم ، فضرب لهذا مثلا بالغرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لغرقوك .

(٦) الغيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يدرى . يقول :

---

(١) الكراع ـ بضم الكاف ـ اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .



لاَ تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْـرِفُهُ ۞ إلاَّ إذَا ضَاقَتْ بِكَ الْحِيَـلُ[1]

لاَ يَسْتَحِي أَحَـدٌ يُقَالُ لَهُ ۞ نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهِ أَوْ فَضَلُوا[2]

قَدَرُوا عَفَوْا وَعَدُوا وَفَوْا سُئِلُوا ۞ أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْا عَدَلُوا[3]

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، ۞ فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةً نَزَلُوا[4]

قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ ، ۞ فَإِذَا تَعَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا[5]

إن جيشه لا يأتون أحداً فى خفية ليظفروا غدراً وليغتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون فى قهر عدوهم إلى الغدر والاغتيال ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً

(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . يخاطب « وهشوذان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطررت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .

(٢) استحى يستحى : بمعنى استحيا يستحيي . ونضلوك : غلبوك — من المناضلة ، وهي المراماة بالسهام : يقال تناضل الرجلان فنضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه — وأتى بعلامة الجمع فى « نضلوك » ، والفعل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلونى البراغيث ؛ وفضلوا : غالوا فى الفضل : أراد : أو فضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحى من ذلك ، لأنهم يغلبون كل أحد .

(٣) يقول : لما قدروا عفوا . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذى وعدوا ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولما علوا أعلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أى لمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوأهم فهو شديد الاغترار بهم .

(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذهم وراء كل غاية .

(٥) الصوارم : السيوف . وتعذر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتعـذر بعدما ۞ لججْت وشطّت من فُطَيمة دارُها

وقال لبيد يخاطب ابنتيه ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :

فقوما فقولا بالذى قد علمتما ۞ ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا الشعر

وقولا هو المرء الذى لا خليله ۞ أضاع ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ، ۞ ومَن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر

لاَ يَشْهَرُونَ عَلَى مُخَالِفِهِمْ سَيْفاً يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَذَلُ[١]
فَأَبُوا عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَهَرُوا وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا[٢]
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُرَّةِ ذَا فِى الْمَهْدِ أَنْ لاَ فَاتَهُمْ أَمَلُ[٣]

***

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجانى ولو كذباً قبلوا عذره تكرما .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعذل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعنى لا يعجلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العذل يؤثر فى المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفانى الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفانى السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو على : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعضد الدولة كملت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و «أن» تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بذا الأول إلى ركن الدولة ، وبالثانى إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ماعلم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكأن وجهه وهو فى المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى« بركات نعمة ذا» يعنى أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شىء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعضد الدولة بإدراك الآمال . ويروى« بركات نغمة ذا » يعنى أن أباه عرف بنغمته ــ صوته ــ لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .



وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمنة ويَسرة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرزن ــ وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أثخنها النشاب هربت من رءوس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده فى رجب سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفى هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ... بِأَنْ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي (١)

لاَ أَنْ يَكُونَ هٰكَذَا مَقَالِي ... فَتًى بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَالِ (٢)

مِنْهَا شَرَابِي وَبِهَـا اغْتِسَالِي ... لاَ تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالِ (٣)

---

(١) يقول : إن الأيام خليقة بأن تتظلم منى وتقول ما للمتنبي وما لى ؟ أى لأنى جشمتها من همى ما ليس فى وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالى ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ماأجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أى خليق ، وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجديرون

(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالى لها بأن أتظلم منها ، فحذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيداً بأن يقوم إليك لا أن تقوم : تريد إليه ، فتحذفه . وفتى : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم منى لا بأن أتظلم أنا منها ، لأنى فتى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعنى أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى .

(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب وتمرسه بها وانغماسه فيها حتى صارت نيرانها عنده كالماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلا عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور ــ الزنا ــ

لَوْ جَـذَبَ الزَّرَّادُ مِنْ أَذْيَالِي ... مُخَـيِّراً لِي صَنْعَتَيْ سِرْبَالِ[1]
مَا سُمْتُهُ سَرْدَ سِوَى سِرْوَالِ ... وَكَيْفَ لاَ وَإِنَّمَـا إِدْلاَلِي[2]
بِفَارِسِ الْمَجْـرُوحِ وَالشِّمَالِ ... أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الأَبْطَالِ[3]
سَاقِي كُئُوسِ الْمَوْتِ وَالْجِرْيَالِ[4] ... لَمَّا أَصَارَ الْقُفْصَ أَمْسِ الْخَالِي[5]
وَقَتَّلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ ... حَتَّى اتَّقَتْ بِالْفَرِّ وَالإِجْفَالِ[6]

---

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهى الدروع . وأراد بجذب الزراد لذيله : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سرابيل . وسمته : كلفته . والسرد — ويروى الزرد — مداخلة حلق الدروع بعضها فى بعض . والسروال : معروف ، وهو أعجمى معرب وأكثر كلام العرب سراويل — بصيغة الجمع وإن لم يقصد به الجمع — وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك: فحذف للعلم به . والإدلال : الفخر والتيه — يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشمال : فرسان كانا لعضد الدولة . يقول لو خيرنى الزراد فى صنع سربال ألبسه بين أن يكون من صنعة الدرع أو من صنعة الثياب — أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا — لما اخترت إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما حاجته أن يحصن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة المتنبى يترفع عن معاشرة النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال — المتنبى — : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن بالممدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الخمر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ، وأولياءه كؤوس الخمر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛ وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم فصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب « لما » يأتى بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : ذللهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فى أعشار قَلْبٍ مُقَتَّلِ *

أى مذلل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورته بالماء . والإجفال : الإسراع



فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَاقْتَنَصَ الفُرْسَانَ بِالعَوَالِي (١)
وَالعُتُقِ المُحْدَثَةِ الصِّقَالِ سَارَ لِصَيْدِ الوَحْشِ فِي الجِبَالِ (٢)
وَفِي رِقَاقِ الأَرْضِ وَالرِّمَالِ عَلَى دِمَاءِ الإِنْسِ وَالأَوْصَالِ (٣)
مُنْفَرِدَ المُهْرِ عَنِ الرِّعَالِ مِنْ عِظَمِ الهِمَّةِ لاَ المَلاَلِ (٤)
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لاَ الاِسْتِبْدَالِ مَا يَتَحَرَّكْنَ سِوَى انْسِلاَلِ (٥)

فى الحرب . والكرد : جيل معروف . يقول : ذللهم وأضعفهم ومنعهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربا .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالى : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفناه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفا منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعتق : عطف على العوالى — جمع عتيق — يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش المعتصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة .

(٣) وفى رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يطأ الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال — من سار — والرعال : القطعة من الخيل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسايره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشىء أضن — وهى اللغة العالية — وضننت أضن ضنا وضنا وضنة ومضنة وضنانة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شىء نفيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسلال : مصدر انسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لواذاً » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هيبة له .

فَهُنَّ يُضْرِبْنَ عَلَى التَّصْهَالِ ... كُلُّ عَلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالِ (١)

يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةَ السُّعَالِ ... مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ (٢)

فَلَمْ يَئِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلِ ... وَمَا عَدَا فَانْغَلَّ فِي الأَدْغَالِ (٣)

وَمَا احْتَمَى بِالْمَاءِ وَالدِّحَالِ

مِنَ الْحَرَامِ اللَّحْمِ وَالْحَلَالِ (٤)

---

(١) التصهال : الصهيل . والمختال : المعجب بنفسه المستكبر . يقول : فالخيل تضرب على الصهيل تاديبا لها ، وفوقها كل رجل عليل فى سكونه وتصاغره هيبة لعضد الدولة ، وهو فى نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .

(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس يسعل هيبة ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار إجلالا له ، هكذا قال أكثر الشراح ـ قال بعضهم : ولعل الأشبه بمراد المتنبى أنهم كانوا يفعلون ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جلبتهم كما يستدل عليه من السياق التالى هذا : ويقال طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعا ، ومطلعاً ومطلعاً ، وهو أحد ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلعاً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل ـ مثل دخل يدخل وخرج يخرج وما أشبههما ـ آثرت العرب فى الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفا من الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك المسجد والمطلع والمغرب والمشرق والمسقط والمفرق والمجزر والمسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع »]

(٣) يئل : ينج ويرجع إلى موئل مضارع وأل أى نجا . وغير آل : أى غير مقصر اسم فاعل من آلا يألو . وعدا : ركض وجرى . والأدغال : الآجام : وهى الشجر الكثير الملتف . وانغل : دخل فى الشجر . يقول : لم ينج من صيده الطير الذى طار ولم يقصر فى طيرانه : أى فكيف ينجو الذى قصر ؟ ولم ينج كذلك ما عدا من الوحش ، فدخل واستتر بالأدغال : أى فكيف ينجو الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟

(٤) الدحال : جمع دحل ، كالهوة فى الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب و « من » بيان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالخنزير والسبع والنمر ونحوها . يقول : ولم ينج أيضا ما تحصن بالماء والدحال مما يحل أكله وما لا يحل .



إنَّ النُّفُوسَ عَـــدَدُ الآجَالِ ... سَقْياً لِدَشْتِ الأَرْزَنِ الطُّوَّالِ (١)
بَيْنَ المُرُوجِ الفِيحِ وَالأَغْيَالِ ... مُجَاوِرِ الخِنْزِيرِ لِلرِّئْبَالِ (٢)
دَانِي الخَنَانِيصِ مِنَ الأَشْبَالِ ... مُشْتَرِفِ الدُّبِّ عَلَى الغَزَالِ (٣)
مُجْتَمِعِ الأَضْدَادِ وَالأَشْكَالِ (٤)
كَأَنَّ فَنَّا خُسْرَ ذَا الإِفْضَالِ ... خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الكَمَالِ
فَجَاءَهَا بِالفِيلِ وَالفَيَّالِ (٥)

---

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصى . والطوال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة للاجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، فقلب الكلام تفننا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرئبال : الأسد . ويجوز فى مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجر على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخنزيره مجاور للأسد .

(٣) الدانى : القريب ؛ الخنانيص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :

* من كلِّ مشترف وإن بعُدَ المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قريبة من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبلى والغزال سهلى .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترس كالأسد ونحوه وغير المفترس كالظبى والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسر : اسم عضد الدولة ، والضمير فى « عليها » للأضداد والأشكال الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن الممدوح خاف على هذا الحيوانات

فَقَيِـدَتِ الأَيْلُ فِى الحِبَالِ طَوْعَ وُهُوقِ الخَيْلِ وَالرِّجَالِ (١)
تَسيرُ سَـيْرَ النَّعَمِ الأَرْسَالِ مُعْتَمَةً بِيَبِسِ الأَجْذَالِ (٢)
وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الأَحْمَالِ قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِى (٣)

أن لا تكون كاملة لجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل – بضم الهمزة – على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب [١] وفعل لا يجمع على فعل إنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء فى اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلا لأنه يئول إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقيل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهق وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخيل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقيدت بالحبال والوهوق حتى صارت طوعا لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهى الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيدة النعم الإبل ، والشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومعتمة : من العمامة : والأجذال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير فى الجبال سيرا لينا كما تسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو – الجرى – وهى ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمت بأعواد يابسة من الأجذال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهن خلقن كذلك ، لأنه يكون لهن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل – لا إلى صغارهن – يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تفلى رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جنى : يعنى بأثقل

---

(١) ضرب من الكتان .



لاَ تَشْرَكُ الأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ [1] إِذَا تَلَفَّتْنَ إِلى الأَظْـــلاَلِ [2]
أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الأَمْثَـــــالِ كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلإِذْلاَلِ [3]
زِيَادَةً فِي سُـــبَّةِ الْجُهَّالِ [4] وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعاً فِي حَالِ
لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الْخَبَالِ [5]
وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الأَوْعَالِ مُرْتَدِيَاتٍ بِقِسِيِّ الضَّـالِ [6]
نَوَاخِسَ الأَطْرَافِ لِلأَكْفَالِ يَكَدْنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الآطَالِ [7]

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حمله حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدن تحت الجبال وقرونهن لطولها وتشعبها تمنعهن من فلى رءوسهن لموجهن . وماذهبنا اليه أظهر .

(١) الهزال . رقة الجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .

(٢) و (٣) و (٤) السبة :العار يسب به . يقول إذا التفت الأيايل إلى ظلالقرونهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلالمن نسب إليهـا لتكون زيادة فى تعيير الجهال يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضوا ، إذ ليس من جملةالأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لمجاورته العضو . والخبال : الفساد وشلل الأعضاء كنى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيايل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه ـ فى حال من الأحوال ـ من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؟ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الأصمعى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الخيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو السدر البرى. يقول:وأشرفت الوعول المسنة ترتدى بقرونها كأنها ـ لا نعطافها ـ القسى التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواخس : حال من القسى . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذن: يخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها : أى تصيبها وتضربها وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَهَا لِحًى سُودٌ بِلاَ سِبَالِ يَصْلُحْنَ لِلإِضْحَاكِ لاَ الإِجْلاَلِ (١)
كُلٌّ أَثِيثٍ نَبْتُهَا مُتْفَالِ لَمْ تُغْذَ بِالمِسْكِ وَلاَ الغَوَالِي (٢)
تُرْضَى مِنَ الأَدْهَانِ بِالأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذَكِيِّ المِسْكِ بِالدَّمَالِ (٣)

(١) اللحى : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الخدين والذقن ؛ والجمع لحى ولحى ـ مثل ذورة وذرى ـ والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحى ولكن لا شوارب لها . وتلك اللحى تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشماخ :

أتتني سُليمٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا تُنَشِّرُ حوْلى بالبقيع سِبالَهَا
يقولون لِي يا احلِفْ ولستُ بحالف أخادعُهم عنها لكيما أنالَها
ففرّجْتُ غمَّ النفس عَنِّى بحِلفةٍ كما قَدَّتِ الشقراء عنها جِلاَلَها (١)

(٢) و (٣) كل أثيث : بدل من اللحى : أى كل لحية هذه صفتها . والأثيث . من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أثيث ومتفال : خبيثة الرائحة . والغوالى : جمع غالية ، وهى أخلاط من الطيب . والدمال ؛ زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحى كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقضها بقضيضها : أى بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضوع موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضاضا ، وقال سيبويه : كأنه يقول انقض آخرهم على أولهم ، وأصل القض : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض كقولهم عقاب كاسر أى منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولى الخ يروى تمسح أراد أنهم يمسحون لحاهم ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا احلف أى يا رجل احلف ، أو «يا» للتنبية ؛ وأخادعهم عنها : أى عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكيما أنالها : أى الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا الغم عنى باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

وإنى لذو حلفٍ كاذب إذا ما اضطُررت فى الحال ضِيقُ
وهل من جُناح على مُعسرٍ يدافع بالله ما لا يطيقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فى عَارِضَىْ مُحْتَالِ ... لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ المَالِ (١)
بَيْنَ قُضَاةِ السُّوءِ وَالأَطْفَالِ (٢) ... شَبِيهَةِ الإِدْبَارِ بِالإِقْبَالِ
لاَ تُؤْثِرُ الوَجْهَ عَلَى القَذَالِ (٣) ... فَاخْتَلَفَتْ فى وَابِلِ نِبَالِ
* مِنْ أَسْفَلِ الطَّوْدِ وَمِنْ مُعَالِ (٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانبا الوجه . يقول : لو سرحت هذه اللحى حال كونها فى وجه رجل ذى احتيال لكانت له شبكة يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤتمن ، وإذا كان محتالا خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : اعدها شبكة من الشباك التى ينصبها قضاة السوء لأخذ أموال اليتامى بما يظهرون من حلى المهابة والوقار وسيماء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم — من ساءه يسوؤه سوءاً — والسوء : الفجور والمنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ،وإذا دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء ، قال الفرزدق :

وكنت كذئب السَّوْءِ لَمّا رأى دَماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدم (١)

قال الأخفش : ولا يقال الرجل السوء ، ويقال الحق اليقين ، وحق اليقين جميعاً لأن السوء ليس بالرجل ، واليقين هو الحق . قال : ولا يقال هذا رجل السوء — بالضم — وقرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى « عليهم دائرة السوء » بضم السين ، يعنى الشر والهزيمة ؛ وقرأ باقى القراء بفتح السين ، وهو من المساءة . (راجع لسان العرب مادة « سوأ »)

(٣) الإدبار والإقبال : مصدرا أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبل قال الجوهرى ودبر كل شىء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكميت :

أعهدَكَ من أولى الشبيبة تطلبُ ... عَلَى دُبُرٍ هيهات شأوٌ مُغرِّبُ (٢)

والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحى رأيتها كما تستقبلها لعظمها وعرضها فهى تعم الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله «وأوفت» . والوابل : المطر الكثير . والطود :

---

(١) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

(٢) شأو مغرب — بكسر الراء وفتحها — بعيد .

. . . .

الجبل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار ـ بكسر اللام ـ ومن علا ؛ قال ذو الرمة فى من «معال» :

فرَّجَ عنه حَلْقَ الأغــلالِ   جَذْبُ العُرَى وجِرية الجبال

* ونغَضانُ الرحلِ من مُعالِ[1] *

وفى « أتيته من علا» يقول أبو النجم :

باتتْ تنوشُ الحوْضَ نوْشاً من عَلا   نوْشاً به تقطَعُ أجوازَ الفــلا[2]

وفى « من عل الدار» بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبــلٍ مدبرٍ معاً   كجُلمُودِ صَخرٍ حطَّهُ السَّيْلُ مِنْ علِ[3]

وفى « أتيته من عل» ـ بضم اللام ـ أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فى كِناسٍ ظاهرٍ يســترُهُ   مِن عَلُ الشفَّانَ هُدَّابُ الفَنَنْ[4]

---

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال ـ يعنى حلق الرحم ـ سيرنا . وكل حركة فى ارتجاف نغض ونغضان والجرية ـ بالكسر ـ حالة الجريان

(٢) باتت : أى الإبل ؛ وتنوش الحوض : تتناول ملء أفواهها من مائه ، ومن علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النوش الذى تناله هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيراً وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكر على العدو ، ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا : يعنى أن الكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة فى قوته لا فى فعله ، لأن فيها تضادا ؛ ثم شبهه فى سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هداب الفنن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفنن الغصن أو ما تشعب من ورقه .



. . . .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :

فَمَلَّكَ باللِّيطِ الذى تحت قشرها ... كَغِرْقِىءِ بيضٍ كَنَّهُ القيضُ من عَلُو[(1)]

فإن الواو زائدة ، وهى لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى الكلام .

وفى « أتيته من عال » يقول دكين بن رجاء :

يُنْجيه مِن مِثل حمام الأغلالْ ... وقْعُ يدٍ عَجْلَى ورِجل شِمْلالْ

* ظمأى النَّسا من تحتُ ريّا من عالْ[(2)] *

وأتيته من علو ؛ قال أعشى باهلة :

إنى أتتنى لســـانٌ لا أُسَرُّ بها ... من عَلْوُ لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ[(3)]

ويروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأبابيل بالنبال من أعالى الجبال وأسافلها فهى تجىء منها وتذهب بين نبال كالمطر تأتيها من كل جانب .

---

(١) الليط : جمع ليطة ـ كريش وريشة ـ قشرة القصبة والقوس والقناة وكل شىء له متانة ، والقيض قشر البيض الأعلى اليابس وغرقىء البيض : قشره الذى تحت القيض ، وملك : شدد ـ من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجنته وأنعمت عجنه وأجادته ـ والذى : مفعول ملك لاصفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيئاً من القشر على قلب القوس تتمالك القوس به ـ أى تقوى وتشتد ـ يكنها أى : يسترها لئلا يبدو قلب القوس فيتشقق وهم يجعلون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله بالقيض للغرقىء .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذى يتخلل بين الشجر ، وشملال خفيفة سريعة ، والنسا — بوزن العصا — عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظمتين وجرى النسا بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربلة باطن الفخذ ، وخفى النسا . يصف دكين فرسا . يقول : ينجى هذا الفرس من خيل مثل حمام يرد غللامن الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها ريا من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا سمن متناه .

(٣) من كلمته المشهورة التى يرثى بها المنتشر ، واللسان هنا : يراد بها الرسالة والكلمة والخبر



قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَــلُ الرِّجَالِ ... فِى كُلِّ كِبْدٍ كَبِدَىْ نِصَالِ (١)

فَهُنَّ يَهْوِينَ مِنَ الْقِــلَالِ ... مَقْلُوبَةَ الأَظْـلَافِ وَالإِرْقَالِ (٢)

يُرْقِلْنَ فِى الْجَــوِّ عَلَى الْمَحَالِ ... فِى طُرُقٍ سَرِيعَـةِ الإِيصَالِ (٣)

يَنَمْنَ فِيهَا نِيمَةَ الْمِكْسَـالِ ... عَلَى الْقَفِىِّ أَعْجَـلَ الْعِجَالِ (٤)

لاَ يَتَشَــكَّيْنَ مِـنَ الْكَلَالِ ، ... وَلاَ يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّـلَالِ (٥)

فَـكَانَ عَنْهَا سَــبَبَ التَّرْحَالِ ... تَشْـوِيقُ إِكْثَارٍ إِلَى إِقْلَالِ (٦)

---

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال — بكسر الراء — ويروى بضمها ؛ والتثقيل : جمع راجل؛ والـكبد : بالـكسر وبفتح فـكسر — لغتان — والنصال : جمع نصل ، الحديدة المركبة فى السهم ؛ وكبداها الناتئتان وسط تلك الحديدة عن يمينها وشمالها يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت فى كبد كل منها نصلا من نصال السهام، يعنى أن الرماة قد أثخنوها بالرماح .

(٢) يهوين: يسقطن. والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل والظلف الحافر المشقوق والإرقال : ضرب من العدو . يقول : فهن يسقطن من أعالى الجبال منحدرات على ظهورهن فصارت أظلافهن مقلوبة وصار عدوهن — جريهن — على الظهور بعد أن كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجرين . والمحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هى تعدو فى الجو نازلة على ظهورها فى طرق تسرع إيصالها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :

(٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الـكسل. وتروى: الـكسال جمع كسلان . والقفى : جمع قفا . والعجال : جمع عجل وعجلان وأعجل العجال : حال . لما زلت فى تلك الطرق على قفيها جعلها كالنائم المستلقى على ظهره كسلا ؛ ولـكنها فى ذلك أسرع العجال لسرعة هويها .

(٥) يقول : لا يشتكين فى تلك السرعة نصبا ولا تعبا ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن عن النزول ، ولا يخفن ضلالا ولاتيها فى طريقهن لأنها تفضى بهن إلى الأرض ألبته .

(٦) عنها : صلة الترحال؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق: اسمها وتقدير الـكلام : فـكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لـكثرته فكان ذلك سبب رحيله عنها .



فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِى بَلْبَالِ يَخَفْنَ فِى سَلْمَى وَفِى قِيَالِ[(١)]
نَوَافِرَ الضِّبَابِ وَالأَوْرَالِ ، وَالخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّئَالِ[(٢)]
وَالظَّبْيِ وَالخَنْسَاءِ وَالذَّيَّالِ يَسْمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الأَزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ[(٣)] *
فَحُولُهَا وَالعُوذُ وَالمَتَالِى تَوَدُّ لَوْ يُتْحِفُهَا بِوَالِى[(٤)]
يَرْكَبُهَا بِالخُطُمِ وَالرِّحَالِ يُؤْمِنُهَا مِنْ هٰذِهِ الأَهْوَالِ[(٥)]

---

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبلى طىء ، والآخر أجا . وقيال: جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيد خافته الوحوش حتى بات وحش نجد فى خوف وهم وكذا وحش جبل طىء ، فهى تخشى أن يقصد إليها .

(٢) نوافر – كما قال ابن جنى – حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدويبة المعروفة يأكلها العرب . والأورال – جمع ورل – دابة على خلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقته . والخاضبات الربد : النعام لأنها ربد الألوان – فى لونها غبرة – فإذا أكلت الربيع اختضبت – احمرت سوقها – فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو دؤاد :

* له ساقا ظليمٍ خاضبٍ فوجىء بالرُّعبِ *

« راجع لسان العرب – مادة – خضب » والرئال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحى نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها – بقر الوحش – لخنس أنفها . والذيال : الثور الوحشى لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الظريف من كل شىء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة فى الصيد مايبعث الخرس على السؤال عنه مع عجزها عن السؤال :

(٤) فحولها : جمع فحل ، وهى رواية ابن جنى : وتروى فحولها – بفتح الفاء التى هى للجواب – كما تقول أكثرت من الجميل فالناس كلهم يشكرونك، فأتى بالفاء لأن فعل الجميل كان سبب الشكر. والحول: جمع حائل، ضد الحامل. والعوذ: الحديثات النتاج ، جمع عائذ والمتالى : جمع المتلية ، وهى التى تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذللها ، وتتمة الكلام فيما يلى .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زممته ، والرحال : جمع رحل ، وهو للابل كالسروج للخيل ، يقول : هذا الوالى

وَيَخْمُسُ العُشْبَ وَلاَ تُبَالِى ، وَمَاءَ كُلِّ مُسْبِلٍ هَطَّـــالِ (١)
يَا أَقْدَرَ السُّـــفَّارِ وَالقُفَّالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الأُسْدَ بِالثَّعَالِى (٢)
أَوْ شِئْتَ غَرَّقْتَ العِدَا بِالآلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الإِلاَلِ
* لَآلِئًا قَتَلْتَ بِاللآلِى (٣) *

يذلل الوحش حتى تنقاد فى الأزمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد ومما يصيبها من خوف الصيد ؛

(١) خمس المال : أخذ خمسه ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والهطال : المتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذى ترده وترضى بذلك ولا تبالى :

(٢) السفار : المسافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر ـ فى القياس ـ سافر ، مثل صاحب وصحب، إلا أنه لم ينطق بـ«سافر»، والقفال: جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعا : والثعالى : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرانى ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكرى يشبه ناقته بعقاب :

كأن رِجْلى على شغواء حادرةٍ ظَمياء قد بُلّ من طلٍ خوافيها
لها أشـــاريرُ من لحم تُتَمِّرُهُ من الثعالى وَوَخزٌ من أرانيهـــا (١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع ألة ، وهى الحربة العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بمـا هو ليس بمـاء . ولو طعنتهم باللآلى بدل الإلال ـ الحراب ـ لقامت اللآلى فى إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

---

(١) الشغواء : العقاب ، سميت بذلك من الشغى ، وهو انعطاف منقارها الأعلى ؛ والحادرة : الغليظة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافى ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرارة ، وهى اللحم المجفف للادخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه فى وكرها حتى يجف لكثرته ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلى يروى رحلى ، والثعالى : الثعالب ، والأرانى : الأرانب .



لَمْ يَبْقَ إلا طَرْدُ السَّعالِي ... فى الظُّلَمِ الغَائِبَةِ الهِلاَلِ (١)
عَلَى ظُهُورِ الإبِلِ الأُبَّالِ ... فَقَدْ بَلَغْتَ غَايَةَ الآمالِ (٢)
فَلَمْ تَدَعْ مِنْها سِوَى المُحَالِ ... فى لا مَكَانٍ عِنْدَ لا مَنَالِ (٣)
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالمَعَالِي ... النَّسَبُ الحَلْىُ وَأَنْتَ الحَالِي (٤)
بِالأَبِ لاَ بِالشَّنْفِ وَالخَلْخَالِ ... حَلْيًا تَحَلَّى مِنْكَ بِالجَمالِ (٥)
وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلَى ثِقَالِ ... أَحْسَنُ مِنْهَا الحُسْنُ فى المِعْطَالِ (٦)

---

(١) و (٢) الطرد : الصيد ، وهو مصدر طرد ، مثل الطرد ـ بالإسكان ـ والسعالى: جمع سعلاة ، وهى الغول ، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم : الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال : جمع آبل ، وهى التى تجزىء بالكلأ عن الماء . يقول : لم يبق إلا أن تصيد الغيلان فى المهامه على ظهور الإبل ، يعنى ملكت الإنس والوحش وكفيت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى المفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرين فى الليالى المظلمة ، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى المفاوز ، وجعلها مكتفية عن الماء بالكلأ لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال : المستحيل الذى لا يكون . يقول : بلغت غاية آمالك وملكت كل شىء يوصف بالوجود ويدرك مكانه ولم تترك إلا المعدوم الذى لا يوصف بالمكان والوجود. وقوله فى: « لا مكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى : ما يصاغ من الجواهر للزينة : والحالى : صاحب الحلى؛ وبالأب: متعلق بمحذوف ـ أى تتحلى ـ والشنف : القرط الذى يعلق فى أعلى الأذن ؛ وحليا : مفعول العامل المحذوف يقول : النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية ، فأنت إنما تتحلى بأبيك لا بما تتزين به النساء من حليهن ، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال ؛ يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال : التى لا حلى عليها . يقول : إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لابسها قبيحا ، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبح ـ بالقاف والباء ـ وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لا يجهل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلى مؤنثة

فَخْرُ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأَخْوَالِ[1]

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يغلب المؤنث على المذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتخ ـ بالفاء والتاء والخاء المعجمة ـ جمع فتخة ، يقال : فتخة وفتخة وفتخ وفتخات وفتاخ وفتوخ ، وهى خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : ومما يستطرف إيراده هنا شاهدا على الفتخ ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج ـ وكانت رفعته إلى المغيرة بن شعبة . فقالت له : أصلحك الله إنى منه بجمع : أى لم يفتضنى ، فقال العجاج :

الله يعـــلم يا مغيرة إننى قد دُستُها دَوْس الحصان المرسلِ
وأخذتها أخـــذ المقصِّبِ شاته عَجلانَ يذبحها لقـــومٍ نُزَّلِ

فقالت الدهناء :

والله لا تخدعُنى بِشَمٍ ، ولا بتقبيل ، ولا بِضَمٍّ
إلا بزَعزاع يُسَلِّى همى تسقطُ منه فتَخِى فى كُمِّى

« الزعزاع : الاسم : من زعزعه زعزعة : أى حركه » .

(١) فخر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالعم : حال من الضمير المذكور ، وقال العكبرى : الباء فى قوله «بالعم» متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى «قبله» وإن كانت ضمير المصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى «قبله» وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالعم ، كقولك هند مررت بها من الصالحات . يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحترى :

فما الفَخرُ بالعَظْمِ الرميمِ وإنما فخارُ الذى يَبغى الفخـارَ بنفسِهِ



قافيـــــــة الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفره بحصن بَرْزُوَيْهِ ، وكان جالساً تحت فازة من الديباج * عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُـهْ بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ[1]

---

* الفازة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خزف وغيرها تبنى في العساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤكما كالربع : مبتدأ وخبر . وأشجاه : أى أشده شجوا ، من قولك : شجانى هذا الأمر ؛ أى أحزننى . والطاسم : الطامس الدارس . و« بأن تسعدا » : أى تساعدا وتعاونا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات القبيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل يخاطب خليليه اللذين عاهداه على أن يساعداه على البكاء عند ربع الأحبة يقول لهما : إن وفاءكما بأن تساعدانى على البكاء كهذا الربع , فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزائره وأشد حزنه لأنه لا يتسلى به المحب ، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقل إسعادكما لى على البكاء اشتد حزنى إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاه ساجمه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى البكاء ، أما أنتما خليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن المحزون مثلى . يريد : ابكيا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشفى للوجد ، فإن الربع فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى وفاءكما معه ، ولذلك قال وفاؤكما كالربع : أى كلما ازددت بالربع وبوفائكما وجداً ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع ـ بالجر ـ عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكما كالربع الدارس فى الأدواء إذا لم تجريا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء إذا أجريتما عليه . وعبارة ابن القطاع : وفاؤكما لى بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذى أشجاه للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاءكما وأشتفى بالدمع الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يجلو بعض الهم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وما أنا إلا عاشقٌ كلُّ عاشقٍ ... أعقُّ خليليهِ الصَّفيَّينِ لائمُه[1]

ألم ترَ أني يوم جوِّ سُويقةٍ ... بكيتُ فنادتْني هُنيدةُ ماليا

فقلتُ لها إنَّ البكاء لراحةٌ ... به يشتفي من ظنَّ أن لا تلاقيا[1]

قال التبريزي : لامهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : ولمناسبة « أشجاه » روى الرواة أن المتنبي لما أنشد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للمتنبي تقول أشجاه وهو هجاء؟فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أى أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . لأنه فى الفصيح يقال ـ كما أسلفنا ـ شجاه يشجوه شجوا : إذا حزنه , وشجاه تذكر إلفه : أى هيجه ، وشجاه الغناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاه يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجا :مااعترض فى حلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرهما ، قال سويد بن أبى كاهل اليشكرى:

ويراني كالشجا فى حلقه ... عسِراً مخرجُه ما يُنتزَعْ

وقد شجى به ـ بالكسر ـ يشجى شجا ، قال المسيب بن زيد مناة الغنوى :

لا تُنكر القتلَ وقدْ سُبينا ... فِي حلقِكمْ عظمٌ وقدْ شجينا

« فى حلقكم : أراد فى حلوقكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما فى الخلة ـ الصداقة والود ـ من لامه فى هواه ، وفى هذا تعريض بالنهى عن اللوم . يقول : إن من لامنى منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه العقوق ، فكأن لائمكما أعقكما ؟ قال الواحدى : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إنّ الذي سَمكَ السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطوَلُ

وكما قال الجاهلى :

خالى بنو أوْسٍ وخالُ سَرَاتِهمْ ... أوْسٌ فأيُّهمَا أدقُّ وألأمُ

أى فأيهما الدقيق واللئيم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتملا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلا » ولا خير فى مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : ويروى

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهى أول قصيدة هجا بها جريرا والبعيث



وَقدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَــيْرُ أَهْـلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ[1]

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إنى عاشق كل عاشق مصف يعد خليله العاق من لامه فى هواه

(١) التزيى : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصحبة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصحبة من لا يكون موافقا له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدا من الإسعاد . هذا : ولمناسبة « يتزيا » قال ابن جنى : سألته . . أى المتنبى — عن قوله « يتزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أترضى بشىء تورده العامة ؟ قال : ماعندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لايقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شىء واحد يستحسن حتى يجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على المحاجم[1] * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصغى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين — أى الخليل بن أحمد — فقال تزيا فلان بزى حسن وزييته تزية — بوزن تحية — فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل[2] وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

---

(١) عجز بيت للأعشى ؛ وصدره :

يَزِيدُ يغضُّ الطَّرْفَ دُونِى كأنَّما زوى . . . . . الخ

وبعده :

فلا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنَ عَيْنَيكَ ما انزَوى ولا تلقَنِى إلاَّ وأنفكَ رَاغِـــم

يقال زوى مابين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهم بن سبل ؛ وصدره :

أنا الجَواد بنُ الجوادِ بنِ سَبلْ إن ديموا . . . . . الخ

بَلِيتُ بِلَى الأَطْلَالِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَـــا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُهُ(١)

بياء أنس بها وأخلد إليها لخفتها كما قالوا فى عيد أعياد ، وفى تحقيره عييد ، وهو من عاد يعود ، وكان قياسه عويد وأعواد ، كما قيل فى تحقير « ريح » رويح ؛ وفى جمعها أرواح ؛ وحكى اللحيانى فى نوادره : ريح وأرواح ، فهذا مما أجرى مجرى البدل اللازم لخفة الياء ، وكذلك يتزيا إن كان صحيحا من كلامهم ، فهو مما ألزم بدل الياء من الواو تخفيفا ، ولأنه قد أبدلها فى زى قصداً من طريق الاشتقاق ، والقياس يقتضى أن تكون عين الزى واواً فى الأصل ، لأن باب طويت ، ورويت مما عينه واو ولامه ياء أكثر من باب حييت وعييت مماعينه ولامه ياءان فلما اجتمع القياس والاشتقاق على قضيته لزم قبولها ورفض ما عداها وخالف وضعها .

(١) الأطلال : آثار الديار . يدعو على نفسه بأن يبلى بلى الأطلال ، إن لم يقف بأطلال الأحبة متوجعا لها منحنيا ، كما يفعل الشحيح إذا فقد خاتمه ووقف يتلمسه فى التراب ، قال ابن وكيع : وهذا مأخوذ من قول أبى نواس :

كأنى مُريغٌ فى الديارِ طَريدةً أراهـــا أمامى مرةً وورائى

وقد عاب ابن جنى هذا البيت ، قال : ليس للفظ عجزه جزالة لفظ صدره ، وليس فى وقوف الشحيح على طلب خاتمه مبالغة يضرب بها المثل . قال : والعرب تبالغ فى وصف الشىء وتجاوز الحد ، وقد تقتصر أيضا وتستعمل المقاربة . . . وهذا بعينه قد جاء فى الشعر الفصيح ، قال جرير : * هن حيارى كمضلات الخدم * والخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال . . قال العروضى ــ ذائداً عن المتنبى : لاعيب عليه ، لأن الشحيح إذا طلب الخاتم احتاج إلى الانحناء ليقف بصره على الخاتم ، ولو كان بدل الخاتم شيئا عظيما كالخلخال والسوار لكان يطلبه من قيام فلا يحتاج إلى الانحناء ، ولو كان صغيراً كالدرة لكان يطلبه قاعداً مكانه . يقول ــ أى المتنبى ــ : إن لم أقف بها ــ أى بالأطلال ــ منحنيا لوضع اليد على الكبد والانطواء عليها كوقوف الشحيح الطالب للخاتم . ويشهد لصحته قول ابن هرمة يذم بخيلا ؛

يمدح آباه بالسخاء وديموا ، ويروى دوموا ــ على القياس ــ من قولهم ديمت السماء تديما : أى أمطرت مطراً دائما فى سكون ، وجادوا من الجود ، وهو المطر الواسع الغزير ، أو المطر الذى لا مطر فوقه ألبتة ،ووبل : من وبلت السماء وبلا : أى أمطرت مطراً شديداً ضخم القطر .



كَئِيباً تَوَقَّانِي الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الْخَيْلِ حَازِمُهْ[(١)]
قِفِي تَغْرَمِ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّيْءَ غَارِمُهْ[(٢)]

نَكَّسَ لما أتيت سائِلَهُ واعتَلَّ تنكيسَ ناظِمِ الخَرَزِ

فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز فى الإطراق وتنكيس الراس . على أنا نقول — إن التزمنا بهذا السؤال — : قد يبلغ من قيمة الخاتم مايحق للشحيح أن يطيل وقوفه على طلبه . . . وقال الواحدى — مدافعا أيضا عن المتنبى — : يقال فى جواب هذا السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُب ليل أَمَدّ مِنْ نَفَس العا شِقِ طُولا قطعتُهُ بانتحاب

وقد علمنا أن ساعة من ساعات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية فى الطول ، وكقول الآخر :

وليل كظِل الرُّمح قَصَّرَ طولَه دَمُ الزِّقّ عنّا واصطفاقُ المزاهر[(١)]

وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية فى الطول . . .

(١) كئيبا : أى حزينا ، حال من قوله أقف بها — فى البيت السابق — وتوقانى : تباعدنى واجتنبنى . والريض من الخيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول : إن العواذل اللائى يعذلننى — يلمننى — فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن — إذا وقفت على الربع كئيبا — كما يحذر حازم الريض من الخيل جماحه أن يعضه أو يرمحه — يضربه برجله —

(٢) تغرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تغرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛ ومهجتى : مفعول تغرم ؛ وغرم ما أتلفه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته ، فهو يقول لها قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتى وتحيينى ، فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرما لما أتلفته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبة تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتى بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلفت مهجتى فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت المهجة بالثانية ،

---

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ (١)
وَمَا حَاجَةُ الأَظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ (٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة، فقال والمتلف غارم، وهى حكومة بحق وعبارة الخطيب التبريزى: لما نظر إليها نظرة أتلفت مهجته وأراد أن ينظر إليها أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة فى الحقيقة، لأنها سبب التلف؛ ومثله لقطرب:

أشتاقُ بالنظرةِ الأولى قرينتَها كأننى لم أقدِّم قبلها نَظَرًا

وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال:

يا مُسْقِمًا جسْمى بأوّلِ نَظْرَةٍ فى النظرة الأخرى إليكَ شِفائى

وروى الخوارزمى تغرمى — بالياء — وأصله تغرمين، فحذف النون للجزم والخطاب للمحبوبة والمهجة هى المحبوبة، فمهجتى فى موضع نصب بالنداء، والأولى مفعول، ويكون المعنى: قفى يامهجتى تغرمى النظرة الأولى التى حرمتنيها بنظرة ثانية إليك. ثم قال: ومن أتلف شيئاً غرمه: أى أنت أتلفت على النظرة الأولى التى رميتها منك أولا فاغرميها بنظرة ثانية والرواية الأولى هى الأوجه.

(١) العيس: الإبل البيض. والنور الزهر. والكمائم أغلفة الزهر قبل أن تنفتق. جعل هؤلاء النسوة زهراً فى حسنهن، وصفاء ألوانهن، وطيب روائحهن وجعل الخدور لهن بمنزلة الكمائم للزهر، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ السقى والتحية؛ فإن الزهر نضرته بالماء، وجرت العادة بأن يحيى الناس بعضهم بعضا بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئا منها، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك، وقد كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله:

حيَّا بِهِ اللهُ عاشِقيهِ فَقَدْ أَصْبحَ رَيحانةً لمنْ عَشِقَا

(٢) الأظعان: النساء فى الهوادج. وقوله «ما واجد لك عادمه» استئناف والضمير للقمر. يقول: أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل؟ فإن من وجدك لم يعدم القمر، يعنى أنها فى الدجى تقوم مقام القمر، قال البحترى:

أضرّتْ بِضَوْءِ البدْرِ والبدْرُ طالعٌ وقامت مقَامَ البدْرِ لمَّا تَغَيَّبَا

وقال الآخر:

إنّ بيتاً أنتَ ساكِنُهُ غيرُ محتاجٍ إلى السُّرُجِ

إذَا ظَفِرَتْ مِنْكِ الْعُيُونُ بِنَظْرَةٍ ... أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهْ[١]

حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ ... فَآثَرَهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهْ[٢]

تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ ... وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ[٣]

وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ ... وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمُلَازِمُهْ[٤]

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه، والمعي: الـكليل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم ـ كالرازح ـ الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تعقل ، فما الظن بنا، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجه : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسناً وجمالا ، وإنما ركابها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشىء ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى للبالغة والتعمق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى المبالغة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكأن الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار ـ لم يعدل ـ فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيبا .

(٣) الخط : موضع باليمامة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بِصُمِّ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لا بِالتَّمَائِمِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه ليخدمنه .

(٤) أدنى : أقرب . والـكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحيانى : ومثل الـكباء الـكبة ، قال : والجمع كبآ، وقد كبى ثوبه ـ بالتشديد ـ أى بخره، وتـكبى وا كتبى إذا تبخر بالعود ؟ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِى كَبَّةِ الْمَشْـ ... ـتَى وَبُلْهٌ أَحْلَامُهُنَّ وِسَامُ[١]

يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج ـ وهو العود ـ وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الخنى والخب .



وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ　　وَلاَ عَلَّمَتْنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهْ[(١)]

فَلاَ يَتَّهِمْنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي　　رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلاَقِمُهْ[(٢)]

عنك وأقربها منه — من الحبيب — دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه فى غاية النعمة وغاية النعمة . وعبارة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالحجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : ويروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها مما يليها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا فيقال : أدنى ستر إليها من الستوردونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة المتنبى فى إيثار المبالغة .

(١) يريد كثرة مالقى من صروف الدهر ، وما منى به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقا رآه ، ولا تريه عينه شيئا لم يعلمه قلبه ، والمصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِماً　　عن حرفِ واحدةٍ لِكَى أزدادَها[(١)]

ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبلَ ما صنعَتْ بِنا　　فلمَّا دهَتنى لمْ تَزِدْنِى بها عِلْما

وقال الأعور الشنى :

لقد أصبحتُ لا أحتاجُ فيما　　يَكونُ مِنَ الأمُورِ إلى السؤالِ

وقال ابن الرومى :

وما أحدَثَ العصرانِ شيئاً نكِرتُهُ　　هما التاليانِ الواهبانِ هُمَا هُمَا

(٢) الكاشح : الذى يضمر لك العداوة . والعلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل .

---

(١) من كلمته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توهما فاعتادها　　. . . . . . [البيت]

وفيها يقول فى وصف الظبية وولدها :

تُزْجِي أغنَّ كأن إبرَةَ رَوقه　　قلم أصابَ مِنَ الدواةِ مدادها

تزجى أغن : أى تسوقه برفق ؛ والروق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه كأنه إبرة .

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهْ(١)

وَتَكْمِلَةُ العَيْشِ الصِّبَا وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ العَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ(٢)

قال ابن جنى : سألته – أي المتنبي – وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة فى هذا الموضع؟ قال : أن يظنوا بى جزعاً . يقول : لا يتهمنى الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق ، فإنى قد ذقت المرارات حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، والعلقم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلا له . ومعنى رعيت الردى : رعيت أسباب الردى من المخاوف والمهالك ، وكنى بالعلاقم عن المرارات ، ولهذا قال «رعيت» لأن العلقم مما يرعى ، يعنى إنى لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادى ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالى مِنَ النَّوَى وإنْ بانَ جيرانٌ علىَّ كِرامُ

وقال المؤرج السدوسى :

رُوِّعتُ بالبَينِ حتى ما أُراعُ له وبالمصائبِ فى أهلِي وَجيرانى

وهذا المعنى ظاهر فى قول الخريمى :

لقد وقَرتنى الحادِثاتُ فما أرى لِنازِلة منْ رَيبِها أتوَجَّعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشيبه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير فى « توقيه » للباكى ، وفى « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذى يجزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

تُضَعْضِعهُ الأوقاتُ وَهْيَ بَقاؤه وتَغتاله الأقواتُ وَهْيَ له طُعْمُ

إذَا مَا رَأيتَ الشيء يُبليه عمرُهُ وَيُفْنيه أن يبْقى فنِى دائِهِ عقم

(٢) العارضان : جانبا الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرعا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا بياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب – من قدم يقدم : إذا ورد – وبالغائب : السواد الذى غاب بقدوم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر وبياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد وبياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ (١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّهِ حَيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ (٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحُكْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمَائِمُهْ (٣)

بالغائب : لون جلد العارض المستتر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر النابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيا ثم يافعا مترعرعا ثم ينبت شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكملة العيش ، لأن :

من شاب في الناس مات حيا يمشى على الأرض مشى هالكْ
لَوْ كان عمر الفتى حِسَاباً لكان فى شيبه فَذَالِكْ (١)

وبيت المتنبي من قول ابن الرومى :

سُلِبتُ سوادَ العارِضين وقبله بياضهما المحمودَ إذ أنا أمردُ

(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض فى الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لونى الشعر . وعبارة ابن جنى : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ،والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهد فيه ، فإذا خضب ظهر للغوانى أنه شاب فترغبن فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحيا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول: أحسن من الشباب الذى فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر اليه ، يعنى سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكنى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له فى هذا البيت بين ضروب من المدح ـ الحسن والجود ـ واستحقاق التأميل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتغن ـ بحذف إحدى التاءين ـ وفى رواية : لم تغن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبته السحاب وحاكه ـ نسجه وصنعه ـ وأغصان تلك الأشجار لا تتغنى حمائمها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

---

(١) فذالك : جمع فذلكة من قول الحاسب: فذلك كذا .



وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ ... مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ (١)

تَرَى حَيَوَانَ الـبَرِّ مُصْطَلِحاً بِهَا ... يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِـدَّهُ وَيُسَالِمُهْ (٢)

إِذَا ضَرَبَتْهُ الـرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ ... تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَرَاغِمُهْ (٣)

وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ ... لِأَبْلَجَ لا تِيجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهْ (٤)

تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ المُـلُوكِ بِسَاطَهُ ... وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ (٥)

قِيَـاماً لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ ... وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ (٦)

---

(١) الموجه : ذو الوجهين ؛ والسمط : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسمط الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأثواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لبياضها ، غير أن من نظمه لم يثقبه لأنه ليس بدر حقيق .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول: ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها التفارس والتهارش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسالمة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكى : المسنة من الخيل . وتدأى : تختل ــ يقال : دأيت الصيد ودأوت له: أى ختلته ــ وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التى صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج المشرق ، والذى قد وضح ما بين حاجبيه فلم يكن مقرون الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى :الأبلخ ، وهو المتكبر العظيم فى نفسه: بلخ ــ بالكسر ــ وتبلخ : أى تكبر ، فهو أبلخ . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلج ــ أو الأبلخ ــ سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربى ، وتيجان العرب : عمائمها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدتها برجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونه يقبلون بساطه ، ولا يبلغون أن يقبلوا كمه أو يده ؛ لأنه أعظم شأنا من ذلك

(٦) قياما : مصدر لم يذكر فعله ، كأنه قال : قاموا ــ أى الملوك ــ قياما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبة ؛ وكنى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه ، وبالداء عن غوائل الأعداء وطغيانهم ؛ يعنى أنه يرد بالطعن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو مايوسم به

قبائِعُهــا تحتَ المَرافِقِ هَيْبَةً ... وَأَنفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزائِمُهْ[1]

لَهُ عَسْكَرا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إذا رَمَى ... بِهَا عَسْكَراً لَمْ يَبْقَ إلاَّ جَماجِمُهْ[2]

- المكواة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كنى بجعل مواسمه بين آذان السادات - أى فى أقفائهم - عن قهرهم وإذلالهم.

(١) القبائع: جمع قبيعة، وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد. يريد قبائع سيوف الملوك. والجفون: جمع جفن، الغمد. يقول: قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتعظيما ثم قال: وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف - وهى مافى الجفون.

(٢) يقول: إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبحه لكثرة وقائعه حتى تأكل من لحوم القتلى، فكأنها من عديد جيشه؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم، لأن عسكر الخيل يقتلهم، وعسكر الطير يأكل لحومهم، والضمير فى «بها» للخيل والطير، فلما جعلهما جماعة كنى عنهما بلفظ الجمع، ولم يكن بالتثنية للعسكرين. وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال: لا أدرى كيف خص الجماجم بالبقاء دون سائر العظام؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى، بل للطير، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكت العدو فتأكلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش... ومن ثم قال بعض الشراح: يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون، فكانوا يأخذون رءوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى؛ فلهذا لم تبق إلا الجماجم... وبعد: فما أبدع قول النابغة فى هذا المعنى:

إذا غَزَوْا بِالجيْشِ حلّقَ فَوْقهمْ ... عصائبُ طَيرٍ تَهْتَدِي بِعصائبِ

يُصاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مُغارَهم ... من الضارِياتِ بالدماء الدوارب

تَراهُنَّ خلفَ القومِ خُزْراً عُيُونها ... جُلُوسَ الشيوخِ فى ثِيابِ المرانبِ

جَوانِحَ قد أيقنَّ أن قَبِيــلَه ... إذا ما التقى الجمعــان أوّلُ غالِبِ

لهنّ عليهم عادة قد عرفنهــا ... إذا عُرِّضَ الخطِّىُّ فوق الكواثِبِ[1]

---

(١) من الضاريات الخ: أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها: أى ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر: أى تقبض جفونها لتحدد النظر. وقوله جلوس الشيوخ الخ: فالمراب جمع مرنبانى، وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب. يقول

أَجِلَّتُهَـــا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ(١)
فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْـــلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ(٢)
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُـــدُورَهُ ، وَمَلَّ حَـدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهْ(٣)

---

(١) الأجلة — جمع جل — ما يجعل على ظهر الدابة ؛ والملاغم ماحول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفى الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته فى الملاغم والملغم يشبه أن يكون مفعلا من لغام البعير — وهو زبده — سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابى : متى السير ؟ فقال : تلغموا بيوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإمعان فى قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) التاء — فى « تغيره وتزاحمه » — إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، فحذف الجار ونصب الضمير — على حد قولهم : أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً : أى ما أذوق فيهن — وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الغارة : واصباحاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل . وقيل فى معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكأنه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدى : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والمجان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد المتنبى رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعالى الأرض والهضاب كأنها فى ريشها ووقوفها تترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى مائلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواتب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرضاً .

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا ... سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهُ(١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدوره ؛ يقول ؛ ملت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلاطمه لكثرة وقعها عليه . هذا : وقد عاب ابن وكيع قوله تلاطمه ، قال : الملاطمة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَـــرَامٌ على أرماحنا طعنُ مُدبِرٍ ... وتندَقُّ منها في الصدور صُدورُها

وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفنيد لأبي الطيب حتى ليبالغ في ذلك .

(١) أي هناك سحاب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوي المخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثاني ، والتأنيث في الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير في الثاني : على اللفظ . جعل العقبان التي فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقي الأعلى إغرابا في الصنعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظلل الجيوش ويزحف تحتها سحاب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أي صحبة الطير للجيش — كثير في كلامهم ، قال الأفوه الأودي :

وترى الطير عـلى آثارنا ... رأْيَ عينٍ ثقةً أن ستُمارُ

« أي تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إذا ما غزَوْا بالجيشِ حلّقَ فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدِي بعصائبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تتأيّا الطـــيرُ غُدوتَه ... ثِقةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه(١)

وبيت المتنبي من قول أبي تمام :

وقد ظُلِّلَتْ عِقبان أعلامِهِ ضُحًى ... بعِقبانِ طـــيرٍ في الدِّماء نواهِلِ

أقامتْ مع الرّايَاتِ حتى كأنّهـــا ... من الجيش إلا أنها لم تقـــاتلِ

---

(١) تأيا الشيء : تعمد آيته : أي شخصه ، وقصده ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر قطع اللحم .

. . . .

هذا وقد أخبرنا العكبرى أن قوماً ممن هو مقصر فى معرفة تدقيق المعانى قد تعنتوا على المتنبي بأمرين : أولهما أن السحاب لا يسقى ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسق وإنما تستطعم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذى أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحابا فى الحقيقة فيمتنع إسقاؤه لما فوقه وإنما أقامه مقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرته وتزاحمه ، وغطاها كما يغطى السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك فى أشعارها ، ولما جعله سحابا جعله يستسقى فيسقى مع أن الطير لا تصيب من القتلى ما تصيبه وهى فى الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتلى فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب فى أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيما لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفى كلِّ حىٍّ قد خبطْتَ بنعمة فَحُقّ لشأسٍ من نَداكَ ذنوب[1]

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأسا فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المائحُ دَلْوى دونكا إنى رأيت الناس يَحمدونكا[2]

وهما لم يستسقيا ماء فى الحقيقة ، إنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

---

(١) خبطه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بعصاه ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهى فى الأصل الدلو المملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلقمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبى شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغسانى ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على المنذر بن ماء السماء اللخمى ملك الحيرة فقتله وقتل خلقا كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلا . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب فى الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصر حان مَشيب

(٢) الميح فى الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده يميح فيها بيده ، ويميح أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالمائح : هو الذى يملأ الدلو من أسفل البئر ، والماتح : المستقى من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المائح بإست الماتح ، تعنى أن الماتح فوق المائح ؛ فالمائح يرى الماتح ويرى إسته .

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ(١)
مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذِّئْبَ نَفْسُهُ ، وَلاَ حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهْ(٢)
فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لا يَرَى الْعِبْرَ عَائِمُهْ(٣)
غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلاَ وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ تَهْذِى طَمَاطِمُهْ(٤)

---

(١) صروف الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته . والمؤيد : القوى ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جعله مركوباً استعار له ظهراً وقوائم وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهالك : المفاوز ؛ ونصب « مهالك » كأنه أبدلها من « الصروف » وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صروف الدهر فى شىء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهالك لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعا ، ولو سلكها الغراب لم تصحبه قوادمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لهما « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهالك فغيرهما أعجز عن قطعهما ؛ وعبارة بعض الشراح : أراد بالمهالك — أى المفاوز — مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صروف الدهر . يقول : الصروف التى قطعتها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعا ولو سلكها الغراب لم يستطع قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بدراً فى الصباحة والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه بحراً فى العلم والسخاء لا يرى السابح فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذيا وهذيانا : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم : جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفصح ؛ قال عنترة :

تَأْوِى لَهُ قُلُصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ(١)

---

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً ... سَرَيْتُ وَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهْ(١)

لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مُعْلِماً ؛ ... فَلاَ المَجْدُ مُخْفِيهِ وَلاَ الضَّرْبُ ثَالِمُهْ(٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطماطم وطمطمانى ؛ وفى لسانه طمطمانية . وفى صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات الممدوح لا واصف لها مع كثرة طماطم الشعر — يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى — غضبت لأجله ، لقصور هؤلاء الشعراء عن بلوغ وصفه .

(١) يممت : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة سريت بالليل مشتملا بالظلام كأنى سر والليل يكتم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى

وطيَّكَ سراً لو تَكلفَ طيَّهُ ... دُجَى الليل عنا لم تسعه ضمائرُه

وقد نقله البحترى من قول قعنب بن ضمرة الغطفانى ، أحد شعراء الدولة الأموية :

سَرَينا به والليلُ داجٍ ظلامه ... فكان لنا قلباً وكنا له سِرّا

وقال الصاحب بن عباد — وقد نقله من المتنبى — :

تجشمته والليل وحفٌ جناحه ... كأنىَ سر والظلام ضمير(١)

(٢) قال الواحدى : يقول : هو سيف سله المجد ، يعنى أن الشرف ومعالى الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يغمده المجد ولا يثلمه الضرب لأنه ليس سيفاً من حديد يتثلم بالضرب : ونقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من « المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما — بفتح اللام — وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عي لا يفصح ... شبه الظليم فى سواده بهذا الراعى الحبشى وقلص النعام — أى صغارها — بإبل يمانية ، لأن السواد فى إبل اليمن أكثر ، وشبه أويها إليه بأوى الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالعى والعجمة ، لأن الظليم لا نطق له قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلا من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن من السحاب مالا يكون لغيره من البلدان فى السماء ، وربما نشأت سحابة فى وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه فى جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالحزق اليمانية : تلك السحائب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

عَلَى عاتِقِ المَلْكِ الأَغَــرِّ نِجَادُهُ ، وَفِى يَدِ جَبَّارِ السَّمٰوَاتِ قَائِمُهْ (١)
تُحَارِبُهُ الأَعْدَاءُ وَهْىَ عَبِيــدُهُ ، وَتَدَّخِرُ الأَمْوَالَ وَهْىَ غَنَائِمُهْ (٢)
وَيَسْتَــكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَادِمُهْ (٣)

يميز نفسه بعلامة فى الحرب ؛ قالوا يعنى هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللئام . ولـما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيـكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيـكون المراد المملـكة . والعاتق : موضع الرداء من المنـكب ؛ والأغر : الأبيض الـكريم ـ ضد اللئيم ـ ونجاد السيف : حمالته ؛ وقائمة : مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين ـ ويضرب الله به أعداءه ،فهو زين الخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق المملـكة نجاده يتزين به الملك فهو من الملك فى أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذى يمضيه فيه فى أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتنفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

لقد خابَ مَن أهدَى سوَيداء قلبه لِحَــــد سِنان فى يَدِ الله عامِله

وقد كرره المتنبى فى سيف الدولة بقوله :

فأنت حُسام الملكِ والله ضارب ، وأنتَ لواء الدينِ والله عاقــد

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبيهم فيسترقهم ويملك رقابهم. ويدخرون الأموال وهى غنائم له ، لأنه يحتويها بالإغارة عليها . هذا : وعبيدجمع عبد ـ مثل كلب وكليب ـ، وهو جمع عزيز ، وقد جاء فى جمع عبد : أعبد وعباد،وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أَنْسِبِ العبــدَ إلى آبائِهِ أَسوَدَ الجِــلدةِ من قوم عُبُدْ

وفى الجمع أيضاً : عبدان ـ بالـكسر ـ مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وتمران ، وعبدان مشددة الدال ـ . والعبدا والعبداء والمعبوداء والمعبدة : أسماء الجمع .وروى بدل عبيده : عتيده ـ بالتاء المثناة فوقها ـ والعتيد : الشىء الحاضر المهيأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت للشىء عتاده ؛ أى آلته .

(٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم



وَإِنَّ الَّذِى سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ ، وَإِنَّ الَّذِى سَمَّاهُ سَيْفًا لَظَالِمُهْ(١)
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهْ(٢)

***

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ(٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده فى أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الرءوس. ولزبات الزمان: شدائده، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاى . قال الجوهرى : أصابتهم لزبة : أى شدة وقحط ، والجمع لزبات ــ بالتسكين ــ لأنه صفة . يقول : إن الذى سماه عليا قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذى سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما الممدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الرءوس ولا يزيد ، ولكن هذا الممدوح يقطع رءوس الأبطال بحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهمام : الملك العظيم . والربى : جمع ربوة . يقول : أين أزمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربى لا بقاء له إلا بالغمام ، إذ لا شرب له إلا من مائه ، أما نبت غير الربى فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ؛ وهذا من قول الآخر :

نَحْنُ زَهرُ الرُّبَى وجودُكَ غيثٌ هَلْ بغـيرِ الغُيُوثِ يُونِقُ زَهرُ ؟

وعبارة العكبرى : أين أزمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من آنق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل فى قوله «كمثل جنة بربوة أصابها وابل» ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشده افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب



نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لهُ فِيــكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ(١)

فى سَبِيلِ العُلَى قِتَالُكَ وَالسِّلْــمُ وَهٰذَا المُقَامُ وَالإِجْــذَامُ(٢)

حاله به . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أدب لسؤاله ملكا جليلا بـ«أين أزمعت» قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبى فنن :

لعمرك إننى وأبا علــىّ كنبت الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام فى قربك فبخلت عليهم بك فحرمتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم فى القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويعشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحارَبنى فيه رَيْبُ الزمان كأن الزمان له عاشــق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جنى : اللام فى «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى « ردف لكم » أى ردفكم ، وقوله جل شأنه « إن كنتم للرؤيا تعبرون » وقول الشاعر :

أُريد لأنسى ذِكرها فكأنما تمثّلُ لى ليـلى بكل سبيل(١)

وقال ابن فورجه : يريد نحن من ضايقه الزمان ، فحذف الراجع إلى الموصول ، والهاء فى قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقهم الزمان لنفسه ولأجله فيك : أى لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيهم عمرو له : أى لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثان لـ«خان» ، يقال خان الزمان زيداً ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يصير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم فى حال اقترابهم منه .

(٢) الإجذام : الإسراع فى السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقَطيع فأجذَمتْ وقدخبّ آلُ الأمعَزِ المتوقّد(٢)

---

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن الملوح وقيل لجميل وتمثل ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى يتمثل وتتخيل ، وتراه فى قصيدة طويلة جميلة لكثير فى أمالى القالى .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطيع : السوط ، والإجذام الإسراع فى السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفى النهار ، والسراب : ما كان



لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ(١)

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدُ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ(٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسى .

وحَرّقَ قيْسٌ علىَّ البلاد حتى إذا اضطرمَتْ أجذما(١)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : قاتلت أو سالمت ؛ أقمت أو سرت ، فقصدك فى جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة أو جماداً ،ولا يحسن بالشاعرأن يمدح غيره بما هو وضع منه .فلايحسن أن تقول : ليتنى امرأتك فأخدمك .قال ابن جنى : طعن عليه قوم تعصبوا عليه فقالوا : الخيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها ، فأجاب عن ذلك نظماً فقال :

* لقد نسبوا الخيامَ إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : ليتنا نقيك الأذى ونتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل للمسير ، ويروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمى بمعنى الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال تأبط شراً :

* كثيرُ الهوَى شتّى النوى والمسالكِ(٢) *

نصف النهار ، والأمعز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خبب آل الأماكن التى اختلط تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس هو قيس بن زهير العبسى ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد العجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى « حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهمِّ يُصيبهُ

وقليل هنا بمعنى النفى .



وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ فى مُرَادِهَا الأَجْسَامُ[1]

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ، أو لأن المجد مقيم معك حيثما كنت ، كما قال أبو تمام :

كلما زرته وجَدْتَ لديه نَشَباً ظاعِناً ومجداً مُقيما

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

المجـــدُ صاحبُك الذى حالفتَه أبداً فرَوضتُه المريعـــةُ مرتعُكْ

فإذا رَحَلْتَ سريْتَ تحت ظلالهِ وإذا رَبَعْتَ ففى ذُرَاهُ مربعُـــكْ

« المريعة : الخصبة . وربعت : أقمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح الذال : أى كنفه » .

(١) يقول : إذا عظمت الهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها، وذلك أن الهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمنزلة الدون ، ولا تستريح أو تحصل على الرتب العالية ، كما قال العتابى :

وإن عليّاتِ الأمور مَشُــوبةٌ بمستودعاتٍ فى بُطون الأساودِ[1]

قال العكبرى : وبيت المتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فقـــالوا : ألاَ تلهو لتُدْركَ لذة ؟ فقلت : وكيف اللهوُ والهمُّ حاجزُ

ونفسى تُعـــانى أن تقيم مُرُوءتى على غايتى فى الجدِ والجهدُ عاجزُ

ومن قول أبى زرعة :

أهلُ مجدٍ لا يحفِـــلون إذا نا لوا جسيما أن تُنهكَ الأجســـامُ

ومن قول الحصنى :

نفسى مُوَكَّلةٌ بالمجـــد تطلبُه ومطلبُ المجد مقرونٌ به التلفُ

ومن قول ابن جابر :

إذا ما علا المَـــرْءُ رَامَ العُلى وَيَقْنَعُ بالدُّون مَنْ كان دُونا

---

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطلُعُ البُـــدُورُ عَلَيْنَا ... وَكَذَا تَقلَقُ البُحُورُ العِـظَامُ[1]
وَلَنـَـا عَادَةُ الجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـ ... ـرِ لَوَ أنَّا سِـوَى نَوَاكَ نُسَامُ[2]
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْـهُ حِمَامٌ ... كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ[3]

ومن قول أبى تمام :

فعلِمْنَا أنْ ليسَ إلاَّ بِشقِّ النَّفْـ ... ـسِ صارَ الكَرِيمُ يُدْعى كَرِيمَا
طَلَبُ المجدِ يورِثُ النَّفسَ خَبْلاً ... وهُمُوماً تُقَضْقِضُ الحيزُوماَ[1]

وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فيامن يكدُّ النَّفسَ فى طلبِ العُلى ... إذا كَبُرَتْ نفسُ الفتى طال شُغْـلُهُ

(١) يقول : كذا ديدن البدر : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر يموج ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعنى أنك بدر وبحر ، فعادتك عادتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لوكلفنا غير فراقك . لصبرنا صبراً جميلا كما هى عادتنا فى الصبر على المحن، بيد أنه لا صبر لنا فى بعدك ولا طاقة لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام:

والصبرُ يحسُن فى المواطِنِ كلِّهـا ... إلاَّ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَـــذْمُومُ

(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام — الموت — سواء ، وكل شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنغص عيشه بعده ، وإظلام أيامه بفراقه ، هذا : وقوله مالم تكنها : على حد بيت أبى الأسود :

دَعِ الخمرَ يشربْهَا الغواةُ فإننى ... رأيتُ أخاها مُغنيًا بمكانها
فإلاَّ يَكُنْها أو تكُنْهُ فإنه ... أخوها غذَته أمه بِلِبانهـــا[2]

---

(١) الخبل : الفساد ، فى الأصل ، والمراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضقض: تكسر وتحطم .

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه — بكسر اللام — ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على مذهب العراقيين فى الأنبذة ، وحض على شربه وترك الخمر بينها ، للاجماع على تحريمها، وجعل الزبيب أخا الخمر لأن أصلها الكرمة؛ واستعار اللبان لما ذكر من الإخوة.

أَزِلِ الْوَحْشَـــةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا   مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ[(١)]
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْـــبِ   كَأَنَّ الْقِتَــالَ فِيهَا ذِمَامُ[(٢)]
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى   تَتَـــلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ[(٣)]
وَإِذَا حَــلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ   فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَــرَامُ[(٤)]
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ ،   وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ[(٥)]

والأجود : تكن إياها .

(١) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شىء فيهلكه ويذهب به . يقول : أقم عندنا لتنفى الوحشة عنا يامن يأنس بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش بمكانه ، فهم وإن كثروا يأنسون بك ، ويتشجعون على لقاء الأهوال ثقة بشجاعتك.

(٢) الذى : عطف على من — فى البيت السابق — والوغى : الحرب . والذمام : العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبى تمام :

مُتَسرِّعين إلى الحتوفِ كأنما   بين الحتوفِ وبينهم أرحامُ

(٣) الكتيبة : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذى يكون على اللهاة ، وهو مركب الرأس فى العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول: والذى يضرب الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته ، فلا تلم به الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جدب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة إذا نزل ببلد أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه ببركته .

(٥) والذى : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثانى من البيت السابق . يقول : والذى تنبته بلاد ذلك المكان الذى تحل به سرور ، والذى تمطره سماؤها مدام — خمر — أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحل به ، ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومٍ بالمطيرة أمطرتنا   سماءٌ صوبُ وابلِها العُقارُ[(١)]

---

(١) المطيرة : قرية من نواحى سامراء ، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء : قال البلاذرى : إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون ، والعقار : الخمر .



كُلَّمَا قِيـــلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا
كَرَماً مَا اهْتَــدَتْ إِلَيْهِ الْـكِرَامُ (١)

وَكِفَاحاً تَـكِعُّ عَنْهُ الأَعَادِى ... وَارْتِيَاحاً يَحَارُ فِيــهِ الأَنَامُ (٢)

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّلِ سَـيْفُ الدَّ ... وْلَةِ الْمَلْكِ فى الْقُلُوبِ حُسَامُ (٣)

فَـكَثِيرٌ مِنَ الشُّـجَاعِ التَّوَقِّى ... وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّـلَامُ (٤)

* * *

وقال يمدحه أيضاً :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ ... وَمِنِ ارْتِيَاحِكَ فى غَمَامٍ دَائِمِ (٥)

---

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية فى الكرم أبدع كرما لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طلوبٌ لأقصى غايةٍ بعد غايةٍ ... إذا قيلَ يوماً قد تناهى تزيَّدَا

(٢) تكع : تجبن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع ـ بكسر الكاف ـ فهو كع وكاع : أى لا يمضى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكص على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ،فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حياة أبى طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف. يقول :وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيبته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الاعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبى دلف :

ويصولُ الإمامُ فى حيثما صا ... لَ وفى صولةِ الإمام الحِمامُ

(٤) يقول : إن توقاه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير، والبليغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيبته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للعطاء. يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للعطاء فى غمام لا يقلع مطره .



وَمِنِ احْتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُو بِهِ ؛ فِيمَا أُلَاحِظُهُ بِعَيْنَىْ حَالِمِ [1]
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلَاكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ [2]
وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتِمِ [3]
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِى مَعْرَكٍ هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ [4]
أَبْدَى سَخَاؤُكَ عَجْزَ كُلِّ مُشَمِّرٍ فِى وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ [5]

***

(١) تحبوبه : تسخو به . و «ما» فى قوله «فيما ألاحظه» نكرة ، وليست موصولة، كأنه قال فى شيء ألاحظه ، والظرف معطوف على الخبر — فى البيت السابق — . يقول : إننى أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ، ومن ثم أرى نفسى كأننى لا أعاينه فى اليقظة وإنما أراه حلما . وبعبارة أخرى : لاحتقارك ما تعطيه — على كثرته — أرى نفسى فى حال كأنى أبصرها فى النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك فى اليقظة .

(٢) الهاء فى «سيفها» : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم: القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لاينبو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفل عزمك .

(٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تختم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يترفع به الخليفة .

(٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقته : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .

(٥) المشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرته يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكلٌّ من أبدع فى وصفهِ أصبح منسوباً إلى العِيِّ

ومن كتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويعلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .



وقال يمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميّافارقين فى خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمـــانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِـيبُ الْمُقَدَّمُ ... أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ (١)

لَحُـبُّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ ... بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ (٢)

أَطَعْتُ الْغَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِرِى ... إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)

تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فى أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ (٤)

---

(١) النسيب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبيب النار وتأريثها . والمتيم : الذى استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب فى أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أ كل فصيح يقول الشعر متيم بالحب حتى يبدأ بالنسيب ؟ يعنى ليس الأمر على هذا ، فلا تجارهم فى هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجميل يكون به بدؤه وختامه ، يعنى لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجميل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحب من النساء اللائى ينسب بهن الشعراء .

(٣) الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة . وطمح بصره إليه: ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، فحذف للعلم : يقول : كنت أرغب فى النساء قبل التقائى بسيف الدولة ، وتطمح عينى إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا النظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعبارة العكبرى : أطعت الغوانى فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصرى إلى مملكة هذا الممدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند شأنها وقال ابن جنى : المعنى : كنت متيما بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : يعنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير: وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن المعالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض ـ جانب ـ . التطبيق : أن يصيب

فجَازَ لَهُ حتّى عَلَى الشّمسِ حُكْمُهُ ... وَبانَ لَهُ حتّى عَلَى البَدْرِ مِيْسَمُ[1]

كأنّ العِدَا فى أرْضِهِمْ خُلفَاؤُهُ ؛ ... فَإنْ شاءَ حازُوهَا وَإنْ شاءَ سَلّمُوا[2]

وَلاَ كُتُبَ إلاّ المَشْرَفيّةُ عِنْدَهُ ... وَلاَ رُسُلٌ إلاّ الخَميسُ العَرَمْرَمُ[3]

فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ[4]

للفصل فى الضرب ؛ والتصميم : أن يمضى السيف فى الضريبة . يقول أتى الدهر عن عرض فذلله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جعله سيفا ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذى إذا أصاب المفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً فى الضريبة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يعسر عليه ما أراد ، كما قال فى البيت التالى .

(١) يقول : فحكمه جائز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أى أنه أحسن منه ، فالميسم الحسن[1] وهذ ما ذهب إليه ابن جنى ، وقال العروضى : إن جاز أخذ الميسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقا للمصراع الأول . يقول : كل شىء موسوم بأنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار بالميسم على البدر إلى مافى وجهه من السواد الذى هو أثر المحو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأنهم خلفاؤه ؛ حيثما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا ممالكهم إليه . والمعنى : أن أعاديه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والهاء فى « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل ظريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف — كظريفة وظرائف —

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفيه رسلا غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعنى أنه لاقتداره لا يعمد فى إخضاعهم إلى الملاينة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل فى هذا نظراً إلى قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتبِ ... فى حدهِ الحدُّ بين الجِدِ واللعبِ

(٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

---

(١) قال عمرو بن كلثوم فى معلقته .

ظعائنَ من بنى جُشَمِ بن بكر ... خلطن بميسَمٍ حَسَباً ودِينا



وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمائِهِ عُـــودُ مِنْبَرٍ ... وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ (١)

ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسامَيْنِ ضَـيِّقٌ ... بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجاعَيْنِ مُظْـلِمُ (٢)

تُبَارِى نُجُومَ الْقَذْفِ فى كُلِّ لَيْـلَةٍ ... نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَـــمُ (٣)

يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لاَ حَمَلْنَهُ ، ... وَمِنْ قِصَـدِ الْمُرَّانِ مَالاَ يُقَوَّمُ (٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ سمى كذلك لارتفاعه وعلوه ــ من نبرت الشىء أنبره نبرا : رفعته ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسى معرب ؛ وأصله دنّار ــ بالتشديد ــ بدليل قولهم : دنانير ودنينير ؛ فقلبت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التى تجىء على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذاباً » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة ــ القصير ــ لأنه أمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديباج وأصله دباج ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قديما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والنزال ؛ فيضرب قرنه مكافحة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفيهما ؛ وإذا ستر الغبار ــ غبار الحرب ــ نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطىء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى «وما بين الشجاعين مظلم» أنهما وقعا فى أمر عظيم؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بينى وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هى التى ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحوراً » ونجوم الممدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة فى الهواء ؛ فى السرعة والشدة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ فى الظلام ببريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغراق الكواكب ؛ فهى تسير فى الأرض كما تسير الكواكب فى السماء

(٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالان من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعنى أبطال



فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ فى البَرِّ عُسَّلٌ ، وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ فى المَاءِ عُوَّمُ (١)

وَهُنَّ مَعَ الغِزلَانِ فى الوَادِ كُمَّنٌ ، وَهُنَّ مَعَ العِقْبَانِ فى النِّيقِ حُوَّمُ (٢)

إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الوَشِيجَ فَإِنَّهُ بِهِنَّ وَفى لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ (٣)

بِغُرَّتِهِ فى الحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالحِجَا ، وَبَذْلِ اللُّهَا وَالحَمْدِ وَالمَجْدِ مُعْلَمُ (٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التى لا يمكن تقويمها لتكسرها ، وهذا من قول الحصين بن الحام المرى :

يَطأن من القتلى ومن قِصَدِ القَنا خَباراً فما يَجْـرِين إلا تجشما

« الخبار : الأرض الرخوة ، تتعتع فيها الدواب ، وفى المثل : من تجنب الخبار أمن العثار » .

هذا . وقوله «من لا حملنه» أراد ما حملنه ، لأن « لا » لا تدخل على الماضى إلا مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عاسل — من عسلان الذئب ، وهو الإسراع والاضطراب فى الجرى — والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول : إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهى تعدو مع الذئاب فى البر وتعوم مع الحيتان فى البحر ، حين تقصد أعاديه .

(٢) فى الواد : يريد فى الوادى ، فاجتزأ عن الياء بالكسرة وكمن : جمع كامن — من كمن : إذا اختفى — والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع فى الجبل . والحوم : جمع حائم — من حومان الطير ، وهو دورانها — يقول : إن خيله تكمن مع الغزلان فى الأودية التى فيها كناسها ، يعنى إذا كمنت للعدو أو هبطت فى الأودية فكمنت فلم تظهر ، وتقتحم على الأعداء رءوس الجبال مع العقبان التى فيها وكورها والحاصل أن الممدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر . فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يمتنع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه فى مقاصده

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله — أى بأيدى فرسانها فى الطعن — ويتكسر تارة فى صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع الممدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) بغرته : متعلق بمعلم — آخر البيت — والمراد بغرته : وجهه . والحجى : العقل . واللهى : العطايا ، جمع لهية . والمعلم : الذى جعل لنفسه فى الحرب علامة يعرف بها ، يقول : هو معلم بوجهه فى هذه الأشياء : أى أنه معروف يعرف بوجهه ، فكأنه معلم



يُقِرُّ لَهُ بِالفَضْلِ مَنْ لاَ يَوَدُّهُ ،
وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لاَ يُنَجِّمُ (١)

أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ (٢)

ضَلاَلاً لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَدْياً لِهَذَا السَّيْلِ مَاذَا يُؤَمِّمُ (٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الوَبْلُ الَّذِي رَامَ ثَنْيَنَا فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الحَدِيدُ المُثَلَّمُ (٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا فى رواية معلم — بفتح اللام — ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدته وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء موصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسالم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرهم : قبيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرهم — على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول — فى أن يستنقذهم من يد العدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال :

* بكرْنَ ضراً وبكرت تنفعُ *

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى الممدوح بالجود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه . وقوله ماذا يؤمم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى

(٤) الوبل : المطر الغزير . وثنينا : أى صرفنا ؛ ويخبره — بالنصب — لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيوف التى ثلمتها وقالمك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضا على صرفك .



وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحابُ بِصَوْبِهِ
تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْباً وَأَكْرَمُ (١)

فَبَاشَرَ وَجْهاً طَالَمَا بَاشَرَ القَنَا وَبَلَّ ثِيَاباً طَالَمَا بَلَّهَا الدَّمُ (٢)

تَلاكَ وَبَعْضُ الغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَهُ مِنَ الشَّأْمِ يَتْلُو الحَاذِقَ المُتَعَلِّمُ (٣)

فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الخَيْلُ قَبْرَهَا وَجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ (٤)

وَلَمَّا عَرَضْتَ الجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ عَلَى الفَارِسِ المُرْخَى الذُّؤَابَةَ مِنْهُمُ (٥)

حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الخَيْلِ أَيْهَمُ (٦)

---

(١) بصوبه : أى بما ينسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان : أى أرفع منه قدراً وأصله فى المتصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول : لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفا وأوسع كرما .

(٢) باشره : تولاه بنفسه . والقنا : الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجها طالما باشر الرماح فلم تنل منه ، وبل ثيابا طالما بلتها دماء القتلى فلم يثنه بللها ، فكيف يهاب وقع المطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويخشى الماء من لم يخش الدماء ؟

(٣) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك الغيث وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضا ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم الشىء يتبع من حذقه :

(٤) جشمه الشىء : كلفه إياه فتجشمه ، والذى : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها : أى هو يشتاق قبرها كما تشتاقه .

(٥) الذؤابة — فى الأصل — الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذؤابة : سيف الدولة . وإرخاء الذؤابة : كناية عن كونه معتما ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول: لما عرضت الجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .

(٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضا . والطود : الجبل . والأيهم : الذى لا يهتدى فيه : يقال بر أيهم وفلاة يهماء . جعل كثرة التجافيف حوله بحرا مائجا ، وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طوداً عظيما ؛ يعنى أن حوله من بريق الاسلحة ولمعان التجافيف ما يشبه البحر



تَساوَتْ بِهِ الأَقْطارُ حَتّى كَأَنَّهُ ... يُجَمِّعُ أَشْتاتَ الجِبالِ وَيَنْظِمُ[١]

وَكُلُّ فَتىً لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ... مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ[٢]

يَمُدُّ يَدَيْهِ في المُفاضَةِ ضَيْغَمٌ ... وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ[٣]

بكثرته ، ويحكيه ببريق جملته يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جعله التجافيف بحراً يسير به من الخيل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال فملأ فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها المتفرقة ، ونظم بعضها إلى بعض ؛ وعبارة ابن جنى : تحيط خيله بالجبال وهى كالجبل ، فكأن جيشه يؤلف بينها لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَغِيبُ الشَّواهِقُ في جَيْشِهِ ... وَتَبْدُو صِغاراً إِذا لَمْ تَغِبْ

وقال الواحدى : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحى الأرض . وقال ابن الأفليلى – على رواية الأقتار بدل الأقطار – : الأقتار : الغبار : يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى الرهج فى السهل والوعر ، وفى الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير كأنها فى ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يَظَلُّ بِهِ الفَضاءُ مُعَضَّلاً ... يَدَعُ الإِكامَ كَأَنَّهُنَّ صَحارِ[١]

(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحوله فتيان على وجوههم آثار الضرب والطعن يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطعن إعجاما لذلك السطر ، لندور جراحته فهى كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كَتَبَتْ أَوْجُهَهُمْ مَشْقاً وَنَمْنَمَةً ... ضَرْباً وَطَعْناً يُقِيتُ الهامَ وَالصُّلُفا

كِتابَةً لا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَداً ... وَما خَطَطْتَ بِها لاماً وَلا أَلِفا[١]

(٣) المفاضة : الدرع الواسعة؛ والضيغم: الأسد ؛ والتريكة : البيضة من الحديد ؛

---

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الرابية ؛ وصحار : جمع صحراء .

(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف ؛ والمشق : مدالحروف؛والنمنمة: النقش ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتا له ؛والهام : الرءوس ؛والصلف بضمتين جمع صليف : عرض العنق ؛ وهما صليفان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا ... وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسِّلَاحُ الْمُسَمَّمُ (١)

وَأَدَّبَهَا طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ ... يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ (٢)

تُجَاوِبُهُ فِعْلاً وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى ... وَيُسْمِعُهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ (٣)

تُجَانِفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا ... تَرِقُّ لِمَيَّافَارِقِينَ وَتَرْحَمُ (٤)

تشبيها بالتريكة وهى : بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فتركت . والأرقم : الحية الذكر ؛ والضمير فى يديه وعينيه : الفتى ؛ وضيغم فاعل عد ؛ وأراد عد يديه منه ضيغم فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد . وقوله وعينيه: أى ويفتح عينيه منه أرقم ؛ وهذا من باب « علفتها تبنا وماء باردآ »يقول: إن هذا الفتى فى الشجاعة كالأسد ؛ وفى حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم ؛فإذا مد يديه فى الدرع فقد مدهما أسد؛ وإذا مد عينيه من تحت الخوذة فقد مدهما أرقم .

(١) الضمير فى « كأجناسها » : الخيل ؛ والشعار : العلامة فى الحرب . والمسمم : الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عربية وكل ما معها من الرايات والسلاح والملابس عربى كذلك .

(٢) الطرف : النظر ، والضمير فى « طرفه » للفارس ، وإن لم يجر له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب . يقول : وأدب هذه الخيل طول تمرسها بالقتال والتقلب فى شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته.

(٣) الوحى : الصوت الخفى ، وفعلا ولحظا : منصوبان على نزع الخافض ، والواو بعدها : للحال . يقول : إن هذه الخيل ـ لأدبها ـ تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته ، ويفهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم ، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق:

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ ... بِرِحَالِهَا لِرَوَاحِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ

إِذْ نَحْنُ نَسْتَرِقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا ... مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

وَكَذَاكَ نُخْبِرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا ... مَا فِى النُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمِ

(٤) التجانف : الميل ، وفى التنزيل : «فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم » أى مائل ، وقال الأعشى :

تجانَفُ عن جَـو اليمامَةِ ناقتى ... وما عدلَتْ من أهلِها لِسَوائِكا

وميافارقين : بلد من أعمال ديار بكر ، يقول : إن خيلك تميل عن ميافارقين رحمة لها ، لأن فيها قبر والدته ، وخشية أن تدوسها بحوافرها لو هى سارت بجانبها .



وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً ... دَرَتْ أَيُّ سُورَيْهَا الضَّعِيفُ الْمُهَدَّمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ ... مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميافارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميافارقين الخيل بجدرها — وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب — يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت — علمت — ميافارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سوراً ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا — قديما — هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علمت ضعفها ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لنعلم أى الحزبين أحصى »، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة الموضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ« درت »؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سوريها » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخميص الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستميت فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم ليأكل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس — يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضمره كأنه ليس له غذاء ولا شرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيص :

لَمَا فِى الْوَغَى زِىُّ الْفَوارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ[(١)]
وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ أَحْزَمُ[(٢)]

أكل الوجيفُ لحومَها ولحومَهم فأتوكَ أنقاضا على أنْقاضِ[(١)]

(١) الوغى : الحرب . والحصان : الذكر من الخيل . والدارع : ذو الدرع . يقول : إن لهذه الخيل فى الحرب زى فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكل فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه الن الحديد .
(٢) يقول : لم يتحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها ، ضنا بنفوسهم أن تنالها أسنة الرماح ، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل ، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله ، وتلك فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ،
روى أن كثيراً أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أبى العَاصِى دلاصٌ حَصِينَة أجادَ المسَدِّى سَرْدَهَا وَأَذالَهَا
يَئُودُ ضَئِيلَ القَومِ حملُ قتيرها وَيستضلع القَرمُ الأشمُّ احتمالها[(٢)]

فقال له عند الملك : هلا مدحتنى كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وإذا تكونُ كَتِيبةٌ مَلْمُومَة خرساء يُغشِى الرائدون نهالها
كُنتَ المقدَّم غيرَ لابسِ جُنَّةٍ بالسَّيفِ تقتلُ مُعلمًا أبطالها ؟[(٣)]

(١) الوجيف : ضرب من السير سريع .
(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها :

أحاطت يَداهُ بالخلافة بعدَ ما أرادَ رجال آخرون اغتيالها
وإن أمــير المؤمنين هو الذى غزا كامِناتِ الود منى فنالها
تبلج لمـا جئت واهتز ضاحكا وَبلَّ وسالاتى إليــه بلالها

وقوله وأذالهـا : أى أطالها .
(٣) ملمومة : كململة : مجتمعة ، وخرساء أى لايسمع لدروعها صوت للينها ، ونهالها عطاشها : أى يغشى القائدون عطاشها الأعداء وفى رواية يخشى ، وجنة ـ بالضم ـ الدرع ، وكل ما وقاك فهى جنة ؛ معلما ـ بكسر اللام وفتحها ـ من أعلم الفارس نفسه : أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه . والبيتان من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الكندى .

أَتَحْسِبُ بِيضُ الهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا ... وَأَنَّكَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَاتَتَوَهَّمُ(١)

إِذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا ... مِنَ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ(٢)

وَلَمْ نَرَ مَلْكاً قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ ... فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ(٣)

أَخَذْتَ عَلَى الأَعْدَاءِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... مِنَ العَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ(٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد المتنبي بالشر الأول شر الأعداء وماجاءوا به من العدد والأسلحة ، وبالثاني ماعارضوهم بمثله، وسماه شرا المقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أتظن السيوف ـ لأنك سميت سيفا ـ أنها تشاركك في الأصل وأنك من جملتها ، ساء هذا الوهم وهما : يعني : أنك وإن سميت سيفا فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنا وأعظم أصلا رغم جلالتها ورفعتها ونفاذها وهيبتها . فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز في مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفا خلنا ـ حسبنا ـ سيوفنا تتكبر وتعجب بأن صرت لها سميا فهي تتبسم في أغمادها تيها ـ كبرا وفخرا ـ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

تَتِيهُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ المنيرُ ... إِذَا قُلْنَا كأنهما الأَمِيرُ

قال العكبري : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معاني الشعر وقال : قد وضع الشيء في غير موضعه حيث قال تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه المتكبر ، وإنما يكون التبسم من المرح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من المعجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثارا لما عنده واستقلالا لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكأن السيوف تبسمت إعجابا بنفسها لمشاركة للمدوح لها في التسمية ، ففخرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أي بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكا يلقب بدون مايستحق فيرضى بذلك ومحله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثنية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلاَ مَـــوْتَ إلاَّ مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلاَ رِزْقَ إلاَّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ[١]

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة ـ وأنشدها فى محفل من العرب ـ وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لا يحب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَـــبِمُ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ[٢]

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، وتحرم من تشاء لأنك ملك فى يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبى العتاهية :

فَمَا آفَةُ الآجَالِ غَيْرُكَ فى الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِـكَا

(٢) الشبم : البارد . والشبم : البرد ؛ وقد شبم الماء ـ بالكسر ـ فهو شبم، ومطر شبم ، وغداة ذات شبم ، وقيل لابنة الخس[١] ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سنمة ، فى غداة شبمة ، بشفار خذمة ، فى قدور هزمة . أرادت فى غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطعة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشبم : الذى يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِعَيْنَيْ قُطَامِيٍّ نَمَا فوقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَبِماً يَنْقَضُّ بين المَجَارِسِ[٢]

يقول : واحر قلبي واحتراقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل علي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده فى . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلبا للخفة ، والعرب تفعل ذلك فى النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها فى الوصل كما تثبت فى الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب فى ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

---

(١) الخس : رجل من إياد، وابنة الخس : الإيادية التى جاءت عنها الأمثال، واسمها هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامى ـ بضم القاف وفتحها ـ الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو المشتهى اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تعسس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .



مَالِي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي ... وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ(١)

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ ... فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ(٢)

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ(٣)

فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ ... وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيَمُ(٤)

فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ ... فِي طَيِّهِ أَسَفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ(٥)

وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَا ... هُ وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرّ(١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .

(١) براه : أنحله وأضناه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذى برح بى وأسقمنى ، وأعين على نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الغرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعنى وغيرى أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة فى حبه ، فليتنا نقتسم فواصله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيبا من غيرى ، لأنى أوفر حبا من غيرى . وقال ابن جنى : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لغرته ، فليت أنا نقتسم بره كما نقتسم حبه .

(٣) والسيوف دم : أى مخضبة بالدم . يقول : إنه خدمه فى حالى السلم والحرب .

(٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة والخلق . يقول إنه كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن مافيه ، وإنما المرء خلقه .

(٥) يممته : قصدته . والأسف : الحزن . يقول : ــ وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته ــ : فوت العدو الذى قصدته ففاتك ، بأن فرمنك لاستحكام جزعه ، ظفر حيث فر منك ، فكأنك ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف حين لم تدركه فتقتله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

---

(١) قولهم ياهناه : أى يارجل ، لا تستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر



قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ
لَكَ الْمَهَابَةُ مَالاَ تَصْنَعُ الْبُهَمُ(١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُهَا أَنْ لاَ يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلاَ عَلَمُ(٢)

أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فَانْثَنَى هَرَبًا تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهِمَمُ(٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا(٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ(٥)

---

(١) البهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للجيش بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جنى : البهمة فى الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكماة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شئ مبهم يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك فى شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك مالا تصنعه عسا كرك الشجعان ، يعنى أن مهابتك فى قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يواريهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئا لم يكن ليلزمها ، وذلك رغبتك فى أن لا يوارى أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإباؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفى غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانثنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلما طلبت جيشا فارتد هاربا منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) المعترك : ملتقى الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك فى مجال الحرب والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالهرب إشفاقا منك وخوفا من لقائك فلم نظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللمم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالمنكب يقول ليس يحلو لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وشعورهم .



يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ(١)

أُعِيــــذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً
أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ(٢)

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ(٣)

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ(٤)

---

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتنى فإن عدلك لا يشملنى ؛ وفيك خصامى وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحاكمك إلى غيرك ، وإنما أستعدى عليك حكمك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جنى : هذه شكوى مفرطة لأنه قال فى موضع آخر :

وما يُوجِعُ الحِرْمانُ مِنْ كفِّ حارمٍ كما يُوجع الحِرْمانُ من كف رازق

وإذا كان عدلا فى الناس كلهم إلا فى معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٢) قال ابن جنى : سألته — أى المتنبى — عن الهاء « فى أعيذها » على أى شىء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش فى قوله تعالى « فإنها لا تعمى الأبصار » فقال : الهاء راجعة إلى الأبصار وغيره من النحويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر الهاء بالنظرات ، ونظرات — كما قال التبريزى — فى موضع نصب على التميز : أى من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى شىء عرفته على ماهو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شحما . وهذا مثل ، يقول : لاتظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له فى بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بينى وبين غيرى ممن لم يبلغ درجتى كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بينى وبين غيرى ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغى أن يستويا فى عين البصير .

(٤) يقول : إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعرى ، يعنى : أن شعره سار فى آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه ، فكأن الأعمى رآه لتحققه عنده ؛ وكأن الأصم سمعه . وكان المعرى إذا أنشدهذا البيت يقول : أنا الأعمى .

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِى عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ (١)

وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِى جَهْلِهِ ضَحِكِى ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ (٢)

---

(١) الشوارد : سوائر الأشعار ــ من قولهم شرد البعير : إذا نفر ــ والضمير فى « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جنى : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التى هى اللفظة الواحدة ، وهذا أشد فى المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة . وملء جفونى موضع المصدر : أى أنام نوماً ملء جفونى . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلالك ، ومن جللك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسْمِ دارٍ وَقفتُ فى طَلَلِهْ ... كِدْتُ أَقْضِى الْغَدَاةَ من جَلَلِهْ

[أى من أجله . وقيل من جللك : من عظمك فى عينى . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيما بعدها مضمرة] وأنشد الكسائى على قولهم : فعلته من جلالك ــ أى من أجلك ــ قول كثير :

حَيائِىَ مِنْ أسماء والْخَرقُ بَيننا ... وإكرامِىَ القَوْمَ العِدَا من جَلالها

[الخرق : البعد] ووحد الضمير فى « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملء جفونى عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها متى شئت بسهولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدى : ومعنى الاختصام اجتذاب الشىء من النواحى والزوايا مأخوذ من الخصم، وهو طرف الوعاء(١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويجتلبونها استكراهاً .

(٢) مده : أمهله وطول له . وأصل الفرس: دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراسا.

---

(١) جاء فى اللسان : الخصم ــ بالضم ــ جانب العدل وزاويته ، يقال للمتاع إذا وقع فى جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع فى خصم الوعاء وفى زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السحابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحاباً :

إذا طَعَنَت فيه الْجَنُوبُ تحامَلَتْ ... بأعجاز جرّار تَدَاعى خصومها

أى تجاوب جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجرار : الثقيل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أواخره خصومها : أى جوانبها

فَطَرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ (١)

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ (٢)

رِجْلاَهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ (٣)

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ (٤)

فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ (٥)

يقول : رب جاهل خدعته مجاملتي ، وتركه في جهله ـ خرقه ـ ضحكي منه حتى افترسته وبطشت به بعد زمان : يعني أنه يغضي عن الجاهل ويحلم إلى أن يجازيه ويعصف به .

(١) يقول : إذا كشر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسما بل قصداً للافتراس . يريد أنه وإن أبدى بشره وتبسمه للجاهل ، فليس ذلك رضا عنه ، وفي مثل هذا يقول : أبو تمام :

قَدْ قَلَّصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ ... فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمَا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتي : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والجملة صفة لمهجة والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : مالا يحل انتهاكه يقول رب مهجة همة صاحبها مهجتي أي قتلي وإهلاكي أدركت هذه المهجة بفرس من ركبه أمن من أن يلحق ، فكأن ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه في الركض كأن رجليه رجل واحدة لأنه يرفعهما معاً ويضعهما معاً ، وكذلك يداه ـ ويسمى هذا الجرى النقال والمناقلة ـ ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أي أن جريه يغنيك عن تحريك اليد بالسوط والرجل بالاستحثاث ؛ وقال ابن الأفليلي : وفعله في السرعة ما تريد القدم التي بها يستعجل وفي المؤاتاة والموافقة ما تريد الكف التي بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن جني : بين الموجتين : أراد موجي الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما في بعض . يقول : ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه وتضطرب .

(٥) البيداء : الفلاة ؛ وتعرفني : يروى تشهد لي ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبْتُ فِي الفَلَوَاتِ الوَحْشَ مُنْفَرِداً ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي القُورُ وَالأَكَمُ (١)

الضرب والطعن وروى الواحدى : والحرب والضرب. يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سراى فيه وطول ادراعى له ، والخيل تعرفنى لتقدمى فى فروسيتها ، والبيداء تعرفنى لمداومتى قطعها واستسهالى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما، والقراطيس تشهد لإحاطتى بما فيها ، والقلم عالم بإبداعى فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطس كله الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لمخش العقيلى يصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كتب فى قرطاس :

كَأَنَّ بِحَيْثُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلُهَا ... مَخَطَّ زَبُورٍ مِنْ دَوَاةٍ وَقِرْطَسِ

(١) الفلوات : القفار ، والقور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء، والقور أيضا : أصاغر الجبال ؛ وأعاظم الآكام — جمع أكمة — قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدار بأعلى ذِى القُورْ ... قد دَرَسَتْ غَيرَ رَمَادٍ مَكْفُورْ

مُكْتَئِبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ ممطورْ ... أزمانَ عَيْناهُ سُرُورُ المسْرُورْ (١)

والقور : يروى القوز — بفتح القاف وبالزاى — وهو الكثيب الصغير ، وجمعه أقواز وقيزان . قال ذو الرمة :

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أقوازَ مُشْرِفٍ ... شمالا وَعن أيمانِهِنَّ الفَوارِسُ (٢)

ويروى : الغور ، وهو المطئن من الأرض ، والأكم : جمع أكمة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيوانها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة ما تلقانى وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور. وقوله قد درست غير رماد مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره . وقوله مكتئب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب ، ومروح أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناه مبتدأ وسرور المسرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناه سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتنكبه ، ومشرف والفوارس: موضعان يقول : نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين .



يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ‌ ‌ وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ(١)

مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ‌ ‌ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ(٢)

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ‌ ‌ فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ(٣)

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ ‌ ‌ إِنَّ المَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ(٤)

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ ‌ ‌ وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ(٥)

---

(١) يقول : يامن يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدانه عدم ، يعنى لا يغنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٢) ما أخلقه بكذا وأقمنه وأجدره وأحراه وأولاه : بمعنى ، وأمم قريب يقول : يقول : ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم ! يعنى لو تقارب مابيننا بالحب لكرمتمونا ، لأنا أهل للتكرمة .

(٣) يقول : إن سررتم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما ، لأن كل سرورنا فى سرورنا فى سروركم ورضانا فى رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهَجْرِكِ لَمَّا عَلِمْـتُ أَنَّ لِقَلْبِكِ فِيهِ سُرُورَا

وَلَوْلَا سُرُورُكِ مَا سَرَّنِى ‌ ‌ وَلَا كُنْتُ يوماً عَلَيْهِ صَبُورا

لِأَنِّى أَرَى كُلَّ ما سَاءَنِى ‌ ‌ إِذَا كَانَ يُرْضِيكِ سهلا يسيرا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رعيتم ذاك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعتنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها .

(٥) يقول : كم تحاولون أن تجدوا لى عيبا تعيبوننا وتتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتى فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفونى منكم وتكافئونى بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

ما أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثُّرَيَّا وَذانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ[(١)]

لَيْتَ الْغَمامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ[(٢)]

أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ[(٣)]

---

(١) وذان : أى العيب والنقصان يقول : إن بعد ما بينى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحقنى العيب والنقصان.

(٢) الغمام : السحاب . والصواعق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصواعق مهلكة وهى التى تكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى المرجوة من الغمام ، فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام والذى تصيبنى صواعقه – يعنى أذاه وسخطه – ويصيب غيرى مطره – يعنى بره ورضاه – يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هـذا الدهرُ أقصرَ شرُّهُ كما قصرَت عنا لُهاهُ وَنائِله[(١)]

ومثله قول ابن الرومى :

أعنـــدىَ تَنقَضُ الصواعِقِ منكما
وَعِند ذَوِى الـكُفرِ الحيا والثرى الجَعْدُ[(٢)]

وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناسِ سُقْيا سَمائِكم فحظى وَميض البَرْقِ أوْ زَجَلُ الرعدِ

وأخذه السرى الرفاء فقال :

وأنا الفِـــداه لمن مَخيلةُ برقِهِ حظِّى وحظ سِـوَاى من أنوائه

(٣) النوى : البعد . وتقتضينى : أى تطالبنى ، وقد ضمنه معنى تكلفنى أو تجشمنى، ولذلك عداه إلى اثنين . والوخد والرسم : ضربان من السير ؛ والوخادة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها لسيرها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفنى أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

---

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ واللهى : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء.
(٢) الحيا المطر ، وثرى جعد ؛ وتراب جعد : لين ندى .

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْراً عَنْ مَيَامِنِنَا ... لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ[1]

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَومٍ وَقَدْ قَدَرُوا ... أَنْ لاَ تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ[2]

شَرُّ البِلاَدِ مَكَانٌ لاَ صَدِيقَ بِهِ ... وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الإِنْسَانُ مَا يَصِمُ[3]

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وشدة أهوالها . وعبارة العكبرى : أرى النوى التى أربدها ، والرحلة التى اعتقدتها ، تقتضينى تجشم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعد منالها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام فى «ليحدثن» لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير «تركن» للوخادة والرسم . وضمير : جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لئن لحقت ركابى بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقى وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره فى فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمونى إليه وقال الإمام التبريزى إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن المكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، ومعناه إذا ترحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه فى رحلته قائما فى ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبرى : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، وانقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكيم : من لم يردك لنفسه فهو النائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع ـ كعادته ـ : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَوَاءِ بل التى ... نَبَتْ بى وفيها ساكِنُوها هى القفر[1]

وأين هذا من ذاك .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

---

(١) القواء ـ بفتح القاف . الخالية لا أحد بها .

وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ والرَّخَمُ(١)

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ ... تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمُ(٢)

هٰذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقَةٌ ... قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمُ(٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت ـ مع جلالتها وسعتها ـ لا تعادل تقصيره فى حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو مافيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رخمة، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبارة اللغة : الرخمة طائر أبقع على شكل النسر خلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالغدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البزاة الشهب مع رفعتها والرخم مع ضعتها ودناءتها ؟ وهذا مثل . يعنى شر صيد صدته ما شاركتنى فيه اللئام . يريد أن سيف الدولة يجريه فى رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ؟ !

(٢) الزعنفة ـ وجمعه زعانف ـ اللئام السقاط من الناس ، وهو مأخوذ من زعنفة الأديم ـ الجلد ـ وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك ـ وهى أجنحته ـ أو من زعانف القميص وهى ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجوز من جواز الدرهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلا قرأ على حماد الراوية شعر عنترة

* إذ تستبيك بذى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تستبيك » نونا، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول ـ مخاطبا سيف الدولة ـ : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عربا ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعجام : أى أنهم ليسوا شيئا . وعبارة الواحدى : هؤلاء الخساس اللئام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئا ؟ .

(٣) المقة : المحبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة.



وقال وقد عوفى سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ ... وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ (١)

صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ ... بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ (٢)

وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا ... كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ (٣)

وَلَاحَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضَيْ مَلِكٍ ... مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَبْتَسِمُ (٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين المحبين * ويبقى الود ما بقى العتاب * وهو در ـ يعنى حسن نظمه ولفظه ـ إلا أنه كلمات ، وعبارة العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرعجك محبة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً فى ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزوهم كما أشار إلى ذلك فى البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الغارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الغارات عليها ، فكأن الغارات كانت عليلة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكأن فقد ذلك النور كان سقما لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التى قد تفضى بهم إلى مثل هذا الهذيان وقال بعض الشراح : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسنها

(٤) العارضان : شقا الفم ، وقيل جانبا اللحية ، وعارضا الوجه وعروضاه جانباه يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساما ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبتسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحييها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل الفم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثغره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بجوده .

يَسْمَى الْحُسامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشابَهَةٍ   وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ(١)
تفرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ   وَشارَكَ الْعُرْبَ فِي إِحْسانِهِ الْعَجَمُ(٢)
وَأَخْلَصَ اللهُ لِلْإِسْلامِ نصرَتَهُ   وَإِنْ تَقَلَّبَ فِى آلائِهِ الْأُمَمُ(٣)
وَمَا أَخُصُّكَ فِى بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ   إِذَ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا(٤)

* * *

---

(١) الحسام : مفعول ثان ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير الممدوح والواو فى « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشتبه : يتشابه يقول : إن الممدوح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السيف ، وإن تساويا اسما ، لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المحتد : الأصل يقول : هو عربى الأصل ، فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم فى إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفى مثل هذا يقول البحترى :

غَدَا قِسْمَةً عَدْلاً فَفِيكُمْ نَوَالُهُ   وفى مَرْوِ نبهانَ بن عمرو مآثِرُهْ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة فى إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبى العتاهية :

لو علِمَ الناس كيف أنت لهم   مات — إذاما ألِمتَ — أكثرهم

وقال سلموا على معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهرى : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا — على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى



وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياتاً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام فقال أبو الطيب (*) :

قَدْ سَمِعْنَا ما قُلْتَ فِي الأحلاَمِ وأنلْنَاكَ بَدْرَةً فِي المَنَامِ (١)

وانتَبَهْنَا كَمَا انتبهتَ بلاَ شَيْـ ءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الكَلاَمِ (٢)

كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ العَيْـنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ الأقْلاَمِ (٣)

أيُّهَا المُشْتَكِي إذَا رَقَدَ الإعْـدَامَ لاَ رَقْدَةٌ مَعَ الإعْدَامِ (٤)

إفْتَحِ الجَفْنَ وَاتْرُكِ القَوْلَ فِي النَّوْ مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الأنَامِ (٥)

الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلاَ مِنْـ هُ بَدِيلٌ وَلاَ لِمَا رَامَ حَامِي (٦)

---

* كان هذا الشاعر من بغداد ، ويسمى ابن للنجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمُ الثَّنَاءِ مِنِّيَ شِعْراً فَاقَ حُسْناً كَلُؤْلُؤٍ فِي نِظَامِ

لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ اليَوْمَ فَاسْتَـظْهَرْتُ فِيهِ بِالكُتْبِ والأقْلاَمِ

ولِيَ الرَّسْمُ من تطولاتِكَ الجَمِّ وَذَاكَ الإفْضَالِ والإنْعَامِ

فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقِّعْ فَإنِّي مُوثَقُ الحالِ في يَدِ الإعْدَامِ

زادكَ اللهُ رِفْعَةً وَعُلُوّاً وَسروراً يبقى على الأيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببدرة السخلة ـ جلدها ـ

(٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحميقه إذ لم يجعل مدحه لسيف الدولة غرضا يقصده

(٣) كنى عن رداءة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديئا لأنك قلته في النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبته حتى جاء الخط رديئا أيضا ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكي الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلا ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا تخاطبه كما تخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يغني عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ، لجلالة قدره ، ولا يمنع منه أحد ما يطلبه ، لسعة مقدرته

كُلُّ آبائِهِ كِرَامُ بَنِي الدُّنيـا وَلـكِنَّهُ كَرِيمُ الـكِرَامِ(١)

وقال يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلثمائه(*).

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِى الْعَزَائِمُ وَتَأْتِى عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ(٢)

وَتَعْظُمُ فى عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فى عينِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ(٣)

---

(١) يقول : إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق فى نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه فى نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيراً ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها فى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها فى ذلك اليوم فى الحدث .

(٢) العزم : الجد ـ عزم على الأمر عزما : أى أراد فعله ـ وقال الليث العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم : جمع عزيمة ، وهى ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم : جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول : إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها : فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إنَّ الفُتُوحَ عَلَى قدر الملوكِ وهمَّـاتِ الوُلاةِ وَإقدامِ الْمَقادِيمِ

(٣) الضمير فى « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة فى عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظامها صغيرة فى عين العظيم القدر . لأن فى همته فضلة عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل فى الوقعة التى ذكرنا من نفاذ عزيمته وجلالة قدره .



يكلِّفُ سيفُ الدَّوْلَةِ الجَيْشَ هَمَّــــهُ
وَقَدْ عَجَزَت عنهُ الجيُوشُ الخضَارِمُ(١)

ويطلبُ عند النَّاسِ ما عِند نفسه ... وذٰلِكَ مالا تَدَّعِيه الضَّرَاغِمُ(٢)

يُفدِّى أتَمُّ الطّيرِ عُمراً سِــــلاَحه ... نُسُورُ الْمَلاَ أحداثُها والْقَشَاعِمُ(٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَـــيْرِ مَخَالِبِ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالقَوَائِمُ(٤)

---

(١) الهم : الهمة ، وهو ماهممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الـكثير العظيم من كل شىء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بمـا تقتضيه همته من الغارات والغزوات ،وهو أمر لا قبل للجيوش الـكثيرة به ، لأن مافى همته ليس فى طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداما . وذلك شىء لا تدعيه الأسود ، فـكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أتم الطير ،أو عطف بيان ، وأحداثها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . ويروى الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء. والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والمنية والذلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ ولم يُفزِعْ بيوتاً كثيرةً ... لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم(١)

وأراد بأتم الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثانى . يقول : إن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الأقوات ، لـكثرة القتلى فى وقائعه .

(٤) « ما » : نفى ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والمخالب جمع مخلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للانسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور ـ أى الفراخ ـ والقشاعم ـ أى

---

(١) من معلقة زهير . يقول : فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية ، وملقى الرحل المنزل لأن المسافر يلقى به رحله . أراد عند منزل المنية وجعله منزل المنية لحلولها ل حصين



هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ(١)

سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ(٢)

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا ... وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ(٣)

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ(٤)

المسنة التى ضعفت عن طلب القوت ـ وخص هذين النوعين لعجزهما عن طلب الرزق ـ ليس يضر هذين أن لا يكون لهما مخالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، وذلك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير مخالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار بمظلم لـكنك تريد ما ضره لو خلق مظلما . وعبارة العكبرى ـ وهى بمعنى التفسير الأول ـ : ما يضرها أن تخلق بغير مخالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها فى ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريده وتطلبه . هذا :وقد مر فى هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء فى هذا المعنى، ومن مستحسن ما قيل فى ذلك قول ابن نباتة السعدى ـ وقد أخذه من المتنبى ـ :

وَيَوْمَاكَ يَوْمٌ لِلْعُفَاةِ مُذَلَّلٌ ... ويوم إلى الأعداء منك عَصَبْصَبُ

إذا حَوَّمَتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ ... أطار إليهـا الضَّرْبُ ما تترقبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة فى بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعنى أنه غير ما كان من لونها بالدم ـ وهل تعلم أى الساقيين لها هو الغمائم : أجماجم الروم التى سقتها بالدم ، أم السحائب التى سقتها بالمطر ؟ يعنى أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء ، فهى لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغمائم لأنهما استويا فى السقيا وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى . وقوله أى الساقيين الغمائم : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الغمام : جمع غمامة ؛ والغر : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنايا تسلب الأرواح ، واستعار للمنايا موجاً متلاطما لـكثرتها : أى لـكثرة القتل ، فكأن المنايا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كان ، وهو خلف من موصوف : أى شىء مثل الجنون؛ وأصبحت

طَرِيدَةُ دَهْــــرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ(١)

تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ(٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمائم : جمع تميمة ، وهى العوذة ، يتوقون بها مس الجن جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون . وهو إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : ما رد على أحد شيئا فقبلته إلا سيف الدولة فإنى أنشدته ومن جيف القتلى ، فقال لى : منه ، قل : ومن جثث القتلى ، فقبلت وقلت كما قال لى. قال ابن وكيع : وقد لاذ أبو الطيب بقول أبى تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا ... إذا لم يُعَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طَالب

(١) الطريدة : المطرودة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والخطى: الرماح وراغم ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام — أى التراب — يقول : إن هذه القلعة كالطريدة أمام الدهر تعقبتها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير المخاطب ، والليالى : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول ثان . وغوارم : جمع غارمة ، وغرم الدين والغصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت الليالى شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته وروى أخذنه — بالنون — ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » والمفعول الأول محذوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيته إياه ؛ فإن أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فما أدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوِتْرِهِم ... ولا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وقال الطرماح :

إن نَأْخُذِ النَّاسَ لا تُدْرَكْ أَخِيذَتُنَا ... أو نَطْلُبْ نَتَعَدَّى الحَقَّ فى الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطاع : من رواه بالنون أفسد المعنى ، قال ابن القطاع : قال لى شيخى محمد بن البراء التميمى : قال لى صالح بن رشد : قرأت على المتنبى أخذنه بالنون

إِذَا كَانَ مَا تَنْــــوِيهِ فِعْلا مُضَارِعاً
مَضَى قَبْــلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الجَوَازِمُ[1]

فقال : صحفت يا أبا على ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته ـ بالتاء ـ لأنى لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولى فى آخر البيت ، وذلك أن تفيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالى » فاعله ونصبت « كل شىء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « الليالى » مفعولا أولا و « كل شىء » ثانيا. وأما فساد المعنى فلو جعلت « الليالى » الفاعلة لجعلتها تفيت كل شىء ولا تغرمه ، ثم نقضته بقولى : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تفيت ياسيف الدولة الليالى كل شىء أخذته منها فلا تغرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالمضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمراً فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذى نويته قبل أن يجزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازم : « لم ؛ و« لا ، ولام الأمر » أى إذا نوى أن يفعل أمراً مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما يهم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ماوعد به : أى أن ما ينوى فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب ، وعبارة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمراً وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم ، وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها لغير الإيجاب فإن منها للنفى وهو «لم» و « لما » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقيها للشرط ، فكأنه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفى وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترتب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراءه عاقبة . وعبارة العكبرى : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده فى قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا ـ ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذى لم ينقطع وعلى المتأخر الذى لم يقع ـ صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم ، فتثبته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبى تمام :

خرقاء يَلْعَبُ بِالعُقُولِ حَبَابُهَا   كتلاعب الأفعال بالأسماء[1]

---

(١) من قطعة فى وصف الخمر .



وَكَيْفَ تُرَجِّى الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا
وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ(١)

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلاَ عَاشَ ظَالِمُ(٢)

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ(٣)

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ(٤)

قال العكبرى : والبيت بناء على التورية .

(١) الآساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس ــ وهو أصل البناء ــ يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الأساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهى عماد البيت ، وكل شىء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهى موثقة بطعنك الذى أعملته فيهم ؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والمنايا فى الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم ــ وهو القلعة ــ بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها، وحكمت على الظالم ــ وهو الروم ــ بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والجياد : الخيل . يقول . أتوا مدججين فى السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وعلى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتجافيف التى على الخيول .

(٤) البرق : اللمعان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقوله ثيابهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبرى : وأشار بهذا الوصف ــ أعنى كثرة سلاح هذا الجيش ــ إلى قوته ، وعبارة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع ورءوسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة ، لأنها تلبس فى أمكنتها . قال العكبرى : وسمعت بعضهم ــ وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَمِيسٌ بشَرْقِ الأرْضِ وَالغَرْبِ زَحْـــفُهُ
وَفِي أُذُنِ الجَــوْزَاءِ مِنهُ زَمَازِمُ،(١)

تَجَمَّعَ فِيـــهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلاَّ التَّرَاجِمُ،(٢)

الديوان ـ يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمائم والعمائم للعرب وليست للروم، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير فى « مثلها » إلى أين يعود ؟ أليس إلى البيض ، وهى السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخميس : الجيش العظيم . سمى بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله المشى مع تثاقل . والجوزاء : نجمان معترضان فى جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التى لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرته طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع فى وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبى تمام :

مَلأَ الملا عُصباً فكَادَ بأنْ يُرَى لاَ خَلْفَ فِيـــه ولا له قُدَّامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحداث : جمع حادث ، بمعنى متحدث ؛ ومنه قول المجنون :

أَتيْتُ مع الحُدَّاثِ ليلى فـــلم أَبِنْ فأخْلَيْتُ فاستَعْجَمْتُ عِند خلائِى
ذهبْتُ فلم أصبرْ وعُدْتُ فلَمْ أَبِنْ جواباً كِلا اليومين يومُ بلائِى(١)

وقول سويد بن أبى كاهل :

يُسْمِعُ الحُــدَّاثَ قولاً حسناً لو أرادوا غـــيره لم يستطعْ

والتراجم : جمع ترجمان ـ بفتح التاء وبضمها ـ اتباعا لضم الجيم ـ يقول : اجتمع فى هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

---

(١) قال الزجاجى فى أماليه : أخليت : وجدتها خالية ـ مثل أجبنته ـ أى وجدته جبانا ؛ فعلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليتها . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهرى وابن منظور هكذا منسوبا إلى عق بن مالك العقيلى ، وفى المحكم : عند خلائيا وبلائيا .

فَلِلّهِ وَقتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صَارِمٌ أوْ ضُبَارِمُ(١)

تَقَطَّعَ مَالاَ يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأبْطَالِ مَنْ لاَ يُصَادِمُ(٢)

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَـوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ

كَأنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْـوَ نَائِمُ(٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالغش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجرىء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت الذى قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان مموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب فى ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف مالم يكن ماضيا يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرون على المصادمة ومن روى « فقطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعبا لم يبق معه إلا الخلص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت فى ساحة القتال حين لا يشك واقف فى الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك فى جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذى بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال له كان ينبغى أن تقول .

وقفت وما فى الموتِ شَكٌّ لواقفٍ ووجهك وضـاح وثغرُك باسِم

تمرُّ بك الأبطالُ كلمى هزيمـة كأنك فى جفن الرّدى وهْوَ نائم

ثم قال وأنت فى هذا مثل امرىء القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جـواداً لِلَذّةٍ ولم أتبطّن كاعِباً ذاتَ خلخالِ

ولم أسْبأِ الزّقّ الرّوِىّ ولم أقُلْ لِخيلىَ كُرّى كَرّةً بعد إجفالِ

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ(١)

قال : ووجه الكلام فى البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثانى ، وعجز الثانى مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذى استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك : لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين الأضداد فى المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتى المتنبى ، لأن قوله * كأنك فى جفن الردى وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما فى الموت شك لواقف * فلامعدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية فى التطابق للمكان الذى تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كليم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعيل بمعنى مفعول ، والتاء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزمك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوف ، وبساما غير متضجر ، واثقاً من الله بنصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يفترُّ عنــدَ اقتراب الحرب مُبتسما ... إذا تغيرَ وَجــهُ الفارس البطلِ



تَجَاوَزْتَ مِقْـــدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهى
إلَى قَوْلِ قَوْمٍ أنْتَ بالغَيْبِ عَالِمُ(١)

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الخَوَافِي تَحْتَهَا وَالقَوَادِمُ(٢)

بِضَرْبٍ أتَى الهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ(٣)

---

(١) النهى : جمع نهية ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتتمة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها : يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكفى فى مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت فى تلك الحال وضاحا بساما لا تكترث لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى فى تعليقاته على هـذا البيت : فى آخره بعض التنافر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان فى ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف مايصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) يريد بالجناحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبا العسكر . ولما سماهما جناحين ؛ جعل رجالهما خوافى وقوادم ؛ والجناح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله فى طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى العسكر ــ عسكر الروم ــ على القلب فأهلكت الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهامات : الرءوس ؛ واللبات : النحور . يريد سرعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك فى رأسه لم تعتد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وعبارة ابن فورجة : ــ وهى فى عراض ما قلناه ــ إنما عد

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ (١)

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ (٢)

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ كُلِّهِ كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ (٣)

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَى وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ (٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة باليمامة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقاربة مابين الفريقين فى القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترته ؛ ولمـا آثرت السيف على الرمح فى القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبارة العكبرى ــ التى لا تخرج عن هذا وإنمـا نوردها لجمالها ــ قال : إنك طرحت الرماح واستقللت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالمـا بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها ، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانتها تسخطاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : المرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أى مفاتيح الفتح .

(٣) الأحيدب : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقتهم . يقول : نثرت جثثهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس ، يعنى تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت ، قال العكبرى : وهذا من محاسن أبى الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم فى الروم قتلا وأسراً ، وبثرجيشهم فوق هذا الجبل نثراً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيته ؛ والجمع : وكور : والذرى : أعالى الجبال : يقول : إنك تتبعهم بخيلك فى رءوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبارة بعض الشراح : تدوس بك الخيل فى آثار الروم وكور الطير فى رءوس الجبال وقنن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور

تَظُنُّ فِرَاخُ ٱلْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا ... بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ ٱلْعِتَاقُ ٱلصَّلَادِمُ (١)
إِذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا ... كَمَا تَتَمَشَّى فِي ٱلصَّعِيدِ ٱلْأَرَاقِمُ (٢)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا ٱلدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفَاهُ عَلَى ٱلْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ (٣)
أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ (٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمانك ، وأشار بذلك ـ أى كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاح مواضعها وامتناع أماكنها ـ إلى ماكان الروم عليه من شدة الهرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب. وأنهم قتلوهم فى رءوس الجبال ، وأدركوهم فى أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخاء ، إناث العقبان، سميت بذلك لطول جناحها ولينه فى الطيران والفتخ : لين المفاصل . والأمات : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعتاق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلدم ، وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان ـ لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها ـ أنها أمهاتها ؛ يعنى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نظروا إلى زُبَرِ الحديد كأنما ... يَصْعَدْنَ بينَ مناكِبِ العِقْبَانِ

وقال ابن الأفليلى : تظن فراخ العقبان ـ لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى ـ أنك زرتها بأماتها فأمددتها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزالق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقيها فى الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه ـ إلى آخر البيت ـ حال من الضمير فى « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلا له : لم أقدمت حتى عرضتنى للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه: معناه يجربه ويختبره ـ يقال ذاق ماعند فلان : أى جربه ـ والضمير: لليث . يشير إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذا شمت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ومبلغ



وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ وَبِالصِّهْرِ حَمْلاتُ الأَمِيرِ الغَوَاشِمُ (١)

مَضَى يَشْكُرُ الأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَى بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالمَعَاصِمُ (٢)

وَيَفْهَمُ صَوْتَ المَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ (٣)

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لاَ عَنْ جَهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُوماً نَجَا مِنْكَ غَانِمُ (٤)

شجاعته ، فيأتيه مقاتلا ثم ينهزم ؟ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم .

(١) فجعه : رزأه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات بفتح العين في الصحيح وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة . والصهر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج، وقال ابن الأعرابي الصهر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً ، والغواشم : التي لا تبالي من أخذت ؟ يقول : هلا اعتبر بمن رزئه من هؤلاء فلا يجترئ على العود إلى الإقدام ؟ وعبارة العكبري : يريد أن حملات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ، الغواصب لأنفس الفرسان، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة من الايقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والهام: الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم؛ أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فكأنهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرفية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ؛ وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرفية :منسوبة إليها، يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالبي ولا جعافري ولا عباقري . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنها تقتلهم ، فجد في الهرب ، مع أن أصوات السيوف عجماء : أي ليست ذات لفظ يفهم والمعنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته



وَلَسْتَ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ ... وَلٰكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ (١)

تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ (٢)

لَكَ الْحَمْدُ فِى الدُّرِّ الَّذِى لِىَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّى نَاظِمُ (٣)

وَإِنِّى لَتَعْدُو بِى عَطَايَاكَ فِى الْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ (٤)

عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِى مِسْمَعَيْهِ الْغَمَاغِمُ (٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجا هو واشتغل عسكرك بها عنه، وليس سروره جهلا بحالته ، وإن الذى انتهبت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجا برأسه غانم وإن كان مغنوما : أى لايبالى بغيره إذا نجا هو ، لأن المسلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبرى ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس فى المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «لكن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست فى هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلا كما زعيم ملته .

(٢) الضمير فى «به» : للمليك : قال العكبرى : ولو كان بدل الهاء «كاف» لكان أجود حتى يكون مخاطبا . وعدنان : أبو العرب : وربيعة : بطن من عدنان ،وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخر بك رهطك فقط ، وأنت فخر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

وَدُونَكَ مِن أقاويلى مَدِيحاً ... غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِىَ النِّظَامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول: إنى أمتطى فى الغزو خيلك التى أعطيتنيها ، فلست مذموما فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادما على ما أعطيتنى ، لقيامى بحق ما أوليتنى .

(٥) «على» صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة «نادما» : أى لست نادما على هبتك لى كل فرس طيار، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال: أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلاَ أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِى لَيْسَ مُغْمَدًا وَلاَ فِيهِ مُرْتَابٌ وَلاَ مِنْهُ عَاصِمُ (١)
هَنِيئاً لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلاَمِ أَنَّكَ سَالِمُ (٢)
وَلِمْ لاَ يَقِى الرَّحْمٰنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمُ (٣)

***

يريد شدة سرعته فى العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والغماغم : الأصوات المختلطة هى أصوات المتحاربين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز — ولعل بيت المتنبى ينظر إليه — :

وليلٍ كــكُحل العينِ خُضتُ ظلامه بأزرقَ لمّاعٍ وأخضرَ صــارِمِ
وطيارةٍ بالرجْــل خوفاً كأنمــا تُصافِحُ رَضراضَ الحصى بالجماجمِ

(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد — إذ هو دائماً مجرد على أعدائه — وليس يرتاب — يشك — فى هذا أحد ، ولا يعصم — لا يحمى ولا يمنع — منك — شىء لا حصن ولا حديد ، ويروى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرءوس . والعلى : المراتب العالية . وأنك سالم : فاعل هنيئاً ، وهى حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئاً : فحذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم فى هذا الشرح القول على هنيئاً بأوفى من هذا . يقول : لتهنأ هذه المذكورات بسلامتك لأنك قوامها ، فضرب الهام أنت أحذق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلا أنت جامع شملها وراجى مكارمك التى لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعززته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الميم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ماوقى » ظرفية زمانية ، وتفليقه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيانته للأشياء — أى أبدا — وأنت سيفه الذى يصول به على أعدائه؟



وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب المهـــدنة ، وأنشـــده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمَامُ ، وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَـــامُ(٢)
إذا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا كَفَاهَا لِمَـامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَـامُ(٣)
فَتًى تَتْبَعُ الأَزْمَانُ فى النَّاسِ خَطْــوَهُ
لِـكُلِّ زَمَانٍ فى يَدَيْهِ زِمَـــامُ(٤)

---

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ؛ والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء : صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فزعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟

(٢) دانت : أطاعت . وقيام : أى قائمة ـ كأنه من باب صاحب وصحاب ـ يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسعى فى تحصيل مراد وقامت الأيام تسعى فى تحصيل مايريد ؟

(٣) اللمام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بنفسىَ من تجنُّبهُ عزيزٌ علىَّ ومَن زيارتُه لِمـام

يقول : إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لـكنه لايكتفى حتى يبلغ أقاصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ؛ والخطو : نقل القدم ؛ والزمام : ماتقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعده وإقبال جده .



تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْناً وَغِبْطَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ (١)
حِذَاراً لِمُعْرَوْرِى الْجِيَادِ فُجَاءَةً إلَى الطَّعْنِ قُبْلاً مَا لَهُنَّ لِجَامُ (٢)
تُعَطَّفُ فِيهِ وَالأَعِنَّةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلاَمُ (٣)
وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلاَ الْقَنَا
إذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ (٤)
إلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلاَمُ (٥)

---

(١) الغبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك فى البيت التالى . هذا : ولمناسبة «ليس» من قوله ليس تنام ، قال العكبرى : « ليس» هنا تحتمل أمرين : أحدهما أن يكون استعملها استعمال «ما» : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيبويه ، والثانى أن يكون فى « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ،والأجود أن تكون بمعنى «ما» فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .

(٢) حذارا: مفعول له ،وهو مصدر حاذر ، واعرورى الفرس : ركبه عريانا: وقوله إلى الطعن : متعلق بمعرورى . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذى أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا ههنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أى قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذى يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعنى لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوبها .

(٣) الضمير من « فيه » فى المصراعين : الطعن المذكور فى البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها انقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذ زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبرى أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فما صح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لاغناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بملام . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم



وَإِنْ كُنْتَ لاَتُعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً ... فَعَوْذُ الأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ(١)

وَإِنَّ نُفُوساً أَمَّمَتْكَ مَنِيعَةٌ ... وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ(٢)

إِذَا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ ... وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ تُسَامُ(٣)

لَهُمْ عَنْكَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ ... وَحَوْلَكَ بِالْكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ(٤)

تَغُرُّ حَلاَوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا ... فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ(٥)

وَشَرُّ الْحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ ... يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ(٦)

اللائمين لك فى العطاء : أى كما أنك لا تصغى إلى ملامة لائم فى سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو المدح الموجه .

(١) الذمام : العهد ؛ وطواعة : حال : أى طائعاً . وعاذ به عوذا لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهدا وصلحا طواعية فلياذهم بك يوجب لهم الذمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة ، وإن كان عدوا : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم. ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أممتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجيا صار منيعا بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت فى حرمتك وراجيك لايضيع .

(٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . وتسام : تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لتسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم ـ الروم ـ إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه ، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيوف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيوفهم ، بل يتفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلطفون فيها لمسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته فى الحرب وازدحامهم عليه فى السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس تغر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشا فيه ذل أو تختار الهرب خوف القتل ، وذلك العيش هو الموت فى الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكر فى البيت التالى .

(٦) الزؤام : العاجل ، أو السريع الوحى المجهز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحاً لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلٰكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ (١)
وَمَنٌّ لِفُرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمِ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ (٢)
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا (٣)
وَعَزَّتْ قَدِيماً فِى ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِى نَدَاكَ وَعَامُوا (٤)
عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ فِى كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلَامُ (٥)

يظلم : لما جعل عيش الذليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لمـا فيه من تحمل الضيم وتجرع الذل والغيظ والهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم اللازم ومالا يستطاع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لمـا افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولـكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما، فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) المن — هنا — : النعمة . وفرسان الثغور : يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة والمصيصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة فى طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنة ، إذ بلغوهم مالم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الـكتائب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدموا — اجترءوا — عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقائك .

(٤) تقول هو فى ذراه : أى فى ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا فى كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا فى برك وإحسانك .

(٥) الميمون : ذو اليمن والبركة . والغارة : الحرب . وتوالى : تتتابع والمراد بالصلاة والسلام : التعظيم . يقول : كلما سرت فى غارة صلوا عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت — والذى بعده — توكيد للبيت السابق .



وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إِمَامَهُمْ ، وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامُ(١)
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ(٢)
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامُ(٣)
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ(٤)

---

(١) يقول : إن الكرام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الغبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أقمته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوا الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعن الكتاب من ناحيتيه ـ أى يعرض ـ وأصله عنان ـ كرمان ـ وكلما استدللت بشىء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قال حسان يرثى عثمان :

ضَحَّوْا بأشمط عنوان السجُود به يُقَطِّع الليل تسبيحاً وقرآنا

والعنوان بالضم هى اللغة الفصيحة ، قال أبو دواد الرؤاسى :

لمن طللٌ كعنوان الكتاب ببطن لُوَاقَ أو بطن الذهاب(١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

نظرْت إلى عُنوانه فنبذْته كنبذك نعلا أَخْلقتْ من نِعالِكا

قال الليث : والعلوان ـ لغة فى العنوان ـ : غير جيدة ؛ وقد يقال عنوان وعنيان.

(٣) البيداء الارض القفرة البعيدة . والنشر : خلاف الطى . وختام الكتاب : الطين الذى يختم به . وفضه : كسره . يقول : تضيق البيداء بهذا الجواب ولم ينشر ولم يفض عنه الختم ؛ يعنى أنه جيش كثير تضيق به الأرض الواسعة قبل انتشاره ، فكيف إذا انتشر وتفرق للحرب والغارة ؟ وقد استعار الفض والختم وهما للكتاب والجواب لما جعل الجيش كتابا وجوابا ، وهو تخيل بديع رائع.

(٤) الجواد : الفرس الكريم . والرمح الذابل : اللين الحسام : السيف القاطع لما جعل الجيش جوابا جعل حروف هجائه هذه الأشياء ؛ أى أنه ألف من هذه الأشياء كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء .

---

(١) هذا هو النص الصريح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ؛ والذهاب : موضع .

أَذَا الحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَالْهُ سَاعَةً ... لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِـــزَامُ(١)

وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ ، ... فَإِنَّ الَّذِى يَعْمَرْنَ عِنْدَكَ عَامُ(٢)

وَمَا زِلْتَ تُفْنِى السُّمْرَ وَهِىَ كَثِيرَةٌ ، ... وَتُفْنِى بِهِنَّ الجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ(٣)

مَتَى عَاوَدَ الجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ، ... وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ(٤)

وَرَبَّوْا لَكَ الأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، ... وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ(٥)

---

(١) أذا الحرب : أى ياصاحب الحرب ؛ وروى : أخا الحرب ; يقال هو أخو كذا أى ملازم له معروف به . ولهى الرجل عن الشىء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أتعبت الحرب ، أى أتعبت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر — من باب فهم — : أى طال عمره : يقول: إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه المدة ، وعبارة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزه ، لأن الانكسار يسرع إليها بمداومتك الطعن وأمد مهادنتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيتك ، وما تترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شىء ، يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهام : الرؤس ، يقول : متى عاد الروم — الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها — إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ،

(٥) الكاعب : التى قد بدا ثديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربو أولادهم لتسبيهم ، وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان للسبى قال العكبرى : يشير إلى أن مسالمة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يعاودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسبيهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العاقبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ،

جَرَى مَعَكَ الجَارُونَ حَتَّى إذا انْتَهَوْا
إلَى الغَايَةِ القُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا(١)
فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إنَارَةٌ ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ(٢)

* * *

وقال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أَيَا رَامِياً يُصْمِى فُؤَادَ مَرَامِهِ تُرَبِّى عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ(٣)
أَسِيرُ إلى إقْطَاعِهِ ، فى ثِيَابِهِ عَلَى طِرْفِهِ ،مِنْ دَارِهِ ، بِحُسَامِهِ(٤)

(١) يقول : جاراك الملوك فيما نهجته من المكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا فى الخيل تجارى ، فإذا ونى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم — من الملوك — إنارة مع مايبدو من نورك ؛ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل : يعنى أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبارة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة المقتل فى الرمى — يقال رماه فأصماه : إذا أصاب مقتله . والمرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به ، كالرامى يصيب فؤاد مرميه فيقتله لساعته. وقوله تربى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهام التى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه الممدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخا فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكنى بالريش عن حسن الحال ، راش فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشا ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذاجعل له غلتها رزقا؛والإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أتصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجمل النابغة هذا المعنى فى قوله :



وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا ... وَرُومِ الْعِبِدَّى هَاطِلاَتُ غَمَامِهِ [١]

فَتًى يَهَبُ الإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقُرَى ... وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ [٢]

وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلْتَهُ مِنْ نَوَالِهِ ... جَزَاءً لِمَا خُوِّلْتُهُ مِنْ كَلاَمِهِ [٣]

وما أغفلتُ شكركَ فانتصحْنى ... وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى

وقد فصله النابغة أيضا فقال :

وإنّ تِلاَدِى إن نظرتُ وشِكّتى ، ... ومُهرى وما ضمّتْ إلى الأنامِل

حِباؤكَ والعِيسُ العِتاق كأنها ... هِجانُ المها تَرْدِى عليها الرحائل [١]

وقال أبو نواس :

* وكلُّ خير عندَنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدى : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكبات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعنى أنه وهبة العبيد بسلاحها .

(٢) الضمير فى «فرسانه وكرامه» : للاقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهرى : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سمى إقليما : لأنه مقاوم من من الأقليم الذى يتاخمه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيده مِنَ الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :

طِوال قَنًا تُطاعِنها قصارُ ... وقطْرك فى نَدًى ووغًى بحار

وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعنى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة الذكورة ، وأنا انما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيماله ، لا لى .

---

(١) الشكة : ما يلبس من السلاح ، والحباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو ـ الجرى ـ والمشى الشديد ـ وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .



فَلاَ زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فى سَمَائِهِ مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِى فى لِثَامِهِ (١)

وَلاَ زَالَ تَجْتَازُ الْبُدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ (٢)

***

(١) أراد بالشمس التي في لثامه: وجهه. يقول: لازال باقيا بقاء الشمس، فكلما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها، وأضاف السماء إليه مبالغة في المدح، كما قال الفرزدق:

* لنا قمراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جنى: أضاف السماء إليه لإشراقها عليه، كما قال الآخر:

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أذاعَتْ غزلها فى القرائب (١)

أضاف الكوكب إليها لجدها فى عملها عند طلوعه.

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر. وتعجب: أى تتعجب. يقول: لازال باقيا على توالى الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكماله، ولكنها تتعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما.

(١) بعده:

وقالت: سماء البيت فوقكَ مُنْهِجٌ ولمّا تُيسِّرْ أحبُلاً للركائب

والخرقاء: المرأة التى لا تحسن عملا، ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرمة، فإنه أول مارآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا، وقال أخرزيها لى، فقالت: إنى خرقاء: أى لا أحسن عملا. قالوا: فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملابسة أنها لما فرطت فى غزلها فى الصيف، ولم تستعد للشتاء استغزلت قرائبها عند طلوع سهيل سحرا، وهو زمان مجىء البرد، فبسبب هذه الملابسة سمى سهيل كوكب الخرقاء. وسهيل: بدل أو عطف بيان لكوكب الخرقاء وأذاعت فرقت، وجملة قالت فى البيت الثانى عطف على «أذاعت» والسماء: السقف والمنهج من أنهج الثوب، إذا أخذ فى البلى وأحبل: جمع حبل، وهو الرسن ونحوه. والركائب: الإبل التى يسار عليها: أى وقالت لزوجها: سماء البيت فوق مخلق ولما تيسر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة؟

وأنشد سيف الدولة متمثلا بقول النابغة :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ (١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلا :

رَأَيْتُكَ تُوسِعُ الشُّعَرَاءَ نَيْلاً ... حَدِيثَهُمُ الْمُوَلَّدَ وَالْقَدِيمَا (٢)

---

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لخيل ـ جيش ـ لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته فى ذلك اليوم ، فأنشد سيف الدولة متمثلا ببيتى النابغة الذبيانى :

ولا عَيبَ فيهم غير أن سُيوفَهمْ ... بهنّ فُلولٌ من قِرَاع الكتائبِ

تُخُيِّرْنَ من أزمان يوم حليمةٍ ... إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التجاربِ

فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطيبهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته فى عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان ومطلعها .

كِلينى لِهمٍّ يا أُميمةُ ناصبِ ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلمة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة فخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفى العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ثم قال فى البيت التالى : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجهٍ من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة الممدوحين تثلمت لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إنك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك فى البيت التالى .

فَتُعْطِى مَنْ بَقَى مالاً جَسِيماً   وَتُعطِى مَنْ مَضَى شَرَفاً عَظِيماً(١)
سَمِعْتُكَ مُنْشِداً بَيْتَىْ زِيادٍ   نَشيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيماً(٢)
فَما أنكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلٰكِنْ   غَبطْتُ بِذاكَ أعْظُمَهُ الرَّمِيماً(٣)

* * *

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس و بنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصِّبَى وَمَرَاتِعِ الآرَامِ   جَلَبَتْ حِمامِى قَبْلَ وَقْتِ حِمامِى(٤)

---

(١) بقى — بفتح القاف — هى لغة طىء ، ومنه قول زيد الخيل الطائى :

لعَمْرُكَ ما أخشَى التصعلُكَ ما بقَى   على الأرضِ قَيْسِىٌّ يسوق الأباعِرا

يقول : تعطى البـاقين منهم — أى الأحياء — عطاء جزيلا ، والمـاضين شرفاً عظيما بأن تنشد أشعارهم وتتمثل بها استحساناً لهـا فيكون ذلك شرفاً عظيما لهم .

(٢) زياد : اسم النابغة الذبيانى ؛ والنابغة : لقب غلب عليه. ونشيداً مفعول مطلق، وضعه موضع الإنشاد .

(٣) الغبطة : أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد، ورم العظم يرم رمة : بلى ، فهو رميم. وقوله أعظمه الرميما : وصف الأعظم — وهى جمع — بالمفرد ، لأن فعيلا وفعولا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى « من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل لأن تنشد شعره لـكنى غبطت عظامه البالية لمـا نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى مجلسه قول المتنبى :

وما الُحسْنُ فى وجهِ الفتى شرَف له   إذا لم يكن فى فِعله والخلائقِ

وجعل يردده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر الأندلسى ، فأنشد ارتجالا ،

لئن جاد شعرُ ابن الُحسين فإنما   بِقَدْرِ العطـايا واللُّها تَفتح اللَّها
تنبأ فى نَظْمِ القَرِيضِ ولو دَرَى   بأنَّكَ تَروِى شعرَه لتألَّها

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعوه — على حد : سدرة وسدر — وهو قياس عند الفراء والصبى : بمعنى اللهو والتصابى : ومراتع — بالجر —

دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي ... عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ (١)

فَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا ... تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ (٢)

وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيقَ كَعَابِهَا ... فِيهَا وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلَامِي (٣)

قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً ... وَتَجُرُّ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وَعُرَامِ (٤)

معطوف على الصبى ؛ ويروى بالرفع عطفاً على ذكر ؛ والمراتع : جمع مرتع ، الموضع ترتع فيه الدواب : أى ترعى كيف شاءت . ويروى مرابع : جمع مربع ، المكان الذى يربعون – يقيمون – فيه ، يريد ديار الأحبة والآرام : الظباء البيض . وأرادبهن النساء جمع رئم – على القلب المكانى – والحمام : الموت . يقول : إن ذكر الصبى ومراتع النساء اللائى أهيم بهن جلبت على حالة هى والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن ، فكأنه مات قبل موته لشدة الوجد .

(١) الدمن : جمع دمنة ، ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم :ودمن خبر مبتدأ محذوف : أى تلك المراتع دمن ؛ والعرصات : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت همومى شوقا إلى من كان بها كتكاثر لوامى فى حبهن .

(٢) وكفت : أى قطرت ؛ وسالت : يروى وقفت ، وعروة بن حزام :هوصاحب عفراء ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين . شبه هطلان السحاب فى تلك الدمن ببكاء عروة بن حزام على فراق صاحبته . يريد كثرة ماتجرى عليها السحب من المطر ، بدليل أنها محت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبِيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ (١)

ومثله لمحمد بن أبى زرعة :

كَأَنَّ صَبَّيْنِ بَاتَا طُولَ لَيْلِهِمَا ... يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْمُقَلَا

(٣) الكعاب : الجارية بدا ثديها للنهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هى – الكعاب : أى محبوبته – عتابى حتى أفحمتنى عن الكلام، فانا أذكر من كان بهذه الدمن وارتحل عنها فيزيد وجدى وشوقى .

(٤) المجانة : مثل الخلاعة ؛ والماجن : الذى لا يبالى بما يتكلم به ، والشرة الحدة

---

(١) السحاب جمع ، ولذلك وصفها بالغر ؛ وترقا : هو ترقأ ، خفف ، ورقأت الدمعة ، جفت وانقطعت



لَيْسَ القِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا   هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ (١)
لَيْتَ الَّذِى خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى   لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي (٢)
مُتَلَاحِظَيْنِ نَسُحُّ مَاءَ شُؤُونِنَا   حَذَرًا مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الأَكْمَامِ (٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الخبث ؛ قال شبيب بن البرصاء يصف إبلا سمنت وحملت الشحوم :

كأنها من بُدُنٍ وإيفـــارْ   دَبَّتْ عليها عارماتُ الأنبارْ (١)

يقول ـ مخاطبا نفسه ـ : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدرى وجد الفراق وشدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح فى شرتك وعرامك غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب ـ على الركاب ـ مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب ـ بالنصب ـ قال العكبرى : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون المعنى : ليس الذى تعاينه القباب . يقول : ليس هـذا الذى تراه هوادج الأحبة على الإبل ولـكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير فى خفافهن : للركاب ـ الإبل ـ وأراد أخفافهن ، لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الخف ، الملبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . يقول ـ متمنيا ـ : ليت الذى خلق الفراق جعل أعضائى لأخفاف الإبل التى تحملوا عليها حصى حتى تطأنى بأخفافها .

(٣) متلاحظين (٢) حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛ ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفى الأكمام : متعلق بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

---

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدبها . والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشىء الوافر ـ ويروى : وإبقار ـ يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاحظين : رواه الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبرى على صيغة الجمع .



أَرْوَاحُنَا انْهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ (١)
لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنَ كُنَّ كَصَبْرِنَا ... عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامِ (٢)
لَمْ يَتْرُكُوا لِي صَاحِباً إِلاَّ الْأَسَى ... وَذَمِيلَ دِعْبِلَةٍ كَفَحْلِ نَعَامِ (٣)
وَتَعَذُّرُ الْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا ... إِلاَّ إِلَيْكَ عَلَىَّ فَرْجَ حَرَامِ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكم خوفا من الرقباء . والأكمام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذى فى العكبرى : الآكام بدل « الأكمام » والآكام : جمع أكمة ؛ وهى التل ، والأكمام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع — التى أجريناها — بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفادها ، وفى مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذى يجرى من العينِ ماءها ... ولكنها رُوحى تذُوبُ فَتَقْطُرُ

(٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا فى اليوم الذى جرت فيه — أى يوم الرحيل — مثل صبرنا فى ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد تجعل الكون زائدا فى الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبى بكر تسامى ... على كان المسوَّمةِ العِرابِ (١)

و « كان » فى هذا البيت زائدة بلا خلاف .

(٣) الضمير فى يتركوا : للراحلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدعبلة : الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام : الذكر . يقول: رحلوا وتركونى وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجداً عليهم وسير ناقة كالظليم فى عدوها وسرعتها فى الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار — أى الكرام — حرم على ركوبها — أى الناقة إلا للقصد إليك ، لأنك الحر الذى يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أتجنب ركوبها إلا إليك كما أتجنب فرجاً حراما على إتيانه — يعنى الزنا — وهذا من قول أبى نواس :

---

(١) المسومة : المعلمة بعلامة لتترك فى المرعى ، أو هى من قولك : سومت فلانا :



أنتَ الغريبَةُ في زمانٍ أهلُهُ   وُلِدَتْ مكارِمُهُمْ لِغيرِ تَمامِ (١)
أكثرتَ مِنْ بَذْلِ النَّوالِ ولمْ تَزَلْ   عَلَماً على الإفضالِ والإنعامِ (٢)
صَغَّرْتَ كُلَّ كبيرةٍ وكَبُرْتَ عَنْ   لَكَأنَّهُ وعَدَدْتَ سِنَّ غُلامِ (٣)

وإذا المَطِيُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً   فظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرامُ

وأخذه مهيار الديلمى فقال :

يا ناقُ ويحَكِ عجِّلي تَصِلِي   هــذا المُنى فلْيَهنِكِ الطَّلَبُ
فإذا وَصَلْتِ بِنا قِبابَ قُبا   لا مَسَّ ظَهْرَكِ بعدَها قَتَبُ

وهو معنى قديم متداول .

(١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والتاء فيه : للاسمية — كما فى عجيبة ونحوها — وعبارة الواحدى الهاء فى « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية وعلامة . وقال التبريزى : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهياء ، ويقال ولد المولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٢) النوال :العطاء والعلم : العلامة التى يعرف بها الشىء : يقول : لم تزل يعرف بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعما مفضلا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويهتدى إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .

(٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر منها ، وكبرت عن أن تشبه بشىء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ الحنكة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبار بعض الشراح : أى صغرت الأفعال الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ و كبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم تدع لأحد مزية عليك . مع أنك إذا عددت أيامك لم تتجاوزسن الغلام . هذا :

اذا خليته وسومه . أى وما يريد ؛ والعراب التى ليس فيهاعرق هجين ؛ وتسامى — بحذف إحدى التاءين — أى تتسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراة هذ تختال على تلك الخيول .



وَرَفَلْتَ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا   عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَايَةُ الْإِعْدَامِ (١)
عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَغَى   مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ (٢)
إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ   فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ (٣)
مَلِكٌ زُهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ   حَتَّى افْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ (٤)

واللام من «لكأنه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكأنه فلان أو كأنه الأسد أو البحر ، فحذف خبر «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر القول بالحكاية . وقال العكبرى : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون فى صدر الكلام : وقولك كأن زيداً عمرو : مؤد عن قولك كعمرو زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز فى قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل يرفل فى ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبختراً فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل‌خرق — حمق — باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعى :

* فى الركب وَشواشٌ وفى الحى رَفِلْ *

« الوشواش : الخفيف السريع » الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة إلاثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تتبختر فيهن — يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه — ونهاية الإعدام — الفقر — هو عدم الثناء لاعدم الثراء ؛ وعبارة بعض الشراح : كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو المثرى لأن ثناءهم باق والمال يغدو ويروح ؛

(٢) ترى : أراد أن ترى ، فحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوغى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم — القاطع — الذى لاينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف فى حدتك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و «أو هو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكون ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا — إذ قال المتنبي هذه القصيدة فى صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت



وَتَخالُهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلاَمَهُمْ مِنْ حِـلْمِهِ فَهُمُ بِلاَ أَحلاَمِ (١)
وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَـكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِىٍّ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ (٢)
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْـلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ (٣)
مَهْلاً أَلاَ لِلّٰهِ مَا صَنَـعَ الْقَنَا فِي عَمْرو حَابٍ وَضَبَّةَ الْأَغْتَامِ (٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء فى قولهم بقى فى بقى ، كذلك قال زهى فى زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيدة : وقد زهى الرجل على لفظ مالم يسم فاعله وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر ونتجت الشاة والناقة وأشباهها ، وحكى ابن دريد : زها يزهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أزهاه ؛ وليس هذا من زهى ، لأن مالم يسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهجو العتبي والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحبٌ مُولع بالْخِـلافْ كثيرُ الخطا قليـلُ الصوابْ
ألجُّ لَجَـاجاً من الْخُنْفِساء وأزهى إذا ما مشى من غرابْ

قال الجوهرى : قلت لأعرابى من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب بنفسه ، فقلت : أتقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا نتكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .

(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام ـ عقول ـ الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت . ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : فتل الحبل ونحوه ، والنقض ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمه صادرة عن رجل لا نظير له فى عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالدنيا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها فى قضاء حقك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا ؛ وألا : استفتاح ؛ ولله : كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله فى عمرو حاب : أراد عمرو بن حابس ـ بطن من أسد ـ فرخم المضاف

. . . .

إليه ؛ قال الواحدى : وذلك غير جائز ، لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء فى النداء تخفيفا ، والكوفيون يجيزونه فى غير النداء وينشدون :

أبا عُرْوَ لا تَبْعَدْ فكلُّ ابنِ حرَّةٍ سيدْعوهُ داعِي موْتِهِ فيُجيبُ (١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أيا عرو ؛ وقال العكبرى : ذهب أصحابنا — يريد الكوفيين — إلى جواز ترخيم المضاف ، وأوقعوا الترخيم فى آخر الاسم المضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبى سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يا آلَ عِكرم وَاحْفَظوا
أَوَاصِرَنا والرَّحِمُ بالغيبِ تُذْكرُ (٢)

وقد جاء الترخيم فى قول جرير :

ألاَ أَضْحَت حبالُكمُ رِماماَ وأضحَتْ مِنكَ شاسِعَة أماماَ (٣)

---

(١) عرو مرخم : عروة ، ولا تبعد : أى لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهى . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثانى أنهم يريدون الدعاء له بان يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من أبيات قالها زهير لبنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترخيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع آصرة، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكوين الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبى ، وهى مؤنثة فى المعنيين .

(٣) قال الأعلم : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالى . يريد أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة — بالضم — وهى القطعة البالية من الحبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .



لَمَّا تَحَكَّمَتِ الأَسِنَّةُ فِيهِمِ ... جَارَتْ وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي الأَحْكَامِ (١)

فَتَرَكْتَهُمْ خَلَلَ البُيُوتِ كَأَنَّمَا ... غَضِبَتْ رُءُوسُهُمُو عَلَى الأَجْسَامِ (٢)

أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ ... وَنُجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءِ قَتَامِ (٣)

فهذا ترخيم فى غير النداء ، على من قال ياحار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغتام جمع غتم جمع أغتم ورجل أغتم ، وغتمى : لا يفصح شيئاً والغتمة عجمة فى النطق والغتم فى الأصل : قطع اللبن الشخان ، ومنه قيل للثقيل الروح : غتمى ، والغتم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلاَدٍ فِلِّ ... وغتْمُ نجم غيرِ مستقل (١)

* فما تكاد نِيبُهَا تولى *

أى غير مرتفع اثبات الحر المنسوب اليه ، ولهذا يشتد الحر عند طلوع الشعرى التى فى الجوزاء . قال الواحدى : جعل هؤلاء أغتاما لأنهم كانوا جاهلين حين عصوحتى فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبرى : يروى المنية بدل الأسنة ، وليس بشىء ، والأصح الأسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ لجمع الضمير فى المبتدإ والخبر . ومن روى المنية أراد بها المنايا ، وليس هو بشىء ، إلا أنى وجدتها فى بعض النسخ فذكرتها حتى لا أخل بشىء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيئين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم فى عقر دارهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رءوس كأن رءوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة . والقتام : الغبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف المعركة وكثرة القتلى . يقول: صارت الأرض دما وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوما لامعة فى سماء من الغبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث فى ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلأ الهواء خوذا تلمع كالنجوم فى سماء من الغبار .

(١) الفل : الأرض القفرة ؛ وأفللنا : أى صرنا — فى فل من الأرض — ومنه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .



وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةً حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الأَيْتَامِ (١)
عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجِمَةٌ عَنِ الإِحْجَامِ (٢)
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَالَكَ رَامَ غَيْرَ مَرَامِ (٣)
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ
وَسَقَى ثَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامِ (٤)

---

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبى فلان : أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الأيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية — كما قال الواحدى — على الحال من أبى فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً فى معنى جماعة لا يكون إلا نكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعنى

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال سدت مسد خبر عهدى . ويروى وخيله — بالجر — عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : الغبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركته إلا على هذه الحال ، فخيله مقدمة أبداً تتأخر عن التأخر : أى تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنالك . أى غايتك التى تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلثمائة : لقبه به المتقى العباسى ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلبا وإن فارقت شخصا . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كالاحتراس لمكان ذكر أبويه وهما قدماتا : أى وأنت حى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع .



وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقِكَ الْقَمْقَامِ(١)
فَلَقَدْ رَمَى بَلَدَ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فى رَوْقِ أَرْعَنَ كَالْغِطَمِّ لُهَامِ(٢)
قَوْمٌ تَفَرَّسَتِ الْمَنَايَا فِيكُمُ فَرَأَتْ لَكُمْ فى الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ(٣)
تَاللهِ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ لَوْلَاكُمُ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ(٤)

***

وقال ، وقد تُحُدِّث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة فى الدرب وسأله أن ينجده ببطارقته وعدده وعُدده ، ففعل ؛ فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهى آخر ما أنشده بحلب :

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فى إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ(٥)

---

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع الماء ، من قولهم قمقم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن : الجيش المضطرب لكثرته والغطم : البحر الكثير الماء ، واللهام : الجيش الكثير يلتهم كل شىء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتهم كل شىء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : الموت . يقول : أنتم قوم تأملتكم المنايا وخبرتكم فرأتكم فى الحرب صبراً كراما ، وإذا صبروا فى الحرب كانت المنايا إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا .

(٥) العقبى : العاقبة ؛ وعلى : متعلقة بيمين . يقول : من حلف على أن عاقبة الحرب له — أى أنه ظافر لا محالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد فى الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تكذيب البطريق الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلقى سيف الدولة فى بطارقته ويجتهد فى لقائه

وفى اليمين على ما أنت واعده ... ما دلّ أنك فى الميعاد متّهم (١)
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثه ... فتى من الضرب تنسى عنده الكلم (٢)
وفاعل ما اشتهى يغنيه عن حلف ... على الفعال حضور الفعل والكرم (٣)
كل السيوف إذا طال الضراب بها ... يمسها غير سيف الدولة السأم (٤)
لو كلت الخيل حتى لا تحمله ... تحملته إلى أعدائه الهمم (٥)
أين البطاريق والحلف الذى حلفوا ... بمفرق الملك والزعم الذى زعموا (٦)

بهم ففعل خيب الله ظنه ، فذكر المتنبى ذلك يرد عليه ويهجوه . وكأنه يقول : لو كنت ممن إذا قال وفى لم تحتج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروى « ماذا يفيدك » .

(١) فى اليمين : خبر مقدم عن الموصول — فى الشطر الثانى — يقول : إذا حلفت على ماتعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آلى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأحنثه : ألجأه إلى الحنث ، وهو نقض الحلف فى اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فتى — يعنى سيف الدولة — أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعده .

(٣) فاعل : عطف على قوله فتى . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأحنثه رجل يفعل مايريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على مايفعله حضور فعله و كرمه : أى أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أى المضاربة ؛ والسأم : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لسار إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله: «حتى لا تحمله» — بحذف إحدى التاءين — : أى تتحمله، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هى غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله :

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة فى

وَلَّى صَوارِمَهُ إِكْذابَ قَوْلِهِمِ ... فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ (١)

نَوَاطِقٌ مُخْبِرَاتٌ فِى جَمَاجِمِهِمْ ... عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)

الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً ... مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَارٍ أَهْلُهَا إِرَمُ (٣)

كَتَلِّ بِطْرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنُهَا ... بِأَنَّ دَارَكَ قِنِّسْرِينُ وَالْأَجَمُ (٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التى أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يثبتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعنى أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أى باشره . والصوارم : السيوف القواطع.والقمم جمع قمة ، وهى الرأس ، يقول : ولى سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبتهم سيوفه بقطع رءوسهم وجعلها ـ أى السيوف ـ كالألسنة تعبر عن تكذيبهم ؛ ولما جعلها ألسنة : جعل رءوسهم كالأفواه ، لأنها ـ السيوف ـ تتحرك فى تلك الرؤوس تحرك اللسان فى الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت ألسنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصراع الثانى من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف فى جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره فى الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو ـ سيف الدولة ـ الذى يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة المشى، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار فى الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « وبار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التى رد عنها خيله كانت كوبار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . ووبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أى من كل مدينة مثل وبار ،وإرم :جيل من الناس هلكوا فى قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسرون : من الزمها الياء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهرى فى ترجمة قسر : وقنسرون بلد بالشام ـ بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح ـ وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لعكرشة الضبى يرثى بنيه :

وَظَنِّهِمْ أَنَّكَ الْمِصْبَاحُ فِى حَلَبٍ | إذا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ(١)
وَالشَّمْسُ يَعْنُونَ إلاَّ أَنَّهُمْ جَهِلُوا | وَالْمَوْتَ يَدْعُونَ إلا أَنَّهُمْ وَهَمُوا(٢)
فَلَمْ تُتِمَّ سَرُوجٌ فَتْحَ نَاظِرِهَا | إلاَّ وَجَيْشُكَ فِى جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ(٣)
وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرَّانًا وَبُقْعَتَهَا | وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتَثِمُ(٤)

سقى الله فتيـــانا ورائى تركتهم | بحاضر قنسرين من سَبَل القطر(١)

والأجم : مكان بقرب الفراديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التى اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .

(١) ظنهم : معطوف على مادخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح فى حلب ، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .

(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التى تعم كل مكان بضيائها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتحريكهم إياك إنما يدعون الموت الذى لا يتعذر عليه مكان

(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدومك فلم تنتبه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .

(٤) النقع : الغبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

---

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجداثا ورائى تركتها *

وحاضر قنسرين : موضع الإقامة على الماء من قنسرين . وبعد البيت :

لعمري لقد وارت وضمت قبورهم | أكفا شِدادَ القبض بالأسَل السُّمر
يُذكِّرُنِيهم كل خـــير رأيته | وشرّ فما أنفك منهم علـى ذُكر

يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويجتنبون الشر ، فإذا رأيت من يأتى خيرا ذكرتهم ، وإذا رأيت من يأتى شرا لا ينهاه عنه أحد ذكرتهم .



سُحْبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً   وَمَا بِهَا الْبُخْـلُ لَوْلاَ أَنَّهَا نِقَمُ(١)

جَيْشٌ كَأَنَّكَ فِى أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ   فَالأَرْضُ لاَ أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لا أَمَمُ(٢)

وبقعتها : ضبطها أبو العلاء المعرى بفتح الباء ، وقال : هى مكان كالبطحاء يعرف بقعة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء فى هذا الموضع ، لان النقع ـ وهو الغبار ـ إذا أخذ حران فقد أخذ بقعتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رووها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها المكان الواسع من الأرض ، وتسفر : من سفور المرأة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقعتها ـ وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش ـ وحتى حجب ضوء الشمس فهى تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسناء تسفر أحيانا ثم تعود فتلتثم .

(١) سحب : خبر عن محذوف يرجع إلى الجيش . وحصن الران : موضع من عمل سيف الدولة . وممسكة: أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرته وانتشاره. يقول: تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب نقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء ـ فى تطاوله ـ للأرض ، والهاء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك: أى تغالبه طولا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم ـ اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كأن عينى وقد سال السليل بهم   وجيرةٌ ماهُمُ لو أنهم أمم(١)

يريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لاقرب فيه ، ثم بين هذا بالبيت التالى .

---

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعـبرة ماهم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعاً . يقول : انحدروا به ، فقد سال بهم . وقوله ماهم : «ما» زائدة ؛و «هم» مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه «وجيرة ماهم» فتكون «ما» استفهامية . أى أى جيرة هم



إذا مَضَى عَلَمٌ مِنْهَا بَدَا عَلَمٌ ... وَإِنْ مَضَى عَلَمٌ مِنْهُ بَدَا عَلَمُ(١)

وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَهَا ... وَوَسَّمَتْهَا عَلَى آنَافِهَا الْحَكَمُ(٢)

حَتَّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيْرَتَهَا ... تَنِشُّ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ(٣)

---

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش: كلما مضت كتيبة منه براياتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تفنى ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء فى أمالى ابن الشجرى ما يأتى : قال الخطيب التبريزى : لو قال — المتنبى — وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر فى البيت ، قال ابن الشجرى : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا فى صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم — الذى هو الجبل — مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم — الذى هو الراية — مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل مافى التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعضه ببعض بحرف عطف أو شرط أو غيرهما من المعلقات ، وقد جاء فى الكتاب العزيز « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم » والتكرار فى هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار فى الكتاب العزيز علمت أن التكرار فى بيت المتنبى غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ فى بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) شزب : عطف على جيش ، أو على علم — الأخير — وهى جمع شازب : الفرس الضامر . وخيل شزب : ضوامر . والشعرى : يريد الشعرى اليمانية ، نجم يطلع فى فصل الصيف ، فهى تعد من نجوم القيظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديدة المعترضة فى فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما أحاط من اللجام بالحنك . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعنى لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم — الكى —

(٣) سمنين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت فى الماء فسمع للجمها نشيش فى أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محماة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها — لسرعتها — وردت الماء وشربت بلجمها .



وَأَصْبَحَتْ بِقُرَى هِنْزِيطَ جَائِلَةً تَرْعَى الظُّبَى فى خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ(١)
فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمُ(٢)
وَلَا هِزَبْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَشَمُ(٣)
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ البَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنُ الأَرْضِ وَالغِيطَانُ وَالأَكَمُ(٤)

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع ببلاد الروم . والظبى : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبى : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . ريد فى خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما ألم بالمنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها فى مكان خصيب نبته الشعور : يعنى رءوسهم وعبارة ابن جنى والواحدى: إن السيوف ترعى فى مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الرءوس إلى مكان مثل ما يصل إليه المال الراعى — الماشية — فى البلد الخصيب .

(٢) فما تركن أى الظبى — السيوف — والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطامير والأسراب كالفأر إذا ريعت من شىء دخلت جحرها وفريقا توقلوا — صعدوا — فى الجبال واعتصموا بها كالبازى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلداً ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا . والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازى إلا أهلكته وعبارة ابن القطاع : « ما تركن من هو فى ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر — يعنى إنسانا — ولا تركن من هو كالبازى فى ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا — .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبدة ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ما على كتفيه من الشعر . والمهاة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الخدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والغيطان : جمع غائط ، المطمئن من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم — هلاكهم — وحلول آجالهم — لم يجدهم



وَجَاوَزُوا أَرْسَنَاساً مُعْصِمِينَ بِهِ   وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ (١)
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ   وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ (٢)
ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً   قَوْماً إِذَا تَلِفُوا قُدْماً فَقَدْ سَلِمُوا (٣)
تَجَفَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمِ   كَمَا تَجَفَّلُ تَحْتَ الْغَارَةِ النَّعَمُ (٤)
عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ   سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمُ (٥)

ينفعهم ـ الهرب ، ولم ينجهم من القتل ، حتى كأن المواضع التى هربوا إليها من الغيطان والجبال كانت تقذف بهم وترميهم على حدود السيوف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأصله أن يستمسك الراكب بشىء خوفا من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ماليس ينعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركبه بالسفن والجسور وراءهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توكيد للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعدها .

(٣) الضمير فى ضربته : للنهر ـ وهو أرسناس ـ وقدما ـ أى إقداما ـ حال يقول : ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف فى الإقدام سلامة : أى لايهابون التلف ، بل يتهافتون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يستعذبون مناياهم كأنهم   لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجفل ـ فى المصراعين بحذف إحدى التاءين ـ أى تتجفل ، والتجفل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . والغارة : الخيل الغائرة على العدو ؛ والنعم : المواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتتابع مسرعة كما تنهزم المواشى عند الغارة عليها فتنهزم وتجفل مسرعة .

(٥) تقدمهم أى تتقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرمم : العظام البالية . والحمم بوزن صرد : الرماد والفحم ، وكل مااحترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلا أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقونى بالنار ، ثم إذا صرت حمما فاسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعلى أضل الله وقال طرفة :



وَفِى أَكُفِّهِمِ النَّارُ التى عُبِدَتْ ... قَبْلَ المَجُوسِ إِلَى ذَا اليَوْمِ تَضْطَرِمُ (١)

هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَرًا صَغُرُوا ... بِحَدِّهَا أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَرًا عَظُمُوا (٢)

قَاسَمْتَهَا تَلَّ بِطْرِيقٍ فَكَانَ لَهَا ... أَبْطَالُهَا وَلَكَ الأَطْفَالُ وَالحُرَمُ (٣)

أشجاك الربعُ أم قِدَمُه ... أم رماد دارس حممُهْ

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذى قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .

(١) وفى أكفهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكرهم فى قوله حاملة قوما — وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أو لما فيها من البريق واللمعان . يقول : إنها — السيوف — نار كانت مطاعة فى كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جنى : يريد سيوفا كالنار فى الصفاء والجوهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزى : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتمالهم بها كما يشتمل المسلمون بالمصحف والمسيحيون بالصلب .

(٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبرى : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى فى الشرط والجواب إذا كانا فعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس — كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر فى الشرط يريد أن يؤثر فى الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

و إن أتاه خليـــل يوم مسغبة ... يقول لا غائب مالى ولا حَرِمُ (١)

وهذا قول مردود . لأن سيبويه يجعل هذا ضرورة فى الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الهاء من « قاسمتها » و « لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

---

(١) الخليل : المحتاج المعدم والفقير المختل الحال ، والمسغبة : المجاعة . وحرم . أى ممنوع .



تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ التَّيَّارِ مُقْـرَبَةٌ عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثَمُ(١)
دُهْمٌ فَوَارِسُـهَا رُكَّابُ أَبْطُنِهَا مَـكْدُودَةٌ بِقَوْمٍ لا بِهَا الأَلَمُ(٢)
مِنَ الجِيَادِ التِى كِدْتَ العَدُوَّ بِهَا وَمَا لَهَا خَلْقٌ مِنْهَا وَلا شِيَمُ(٣)
نِتَاجُ رَأْيِكَ فِى وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلَفْظِ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهِمُ(٤)
وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِى لَجَبٍ أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمُوا(٥)

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة ـ تل بطريق ـ فجعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغوة للموج . والتيار : الموج الذى ينضح ـ يرش ـ والمقربة ـ فى الأصل ـ : الخيل المدناة من البيوت ، لكرمها وإعدادها للغارة والجحافل : جمع جحفلة ، وهى لذى الحافر كالشفة للانسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفن ؛ جعلها كالخيل المقربة : يعنى عبر بالسبى الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل ما لصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى ـ المقربة ـ دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير ـ خبر آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم ؛ مبتدأ خبره : بقوم يقول : هى سود ـ لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لا ظهورها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متعبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا التعب ينال من الملاحين لا منها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجرور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوشك إليهم ، إلا أنه ليس لها خلقة الخيل ولا طباعها .

(٤) فى وقت : صلة نتاج ؛ وعلى عجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كمدة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كالمدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم مما له معنى : كـ « ع » ، من وعيت ، و « د » : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَـدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ ... وَسَمْهَرِيَّتُهُ فى وَجْهِــــهِ غَمَمُ(١)
فَـكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمُ ... يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ(٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلْءُ الطُّرْقِ خَلْفَهُمُ ... وَالْمَشْرَفِيَّـةُ مِلْءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمُ(٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً ... تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِى الْجَوِّ تَصْطَدِمُ(٤)

الموضع ؛ وفى لجب : حال من فاعل « عمنوا » واللجب : الصياح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذى تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك فى ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى ـ أى تحيروا ـ أو تقول : تمنوا فى ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سددت عليهم مذاهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخميس : الجيش . « والغرة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالغرة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصَرْنَا ... بِذِى لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ الْعَوَالِى

(الأزب ـ فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسوم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهزمت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج ـ فرس كريم كان لبنى هلال ـ وملء ـ فى المصراعين ـ حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرفية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مالئة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تعلو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأينما كان النهار كانت السيوف . وهذا ـ كما قال الواحدى ـ مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات ـ بسكون الراء ـ للضرورة والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء ـ لأن اليد ترفع للضرب ـ توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة



وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمُشْقِيقٍ أَلِيَّتَــــهُ ... أَلاَّ أَنْثَنِى فَهْوَ يَنْأَى وَهْىَ تَبْتَسِمُ (١)

لاَ يَأْمُلُ النَّفَسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ ... فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الْأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ (٢)

تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَــةٌ ... صَوْبُ الأَسِنَّةِ فِى أَثْنَائِهَا دِيَمُ (٣)

تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِى لَيْسَ تَنْفُذُهَا ... كَأَنَّ كُلَّ سِــنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ (٤)

فَلاَ سَــقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ ... لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَــهُ الرَّخَمُ (٥)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالرءوس المقطوعة على قدر تلك الضربات، لاتخطىء لهم ضربة عن قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم :أى قوادهم ؛ وأليته يمينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : التفسير ؛ ولا انثنى : حكاية اليمين ، وينأى يبعد . يقول : ترك يمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولاينهزم ولايرجع عنك ، فانهزم وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى ــ وقد طابق بينهما ــ والمهجة : الروح . وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفعه . يقول : ليأسه من نفسه لايأمل أن يستتم النفس البعيد ــ أى الطويل ــ فهو يغتنم أنفاسه القريبة سرقة من أيدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابغة : الدرع التامة الطويلة والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ،وفى أثنائها : أى فى تضاعيفها ومطاويها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابغة ، وقد تلطخت بالدماء التى تسيل من الأسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة المطر تتابعا .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القرطاس ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) الغيث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه؛ ومن شجر: بيان لـ«ما» . وزل عنه : أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسر فى الخلقة ، يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهَى الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ　　شُرْبُ الْمُدَامَةِ وَالأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ (١)

مُقَلَّداً فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطَبٍ　　لاَ تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ (٢)

أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا

فَلَوْ دَعَوْتَ بِلاَ ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ (٣)

يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ　　فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوْتٌ وَلاَ هَرَمُ (٤)

نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِهِ　　نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْساً غَيْرَهَا الْحُلُمُ (٥)

فكانت تجتمع ـ الطير ـ عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لايسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر ـ الذى كسبته فى هذه الغزوة ـ لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقلدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى متنه طرائق ، والضمير فى « منهما » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفا تجاهد به أعداء الله ولا شىء يستديم النعم مثلهما ؛ فقوله : لاتستدام الخ استئناف ، قال العكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، فجرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ماقتلت منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلمها بأنها لاتمتنع منك كلما أردت سفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسالت دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرهما . يقول: إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا حتف أنوفهم أو يهرموا من كبر السن . فيهلكون شباناً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنيهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم ؛ فما تترك منهم أحداً حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين ـ يريد جفونه ـ والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِى الَّذِى شَهِدَتْ
قِيَامَهُ وَهُدَاهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ[١]
ابْنُ الْمُعَفِّرِ فِى نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ[٢]
لاَ تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَداً خُتِمُوا[٣]
وَلاَ تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ[٤]

* * *

إلى الأحلام ولا ما تزينه من بلوغ الآمال ، لأن مثله فى قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزيمته . وقال العكبرى : نفى رقاده عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرح — بالحاء المهملة —

(١) القائم : إما بالرفع — على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو القائم — وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يدبرها ويمضيها على وجهها الهادى إلى دين الله ، الذى شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهداه فى الدين ؛ ولك أن تقول الهادى من هدى اللازم : أى المهتدى .

(٢) عفره : ألقاه على العفر : أى التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة — يقول : هو ابن الذى قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون فى التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أبى الهيجاء للقرامطة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبرى : وأنث ضمير نجد — بقوله فوارسها — على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تمييز . يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يداً .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخليق به ألا يسمع ، فالصمم حينئذ محمد حق يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .



وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله فى صباه :

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا[1]
وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْماً فَيُنْحِلَهُ السَّقَامُ وَلاَ دَمَا[2]
وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَا[3]

---

(١) كفى : دعى واتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . وويك : أصلها ويلك، فحذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل أرانى ؛ والياء — فى أرانى — مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«ألوما» مفعول ثالث وأنجم أى أقلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أقلعت عن المطر ؛ وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه — المتنبى — استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : اتركى عذلى ، فقد أرانى الهم — المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب — أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وعلى هذا يكون « ألوما » مبنيا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذا . وقال قوم : « ألوما » من المليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى الإلامة واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب — أن لومك أبلغ تأثيرا وأشد على وذلك أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تقولُ وَتُظْهِرُ وَجْداً بنَا وَوَجْدِىَ لو أظهرت أوجد

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستغنيا بنفسه:أى كفى لومك فإنى أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون « هم » مرفوعا بابتداء مضمر أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) خيال : عطف على « هم » ، جعل جسمه خيالا ليدل بذلك على دقته ونحوله ، فإن الخيال اسم لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى محلا من لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب « ينحله » لأنه جواب نفى بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على «هم » ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب ، واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهيب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد



وَإِذَا سَحَابَةُ صَدِّ حِبٍّ أَبْرَقَتْ تَرَكَتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا(١)

يَا وَجْهَ دَاهِيَةَ الَّذِى لَوْلَاكَ مَا أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِى وَرَضَّ الْأَعْظُمَا(٢)

إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُوُّ فَإِنَّنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كَبِدِى وَمِنْهَا مُعْدِمَا(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما فى قلبى من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم فى قلبى ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والقصة واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تعذل على الهوى ألا ترى إلى قول أبى حية النميرى :

عَذَلَتْنَا فى عشقِها أمُّ عمرو هل سمعتمْ بالعَاذلِ المعشوقِ ؟

والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينة فى وداع محبوبته :

غدَتْ مُقْلتِى فى جنّةٍ من جمالها وقلبى غدًا منْ حُبها فى جهنم

(١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعلقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شىء مر : علقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت مخايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالت إلى مرارة .

(٢) قال ابن جنى : داهية : اسم التى شبب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر ، لعظيم ما حل به من بلائها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جنى لترك صرفها فى البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شىء : دقاقه ، فالمعنى . ضعفت حتى كأنى قد كسرت عظامى .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره فى مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلا عنه سلوا : نسى ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلو قد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عدمتها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم ـ فقير ـ منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بمحبتها ؛ فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كبده وحبيبته



غُصْنٌ عَلَى نَقَوَىْ فَلَاةٍ نَابِتٌ ‏ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِماً(١)
لَمْ تَجْمَعِ الأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهٍ ‏ إِلا لِتَجْعَلَنِي لِغُرْمِي مَغْنَماً(٢)
كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَا أَبِي الفَضْلِ الَّتِي ‏ بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا(٣)
يُعْطِيكَ مُبْتَدِراً فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ ‏ أَعْطَاكَ مُعْتَذِراً كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا(٤)

لأنه قد حرمهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جنى « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المحمق والمماق والمبلط والمعسر والمقتر والمفلس، كل أولئك : الذى لا مال له ومن كلام العرب : كلأ تيجع له كبد المضرم، وهو الذى لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعيها فى هذا الكلأ فأوجعته كبده .

(١) نقوى: تثنية « نقا »،وهو الكثيب من الرمل، يقال فى التثنية : نقوان ونقيان، وسمى الكثيب من الرمل نقا لأن المطر إذا أصابه نقاه وغسله كما ينقى الثوب بالغسل . والفلاة : المفازة . وتقل : تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هى غصن — يعنى قامتها — نابت على كثيبى رمل « يعنى ردفيها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلا مظلما .

(٢) يريد بالأضداد : ما ذكره فى البيت السابق — من دقة قامتها ، وثقل ردفيها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها — وهذه — على تضادها — مجموعة فى شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة فى شخص تماثل حسنه إلا لتجعلنى هذه الأضداد غنما لغرمى : أى لما لزمنى من عشقها وهواها، يعنى إلا لتستعبدنى وترتهن قلبى فقوله « فى متشابه » أراد شخصها الذى تشابهت أعضاؤه فى حسن الخلق وتناسبه ، والغرم : الغرام ، وهو مالزمه من عشقها وهواها ؛ والمغنم : الغنيمة ، وهو ما يغتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار فى كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة . ويروى« لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبة.

(٣) بهر الشىء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات الممدوح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طلقا لدى الندى ، جهما عند اللقاء — فى الحرب — وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت واصفيها فلم يقدروا على وصفها فأنطق واصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أفحمهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفحام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذى لا يقول الشعر، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يبتدرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم — أى ذنب — وهو فى الأصل الكسب يقال



وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعاً
وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّماً(١)

نَصَرَ الفَعَالَ عَلَى المِطَالِ كَأَنَّمَا
خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّماً(٢)

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهَراً
مِنْ ذَاتِ ذِي المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا(٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويجترم : أى يتكسب ويطلب ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمتهم : أى كاسبهم ، قال أبو خراش الهذلى يصف عقابا شبه فرسه بها :

كأنى إذ غدوت ضمنتُ بَزِّى
من العِقبان خائتةً طلوبا

جريمة ناهض فى رأس نِيقٍ
ترى لعظام ماجمعتْ صليبا(١)

(١) التعظم: إظهار العظمة ؛ وضده التواضع،وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع التواضع موضع الضعة والخساسة ، كما وضع التعظم موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه وارتفاع رتبته فى تواضعه ،واتضاعها فى تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ، ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعال : اسم للفعل الجميل ، والمطال : المماطلة ،وهى المدافعة ،قال الواحدى : ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعال ، يقول : نصر فعله على القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام على العطاء ، ولا يحوج إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ،قال الواحدى : وهذا على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لايوصف بأنه يحرم عليه شىء ، ولكنه أراد أن يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجوهر : الأصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ؛ يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرا «أى أصلا ونفسا» من عند الله :أى أن الله تعالى

---

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائتة : أى منقضة . يقال خاتت العقاب : أى انقضت، وطلوبا : صفة لخائتة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض : فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لاهُوتِيَّةً ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا(١)
وَيَهِمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا(٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . وألفاظ مستكرهة فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردىء المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهيـة لنفسه . وأسمى من سما : صفة لذى الملكوت ـ أما ابن جنى فإنه يجعله للممدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعاً ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لا هوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لا هوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولا هوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لا هوت ، وللانسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من أله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى ـ فى أحد قولى سيبويه ـ ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فيك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلما : صلة « يهم » يقول: ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فيك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فيك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى: أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفيك ـ فى أول البيت ـ يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفيك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى وليس للمعنى على ماذكره ـ أى ابن جنى ـ من وجهين : أحدهما: أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به، إلا أن يقال :هم به ولم يفعله ، والآخر: أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فيك كل عضو منك أن يتكلما * أفاد المعنى المراد ، فيبقى ذلك الباقى لغوا ،

أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنُّ أَنِّيَ نَائِمٌ ... مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالإِلٰهِ فَأَحْلُمَا(١)

كَبُرَ العِيَانُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ ... صَارَ اليَقِينُ مِنَ العِيَانِ تَوَهُّمَا(٢)

يَا مَنْ لِجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ ... نِقَمٌ تَعُودُ عَلَى اليَتَامَى أَنْعُمَا(٣)

والمعنى أنه جعل التنطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغى أن يقول هم — بأن يظهر — ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهى — أعنى به القوة الناطقة — وكان هو الموجب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : يهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن لعظم ما أرى منك وغرابته أظن أنى فى الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : من يحلم بالإله حتى أحلم بك ؟ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة الشراح : أنا أبصرك وأظن أنى أراك فى النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما : أى أن مثل هذا لا يرى فى اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أبطحاء مكة هذا الذى ... أراه عيانا وهذا أنا

قال الواحدى : استفهم متعجبا مما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت والمعنى : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه فى النوم أحد حتى أراك أنا : أى كما لا يرى الله تعالى فى النوم : كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط فى إنكار رؤية الله تعالى فى النوم ، فإن الأخبار قد تواترت بذلك . وقد ذكر المعبرون حكم تلك الرؤيا فى كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى فى نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على المعبرين فلم يتكلموا فيها بشىء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قد مات فى بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر فى البيت السابق. يقول : قد عظم على ما أعاينه من الممدوح وحاله حتى شككت فيما رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار للعاين كالمتوهم المظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه



حَتَّى يَقُولَ النَّاسَ مَاذَا عَاقِلاً ، وَيَقُولَ بَيْتُ المَالِ مَاذَا مُسْلِمَا(١)

إِذْ كَارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إِذْكَارِى لَهُ إِذْ لاَ تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمَا(٢)

* * *

غير أن تلك النقم فى أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .

(١) ماذا — فى المصراعين « مركبة من «ما» النافية العاملة عمل «ليس » و «ذا» الإشارية . يقول : هو يفرط فى جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلما ،لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئاً ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدْتَ بالأموال حتى قيل ما هــــذا صحيح

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك فى موضع آخر فقال :

جاد بالأمـــوال حتى حسبوه النـــاس حُمْقا

وتبعه أبو تمام فقال ،

ما زال يهذِى بالمكارم والنَّدَى حتى ظننا أنه محمــــــومُ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبرى :

حمراء تامِكةُ السنام كأنها جملٌ بهَوْدج أهله مظعون

جادت بها عند الوَداع يمينهُ كلتا يدَىْ عُمَرَ الغداةَ يمينُ

ما كان يُعطى مثلها فى مثله إلا كريم الخِيم أو مجنونُ(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، والمترجم : للمعبر عن الشىء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكار بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ،فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكار إذكارا لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وإذا الجود كان عونى على المر ء تقـــاضيته بترك التقاضى

(١) تمك السنام . اكتنز وتروى ؛ وفى الصحاح:أى طال وارتفع فهو تامك، وناقة تامك : عظيمة السنام .

وقال فى صباه :

إِلَى أيِّ حِينٍ أنتَ فى زِيِّ مُحْرِمِ ... وَحَتّى مَتَى فى شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ (١)

وَإلاَّ تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّماً ... تَمُتْ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ (٢)

فَثِبْ وَاثِقاً باللهِ وَثْبَةَ مَاجِدٍ ... يَرَى المَوْتَ فى الهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فى الفَمِ (٣)

***

وقال فى صباه :

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِى غَيْرَ مُحْتَشِمِ ... وَالسَّيْفُ أحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللِّمَمِ (٤)

---

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العرى ، لأنه لا يلبس المخيط . يقول ـ لنفسه ـ : إلى متى أنت عريان شقى بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى: وهو الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن الاستفهام؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين، قال العكبرى: فكأنه قال : إلى كم التوانى ؟

(٢) هذا حث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل فى الحرب كريما مت غير كريم فى الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن تبقى ثم لا تنحو من الموت فى الذل

(٣) الهيجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل . يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أهلاً وسهلا بضيفٍ نزلْ ... وأستودع الله إلفاً رحلْ

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللمم : جمع لمة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه شائعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله «غير محتشم» ثم فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحترى :



إبعَدْ بَعِدْتَ بَياضًا لا بَياضَ لهُ   لَأَنْتَ أَسْوَدُ فى عَيْنِى مِنَ الظُّلَمِ[١]

ودِدتُ بياضَ السيفِ يوم لِقِينَنِى   مكان بياضِ الشيب حل بمَفرِقى[١]

« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى : إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمرة ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن ظاهر قوله « أحسن فعلا منه بالمم » : يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً — من باب فرح — إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضا : تمييز؛ وعنى بالبياض الأول : بياض الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ فى العين أبيض ناصِعٌ   ولـكنه فى القلبِ أسْود أسفعُ

وقد قال المتنبى فى بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فـكأنها ببياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسما لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سوادا من الظلم ؛ لما يورى به من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح فى قوله *

* لأنت أسود فى عينى من الظلم *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون فى نحو قول الراجز :

* أبيضُ من أختِ بنى إباض[٢] *

---

(١) لقيننى : أى الغوانى المذكورة فى البيت قبله وهو :

أجِدكَ ما وصل الغوانى بِمُطْمِعِ   ولا القلب مِن رق الغوانى بمعتق

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقبله . .

لقد أتى فى رمضان المـاضى   جارية فى دِرْعِها الفضفاضِ

تقطعُ الحـــديث بالإيماض   أبيـضُ من أخت بنى إباض

بِحُبِّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبِ تَغْذِيَتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَالِغَ الْحُلُمِ(١)

إذا الرجالُ شَتَوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سِرْبال طبّاخ(١)

وسمعت العروضى . يقول : اسود ههنا : واحد السود ، والظلم : الليالى الثلاث فى آخر الشهر التى يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شيبه أنت عندى واحد من تلك الليالى الظلم . على أن ابن جنى قد قال مايقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود فى عينى كلاما تاما ، ثم ابتدأ يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا يقارب ما ذكره العروضى ، غير أنه لم يجعل الظلم : الليالى .

(١) يريد بقاتلته : حبيبته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتى : خبر مقدم ؛ وتغذيتى : وبعده .

مثلُ الغزالِ زين بالخضاض قبّاء ذاتُ كفل رَضراض

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أباض معروفة بالبياض ، وبنو أباض قوم . والخضاض : نوع من الحلى والقباء . الضامرة البطن فعلاء من القبب وهو دقة الخصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق فى لمعانه وتقطع الحديث بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن ثغرها ويحتمل أن تكون هى المحدثة وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة الخلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم – أى نظرت – شغلهم حسن عينيها فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا

أنت ابنُ هندٍ فأخبِرْ من أبوك إذا لا يصـلحُ الملكَ إلا كل بذاخ

إن قلت : نَصر فنصر كان شرفنى قِدمًا وأبيضهم سربال طبـاخ

ما فى المعالى لـكم ظل ولا ورق ، وفى المخـازى لـكم أسناخ أسناخ

مع أبياتٍ أخر . قال ابن الكلبى . هذا الشعر منحول وقوله . واشتد أكلهم أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهمزة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم – بفتح الهمزة – جعل الأكل بمعنى المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالغوا فى الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمُرُّ بِرَسْمٍ لاأُسَائِلُهُ ، وَلاَ بِذَاتِ خِمَارٍ لاتُرِيقُ دَمِي (١)
تَنَفَّسَتْ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ (٢)
قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي مَزْجُ أَدْمُعِهَا وَقَبَّلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمًا لِفَمِ (٣)

مبتدأ مؤخر ، وهواى وشيبى : قال ابن الشجرى : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين،و«طفلا» ،و«بالغ» حالين سدا مسد الخبرين، كما تقول ضربى زيدا جالسا وتقديره : هواى إذ كنت طفلا ، وشيبى إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بمعناه ، والعامل فى الحالين على هذا القول : المصدران ـ هواى وشيبى ـ والتقدير : تغذيق بحب فاتلق والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم . وقد بين فى المصراع الثانى وقت المحبة ووقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين ـ الحب والشيب ـ ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ماقاسيت من الهوى فصارا غذائى .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصا ، والخمار ما غطى به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرنى رسم دارها ، فأسأله تسليا ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمى أى تقتلنى .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم« شعبته إذافرقته» والملتئم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسرا على فراق عن وفاء : يعنى عما فى قلبها من وفاء صحيح غيرمنشق ، وفراق غيرمجتمع يريدوحزن فراق فحذف المضاف : أى أنها كانت منطوية على وفاء صحيح،وهم فراق لايلتئم «لايجتمع» وكان تنفسها عن هذين . والمعنى . إنا افترقنا بالأجساد «لابالقلوب» لأنها كانت معى على الوفاء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم فى كل وجه .

(٣) يقول : بكينا جميعا حتى امتزجت دموعى بدموعها فى حال التقبيل ؛ يعنى أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذى يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغلت الأسعار واشتد القوت فسربال طباخك نقى ، للؤمك ، ولو كنت كريما لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

ثياب طهاتك عند الشتا ء بيض تلألأ لا تدنس
وقدرك لم يعرها طارق وكلبك منجحر أخرس

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذُقْتُ مَاءَ حَيَــاةٍ مِنْ مُقَبَّلِهَا ... لَوْصَابَ تُرْبًا لَأَحْيَا سَالِفَ الْأُمَمِ (١)

تَرْنُو إِلَيَّ بِعَــيْنِ الظَّبْيِ مُجْهِشَةً ... وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ (٢)

تقاربا حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « فما » على : الحال ، كقولك كلمته فاه إلى فى : أى مشافهة ؛ ومزج :قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « مايمزج بالشىء» سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها: أى ممتزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى الفم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر يصوب صوبا » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حيي به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأمم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لو أسندتْ مَيْتاً إلى نَحْرِهــا ... عاش ولمْ يُنقــلْ إلى قابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجهشة ؛ متهيأة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو فى الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به الأصابع المخضوبة ، قال النابغة :

بمُخَضَّب رَخْصٍ كأن بنــانهُ ... عــنم على أغصانه لم يُعقد (١)

قال الجوهرى : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر العوسج (٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الخروب الشامى ، قال :

فــلم أسمعْ بمرضِعَةٍ أمالتْ ... لهــاةَ الطفلِ بالعنم المسوكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لهـا زهرة شديدة الحمرة ، جعل المتنبى عينها عين ظبى لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالعنم : أطراف بنانها محمرة بالخضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يا قمــراً أبصرْتُ فى مَأتَمٍ ... ينــدُبُ شجواً بين أترَابِ

يبــكى فيلقى الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ... ويلطم الوردَ بِعنــابِ

---

(١) رخاصة الأنامل لينها .

(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .



رُوَيْدَ حُكْمَكِ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ ... بالنَّاسِ كُلِّهِمِ أَفْدِيكِ مِنْ حَكَمِ (١)

أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ ... وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمِ (٢)

إِذًا لَبَزَّكِ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْغَرُهُ ... وَصِرْتِ مِثْلِي فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمِ (٣)

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالآمَالِ مِنْ أَرَبِي ... وَلاَ الْقَنَاعَةُ بِالإِقْلاَلِ مِنْ شِيَمِي (٤)

ومثله لابن الرومى :

كأنّ تلكَ الدموعَ قطرُ ندًى ... يقطُرُ من نرجسٍ على وردِ

وأحسن فيه الوأواء الدمشقى بقوله :

فأمطرتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ ... ورداً وعضتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ

(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأمهله . ونصب « حكمك » به ، وغير منصفة : حال ، والعامل فيه : حكمك : أى أن تحكمى غير منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « ياغير منصفة » فحذف حرف النداء ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز و « من » زائدة . يقول : دعى أو أقلى حكمك علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك بالناس كلهم من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشىء ؛ ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجعه . وهذا كما يقول الناشىء :

لفظى ولفظك بالشكوى قد ائتلفا ... يا ليت شعرى فقلبانا لم اختلفا

(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل زيد يصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجننت من الألم ما أجننته إذن لبزك — أى لسلبك — ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لأذهب حسنك وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما ثنى الثوب لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكأنه قال : وكساك حلة السقم كما كسانى .

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشىء اليسير بعد الشىء . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زجيت الشىء تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؟ أى كيف تدافعها . وزجيت أيامى : دافعتها بقليل من القوت أجتزئ به وأكتفى ويقال تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلاَ أُظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْــرِ تَتْرُكُنِي ... حَــتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي (١)

لُمِ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِــدَتِي ... بِرِقَّةِ الْحَالِ وَاعْذُرْنِي وَلاَ تَلُمِ (٢)

أَرَى أُنَاســـاً وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ (٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال: الفقر وقلة ذات اليد. يقول : ليس من عادتى أن أزجى الآمال وأدافع الوقت بشىء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير ، يعنى أنه يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَــنِّي ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِى الدِّلاَءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى: والعرب تستعمل البنوة والأخوة فيمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان معتادا للأسفار ، وهو أخو معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعنى حتى أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار .

(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبيانى :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ (١)

والجدة : الغنى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول ـ لمن لامه فى الفقر ـ لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى الغنى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له معقول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام. أى وأسمع ذكر جود فهو من باب :

* عَلَفْتُهَا تِبْناً وماء بارداً * (٢)

---

(١) من قصيدة للنابغة الذبيانى يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه مما بلغه عنه وهى التى أولها .

يا دارَ ميــــةَ بالعلياء فالسند ... أقوتْ وطال عليها سالفُ الأَبَدِ

ولبد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ، فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبدا .

(٢) وماء باردا : أى وسقيتها ماء باردا . جعله العينى صدراً ؛ وأورد له عجزاً هكذا :



وَرَبُّ مَالٍ فَقِـــيراً مِنْ مُرُوَّتِهِ ... لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كَمَا أَثْرَى مِنَ الْعَدَمِ (١)
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ ... وَيَنْجَلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ (٢)
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَـــتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ ... فَالْآنَ أُقْحِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ (٣)

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم ، وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول السيد الحميرى :

قد ضيع الله ما جَمعتُ من أدبٍ ... بين الحمـــير وَبين الشاء والبقرِ

قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم ، لأنا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئاً غير ذلك .

(١) رب مال : معطوف على « أناسا » ـ فى البيت السابق ـ والمروة . أصلها الهمز ، يقال امرؤذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى فى الثانية ، وهى النخوة وكمال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المــال حتى أثرى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة عند كثرة المال . فقوله « أثرى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر ؛ وهذا المعنى من قول أبى تمام :

لا يحسَبُ الإقلالَ عُدْماً بلْ يرى ... أنّ المُقلّ من المرُوءةِ مُعــدِمُ

(٢) النصل : نصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه سمى الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلى : ينكشف . يقول سيصحب السيف منى رجلا مثل حده فى المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛ يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع : أى أنه أشجع الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربت ، وثمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

---

* حتى شتتْ همالةً عيناها

وجمـــله غيره عجزاً وصدره ... لما حططتُ الرحل عنهـــا وارداً

ولا يعرف قائله ، وقيل: إنه لذى الرمة ، وشتت: أقامت شتاء وهمالة من هملت العين إذا صبت دمعها .



لَأُتْرُكَنَّ وُجوهَ الْخيلِ ساهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ ساقٍ عَلَى قَدَمِ (١)
والطَّعْنُ يُحْرِقُها وَالزَّجْرُ يُقْلِقُها حَتَّى كَأَنَّ بِها ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ (٢)
قَدْ كلَّمَتْها الْعَوالِى فَهْىَ كالِحةٌ كَأَنَّما الصَّابُ مَعْصوبٌ عَلَى اللُّجُمِ (٣)

طلبُوا صُلحنا وَلاتَ أَوانٍ فأجبنا أن ليسَ حينَ بقاء (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار ؛ والمقتحم : كذلك ، بمعنى الاقتحام ، وهو الدخول فى الشىء . يقول : تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار ؛ فالآن أقحم : أى أقحم نفسى ، أى أوردها المهالك وأوقعها فى الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام . وعلى هذا فمفعول « أقحم » محذوف ، ولك أن تقرأها أقحم : أى أقتحم ، وقد ورد قحم يقحم ـ من باب خضع ـ بمعنى اقتحم .

(١) ساهمة : متغيرة لما يلحقها من شدائد الحرب : يقال سهم وجهه يسهم سهوماً : إذا تغير وجملة والحرب أقوم الخ : حالية . يقول : لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولأتركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم : أى شديدة .

(٢) يحرقها : يروى يخرقها ؛ والضمير : للخيل : والجملة : عطف على الجملة الحالية فى البيت السابق ـ والزجر : الصياح ؛ واللمم : الجنون . يقول : والطعن يعمل فى الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها ، والزجر ـ أى الصياح بها عند اقتحامها فى الحرب أو فى الماء ـ يمنعها عن التأخر ، ويقلقها ـ أى يحركها ـ حتى كأن بها جنوناً . يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكأنها مجنونة ، إذ لا تستقر ولا تثبت .

(٣) كلمتها : من الكلم الذى هو الجرح . والعوالى : الرماح . وكلح : كشر فى عبوس . والصاب : شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن ، وربما نزت منه نزية ـ أى قطرة ـ فتقع فى معين كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

إنى أرِقتُ فبتُّ الليلَ مُشتجراً كأنَّ عينِىَ فيها الصابُ مذبوحُ (٢)

---

(١) البيت لأبى زبيد الطائى النصرانى الشاعر الإسلامى من قصيدة راجعها فى الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على « لات » هناك .

(٢) يروى :

* نام الخلىُّ وبتُّ الليل مشتجراً *

والمشتجر . الذى يضع يده تحت حنكه مذكرا لشدة همه ؛ ومذبوح . أى مشقوق معصور . وأصل الذبح : الشق .



بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِى   حتى أَدَلْتُ لَهُ من دَوْلَةِ الْخَدَمِ (١)
شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً   وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فى الحَرَمِ (٢)
وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تحت العجـاج بِهِ   أُسْدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ (٣)

يقول : هى عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرماح ، فكأن الصاب قد شد على لجمها فهى تجد مرارته ، ومعصوب : يروى معصور ، ويروى: مذرور .

(١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضى فى الأمور : وأدلت له من كذا : أى أعنته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض فى الأمور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لايستحقون الإمارة ؛ يعنى بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .

(٢) شيخ : إما بالجر على التبعية لمنصلت ، وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف: أى هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهى ما يحسن فعله ولا يحرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لايعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أنتصر على أعدائى بكل شيخ ماض فى أموره ، لايبالى بالعواقب ؛ مستحل للمحارم ، سافك للدماء وهذا بالهجاء أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف، فإن الشيخ من أسمائه ، وكذلك العجوز قال أبو المقدام البصرى ـ واسمه جساس بن قطيب ـ :

رُبَّ شيخٍ رأيْتُ فى كفِّ شيخٍ   يَضْرِبُ المعلمـين والأبطالا
وعجوزٍ رأيْتُ فى فَمِ كَلْبٍ   جُعِلَ الكَلْبُ للأمير جمـالا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيها بالشيب ، وكذلك المعنى فى العجوز والكلب : مسمار من ذهب أو فضة يجعل فى قائم السيف . جاء فى لسان العرب: قال ابن الأعرابى: الكلب مسمار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل: العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه حديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : الغبار والكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . ورامته : يريد رامت عنه : أى زالت عنه ولم يزل هو عنها ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أبانا فلا رِمْتَ مِنْ عنـدِنا   فإنا بخـير إذا لم ترِمْ



تُنْسِي البِـــلادَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِي ... وَتَـكْتَفِي بالدَّمِ الجَارِي عن الدِّيَمِ (١)
رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نفسُ وَاتْرُكِي ... حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ (٢)
إنْ لَمْ أَذَرْكِ عَلَى الأَرْمَاحِ سَـــائِلَةً ... فَلَا دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ المَجْدِ وَالْـكَرَمِ (٣)

وقال الجوهري : يقال رامه يريمه ريما : أي برحه ، ويقال لاترمه : أي لاتبرحه، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورمت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو. قال ابن جنى والواحدى : والنطح إنما هو للكباش ، ولا يستعمل فى الأسود ، ولو قال كلما صدمت أورميت لكان أليق، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها بريق ولمعان . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحروب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسبه من الدماء .قال العكبرى: وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد بنى بويه أو بنى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وحماتها، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ ويا نفس : يروى: حوباء : أى ياحوباء ؛ والحوباء : النفس. والشاء :جمع شاة؛ والنعم: الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهالك والحروب واتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء: أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيخى: قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت خياض — بالخاء المعجمة — لأنى لو قلته بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنما هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلابد أن يخوضه إما بيد ، أو فم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فإن الموت فى العز حياة ؛ واتركى خياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال المتنبى : خياض غير الردى بالخاء أو قال : واتركى ورد خوف الردى الخ : لم يحتج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يغمض معانيه حتى لا يفهمها إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه— : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح— أى إن لم أحضر الحرب

أَيَمْلِكُ المُلْكَ وَالأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ (١)

مَنْ لَوْ رَآنِيَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ (٢)

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَداً

وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ العُرْبِ وَالعَجَمِ (٣)

حتى ليسيل الدم منى على الرماح ـ فلا دعيت أخا المجد والكرم؟ قال العكبرى: وهو من قول ابن أيوب.

إن تقتلونى فآجالُ الكماة كما خُبِّرتُ قبلُ وما بالقتل من عارِ

وإن نجوتُ لوقتٍ غيره فعسى وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدار

(١) ظامئة: عطشى، ولحم: فاعل «يملك» والوضم: الخشبة يقطع الجزار عليها اللحم، ويضرب اللحم على الوضم مثلا للضعيف الذى لا امتناع عنده، ويقال للمرأة: لحم على وضم، ومنه قول القائل:

أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم

وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع، فإذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد، حتى الطيور والذباب. وقوله: أيملك الملك: استفهام معناه الإنكار. يقول: لا يملك الملك ضعيف ذليل لا يدفع عن نفسه كاللحم على الوضم، وأسيافنا عطاش إلى دمه والطير جائعة لم نشبعها من لحمه، يعنى أنه يقتل ويلقى للطيور ولا يملك. قال ابن جنى: يريد أن ملوك عصره ليس فيهم من يدفع عن نفسه.

(٢) من: بدل من قوله لحم على وضم. والظمأ: العطش، ومثلت: انتصبت وروى عرضت، بدل مثلت. يقول: من لو كنت ماء وكان عطشان لمنعه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا، ولو رآنى فى النوم ماثلا له لهجر النوم خوفا من أن يرانى فى النوم؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبى حفصة:

فإذا تنبَّهَ رُعْتَه وإذا غفى سَلَّتْ عليه سيوفَك الأحلامُ

(٣) ميعاد: مبتدأ، خبره: غدا، وكل رقيق الشفرتين: أى كل سيف رقيق الشفرتين، وهو الذى رقت شفرتاه «حداه» بكثرة الصقل، ومن عصى: أى من عصانى، عطف على كل. يتوعد من عصاه من الملوك بحرب إيقاد نار الحرب.



فإنْ أجابوا فمَا قصْدِى بِهـا لَهُمُ ‏ ‏ وَإنْ تَوَلَّوْا فمَا أرْضَى لَهـا بِهِمِ (١)

* * *

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، على ما كان قد شاهده من تهوره فقال (*)

أبَا عَبْـدِ الإلٰهِ مُعاذُ إنِّى ‏ ‏ خَفِيٌّ عَنْكَ فى الهيجا مَقَامِى (٢)

ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِى وَأنَّا ‏ ‏ نُخَاطِرُ فِيهِ بِالمُهَجِ الجِسَامِ (٣)

---

(١) يقول : إن أطاعونى وأجابونى إلى ما أدعوهم إليه : فلست أقصدهم بسيوفى ، وإنما أقصد بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عنى ومضوا فى عصيانهم : فلا أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم

* جاء فى الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو فتى ، فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ،قلت :والله إنك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك : أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ، فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبى مرسل كما ذكرت ؛ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً قلت : بماذا ؟ قال : بإدرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ،وضرب الأعناق لمن عصى وأبى ؛ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؛ وعذلته على ذلك ، فأنشد يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال العكبرى : ولو كان عطف بيان لـكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهيجاء : من أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتى فى الحرب ومقدار ما طبعت عليه من الجرأة والبأس ، ومن ثم تلومنى على ما أنا مقدم عليه لظنك بى العجز عن بلوغه:

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبما رحمة من الله » . وكقوله الشاعر :



أَمِثْلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ ... وَيَجْزَعُ مِنْ مُلاَقَاةِ الْحِمَامِ (١)

وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً ... لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي (٢)

وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي ... وَلاَ سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي (٣)

إِذَا امْتَلأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي ... فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُّظِ وَالْمَنَامِ (٤)

* * *

إن أمسِ ما شيخاً كبيراً فطالما ... عُمِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع (١)

قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذى ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ، فإذا كانت نكرة فتقديره : جسيم شيء هو طلبى ، والمهج: الارواح . يقول: عاتبتنى على محاولة الأمر العظيم ومخاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .

(١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان. والجزع : نقيض الصبر ، والحمام : الموت. يقول : مثلى لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه، وإما لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) المفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان الذى هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصا ثم برز إلى محاربا لخضب شعر رأسه سيفى.

(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده منى، ومن تغيير حالى وتوهين أمرى ، وما انقدت له انقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحترى :

لعمرُ أبى الأيام ما جارَ صرْفها ... علىَّ ولا أعطيتها ثِنىَ مِقْوَدِى

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل : يريد فويل لهم . يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظرى فويل لهم فى الحالتين لأنهم يخافوننى أشد الخوف ، فلا يكون لهم أمن فى اليقظة ولا لذة ولا راحة فى منامهم .

---

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام فى حماسته لمجمع بن هلال قال : غزا مجمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يزيد بن سعد بن زيد مناة ، فلم يصب شيئا فرجع من غزاته تلك فمر بماء لبنى تميم عليه ناس من بنى مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال فى ذلك . إن أمس ما شيخا . إلى آخر الأبيات . قال المرزوقى فى قوله إن أمس ماشيخا :«ما» زائدة . يقول : إن صرت شيخا طاعنا فى السن هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر، ومن يكبر يهرم، وطول العمر لا يجدى إذ كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت .

وقال له بعض بنى كلاب : أَشْرَبْ هذه الكأس سروراً بك ، فقال :

إِذَا مَا شَرِبْتُ الْخَمْــرَ صِرْفًا مُهَنَّأً
شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ،(١)
أَلاَ حَبَّذَا قَوْمٌ نَدَامَاهُمُ الْقَنَا يُسَقُّونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمِ الْعَزْمُ،(٢)

* * *

---

(١) صرفا : أى خالصة غير ممزوجة . والذى من مثله شرب الكرم : هو الماء . يريد أن شرابه الماء ، لا الخمر .

(٢) يقول : حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرماح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم: أى كأنها نداماهم ، لأنهم لا يخلون من صحبتها ، ويسقونها ما يرويها من الدماء ، فهم سقاة رماحهم ، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء . هذا : والندامى جمع ندام ، والندام : جمع النديم ، وهو الشريب الذى ينادمه ؛ ويقال له الندمان أيضا ؛ قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر استعمله على ميسان :

فإن كنت نَدْمانى فبالأكبر أسقنى ولا تسقِنى بالأصغرِ المُتَثَلِّمِ
لعــلَ أميرَ المؤمنينَ يسوؤُه تنادُمنا فى الجَوْسقِ المتهدِّمِ

ولمناسبة حبذا : فقولهم حبذا الأمر : أى هو حبيب ، قال سيبويه ، جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشىء الواحد ، وهو عنده اسم ، وما بعده مرفوع به ، ولزم ذا حب ، وجرى كالمثل ، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى المؤنث « حبذا » ولا يقولون « حبذه » ؛ ومنه قولهم : حبذا زيد ، فحب : فعل ماض لا يتصرف ، وأصله « حبب » على ما قاله الفراء — و « ذا » : فاعله ، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة ، جعلا شيئا واحداً ، فصارا بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء؛ و « زيد » : خبره ، ولا يجوز أن يكون بدلا من « ذا » لأنك تقول : حبذا امرأة ، ولو كان بدلا : لقلت حبذت امرأة قال جرير :

يا حبــذا جبلُ الريَّانِ مِنْ جَبَلٍ وحبَّــذا ساكِنُ الريَّانِ من كانا

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :

وَأَخٍ لنَا بَعَثَ الطَّلاَقَ أَلِيَّةً لَأُعَلِّنَّ بِهذِهِ الْخُرْطُومِ (١)

فجعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمِ (٢)

* * *

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخى :

مَلاَمِي النَّوَى فى ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ لعَلَّ بِهَا مِثْلَ الذِى بِى مِنَ السُّقْمِ (٣)

وحبـذا نفحاتٌ من يمانية تأتيك من قِبل الريّان أحيانا (١)

(١) الألية : اليمين. والتعليل : التلهى بالشىء ، وقال الشراح فى قوله لأعلّن :إنه من العلل ، وهو السقى مرة بعد أخرى . والخرطوم : من أسماء الخمر ، قيل لأنها إذا بزل الدن انصبت فى صورة الخرطوم ، وقيل سميت بذلك لأخذها بخراطيم شرابهم ـ أى أنوفهم ـ كما قيل :

ولقد شربتُ الخمر حتى خِلتُها أفعى تَكِشُّ على طريق المُنخر

« كشيش الأفعى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلدها لا من فمها فإن ذلك من فحيحها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول . إن هذا الأخ حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق فجعلت ردى امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الخمر وشربتها غير آثم ، إذ كان قصدى بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النوى : البعد وهى مؤنثة . يقول : إن لومى الفراق ـ فى تفريقه بيننا وظلمه إيانا بالبعد ـ غاية الظلم منا فلعله يعشقها كعشقى إياها ، فلذلك يختارها لنفسه ويحول بينى وبينها . وقد حقق هذا المعنى فى البيت التالى ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

---

(١) من قصيدته التى مطلعها :

بان الخليـط ولو طوّعت ما بانا وقطّعوا من حبـال الوصل أقرانا

وفيها يقول :

إن العيون التى فى طرفها مرضٌ قتلننـا ثم لم يحيين قتلانا

فَلَوْ لَمْ تَغِرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَــاءَكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَصْمِي (١)

أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَــوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتِي بِغَيْرِ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلُهَا الْوَسْمِي (٢)

وحاربني فيــه رَيْبُ الزمانِ كأن الزمان له عاشــقُ

وقال البحترى :

قد بَيَّنَ البينُ المُفــرِّقُ بيننا عِشقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذاكَ الرَّبْرَبِ

(١) زواه : نحاه وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تغار عليكم لما منعت عنى لقاءكم وطوته عنى ، ولما خاصمنى بسببكم . هذا ؛ والخصم : المخاصم ، يستوى فيه الجمع والواحد والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهى خصم .

(٢) الوسمى : أول مطر فى السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ، والولى : المطر الثانى ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أنعمت على برجوعها إلى الوصل مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذى الرمة :

لِنِي وَلْيَةً تُمرِعْ جنــابى فإنَّنِي لِمــا نِلتُ من وَسْمِيِّ نُعْماكَ شاكِرُ

(لنى : أمر من الولى : أى أمطرنى ولية منك : أى معروفا بعد معروف) . والمعنى من قول بشار :

قد زُرْتِنِي زَوْرَةً فى الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِّي ولا تجعليها بيضة الديك (١)

هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبرا مقدما ؛ والظبية مبتدأ مؤخرا : أو تجعل « الظبية » : فاعلا لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يصْرَعن ذا اللبِّ حتى لاحراك به وهن أضعفُ خلق الله أركانا

والريان : أطول جبال أجأ ، واليمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد فى البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن كان يعطى شيئا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل إن بيضة العقر هى بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها فى عمره



تَرَشَّفْتُ فَاهَا سُحْرَةً فَكَأَنَّنِى ... تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ (١)

فَتَاةٌ تَسَاوَى عِقْدُهَا وَكَلَامُهَا ... وَمَبْسِمُهَا الدُّرِّىُّ فِى الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ (٢)

---

(١) الترشف : المص، والسحرة : السحر. والظلم: ماء الأسنان وبريقها ؛ وإنما خص السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك ، وإذا كانت طيبة النكهة فى آخر الليل كان أمدح لها ألا ترى إلى قول امرىء القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ ... وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا ... إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرْ

وقال الحارثى :

كأن بِفيها قَهْوَةً بابِلِيَّةً ... بماء سماء بعد وَهْنٍ مِزَاجُها

والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهبا ، لذلك — قال :

* تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ *

ولله ابن الرومى حين بسط هذا المعنى فى هذه الأبيات البديعة :

أُعانقها والنفسُ بعدُ مَشوقةٌ ... إليها وهل بعدَ العناقِ تَدانِ

وأَلثَمُ فاها كَىْ تزُولَ حَرَارتى ... فيشْتَدُّ ما أَلْقَى من الهَيَمانِ

وما كان مقدارُ الذِى بى من الجوى ... لِيشفِيَه ما ترْشُفُ الشفتانِ

كأنَّ فؤادى ليسَ يشفِى غليلَه ... سِوَى أن يُرَى الرُّوحان يمتزجان

(٢) يقول ؛ إن كلا من قلادتها ونطقها وثغرها الذى تبسم عنه سواء فى الحسن والنظم ، فهى درية العقد والكلام والثغر . وهذا معنى متداول ، قال البحترى :

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تُبْدِيه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقِطه

فذكر شيئين ، وقال المؤمل بن أميل :

وإن نطقتْ دُرٌّ فَدُرٌّ كلامُها ... ولَمْ أر دُرًّا قبلها ينظِمُ الدرا

مرة واحده فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التى لا يربها معطيها بير يتلوها، وقيل: إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلق العقوق ، مثل لما لا يكون .

وَنَكْهَتهَا وَالْمَنْــدَلِىُّ وَقَرْقَفٌ مُعَتَّقَةٌ صَهْبَاءُ فى الرِّيحِ وَالطَّعْمِ (١)

فذكر شيئاً واحدا ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :

وَمُفَــارِقٍ نفسى الفِدَاءُ لِنفْسِهِ وَدَّعْتُ صبْرِىَ عَنه فى تَوْدِيعِهِ

وَرَأَيتُ منهُ مثلَ لؤلؤِ عِقْــدِهِ من ثغْرِهِ وَحــديثِه ودموعِهِ

فزاد ذكر الدمع على المتنبى .

(١) النكهة : رائحة الفم ؛ والمندلى ، العود الذى يتبخر به ، نسبة إلى مندل :موضع بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : بفتح القاف ويروى بكسرها :موضع ينسب إليه العود ، قال هكذا تقوله العامة ، والذى ذكره أهل المعرفة « قامرون »موضع ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية فى الجودة ، قال ابن هرمة :

أحبُّ الليــل إنّ خيالَ سلمى إذا نمنا ألَمّ بنــا فزارا

كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمنــدل أو بقارعتَىْ قمَارا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلى ، ويدلك على صحة ذلك دخول الألف واللام فى المندل قال عمر بن أبى ربيعة :

لِمَن نارٌ قُبَيْلَ الصُّبــحِ عند البيتِ ما تخبُو

إذا ما أُخمِدَتْ يُلْقَى عليها المندلُ الرطبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بأطيبَ من أردان عــزَّةَ مَوْهِناً وَقَدْ أُوقدَتْ بالمندَلِ الرَّطْبِ نارُها

« يقال : لقيته موهنا ، أى حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو ساعة تمضى من الليل » ولمناسبة بيت كثير رووا أن إحدى المدنيات قالت لكثير فض الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أرادان عزة .. . البيت ؟ فقال: نعم ، قالت:أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدكم امرؤ القيس :

ألم تريانِى كلمــا جئتُ طارقاً وَجدْتُ بها طيبا وإن لم تَطيَّبِ؟

والقرقف : من أسماء الخمر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل « تساوى » ـ فى البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء فى طيب الرائحة

جفَتْنِي كأنّى لَسْتُ أنطقَ قومِها ... وأطعنَهمْ والشُّهْبُ فى صورةِ الدُّهْمِ (١)
يحاذِرُنى حتفِــي كأنّى حتفُهُ ، ... وتنكُزُنى الأفعى فيقتلُها سُمِّى (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى فى الذوق شيئان : النكهة والخمر ، لأن العودمر المذاق ، ولكنه جمع بينها فى الريح ، وأراد فى الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستفهام الكلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره فى الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر ـ أى الواحدى ـ لأنه ـ المتنبى ـ قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول فى الريح والطعم ، ولم يرد سوى الخمر فى الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدهم : السود. يقول : جفتنى بهجرها كأنى لست الأنصح الأشجع من عشيرتها ؛ وإنما قال هذا لأن نساء العرب يملن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رأته امرأته يطحن فازدرته :

تقول وصكّتْ وجهها بيمينها ... أبعلِيَ هــذا بالرَّحَى المتقاعِسُ
فقلت لها لا تعجلى وتبيّنى ... بلائى إذا التفّتْ علىّ الفوارسُ (١)

فذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها بجفائه ، وقوله « والشهب فى صورة الدهم » يريد إذا رؤيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدى:

وتُنكرُ يومَ الرَّوْعِ ألوانَ خيلِنا ... مِنَ الطَّعْنِ حتى تحسَبَ الجَوْنَ أشقرَا

(٢) الحتف : الهلاك ، ونكزته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنابها قيل نشطته

---

(١) بعد البيتين :

ألستُ أردُّ القِرْنَ يركبُ ردْعَهُ ... وفيه سنانٌ ذو غرارين يابسُ
إذا هاب أقوامٌ تجشَّمتُ هولَ ما ... يهاب محيّاه الألدُّ المداعسُ
لعمرُ أبيكِ الخيرِ إنى لخادمٌ ... لضيفى وإنى إن ركبت لفارسُ

أبعلى هذا ـ بإشارة التحقير ـ تعجب مما رأت ، والمتقاعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، نقيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبيين ، وبلائى : مصدر أبلى الرجل إذا اجتهد فى حرب أو كرم ، ويركب ردعه : يريد يصرع منكوسا رأسه أسفله ، والغراران : الحدان



طِـــوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَبِيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي (١)

بَرَتْنِي السُّرَى بَرْىَ الْمُـــدَى فَرَدَدْنَنِي
أَخَفَّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفَسِي جِـــرْمِي (٢)

قال الوحدى : الحتف لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرنى الذى منه حتفى لو قاتلنى لحذرنى كأنى حتفه : أى كأنى أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرنى حذر من تيقن هلاكه من جهة إنسان ؛ ويحتمل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة فى وصف شجاعته. وقوله: وتنكرنى الأفعى : أى يتعرض لى أعدى أعدائى فأهلكه، وقد جعل أعداءه قسمين: حاذراً يحاذره، ومتعرضا له يهلكه التثنى ، ولما سمى عدوه أفعى : سمى قوة نفسه وشجاعته سما ، لشدة تأثيره فى عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة :امرأة كانت تقوم الرماح .والسريجيات السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريج . يقول : إن الرماح تنقصف قبل الوصول إلى إراقة دمى ، والسيوف تتقطع قبل أن تقطع لحمى . فجعل دمه يقصفها لما كان السبب فى قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سببا فيه ، وعبارة التبريزى : أى أنا من نفسى وعشيرتى فى منعة ، فإذا أصابنى طعن كبر الطعن فى طلب ثأرى حتى تتقصف الرماح ، وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأرى.

(٢) برتنى : أى هزلتنى ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحته حتى يدق ، والسرى جمع سرية ، ومن ثم أنثها ، وقال برتنى وهى سير الليل ، والمدى : جمع مدية ، وهى السكين ، وجرمى : أى جسدى ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من الضمير فى «رددننى » أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — ويروى منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولا ثانيا . وجرمى : بدلا من الياء فى ، «رددننى »، وإنما أبدل « جرمى » من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه ولا يجوز جعله فاعلا لـ«أخف»، لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا فى مسألة الكحل يقول: أذهبت السرى لحمى فجعلتنى فى خفة على الركوب كنفسى الذى يخرج من فمى .

ويابس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تحرك واضطرب وهاب : يروى «خام» بمعنى نكص وجبن والحميا : السورة والشدة؛ والألد : الشديد الخصومة ، والداعس : المطاعن ،



وَأَبصَرَ مِنْ زَرْقَاءِ جَـــوٍّ لأَنَّنِى ... إذا نَظَرَتْ عَيْنَاىَ سَاوَاهُمَا عِلْمِى (١)

كَأَنِّى دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خِـــبْرَتِى بِهَا ... كَأَنِّى بَنَى الإِسْـكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِى (٢)

---

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة — فى البيت السابق — فى رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » فى رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة؛ وزرقاء: اسم امرأة من أهل «جو » حديدة البصر ، تدرك ببصرها الشىء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه فى الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : ياقوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أقسمُ بالله لقد دَبَّ الشجرْ ... أو حميرٌ قد أخذت شيئاً يُجر

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفاً أو يخصف النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثمد ، وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم فى شعرهم : مثل النابغة فى قصيدته الدالية، والاعشى فى قصيدة عينية فضل المتنبى نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إذا نظرت عيناى ساواهما علمى: أى أنهما لا يسبقان علمى فإذا رأيت الشىء ببصرى علمته بقلبى . وروى ابن جنى شأواهما علمى . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إذا انظرت عيناى فغايتاهما : أن تعرف ما علمته بقلبى؛ يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور . ويروى شاءهما : أى سبقهما ، مقلوب « شأى »؛ ويروى أيضاً سأواهما علمى؛ والسأو : الهمة أى همة عينى أن تريا ما عرفت .

(٢) الدحور : البسط؛ والإسكندر : هو ذو القرنين — الذى بنى السد بين يأجوج وبين سائر البلاد كما جاء فى القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبيين حقيقة هذا السد — وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدونى أو خلافه ؟ يصف المتنبى كثرة أسفاره فى الأرض وتقلبه فى البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحتى كأنه بسطها لعلمه بها. ويذكر قوة عزمه على الأمور؟ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل



لِأَلْقَى ٱبْنَ إِسْحَاقَ ٱلَّذِى دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ ٱلْفَهْمِ (١)
وَأَسْمَعَ مِنْ أَلْفَاظِهِ ٱللُّغَةَ ٱلَّتِى يَلَذُّ بِهَا سَمْعِى وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتْمِى (٢)
يَمِينُ بَنِى قَحْطَانَ رَأْسُ قُضَاعَةٍ ، وَعِرْنِينُهَا بَدْرُ ٱلنُّجُومِ بَنِى فَهْمِ (٣)
إِذَا بَيَّتَ ٱلْأَعْدَاءَ كَانَ ٱسْتِمَاعُهُمْ صَرِيرُ ٱلْعَوَالِى قَبْلَ قَعْقَعَةِ ٱللُّجْمِ (٤)
مُذِلُّ ٱلْأَعِزَّاءِ ٱلْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ بِهِ يُتْمُهُمْ فَٱلْمُوتِمُ ٱلْجَابِرُ ٱلْيُتْمِ (٥)

اللغة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقة فهو سد ـ بالضم ـ وما كان من عمل الناس فهو سد ـ بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله يرتقى السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمور البديعة المبتكرة التى لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى الممدوح المذكور الذى دق فهمه وأبدع فى دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالغيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة

(٢) يلذ بها : يروى يلذ لها . ويقال : لذذت الشىء ولذذت به : أى استلذذته. وقوله ولو ضمنت : يروى «وإن ضمنت» . يقول : إنه صحيح اللفظ، مستحلى الكلام ، يلتذ السمع بكلامه ولو كان شتما ، لصحته وعذوبته .

(٣) قحطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط الممدوح ؛ والعرنين ـ فى الأصل ـ ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف. يقول إنه فى هؤلاء كاليمين من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرنين : أى أنه رئيسهم وبه عزهم ، والعرنين يجعل مثلا فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كالبدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرقهم ليلا . والصرير والقعقعة : من مرادفات الصوت. والعوالى الرماح : يقول : إذا وافى أعداءه ليلا أخفى تدبيره ومكره وتحفظ من قبل أن يفطن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تدبيره . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيرة هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يئن ـ مضارع آن يئين ـ أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ والموتم : اسم فاعل ـ من أيتم ـ يقول : هو مذل الأعراب ، ومعز الأذلاء ؛ يرفع قوما ويضع



وَإِنْ تَمْسِ دَاءٌ فِى الْقُلُوبِ قَنَاتُهُ ... فَمُمْسِكُهَا مِنْهُ الشِّفَاءُ مِنَ الْعُدْمِ (١)

مُقَلَّدُ طَاغِى الشَّفْرَتَيْنِ مُحَكَّمٍ ... عَلَى الْهَامِ إلا أنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٢)

تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ ... يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ (٣)

وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنَ كَجَدِّهِ ... عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)

مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ ... لَأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمهم — أى يتم الأعزاء — فهو الموتم وهو فى الوقت عينه الجابر اليتم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .

(١) القناة : الرمح ، ويريد بممسكها : نفسه . ومن روى فممسكها — بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل المدخل والمخرج ؛ ومنه : التجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب المطعونين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .

(٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرتا السيف: حداه . والهام: الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيفا جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رءوس الأعداء ؛ جائراً فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحداً.

(٣) تحرج عن الشىء : كف عنه وأمسك تأثما وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكأنه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها ؛ أى يتحرج من هذا كما يتحرج من ذاك .

(٤) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده — وكان غازيا يقتل الكفار — فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتلى وروى ابن جنى : كحده بالحاء وقال : أى كحد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشىء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إن أجرمت لم تنتصل من جرائمها ... وإن أساءت إلى الأقوام لم تُلمِ

(٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخذ

---

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفى الحَرْبِ حَتّى لَوْ أَرادَ تأخُّرًا ... لأخَّرَهُ الطبْعُ الكَرِيمُ إلى القُدُمِ (١)

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيي العِظَامَ وَغَضْبَةٌ ... بِها فَضْلَةٌ لِلجُرْمِ عَنْ صاحِبِ الجُرْمِ (٢)

وَرِقّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ ... عَلَى وَجْنَتَيْهِ ما انْمَحَى أثَرُ الخَتْمِ (٣)

أذاقَ الغَوَانى حُسْنُهُ ما أذَقْنَنِي ، ... وَعَفّ فَجازاهُنّ عَنّى عَلَى الصّرْمِ (٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازما الحزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازما لأن الحزم ملازم له ، والمعنى أنه لا ستيلاء الحزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لوأراد ترك الحزم لم يمكنه ، وفى هذا نظر إلى قول أبى تمام :

تعوّد بَسْط الكفّ حتى لوَ انه ... ثناها لِقبضٍ لم تجبْه أنامِله

ولك أن تقول إن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو حزم فى بادىء الرأى لم يكن تركه إلا لأمر يقتضيه الحزم ، لأنه يرى مالا يراه غيره ولا يضع الأشياء فى غير مواضعها .

(١) فى الحرب : عطف على « مع الحزم » والقدم : التقدم . يقول : هو صاحب الحرب وفى الحرب أبدا ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدما إذ ليس عنده إلا التقدم والمعنى لأخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيي العظام وهى رميم . قال الواحدى: أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هى للجرم : يعنى أنه يفنى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفنى الجرم الذى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه بعد تنكيله بالمجرم لا يجترىء أحد أن يأتى مثل جرمه خوفا من غضبه فغضبه يفنى المجرم وجرمه

(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه حياء وكرما ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك الأثر ولا ينمحى .

(٤) الغوانى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بجمالها عن الحلى ، وقيل التى غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التى غنيت ببيت أبويها فلم يقع عليها سباء . وأسكن « الغوانى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : الهجر والقاطعة ، بفتح الصاد وضمها — وقيل: الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تعشقه



فِدًى مَنْ عَلَى الْغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا ... لِهَذَا الأَبِيِّ المَاجِدِ الجَائِدِ القَرْمِ (١)

لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالأَمْنِ سَيْفُهُ ... فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ (٢)

وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ ... جَرَتْ جَزَعاً مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ (٣)

النساء ولكنه يعف عنهن ولا يواصلهن ، فكان ذلك منه جزاء لهن على مصارمتهن إياى .

(١) فدى خبر عن الموصول بعده ، والغبراء : الأرض . والأبى : بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنايا . والجائد : الفاعل من جاد يجود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا الممدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفه الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنس بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك العجم والعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نفاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صالَ من غضب أبو دُلَف على ... بيضِ السيوفِ لَذُبْنَ فى الأغماد

هذا : ويقال فحم وفحم مثل نهر ونهر ، وفى المثل : لو كنت أنفخ فى فحم : أى لو كنت أعمل فى عائدة . قال الأغلب العجلى :

هل غيرُ غار هدّ غاراً فانهدَم ... قد قاتلوا لو ينفُخون فى فحم

* وصبروا لو صبروا على أَمْ *

يقول : لو كان قتالهم يغنى شيئاً ، ولكنه لا يغنى فكان كالذى ينفخ نارا ولا فحم ولا حطب ، فلا تتقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، والفحيم كالفحم . قال امرؤ القيس :

وإذ هى سوداء مثل الفحيم ... تُغَشِّى المطانبَ والمنكبا (١)

(١) وإذ هى سوداء ؛ يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطانب : جمع المطنب ، وهو حبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلاَ جُودُهُ غَــيْرَ شَارِبٍ   لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ[١]

أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْــرِ يَاابْنَ ابْنِ يُوسُفٍ   لِشَــهْوَتِنَا ، وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرَّغْمِ[٢]

---

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الخمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر وتخرق فى الكرم ، فلولا أننا رأيناه صاحيا لقلنا كريم هيجته الخمر فحركته إلى الجود وابعثته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول البحترى :

صــحاً واهتز للمعرو   ف حتى قيل نشوانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعناك كما أطاعك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعناك غاية الطاعة شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطاعك حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدو لك ، أراد والحاسدون ، فحذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال عبيد بن الأبرص :

ولقد يَغنَى به جيرانُكِ الـــمُمْسكومنكِ بأسباب الوِصالْ

أراد المسكون ، وأنشد جميع النحويين :

والحافظو عورةَ العشيرة لا   يأتيهم من ورائنا وكَفُ[١]

---

(١) من قصيدة لعمرو بن امرىء القيس الخزرجى ، وقبله :

نحنُ المكيثون حيث نُحمد بالمُــكث ونحنُ المصـــالتُ الأنفُ

والمكيثون : جمع مكيث فعيل من المكث وهو اللبث — الانتظار — والمراد هنا الصبر والرزانة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضى فى الأمور لا يهاب شيئا . والأنف : جمع آنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة : المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شىء يعابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته . « راجع القصيدة وقصتها وشرحها فى الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الخزانة » طبعة « السلفية »

وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِى فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا ، لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ (١)
دُعِيتُ بِتَقْرِيظِيكَ فى كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِى يَدْعُو ثَنَائِى عَلَيْكَ اسْمِى (٢)
وَأَطْمَعْتَنِى فى نَيْــــلِ مَا لاَ أَنَالُهُ
بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أَطْمَعُ فى النَّجْمِ (٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيمى الصلاة » بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالعطف على الضمير فى « أطعناك » وحسن العطف على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خلناك : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشىء وتمثله كان فى الوجود أو لم يكن . وقال الجوهرى : وهمت فى الشىء — بالفتح — أهم وهما : إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم — بكسر الهاء — : غلط وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك قد أعطيتنا .

(٢) التقريظ : المدح . وقوله : الذى يدعو ، أراد يدعونى ، فحذف المفعول . يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مادحك وشاعرك ، والذى يدعونى يظن أن اسمى ثنائى عليك فيقول يامثنى فلان — يامادح فلان — وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك بين الناس حتى سمونى مادح فلان ، وصار الذى يريد أن يدعونى ، ينادينى بهذا اللفظ ، لظنه أنى مسمى به ؛ وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر الأمير ، فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شىء عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجميل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك نسبا وإنى لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنبوب ، وقد نقل المتنبى هذا من قول البحترى

وما أنا إلا عبـــدُ نعمتكَ التى نُسِبْتُ إليهــا دون رهطى ومعشرى

(٣) يقول : قد نلت بجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طمعت فيما لا ينال ، لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه مما لا يناله ، ولم يزل بى هذا الطمع حتى صرت أطمع فى إدراك النجوم حتى أنالها كما قال البحترى :

لِمَ لا أمُدُّ يدى حتى أنال بهـا زُهْرَ النجوم إذا ما كنت لى عَضُدا



إذا ما ضَرَبْتَ القِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي فَكِلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بالكَلْمِ [١]

أَبَتْ لكَ ذَمِّي نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ ، وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَأْزِقٍ أَبَدًا تَرْمِي [٢]

فَكَمْ قَائِلٍ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصُ نَفْسَهُ لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ العَسْكَرِ الدَّهْمِ [٣]

وَقَائِلَةٍ والأَرْضَ أَعْنِي تَعَجُّبًا عَلَيَّ امْرُؤٌ يَمْشِي بِوَقْرِي مِنَ الحِلْمِ [٤]

عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً

تَوَاضَعْتَ وَهْوَ العُظْمُ عُظْمًا عَنِ العُظْمِ [٥]

***

---

(١) القرن : الكفء فى الحرب . وأجزتنى : أعطيتنى جائزة ، وهى العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطينى وقد ضربت أحد أقرانك فى الوغى؛ فاجعل عطائى ملء جرحه ذهبا ، فإن ذلك يكون كفيلا لى بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) يمنية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنايا وعما يورثه عيبا ؛ والمأزق : المضيق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفعك عن النقائص ونفسك التى ترمى بها أبدا فى مآزق الحرب يأبيان ذمى لك : أى لا موضع للذم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزرى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكمن : المخبأ . والدهم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاختفى وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أى ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعنى ، وتعجبا : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولا مطلقا لفعل محذوف : أى أتعجب تعجبا . وعلى امرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقرى أى بمثل وقرى : أى ثقلى : يصف رزانته وثقل حلمه يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجبا يمشى على امرؤ ثقيل حلمه كثقلى .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والجملة : معترضة ، وعظما : مصدر فى موضع الحال من « التاء » فى « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الهِمَمُ أَحْدَثُ شَيْءٍ عَهْداً بِهَا القِدَمُ(١)

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ(٢)

لاَ أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلاَ حَسَبٌ وَلاَ عُهُودٌ لَهُمْ وَلاَ ذِمَمُ(٣)

بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمٌ تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ(٤)

---

(١) أحق — أى أولى وأجدر — : خبر مقدم عن الهمم : والعافى : الدارس الذاهب — من عفت الديار : درست — والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن يبكى عليه هو همم الكرام التى قد درست وذهبت : أى أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن القدم أحدث الأشياء عهدا بها — أى بالهمم — أى أن دروسها قديم، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جنى : سألته — أى المتنبى — عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد عفت ودرست فصار أحدثها عهدا قديما . وعبارة التبريزى : أحق عاف بأن يبكى عليه همم الكرام لأنها قد عفت كما تعفو الربوع ، فهن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهدا بالهمم : أى أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض

(٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملكهم العجم لم يفلحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطبائع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هـذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لكلِّ هم من الأمور سعهْ والمُسْيُ والصبحُ لا فلاح معه

يعنى ليس مع كر الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يغتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعبد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ ... وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ (١)

إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِيَّ فَمَا ... أُنْكِرُ أَنِّي عُقُوبَةٌ لَهُمُ (٢)

وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ ... لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ (٣)

يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ ... وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهَمُ (٤)

كَفَانِيَ الذَّمَّ أَنَّنِي رَجُلٌ ... أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكْتُهُ الْكَرَمُ (٥)

يَجْنِي الْغِنَى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا ... مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمِ الْعَدَمُ (٦)

---

(١) الخز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصرف لايشوبها قطن ولا كتان. يقول : يرى من كبريائه الخز خشنا ، وكان قبلا رثاً حافياً طويل الأظفار .

(٢) يقول : إنى ـ وإن لمت حسادى ـ لا أنكر أنهم معذورون فى حسدى لأنهم معاقبون بتقدمى عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلى .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم فى الحسد . يقول : لم لايحسد من صار كالعلم فى كل فضل . أى اشتهر وصار كالمشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر فى هذا إلى قول البحترى

واعذر حسودك فيما قد خُصِصْتَ به ... إن العُلَى حسَنٌ فى مثلها الحسدُ

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنسهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشىء : إذا أذهبت هيبته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهم : جمع بهمة ، البطل الذى لايدرى من أين يؤتى من شدة بأسه . يقول : كيف لايحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاه الشىء : صرفه عنه ؛ وأنى : فاعل كفى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أنى رجل كريم أرى مابى من الكرم أعز شىء أملكه وأصونه ببذل المال دونه وأبخل به بخل غيرى بالمال .

(٦) اللئيم الدنىء الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والعدم ـ بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها ـ : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللئيم لو علم يجنى عليه ما لا يجنيه الفقر ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولايظهر لؤمه ، لأنه لايقصد فى حاجة ؛

هُمْ لِأَمْــــوَالِهِمْ وَلَسْنَ لَهُمْ   وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَئِمُ(١)
مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَعَــلِيّ   يَهَبُ الْأَلْفَ وَهْوَ يَبْتَسِمُ(٢)
وَيَطْعَنُ الْخَيْــلَ كُلَّ نَافِذَةٍ   لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَائِهَـــا أَلَمُ(٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير فى «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن اللئام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون فى سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهى كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمدة فى الدنيا أو أجراً ومثوبة فى العقبى ، فضلاعن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللئيم المكثر ، كما قال حاتم الطائى .

إذا كان بعضُ المال رَبًّا لِأهلهِ   فإنى بحَمدِ الله مالى معبَّدُ

وقال الآخر :

ذرينى أكُنْ للمالِ ربا ولا يكنْ   لِىَ المال ربًّا تَحْمدى غِبَّه غداً

وقال أبو نواس :

أنتَ للمـــالِ إذا أمْسكْتَه   فإذا أنفقْتَه فالمـــال لكْ

وقال المخزومى :

إنّ رَبَّ المـــالِ آكِلُه   وهْـــوَ للبُخّالِ أكّالُ

ثم قال : إن العار أبقى من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتئم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من « كعلى » : فى موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجملة « وهو يبتسم » : فى موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطعن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ فى المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لايحس بألم الطعنة ، لأنها ــ لسرعتها ــ تقتله قبل أن يدرك ألمها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره فى السيف

وَيَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ(١)

وَالأَمْرُ وَالنَّهْىُ وَالسَّلاَهِبُ وَالبِيضُ ... لَهُ وَالعَبِيدُ وَالحَشَمُ(٢)

وَالسَّطَوَاتُ الَّتِى سَمِعْتَ بِهَا ... تَكَادُ مِنْهَا الجِبَالُ تَنْفَصِمُ(٣)

تَرَى ضَرَبَاتِهِ أَبداً خِطَاباً ... إلى أن يستبين له قتيل

(١) الوقع ــ ههنا ــ مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبارة ابن جنى : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الألمعىُّ الذى يظنُّ بك الظن كأنْ قد رأى وقد سمعا

أى هذا الممدوح لا يندم لأنه لا يفرط فى الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إذا أنتَ لم تزرعْ وأبصرت حاصِداً ... نَدِمْتَ على التفريطِ فى زمنِ البَذْرِ

(٢) السلاهب : الخيل الطوال ، جمع سلهب وسلهبة ، يقال : فرس سلهب وسلهبة للذكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيوف والحشم : أتباع الرجل الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوات : جمع سطوة ، وهى القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا وسطوة : صال . والقصم ــ بالقاف ــ أن ينكسر الشئ فيبين ، واما الفصم ــ بالفاء ــ فهو أن ينصدع الشىء من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظبيا قد انحنى فى نومه فشبهه بدملج ــ مايلبس فى المعصم من الحلى ــ قد انفصم :

كأنَّهُ دُمْلجٌ مِن فِضَّةٍ نبَهٌ ... فى ملعبٍ من عَذَارَى الحَىِّ مفصومُ(١)

---

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شىء سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتدَ إليه : فهو نبه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دملج» ويقال أصله نبهاً : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمعى : أضلوه نبهاً لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن برى إلى أن النبه هنا الشىء المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انعطف لما سقته أمه فروى بدملج فضة نبه أى بدملج أبيض نقى . كما



يُرْعِيكَ سَمْعاً فِيهِ اُسْتِمَاعٌ إِلَى الدّاعى وَفِيهِ عَنِ الْخَنَا صَمَمُ(١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ فى مَجْدِهِ كَيْفَ تُخْلَقُ النَّسَمُ(٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التى يتحدث بها الناس وتتسامع أخبارها والتى تكاد الجبال تتصدع وتنهد لها لشدتها .

(١) يقال : أرعنى سمعك — أى اصغ به إلى واستمع منى ؛ ومعناه اجعل سمعك لكلامى بمنزلة الموضع الذى يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه فى الشطرين للسمع ، والخنا : الفحش فى الكلام . يقول : هو يسمع الداعى إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك سميع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعى رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعى وقد حذف القراء ياء الداعى فى مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها فى مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع فى قوله تعالى «أجيب دعوة الداعى إذا دعان» وصلا ؛ وحذفاها وقفا اتباعا للمصحف ، وأثبتها البزى وقفا ووصلا فى قوله « يدع الداعى » فى سورة القمر ؛ وأثبتها وصلا أبو عمرو وورش ، وإلى الداعى أثبتها فى الحالين ابن كثير وفى الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلا ووقفا اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهى : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صوّرَ اللهُ حِين صوّرها فى سائر الناس مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من المكارم مالم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شىء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال فى ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المسلوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصياد . وقوله مفصوم ولم يقل مقصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، وانما يريد أن الخشف — ولد الظبية — لما جمع رأسه إلى فخذه واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ(١)

مِنْ بَعْدِ مَا صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ لِمَنْ أُحِبُّ الشُّنُوفُ وَالْخَدَمُ(٢)

مَا بَذَلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ وَلاَ تَهَدَّى لِمَا يَقُولُ فَمُ(٣)

بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الْأَسَدِ الْأُسْدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ(٤)

---

(١) يخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إنى عدلت إلى زيارة رجل لوجئتما ياصاحبي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتماه نفسه وهذا مبالغة فى الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق فى أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو مايعلق فى شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال . وقوله من بعد : متعلق بـ« ملت » — فى البيت السابق — يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندى حتى صغت لمن أحبه الشنوف والخلاخل من الذهب الذى أعطانى : يعنى أن عطاءه وصل إلى قبل زيارته .

(٣) تهدى : اهتدى . يقول : لم تبذل يد مايجود به ، ولا اهتدى فم لأن يأتى بما يقول ، يعنى أنه أجود الناس بنانا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرنى : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرنى : الأسد القوى ، والنون زائدة وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد الممدوح وهو فى موضع خفض ، لأنه بدل من « العفرنى » ، إلا أنه لاينصرف ، والأسد : صفة لمحطة — وروى الخوارزمى محطة — بالجر — جعله من الحط ، وهو الوضع أى أنه يحط الأسد عن منزلته وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغابة يأوى إليها الأسد . يقول : إن بنى محطة الذى هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التى يستعصمون بها ، إنما هى الرماح بدل الآجام التى يمتنع بها الأسود ، كما قال على بن جبلة :

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ

وقال أبو تمام :

آسادُ موتٍ مُخْدِرَاتٌ مَالَها إلاّ الصَّوَارِمَ والقنا آجامُ

وقال أيضا :

أُسدُ العرين إذا ما الموتُ صبَّحها أو صبّحَتْه ولكن غابها الأسلُ

قَوْمٌ بُلوغُ الغُــلاَمِ عِنْدَهُمُ   طَعْنُ نُحُورِ الكُماةِ لاَ الْحُلُمُ(١)

كأنمــا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ   لاَ صِغَرٌ عاذِرٌ وَلاَ هَــرِمُ(٢)

إِذَا تَوَلَّوْا عَــدَاوَةً كَشَفُوا   وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا(٣)

ولنرتد إلى عفرنى فنقول : يقال أسد عفرنى ولبوة عفرنى أيضا ، والنون للالحاق بسفرجل ، وناقة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا

حَمَلْتُ أثقــالى مصمِّماتها   غُلْبَ الذفارى وعفرْنياتها(١)

(١) قوم : أى هم قوم . والنحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والكماة : جمع كمى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الغلام عندهم أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لا أن يبلغ سن الحلم ، فذاك هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القــــوم فى بُلوغِهِمِ   أن يُرْضِعُوا السيف مُهجةَ البطلِ

وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خرجنا نُقيمُ الدين بعد أعوجاجه   سويًّا وَلم نخرُج لِجَمْــعِ الدّرَهم

إذا أحْــكم التنزِيلُ والحــلمُ طِفلنَا   فإن بُلوغَ الطفلِ ضَرْبُ الجَماَجِم

(٢) الندى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال : وهذا من قول البحترى :

عريقونَ فى الإفضال يُؤْتَنَفُ الندى   لناشِئِهمْ من حَيثُ يُؤْتنفُ العُمرُ

(٣) الصنيعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحداً جاهروا بعداوته ، لأنهم لا يخافون عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنيعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياء ونبلا .

---

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ ــ يقال عنق أغلب : أى غليظ .



تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أعْتِدَادَهُمُ ... أَنَّهُمْ أنعمُوا وَمَا عَلِمُوا(١)

إنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ... أَوْ نَطَقوا فالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ(٢)

أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا ... فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ(٣)

---

(١) يقول : إنهم لايعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الخريمى :

زاد معْرُوفَكَ عِنْدِى عِظَماً ... أنهُ عِنْدَكَ مَسْتورٌ حقيرْ

تتناساهُ كأن لَمْ تأتِهِ ... وَهُوَ عندَ الناسِ مَشهورٌ كثيرْ

وقال الآخر :

وَمن تكرُّمِهِمْ فى الْمَحْل أنهمُ ... لاَ يَعلَمُ الجَارُ فِيهِمْ أنَّهُ جَارُ

« المحل : الجدب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) الغموس : اليمين التى من كذب فيها غمسته فى الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يحلفوا يميناً يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هى أن يقول حالفهم« خاب سائلى إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شىء عليهم ومن أحسن ما سمع فى القسم قول الأشتر النخعى الشاعر الصحابى ومن أنصار سيدنا على كرم الله وجهه :

بَقَّيْتُ وَفْرِى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلاَ ... وَلَقِيْتُ أضيافى بِوجهٍ عبوسِ

إنْ لم أشُنَّ عَلَى ابن هِنْدٍ غارة ... لم تَخْلُ يَوْماً مِنْ نِهابِ نفوسِ

خَيْلاً كأمْثَالِ السَّعالِى شُزَّباً ... تَعْدُو بِبِيضٍ فى الكَرِيهَةِ شُوسِ

حَمِىَ الحَدِيد عليهِم فَكَأَنَّهُ ... لَمَعَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ

« السعالى : جمع سعلاة ، سحرة الجن ، أو الغول . والشزب : الضوامر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقية أعراضهم . وفى الكريهة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجرىء على القتال . يقول إنهم شجعان فى الحرب » .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ ... فَإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ لَهَا حُزُمُ(١)

أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَاقِحاً أَخَذُوا ... مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا(٢)

تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ ... كَأَنَّهَا فِي نُفُوسِهِمْ شِيَمُ(٣)

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْـ ... غَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِمُ(٤)

وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةً ... تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمُ(٥)

---

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عريا لكثرة مايطرقهم المستغيث فلم يمهلهم حتى يسرجوا خيلهم صارت أفخاذهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب.

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبهت بالناقة إذا حملت . والمهج : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكموا فى الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، مايمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أى كأن أعراضهم خلائق تشرق فى نفوسهم . يصفهم بنقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبى الطمحان القينى :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهُ

وقول الآخر :

فإن كان خطب أو ألمت ملمـة ... كفى خابطَ الظلماء فقدَ المصابحِ

(٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والغور : منخفض بالشام ، بجوار بلد للممدوح ؛ والشبم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدفىء الحار . وقال بعضهم : المراد بالغور : المكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفىء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع مثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقطم : شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك شبه الأمواج فى اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتهت

وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخُونُهَا اللُّجُمُ(١)

كَأَنَّهَا وَالرِّيَاحُ تَضْرِبُهَا جَيْشَا وَغًى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمُ(٢)

كَأَنَّهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ(٣)

نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمُ(٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح فى البحيرة هديراً مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلق: أراد فرسان خيل بلق ، والبلق : التى فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر فى كل وجه . وقال ابن جنى : تخونها اللجم : فهى تكبو : يريد رفرفة الطير على الماء ثم انغماسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشىء لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرفة والانغماس مما ذكر فى البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كأنها : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع المهزوم . ولك أن تقول كأنها ـ أى الطير والموج ، لأن الريح تضربهما معا فتتتابع الطير على أثر الموج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى فى الحديث « حفت الجنة بالمكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة فى صفائه ـ وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد ـ بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن » أى لطف بى وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى يخرجون عن أمره

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألغز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم



يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَــــا أَبَداً ... وَمَا تَشَكَّى وَلاَ يَسِيلُ دَمُ(١)
تَغَنَّتِ الطَّـيْرُ فى جَوَانِبِها ... وَجَادَتِ الرَّوْضَ حَوْلَهَا الدِّيَمُ(٢)
فَهْىَ كَمَاوِيَّـــةٍ مُطَوَّقَةٍ ... جُرِّدَ عَنْهَا غِشَــاؤُهَا الأَدَمُ(٣)
يَشِينُهَـــا جَرْيُهَا عَلَى بَلَدٍ ... تَشِينُهُ الأَدْعِيَــاءُ وَالقَزَمُ(٤)
أَبَا الحُسَيْنِ اسْتَمِـعْ فَمَدْحُكُمُ ... فى الفِعْلِ قَبْلَ الكَلاَمِ مُنْتَظِمُ(٥)
وَقَدْ تَوَالَى العِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ ... وَجَادَتِ المَطْرَةُ الَّتِى تَسِمُ(٦)
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ ... فَإِنَّهُ فى الكِرَامِ مُتَّهَمُ(٧)

* * *

---

(١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كنى عن استخراج سمكها وصيدها منها بالبقر ، وهو شق البطن .

(٢) جادت : من الجود ـ بفتح الجيم ـ وهو المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون .

(٣) الماوية . المرآة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للغشاء . شبه البحيرة ـ مع ما يحدق بها من البساتين ـ بالمرآة وقد جردت مما تغلف به من الجلد

(٤) يشينها : يعيبها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم : رذال الناس وسفلتهم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها فى بلد أهله لئام خساس .

(٥) يقول : إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم فى الشعر :أى أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى فى العقل : يعنى أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به .

(٦) العهاد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أمطار بعضها فى أثر بعض : ومنه : أى من المدح : والمطرة التى تسم : هى الوسمى ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذى يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحه فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت له أنعامهم عليه وأراد بالتى تسم : هذه القصيدة .

(٧) يقول : إن الدهر مولع بالكرام يأتى عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفى هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المغيث بن العجلى :

فُؤادٌ ما تُسَلِّيهِ المُدامُ وَعُمْرٌ مِثْلُ ما تَهَبُ اللِّئامُ[(١)]

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ[(٢)]

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ المُعَلَّى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ

وَما تَنْفَكُّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول الإفضال والتفضل »

وأصل المعنى لأبى تمام :

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمِ النَّاسُ بَيْنَ الحَوْضِ وَالْعَطَنِ

فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنَّ أَعْذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ[(١)]

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أوخبر مبتدأ محذوف أى فؤادى فؤاد . والمدام : الخمر . واللئيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ لست كالناس أرضى بما يرضون به ويلهينى السكر ، ثم قال ـ المتنبى ـ : وعمر مثل ما تهب اللئام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلا لرجوت أن أدرك أغراضى بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كهبة اللئام يسيرة حقيرة، فما أخوفنى أن لا أدرك طلبتى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكأن هذا من قول أبى تمام :

وَكَأَنَّ الأَنَامِلَ اعْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ البَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان ابن ثابت :

لاَعَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ جِسْمُ البِغَالِ وَأَحْلاَمُ العَصَافِيرِ

---

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الآسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ ... وَلٰكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ (١)
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ (٢)
بِأَجْسَامٍ يَحَرُّ الْقَتْلُ فِيهَا ... وَمَا أَقْرَانُهَا إِلاَّ الطَّعَامُ (٣)
وَخَيْلٍ مَا يَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ ... كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسِهَا ثُمَامُ (٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلٰكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجثة : شخص الإنسان قاعداً أو نائما ، وقيل جثة الإنسان شخصه متكئا أو مضطجعا ، وقيل لا يقال له جثة إلا أن يكون قاعداً أو نائما ، فأما القائم فلا يقال جثته إنما يقال قمته ، وقيل لا يقال جثة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما ، حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلى فى ذلك مثل الذهب الذى معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال — مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما واثباته إياه فى الأرض حتى عدن — أى ثبت — فيها .

(٢) المعهود فى مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم فى طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعارا فيهم ؛ قال ابن جنى : وهذا عادة له — للمتنبي — يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وأنتَ إذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيضاً فَنَائِمُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيْقَظْتَ هَاجِعَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمُ ... سَهَرُ النَّوَاظِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحر : يشتد — من قولهم حر يومنا يحر حرارة . والاقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفؤ فى الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالمآكل ، ومن ثم يموتون بالتخمة من كثرة الأكل لا فى وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرماح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أنْتَ لاَ مَنْ قُلتَ خِـلِّى ... وَإنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالـكَلاَمُ (١)

وَلَوْ حِيزَ الحِفَاظُ بِغَـيْرِ عَقْلٍ ... تَجَنَّبَ عُنُقَ صَيْقَلِهِ الحُسَامُ (٢)

وَشِبْهُ الشَّىْءِ مُنجَذِبٌ إلَيْهِ ... وَأشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ (٣)

ولوْ أنّ ما أبقيتَ مِنِّى معلّق ... بعُود ثُمَـامٍ مَا تأوّد عُودُها

وقولهم : هو على طرف الثمام : أى أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر فى المطعون لضعفهم ، فـكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليلى خليلا لك وإن كثر تملقه ، ولان لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإنْ أتاهُ خليلٌ يَوْمَ مسْغَبَة ... يقول : لا غائبٌ مالى ولا حَرِمِ

« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام والصقيل : الذى يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لوكان فى الإمكان أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لـكان السيف إذا ضرب به عنق الصيقل الذى صقله لا يقطعه ، يعنى أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطغام : رذال الناس وغِ غاؤهم ؛ قال الأزهرى : وسمعت العرب تقول للرجل الأحمق : طغامة ودغامة ، والجمع : طغام — كنعامة ونعام —.وروى ابن السكيت أن رجلا كان يتردد إلى أبى مهدية الأعرابى ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهدية : كيف حال الناس ؟ أو نحو ذلك — فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهدية : ياطغامة لقد أحفيتنى فى المسألة ، وأنت لا تدرى ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطغامة ، فقال فيه بعض النحويين :

مَنْ كَانَ يُعْجِبُهُ الطَّغامَةُ كُلُّها ... فَعَلَيْـهِ مَيْمُونًا أبَا الضَّحَّاكِ

رَجُلاً تَجَمَّعَتِ الطَّغَامَةُ كُلُّها ... فِيهِ وحالَفَها : بَرَاكِ بَرَاكِ

« قال الجوهرى : يقال فى الحرب براك براك — كقطام — أى ابركوا »

يقول : إن الشىء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيسة . فلذلك ألفت الخساس ، لأنهم أشباهها فى اللؤم والخسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إلاَّ ذُو مَحَلٍّ ... تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ (١)

وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إلاَّ مُسْتَحِقٌّ ... لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ الْمُسَامُ (٢)

وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِى فَالْغَوَانِى ... ضِيَاءٌ فِى بَوَاطِنِهِ ظَلاَمُ (٣)

إذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ وَالشَّيْبُ ... هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِىَ الْحِمَامُ (٤)

وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ ... وَلاَ كُلٌّ عَلَى بُخْلٍ يُلاَمُ (٥)

---

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقتام . الغبار . يقول : إن علوهم فى الدنيا لا يدل على محلهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع الغبار فوق الجيش .

(٢) يرع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذا رعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك فى أوائل القصيدة — يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيتهم ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : المسيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدبره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يلى الامر إلا من يستحقه لخلا الناس من خليفة يلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .

(٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهن يتعبن من يصبو إليهن ويعلق قلبه بحبهن .

(٤) الحمام : الموت . يقول : إذا كان الإنسان فى شبيبته كالسكران لهوا وغفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من الهم لضعفه واهتمامه لما فات من عمره ــ فإن حياته هى الموت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيان . يريد أن الحياة فى الدنيا منغصة مكدرة ؛ فالإنسان لدى المشيب يفكر فيما فات من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شبيبته غائصا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائصا فى بحر من الهم حتى لا يعى فى عمره شيئا ــ فحياته أشبه بالممات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواجد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن المعسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولدته الكرام ؛



وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِى وَمِثْلِى ... لِمِثْلِى عِنْدَ مِثْلِهِمِ مُقَامُ (١)
بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا ... فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إِلاَّ الْكِرَامُ (٢)
فَهَلاَّ كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا ... وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ (٣)
بِهَا الْجَبَلاَنِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ ... أَنَافَا : ذَا الْمُغِيثُ وَذَا اللُّكَامُ (٤)
وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ ... يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ (٥)

والذى لا يلام على بخله من كان آباؤه لئاما بخلاء ؛ لأنه لم يتعلم غير البخل ، ولم ير فى فى آبائه الكرم والجود ، فيكون هذا من قول أبى تمام :

لِكُلٍّ مِنْ بَنِى حَوَّاءَ عُذْرٌ ... وَلاَ عُذْرٌ لِطَائِىٍّ لَئِيمِ

وقال ابن جنى : هو من قول أبى نواس :

كَفَى حَزَناً أَنَّ الْجَوَادَ مُقَتَّرٌ ... عَلَيْهِ وَلاَ مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ

(١) مقام : مصدر ميمى ، بمعنى إقامة . يقول : لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار وقله المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم . وقوله لمثلى : خبر مقدم عن مقام ، والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : ألمثلى ؟ على الاستفهام التعجبى .

(٢) يقول : كل ما تشتهى وتطلب تجده فى هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » . يقول هلا كان نقص أهل الأرض فى الأرض ، وتمام الأرض — أى كمالها — فى أهلها ؟ يعنى أن هذه الأرض كاملة فى أحوالها ، وأهلها ناقصون فى أخلاقهم ، فهو يتمنى أن يكون كمالها فى أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس يجدى شيئا .

(٤) أنافا : أشرفا وطالا . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر — وهو جبل اللكام — والثانى من فخر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة . لما استعار للفخر جبلا عطفه على الجبل الحقيقى .

(٥) الغمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِى ... بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ(١)

وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا ... وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ(٢)

فَقَدْ خَفِىَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا ... كَسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ(٣)

تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهْىَ تُؤْذِى ... وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ لَهُ الْغَرَامُ(٤)

ليست هذه البلدة موطنا للممدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ ... مَرَرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالخصب والنماء ، والمنجبة : التى تلد النجباء ، وابنها : هو الممدوح ، يريد أنه نجيب ، والدر : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفطام : انفصال الولد عن ثدى أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن بره .

(٢) من : عطف على ابن منجبة . والدوام : يروى الذمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد الممدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن فى التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة الجانب وما إليهما ، وعطاياه لا تنحصر فى الأموال، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خلصائه

(٣) السلك : الخيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوىء الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ما لبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا الممدوح . وقال آخرون : إن مآثر الممدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر فى السلك ، فامتلأ الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أو كرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هى الزمان ، وخفى الزمان الذى هى منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(٤) المروءة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالغرام هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة الغرام اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق وما لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها



تَعَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى ... وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامُ(١)
يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفاً ... فَمَا نَدْرِي أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامُ(٢)
وَتَمْلِكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ ... وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يُرَامُ(٣)
وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ ... وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ(٤)
أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ ... هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ(٥)

كان غراما » . يقول : المروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكاليف ، وهى مع هذا تلذله كالعشق لذيذ مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبى :

والعشقُ كالمعشوق يعذُبُ قربه ... للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تعلقها ، أى تعلق المروءة : أى هويها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول: عشق المروءة كما عشق قيس بن الملوح المجنون ليلى العامرية، غير أنه واصل المروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق ليلى قيسا المجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يفزع ويخيف: والركانة : الرزانة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويروى : فما يدرى .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه ينقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالخيبة ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لآخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللئام فهو عار وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته ... بخير وما كلُّ العطاءِ يزينُ
وَليسَ بعار لامرىء بَذْلُ وجْهِهِ ... إليك كما بَعْضُ السؤال يشينُ

وكقول البحترى :

وَيُعجبُنى فَقرى إليْك وَلمْ يَكُن ... ليعجبَنى ـ لوْلا محبتُك ـ الفقرُ

(٥) الأيادى : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إذا عُــدَّ الــكِرَامُ فَتِلكَ عِجْلٌ كَمَا الأَنْوَاءُ حِــينَ تُعَدُّ عَامُ (١)
تَقِي جَبهَاتُهُمْ مَــا فِي ذَرَاهُمْ إذَا بِشِفَارِهَــا حَمِيَ اللِّطَامُ (٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّقْتَ قوْماً فى الرِقَابِ صنائِعاً كَأَنهمُ مِنْها الْحَمَامُ المطَوَّقُ

وقبلهما يقول أبو تمام :

أَبقَيْنَ فى الأَعْنَاقِ فعْلَكَ جَوْهراً أَبقَى مِنَ الأَطْوَاقِ فى الأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة الممدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هى العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام فى الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام وللك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوءا ، فإذا عدت تلك الأنواء فهى عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى ـ بفتح الذال — كل ما استترت به ، تقول: أنا فى ذرى فلان، أى فى كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة ـ وهى حد النصل . والضمير فى « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عمن استذرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القريعى » :

نُعرِّضُ لِلسيوفِ إذا الْتَقِينَا خــدُوداً لاَ تُعرَّضَ لِلِّطَامِ

وروى :

* تَقِى جَبَهَاتِهمْ ما فى ذُرَاهم *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شىء . والمراد بما فى ذراهم : السيوف لأنها تقلد فى أعالى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاطمة بشفار السيوف



وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فى الْحَشْرِ تجْـــدُو ... لَأَعْطَوْكَ الذى صَلَّوْا وَصَامُوا[١]

فَإِنْ حَلُمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ ... خِفَافٌ وَالرِّمَاحُ بِهَا عُرَامُ[٢]

وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلاتٍ ... وَشَزْرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التُّؤَامُ[٣]

---

(١) يممتهم : قصدتهم . وتجدو : تطلب جدواهم . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حتى لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه صلاتهم وصيامهم .

وفى هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ ... لقَاسَمَ مَنْ يرْجُوهُ شطرَ حيَاتِهِ

ولوْ لَمْ يَجِدْ فى قِسْمَةِ الْعُمرِ حيلةً ... وَجَازَ لهُ الإعْطَاء من حسناَتِهِ

لجادَ بِهَا منْ غــيْرِ كُفرٍ بربِّهِ ... وَوَاسَاهُمُ منْ صوْمِهِ وَصلاتِهِ

ويقول أبو العتاهية :

فمنْ لى بهذَا ؟ ليتَ أنِّى أصبتُهُ ... فقاسَمْتُهُ مالى مِن الحسناتِ

وأخذه بعضهم فقال :

وَلوْ جــاءهُ يومَ القيامَةِ سائلٌ ... تعرَّى له عنْ صومهِ وَصلاتِهِ

(٢) العرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلماء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف فى العدو ــ الجرى ــ ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم ــ يحلم حلما فهو حليم ؛ أما الحُلم ــ بمعنى الرؤيا فى المنام ــ ففعله حلم ــ بالفتح ــ يقال حلم واحتلم إذا رآه فى النوم ، أما الحلم ــ بالتحريك ــ وهو أن يفسد الجلد فى العمل ويقع فيه دود فيتثقب ففعله حلم ــ بالكسر ــ يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبى عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى فى صلاح أمر قد تم فساده ، كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلم ــ الذى وقعت فيه الحلمة فثقبته وأفسدته ــ فلا ينتفع به :

فإنك والكِتابَ إلىَ علىّ ... كدَابغةٍ وقدْ حَــلِمَ الأديمُ

وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاع ، جمع جفنة ؛ ومكللات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالاكاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نُصَرِّعُهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَاءً وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِمِ السِّهَامُ(١)

قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ المَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الجَسَدِ العِظَامُ(٢)

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ(٣)

لِمَنْ مَالٌ تُمَزِّقُهُ العَطَايَا وَيَشْرَكُ فِي رَغَائِبِهِ الأَنَامُ(٤)

وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ(٥)

---

* ترى الجفانَ مِن الشيزَى مكللةً(١) *

والشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والتؤام : جمع التوأم — على غير قياس — أى مزدوج ؛ والقياس : توائم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب المتدارك المتوالى ؛ يعنى : أنهم مطاعيم مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونبا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه. يقول : إنهم رقاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم — أى قدر عليهم — إذ يغلبهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون السهام بأوجههم ، وفيه نظر إلى قول العطوى(٢)

أَهَابُ الرِّيمَ أَرْمُقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الأَسَدِ

وَيَجْرَحُنِى بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السيفُ عَنْ جَسَدِى

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى الممدوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن المعالى مشتملة عليهم اشتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام،

(٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرا ، وقد أخر حرف العطف فى قوله « وأنت » وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما على وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم «أن»

---

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تحايده كأنك سامرى تصافحه يد فيها جذام(١)
إذا ما العالمون عروك قالوا أفدنا أيها الحبر الإمام(٢)

محذوف ضمير الشأن . والذمام : الحرمة والعهد . يقول ؛ متعجبا ، لمن هذا المال الذى تراه عندك تفرقه عطاياك ويشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال فى البيت الثانى : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجب عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبارة الشراح : لمن هذا المال الذى تراه عندك وعطاياك تفرقه والخلق كلهم شركاء فى رغائبه، وأنت لا ترضى أن نقول هولك وندعوك صاحبه : لأن الصحبة توجب ذمامه ، وأنت لا ترعى له ذماما: أى فلمن هذا المال ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، فحذف لدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، ويروى فيرضى ـ بالياء ـ أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحبة .

(١) حاد عن الشىء : مال عنه ، وحايده محايدة : جانبه . والسامرى : واحد السامرة ، وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد العجل الذى سمع له خوار، قال الزجاج. وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف. يقول أنت تحيد عن هذا المال وتتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن. يقول كأنك السامرى معرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته. وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبى من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراه واعتراه : إذا أتاه وقصده طالبا معروفه ، ومنه قول النابغة الذبيانى .

أتيتك عاريا خلقا ثيابى على خوف تظن بى الظنونا

والحبر ـ بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهرى : الحبر والحبر واحد أحبار اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تحبير الكلام : أى تحسينه . يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .



إذَا مَا الْمُعْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا ... بِهٰذَا يُعْلَمُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ(١)

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى ... كَأَنَّكَ فِى فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ(٢)

وَأُعْطِيتَ الَّذِى لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ ... عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

* * *

(١) المعلم ـ بكسر اللام ـ الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المعلمون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس فى الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلا على شجاعته تكون أنت دليلا على قوة الجيش الذى تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم ـ بفتح اللام ـ من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم ـ بكسر اللام ـ فمعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجهمة عابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ ... كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمَعُ



وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابى وهو يومئذ
يتولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظَماً بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أعْظَمُ وَنَتَّهِمُ الْوَاشِينَ وَالدَّمْعُ مِنْهُمُ (١)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فى جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ (٢)
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِيبُنَا غَفُولاَنِ عنَّا ظِلْتُ أَبْكِى وَتَبْسِمُ (٣)
فَلَمْ أَرَ بَدْراً ضَاحِكاً قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِى مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ
ظَلُومٌ كَمَتْنَيْهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ضَعِيفِ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ (٤)

---

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : النمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، ونتهم الوشاة بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما فى القلب من الوجد ، فهو أولى بأن نتهمه بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشجرى .

* نَرَى عِظَما بالصَّدِّ وَالبينُ أعظمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكتم : يروى بالمعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره فى جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه فى الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرك فى جفنك كيف تقدر على كتمانه ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم البكاء ، فالدمع يظهر سره ويفتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظللت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقيب فى غفلة عنا ، ظللت أبكى من الوجد ، وهى تضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) المتنان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والخصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه فى الدقة كخصرها ، وجعل ظلمها إياه بتكليفه ما لا يطيق حمله كظلم متنيها لخصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالعظم ، والخصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر سمن المتن وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالخفة والرشاقة ، وهو يقول

بفَرْعٍ يُعِيدُ اللّيْلَ وَالصُّبحُ نَيِّرٌ وَوَجْهٍ يُعِيدُ الصُّبحَ وَاللّيْلُ مُظْلِمُ[٣]

فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَها كَانَ خالِيًا

وَلٰكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ[١]

متنها ممتلىء يظلم خصرها بتكليفه حمله ، والصحيح فى هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب .

صَبا كَثيبا يَتَشَكّى الْهَوَى كما اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ ردفكا

(١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو تسبى ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك النهار ليلا بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيْضاء تَسْحبُ مِنْ قيامٍ شعرَها وتغيبُ فيه وهوَ جثْلٌ أسْحَمُ

فكأنّها فِيهِ نهارٌ مُشرقٌ وَكأنَّهُ ليْلٌ عليْها مُظْلِمُ

« جثل : كثيف . وأسحم : أسود » وقول أبى تمام :

بَيْضاء تَبْدُو فى الظّلامِ فَيَكْتَسي نُوراً وَتَسرُبُ فى النهار فَيُظْلِمُ

« تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لِحَقْنا بأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حوّمَ الْهوَى قلُوبًا عهدْنا طيْرَها وَهيَ وُقّعُ

فرُدّتْ علينا الشّمسُ وَاللّيلُ رَاغمٌ بشمْسٍ لَهُمْ مِنْ جانبِ الخِدْرِ تطْلع

نضاضوْؤُها صبْغ الدُّجُنَّةِ وَانطوَى لِبَهجتِها ثوبُ الظلام الْمجزّعُ

فوَالله ما أدْرى أأحْلامُ نائمٍ ألمَّتْ بنا أمْ كانَ فى الركْبِ يُوشعُ

« لحقنا بأخراهم الخ : أى قصدنا المتأخرين منهم ، وقد جعل الهوى قلوبنا تحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقربهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع : جعله مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع فى الشىء : أن يكون فيه لونان مختلفان »

(٢) العرمرم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وتركت دارها خالية ولكن قلبي ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فحبها لازم له لا يفارقه .

أثافٍ بها ما بالْفُؤادِ مِنَ الصَّلى ... وَرَسْمٌ كَجِسْمِي ناحِلٌ مُتَهَدِّمُ (١)

بَلَلْتُ بِها رُدْنَيَّ وَالْغَيْمُ مُسْعِدى ... وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفي عَبْرَتى دَمُ (٢)

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ما انْهَلَّ في الْخَدِّ مِنْ دَمِي ... لَما كانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ (٣)

---

(١) أثاف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أثاف . والأثافى : جمع أثفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أثفية أفعولة من ثفيت قال الأزهرى : الأثفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أثافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : مابقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أثاف بها من الصلاء مابفؤادى ، يعنى أن النار حرقتها وأثرت فيها كما أحرق الشوق والحب قلبي ، وكما أن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كماه ؛ والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبرا : إذا حزن ، وامرأة عابر وعبرى وعبرة : حزينة . قال الحارث ابن وعلة الجرمى :

يقولُ لىَ النهدى هل أنت مردفى ... وكيف ردافُ الفرِّ أمك عابر

يُذكرنى بالرُّحـــم بينى وبينه ... وقد كانَ فى نهدٍ وجَرم تدابر

نجوت نجاء لم ير الناسُ مثله ... كأنى عُقاب عند تَيْمَنَ كاسر (١)

والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يمطر كأنه يساعدنى فى البكاء ولـكن دمعه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) انهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزلت وسقمت بعد انهماله .

---

(١) عابر : ثاكل ؛ وتدابر . تقاطع ، والنهدى : رجل من بنى نهد يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدى فقتلوه .



بِنفسِي الخَيالُ الزَّائرِى بَعْدَ هجعةٍ وَقولَتُهُ لى بَعْدَنا الغُمضَ تطعَمُ (١)

سَلامٌ فَلوْلاَ الخَوْفُ وَالبُخْلُ عِنْدَهُ
لَقُلْتُ أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا المُسَلِّمُ (٢)

مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِى إلَى بَذْلِ مالِهِ صُبُوًّا كَمَا يَصْبُو المُحِبُّ المُتَيَّمُ (٣)

وَأُقسِمُ لَوْلاَ أنَّ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْغَماً قُلْنَا لَهُ أنْتَ ضَيْغَمُ (٤)

---

(١) الهجعة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى ـ أبعدنا بهمزة الإنكار ـ فحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتنام بعد فراقنا ؟ وهل من فارقه أحبته ينام ؟

(٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتنام بعد مفارقتنا؟ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حفص ؛ كنية الممدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لحملنى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه الممدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفى من مفارقته أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت المسلم على الممدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للمتنبى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل ؛ والمرأة توصف بالبخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنومُ ممكنٌ : غُرَّ غيرى لا تُمَوِّهْ فلَسْتَ بالمستهامِ

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذلله ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل المتيم المضلل ،ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛ تيمت فلانة فلانا تتيمه وتامته تتيمه تيما فهو متيم بالنساء، ومتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زرارة :

تامتْ فُؤادَكَ لوْ يَحزُنْكَ ماصنعتْ إحدَى نساءِ بَنِى ذُهل بن شَيبانا

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفاة كما يصبو المحب إلى محبوبه .

(٤) الضيغم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ، ولولا ذلك لقلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنَنقُصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَنَبْخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمُ(١)
يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لاَ الْكَفُّ لُجَّةٌ وَلاَ هُوَ ضِرْغَامٌ وَلاَ الرَّأْيُ مِخْذَمُ(٢)
وَلاَ جُرْحُهُ يُؤْسَى وَلاَ غَوْرُهُ يُرَى وَلاَ حَدُّهُ يَنْبُو وَلاَ يَتَثَلَّمُ(٣)
وَلاَ يُبْرَمُ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلاَ يُحْلَلُ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرِمُ(٤)

---

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه يبخسه فهو باخس أي نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمخذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى ـ أسوت العليل آسوه أسوا ـ والآسى : الطبيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح ـ أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غورة : وحده ـ على المعنى الأول ـ يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حد عزيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا الكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى مخذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يتثلم ويزيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى ناف فى اللفظ والمعنى جميعا . قال : ألا ترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقض ، ولا للذى نقضه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب ـ شاعر أموى ـ :



وَلاَ يَرْمَحُ الأَذْيَالَ مِنْ جَبْرِيَّةٍ
وَلا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدُمُ(١)

مَهْلاً أعاذِلَ قَدْ جرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي
أنِّي أجُودُ لأقْوامٍ وإنْ ضَنِنوا(١)

(١) الرمح : الرفس بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمح الأذيال ، وذلك إذا كان يطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقيلي :

يَقُولُ لِيَ المُفْتِى وَهُنَّ عَشِيَّةً بِمَكَّةَ يَرْمَحْنَ المُهَدَّبَةَ السُّحْلاَ

« المهدبة : الثياب التي لها أهداب، والسحل : البيض »والجبرية: الكبر، والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية ـ بكسر الجيم والباء ـ والجبرية والجبروه والجبروه ،والجبروب والجبورة والجبـورة مثل الفروجة، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :
قول مغلس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلا كان واليا على أضاخ ؛

فإنَّكَ إنْ عادَيْتَنِى غضِبَ الحَصَى عَلَيْكَ وذُو الجُبُّورَةِ المُتَغَطْرِفُ

« يقول ؛ إن عاديتني غضب عليك الخليقة ، وما هو فى العدد كالحصى والمتغطرف؛ المتكبر » .
يقول ؛ هو على عظمته وفخامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب عجبا واختيالا ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون فى طلب حطامها،وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك.

(١) من قصيد له يقول فيها :

ما بَالُ قومٍ صَدِيقاً ثُمَّ ليسَ لَهم عَهْدٌ وليسَ لَهُمْ دِينٌ إذا ائْتُمِنوا
إنْ يَسْمَعوا رِيبةً طارُوا بها فرحاً عنى وما سَمِعُوا مِنْ صالحٍ دفنوا
صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكِرْتُ بِهِ وإنْ ذُكِرتُ بِسُوءٍ عِندهُم أذِنوا
جَهْلاً عَلَيَّ وجُبْناً عَنْ عَدُوِّهِم لبِئْست الخَلَّتانِ : الجهل والجبنُ
ويقولون أذنت له : أى سمعت له .

وَلاَ يَشْتَهِى يَبْقَى وَتَفْنَى هِبَاتُهُ ... وَلا تَسْلَمُ الأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ(١)

أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ ... وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرٍ تَلَقَّاهُ مُعْدِمُ(٢)

وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِى الطَّيْرِ شَكْلُهُ

وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ(٣)

وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الأَيَادِى أَيَادِيًا

مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُثْجِمُ(٤)

سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ ... مِنَ اللُّؤْمِ آلَى أَنَّهُ لاَ يُهَوِّمُ(٥)

---

(١) ولا يشتهى يبقى ؛ يريد أن يبقى فحذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم فى نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان فى ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الخمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألذ من الخمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جنى ؛ كان الوجه أن يقول أشد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الزيادة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله فى الناس أغرب من العنقاء فى الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئاً يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يحرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى ؛ النعم ؛ وأياديا ؛ تمييز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والوبل : المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأثجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد ؛ هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابعا من قطر المطر حين يكون كثيراً دائم الهطلان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الخسة نقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم فى هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر فى سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لابد منه للانسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام



وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دِرْهَمًا لَمْ أَجُدْ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دِرْهَمُ(١)

وَلَوْ ضَرَّ مَرْءًا قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لَأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ(٢)

يُرَوِّى بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَامَى مِنَ الْأَغْمَادِ تُنْضَى فَتُوتِمُ(٣)

إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ مُذُ الْغَزْوُ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُلْجَمُ(٤)

---

(١) يقول : إن جميع ما فى أيدى الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أعجزهم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكرمه ويسر بهما ، فلو كان مايسر الإنسان يضره لضره الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهرى : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحا ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معربا من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرىء ومريئة . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع فى هذه المادة فعليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أى بدم مثل الفرصاد فى حمرته ، والفرصاد : ثمر التوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم : إذا هجم عليهم فى منازلهم — ويتامى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتامى : السيوف التى تفارق أغمادها ، جعلها يتامى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالوالدين ، وتنضى : تسل . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفا قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف تيتم أولاد من يقتله بها فى كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جنى : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغز ، فحذف المضاف وقال الإمام التبريزى ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « فى » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أى فى اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو سار — يعنى الممدوح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله فى فداء أسارى المسلمين من أيدى الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قال الواحدى وليس فى هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يغزو ولا يمنعه

. . . .

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الأبيات يدل على أن المعنى ماذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب مذ ومنذ ، وكان بودنا أن نتبسط فى هذا الموضع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكنا لا نبغى أن نحيد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح المتنبى ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التى أوردوها ، وهو كل ما يعنينا فى هذا الشرح الذى كررنا القول بأنه كأنه شرح للمتنبى وشروحه . قال العكبرى : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فغيرا عن حالها فى إفراد كل واحد منهما فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال ، وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ — بكسر الميم — فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » ، والتقدير ما رأيته «مذ» مضى يومان و«منذ» مضى شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر «من» ولهذا كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون «من» فيها تغليباً لـ« من» ، والرفع بـ«مذ» أجود ، لحذف نون «من» منها تغليباً لإذ ، ويدل على أن أصل «مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بها قلت فى تصغيره «منيذ» وفى تكسيره «أمناذ» ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكسير يردان الاشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بعدها بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التى بمعنى « الذى » وهى لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن المـــاء ماء أبى وجدّى ... و بئرى ذُو حَفرتُ وَذُو طَوَيتُ [1]

---

(١) أحد أبيات خمسة أوردها أبو تمام فى الحماسة لسنان بن الفحل الطائى قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العشراء من فزارة فى ماء وهم مخلطون متجاورون، والأبيات .

وقالوا قـــدْ جُننتَ فقلتُ كلاَّ ... وَربِّى ما جُننتُ وما انتشَيتُ

ولـكنى ظُلِمتُ فـكِدْت أبكى ... منَ الظلمِ المُبـــيِّنِ أوْ بكيتُ

فإن المـــاء ماء أبى . . . . « البيت »

وقبلَكَ رُبَّ خصمٍ قدْ تمـــالَوْا ... علىَّ فـــا هَلَعتُ ولا دَعَوْتُ

ولـكِنِّى نصبتُ لهمْ جبيـــنِي ... وآلةَ فارسٍ حـــتى قرَيْتُ

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنقعُ أَبْلَقٌ ... بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَدْهَمُ(١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاغِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ ... تُسَايِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ(٢)
وَمِنْ عَاتِقٍ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ ... أَسِيلَةِ خَدٍّ عَنْ قَرِيبٍ سَتُلْطَمُ(٣)
صُفُوفاً لِلَيْثٍ فِي لُيُوثٍ حُصُونُهَا ... مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيجُ الْمُقَوَّمُ(٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيكون ما بعدها مجروراً بهما ، وإنما بنيا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره ــ وبنيت « مذ » على السكون . لأنه الأصل في البناء ، و«منذ» على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يتبعوا الضم الضم.

(١) النقع : الغبار ، والأبلق : ما فيه سواد وبياض ؛ الأدهم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه ــ يريد سواد الغبار ولمعان السيوف ــ والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ«يشق» والمراد بالملك الطاغي : ملك الروم . والكتيبة : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحتف ؛ الهلاك يقول ؛ يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاغي ، فكم من كتيبة للروم تعارضه الممدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حتفها

(٣) العاتق ؛ الشابة البكر . ونصرانة أي نصرانية ، تأنيث نصران . وخد أسيل ناعم طويل . يقول ؛ كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للممدوح عن سترها ــ لأنها سبيت ــ فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الخد ؟

(٤) صفوفا ؛ أي برزت صفوفا ، لأن عاتق ــ ههنا ــ في معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . والمتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكي ؛ الخيل المسنة ؛ والوشيج ؛ شجر

و « ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى التي لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع الموصولات ولا يتغير لفظها . وتمالوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتعصبوا على ؛ وهلعت ؛ جزعت ، ولا دعوت ؛ أي ما ناديت أحداً ولا استصرخت ، ولكني كنت أرد الخصم بقوتي وجلادي . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أي جمعت ، يعني أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فغلبهم ، وجمع الماء في الحوض .



تَغِيبُ بِالْمَنَايَا عَنْهُمُ وَهْـــوَ غَائِبٌ ... وَتَقْدَمُ فِي سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ(١)

أَجِـــدَّكَ مَا تَنْفَكُّ عَانٍ تَفُـكُّهُ ... عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالٌ تُقَسِّمُ(٢)

تتخذ منه الرماح : يقول ؛ برزت هذه العواتق صفوفا لهذا الممدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالخيل والرماح .

(١) يقول : إذا غاب فلم يغزهم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أتجد جدك ومعناه ؛ أتجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكه ، وجملة « عان تفكه » خبر « تنفك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيـه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائى : لا يجوز وحجة الكوفيين إذا كان سطه متحركا ماجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم ؛ « دمو » بدليل قول بعض العرب فى تثنيته « دموان » وقيل أصله « دمى » قال الشاعر .

فلو أنَّا على حُجْرٍ ذُبِحْنــَا ... جَرَى الدَّمَيانِ بالخبرِ اليقينِ(١)

---

(١) قبــله ؛

لعمـــرك إننى وأبا رباحٍ ... على حالِ التكاشر منذ حين

ليُبغضنى وأبغضــه وأيضاً ... يرانِى دونه وأراه دونِى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعى ونسبها لعلى بن بدال ابن سليم . والتكاشر : يروى التجاور ، والتكاشر المباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابى ؛ معناه لم يختلط دمى ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمى يمنه ودمه يسرة قال المتلمس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ ... يَدًا لاَ تُؤَدِّى شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ (١)

عَلَى مَهَــــلٍ إنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ ... لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ (٢)

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمُ ... وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ (٣)

وَزَارَكَ بِى دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرُّجِى ... إذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِى التَّيَمُّمُ (٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز فى مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم فى الاسم الثلاثى الساكن الوسط كزيد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لانظير له ؛ بخلاف ماإذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفا والثلاثى فى غاية الخفة . قوله :ومال تقسم ، أى تقسمه ، فحذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الهمز ، ولكنه لينه للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والفم ؛ أى لايؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الشانى ؛ المبغض ، وأصله الهمز ، ولكن لينه للضرورة . والمفحم ؛ الساكت الذى لايقدر على النطق،والنيل:العطاء؛ والخضرم؛ الكثير. يقول:محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لايستطيع أن ينطق فيك بعيب لأنه لايجد لك عيبا يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التحرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تحرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا ... تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخلط وقال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على حجر لعلم من الشجاع منا من الجبان بجرى دمى وجموده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لايجرى .



فَعِشْ لَوْ فَدَى الْمَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمُ(١)

* * *

واجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قِنَّسْرِين فسمع زئير الأسد فقال :

أَجَارُكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ(٢)
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ(٣)
فَهَلْ لَكِ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ(٤)
إِذًا لَأَتَاكِ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَأَثْرَيْتِ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأَغْنَمُ(٥)

* * *

أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملنى على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر وللملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ، كما قال أبو تمام .

لبستُ سِواه أقواماً فكانوا كما أغنَى التَّيَمُّمُ بالصَّعِيدِ

هذا ؛ والباء فى قوله « وزارك بى » للتعدية . تقول ؛ زرتك بزيد ، وزرتك زيدا ، وأزرت زيدا إياك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكه لم تمت مادام فى الأرض مسلم واحد ، لأنهم يفدونك بأنفسهم

(٢) يقول — مخاطبا أسود هذا المكان — : هل يكون من جاورك مكرما عزيزا فتسكن نفسى إلى جوارك ، أو يكون مهانا مخذولا ؟ والفراديس موضع بالشام . وقوله : فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلف : اسم من المحالفة ، وهى المعاهدة . يقول : هل لك رغبة فى معاهدتى على ما أريده من جوارك . فإنى أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف فى كسب الرزق ؟ وهذا كالترغيب لها فى جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت فى



وقال فى لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلَتْ فِى مَشِيئَةٍ قَدَماً ‎ وَلاَ أشْتَكَتْ مِنْ دُوَارِهَا أَلَمَا[١]

لَمْ أَرَ شَخْصاً مِنْ قَبْلِ رُؤْيَتِهَا ‎ يَفْعَلُ أَفْعَالَهَا وَمَا عَزَمَا

فَلاَ تَلُمْهَا عَلَى تَوَاقُعِهَا ‎ أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَتْكَ مُبْتَسِماً[٢]

* * *

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبى الحسين على بن أحمد المرى الخراسانى ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال يمدحه :

لاَ أفْتِخَارٌ إلاَّ لِمَنْ لاَ يُضَامُ ‎ مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لاَ يَنَامُ[٣]

جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكثر عندك المال ، مما تغنمينه أنت من الصيد ، وأكسبه أنا من المال والغنيمة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما فى مشيئتها وإرادتها : يعنى لا قصد لها ولا إرادة فى تحركها ، ولا يأخذها فى دورانها دوار فتتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى « فى مشية » تصغير مشية .

(٢) تواقعها : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جنى : هذا البيت يناقض الأول ، لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام الممدوح ، وليس بعيب فى صناعة الشعر لأنه مبنى على المحال .

(٣) يقول : لا فخر إلا لمن لا يظلم ، لامتناعه وقوته على دفع الظلم ، وهو إما مدرك ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه هذا : وكان الوجه أن يقول لا افتخار — بفتح الراء — كما يقال : لا رجل فى الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفى بـ « لا » إذا عطف عليه فيرفع وينون ؛ فيقال : لا رجل فى الدار ولا امرأة ، ولكنه أجازه بغير عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل « لا » بمعنى « ليس » كبيت الكتاب :

من صدّ عن نيرانها ‎ فأنا ابنُ قيسٍ لاَ بَرَاحُ[١]

---

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وشعرائها فى الجاهلية وأول القصيدة :

يا بُؤْسَ لِلحَرْبِ التى ‎ وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَأسْتَرَاحُوا

وبعد البيت :

لَيسَ عَزْماً ما مَرَّضَ المَرْءُ فِيهِ   لَيسَ هَمّاً ما عاقَ عَنهُ الظَّلامُ[١]
وَاحْتِمالُ الأَذَى وَرُؤْيَةُ جانِيـــهِ غِـذاءٌ تَضْوَى بِهِ الأَجْسامُ[٢]
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ   رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمامُ[٣]

وجعل « من » نكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال : مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ماهممت به فى نفسك . يقول : لايعد عزما ماقصر الإنسان فيه ، إذ العازم على الشيء لايقصر فيه ، ولا يعد همة ماحال الظلام دون طلبه ، لأن ذا الهمة لايعوقه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضوى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الخبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى يفضى به إلى النحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ، وإلا كان حسداً . والحمام : الموت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر . يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الذليل فهو ذليل ، لأن الموت فى العز أخف من العيش فى الذل . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، فحياتها موت ، ووجودها عدم ؛ ومن قول تأبط شراً :

هما خُطَّتا إمّا إســارٌ وَمِنَّةٌ   وإمّا دمٌ والقتلُ بالحُرِّ أجدرُ[١]

وَالحـــربُ لا يبقى لجا   حِمِها التَّخَيُّلُ وَالمِـــرَاحُ
إلا الفتى الصَّبّارُ فى   النجـــداتِ والفـــرس الوقاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا المشهور فى النجدة كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة «لابراح» حال مؤكدة لقوله أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والبراح مصدر . برح الشيء من باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من أبيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شراً .

أقول لِلحيانِ وقـــد صفرَتْ لهم   وطابِى ويومِى ضيقُ الجحرِ مُعْوِرُ



كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لَاجِىءٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ (١)

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ (٢)

ضَاقَ ذَرْعاً بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ عاً زَمَانِي وَاسْتَكْرَمَتْنِي الْكِرَامُ (٣)

(أراد خطتان ، فحذف النون ، طلباً للخفة)

(١) اللئيم ؛ الخسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزا ، وهو حجة يحتج بها اللئام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حلما ، كما قال الآخر

إنّ مِنَ الحِلْمِ ذُلاً أنتَ عارِفهُ والحِلْمُ عنْ قُدْرَةٍ فضلٌ مِنَ الكرمِ

(٢) يقول : إذا كان الإنسان هينا فى نفسه سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذى لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفى — شاعر إسلامى ادرك بنى أمية — .

إذا ما علا المرء رَام العُلا ويقنع بالدونِ من كان دونا

وأين هذا من ذاك ؟

(٣) زمانى ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإنما

هُما خطتا . . . . « البيت »

وبعده :

وأخرَى أُصادِى النفس عنها وإنها لمورِدُ حزم إن فعلت ومصدر

فرشتُ لها صدرى فزل عن الصفا به جُؤجؤ عبْلُ ومتنٌ مُخَصّرُ

فخالط سهلَ الأرض لم يكدح الصفا به كَدْحةً والموتُ خزيانُ ينظرُ

فأُبتُ إلى فهمٍ ولمَ أكُ آيباً وكمْ مثلها فارقتها وهىَ تَصْفِر

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على تأبط شرا طريق جبل وجدوه فيه يجنى عسلا ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو نقتلك ، فكره أن يستأسر وصب ما معه من العسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فحكى الحكاية فى هذه الأبيات ، وتأمل قوله « والموت خزيان ينظر » يتجلى لك شعر الشاعر :

وَاقِفاً تَحْتَ أَخْمَصَيْ قَدْرِ نَفْسِي وَاقِفاً تَحْتَ أَخْمَصَيَّ الْأَنَامُ(١)

أَقَـــرَاراً أَلَذُّ فَوْقَ شَرَارٍ وَمَرَاماً أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ(٢)

دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَـــا وَالشَّآمُ(٣)

شَرَقَ الْجَوِّ بِالْغُبَـــارِ إِذَا سَا رَ عَلِيُّ ابْنُ أَحْمَـــدَ الْقَمْقَامُ(٤)

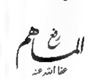
الْأَدِيبُ الْمُهَذَّبُ الْأَصْيَدُ الضَّرْ بُ الذَّكِيُّ الْجَعْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامُ(٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدى إليه فلم تنله . وذرعا — فى قولهم — ضاق به ذرعا — نصبوه ، لأنه خرج مفسرا محولا ،لأنه كان؛ فى الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛ فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعا » مفسرا ، ومثله؛ طبت به نفسا وقررت به عينا . يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعا وإن كثرت ذنوبه وإساآته إلى ، ثم قال: واستكرمتنى الكرام . أى وجدنى الكرام كريما صبورا على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت كريما فتمسك به .

(١) الأخمص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « فى البيت السابق » والثانية عن الضمير المستتر فى « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت أخمص همته وقدر نفسه فى الحال التى وقف الناس فيها تحت أخمصيه . يعنى أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة ابن جنى . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ، والأنام وقوف تحت إخمصى .

(٢،٣،٤) الهمزة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام المطلب ، ويشرق يغص ، والعراقان : العراق العربى والعراق العجمى ، والقنا الرماح والشآم : الشام ، وأصله الهمزة ، والقمقام السيد ، يقول ، لا أستلذ القرار فوق شرار النار : أى لا أصبر على مقاساة الذل ، ولا أبغى مطلبا مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه يقول . لا أبغى مراما مالم أدفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصة بالرماح كما يغص الجو بالغبار عند ركوب هذا الممدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه ـ المتنبى ـ فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها . . . وهذا من حماقته المعروفة ولا بد له فى كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصيد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبرا . والضرب . الماضى فى الأمور



وَالَّذِي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا ٭ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الْغَمَامُ[(١)]

يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْـلَالِ جُوداً كَأَنَّ مَالاً سَـقَامُ[(٢)]

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْبَـحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ[(٣)]

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقيل فلان جعد اليدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم ـ من الثرى الجعد ، وهو الندى ـ والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهرى : السرو سخاء فى مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى ـ بالكسر ـ يسرى سرواً فيهما ، وسرو يسرو سراوة : أى صار سريا ورجل سرى: من قوم أسرياء وسرواء كلاهما عن اللحيانى، والسراة اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيبويه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :

تلقى السرى من الرجال بنفسه ٭ وابن السرى إذا سرى أسراهما

أى أشرفهما . وقولهم: قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فعيل على فعلة . والهمام الذى ينفذ ما يهم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوائبه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء إلا ما يريده ولا يصيب أحدا إلا بإذنه ، وقد تخرق فى الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى صار الغمام ـ السحاب ـ حاسدا لهما لقصوره عنهما فى البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجودا ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ، يقول ، كأن المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال برء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلا ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى هو الإكثار .

(٣) السوام ، الماشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، وهو فى عيون أعدائه أقبح من ضيفه فى عيون ماله الراعى لأنه ينحر إبله للأضياف فهى تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حَبِيبٌ إلى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ ٭ بغيضٌ إلى الكوماء[(١)] والكلبُ أبصر

---

(١) الكوماء ، الناقة الضخمة السنام



لَوْ حَمَى سَيِّداً مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ ... لَحَمَاكَ الْإِجْـلَالُ وَالْإِعْظَامُ[(١)]

وَعَوَارٍ لَوَامِـعٌ دِينُهَا الْحِـلُّ ... وَلَكِنْ زِيُّهَا الْإِحْرَامُ[(٢)]

كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمٌ ... ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسٍ السَّلَامُ[(٣)]

فقوله فى عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد فى الدار أحسن منك . قال ابن جنى ، ويمكن أن يكون « فى عيون أعدائه » ظرفا لحسن ، فالمعنى هو فى عيون أعدائه حسن ،إن قيل كيف يكون حسنا فى عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رأته الإبل لأنه يذبحها للأضياف فهى تكرههم؟ فجوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم ، فهم يرونه حسنا وقبيحا، وفى الأول قبيحا لاغير

(١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يجسر عليك تهيبا . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محميا من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يفدونك بنفوسهم من الموت لو قبل الفداء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم يهابونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى فى إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » ـ فى البيت السابق ـ أى ولحماك سيوف عوار ـ مجردة ـ من الأغماد ، دينها استحلال قتل النفوس، فهى لاتتحرج من شىء ،ولكن زيها الإحرام ؛ أى العرى كالمحرم فى الحج ، فإنه يكون عاريا من الثياب .

(٣) يقول : كتب فى صحائف المجد بسم الله ـ وهو افتتاح الكلام ـ ثم قيس ـ وهى قبيلة الممدوح ـ ثم السلام الذى يكتب فى أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم ـ بالرفع ـ أجرى « الباء » كبعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا واللهِ لا يُلْفَى لِمَا بى ... وَلاَ لِلِمَابِهِمْ أبداً شِفَاءُ[(١)]

---

(١) لمسلم بن معبد الوالبى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بكتْ إبلى وَحُق لها البكاء ... وفرقها المظالمُ والعداء

وكان سبب هذه القصيدة أن مسلما كان غائبا ، فكتبت إبله المصدق ـ أى عامل الزكاة ـ وكان رقيع الوالبى عريفا فظن مسلم أن رقيعاً هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيع ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزانة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية » .



إنَّمـا مُرَّةُ بْنُ عَوفِ بْنِ سَعْدٍ جَمَرَاتٌ لاَ تَشْتَهِيهَا النِّعَامُ(١)
لَيْلُهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالإِصْـبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تِمَـامُ(٢)

وأنشد الآخر :

وَكَاتِبٍ قَطَّـطَ أقلاَمَا وَخَطَّ بِسْماً أَلِفـاً وَلاما

ومن قال بسم ــ بالخفض ــ خفضه بالباء وأراد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ماليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجمرة : كل قبيل انضموا فصاروا يداً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نمير ابن عامر . طفئت منهم جمرتان : طفئت «ضبة» لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحرث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال ــ لعبس وضبة ونمير ــ : الجمرات ، وأنشد لأبى حية النميرى :

لنا جمرَاتٌ ليْسَ فى الأرض مثلُهـا كِرَامٌ وَقدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
نُمير وَعَبْسٌ يُتقى نَفيانُهـا وضَبَّةُ قَوْمٍ بأسُهمْ غـيرُ كاذِبِ

وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وحدتهم ، وقد فضل المتنبى هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لاتشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لاذات جمر فى الحقيقة فهى جمرات حرب ــ لا جمرات لهب ــ والنعام تشتهى جمرة النار لفرط برودة فى طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلا ونهارا فليلهم صبح بضوء النار التى أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون فى النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنى حسن ، وقد أخذه الحيص بيص فقال :

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ شَمْسِ أرْضِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أو عجَاجَـةُ قَسْطَلِ

وقوله تمام بكسر التاء . فليل التمام أطول ليالى الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ماجاء ليل التمام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن المعنى تم دونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هِمَمٌ بَلَّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ ... قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِهَا الْأَوْهَامُ
وَنُفُوسٌ إِذَا انْبَرَتْ لِقِتَالٍ ... نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الْإِقْدَامُ(١)
وَقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ عَلَى الرَّوْ ... عِ كَأَنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلَامُ(٢)
قَائِدُو كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ ... قَدْ بَرَاهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ(٣)
يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّءُوسِ كَمَا مَرَّ ... بِتَاآتِ نُطْقِهِ التَّمْتَامُ(٤)
طَالَ غِشْيَانُكَ الْكَرَائِهَ حَتَّى ... قَالَ فِيكَ الَّذِى أَقُولُ الْحُسَامُ(٥)

---

(١) الانبراء التعرض للشىء ، ونفد الشىء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لاتزال مقدمة فى الحرب حتى تفنى وإقدامها باق على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفادها قبل نفاد إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باق ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشىء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشىء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلت له ، قال كثير :

فقلتُ لهــا يا عزَّ كلُّ مُصيبَةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلَّتِ

وأراد بالروع : الحرب . والاقتحام : الدخول فى الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم فى الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانبساطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراها : هزلها وأنحلها . وأراد براهما : أى الشطبة والحصان ، فاكتفى بضمير الأول ، كما فى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الخيل ؛ والتمتام ، الذى يتردد لسانه بالتاء . يقول . إن خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتام بالتاء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرائه : جمع الكريهة ، والكريهة من أسماء الحرب ـ فعيلة فى معنى مفعولة ـ . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة



وَكَفَتْكَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى ... قَدْ كَفَتْكَ الصَّفَائِحَ الأَقْلاَمُ(١)

وَكَفَتْكَ التَّجَارِبُ الْفِكْرَ حَتَّى ... قَدْ كَفَاكَ التَّجَارِبَ الإِلْهَامُ(٢)

فَارِسٌ يَشْتَرِى بِرَازَكَ لِلْفَخْـرِ بِقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لاَ يُلاَمُ(٣)

نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْـرُ عَلَيْـهِ لِفَقْرِهِ إِنْعَامُ(٤)

خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّءوسُ وَلَـكِنْ ... فَضَلَتْهَا بِقَصْـدِكَ الأَقْدَامُ(٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانفلال كالقول من السيف .

(١) الصفائح . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفتك الأقلام السيوف لما استقرلك من الهيبة فى القلوب ، وقال ابن دوست . كفتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنيت عنهم ولم تحتج إليهم ؛ قال الواحدى : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يحملها ليحصل له الهيبة وهى بمجردها لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفتها حتى لاتحتاج إلى التفكر فيها ، ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لاتلهم سواه ، فكفاك إلهام الله التجارب قال العكبرى . وهذا وماقبله من قول البحترى .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا ... ئِكَ جُنْداً لاَ يَأْخُذُونَ عَطَاء

وَيَوَدُّ الأَعْدَاء لَوْ تُضْعِفُ الْجَيْـ ... ـشَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الآرَاء

(٣) البراز . المبارزة ، وهى أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذى يجعل نفسه قرينا لك ويبارزك فى الحرب ينال بذلك فخرا عظيما ، فإذا قتلته كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذى ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك . أى دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سببا لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذى هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرءوس ، لأنها كانت آلة للسعى إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِى أقْصَرْتُ عَنكَ وَلِلوَفْـــدِ ازْدِحَامٌ وَلِلعَطَايَا ازْدِحَامُ (١)
خِفْتُ إنْ صِرْتُ فِى يمِينِكَ أَنْ تَأْ خُذَنِى فى هِبــَاتِكَ الأقْوَامُ (٢)
وَمِنَ الرُّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى القُرْ بِ ، عَلَى البُعْدِ يُعْرَفُ الإلْمَامُ (٣)
وَمِنَ الخَـــيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنِّى أَسْرَعُ السُّحْبِ فِى المَسِيرِ الجَهَامُ (٤)
قُلْ فَـكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ بِنِظَامٍ وُدُّهَا أَنَّهَـــا بِفِيكَ كَلاَمُ (٥)
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنْـــهَاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيَّامُ (٦)

وإن الفِئَامَ الَّتِى حَـــوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول : لم آتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطاياك ، وتتمة المعنى فى البيت التالى .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهى خوفه أن تأخذه الوفود فى جملة هباته . وهذا إغراق فى وصف كثرة عطاياه حتى يخاف شاعره وزائره أن يجعله من جملة تلك الهبات وهذا كقول البحترى :

ومِنْ لوْ تَرَى فى مِلـكِهِ عُدْتَ نَائِلاً لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرَجِّيهِ مُقْتِرِ

(٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعده . والإلمام : الزيارة . يقول : من إصابة الرشد أنى لم أزرك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسيب : العطاء ، والجهام : السحاب الذى لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عنى — أى تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتى إياك — يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما — لاماء فيه — أما مايكون فيه الماء فإنه يكون ثقيل المشى .

(٥) النظام : خيط العقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر المتصيد مما بعده . يقول للممدوح — قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتمنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيته عن المرور بك لم يمر : أى لو أمرته أن يقف لوقف .



حَسْبُكَ اللهُ ما تَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ وَما يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَثامُ(١)

لِمَ لا تَحْذَرُ الْعَواقِبَ فِي غَيْـرِ الدَّنايَا أَما عَلَيْكَ حَرامُ(٢)

كَمْ حَبِيبٍ لا عُذْرَ فِي اللَّوْمِ فِيهِ لَكَ فِيـهِ مِنَ التُّقَى لُوَّامُ(٣)

رَفَعَتْ قَدْرَكَ النَّزاهَةُ عَنْهُ وَثَنَتْ قَلْبَكَ الْمَساعِي الْجِسامُ(٤)

إِنَّ بَعْضاً مِنَ الْقَرِيضِ هُـذاءٌ لَيسَ شَيْئاً وَبَعْضُهُ أَحْكامُ(٥)

---

(١) الأثام — كسلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلق أثاما » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة، فأنت مع الحق لاتضل عنه ، ولا يجد الإثم سبيلا إليك ؛ لأنك لاتأتى ما تأثم به لعصمة الله إياك.

(٢) الدنايا . النقائص . و« أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شىء سوى الدنايا ؛ أما عليك شىء محرم تتق عاقبته ؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له ، فلا يتهيأ له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنايا وروى غيره : وماعليك حرام ، بأو العاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنايا » أى ماهو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على المهالك وكل شىء ، لايتفكر فى عاقبة شىء إلا ما كان من دنيئة أو شىء حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للمدح ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى المهالك ؟ أو ماتظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته، وعبارة ابن جنى ــ الذى روى؟« أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى توقى الدنايا صار كأنه لاحرام عليك غيرها . يعنى أنه لايفكر فى عاقبة شىء سوى الدنايا ، فكأنه لم يحرم عليه شىء .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول. كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لوواصلته ،لكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لواما يلومونك فيما لايوافق مقتضاها وقد أكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . نزاهتك وتباعدك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته ،وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام ــ العظام ــ التى تسعى فيها .

(٥) القريض . الشعر ، من قرض الشىء. إذا قطعه ، كأن المرء يقطعه من فكره ،



مِنهُ مَا يَجْلُبُ الْبَرَاعَةَ وَالْفَضْــلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلُبُ الْبِرْسَامُ(١)

***

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحمت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

(١) أَلاَ لاَ أُرِي الْأَحْدَاثَ حَمْداً وَلاَ ذَمَّا فما بَطْشُها جَهْلاً وَلاَ كَفُّها حِلْمَا(٢)

والتقريض : صناعة القريض ، وفى المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . الغصص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الابرص ، قاله المنذر حين أراد قتله فى يوم بؤسه فقال له : أنشدنى من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهرى . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن برى . وقد فرق الأغلب العجلى بين الرجز والقريض بقوله .

أرجزاً تُرِيدُ أمْ قريضاً كِلَيْهِمَا أُجِيدُ مُسْتَرِيضاً

« مستريضاً أى واسعاً ممكنا من استراض المكان أى فسح واتسع » وهذى يهذى هذاء وهذيانا : إذا قال قولا لاطائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكما »أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — مايجلبه الفضل والبراعة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله مايجلب : أى مايجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط فى مرضه .

(٢) الأحداث : نوب الدهر ومصائبه . والبطش : الأخذ بغلبة وقوة . يقول : لا أحمد الحوادث السارة ولا أذم الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذتنا لم يكن ذلك جهلا منها وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حلما يعنى أن الفعل فى جميع ذلك ليس لها ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازا .



(٢) إلى مِثْلِ ما كانَ الفَتَى مَرْجِعُ الفَتَى   يَعُودُ كما أُبْدِى وَيُكْرِى كما أَرْمَى[١]

(٣) لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَـــةٍ بِحَبِيبِها   قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِها وَصْمَا[٢]

(٤) أَحِنُّ إلى الكَأْسِ التي شَرِبَتْ بِها   وأَهْوَى لِمَثْوَاها التُّرابَ وَما ضَمَّا[٣]

---

(١) أبدى : هى أبدئ : أى أبداه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشىء : نقص . وأرمى : أربى وزاد. يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدئ وينقص ماحدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لاذنب للحوادث حتى أذمها أو أحمدها . هذا : وأكرى ـ كما أنه بمعنى زاد ـ أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نفد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذِى زادٍ مـــتى ما يُكْرِ منهُ   فَلَيْسَ وَرَاءهُ ثِقَـــةٌ بِزَادِ

وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّم ما فيهـــا فإنْ هِىَ قَسَّمت   فذاكَ وَإنْ أكْرت فَعَنْ أَهْلِها تُكْرِى

« قسمت : عمت فى القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فعن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله: دعاء لها ؛ و«من» ـ من مفجوعة ـ : زائدة ، ومفجوعة ، فى موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق مما يلحق بها عيبا ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التى شربت بها : كأس الموت. ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب ـ لأجل مقامها فى التراب ـ التراب وماضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون فى التراب . وحبه التراب : يجوز أن يكون حبا للدفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس وكئاس ، قال أهل اللغة : الكأس الزجاجة ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر فهى قدح ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين » وقال أمية ابن أبى الصلت :

ما رغبةُ النفسِ فى الحيــاة وإن   تحيا قليـــلا فالموتُ لاحِقُها

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا ... وَذَاقَ كِلانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا[١]

وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ ... مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا[٢]

يُوشِكُ من فرّ من منيّته ... فى بعض غِرّاتِهِ يُوَافِقُها

من لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً ... للموتِ كأسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُها[١]

(١) الثكل : الفقد . وقدما : قديما . يقول : كنت أبكى عليها فى حياتها خوفا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفى المصراع الأول نظر إلى بيت الحماسة :

فيبكى إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكى إن دنَوا خوف الفراق[٢]

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا : يعنى أن بلدها كان محبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح وقد نفى فى هذا البيت ما أثبته فى قوله :

لا تحسبُوا ربعكم ولا طَلَلَهْ ... أوّلَ حَىّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ

---

(١) قال ابن برى : عبطة : أى شابا فى طراءته ، وانتصب على المصدر : أى موت عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتهما على الحال : أى ذا عبطة وذاهرم فحذف المضاف أيضاً ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فى الأرضِ أشقَى من محبٍّ ... وَإنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ الْمَذَاقِ

تراهُ باكِياً فِى كُلِّ حِينٍ ... مخافةَ فُرْقَةٍ أو لأشتِيَاقِ

فيبكى . . . . [البيت]

وبعده :

فتسخُن عينهُ عند التنائِى ... وَتَسْخُن عينهُ عند التلاقى

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْـلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا ... فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا[١]

مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَـيْرِهَا ... تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا[٢]

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَـةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُوراً بِي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا[٣]

حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي ... أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا[٤]

---

(١) يقول : كنت عالما بالليالى وتفريقها بين الأحبة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتنى هذه المصيبة لم تزدنى بها علما ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها . ومن قول أبى تمام :

حَلَّمَتْنِي زَعَمْـتُمْ وَأَرَانِي ... قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيماَ

ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له فى ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير فى « منافعها » للمرثية : يعنى أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثانى تفسيراً للمصراع الأول فقال : غذاؤها وريها فى أن تجوع وتظمأ ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وريها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان فى موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير فى « منافعها » لليالى والأحداث : يعنى أن منافع الليالى فى مضرة غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وريها فى أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ريها وشبعها فى جوعنا وظمئنا قال : ويروى : نجوع ونظمأ ، بالنون على ماذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظمأ بالتاء خبراً عن الليالى ، والمعنى غذاؤها وريها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لاتروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر فى نفع غيرها » ما أثر فى نفع غيرها بالضرر كأنه قال : منافعها فى ضر غيرها .

(٣) الترحة : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن ـ يقول : اشتد حزنى عليها فكأنى مت بها غما ، وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد إياسها منى .

(٤) يقول : السرور حرام على فإنى بعد موتها بالسرور أعده سما فأتجنبه وأحرمه على نفسى .

(١١) تَعجَّبُ مِنْ خَطِّى وَلَفظِى كَأَنَّهَا ... تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغرِبَةً عُصْمَا[(١)]

(١٢) وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِـــدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنيابَهَا سُحْمَا[(٢)]

(١٣) رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِى وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّى قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى[(٣)]

(١٤) وَلَمْ يُسْلِهَا إِلاَّ الْمَنَايَا وَإِنَّمَـــا ... أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِى أَذْهَبَ السُّقْمَا[(٤)]

---

(١) تعجب ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتعجب ، والباء من قوله « بحروف » للتجريد . والأغربة : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه بياض والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تتعجب من كتابى ـ عند رؤيته ـ حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفاً به لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جنى : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب الأعصم .

(٢) المحاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول: لم تزل تقبـل كتابى وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بمداده ـ حبره ـ هذا : ويقال لثم فاها ـ بالكسر ـ إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة ـ وقيل لجميل بن معمر :

قالت وعيشِ أبى وحرْمةِ إخوتى ... لَأُنَبِّهَنَّ الحىَّ إنْ لم تخــرُجِ

فخرجْتُ خِيفةَ أهلهـــا فتبسَّمَت ... فعلمْتُ أنْ يَمينَها لم تُحْرجِ

فلثَمْتُ فَاهَا آخِــذاً بِقُرُونِها ... شرب النزيف ببرْدِ ماء الحشرجِ[(١)]

(٣) رقأ الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول : لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت عنى بعدما أدمى حبى قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلها عنى إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً

---

(١) النزيف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على المصدر المشبه به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب النزيف الماء البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافيا رقيقا ، والحشرج : كوز صغير لطيف .



طَلَبْتُ لَهَا حظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا[1]

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا[2]

وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتِ الْعُظْمَى[3]

لى ، ولكن الذى أذهب ذلك السقم كان أشد عليها من السقم ، كما قال أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
مِنَ الكَرْبِ رُوحِ المَوت شرٌ مِن الكَرْب

ومثله له :

أجارَكَ المكروهُ مِن مثله فاقرةٌ نجّتك من فاقرة[1]

(١) يقول : إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتنى هى بموتها وفاتنى ذلك الحظ لأنى لم أدركه وكانت قد رضيت بى حظا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظاً لى

(٢) استسقى : طلب السقيا ، والغمام : السحاب . والوغى : الحرب ، والقنا : الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقى السحاب قبرها فأقول : سقى الله قبرها ــ على عادة العرب فى الدعاء للقبور بسقيا السماء ــ يعنى تركت الحرب وجدّيها واشتغلت بالدعاء لها : قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وبرغمى أصبحت أمنحك الودّ وأهدى إليكَ صوب الغمامِ

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعنى أن موتها أعظم من فراقها .

---

(١) الفاقرة : الداهية الكاسرة لفقار الظهر .

١٨ هَبِينِى أخَذْتُ الثَّأرَ فِيكِ مِنَ العِدَا
فَكَيْفَ بِأخْذِ الثَّأرِ فِيكِ مِنَ الْحُمَّى (١)

١٩ وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنيَا عَلَىَّ لِضِيقِهَا وَلٰكِنَّ طَرْفاً لاَ أرَاكِ بِهِ أعْمَى (٢)

٢٠ فَوَا أسَفَا أنْ لاَ أكِبَّ مُقَبِّلاً لِرَأسِكِ وَالصَّدْرِ اللَّذِى مُلِئَا حَزْماً (٣)

---

(١) يقول : اجعلينى واحسبينى بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف آخذ ثأرك من العلة التى قتلتك ، وهى العدو الذى لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

ولم يُغنِ عنكَ الموتُ يا حَمْزَ إذْ أتى رجالٌ بأيديهم سُيُوفٌ قَوَاضِبُ (١)

وأحسن فيه أبو الحسن التهامى :

لو كُنْتَ تُمْنَعُ خاضَ نَحْوكَ فِتيةٌ مِنَّا بحارَ عواملٍ وشِفار (٢)

(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « فوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشىء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . واللذى : أراد اللذين ، لحذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لغة فى تثنية «اللذ» وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أبَنِى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللَّذَا كسرا القُيود وفَكَّكَا الأغلالا (٣)

وقول الأشهب بن رميلة ـ شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام :

وإن الذى حانت بِفَلْجٍ دِماؤُهُم هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُم خالدِ (٤)

---

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ماعرض من الحديد وحدد ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبى حنش عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار يوم الكلاب الأول .

(٤) بعده :

همو ساعِدُ الدهر الذى يُتقى به وماضر كف لا ينوء بساعد

وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .



٢١ وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ الطَّيِّبَ الَّذِي ... كَأَنَّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا (١)

٢٢ وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا (٢)

٢٣ لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا ... فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمِ رَغْمَا (٣)

٢٤ تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا (٤)

٢٥ وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ ... وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا (٥)

٢٦ يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى (٦)

يقول : ما أشد حزنى أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامة وعقلا . يتأسف لغيبته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها.

(١) يقول: ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كأن جسمه أى جسم ذلك الروح من المسك الذكى الشديد الرائحة.

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لولم يكن أبوك أكرم والد لكانت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قيل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . وبيومها: أى بيوم موتها. ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى يلصقها بالرغام — التراب — أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يغادر الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعم شىء إلا طعم المكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشراح : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أوما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير. وقال العكبرى. «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شىء أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شىء أنت فإنا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم: إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

(٢٧) كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي ... جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا[(١)]

(٢٨) وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِى يَدِى ... بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا[(٢)]

(٢٩) وَلٰكِنَّنِى مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِى كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا[(٣)]

(٣٠) وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِى ... وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا[(٤)]

(٣١) إِذَا فَلَّ عَزْمِى عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَىْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا[(٥)]

---

(١) اليتما : مفعول لجلوب ، والضمير فى « معادنه » لليتم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالى وسفرى كأنهم يعلمون أنى أجلبَ إليهم اليتم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أى فهم لذلك يبغضوننى .

(٢) الجد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ فى الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أى فهما لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدونى :

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِى حِذْقٍ بِصَنْعَتِهِ ... أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهْوَ مَحْرُومُ

وقد وفينا القول على هذا المعنى فى غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أى بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكننى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم فى كل حال ؛ يعنى أظلم أعدائى بسيفى .

(٤) القرم فى الأصل : البعير الذى لا يحمل عليه وإنما يعدّ للفحلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحيي أعدائى يوم الحرب بسيفى : أى أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ ... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[(١)]

(٥) فل : يروى بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وفل السيف : ثلمه ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

---

(١) المراد بالخيل : الفرسان ؛ ودلفت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا مشى مشيا لينا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف. ووجيع بمعنى موجع ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .



٣٢ وَإِنّى لَمِنْ قَـــوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا
بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالعَظْمَا[1]

٣٣ كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَــبِى
وَيَا نَفْسُ زِيدِى فِي كَرَائِهِهَـا قُدْمَا[2]

٣٤ فَلاَ عَبَرَتْ بِى سَاعَةٌ لاَ تُعِزُّنِى وَلاَ صَحِبَتْنِى مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا[3]

* * *

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبى الطيب من الرملة ، فسار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فمدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شىء : مبتدأ،خبره :ممكن. يقول: إذا أضعف عزمى عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لاينال أيضا إذا لم يكن لدى طالبه عزم : يعنى لا يدرك شىء ألبتة إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فاعزم أيضاً على البعيد لتناله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف : الاستنكاف من الشىء . يقول : إنى من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكأن نفوسنا ترى السكنى فى أجساد هى لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار : أى تختار القتل على الحياة . قال الواحدىّ ولو قال : كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ الغيبة ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولان هذا أمدح .

(٢) الكرائه : جمع كريهة ، فعيلة بمعنى مفعولة . يقول — للدنيا — : أنا كما وصفت نفسى لا أقبل ضيما ولا أسف لدنية فاذهبى عنى إن شئت فلست أبالى بك؛ ويانفس زيدى قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها .
قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كرائهها — أى فى كرائه أهلها — يعنى زيدى تقدما فى الحروب ، وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكريهة ، فيكون الكلام من باب حذف المضاف .

(٣) يقول : لا مرت بى ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتنى نفس تقبل أن يظلمها أحد .



أَنَا لَائِمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ ... عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ (١)
وَلٰكِنَّنِي مِمَّا شُدِهْتُ مُتَيَّمٌ ... كَسَالٍ وَقَلْبِي بَائِحٌ مِثْلُ كَاتِمِ (٢)
وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا ... تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ (٣)
وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تُرَابَهَا ... فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ (٤)

---

(١) أنا لائمى : أى أنا لائم نفسى إن كنت الخ . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف. وقوله : رقت اللوائم : أى وقت لوم اللوائم . والمعالم أى معالم ديار الأحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والخيام . يذكر وقوفه على ديار الأحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء. يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لائمى : أى فأنا لائم نفسى فى قصور محبتى ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائم على فرط جزعى وبكائى علمت بما عرانى من ذلك فأنا لائم نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبرة ، يذكر وقوفه فى ديار الأحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انهتك ستره ولم يعلم .

(٢) شده الرجل ـ كدهش ـ فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : مما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، والمتيم : الذى تيمه الحب ـ أى عبده وذلله ـ يقول : ولكننى من فرط دهشتى ذهلت عن إدراك ما خامرنى من الوجد، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على الكتمان، وعبارة الواحدى: ولكننى من فرط دهشى وذهولى حتى كأنى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل. يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) المناسم : جمع المنسم ، وهو الخف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلثم ـ تقبيل ـ أخفافها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :



دِيَارُ اللَّوَاتِى دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ   بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لاَ بِالتَّمَائِمِ

حِسَانُ التَّثَنِّى يَنْقُشُ الْوَشْىُ مِثْلَهُ   إِذَا مِسْنَ فى أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ (٢)

وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ   كَأَنَّ التَّرَاقِى وُشِّحَتْ بِالْمَبَاسِمِ (٣)

فَمَالِي وَلِلدُّنيا طِـــلاَبِى نُجُومُهَا   وَمَسْعَاىَ مِنْهَا فى شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بِخَدِّى   أَنْ مَشى فيهِ الخليلُ

(١) القنا : الرماح . والتمائم : جمع تميمة ، العوذة . يقول : ديارهن منيعة لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرماح لا بالعوذ .

(٢) الوشى: النقش فى الثوب وهى الثياب المنقوشة. و«مسن» تبخترن. يقول: لنعومة أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشى فى جلودهن مثل صورته ، كما قال السرى الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْىِ نَعْمَةً فَإِذَا   صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَّاهَا

وفى مثل هذا يقول الآخر :

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ به نَمْلَةٌ   مُنْعَلَةٌ أَرْجُلُها بالحريرْ

لَأَثَّرَتْ فيه كما أَثَّرَتْ   مُدَامَةٌ فى عَارِضٍ مُسْتَدِيرْ

« العارض : الخد »

(٣) التراقى : جمع ترقوة ، وهى العظام التى فوق الصدر . والمباسم : جمع المبسم ، الثغر . يقول : إن ثغورهن فى الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذى تقلدنه، فكأن تراقيهن حليت بثغورهن ، وفى مثل هذا يقول الآخر :

تلكَ الثَّنَايَا مِنْ عِقْدِها نُظِمَتْ   أَمْ نُظِمَ العِقْدُ مِنْ ثَنَايَاها

(٤) طلابى : أى مطلوبى ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأراقم : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسعفه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالى وللدنيا أطلب معالى الأمور وأنا مرتبك فى نوائبها وخطوبها ؟ يعنى أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالى، وهى تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكنى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشدوق الأراقم عن الخطوب المهلكة والنوائب المفظعة .

مِنَ الحِلْمِ أنْ تَسْتَعْمِلَ الجَهْلَ دُونَهُ
إذَا اتَّسَعَتْ فِي الحِلْمِ طُرْقُ المَظَالِمِ(١)

وَأنْ تَرِدَ المَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ
فَتُسْقَى إذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ(٢)

وَمَنْ عَرَفَ الأيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
وَبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ(٣)

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إذَا ظَفِرُوا بِهِ
وَلاَ فِي الرَّدَى الجَارِي عَلَيْهِمْ بِآثِمِ(٤)

---

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل ـ هنا ـ نقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة ـ بكسر اللام ـ وهى الظلم . يقول : إذا كان حلمك داعيا إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلما ، كما قال النابغة الجعدى :

فَلاَ خيرَ فى حِلمٍ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوادِرُ تَحمِي صَفْوَه أنْ يُكَدَّرَا

وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكيم : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ولدك ، وزوجتك ، وعبدك: فسبب صَلاحهم التعدى عليهم.

(٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد الماء الذى كثر القتل عليه حتى امتزج بدماء المقتولين عليه . يعنى أن تزاحم على الامر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى . من الحلم أن تزاحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار نصفه من دم القتلى، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا الهجوم الذى يزاحم الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لاَ يَشْرَبُ الماء إلاَّ من قَليبِ دَمٍ وَلاَ يَبيتُ لَهُ جارٌ عَلَى وَجَلِ

(٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة ـ كمعرفتى أنا بهم ـ قتلهم غير راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه ، فإذا قتلهم ـ والحالة هذه ـ فلا إثم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو مغزى قوله : « الردى الجارى عليهم ».



إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ ... وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ (١)

وَإِلاَّ فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَنِي ... عَنِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ ضُعْفُ الْعَزَائِمِ (٢)

عَنِ الْمُقْتَنِى بَذْلَ التِّلَادِ تِلَادَهُ ... وَمُجْتَنِبِ الْبُخْلِ اجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ (٣)

تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عُفَاتِهِ ... وَتَحْسُدُ كَفَّيْهِ ثِقَالُ الْغَمَائِمِ (٤)

وَلاَ يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلاَّ بِمُهْجَةٍ ... مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعَظَائِمِ (٥)

---

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية فى الشجاعة والعلم ، فإذا صال أو قال أو فى على الغاية وكفى غيره ، وكان المقدم الذى لايجارى ولا يشق له غبار .

(٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وفت لى القوافى — أى الشعر — حتى أعجز عن نظمها ، وضعفت عزيمتى فى قصد الممدوح حتى يعوقنى عنه ضعف عزمى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إفضاله كالعقوبة لى على ذلك .

(٣) التلاد والتليد : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف . يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التالد كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبارة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام مايقتنيه ؛ يعنى أنه يلازم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبارة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلاداً له يهب التلاد ويجعل بذله تلاداً له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى — بحذف إحدى التاءين — أى تتمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والغمائم : السحائب ، وأراد بكونها ثقالا : أن ماءها كثير. يقول: إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاته منه ، لأن عفاته منه فى أمان من نوائب الدهر ، وهذا أقصى مايتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاته يغيرون على أمواله ويترفهون فى نعمائه ، وهذا مايتمناه أعاديه ، ثم قال : إن السحاب المثقل بالماء يحسد كفيه ، لأنهما أندى منه ، فلهذا يحسدهما لعجزه عن إدراكهما .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنايا لا تسف لأمر دنىء ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تكفى إلا بمثله .

وَذِى لَجَبٍ لاَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ ... بِنَاجٍ وَلاَ الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمِ (١)

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْىَ ضَعِيفَةٌ ... تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ (٢)

إِذَا ضَوْءُهَا لاَقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً ... تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ (٣)

(١) وذى لجب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لجب الخ. واللجب : اختلاط الأصوات . والمثار : الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه : المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا الطائر يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « المثار » ، فإن الجيش الكثير يثير ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الريب :

بِجَيْشٍ لُهَامٍ يَشْغَلُ الْأَرْضَ جَمْعُه ... عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلاَ

وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ،وأن ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايره :

* ثِقَةً بِالشِّبَعِ مِنْ جَزَرِه *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه ـ ناقداً ـ : صيد الطير بالنبل والسهام مستمر معتاد ، فلم نسبه إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب جيش الممدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة غباره أو من كثرة عقبانه التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضوؤها إليه إلا من خلال ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة ـ بضم الفاء ـ الخلل بين الشيئين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى التفصى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لا تَضِيقَنَّ فِى الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْـ ... ـشَفُ غَمَّاؤُها بِغَيْرِ احْتِيالِ

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَ ... مرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِى ثِيَابِى ... دَنَانِيراً تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ

يريد هنا أنه لكثرة اشتباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من منافذ ضيقة فيقع مستديرا .



وَيَخْفَى عَلَيْكَ ٱلْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ ... مِنَ ٱللَّمْعِ فِى حَافَاتِهِ وَالْهَمَاهِمِ (١)

أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ ... ضِرَاباً يُمَشِّى الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَمَاجِمِ (٢)

وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ ... عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ (٣)

حَمَتْهُ عَلَى ٱلْأَعْـــدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... سُيُوفُ بَـــنِى طُغْجٍ بْنِ جُفٍّ الْقَمَاقِمِ (٤)

هُمُ ٱلْمُحْسِنُونَ ٱلْكَرَّ فِى حَوْمَةِ الْوَغَى ... وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِى الْمَكَارِمِ (٥)

---

(١) حافاته : جوانبه . والهماهم : جمع همهمة . وهو صوت يتردد فى الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما فى ذلك الجيش من بريق الأسلحة ولمعانها يختفى عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لغلبة ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدتها يخفى عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر المعروف ؛ وبرقة : قريه فى العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشى فوق جماجم القتلى .

(٣) طعن : عطف على « ضرابا » . والغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم الممدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أى فى طفولتهم .

(٤) الضمير فى « حمته » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطغج بن جف : جد الممدوح — قال ابن جنى : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطغج — فى الأصل — بضم الغين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمى اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقماقم : جمع قمقام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قماقيم » ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حمى على الأعداء فلا يحومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طغج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجولان فى الحرب ، وحومة كل شىء معظمه والوغى: الحرب. يقول : إنهم يكرون فى الحرب على أعدائهم، وكذلك يعودون

وَهُمْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَيَحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمِ (١)

حَيِيُّونَ إِلاَّ أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ ... أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ (٢)

وَلَوْلاَ احْتِقَارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ ... وَلَـكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ (٣)

سَرَى النَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي ... صَنَائِعُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمِ (٤)

إِلَى مُطْلِقِ الأَسْرَى وَمُخْتَرِمِ الْعِـــدَا ... وَمُشْكِي ذَوِي الشَّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ (٥)

فى المكارم فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون فى الأمرين على مرة واحدة .

(١) الغرم : مايلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أى لزمه ما يغرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهى حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حييون إلا فى وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقرانهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يتلقَّى النَّدَى بِوَجْـــهٍ حَيِيٍّ ... وصدور القنـــا بوَجْهٍ وَقَاحِ

(٣) قال العكبرى يقول: الأسد — وهى جمع أسد— معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنمـا يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليـلا . والصنائع : جمع صنيعة ، وهى المعروف . يقول: ذهب النوم عنى فى مسيرى إليه — الممدوح — وهو الذى تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده فضلا عمن يقصده . هذا : ويقال : سريت سرى ومسرى وأسريت — بمعنى— إذا سرت ليلا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النضيرةَ رَبَّةَ الخِـــدْرِ ... أَسْرَتْ إِلَيْكَ ولم تَـكُن تَسْرِي

(٥) اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى — من أشكيت الرجل : إذا

كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ ... كَأَنَّهُمُ مَا جَفَّ مِنْ زَادِ قَادِمِ (١)

وَكَادَ سُرُورِي لاَ يَفِي بِنَدَامَتِي ... عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِيَ الْمُتَقَادِمِ (٢)

وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلاً وَتُرْبَةً ... بِهَا عَلَوِيٌّ جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ (٣)

بَلَى اللهُ حُسَّادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ ... وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ (٤)

فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً ... وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْغَلاَصِمِ (٥)

أزلت شكواه ـ والهمزة فيه للسلب ، مثلها فى قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه ـ أى أرضيته ـ والرغم : القهر والإذلال ؛ والمراغم : الغاضب؛ والمراغمة : المغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتمرد عليهم وعاداهم . يقول : إنه يمن على الأسرى فيطلقهم من الإسار ، ويختطف الأعداء فى الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم ـ يذل ـ المراغم : أى الذى يراغمه ويغاضبه .

(١) يقول : نفضت الناس لما بلغته نفض القادم حثالة زاده لاستغنائه عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغنيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا يفى بذلك الندم . قالوا : وهذا المعنى مثل قول أبى فراس :

أَيامُ عِزِّى ونفاذِ أَمْرِى ... هِيَ التى أَحْسَبُهَا مِن عُمْرِى

(٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم

أتانى وعيد الأدعياء . . . . « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » وجملة « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدعى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت، لأنهم يعيشون فى ذلة وخوف كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٥) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع الناتئ فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم موتا يتجدد على مر اللحظات .

كَأَنَّكَ مَاجَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ ... عَلَيْكَ وَلاَ قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ [1]

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالا :

حُيِّيْتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدِي الْمُقْسِمَا ... أَمْسَى الأَنَامُ لَهُ مُجِلاًّ مُعْظِمَا [2]

وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الأَمِيرِ بِشُرْبِهَا ... وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الأَحْرَمَا [3]

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرهم فى الليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الإِقْدَامُ ... فَلِمَنْ ذَا الْحَدِيثُ وَالإِعْلاَمُ

قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ ... يَمْنَعِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْغَمَامُ [4]

* * *

---

(١) جاودنى : غالبنى فى الجود فجدته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا تعريض بالذين يبارون الممدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والغلبة له عليك ، وكأنك لم تقاتل من لم تقاومه فى الحرب ، لأن من غلبك فى الحرب لم تنفعك محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم ــ أى حساده ــ إياه ــ الممدوح ــ لا تنفعهم إذ كانت الغلبة له .

(٢) الخطاب فى « حييت » : القسم ؛ ومن قسم : فى محل نصب على التمييز و« من » زائدة . وقوله أمسى الأنام له : فى موضع الحال من المقسم ؛ ولك أن تجعلها فى موضع خفض على الصفة للقسم ، فيكون الضمير فى « له » عائدا على القسم ، لا المقسم .

(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرم .

(٤) همه : ما يهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخرور والحِجْرُ أمه :

إذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ ... فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ [(1)]

فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ ... كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ [(2)]

سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي ... صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الجُسُومِ [(3)]

قَرَبْنَ النَّارَ ثُمَّ نَشَأْنَ فِيهَا ... كَمَا نَشَأَ العَذَارَى فِي النَّعِيمِ [(4)]

---

(١) المغامرة : الدخول فى المهالك ؛ والغمرات : الشدائد . وفى شرف : أى فى طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك فى سبيل الحصول عليه فلا تقنع بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت فى الأمر الهين كطعمه فى الأمر الشديد الصعب، وإذن فلا سبيل للمغامر إلا أن يقصد أسمى الامور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » ؛وفرسى مفعول ، والشجو : الحزن، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛والصفائح جمع؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : ستبكى حزنا على فرسى ومهرى سيوف دمعها الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلهما فتكون دماء قتلاه التى تقطر من سيوفه دموعا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة ــ كما ترى ــ والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قربن ــ من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلها ــ قال الواحدى: يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل فى ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشاربة ، والنار تهلك وتفنى ، وقد أنمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم العذارى ، يريد أنها تخلصت من الخبث وحسنت صنعتها بحسن تأثير النار فى تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفا ــ بعد أن كانت زبراً ــ قطعا ــ بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى فى النعيم ، وقربن : هى رواية ابن جنى وتروى قرين ــ من القرى : ــ ما يقرى به الضيف ــ أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار ــ بالبناء للمعلوم ــ جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الخبث قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للمقرى ــ لا للقارى ــ فعكس موجب القرى بأن جعل النشاء ــ النشء ــ للقارى .

وَفَارَقْنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ ... وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ (١)

يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ ... وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ (٢)

وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي ... وَلاَ مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ (٣)

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ (٤)

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الآذَانُ مِنْهُ ... عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ (٥)

* * *

---

(١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذى يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخبث . والكلوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فبأيدى الصياقل جراح منها .

(٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يريه العجز عن اقتحام العظائم فى صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الردىء وصغر همته .

(٣) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الخسف والعار ، ولكن الشجاعة فى الحكيم لا تقاس بها الشجاعة فى غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهى تغنى كيفما كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل ـ من قوله ولا مثل ـ اسم لا ، وإن كان مضافا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التى لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة فى الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير فى آفته : للقول ، وهذا المعنى من قول أبى تمام ـ وقد قال له أبو سعيد الضرير : ياأبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : ياأبا سعيد ، لم لا تفهم ما يقال ؟

(٥) القريحة ـ فى الأصل ـ : أول ما يخرج من البئر حين تحفر ؛ وقريحة الإنسان : طبيعته التى جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قريحة جيدة ، يراد استنباط العلم بجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قريحة صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبى الجاهل إذا سمع شيئاً لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه » وإنما أتى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية فى سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بنى حيدرة ، وكان بينه وبين أبى الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يغرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه فى مدة أربعين يوماً ؛ فهجاه أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيغلغ خيلا ورجلا ، فأعجزهم ، وظهرت القصيدة وهى :

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لاَ تُعْلَمُ ... عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّى أَسْلَمُ (١)

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِى الْوَغَى ... لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ (٢)

يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ (٣)

قريحته . هــذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعرى :

والنجمُ تستصغرُ الأبصار صُورتَهُ ... والذَّنْبُ للطّرف لا للنجم فى الصغر

(١) لهوى النفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى فجاءة واعتراضا عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظراً عرضا ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدرى من أين يأتى ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إن المحبةَ أمرُهَا عجَبُ ... تُلقى عليك وما لها سببُ

ثم قال : إنى نظرت إليها عن غير قصد ــ يعنى إلى المحبوبة ــ فعشقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوغى : الحرب وثم : هناك . ورنا إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطربت كلمة

. . . .

الشراح فى هذين البيتين ، قال ابن جنى : يرميه بأخته وبالابنة وثم إشارة إلى المكان الذى يحلو فيه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجبن ؛ وقال العروضى : شبب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقته الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالابنة وبأخته وهو يقول يرنو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا فى حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان فى جماعة من نساء يداعبهن، فقلن له : ليتنا بناتك، فقال: وأنا على دين كسرى . . وقال ابن فورجه : شبب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال فى أخرى :

متى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارتَهَا ... لاَ يُتْحِفُوكَ بغيْرِ البِيضِ والأَسَلِ

وكقوله أيضا :

دِيَارُ اللَّوَاتِى دارُهُنَّ عزيزةٌ ... بِطُولِ القَنَا يُحْفَظْنَ لا بالتمائم

وكقوله

* تَحُولُ رِمَاحُ الخطِّ دونَ سِبائِهِ *

ثم قال لحبيبته : أنت قاسية القلب ، وأخوك — على بسالته — إذا لقى العدو كان أرحم منك لى وأرق منك على ، ثم أراد المبالغة فى ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية فى الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمى .

* تَخْشَى عَلَيْهَا أُمُّها أَبَاهَا *

وقال أبو تمام فى مثل هذا :

بِأَبِى مَنْ إِذَا رَآهَا أَبُوهَا ... قَالَ حُبًّا : يا لَيْتَ أَنَّا مَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن المعذل فى جارية كان يسميها بنته .

أُحِبُّ بُنَيَّتِى حُبًّا أَرَاهُ ... يَزِيدُ على محبَّاتِ البنات

أَرَانِى مِنكِ أَهْوَى قَرْصَ خَدٍّ ... وَرَشْفًا لِلثَّنَايَا وَاللِّثَاتِ

وَإِلْصاقًا بِبَطْنٍ مِنكِ بَطْنِى ... وَضَمًّا لِلقُرُونِ الوارداتِ

. . . .

وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكُرُهُ مَلِيحًا ... بِهِ يَحْظَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْمَجُوسِ إِذَا الْتَقَيْنَا ... يَكُونُ أَحَلَّ من ماءِ الفراتِ

هذا وقد قال أبو على الفارسى : المجوس واليهود إنما عُرفا على حد يهودى ويهود ومجوسى ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان فجريا فى كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين فى باب الصرف ، وأنشد :

أَصاحِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا ... كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا[1]

---

(١) قال ابن برى : صدر البيت لامرىء القيس ، وعجزه للتوأم اليشكرى . رووا أن امرأ القيس — وكان معنا عريضا — يتعرض الناس بالشعر — ينازع كل من قال إنه شاعر — فأتى قتادة بن التوأم اليشكرى وأخويه الحارث وأباشريح ؛ فقال لابن التوأم: إن كنت شاعراً فملط أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أصاح تَرَى بُرَيقا هب وهنا *

فقال ابن التوأم

* كنار مَجُوسَ تستعر استْعارا *

فقال امرؤ القيس

* أرقْتُ له ونَامَ أبُو شُريح *

فقال ابن التوأم

* إذا قُلتُ قد هدأ استطارا *

فقال امرؤ القيس

* كأنّ هزيزَهُ بوراء غيب *

فقال ابن التوأم

* عِشارٌ وُلَّهٌ لاقت عِشارا *

رَاعَتْكِ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوَ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ(١)

---

(١) رائعة البياض : الشعرة البيضاء التى تروع الناظر ، ورواها ابن جنى : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلاً بِرَاعِيَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ تَنْعَى الشبابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْغَزَلِ

والأسحم : الأسود ؛ والعارض : صفحة الخد ، يقول : راعك ـ أفزعك ـ شيبى ولو كان أول لون الشعر بياضا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى ـ إذن ـ بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فلمـــا أنْ عَلا كَنَفَى أُضاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهتْ أعْجازُ رَيِّقِهِ فحارا *

فقال امرؤ القيس

* فلمْ يترُكْ بذات السِّرِّ ظَبيا *

فقال ابن التوأم

* ولم يترُكْ بجلهتهـــا حِمارا *

«هب وهنا : فالوهن بعد هدء من الليل ، وتصغير بريقا تصغير التعظيم ، كقولهم دويهية ؛ وخص نار المجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أرقت له : أى سهرت من أجله مرتقبا له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهزيزه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أى بحيث أسمعه ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها فهى تكثر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشارا مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله: وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق المطر أوله ، وذات السر . موضع كثير الظباء والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظبيا به ولا حمارا إلا وهو هارب أو غريق . والجلهة ما استقبلك من الوادى إذا وافيته» .

لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِى سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَثُّمُ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى ... يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ (٢)
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِىِّ وَيُهْرِمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِى النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِى الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

---

(١) سفرت — من سفور المرأة — أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإنى حدث السن ، ولكن الشيب جار على عاجلا فستر شبابى فكأنه تلثم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ ويعصم يحفظ . يقول : ليس بياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سواده واقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) يخترم : يقتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الجسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الصبى قبل الأوان حتى يصير كالهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مشيبه ، وأن الهم هو الذى أشابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ ... لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا

(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحترى :

أَرَى الْحِلْمَ بُؤْسًا فِى الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى ... وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ

وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِى بِعَيْشِ الْأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ ... لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقال ابن المعتز :

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا ... وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا

وقال ابن ميكال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عُقْلَةٌ ... عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبذُوا الحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ   يَنسَى الَّذِي يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ[(١)]
لاَ يَخْدَعَنْكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ   وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ[(٢)]
لاَ يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى   حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ[(٣)]
يُؤْذِي القَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ   مَنْ لاَ يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلْؤُمُ[(٤)]

وَأَخُو الدِّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتْعَبٌ   والعيشُ عَيْشُ الجَاهِلِ المَجْهُولِ

(١) نبذ الشيء : ألقاه وطرحه ؛ والحفاظ : المحافظة على الحقوق والعهود ؛ وأولاه كذا : أنعم به عليه . وعاف : من العفو عن الإساءة . يقول : إن الناس لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة — جمع ذمة : الحرمة والحق — ويتركون عرفان النعم ، فمطلق من الإسار ينسى إحسان مطلقه ، وعاف عن مسيء يندم لما يرى من كفران صنيعته وعدم شكرها . قال ابن جنى : الندم على كل حال غير مستحسن : قال الحطيئة .

مِنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ   لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والناسِ[(١)]

(٢) يقول : لا تنخدع ببكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك .

(٣) يقول لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد وأعداءه ، فإذا أراق — سفك — دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مهيبا فلا يتعرض له ، قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن يتقدم عليهم ، قال العكبرى : وهو منقول من كلام الحكيم : الصبر على مضض الرياسة ينالك به شرف النفاسة .

(٤) القليل — هنا ليس قليل العدد وإنما هو الخسيس الحقير ؛ واللئام جمع لئيم ، ضد الكريم . وضمير الفعلين الأخيرين : للقليل يقول : إن اللئيم مطبوع على أذى الكريم لعدم المشاكله بينهما

إن الكرام مشاغِل السفهاء   « شوقى »

---

(١) قال ابن جنى : ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز . أى لا يعدم جزاء عليه وجائز أن يكون جمع جزاء — لمشابهة اسم الفاعل للمصدر — فلما جمع « سيل » على سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء .



أَلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظْلِمُ(١)

يَحْمِي ابْنَ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ ... مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ(٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِىءٍ غَيْرِ طَائِلِ

وأَنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلاَ تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلاَّ كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليقة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى فى خلق النفوس . يقول . إن الناس جبلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فإنما تركه الظلم لعلة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكيم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدى : إنما قال هذا لأنه ـ ابن كيغلغ ـ كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرب منه ، ومعنى البيت من قول الفرزدق :

وَأَنْتَ أُمُّكَ يا جريرُ كَأَنَّهَا ... لِلنَّاسِ بَارِكَةً طَرِيقٌ مُعْمَلُ

وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم :

وَتَبِيتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرٍ ... مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبِلٍ وَلِمُدْبِرِ

كَأَجِيرَيِ الْمِنْشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ ... مُتَنَازِعَيْهِ فِي فَلِيجِ صَنَوْبَرِ

وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمُلِمِّ بِسَاحَةٍ ... إِنْ شِئْتَ فِي أَسْتِي فَأْتِنِي أَوْفِي حِرِي

أَنَا كَعْبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خُلِقَتْ لَهُ ... فَتَلَقَّ مِنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبِّرِ

أَنَا زَوْجَةُ الْأَعْمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرْنَيْنِ لاَ الْإِسْكَنْدَرِ

قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا ... تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ

فَإِذَا أَضَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ ... قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يُوتِرِ

مَا زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي ... حَتَّى بَدَا عَلَمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ

أَزْمِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسٍ مُلَمْلَمٍ ... رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ أَعْجَرِ

أَقِمِ الْمَسَالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سُكَيْنَةٍ ... إِنَّ الْمَنِيَّ بِحَلْقَتَيْهَا خِضْرِمُ (١)

وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ ... وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ (٢)

وَغِنَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَيْشُكَ نَفْخَةٌ ... وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ (٣)

وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّمَا ... تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقْدِمُ (٤)

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي ... عَنْ غَيِّهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ (٥)

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ ... تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاهُ يُلْجَمُ (٦)

عَبْلٍ إِذَا قَلَقَ النِّسَاءُ بِجَدِّهِ ... نِلْنَ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْسَرِ

(١) المسالح : المواضع يعلق عليها السلاح ؛ والشفر، والشافران : حرفا فرج المرأة . ويريد بحلقتيه : الفرج والرحم : والخضرم : البحر الكثير الماء ؛ شبه المنى — لكثرته فى رحمها — بالبحر .

(٢) وارفق بنفسك : يريد لا تتحكك بالشعراء كى لا يذكروا خلقك الناقص — لأنه أعور قصير — وأصلك دنىء لئيم .

(٣) يقول : أنت مكد فيكون غناك فى مسألة الناس ، وليس وراء طيشك حقيقة ، وإنما ذلك نفخة نفخت فيك ، ورضاك أن ترى ذا فيشلة — ذكر — من عبد أو ممن ماثل العبد : وربك الذى تعبده درهم . . . . يعنى أنه بخيل .

(٤) المناواة : المعاداة ، وأصله المناوأة ، لأنه من النوء وهو النهوض ؛ والكمر جمع كمرة ، وهى رأس الذكر ، يقول : لاتعاد الرجال فإنك لاتقدر عليهم ولا لك بهم طاقة : وإنما قدرتك وإقدامك على « أيور العبيد » يصفه بالأبنة .

(٥) العذل : اللوم ؛ ويرعوى : يكف ويقلع ، وعن غيه : فالغى نقيض الرشد ، ويروى : عن جهله .

(٦) العلوج : جمع علج ، وهو فى الأصل : حمار الوحش ، لاستعلاج خلقه وغلظه ، ويقال للرجل القوى الضخم من كفار العجم — غير العرب — علج وهو المراد هنا . يقول : يمشى القهقرى حبا للاستدخال ، أى أن العلوج كانت تركبه فيمشى إلى خلفه على غير العادة ، فإن من عادة المركوب أن يمشى إلى قدام ، وهو بخلاف المركوب لأنه يلجم من ورائه . . . هذا : وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع . لأنه يريد اليدين والرجلين ، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على المعنى على حد قول الأعشى :

. . . .

أرى رَجُلا منهم أسيفا كأنما يَضُمُّ إلى كَشْحيه كفًّا مُخضَّبا(١)

وقد أنثوا الذكر على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانيا يقول: فلان لغوب — أى أحمق — جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابى ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث الذكر على المعنى تأنيث الأمثال فى قوله تعالى « فله عشر أمثالها » لأن الأمثال فى المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؟ وإذا أنث الذكر فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل على الفرع ؟ وقوله على أعقابه : قال العكبرى : جمع فى موضع التثنية ، وحقه أن يقول على عقبيه — كما جاء فى التنزيل : « نكص على عقبيه — » ولكنهم جمعوا فى موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقه ؟ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائبِها شَرِقٌ بهِ اللَّبَاتُ والنَّحْرُ(٢)

فجمع التريبة واللبة بما حولها ، وإذا كان هذا جائزا فى موضع الواحد فالجمع فى موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبرى فى إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ، والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ، وإنما بنيت لان المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لايعرب ، فإن نكروا شيئاً منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وكُنْتُ قَبْلاً أكادُ أغَصُّ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير: فقوله « من وراء » على نية التنكير : كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

---

(١) الأسيف : الغضبان . يقول : كأن يده قطعت فاختضبت بدمها ، وقال المبرد أسيفا من التأسف لقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فجرح الغل — القيد — يده .

(٢) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واحدتها تريبة .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى * أغص بنقطة الماء الحميم * من أبيات ليزيد بن الصعق

« انظر « الخزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »



وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرِمُ[(١)]
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ[(٢)]

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشىء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبدا يحرك جفونه يستدعى العلوج ويشير بها إليهم فتبق وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفترعن التحريك : هذا : وقال العكبرى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقه وليس من حق الفعل أن يعطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق والمعنى ولذلك عملا فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى «صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضو الله » وقال الراجز :

* تَبِيتُ لا تأوِى ولاَ نُفَّاشا[(١)] *

أى لا تأوى ولا تتنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .

(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه ألكن عي لا يفصح ، ولهذا جعله مشيرا ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيه الحديث باللطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لما شبه صوت حديثه بقهقهة القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لابد أن يصحبه صوت فلما اضطرته القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و «أو» للاباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بقهقهة قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه شيئين بشيئين ، شبه حديثه بقهقهة القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لايفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار باقل لما عجز عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبى قد اشتراه بأحد عشردرهما ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فمد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والغنم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلا فرعت بلا راع وخص بعضهم به دخول الغنم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »



يَقْـــلِي مُفَارَقَةَ الأكُفِّ قَذَالُهُ ‏ حَـــتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ [1]

وبلسانه درهما ، فشرد الظبي ، وفى هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو فى القبح كوجه القرد ، وفى التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيئين بشيئين ، وعطف بـ «أو» وهى لأحد الشيئين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت فى كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن مجيئها بمعنى الواو قول حميد بن ثور :

قومٌ إذا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأيْتَهُمْ ‏ مِنْ بَيْنِ مُلجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ [1]

وقول النابغة الذبيانى يخاطب النعمان بن المنذر :

وَاحْـكُم كحُكْمِ فتاةِ الحَيِّ إذْ نظَرَتْ ‏ إلى حَمَـــامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

قالَتْ ألاَ لَيْتَما هَـــذا الحَمامُ لَنَا ‏ إلى حَمامَتِنَـــا أوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

فَحَسَّبُوهُ فَألْفَوْهُ كَمَا ذَكَرَتْ ‏ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ [2]

ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أى ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاء وقليه يقلاه : لغة طيء ، والقلى : البغض . وقال ابن سيده قليته قلى وقلاء ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جنى : قلاه وقليه ، قال : وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابى قليته فى الهجر قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى فى البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

---

(١) الصريخ : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .

(٢) واحكم يريد تبصر فى الأمر وكن حكيما معى ولا تقبل ممن سعى بى إليك وكن كفتاة الحى إذ وصفت فأصابت ، وفتاة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فمر بها سرب من القطا ، فقالت:

لَيْتَ الحَمامَ لِيَهْ ‏ إلى حَمامَتِيَهْ ‏ أوْ نِصْفُهُ قَدِيَهْ ‏ تَمَّ الحَمامُ مِيَهْ

فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه ـ وهو ثلاث وثلاثون ـ إليه كان المجموع تسعا وتسعين فبحمامتها تكمل المائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحتين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا ... وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ(١)

وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً ... وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الْأَرْقَمُ(٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأكف، لأنه قدألف صحبتها فى الصفع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صفعان تعود أن يصفع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عى فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا حلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ ... وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَا

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقدقال ابن الشجرى فى أماليه .فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى «ما» المصدرية . و« ناطقا » نصب على الحال ، وأفعل المضاف إلى المفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و « أكذب » حكمه فى ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتحقير تناول الرؤية فى اللفظ ، والمراد تحقير المرئى؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكتا ؛ ويكون كلاهما بمعنى يوجد؛ وإن جعلت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يجز ، لما ذكرته من انتصاب «أكذب» على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر فى « يكون » عائد على المهجو؛ وخبر «كان» إذا كان مفرداً فهو واسمها عبارة عن شئ واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو فى قوله « ويقسم» واو الحال؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والمبتدأ محذوف ، والتقدير وهو يقسم فحذف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل» فى الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة فى محل نصب بالناسخ ، لأنها فى الأصل خبر ابتداء ، كما فى قولك : هند أحسن ماتراها ، أحسن ماتكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل فى المبتدأ الأول لفظا، وفى جملة الخبر محلا ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هند أحسن ما تكون سافرة . فتامل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم ضرب من الحيات فيه سواد وبياض



وَمِنَ العَــدَاوَةِ ما يَنالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ (١)

أَرْسَلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَــةً ... صَفْرَاءُ أَضْيَقُ مِنْكَ مَاذَا أَزْعُمُ (٢)

أَتُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكَسُّبًا ... يَا ابْنَ الأُعَيْرِ وَهِيَ فِيكَ تَكَرُّمُ (٣)

فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا ... وَلَشَدَّ مَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأَنْجُمُ (٤)

وفاعل « يود » ضمير الذليل ، والعائد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده . يقول : إن الذليل يظهر المودة — المحبة — لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع عنده فيتودد إليه ، على أن الجبية أقرب إلى المصافاة من الذليل إذا أظهر الود لمن يوده وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْمَــوَدَّةَ مِنْهَا ... وَبِهَا مِنْكُمُ كَحَزِّ الْمَوَاسِي (١)

(١) قال ابن جنى : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتنفع — يريد لا تضر — وصداقته تدل على مناسبته فتضر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد القدوس :

عَدُوُّكَ ذُو العَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الـ ... صَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الأَحْمَقِ

« الوامق : المحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع — هنا — ما هو أعم منه يعنى انتفاء الضرر والبيت مبنى على الذى قبله : أى أن عداوة الذليل الذى يطوى كشحه على البغض تظهر ما أضمر من الخبث فتنفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه وبعكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يساتره العداوة ويتربص به نهزة للغدر .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى — على سعتها — أضيق منك ، فكيف يتجه لى مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه — واسمه إبراهيم — أعور . يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرما .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول : ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت فى نيلها ! وأرادت بالأنجم : أبيات شعره .

---

(١) من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بنى العباس على بنى أمية .

وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصاً ... إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ (١)
وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِبَابِهِ ... تَدْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتُنْهَمُ (٢)
وَلِمَنْ يُهِينُ الْمَالَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ ... وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ (٣)
وَلِمَنْ إِذَا الْتَقَتِ الْكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ ... فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِيُّ الْمُعْلَمُ (٤)

---

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان يريغ كذا وكذا ويليصه : أى يطلبه ويديره ، قال عبد الله بن عمر فى ابنه سالم :

يُدِيرُونَنِى عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ ... وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ (١)

« يديروننى : كيرغوننى ، ويقال فلان يريغنى أو يديرنى على أمر وعن أمر : أى يراودنى ويطلبه منى » . يقول : طلبت من المديح ماهو خالص لأبى العشائر ؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقوله « خالصا » حال ، أى الذى ثبت لأبى العشائر خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يزار » والأخدعان : عرقان فى صفحق العنق قد خفيا وبطنا ، ويقال لأقيمن أخدعيك : أى لأذهبن كبرك . والوجء : اللكز والضرب ، ومراده بوجء أخدعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت ببابه ذليلا تصفع هزؤا واستخفافا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم : أى والمال مكرم يضن بمثله ، فالضمير عائد على المال ، ولك أن توجه للممدوح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمرم . الكثير العظيم .

(٤) الكماة . جمع كمى ، وهو البطل المشتمل بالسلاح . والمأزق : المضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا . والمعلم : الذى وسم نفسه بسيماء الحرب . وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى تمام :

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِى الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

---

(١) قال الجوهرى : يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا البيت ، قال : وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج : إنه عندى كسالم والسلام ، قال ابن برى : هذا وهم قبيح ـ أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر جعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه



وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاةَ بِفَارِسٍ وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ[1]

وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ وَالْفُؤَادُ مُشَيَّعٌ وَالرُّمْحُ أَسْمَرُ وَالْحُسَامُ مُصَمِّمُ[2]

أَفْعَالُ مَنْ تَـلِدُ الْـكِرَامُ كَرِيمَةٌ وَفَعَالُ مَنْ تَـلِدُ الأَعَاجِمُ أَعْجَمُ[3]

* * *

واجتاز ببعلبك فخلع عليه على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :

رَوِينَا يَا ابْنَ عَسْـــكَرٍ الْهُمَامَا وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا[4]

---

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته فى مطعون طعن بها آخر فثقفها بذلك ، يريد شدة طعنه وتتابعه

(٢) « ال » هنا نائبة عن ضمير الممدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو أول البيت : للحال . يقول : إذا التقى هو والكماة فى مأزق: فوجهه أزهر ـ نير مشرق أبيض ـ وفؤاده مشيع ـ أى جرىء ـ ورمحه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق المفصل ويصيب المحز ، فلا ينبو عن الضريبة.

(٣) الفعال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل، فمن كرمت مناسبه كرمت أفعاله ، ومن كان لئيم النسب كان لئيم الفعل والأعاجم عند العرب لئام ، ولذلك جعل الأعاجم فى مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميا . وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم من أى جيل كان ، قال الراجز :

سَلُّومُ لَوْ أَصْبَحْتِ وَسْطَ الأَعْجَمِ[1] فِى الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فى الدَّيْلَمِ

إِذاً لَزُرْنَاكِ وَلَوْ بِسُلَّمِ

وقال حميد بن ثور :

ولم أرَ مِثْلِى شَاقَهُ صوتُ مِثْلِهَا ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجم

فإنه عنى بالأعجم : حمامة سمع صوتها .

(٤) الهمام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

---

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم



وَصارَ أحبُّ ماتُهْــدِى إلَيْنا لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلامَا[١]

وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّــدَكَ الْمَوَالى وَلَمْ نَذْمُمْ أَيادِيكَ الْجِساما[٢]

وَلٰكِنَّ الْغُيُوثَ إذَا تَوَالَتْ بِأَرْضِ مُسافِرٍ كَرِهَ الْمُقَامَا[٣]

يقول : نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن برى .

يَهِيمُ وليس اللهُ شافٍ هُيامَهُ بِغَرّاء ماغنَّى الحَمامُ وأنجدا[١]

والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتهيم فى الأرض لا ترعى ، يقال ؛ ناقة هيماء ، قال كثير عزة .

فلا يَحْسَبُ الواشُون أنَّ صبابَتِى بعزة كانتْ غمرةً فتجلَّتِ

وأنِّىَ قَدْ أبللتُ مِنْ دَنَف بها كما أُدْنفتْ هيماءُ ثُمَّ استبلت[٢]

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ماتهديه إلينا أن نودعك ونسلم عليك .

(٢) الموالى — بفتح الميم — جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبرى؛ الموالى— بضم الميم — أى الذى يلى بعضه بعضا . والأيادى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لسنا نرتحل عنك لأنا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولا لأنا ذممنا نعمك العظيمة .

(٣) توالت ؛ تتابعت ؛ والغمام : السحاب : وهذا تتمة لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه — إقامته — واحتباسه لأجل المطر، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملل نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكره المقاما ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغماما ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما عفنا الزيادة من إحسانك، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالمطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

---

(١) شاف : فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واستبل : برأ من مرضه



وكان مع أبى العشائر ليلا على الشراب ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئاً ، حتى وهب له ثياباً وجارية ومهراً فقال :

أَعَنْ إِذْنِى تَهُبُّ الرِّيحُ رَهْوًا ... وَيَسْرِى كُلَّمَا شِئْتُ الْغَمَامُ (١)

وَلٰكِنَّ الْغَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ ... تَبَجُّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكِرَامُ (٢)

* * *

وقال يمدح كافوراً ، وقد أهدى إليه مهراً أدهم فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ ... وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ (٣)

وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِى بِمَنْزِلٍ ... إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ (٤)

سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً ... مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرَمِ (٥)

---

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو ؛ السير السهل . يقول ؛ الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذنى ، وكذا الغمام لا يسرى بمشيئتى ؛ ويريد بالريح والغمام ؛ الممدوح على تشبيهه بهما فى سرعة العطاء وكثرته — يعنى أن الذى يفعله ليس يفعله بإذنى ومشيئتى إنما يفعله طبعا طبع عليه — كما بين فى البيت التالى .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها ؛ خبره ؛ والتبجس ؛ التفجر .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أى لى فراق ؛ وقال العكبرى : فراق خبر لمبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أى حدث فراق . وأم : أى قصد ؛ ويممت : قصدت يقول — عند ارتحاله — : هذه الحالة التى أنا فيها فراق ، والذى أفارقه — يعنى سيف الدولة — غير مذموم — وهذا الفراق هو فى الوقت عينه قصد لإنسان آخر — يعنى كافورا — وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أى فيه ، يقول ؛ لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن مكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لى

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال: ألاح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والمخرم الطريق فى الجبل . يقول ؛ هذا الفراق أو هذا الذى أذكره من أنفى والاحتفاظ بكرامتى سجية — طبيعة — نفسى التى هى أبداً خائفة من أن تظلم ويبخس حقها من الإكرام، وأنا أرمى بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل .

رَحلْتُ فَكَمْ باكٍ بأجْفانِ شادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ باكٍ بأجفانِ ضَيغَمِ (١)
وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكانُهُ ... بأجزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسامِ الْمُصَمِّمِ (٢)
فَلَوْ كانَ مابِي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ وَلٰكِنْ مِنْ حَبيبٍ مُعَمَّمِ (٣)
رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِي وَمِنْ دُونِ ما اتَّقَى ... هَوًى كاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي (٤)
إذا ساءَ فِعْلُ الْمَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ (٥)

---

(١) الشادن : ولد الغزال ؛ والضيغم : الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراق وجزعوا لارتحالى عنهم ! فالباكى بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والباكى بأجفان الضيغم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جنى . بأجفان ضيغم : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ فارَقْتُهُ نَدَمُ

(٢) القرط : الذى يعلق فى شحمة الأذن . ومكانه : فاعل المليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يطبق للفاصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن المرأة بأجزع على فراق من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الغدر كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الغدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكنى بالحبيب المقنع : عن المرأة ؛ وبالحبيب المعمم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى — أى سيف الدولة — ولم أجبه لحبى إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرمى ، ولأمنه من المكافأة — المجازاة — بالهجاء بالاتقاء ، يجب يكسر كفه وقوسه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والمعنى أن حبى إياه منعنى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمينى وهو وراء جنة — سترة — من حبى تمنعنى من أن أرميه .

(٥) يعتاده : ينتابه ؛ ومن توهم : بيان لـ «ما» . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحاً ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توهم فى أحدرية أسرع إلى تصديق ما توهمه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبارة الواحدى : للسىء يسىء الظن ، لأنه لا يأمن من أساء إليه . وما يخطر بقلبه من التوهم على إساءة غيره يصدق ذلك ، فكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وما فَسَدَتْ لى يشهدُ اللهُ نِيَّةٌ ... عليكَ بَلِ استَفسَدْتَنِي فاتَّهمْتَنِي



وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ   وَأَصْبَحَ فى لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ (١)
أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ   وَأَعْرِفُهَا فى فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ (٢)
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّى وَأَعْلَمُ أَنَّهُ   مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ (٣)

---

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك فى كل أحد ويصبح فى كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعانى الكريمة والفضائل الإنسانية التى تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولا ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

(٣) يقول : وأصفح عن خليلى علما بأنى متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى وأعتبنى ــ أرضانى ــ ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن وابصة :

وَنَيْرَبٍ مِنْ مَوَالى السُّوءِ ذِى حَسَدٍ   يَقْتَاتُ لَحْمِى وما يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمِ (١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلاً غِمْرُهُ حَقِدًا   مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أَظْفَاراً بِلاَ جَلَمِ (٢)
بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أُسْدِيهِ وَأُلْحِمُهُ   تَقْوَى الإلَهِ وما لم يَرْعَ مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِى مُوَتَّرَةً   تَرْمِى عَدُوِّى جِهَاراً غَيْرَ مُكْتَتِمِ
إِنَّ فى الْحِلْمِ ذُلاً أَنْتَ عَارِفُهُ   وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ

ومن روى

وأحلم عن خلى وأعلم أننى   متى أجزه يوماً على الجهل أندم

يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على ندمت على ذلك . لأن السفه والجهل ليسا من أخلاقى فى شىء

---

(١) رجل نيرب : وذو نيرب : ذوشر ونميمة ؛ والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) الغمر ؛ الحقد والغل . والجلم : أحد شقى المقراض ، وإنما هما جلمان

وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِى جُودَ عَابِسٍ ... جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (١)

وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِىِّ الْمُقَوَّمِ (٢)

خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ (٣)

وَلَا عِفَّةٌ فِى سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ... وَلَـكِنَّهَا فِى الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ (٤)

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ (٥)

فِدًى لِأَبِى الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا ... سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ (٦)

---

(١) يقول : إنى لا آخذ من الإنسان الصلة ـ العطية ـ حتى يكون معها بشر وبشاشة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافئه .

(٢) السميدع ، والسميذع ؛ السيد الكريم الجميل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع . والنجيب . الفاضل الكريم — ضد اللئيم — والسمهرى ؛ الرمح القوى الصلب وصدره ؛ مقدمه مما يلى السنان . يقول : أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من تحته ؛ للسميذع . والعيس ؛ الإبل البيض والكبة ؛ الحملة فى الحرب — من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه — قال بعض العرب ؛ طعنته فى الكبة ؛ طعنة فى السبة ، فأخرجتها من اللبة ، فقيل له كيف طعنته فى السبة ؟ هى حلقة الدبر — فقال إن رمحه كان قد سقط من يده فأكب ليأخذه فطعنته ، والخميس الجيش من خمس فرق . والعرمرم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثيرا وقطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دمائهم ، وإنما عفته فى كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفى فرجه لا يقرب الزنا ، وفى فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا يأكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجميل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه

(٦) فدى : خبر مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدهم : الأسود . جعل الكرام



أَغَرُّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ ... إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ (١)
إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا ... فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ (٢)
يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ... ضَعِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ التَّكَرُّمِ (٣)
وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ ... وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
شَدِيدُ ثَبَاتِ الطِّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ ... إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثِّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يجرين على أثره . يعنى أنه إمام الكرام وسابقهم .

(١) أغر : أى بأدهم أغر ، فهو نعت لأدهم ؛ وبمجد : متعلق بأغر ، وشخصن رفعن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهم: تام. يقول: إن هذا الأدهم أغر غير أن غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفة واحدة فى مجلسه — وهو يتعاطى سياسة — الأمور — تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقلوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعى : جمع مسعاة . وهى السعى فى طلب المجد . يقول: من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذر فى أن يكون ضعيف المساعى ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى لم أر مثله فى خسته ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لا تيأسَنَّ مِنَ الإمارةِ بَعْدَمَا ... خَفَقَ اللِّواءُ على عِمامَةِ جَرْوَلِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكتيبة — تأخرت — وقل من يحثها على ورود المعركة ؟ أى أنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى : والرواية اقدمى — بضم الدال — أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى اقدمى — بفتح الدال — فمعناه ردى الحرب — من الورود — من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنقع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة المتدلية فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهاة واللوزتين من باب التغليب . يقول . إذا سطع الغبار وثار حتى وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار ،

أَبَا المِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْراً عَلَى العِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ (١)

وَيَوْماً يَغِيظُ الحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ (٢)

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمِ (٣)

فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِى مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا ... بِقَلْبِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ (٤)

وَلَا نَبَحَتْ خَيْلِى كِلَابُ قَبَائِلٍ ... كَأَنَّ بِهَا فِى اللَّيْلِ حَمْلَاتِ دَيْلَمِ (٥)

فهو حينئذ ثابت فى المعركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع . ومن روى الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرق (١) ولا يتداخله الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيوف . يقول : أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتؤتينى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيوفى بدمائهم

(٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التنعم أى أشقى فى حرب الأعداء فأتنعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون المعنى؛ أنى أبدل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجلب لهم من الحسد لنعمق والغيظ لمكانى فيشقون بى .

(٣) يقول: أنت أهل لأن يرجى لديك مارجوته، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشىء فى غير محله حين رجوت المطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم ؛ الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم ؛ جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عنترة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ ... زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (٢)

---

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب: إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عنترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلاَ اتَّبعَتْ آثَارَنَـــا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إلاَّ حافراً فوْقَ مَنْسِمِ (١)
وَسَمْنَا بِهَا الْبَيْداءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ مِنَ النِّيلِ وَاسْتَذْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ (٢)

وقال ابن جنى : سأل أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجيل من العجم ؟ فقال : من العجم . وحملات جمع حملة ، وأسكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالديلم فى طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .

(١) القائف : الذى يقفو الآثار ـ يتبعها ـ والمنسم . خف البعير . يقول : إن الذى اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن المسير إليك لم ير إلا آثار الإبل والخيل . أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويجنبوا الخيل ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرء القيس بعدما خَصَفْنا بآثارِ المطىِّ الحوافرا
[يقال خصفت الإبل الخيل : تبعتها]

(٢) تغمرت : أى شربت قليلا من الغمر ، وهو القدح الصغير ؛ واستذرت . نزلت فى ذراه : أى فى كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : وسمنا البيداء بآثار خيلنا وركابنا ـ يعنى سرنا فى أرض غفل لا أثر بها لسالك فصارت آثار الخيل والإبل كالسمة لها ـ أى العلامة ـ حتى وردت النيل ـ نيل مصر ـ فشربت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل الغنوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحمى الأحماء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ، والدحرضان هما دحرض ووسيع ـ ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبنى أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاءوا يَجُرُّونَ البُرُودَ جرّاً صُهبَ السِّبَالِ يبتغُونَ شرا

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلا .

(١) مسهر بن النعمان من بنى عائذة ، شاعر مقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات تجدها فى « المفضليات »

وَأَبْلَخَ يَعْصِى بِاخْتِصَاصِى مُشِيرَهُ   عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِى وَلُوَّمِى (١)
فَسَاقَ إِلَىَّ الْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ   وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ (٢)
قَدِ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا
حَدِيثًا وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ (٣)
فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِى الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ   وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ (٤)

أَبَحْنَا فَسُمْنَاهَا النِّطَافَ فَشَارِبٌ   قَلِيلاً وَآبٍ صَدَّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبِ

« النطاف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى — قل أو كثر — » وسامه الأمر سوما : كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلخ : العظيم فى نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروى بالجيم ، فهو الجميل الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصديه : أى بقصدى إياه . يقول : واستذرت بظل أبلخ يعصى من يشير عليه بتركى بأن يختصنى دون غيرى ، كما أنى عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إنه أراد بهذا ابن حنزابه — جعفر بن الفرات — وزير الأسود ولم يكن المتنبى مدحه قال ابن جنى : هو مما يجوز نقله إلى الهجاء . وابن جنى يحاول دائما أن يوجه مدائح المتنبى فى كافور إلى الهجاء ، ولعل له عذراً فى ذلك ، وهو أدرى بدهاء المتنبى ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف . والمجمجم : من قولهم جمجم كلامه ؛ إذا عماه وستره ولم يأت به على الوجه الذى يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بالمن ولم ينغصه بالأذى ، فكان شكرى له صريحا خالصا غير مشوب . قال ابن جنى ؛ هذا النفى يشهد بما ذكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك — الملوك — فحذف « من » وأوصل الفعل ، كما فى قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلا » . يقول ؛ اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدى إياك دونهم ، فاختر لهم بنا حديثا من مدح أو هجاء ، بمنع أو حرمان ؛ أى أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاختر ما تريد ؛ من ثناء وإطراء بالبر والإحسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأنت الحكم فيما تختار ؛ يعنى إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيى فى قصدك ومدحك وإلا شمتوا بى وذموك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجائه



وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّـــةً ... وَأَكْبَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ [1]
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ [2]
وَقَدْ وَصَلَ الْمُهْرُ الَّذِى فَوْقَ فَخْذِهِ ... مِنِ اسْمِكَ مَا فِى كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ [3]
لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلُّهُ ... وَإِنْ كَانَ بِالنِّيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ [4]

بقبيح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدى بالإنعام ، وكذلك البيت الذى بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم. قال الواحدى : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلو همة وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول: إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) المعصم : موضع السوار من الزند، يريد أن «المهر» الذى أهداه إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخيل ،فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوسموا حقيقة — كما كشف عن ذلك فى البيت التالى — هذا : والمهر هو الصغير السن من الخيل،و« الأنثى » مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع المؤنث : مهر ومهرات . قال الربيع بن زياد العبسى يحرض قومه فى طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتلته لما قتل حذيفة بن بدر الفزارى :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بْنِ زُهَـيْرٍ ... ترجو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
ما إِنْ أَرَى فِى قَتْلِهِ لِذَوِى الْحِجَى ... إِلاَّ الْمَطِىَّ تُشَـدُّ بِالْأَكْوَارِ
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَـذُوفَةً ... يَقْذِفْنَ بِالْمُهُرَاتِ وَالْأَمْهَـارِ [1]

(٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ والموسم : المعلم . يقول :لك الخيل

---

(١) المجنبات : الخيل تجنب إلى الإبل ويقال ما ذاق عذوفا ولا عذوفة — بالدال والذال — أى ماذاق شيئا .



وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِى كَمْ حَيَاتِى قَسَمْتُهَا ... وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ (١)

وَلٰكِنَّ مَا يَمْضِى مِنَ الْعُمْرِ فَائِتٌ ... فَجُدْ لِى بِحَظِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ (٢)

رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِى مَحَبَّةً ... وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ (٣)

وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ ... فَكَلَّمَهُ عَنِّى وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (٤)

* * *

وقال يذكر حُمّى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك فى ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلمة ، ومراده بالخيل ما هو أعم منها من الحيوان وإنما خصها بالذكر لمكان ذكر المهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه . يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقائى فى الدنيا لجعلت ثلث ذلك المقدار مدة انتظار عطائك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِيثَاقٌ يُخَلِّدُنَا ... إِلَى الْمَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكِبَرِ

(٢) البادر : المسرع ؛ والمتغنم : الذى يغتنم الشىء : يقول : ما فات من العمر لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل، فإن الماضى غير مستدرك ، فجد لى بحظ من يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه فأنا أرضى به أيضا محبة لك ، وانجذابا إلى هواك وموافقة لرضاك لأنى قدت نفسى إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك فى كرمك وسماحتك يكون فؤاده وسيطا بينه وبينى فيكلمه عنى ولا يحوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعال : بمعنى الفعل . يقول ــ لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الأسفار وإخطاره بنفسه فى طلب المعالى ــ : ملومكما ــ يعنى نفسه ــ أجل من أن يلام ، لأن فعله يجوز طوق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولأنه لا مطمع للائم فيه بأن يطيعه أو يخدعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال



ذَرَانِى وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ ... وَوَجْهِى وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ (١)
فَإِنِّى أَسْتَرِيحُ بِذِى وَهَذَا ... وَأَتْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ (٢)
عُيُونُ رَوَاحِلِى إِنْ حِرْتُ عَيْنِى ... وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِى (٣)
فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ ... سِوَى عَدِّى لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ (٤)

المعنى ملوماً يجل عن لو مكاً ووقع فعال لومكا فوق الكلام : أى الجراحات ، فالكلام بكسر الكاف ـ جمع كلم ـ

(١) ذرانى : دعانى واتركانى . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهى : عطف على «الياء» من ذرانى ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعانى مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائى فيها وخبرتى بمسالكها ، ودعانى مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقى وجهى ، لأنى قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمى ، بمعنى الإقامة وقوله بذى وهذا يعنى بالفلاة والهجير . يقول : راحتى فيهما وتعبى فى النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به وبغمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تمده ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جنى : معناه أن حارت عينى ، فأنا بهيمة مثل رواحلى ، وعينى عينها وصوتى صوتها ، كما تقول : إن فعلت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلتى ، ومنطقى الفصيح : بغامها ، وقال التبريزى : عيون رواحلى تنوب عنى إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتى ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برق الغمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتبع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق الغمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مائة ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ماطر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللهُ جِيرَانًا حَمِدْتُ جِوَارَهُم ... كِرَامًا إِذَا عُدُّوا وَفَوْقَ كِرَامِ
يَعُدُّونَ بَرْقَ الْمُزْنِ فِى كُلِّ مَهْمَهٍ ... فَمَا رِزْقُهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامِ



يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي ... إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ (١)
وَلاَ أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفاً ... وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ (٢)
فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ (٣)
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ ... لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٤)
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي ... وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (٥)

---

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهي العهد والخفارة ، والمهجة :الروح،يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة ليأمن بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سيفى يعنى : لا أستصحب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخبر « ليس » محذوف ، والجملة : حال. يقول : لا أمسى ضيفا للبخيل وإن لم يكن لى طعام البتة ـ لأنه لامخ للنعام ـ ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لاقرى عنده ، ويروى مح ـ بالحاء المهملة ـوهوصفرة البيض وقيل مافى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مح . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا .

(٣) الخب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعا يبشون بوجوههم وكشحهم منطو على الخبث عاملتهم بمثل ما يعاملوننى به ؛ فهم يكاشروننى وأنا أكاشرهم أى ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفيت ـ اخترت ـ أحداً لمودتى لم أكن على ثقة من مودته لعلمى أنه من جملة الخلق . حكى عن المتنبى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشده يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدهافى وجهى إلى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهلى الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال ـ الحمق ـ لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رائق اللون وبئ المذاق .

---

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها ـ أى تلبده ـ فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبت هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن ، قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء



وَآنَفُ مِنْ أَخِى لِأَبِى وَأُمِّى ... إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ (١)

أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً ... عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ (٢)

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ (٣)

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ (٤)

وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِى ... فَلَا يَذَرُ الْمَطِىَّ بِلَا سَنَامِ (٥)

وَلَمْ أَرَ فِى عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً ... كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٦)

---

(١) آنف : أى أستنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما ـ يعنى الأخ الشقيق ـ

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لئيا وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرة ... وقدْ يلِدُ الحُرَّانِ غيرَ نجيبِ

وقال آخر :

لئن فخرْتَ بآباء لهمْ شَرف ... لقدْ صَدَقْتَ ولكن بِئس ماولدُوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغن عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : الشاب الذى لم يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، ونبا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم السيف الذى فيه فلول ؛ والكهام : الذى لا يقطع يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضياً .

(٥) المطى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياه فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل :

فى المنبت السوء » شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من الكلأ له غضارة وهو وبىء المرعى منتن الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلاَ وَرَائِى ... تَخُبُّ بِىَ الْمَطِىُّ وَلاَ أَمَامِى (١)

وَمَلَّنِىَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِى ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فى كُلِّ عَامِ (٢)

قَلِيلٌ عَائِدِى سَقِمٌ فُؤَادِى ... كَثِيرٌ حَاسِدِى صَعْبٌ مَرَامِى (٣)

عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ... شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ (٤)

وَزَائِرَتِى كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إِلاَّ فى الظَّلاَمِ (٥)

بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فى عِظَامِى (٦)

يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفَسِى وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ (٧)

إِذَا مَا فَارَقَتْنِى غَسَّلَتْنِى ... كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ (٨)

أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الابيات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .

(١) الخبب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير بى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة ، لأنه أبداً كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إنى بمصر غريب فليس يعودنى بها إلى القليل من الناس،وفؤادى سقيم لتراكم الأحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى – مطلبى – صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير المدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهموم

(٥) وزائرتى : أى ورب زائرة لى – يريد الحمى وكانت تأتيه ليلا – يقول : كأنها حيية إذ كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهو رداء من خز فى جنبه علمان . والحشايا : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعافتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة – يعنى الحمى – لا تبيت فى الفراش ، وإنما تبيت فى عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسعها ولا يسع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده على من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفهاعلى مايوجب



كأنّ الصُّبحَ يَطْرُدُها فتجرِى   مَدامِعُها بأَرْبعةٍ سِجَامِ (١)
أُراقِبُ وَقْتَها مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ   مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهامِ (٢)
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ   إِذَا أَلْقَاكَ فى الْكُرَبِ الْعِظَامِ (٣)
أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كُلُّ بِنْتٍ   فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ (٤)
جَرَحْتِ مُجَرَّحاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ   مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلاَ السِّهَامِ (٥)
أَلاَ يَالَيْتَ شِعْرَ يَدِى أَتُمْسِى   تَصَرَّفُ فى عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ (٦)

الغسل ، وإنما خص الحرام للقافية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام فى وجوب الغسل. وقال ابن الشجرى: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرةغريبةولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع :سال انسكب : أى بأربعة أدمع .يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكأن الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكى بأربعة أدمع . يريد كثرة الرحضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من الموقين ، فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضا . والموق . طرف العين مما يلى الأنف ؛ واللحاظ : طرفها مما يلى الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا

(٣) يقول : إنها صادقة الوعد فى الورود ـ لأنها لاتتخلف عن ميقاتها ــ وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعد ثم صدق فى وعيده .

(٤) يريد ببنت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر. شدائده . يقول :للحمى-: عندى كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أتيتُ فؤادَها أشكو إليهِ   فلم أخلُصْ إليهِ منَ الزحامِ

(٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٦) يقولون ليت شعرى ماحال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعرى حاصل ونحوه ؛ والعنان : سير اللجام ، والزمام : للمقود . يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا فى عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرأ فأسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أَرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ   مُحلَّاةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ (١)

فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي   بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ (٢)

وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا   خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ (٣)

وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ   وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ (٤)

---

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه . وبراقصات : أى بإبل تسير الرقص ، وهو ضرب من الخبب ، يقال رقص البعير رقصا إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد بإبل تسير الرقص وقد جمد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النميرى :

وَيَقْطَعُ الْبِيدَ مِنْهَا كُلُّ يَعْمَلَةٍ   خُرْطُومُهَا بِاللُّغَامِ الْجَعْدِ مُلْتَفِعُ (١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز فى الصدر ، والقناة : الرمح . والحسام السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسير إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخطة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصفى به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذى تشد به أفواه الأباريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لعجلتى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

---

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تنجو إذا جعلت تدمى أخشتها   واعتم بالزبد الجعد الخراطيم

« تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأخشتها جمع خشاش، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئاً ... وَدَاؤُكَ فِى شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ (١)
وَمَا فِى طِبِّهِ أَنِّى جَــوَادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الجِمَامِ (٢)
تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِى السَّرَايَا ... وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِى قَتَامِ (٣)
فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى ... وَلَا هُوَ فِى العَلِيقِ وَلَا اللِّجَامِ (٤)
فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِى ... وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِى (٥)
وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الحِمَامِ إِلَى الحِمَامِ (٦)

---

(١) و (٢) الجمام : الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سبب دائى الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس فى طبه أن الذى أضر بجسمى طول لبثى وقعودى عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه فى الرابط ، فيفتر ويبى .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقتام : الغبار وأراد بدخول القتام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد ـ يعنى نفسه أن يثير الغبار فى الجيوش ويخرج من حرب فيدخل فى غيرها .

(٤) فأمسك : أى الجواد . ولا يطال له : أى لا يرخى طوله ، وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل فى المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرخى له الطول فيرعى فيه ولا هو فى السفر فيعتلف من المخلاة ـ التى تعلق على رأسه ـ وليس هو فى اللجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفراش ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا المثل قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت فى بدنى فإن صبرى وعزمى باقيان على ما كانا عليه لم يمرضا بمرض جسمى .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِاليَدِ (١)

---

(١) الطول : الحبل الطويل جدا ، أو حبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى .

تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلاَ تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ[1]
فَإِنَّ لِثَالِثِ الحَالَيْنِ مَعْنًى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالمَنَامِ[2]

* * *

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الكَرَمُ أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالجَلَمُ[3]
جَازَ الأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ فَعُرِّفُوا بِكَ أَنَّ الكَلْبَ فَوْقَهُمُ[4]

ومن قول الآخر
إذَا بَلَّ مِنْ دَاء به خَالَ أَنَّهُ نجَاَ وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِى هُوَ قَاتِلُه[1]

(١) السهاد . السهر والكرى . يريد به النوم ، والرجام . القبور ــ واحدها رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجموا قبرى أى لا تجعلوا عليه الرجم ــ أى لا تسنموه بل سووه بالأرض. يقول : مادمت حيافتمتع من حالق السهر والنوم ولا ترج النوم فى القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعْ بِالرُّقَادِ عَلَى شِمَالٍ فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى اليَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالى السهر والنوم فلا يتمتع فيه بشيء .

(٣) المحاجم . جمع المحجمة ، وهى القارورة يحجم بها الجلد . والجلم . أحد شقى المقراض وهما جلمان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شيء ، إنما أنت أهل لأن تكون حجاما ــ مزينا ــ فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجاما .

(٤) الألى : أى الذين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والطغيان . فملكك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعا من قدرهم، حين ملكهم كلب .

---

(١) بل : برأ وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .



لاَ شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ ... تَقُودُهُ أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ(١)

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ ... وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الأَعْبُدُ الْقَزَمُ(٢)

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ ... يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الأُمَمُ(٣)

أَلاَ فَتًى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ ... كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتُّهَمُ(٤)

فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُوبَ بِهَا ... مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقِدَمُ(٥)

مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ ... وَلاَ يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الَّذِي زَعَمُوا(٦)

---

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر ، رجال عسكره ، وبالأمة التى لارحم لها ، الأسود ـ كافوراً ـ يوبخهم بانقيادهم له، يقول : لاشىء أقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ماتريد ؛ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طغج فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمة من حيث إنه خصى لكنه قدخالفها بكونه لارحم له،فكأنه أنقص من أمة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم ـ بضمتين ـ وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لئام ؟

(٣) أحفى شاربه : استأصله . يقول ـ لأهل مصر ـ : لا شىء عندكم من الدين إلا إحفاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة .

(٤) الهندى : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله،يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تمليك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى ـ جل شأنه ـ حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدبر وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول ـ كما قال الواحدى ـ: إن الله

وقال يهجوه أيضاً :

أما فى هـــذه الدُّنيا كَرِيمُ تزُولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الهُمُومُ(١)
أما فى هـــذه الدُّنيا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الجَارُ المُقِيمُ(٢)
تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ وَالعِبِـــدَّى عَلَيْنَا وَالمَوَالِي وَالصَّمِيمُ(٣)
وَمَا أدْرِى أذَا دَاءٌ حَدِيثٌ أصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ(٤)
حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ(٥)
كَأَنَّ الأَسْـــوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ(٦)

تعالى قادر على إخزاء الخليقة بأن يملك عليهم اثيما ساقطا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخزاء للناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزى الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه ـ على كافور — من يقتله ويبطل حجتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التى وصل إليها قد عمها اللؤم والأذى ، أليس فى الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بجوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد — أى الناس — والموالى جمع مولى ، المملوك، والصميم: الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله — حتى التبسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها فى الجهل، وملك المملوكون فالتبس الصميم — الأحرار — بالموالى — أى الذين كانوا عبيدا أرقاء — وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللئام : التبسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللئام ظنوا كراما

(٤) يقول : لست أدرى أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللئام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحر بينهم مجفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أُخِذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا مَقَالِي لِلْأُحَيْمِقِ يَا حَلِيمُ(١)

وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيًّا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَا لَئِيمُ(٢)

فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا فَمَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمُ(٣)

إِذَا أَتَتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَئِيمٍ وَلَمْ أَلُمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ(٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة و بيده تفاحة ندٍّ عليها اسم فاتك ، وكانت مما أهداه له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :

يُذَكِّرُنِي فَاتِكًا حِلْمُهُ وَشَيْءٌ مِنَ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ(٥)

اللوبة والنوبة ، وهما فى الأصل : الأرض التى قد ألبستها حجارة سود . والبوم : الطائر المعروف الذى يسكن الخراب ، وبه يضرب المثل فى الشؤم والرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالغراب — وهو طير خسيس كثير العيوب وشبه أصحابه أيضا بخساس حول الغراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهواً » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول . يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : فـ « أن » زائدة . والعى : ضد الفصاحة : عيي فى منطقه عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما فى نفسه — وابن آوى : ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبتى إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان : عى ، ومن قال لابن آوى — وهو من الأم السباع وأخسها — بالثيم ، كان متكلفا .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً لم يكن لى فيهما اختيار ، كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟

(٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضيع لئيم ولم أوجه اللوم إليه فإلى من أوجهه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إذا أنا لم ألم عثرات دهر أصبت به الغداة فمن ألوم

(٥) الند : عود يتبخر به ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَلَسْتُ بِنَاسٍ وَلٰكِنَّنِي يُجَدِّدُ لِي رِيحَهُ شَمُّهُ[1]
وَأَيُّ فَتًى سَلَبَتْنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَدْرِ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ[2]
وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمَتْ هَالَهَا ضَمُّهُ[3]
بِمِصْرَ مُلُوكٌ لَهُمْ مَالُهُ وَلٰكِنَّهُمْ مَا لَهُمْ هَمُّهُ[4]
فَأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ وَأَحْمَدُ مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ[5]
وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وُجْدِهِمْ عُدْمُهُ[6]
وَإِنَّ مَنِيَّتَهُ عِنْدَهُ لَكَالْخَمْرِ سُقِّيهِ كَرْمُهُ[7]

---

(١) الضمير فى « ريحه » : لفاتك ؛ وفى « شمه » : للند .

(٢) المنون : الموت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أى لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالها : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التى كانت تضمه إلى صدرها فى صغره أنه شجاع فاتك قتال : لفزعت منه ولهالها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أى همته — يقول : إن لهم مالا كثيراً مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمى :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِى الْغِنَى وَلٰكِن مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وقول الآخر :

ولم يكُ أكثرَ الفتْيان مالاً ولكن كانَ أوسعَهم ذِراعا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمد منهم . وقال العكبرى : المعنى أنه لا يبخل بشىء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئا يهبه كان يعده من نفسه بخلا . قال : وقوله أحمد من أحمدهم : أى لا يذم إلا بالإسراف فى الجود والمخاطرة بنفسه فى الإقدام ، وهذا أحمد من حمدهم .

(٦) الوجد : الغنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو فى حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ،وهم يبخلون مع الوجد والغنى ؟

(٧) المنية : الموت ؛ والخمر : تذكر وتؤنث ، فمن ذكرها ذهب بها إلى النبيذ. يقول إن المنية كانت منه تنبث فى الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبعبارة أخرى : إنه كان



فَذَاكَ الَّذِي عَبَّــهُ مَاؤُهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَعْمُهُ[١]
وَمَنْ ضَاقَتِ الأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرًى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ[٢]

* * *

وقال يذكر مسيره من مصر ويرثى فاتكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلاَ قَدَمِ[٣]

يسق المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت فى ذلك كالخمر التى أصلها الكرم ومنه خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرعه وشربه ، قال ابن جنى : يعنى أن الزمان أتى من موته بما فيه نقض العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كانقلاب الأمر وهو أن يعب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقا . وقال ابن فورجه عند ابن جنى أن الضمير فى « عبه » لفاتك ، وكذلك الهاء فى « ذاقه » ـ على ما ذكر فى تفسيره ـ وليس كذلك ، لأنه قد قال فى البيت الذى قبله : إن الموت الذى أصابه هو بمنزلة الخمر سقيها الكرم : أى كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شرابا له ، ثم قال : فذاك الذى عبه — يعنى الخمر — هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذى ذاقه هو الموت وهو طعم نفسه الذى كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدى : والمعنى على ماقاله ابن فورجه لكنه لم يبينه بياناً شافيا ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الخمر فشربه فقد شرب ماء نفسه ، والذى ذاقه من طعم الخمر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك » لما أهلكه . فشرب شراب الموت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم نفسه.

(٢) حرى : أى خليق وجدير . يقول : إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتمالها هلك ، لعظم مايطلبه كما قال الآخر :

* عَلَى النفوسِ جِنايات مِنَ الهِممِ *

(٣) حتام : هى « حتى » و « ما » ، حذفت ألف « ما » لامتزاجها بـ « حتى » ـ وكثرة



وَلاَ يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَــــا ... فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ (١)

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ... وَلاَ تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ (٢)

وَكَانَ حَالُهُمَا فِى الْحُكْمِ وَاحِدَةً ... لَوِ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ (٣)

وَنَتْرُكُ الْمَـــاءَ لاَ يَنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ ... مَاسَارَ فِى الْغَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِى الْأَدَمِ (٤)

لاَ أُبْغِضُ الْعِيسَ لٰكِنِّى وَقَيْتُ بِهَـــــا ... قَلْبِى مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِى مِنَ السَّقَمِ (٥)

استعمالها ، ويجوز إثباتها على الأصل . ونسارى : نفاعل — من السرى وهو السير ليلا — والنجم : اسم جنس ـ أى النجوم ـ قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون »، والواو من « وما سراه » ـ حالية ، والخف للبعير: بمنزلة الحافر للدابة . يقول : إلى متى نسرى مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف ـ كالإبل ـ ولا على قدم كالناس أى أن النجوم لا يصيبها الكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا .

(١) فاعل « يحس » الأولى ؛ يعود على « الغيم » ، وفاعل « يحس » الثانية : غريب . يقول : إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات يسرى ساهراً : يعنى نفسه .

(٢) العذر : جمع عذار ، وأصلها ، عذر « بضم الذال » ولكنه أسكنها هنا على لغة والعذار : جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » واللمم : جمع لمة ، وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن والذى يلم بالمنكب . يقول : إن الشمس تغير ألواننا فتسود وجوهنا البيض ؛ ولكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البيض ، وهذا من قول أبى تمام :

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُّ فيها ... وما أَخْلاقُنَـــا فيها بِسُودِ

« القسمات ـ بفتح السين وكسرها ـ الوجوه »

(٣) الحكم : الحاكم ؛ واحتكمنا : تحاكمنا . يقول : لو احتكمنا إلى حاكم من حكام الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر ، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود الوجه ولا تسود الشعر ، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس .

(٤) الأدم ـ بفتحتين وبضمتين ـ جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونجعل الماء لا يزال مسافراً : إما فى السحاب ، وإما فى قربنا ، لأنا نغترفه من السحاب فنودعه روايانا .

(٥) العيس : الإبل . يقول . ليست الإبل بغيضة إلى ، فليس إتعابى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ [1]
تَبْرِى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تُعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرْخَاةَ بِاللُّجُمِ [2]

بغضا لها منى ، ولـكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسمى من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غير الهواء والماء وسافر صح جسمه ، وكذلك المحزون: يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسر فيه بالإكرام .

(١) أيديها وأرجلها : أى العيس ، وأسكن الياء فى « أيديها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالقَاعِ الْقَرِقْ أَيْدِى نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقْ [1]

ومرقن : أى خرجن ، من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حثثتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا طَرِيدَانِ وَالرِّجْلَانِ طَالِبَتَا وِتْرِ [2]

وذلك أن اليد أمام الرجل كالمطرود يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .

(٢) تبرى : تعارض ـ يقال برى له وانبرى له ، إذا عارضه ـ قال أبو النجم :

* يَبْرِى لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلِ [3] *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الخيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الخيل . والجدل . جمع جديل ، وهو حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تبرى الخيل للعيس وتعارض أزمتها باجمها وأعنتها ؛ أى تباريها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الخيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول ـ المتنبى ـ : الخيل ـ لعلو أعناقها وإشرافها ـ تبارى أعناق الإبل : فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل ـ الأزمة ـ فى أعناق الإبل .

---

(١) قاع قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الشرح .
(٢) النجاء : السرعة .
(٣) يبري : روى يأتى ؛ يصف ظليما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أدحيها ـ وهو مبيضها ـ عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا ... بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزُّلَمِ (١)

تَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عَمَائِمَهُمْ ... عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُوداً بِلاَ لُثُمِ (٢)

بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَّانُونَ مَنْ لَحِقُوا ... مِنَ الْفَوَارِسِ شَلاَّلُونَ لِلنَّعَمِ (٣)

قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ ... وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (٤)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ أَنَّ أَنْفُسَهُمْ ... مِنْ طِيبِهِنَّ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ (٥)

---

(١) غلمة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم :أى خاطروا بها ولقين: أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقامرون ويجتمعون على الميسر . والزلم : السهم من سهام الميسر . يقول : سرت من مصر فى غلمة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثام ، ما يلقى على الوجه من طرف العمامة . يقول :إن هؤلاء الغلمة كلما ألقوا عمائمهم التى على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمائم سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمائم بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ،فهو يقول إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شىء على وجوههم :يعنى أنهم مرد لم يتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس — كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٣) العوارض . جمع عارض ، صفحة الخد ، وشلالون : طرادون . والنعم :الماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صعاليك[1] قتالون للفوارس طرادون للنعم، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا — بالتشديد — مبالغة فى بلغوا — بالتخفيف — ورواها بعض الشراح بلغوا — بالتخفيف — وقال فى تعليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا — بتخفيف اللام — والباء بعده للتعدية ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متمكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استفرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية هممهم :

(٥) الضمير فى « به » للقنا . يقول : هم أبدا فى القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكأنهم فى الأشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون فى الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

---

(١) لصوص ، قطاع طريق ، وصعاليك العرب : ذؤبانها ولصوصها .



نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ   فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فى الْبُهَمِ (١)
تَخْدِى الرِّكَابُ بِنَا بِيضاً مَشَافِرُهَا   خُضْراً فَرَاسِنُهَا فى الرُّغْلِ وَالْيَنَمِ (٢)
مَكْعُومَةً بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنْبِتِ الْعُشْبِ نَبْغِى مَنْبِتَ الْكَرَمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : المعنى أنهم لتمرنهم فى الحرب والقتل فى مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسم غير خائفة من الحرب ، لشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم فى الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهى ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا، والبهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها فى طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذ من قول هلال المازنى (١) .

تصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فينا وَفِيهِمُ   صِيَاحَ بَنَاتِ الماءِ أصبحنَ جُوَّعا

ومثله قول بعض العرب .

زُرْقٌ تصايَحْنَ فى المتونِ كما   هَاجَ دَجَاجَ المدينةِ السَّحَرُ

(٢) خدت الناقة تخدى . أى أسرعت مثل وخدت وخودت قال الراعى .

حَتَّى غَدَتْ فى بياضِ الصُّبحِ طَيِّبَةً   رِيحَ الْمَبَاءَةِ تَخْدِى وَالثَّرَى عَمِدُ (٢)

والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للانسان . والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل والينم : نبتان . يقول ، تسير الإبل بنا وهى بيض المشافر باللغام – زبد أفواه الإبل – وقال ابن جنى : لأنها لا تترك ترعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها هذين النبتين

(٣) كعم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السياط

(١) شاعر إسلامى

(٢) ضمير « غدت » بقرة وحشية تقدم ذكرها ، ومباءتها : مكنسها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح المباءة لما نون طيبة ، وكان حقها الإضافة ، فضارع قولهم : هو ضارب زيدا .

وَأَيْنَ مَنْبِتُهُ مِنْ بَعْــد مَنْبِتِهِ   أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعِ العُرْبِ وَالعَجَمِ [(١)]

لاَ فَاتِكٌ آخَرٌ فِي مِصْرَ نَقْصِــدُهُ   وَلاَ لَهُ خَلَفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمِ [(٢)]

مَنْ لاَ تُشَابِهُهُ الأَحْيَــاءُ فِي شِيَمٍ   أَمْسَى تُشَابِهُهُ الأَمْوَاتُ فِي الرِّمَمِ [(٣)]

كانت تمنعها من المرعى ، فكأنما قد شدت أفواهها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْماء خابطُها بالخوف مَكْعُومُ *

[أى لا يتكلم فيها خوفا ، فكأن الخوف قد كعم فمه] وكنا نضربها عن الرعى فى منبت العشب لأنا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأسدى :

إِلَيْــكَ أَمِيرَ المؤمنينَ رَحَلْتُها   من الطَّلْحِ تبْغِي مَنْبِتَ الزَّرَجُونِ

« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشأم ، لأنها أكثر البلاد عنباً » .

(١) القريع : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريعا لذلك ، ولأنه يقرع الناقة ، قال ذو الرمة :

وقدْ عارَضَ الشِّعْرَى سُهَيْلٌ كأنَّه   قريعُ هِجان عارَضَ الشولَ جافِرُ[(١)]

يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم ! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره فى البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا فى مصر رجل آخر مثله فى جوده فنقصده ، وليس له خلف مثله كرما وشجاعة ، فقوله : لا فاتك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فاتك » ومن ثم نعته بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرمم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الأحياء فى شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه فى العظام البالية : أى مات فأشبه الأموات وأشبهوه .

---

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جفر فهو جافر وفى الأثر أن عليا كرم الله وجهه رأى رجلا فى الشمس فقال : قم عنها فإنها مجفرة : أى تذهب شهوة النكاح ، وعارضها : أى جانبها وعدل عنها .



عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّى سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِىَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ (١)
مَا زِلْتُ أُضْحِكُ إِبْلِى كُلَّمَا نَظَرَتْ إِلَى مَنِ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ (٢)
أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أُشَاهِدُهَا وَلاَ أُشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (٣)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلاَمِى قَوَائِلُ لِى أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٤)

---

(١) يقول : لكثرة أسفارى وترددى فى الدنيا كأنى أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على العدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إبلى — بسكون الباء — تخفيف إبل — بكسرها — يقول : مازلت أسافر على إبلى إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها مما يضحك لضحكت إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفى الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختضبت أخفافها بدم فى قصده أو فى المسير إليه : قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسيرها ، ويروى أسيرها — مضارع سرت — أى أسير عليها . وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للجود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكر ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى عدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ فى حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع — المتنبى ألف الوصل فى أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيبويه فى الضرورات — أى الضرورات الشعرية — وأنشد للأعشى

إِذْ سَامَهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال لَهُ اِعْرِضْهُمَا هكذا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون فى أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامى :

أَلضَّارِبُونَ عُمَيْراً عَنْ بيوتهم بِالتَّلِّ يَوْمَ عُمَيْرٌ ظَالِمٌ عَادِ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أُكْتُبْ بِنَا أَبَداً بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ ... فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ (١)

أَسْمَعْتَنِي وَدَوَائِي مَا أَشَرْتَ بِهِ ... فَإِنْ غَفَلْتُ فَدَائِي قِلَّةُ الْفَهَمِ (٢)

مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ ... أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ (٣)

أَلاَ لا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلِ (١)

وكقول قيس بن الخطيم :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ ... بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الحديثِ قَمِينُ (٢)

والرابعة — وهى أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال الخليلين للتخلص من الضرورة وكذلك الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .

(١) الكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأقلام . يقول : قالت لى الأقلام اخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما فعلت بالسيف وما تقول من الشعر فى ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا من قول البحترى :

تَعْنُو لَهُ وُزَرَاءُ الْمُلْكِ خَاضِعَةً ... وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَا

(٢) هذا جواب منه للأقلام ، يقول — لها — : أسمعتنى قولك ، والذى أشرت به على هو الدواء الذى يشفى ما بى ، فإن تركت مشورتك ولم أفطن لها صار دائى هو قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياى .

(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأقلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب حاجته بغير الهندى — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

---

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجمل — بضم الجيم وسكون الميم — اسم امرأة .

(٢) نث الحديث ينثه نثا : أفشاه : وقمين : أى جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير عطف على « بنث » . وبعده

وإِنْ ضَيَّعَ الإِخوانُ سِرًّا فإننى ... كتومٌ لأسرارِ العشيرِ أمينُ



تَوهَّمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَــا وَفِى التَّقرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التُّهَمِ (١)

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَــةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِى رَحِمِ (٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتنبى وخصومه : كان الواجب أن يقول : عن هل بلا . لأن الطالب بغير السيف يقول : هل تتبرع لى بهذا المال؟ فيقول المسئول: لا ، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفى : قال الواحدى : وهذا ظلم منه — من القاضى — للمتنبى ، وقلة فهم من القاضى ، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ«هل» بـ«لا» ، لأن المقتضى بجاب ليس هو المجيب ، والذى أراد المتنبى أن الناس يسألونه : هل أدركت حاجتك ؟ هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول لم أدرك ، لم أبلغ لم أظفر ، لم أصل إلى ما أطلب هذا ، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما ، وقال ابن جنى : جعل «هل» و «لم» اسمين فجرهما و « هل » حرف استفهام و «لم» حرف نفى ، قال : ويجوز أن تكون الكسرة فى « لم » كسرة الساكن إذا احتيج إلى تحريكه للقافية. كقول النابغة * وكأن قد (١) * وحكى الخليل قال قلت . لأبى الدقيش — الأعرابى — هل لك فى ثريدة كأن ودكها عيون الضياون ؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه (٢)

(١) يقول : إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال : ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك ، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة ، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه .

(٢) الإنصاف : إعطاء الحق . قال ابن الأعرابى : أنصف إذا أخذ الحق وأعطى، قال : وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك ،

---

(١) قطعة من بيت هو :

أَزِفَ التَّرحلُ غـير أنَّ ركابَنا لما تَزُلْ بِرحالنــا وكأنْ قدِ

(٢) قال الأزهرى : أبو الدقيش كنية واسمه الدقش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقش ؟ فقال : لا أدرى قلت : ما الدقيش ؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات ، وقال أبو زيد . دخلت على أبى الدقيش الأعرابى وهو مريض فقلت له كيف تجدك ياأبا الدقيش؟ قال أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد وأنا فى زمان سوء ، زمان من وجد لم يجد، ومن جاد لم يجد . والضياون جمع ضيون : السنور الذكر أو دويبة تشبهه .

فَلاَ زِيَارَةَ إلاَّ أَنْ تَزُورَهُمُ ... أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذُمِ (١)

مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفْرَتُهُ ... مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمِ (٢)

صُنَّا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ ... مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِى الْأَيْدِى وَلاَ الْكَزَمِ (٣)

هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ ... فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ (٤)

والرحم: القرابة. يقول: إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولوكانوا أقارب فما الظن بمن لا قرابة بينهم. يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه فى قصده لهم. وهذا من قول الآخر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إن كَانَ يَعْقِلُ

(١) الخذم: جمع خذوم: أى القاطع: يعنى السيوف، وأيد فاعل تزورهم يقول: فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت فى صحبة السيوف، يعنى إذا لم ينصفوا فإنى لا أزورهم إلا محاربا.

(٢) من كل. بيان للمصقولة الخذم، وشفرته: أى حده فاعل قاضية: يقول: من كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين، الظالم والمظلوم:

(٣) قوائمها: مقابضها؛ واللؤم: خسة الأصل ضد الكرم، والكزم: قصر اليد، وناقة كزماء: قصر خطامها، يقول: صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا التى لا لؤم فيها ولا قصر: يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا معها، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع فى أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن بلوغ الحاجة،

(٤) ما شق منظره: ماصعبت رؤيته. يقول: هون على العين ماشق عليها النظر إليه مما تراه من المكاره، وهبك تراه فى الحلم. لأن ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى المنام، لأنهما يمكثان قليلا ثم يزولان، فكأنهما لم يكونا. وروى منظره — بفتح الراء فيكون المراد الشئ الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه؛ والضمير على هذا: للبصر، وعلى الرواية الأولى لـ«ما». قال الواحدى: ولم يعرف ابن جنى شيئاً من هذا وقال يقال شق بصر الميت شقوقا، الفعل للبصر، قال: ومعنى البيت: هون على بصرك شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام — كما تراه — فى غاية الفساد والبعد عن الصواب وقال ابن القطاع: قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة

وَلاَ تَشَــكَّ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ
شَــكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغِرْبَانِ وَالرَّخَمِ (١)

وَكُنْ عَلَى حَــذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ وَلاَ يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ (٢)

غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِــدَةٍ وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ (٣)

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الأَلَمِ (٤)

الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْــلِي نَوَائِبَهُ وَصَبْرِ جِسْمِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الْحُطُمِ (٥)

وَقْتٌ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُــدَّتَهُ فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الأُمَمِ (٦)

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : كرور الأيام أحلام ، وغذاؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ماينزل بساحتك من ضر وشدة فتشمته بشكواك ، فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التى ترقب أن يموت فتأكله ، وعبارة التبريزى الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن الغربان ـ جمع غراب ـ والرخم جمع رخمة ـ طائر من الجوارح الخسيسة ـ إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرك منهم ولا تغتر بابتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون فى قلوبهم مالا يبدون لك من الغدر والخداع . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم الحيوان كله متغلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشىء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء فى عدة : أى إذا وعدك أحد بشىء لم يف به ، ولا يوجد الصدق فى إخبار ولا قسم : أى إذا أخبرك أحد بشىء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته فى جوب المفاوز والتمرس بالمهالك واقتحامها وهو غاية ألم النفوس . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدركها أماكن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها .

(٥) الحطم ـ بالضم ـ جمع حطوم ، وبفتح الطاء ـ جمع الحطمة : أى التى تحطم من ألمت به . وصبر جسمى : يروى : وصبر نفسى .

(٦) وقت : أى لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع فى مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِى شَبِيبَتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الهَرَمِ [١]

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الوَرْدُ فِى الَّذِى زَعَمَا ... أَنَّكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمَا [٢]

كَأَنَّمَا مَائِجُ الهَوَاءِ بِهِ ... بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمَا [٣]

أهل هذا الدهر ومصاحبتهم ، لأنهم سفلة أنذال يضيع الوقت بصحبتهم؛وليت مدةعمرى كانت فى أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكو من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فسرهم وأتاهم بما يفرحون ، ونحن أتيناه وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البستى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لا غَرْوَ إنْ لم نَجِدْ فِى الدَّهْرِ مُخْتَرَفَا ... فقد أتيناه بَعْدَ الشَّيْبِ وَالخرَفِ

وقد نظر المتنبى فى بيته إلى قول من قال :

وَنحنُ فِى عَدَمٍ إذْ دَهْرُنا جَذَعٌ ... فالآنَ أمسى وَقد أوْدَى بهِ الخَرَفُ

(٢) نثره . أى منثوره ـ أى ما نثر منه ـ والديم : جمع الديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لكثرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأنا نراه كذلك .

(٣) مائج : يروى مازج ، والعنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، قال النابغة :

بمُخَضَّبٍ رَخْصِ البَنَانِ كَأَنَّهُ ... عَنَمٌ عَلَى أغصانِهِ لم يُعْقَدِ [١]

يقول : كأن الهواء ـ وهو مائج بهذا الورد عند نثره بحر من العنم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بحر قد حوى العنم مثل مائه كثرة .

---

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .



نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُـــوفِ دَمًا ... وَكُلَّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكَمَا[(١)]
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا ... وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا[(٢)]
فَلْـــيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَـكَا يَدَهُ ... أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلِمَا[(٣)]
وَقُلْ لَهُ لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ ... وَإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا[(٤)]

---

(١) يقول : إن الذى نثر هذا الورد هو الذى ينثر السيوف : أى يفرقها فى أعدائه وهى دم — أى متطلحة بالدم — فكأنها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولا قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد فى قراءة الحرميين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدى : والسابغات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الخرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شىء آخر ، هذا هو الأصل فى تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلا ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوما ؛ ومنه قول امرىء القيس :

* تعَرُّضَ أثناءِ الوِشَاحِ المفصَّلِ[(١)] *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلا . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد. يقول : إنه ينثر الخيل — أى يفرقها فى الغارة — ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التى ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدى ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده — عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفا على « السيوف » أى والذى ينثر الخيل — أى يفرقها — فى الضياع فينظمها بها ، والذى ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثان لـ« يرنا » ، والضمير فى « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد — يريد الدنانير والدراهم — فإن كان الورد يشكو يده — لأنها نثرته — فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذه : رقاه رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

---

(١) من معلقته ، وصدره :

* إذَا ما الثريا فِي السماء تعرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا   أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى[1]

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه أعين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فنثرك وقاية لـكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفا : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعيون : إذا أصابته العين ـ وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات فى نثر الورد غير مليحة ، وليس المتنبى من أهل الأوصاف ، قال العكبرى : إنما المتنبى ممن يحسن الأوصاف فى كل فن ، وإنما هذا الذى يأتى له فى البديهة والارتجال ـ أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به . ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لـكان أسقطه من شعره .



قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم فى السنبوس سنة أربعين وثلثمائة وبلغه أن العدو فى أربعين ألفا، فتهيبتهم أصحابه، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش:

تَزُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنًى ... وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِنِهَا الإِذْنَا[1]

نَقُودُ إِلَيْهَا الآخِذَاتِ لَنَا المَدَى ... عَلَيْهَا الكُمَاةُ المُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّا[2]

وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الحَسَنِ الهَوَى ... وَنُرْضِي الَّذِي يُسْمَى الإِلَهَ وَلاَ يُكْنَى[3]

---

(١) المغنى: المنزل الذى كان به أهلوه فغنى بهم. لما قال نزور والزيارة تقتضى المحبة نفى أن يكون محبا لتلك الديار، لأنها ديار أعداء. يقول: نزور هذه الديار على غير محبة لمغنى من مغانيها لأنها ديار عدو، واذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن فى ذلك من غير ساكنها أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة: سيف الدولة، لاأصحابها الروم.

(٢) المدى: الغاية. والكماة: جمع كمى، وهو البطل المستتر فى السلاح. يقول: نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها وتحرز لنا قصب السبق، عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ماانتصروا عليها.

(٣) نصفى: نمحص. وأراد بالذى يكنى أبا الحسن: سيف الدولة، لأن اسمه على، والذى: مفعول أول لنصفى؛ مفعول ثان. وقوله يسمى الإله ولا يكنى: أى أنه سبحانه لا كنية له، وتعالى عن الولد حتى يكنى به يقول: ونصفى سيف الدين مودتنا فنقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب. هذا ويقال كنيت فلانا، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه. والعرب ــ كما قال العكبرى ــ كانت تكنى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء. وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم ــ وهى أم أنس بن مالك ــ فكان يقول له ــ أى لولده ــ «ياأبا عمير: مافعل النغير[1]».

---

(١) النغير تصغير النغر، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار العصافير تراه أبدا صغيرا ضاويا، وكان لهذا الولد نغر.

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا (١)
وَأَنَّا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَّحَ فِي الْوَغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا (٢)
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمُّنَّا (٣)
وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكَدَّسْنَ مِنْ هَنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هَنَّا (٤)

---

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أى فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوغى : الحرب . يقول : إذا صار الموت صريحاً فى الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرماح والضرب بالسيوف : أى اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاؤه مرفوع بـ«حبيب» : أى المحبوب لقاؤه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاؤه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، فحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « الميم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحو فى هلم كلام كثير ولعل أوجهه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أى جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أى اقرب و«ها» للتنبيه ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير فى لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين : هلما ، وللجمع : هلموا ، وللمرأة : هلمى ، وللنساء : هلممن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لكما ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، وللمرأة هلمن — بكسر الميم — وفى التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجال ، وهلممنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم — بفتح الألف والهاء — كأنك قلت : إلام « ألم » وتركت الهاء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهلمه ، أى لا أعطيه .

(٤) يريد بالخيل : خيل العدو ، وحشوناها الأسنة : أى جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أى الخيل — أى خيل العدو — أى اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و«هنا» بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهنَّا وَعَلَى المَسْجُوحِ *



ضُرِبْنَ إلينا بالسِّيَاطِ جَهَالَةً فلمَّا تعارفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا(١)

تَعَدَّ القُرَى والْمُسْ بِنَا الجيشَ لَمْسَةً نُبَارِ إلى ما تَشْتَهِى يَدُكَ اليُمْنَى(٢)

فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهُمْ ونَحْنُ أُنَاسٌ نُتْبِعُ البَارِدَ السُّخْنَا(٣)

« يصفه بالعطاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى ضجيحته : أى طبيعته » . وقد أخذ المتنبى قوله حشوناها الأسنة من قول الوليد بن المغيرة :

وكَمْ مِنْ كريمِ الجدِّ يركَبُ رَدْعَه وآخرَ يَهْوِى قَدْ حشَوْنَاهُ ثعلبا

« يقال للقتيل ركب ردعه : إذا خرلوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطخ بالزعفران ، والثعلب . طرف الرمح الداخل فى جبة السنان »

(١) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا لسيف الدولة فظنوهم روما ، فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى « حثثن » ونحوه .

(٢) تعد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسراع يقول ـ لسيف الدولة ـ : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدننا منهم دنو اللامس من الملموس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ماتريد من الظفر بهم : أى أن الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبرى فى تفسيره الغريب من هذا البيت : المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكميت .

قبيح بمثـلى نعتُ الفتا ةِ إما ابتهاراً وإما ابتيارا

ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور. قال الأصمعى : بار يبور بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه فجر بها ، فإن كان كاذبا فقد ابتهرها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، افتعال ـ من برت الشىء أبوره : إذا خبرته ـ وأنشدوا بيت الكميت هذا ، وقول الكميت « إما ابتهارا وإما ابتيار » أى إما بهتانا وإما اختبارا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دمائهم وقد برد ماسفكناه وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لاننفك من سفك دمائهم فإذا برد ماسفكناه أتبعناه دما طريا حارا .



وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ العَضْبَ فِيهِمِ
فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ القَنَا اللُّدْنَا (١)

فَنَحْنُ الأُلَى لاَ نَأْتَلِى لَكَ نُصْرَةً ... وَأَنْتَ الَّذِى لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى (٢)

يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِى عِنْدَكَ العُلاَ ... وَمَنْ قَالَ لاَ أَرْضَى مِنَ العَيْشِ بِالأَدْنَى (٣)

فَلَوْلاَكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلاَ اللُّهَا ... وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلاَ أَهْلِهَا مَعْنَى (٤)

وَمَا الخَوْفُ إِلاَّ مَا تَخَوَّفَهُ الفَتَى ... وَلاَ الأَمْنُ إِلاَّ مَا رَآهُ الفَتَى أَمْنَا (٥)

* * *

---

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ واللدن : اللينة . ويقال رمح لدن ـ بفتح اللام ـ ورماح لدن ـ بضمها ـ يقول : إن كنت فيهم سيفا قاطعا فدعنا نتقدم إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قيل إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفا ، فتهيب جيشه المسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قال له سيف الدولة قل لهؤلاء ـ وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم ـ يقولوا كما تقول حتى لا ننثنى عن الجيش ، فما تجمل أحد منهم بكلمة .

(٢) الألى : الذين ؛ ولا نأتلى : لا نقصر ، ونصرة : تمييز . يقول : نحن الذين لا نقصر فى نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك فى قتال الأعداء لاستغنيت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأدنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الدنىء ، فكأنه يقول أقيك بنفسى .

(٤) اللها : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ، لأن الدماء إنما تجرى بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجرى بجودك ، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم ، فخافوا خوفا منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفا ، فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفا ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛ وهذا من قول دعبل :

هِىَ النفسُ ما حَسَّنْتَهُ فَمُحَسَّنٌ ... لديها وَمَا قَبَّحْتَهُ فَمُقَبَّحُ



وقال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورمحا وفرساً معها مهرها ، وكان المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا　　إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الهِبَاتُ صِوَانَهَا(١)

تُرِينَا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا　　وَتَجْلُو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا(٢)

وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الخَيْلَ وَحْدَهَا　　فَصَوَّرَتِ الأَشْيَاءَ إِلاَّ زَمَانَهَا(٣)

وَمَا ادَّخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوَّرٍ　　سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا(٤)

وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الفَوَارِسَ قَدُّهَا　　وَيُذْكِرُهَا كَرَّاتِهَا وَطِعَانَهَا(٥)

---

(١) ثياب — بالرفع — على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل لفعل محذوف : أى عندى ثياب كريم . أو أتتنى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب ويحفظها . يقول : أتتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، إنما يهبها ، فليس لها صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله « كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومنديل كان هبة أيضا ، كما قال فى موضع آخر :

* أولُ محمولٍ سيبهِ الحملْ *

(٢) الصناع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول : إن ناسجتها من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فهى ترينا إيام فيها ، وترينا كذلك صورة نفسها وجواريها .

(٣) يقول : لم تكتف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن تصويره فلم تترك شيئا إلا صورته ماعدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فلذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصناع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئاً هو فى وسع المصور إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه أضمر فعلا فى معناه يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وماحرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم — فى البيت الأول — وقد كانت فى جملة الهبات . يريد قناة سمراء ، واستغواء قدها الفوارس إطماعه إيام بطوله وملاسته وشرائط كماله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار عجزهم عنه إذا باشروا ذلك ، وتذكيرهم الكر والطعن .

رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ فَكَادَ نَبَاتُهَا يُرَكِّبُ فِيهَا زُجَّهَا وَسِنَانَهَا(١)
وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا(٢)
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِى عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا(٣)
فَأَيْنَ الَّتِى لاَ تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلاَ تُعْطِى سِوَاىَ أَمَانَهَا(٤)
وَأَيْنَ الَّتِى لاَ تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَىَّ عِنَانَهَا(٥)
وَمَالِى ثَنَاءٌ لاَ أَرَاكَ مَكَانَهُ فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لاَ تَرَانِى مَكَانَهَا(٦)

---

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها ـ الذى أنبته الله ـ كاد نباتها يجعلها ذات زج وسنان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وعانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنثى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الشرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الخال والأم أخوان، فإذا كان العم أكرم من الخال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقتها . يريد أن الفرس كانت قبيحة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانته : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايرت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيته عليها ، لأن المهر أكرم من الأم وأجمل فهى تشين المهر بقبحها ، ولانها أمه ، والمهر يزينها بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا أهديت إلى فرسا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) العنان : سير اللجام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعنت عليها وقرطت عنانها(*) بيدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجعه يرجعه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أثنى عليك به ، فهل لك نعمى ـ نعمة ـ لا تعرفنى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مد يده بالعنان لجعله على قذال فرسه ، وهى تحضر تجرى ـ والمراد : أرخى العنان



ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ المـاء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :

حَجَّبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارٌ دُونَهُ ... يَذُمُّهَا النَّـاسُ وَيَحْمَدُونَهُ (١)

يَامَاءُ هَـلْ حَسَدْتَنَا مَعِينَهُ ... أَمِ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ (٢)

أَمِ انْتَجَعْتَ لِلْغِنَى يَمِينَهُ ... أَمْ زُرْتَهُ مُكَثِّراً قَطِينَهُ (٣)

أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقاً حُصُونَهُ ... إِنَّ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ (٤)

يَارُبَّ لُجٍّ جُعِلَتْ سَفِينَـهُ ... وَعَازِبِ الرَّوْضِ تَوَفَّتْ عُونَهُ (٥)

---

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه فى الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فمنعت الناس من زيارته ، فهى لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبرى : يقال إن سيف الدولة رأى فى المنام أن حية طوقت داره ، فعظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بحمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوى على دارك . فأمر به فأخرج بعنف ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتووا على دار سيف الدولة، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) المعين : الماء الذى يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله فى الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الانتجاع : طلب الرعى ، ويقال انتجعه : أى قصده يطلب معروفه . والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمه وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهَتْهُ فلمّا لم تَرَ النَّهْىَ عاقَهُ ... بكتْ فبكى مِمَّا شجاهَا قَطِينُها

يقول : أم جئته تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيته زائرا لتكثير من عنده فى مجلسه ؟

(٤) الخندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جئته لتحفر خندقا لحصونه منعاً للعدو ؟ لاحاجة به إلى الخندق ، لأن جياده ـ خيله ـ ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعازب :

وَذِى جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُنُونَهُ ... وَشَرْبِ كَأْسٍ أَكْثَرَتْ رَنِينَهُ (١)
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أَنِينَــــهُ ... وَضَيْغَمٍ أَوْلَجَهَا عَرِينَــــهُ (٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَــــهُ ... يَقُودُهَا مُسَهَّــــداً جُفُونَهُ (٣)
مُبَاشِراً بِنَفْسِــــهِ شُئُــــونَهُ ... مُشَرِّفاً بِطَعْنِهِ طَعِينَــــهُ (٤)
* عَفِيفَ مَا فِي ثَوْبِهِ مَأْمُونَهُ (٥) *

البعيد والعون : جمع عانة ، وهى القطعة من حمر الوحش . وتوفتها : أخذتها وافية ، وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فكن له كالسفين ، ورب روض بعيد المراعى أهلكت خيله حمره وجميع مافيه من أنواع الوحش فصادتها بجملتها .

(١) وذى جنون : أى ورب ذى جنون ـ يعنى عاصيا متمردا مغرورا بجهله ـ أذهبت الخيل جنونه : أى أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب ـ اسم جمع بمعنى الشاربين ـ أى رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل حتى كثر رنينهم ـ أى صياحهم وبكاؤهم ـ على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على « شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ الْمُسْمِعاتِ الشُّرُو ... بَ بَيْنَ الحرير و بين الكتن (١)

(٢) الضمير فى « غناءه ، وأنينه » للشرب ؛ والضيغم : الأسد ، والعرين : مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطربه أنينا ، لما ألم به من قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطئتها وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطئت خيله جبينه وهو يقودها إليه لايعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طعينه : مطعونه . يقول : إذا طعن إنسانا شرفه بطعنه إياه ، لأنه رآه أهلا المبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لايقرب الزنا .

---

(١) الكتن : الكتان ، حذف الأعشى « الألف » من الكتان وسماه الكتن للضرورة قال ابن [illegible] : لم أسمع الكتن فى الكتان إلا فى شعر الأعشى ، والمسمعات : المغنيات جمع مسمعة .



أَبْيَضَ ما فِي تَاجِهِ مَيْمُونُهُ(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ(٢)

* شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ(٣) *

إِنْ تَدْعُ يَا سَيْفُ لِتَسْتَعِينَهُ يُجِبْكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سِينَهُ(٤)

أَدامَ مِنْ أَعْدائِهِ تَمْكِينَهُ مَنْ صانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ(٥)

* * *

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وأنشده إياها بآمد :

أَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجاعَةِ الشُّجْعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي(٦)

فَإِذا هُما اجْتَمَعا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْياءِ كُلَّ مَكانِ(٧)

---

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير العطاء — يصغر كل ملك بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تتمنى أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر الضمير فى «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى الممدوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف-مستعينا- ، أجابك قبل إتمام سين السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله - الذى صان هذا الممدوح وصان دينه من أعدائه - تمكينه منهم - من أعدائه - فالضمير فى « نفسه » للممدوح ، وفى «دينه» لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استئناف . يقول : إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هى خرق . والحاصل أن العقل — فى ترتيب المناقب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) هما : فاعل لمحذوف يفسره المذكور، والأصل: إذا اجتمعا اجتمعا، فحذف الفعل الأول وانفصل ضميره ، والمرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وعزة النفس ، وأصل المرة إحكام الفتل . يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الفَتَى أَقْرَانَهُ ... بالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ(١)

لَوْلاَ العُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ ... أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسَانِ(٢)

وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ ... أَيْدِي الكُمَاةِ عَوَالِيَ المُرَّانِ(٣)

لَوْلاَ سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ ... لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ(٤)

خَاضَ الحِمَامَ بِهِنَّ حَتَّى مَا دُرِي ... أَمِنِ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ(٥)

وتروى مرة ـ بضم الميم ـ من المرارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى الذل والضيم ولا تلين قناتها الأعداء : بلغت أعلى المبالغ من العلى .

(١) الأقران : جمع قرن ــ بكسر القاف ــ وهو الكفء في الحرب ، يؤكد تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالمكيدة ولطف التدبير ودقة الرأى قبل أن يصرح بالقتال .

(٢)و(٣) الضيغم : الأسد ، والمراد بأدنى ضيغم : أدون ؛ فأدنى : أخس وأدون . وأدنى إلى شرف : أى أقرب . والكماة : جمع كمى ، وهو البطل المشتمل بالسلاح . والعوالى : صدور الرماح . والمران: الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان بالعقل ، فالآدمى أفضل من البهيمة بعقله، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال المأمون :الأجسام أبضاع ولحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لا لحم أطيب من لحم . وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح فى الحرب بالعقل ، ولولا العقل ماعرفت الأيدى تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل بالعقل . قال الخطيب التبريزى : غزت «تميم» حنيفة فاستاقت أموالا ورجالا ، فباتت حنيفة ثلاثا ، ثم تبعوهم ، فقيل لغلام منهم : كيف صنع قومك بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جعلوا المران أرشية الموت ؛ فاستبقوا بهـا أرواحهم .

(٤) سمى سيوفه : يعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد السيف . يقول : لولا سيف الدولة ماأغنت السيوف شيئا ، ولكانت فى قلة الغناء كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال : إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول: خاض الحمام ـ الموت ـ بسيوفه حتى لم يعلم أذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِى الْعُلَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانِ (١)
تَخِذُوا الْمَجَالِسَ فِى الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الْفِتْيَانِ (٢)
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنُ فِى الْـ ـهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِى الْمَيْدَانِ (٣)
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ إِلاَّ إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوطَانِ (٤)
كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ فِى قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْأَحْزَانِ (٥)
إِنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدُعَاؤُهَا يُغْنِى عَنِ الْأَرْسَانِ (٦)

نسيان الموت وغفلة عنه ؟ ودرى : مجهول « درى » لغة طيء . وثانى مفعولى « درى » محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) المدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أى أهل الزمان الحاضر : فـ « أل » فيه للعهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ مابلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تخذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لايليق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أيامه عليها فى الغارة على أعدائه .

(٣) الوغى والهيجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لعب : أى إذا لعبوا فى الميدان فتطاعنوا بالرماح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب ، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ماهو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من المعركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقة : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوغى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تبرح من مكانها



في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبارُهُ ... فَكَأَنَّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ(١)
يَرْمِي بِها البَلَدَ البَعِيدَ مُظَفَّرٌ ... كُلُّ البَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دانِ(٢)
فَكَأَنَّ أَرْجُلَها بِتُرْبَةِ مَنْبِجٍ ... يَطْرَحْنَ أَيْدِيَها بِحِصْنِ الرّانِ(٣)
حَتّى عَبَرْنَ بِأَرْسَناسَ سَوابِحاً ... يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمائِمَ الفُرْسانِ(٤)
يَقْمُصْنَ في مِثْلِ المُدَى مِنْ بارِدٍ ... يَذَرُ الفُحُولَ وَهُنَّ كالخِصْيانِ(٥)

فكأنها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جنى : وهذا كقوله .

تُعَطَّفُ فِيهِ والأَعِنَّةُ شَعْرُها ... وتُضْرَبُ فيه والسِّياطُ كَلامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها؛ ولكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكأنها تبصر بآذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحتري :

ومُقَدَّمِ الأُذُنينِ تَحسِبُ أنه ... بهما رأى الشخصَ الّذي لِأَمامِه

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو ـ الجرى ـ يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أي كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جنى : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أرسناس : نهر بالروم ، بارد الماء جداً ، يريد ـ لسرعتها في السباحة ـ تنتشر عمائم فرسانها . .

(٥) يقمصن : يثبن . والمدى : جمع مدية ـ السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذى هو كالمدى ـ السكاكين ـ لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر ـ يدع ـ الفحل كالخصى لتقلص . خصيتيه لشدة برده



وَالْمَـاءُ بَيْنَ عَجاجَتَيْنِ مُخَلِّصٌ ... تَتَفرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ (١)
رَكَضَ الأَمِـيرُ وَكَالُّلجَيْنِ حَبَابُهُ ... وَثَنَى الأَعِنَّـةَ وَهْوَ كَالْعِقْيَانِ (٢)
فَتَلَ الحِبَالَ مِنَ الْغَدائِرِ فَوْقَهُ ... وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ (٣)
وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَـيْرِ قَوَائِمٍ ... عُقْمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الأَلْوَانِ (٤)
تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الخُيُولُ كَأَنَّهـا ... تَحْتَ الحِسَانِ مَرَابِضُ الغِزْلَانِ (٥)

---

(١) العجاجة : الغبرة . يقول : إن الجيش صار فريقين فى عبور هـذا النهر: فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج ـ غبار ـ والماء بينهما،فالعجاجتان تفترقان بالمـا وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جنى : يعنى عجاجة المسلمين وعجاجة الروم قال الواحدى : وليس كما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ماكانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ماذهب إليه ابن جنى . قال ابن جنى : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقتا ، وقلما تثور العجاجة فى الشتاء ؛ قال : وسألته : أى المتنبى ـ عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان فى حزيران ـ وقال هو من أبرد المياه فى كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تعلو المـاء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يكون فى رأس الفرس ؛ والعقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والمـاء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة.يقول اتخذ حبال سفنه من ذوائب سباياه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماض، والضمير للماء . وعادية : أى راكضة،من العدو ـ الركض ـ وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة ـ مطلية بالقار ـ شبه السفن بالخيل العادية والخيل لها قوائم ، ومن عادتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتها الفوارس وكأنهن غزلان والسفن



بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ ... مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ [1]

فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى ... رَاعَاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِي حَمْدَانِ [2]

الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ ... ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِي التِّيجَانِ [3]

مُتَصَعْلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ ... مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ [4]

يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ ... أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ [5]

مرابض لها ، هذا : والمرابض جمع مربض ، وهو مأوى الغنم والوحش ويجمع مربض على مرابض وأرباض ، قال العجاج يصف الثور الوحشي :

واعْتَادَ أَرْبَاضًا لَهَا آرِيُّ ... مِنْ مَعْدِنِ الصِّيرَانِ عُدْمُلِيُّ [1]

(١)و(٢) بحر أى هو — النهر — بحر الخ . وأذم له من فلان . أجاره منه . والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق . وبنو حمدان : عشيرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف الدولة بحر تعود أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته أنت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٣) المخفرين: نعت بنى حمدان ، أو منصوب على المدح . ويقال : خفرت الرجل : إذا أجرته وأخفرته: إذا نقضت عهده . والأبيض: السيف .والصارم :القاطع . والذمم جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاءهم ، فكأنهم فى خفارتها جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لامال لهم وعلى كثافة ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وفخامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك . لتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماً ولينا

(٥) التقيل : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق من الخيل . والأجل وقت الشىء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

---

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها آرى : أى لها آخية من مكانس البقر لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت. وقد تسمى الآخية آريا ، وهو حبل تشد به الدابة فى محبسها ، والعدملى: القديم

خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ الْمَنَاصِلُ عَنْوَةً ... وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدْيَانِ(١)

وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ ... وَالسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ(٢)

وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا ... وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ(٣)

نَظَرُوا إِلَى زُبَرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا ... يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعِقْبَانِ(٤)

والظليم الذكر من النعام . والربقة : العروة من حبل يشد بها والسرحان : الذئب . يقول : إذا خرجوا فى الغارات استظلوا عند اشتداد الحر بظل خيولهم ، يعنى أنهم مثل البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا ــ من القيلولة ــ لجأوا إلى ظلال خيلهم .
ومعنى قوله :

* أجل الظليم وربقه السرحان *

أنها ــ الخيل ــ إذا طردت النعام والذئاب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو :
وهذا من قول امرىء القيس :

بُمنجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيكلِ

وامرؤ القيس هو أول من قال «قيد الأوابد» ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومى فى الغزل :

وحدَيثُهَا السِحْرُ الحلالُ لوَ اُنهُ ... لمَ يَجنِ قتلَ المُسلمِ المتحرِّزِ

إن طَالَ لَمْ يُمللْ وَإن هِى أوجزَتْ ... وَدَّ المحدَّثُ أنهَا لَمْ تُوجزِ

شركُ العقُولِ وَنُزْهَةٌ ما مِثلُها ... لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلةُ المُستوفِزِ

ورواية يتقيلون : هى رواية ابن جنى ، وذهب فى معناها مذهبا غير الذى أسلفنا ، قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين فى الشرف والسبق إليه كالفرس المطهم . وقال ابن فورجه وابن القطاع : إنما الرواية يتفيأون ، يعنى أنهم يستظلون فى شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالتغرب والتبدى ــ أى التشبه بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنوة : أى قهرا .

(٢)و(٣)و(٤) على الدروب : صلة نظروا فى البيت الثالث ــ أو حال من ضميره ؛ والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : الذلة والعار ــ أى ما يغض من الإنسان ؛ والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة : وهى القطعة من الحديد والمراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الْحِمَامُ نُفُوسَهَا ... فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ[1]
مَا زِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكاً فِى الذُّرَى ... ضَرْباً كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ[2]
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا ... جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ[3]

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تعذر علينا الانصراف والرجوع ، لما فى ذلك من العار والفضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أمامنا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم — فى هذه الأحوال وفى هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع فى الهواء — عند رفع الأبطال إياها للضرب — كأنها تصعديا مناكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رءوسهم أو تقول : فى هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون فى الحديد، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشتماله عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان فى خفتها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والحمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا فى الحرب حيوا : أى يرون حياتهم فى قتلهم فى الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيي بهلاكه ، يعنى أنهم غزاة مجاهدون فى سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقا عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ ... لاَ يَيْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلا :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِى أَنْتَ سَائِلُهْ

وهو من الأخذ الخفى ، لأن زهيرا جعل الممدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل المتنبى هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل فى الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : المتابعة . والذرى جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . يقول: مازلت تضربهم ضربا متتابعا فى أعالى أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضا ، فكأنه سيفان . وقال ابن جنى : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير فى « خص » يعود على الضرب والجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا فى وجه أو فى رأس ، لأنه



فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا ... يَطَؤُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ (١)
يَغْشَاهُمُ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً ... بِمُثَقَّفٍ وَمُهَنَّدٍ وَسِنَانِ (٢)
حُرِمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ ... آمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ (٣)
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ ... شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْوَانِ (٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكأن أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا تتعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطؤون في هزيمتهم تلك القسى . التي رموك بها .

(٢) مفصلا : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة والمثقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطر يأتي دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالمطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرماح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان يعد نفسه مدركا أمله ، لأنه نجا بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال المعجمة — من عذت بالشيء : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أمله منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشيء تأميلا ، وأملته آمله أملا .

(٤) المهجة : الروح . والثائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب ثأر شغلته صيانة روحه عن إدراك ثأر إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك ثأر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظاهره هجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية الهجو ، لأن العرب تمدح الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة ثائر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقَ عَنِ العِوَادِ قَوَاضِبٌ ... كَثُرَ القَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ العَانِي (١)
وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ المَنَايَا فِيهِمِ ... فَأَطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمٰنِ (٢)
قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الجِبَالِ شُعُورُهُمْ ... فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِفَّةَ الغِرْبَانِ (٣)
وَجَرَى عَلَى الوَرَقِ النَّجِيعُ القَانِي ... فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الأَغْصَانِ (٤)
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَقَى الجَمْعَانِ (٥)

والثانى يكون « شغلته » صفة لثائر ، وهذا إن سلم من الهجاء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل فى الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وماينطق عن الهوى » أى بالهوى .

(١) العواد : المعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والعانى : الأسير . يقول : بعد ما أملوا من العود إلى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتلى منهم وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعنى سيف الدولة — أطاعته المنايا فى إهلاكهم — أى الروم — وهذه الطاعة : أى طاعة المنايا له هى طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد فى سبيل الله .

(٣) المسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض فى طيرانه . والضمير فى قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقانى : الشديد الحمرة . وأصله الهمز فلينه للتصريع . والنارنج : معروف . يقول : لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحمرته كأنه النارنج فى الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لايفزعون فى الحرب ، كما لاتفزع هى ولما ذكر قلوبهم استعار لها — السيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَما السيفُ إلاَّ بَزُّ غادٍ لِزِينةٍ ... إذا لمْ يَكنْ أمضَى من السَّيفِ حامِله

قال ابن جنى : قوله إن السيوف مع : يدل على معنى النصر والمعونة ، كما تقول : الله معنا : أى معين وناصر ، وليست فى معنى الصحبة ، لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها



تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ (١)
رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ ... قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النِّيرَانِ (٢)
أَنْسَابُ فَخْرِهِمِ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ... أَنْسَابُ أَصْلِهِمِ إِلَى عَدْنَانِ (٣)
يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ ... أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلاَكَ بِالْإِحْسَانِ (٤)
فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاظِرِى ... وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِى

***

وقال فى صباه فى المكتب :

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفاً يَوْمَ النَّوَى بَدَنِى ... وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ (٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الذين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين فى الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءه حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه فى الضريبة ، فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان فى يد الجبان لم يغن فى يده شيئاً ، كما لايغنى الجبان، لأن الفعل للضارب .

(٢) العماد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال: فلان رفيع العماد : إذا كان فى قومه شريفا ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف فى النسب والحسب ؛ والقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ والمواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رءوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رءوسهم وجعلوا جماجمهم أثا فى ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم فى الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لايمتنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتنى بإحسانك حتى قتلتنى : أى استعبدتنى بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبليه إبلاء . والأسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ماتقدمه ، لأن « إبلاء



رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مِثْلِ الخِلاَلِ إذَا ... أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ(١)

الهوى بدنه » يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف لـ« أبلى » ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومعنى إبلاء الهوى البدن : إذهابه لحمه وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح الهوى إنما يشتد عند الفراق . والهوى عذب مع الوصال ، سم مع الفراق ، كما قال السرى الرفاء :

وأرى الصبابة أَرْيَةً مالم يَشُبْ ... يوماً حلاوتَهــا الفِراقُ بِصَابِه

« أرية : فعلة من الأرى ، وهو العسل » يقول : أفضى الهوى ببدنى إلى الأسف والهزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .

(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛ ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا — على تذكير الروح — وأن تجعله مضارعا — على تأنيثها — وأصله تتردد — بتاءين — فحذفت إحداهما للتخفيف . والخلال : هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجىء فى بدن مثل الخلال فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبن » لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لخفته . قال الواحدى : وأقرأنى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال ، قال — العروضى — : أقرأنى أبو بكر الشعرانى خادم المتنبى : الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الوأواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وما أبقَى الهوَى والشوْقُ مِنِى ... سِـــوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فى خيال

خَفِيتُ على النوائِبِ أنْ تَرانى ... كأنَّ الرُّوحَ مِـــنى فى مُحالِ

وهذا المعنى — كما قال الواحدى والعكبرى — كثير قد ألمت به الشعراء القدامى والمحدثون ، وأحسن ماقيل فيه قول بعضهم :

بَرانى الهوَى بَرْىَ المُدى وأذابنِى ... صُدُودُكَ حتى صِرتُ أنحلَ مِن أمْسِ

فلستُ أرَى حتى أراكَ وإنمـــا ... يَبِينُ هباءُ الذرِّ فى ألَقِ الشمسِ

وقول الآخر :

لمْ يبقَ إلا نفسٌ خافِتٌ ... ومُقْـــلةٌ إنسانُها باهِتُ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُــلٌ لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي[1]

(١) الباء فى « بجسمى » : زائدة ؛ وجسمى : مفعول « كفى » ونحولا : تمييز ؛ وأننى رجل : فى تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — اصاحبه — : كفانى نعل النحول بى أنى رجل لو لم أتكلم لم يقع على البصر : أى إنما يستدل على بصوتى ، كما قال أبو بكر الصنوبرى :

ذُبْتُ حتى ما يُسْتَــدَلُّ على أَنِّـ ـي حَيٌّ إلاَّ بِبَعْضِ كلامى

وأصل هذا المعنى قول الأخطل :

ضفادِعُ فى ظَلماءِ ليلٍ تجاوبَتْ فدلَّ عليها صَوْتُها حيّةَ البَحرِ

ونزولا على حكم خطتنا فى هذا الشرح نورد ماذكره ابن الشجرى فى تعليقته النحوية على هذا البيت قال فيه سؤال فى الإعراب بين « كفى بجسمى نحولا » وبين « كفى بالله » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها فى تأويل المصدر كقولك : بلغنى أنك ذاهب ، أى ذهابك ، فبأى مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبتى » وصف لرجل ، و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال : لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » مماعلت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ، وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله . والمعنى : كفى الله ، والذى يدلك على أنها مزيدة فى « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشيْبُ والإسْلام لِلمْرءِ نَاهِيا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففى مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنا فضْلا على مَنْ غيرنا[1] *

وكفى بجسمى ، لأن فاعل كفى : « أن » ومابعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا بما دل الكلام عليه من النفى بـ« لم » ، وامتناع الشىء لوجود غيره بـ« لولا » ، والتقدير : كفى بجسمى نحولا انتفاء رؤيتى لولا وجود مخاطبتى ، و « نحولا » نصب على التفسير ، والتفسير فى هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيلا » فوكيلا تفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حبُ النبيِّ محمــــد إيّانا *

. . . .

لاسم الله ، ونحولا : تفسير لانتفاء الرؤية ، كما أن « فضلا » فى بيت حسان تفسير لحب النبى صلى الله عليه وسلم إياهم ، فهذا فرق فى الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بجسمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و « بجسمى » مفعولا ، وإنما زيدت الباء فى نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك بزيد ، وأما قوله : « أننى رجل » فخبر موطئ ، والخبر فى الحقيقة هو الجملة التى وصف بها رجل ، والخبر الموطئ هو الذى لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة فى نحو : « إنا أنزلناه قرآناً عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرت هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كالزيادة فى الكلام ، فلذلك عاد الضميران اللذان هما « الياءان » فى « مخاطبى » و « ترنى » إلى الياء فى « أننى » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة فى الحقيقة خبر عن « الياء » فى « أننى » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التى فى « أننى » من حيث وقع خبراً عنها عاد الضميران إليه على المعنى كان قولا ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذى » فى قول على عليه السلام :

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره *(١)

لما كان فى المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله فى القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل الغيبة ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذى هو « أنتم » فى الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء فى الشعر بغير ضرورة قوله :

أأكرم من ليلى علىّ فتبتغى ... به الجاه أم كنت امرأ لا أطيعها

---

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة فى أن هذه الأبيات لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه :

أنا الذى سمتنى أمى الحيدره ... كليث غابات غليظ القصره

* أكيلكم بالسيف كيل السندره *

الحيدرة : الأسد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكيال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تكيل كيلا وافيا .



وقال فى صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّى الْفَتَى الَّذِ ى ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ[1]
وَمَجْدِى يَدُلُّ بَنِى خِنْدِفٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِ[2]

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئ ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاعة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفتى : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتى تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، ينسب إليها أحد فخذى مضر . يقول : إن شرفى يدلهم على أن كل كريم يمنى ـ أى من قبائل اليمن ـ لأنى منهم . ولنعد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهى امرأة إلياس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابخة وقمعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابخة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيداً ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة ، فجاءت أمهما تمشى فقال لها : أنت خندف[1] وأما قمعة فيقال إن خزاعة من ولده ، من ولد عمرو بن لحى الذى هو ابن قمعة ابن إلياس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيته يجر قصبه فى النار »[2] .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاعة بن معد — وكان قضاعة بكر معد ، وكان به يكنى — وقنص ابن معد ، فأما قضاعة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

---

(١) الخندفة : مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أثر ابنها : أى أسرعت ، وأما « قمعة » فسمى كذلك لأنه انقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أنا ابنُ اللِّقــاء أنا ابنُ السَّخاء   أنا ابنُ الضِّراب أنا ابنُ الطِّعان[1]
أنا ابنُ الفيافي أنا ابنُ القوافي   أنا ابنُ السُّروج أنا ابنُ الرِّعان[2]
طويلُ النِّجادِ طويــلُ العِمادِ   طويلُ القَناةِ طويلُ السِّنانِ[3]

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى فى العرب ، واليمن تقول : قضاعة ابن مالك ، وأنشد عمرو بن مرة الجهنى :

نحنُ بنو الشيخ الهجانِ الأزهر[1]   قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حمــيرِ

* النسبِ المعروفِ غيرَ المُنكرِ *

وأما «قنص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر ؛ وقوله « كل كريم يمان » يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبإ ، وقد جاء فى مدح اليمن ما فيه كفاية ؛ ويكفيهم فخرا قوله عليه الصلاة والسلام : « الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا »

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حق قالوا لطير الماء : ابن الماء . واللقاء : ملاقاة الأقران فى الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا أفارقها .

(٢) الفيافى : جمع فيفاء ، وهى الفلاة ؛ والقوافى : جمع قافية ، وهى فى الأصل آخر البيت ، وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجيدها وأبدع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكى طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح به العرب .

* وإنّ أعِزّاء الرجالِ طِيالُها *

والعماد : عمود الخيمة الذى تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

---

(١) الهجان : الكريم ؛ والهجان من كل شىء : الخالص ، مأخوذ من الهجان ، وهو الأبيض .



حديدُ اللِّحاظِ حَدِيــدُ الحِفاظ حَديدُ الحُسامِ حَديدُ الجَنانِ(١)
يُسابِقُ سَيْــفِى مَنايا العِبادِ إلَيْهِمْ كأنَّهُما فى رِهانِ(٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة ـ الرمح ـ يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحاظ : طرف العين مما يلى الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه فى الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحسام السيف القاطع . والجنان : القلب يقول : هذه الأشياء منى حديدة ـ قوية ـ

(٢) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والرهان : السباق . يقول: سيفى يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال عنترة :

وَأنا المنيةُ فى المواقِفِ كلهــا وَالطعنُ مِنِّى سابِقُ الآجال

ومثله قول أبى تمام :

يكادُ حِينَ يُلاقِى القِرنَ مِنْ حَنَقٍ قَبلَ السِنانِ عَلَى حَوبائِهِ يَرِد(١)

هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا — أى خاطرته — وهو الرهن الذى كانوا يرهنون فى سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأنشدوا لهمام بن مرة وفى الصحاح لعبد الله بن همام السلولى :

فَلما خشِيتُ أظافِــيرَهمْ نجوتُ وأرْهَنتهمْ مالــكا
غَريباً مُقِيماً بدارِ الهــوا نِ أهوِنْ علىَّ بِهِ هالــكا
وأحْضَرتُ عُذْرِى عليهِ الشهُو دَ إنْ عاذِراً لى وَإنْ تاركا
وقدْ شهِدَ الناسُ عندَ الإما مِ أنى عَدو لِأعدائِــكا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعى فإنه رواه وأرهنهم عطفا لفعل مستقبل على فعل ماض وشبهه بقولهم : قمت وأصك وجهه ، لأن الواو واو الحال . فيجعل « أصك » حالا للفعل ، وقد عاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة » وقال : هى قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا شاذا ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

---

(١) الحوباء : النفس .



يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ   إِذَا كُنْتُ فِى هَبْوَةٍ لاَ أَرَانِى[١]
سَأَجْعَلُهُ حَكَماً فِى النُّفُوسِ   وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِى كَفَانِى[٢]

* * *

وقال أيضا فى صباه :

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ تَكْرِمَةً   ثُمَّ اسْتَوَى فِيكِ إِسْرَارِى وَإِعْلاَنِى[٣]

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « ولبيوتهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعكبرى »

(١) الضمير فى « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة فى الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيفى قلوب الأعداء فيهتدى إليها حين يظلم الغبار فى الحرب حتى لايرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعٍ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ   بَصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ

[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَزْرَقَ نَظَّارٍ بِلاَ نَظَرٍ   إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِى مَتْنِهِ أَوَدُ

هذا : قوله : لا أرانى قال الواحدى : لا يجوز أرانى بمعنى أرى نفسى، وإنما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظننتى وحسبتنى وبابهما ؛ وقد جاء شاذا : فقدتنى وعدمتنى ، ولا يقال ضربتنى ولا رأيتنى ولا أكرمتنى ، وإنما يقال ضربت نفسى وأكرمت نفسى فكان الواجب أن يقول: لا أرى نفسى ، وقد جاء رأيتنى ، فحمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائى من شئت ولسانى كسيفى فى الحدة ، فلو جعلت لسانى مكان سيفى لاكتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير فى أعدائى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف ـ بأن يطيعوا أمرى ـ لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكرمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا ـ ويجوز أن يكون معنى



كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كِتْمَانِي[1]

* * *

ودخل على علىّ بن إبراهيم التنوخى فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إذا مَا الكَأْسُ أَرْعَشَتِ اليَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي[2]

تكرمة : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعنى لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدى كما يفيض الماء إذا زاد على ملء الإناء ، وصار سقمى بالحب فى جسم الكتمان : أى سقم كتمانى وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبارة ابن الشجرى فى أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفيض ثم قال — المتنبى — فصار سقمى لما أفرط حبى فى الزيادة وصار كالشىء الفائض — صار سقمى قويا به وانتقل إلى جسم كتمانى فأذابه وأضعفه . فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف مخفيه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جنى — دل الكتمان على ، قال وهذا فى بدائعه ، وفى هذا القول اختلال فى الإعراب وفساد فى المعنى وتناقض فى اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التى بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمى به — أى بالكتمان — فى جسم كتمانى ؛ ففى هذا اختلال فى الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذى أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهى الرعدة: أى حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بينى وبينى أى بينى وبين عقلى . يقول : غيرى يشرب الخمر حتى ترعش يداه سكرا ، أما أنا فإنى أبقى على صحوى : أى لا أشربها حتى لا تحول الكأس بينى وبين عقلى ، قال ابن جنى . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عجبتُ منكَ ومنّى أفنيتَنِي بكَ عنّى
أقمتَنى بمقامٍ ظننتُ أنك أنّى



هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى ... فَخَمْرِى مَاءُ مُزْنٍ كَاللُّجَيْنِ[١]
أُغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهْىَ تَجْرِى ... عَلَى شَفَةِ الأَمِيرِ أَبِى الْحُسَيْنِ[٢]
كَأَنَّ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا ... بَيَاضٌ مُحْدِقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ[٣]
أَتَيْنَاهُ نُطَالِبُـــهُ بِرِفْدٍ ... يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ[٤]

* * *

(١) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللجين : الفضة . وقوله كالذهب المصفى : حال من « الخمر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لاأشرب الخمر وحسبى الماء .

(٢) هذا من قول أبى تمام :

أُغَارُ مِنَ القَمِيصِ إِذَا عَلاهُ ... مَخَافَةَ أَنْ يُلامِسَهُ القَمِيصُ

ومن قول الخبز أرزى:

مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقٍ وَدِقَّةِ غَيْرَتى ... أَنِّى أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكَيْكَا
وَلَوِ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لفظَكَ غَيْرَةً ... أَنِّى أَرَاهُ مُقَبِّــلاً شَفَتَيْكَا

وقال الواحدى : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأمراء لايغار على شفاههم : ويقول من يعذره ـ المتنبى ـ إنما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر ، لأنهما ـ أى شفتيه ـ للأمر والنهى والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجة نالت ما لم ينله أحد ، فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجة ذلك

(٣) الضمير فى « بياضها » للزجاجة ، والراح الخمر ؛ وأحدق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجة البيضاء ـ وفيها هذه الخمر السوداء ـ بياض محدق بسواد عين .

(٤) الرفد : العطاء . يقول : إن الرفد الذى سألناه إياه عده هو دينا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِلْمُلِمِّ بِهِ وَحَاشَا ... نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلاَّ نَدًى كَالدَّيْنِ حَلَّ قَضَاؤُهُ ... إِنَّ الكَرِيمَ لِمُعْتَفِيهِ غَرِيمُ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحُبُّ ما مَنَعَ الْكَلامَ الْأَلْسُنا وَأَلَذُّ شَكْوَى عاشِقٍ ما أَعْلَنا[1]

(١) ما — فى الشطرين موصولة بمعنى « الذى » خبر عن المرفوع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما فى قلبه منه كما قال المجنون :

ولمّا شَكَوْتُ الحُبَّ قالَتْ كَذَبْتَنى فما لِى أرَى الأعضاءَ منْكَ كَوَاسِيَا

فما الحُبُّ حتَّى يلصقَ الجِلْدَ بالحَشا وَتخرَسَ حتَّى لا تُجيبَ المُنَادِيا

وكما قال قيس بن ذريح :

وما هُوَ إلاَّ أن أراها فُجاءَةً فأبْهَتَ حتى ما أكادُ أُجيبُ

قال الواحدى : والظاهر أن « ما » — فى قوله ما منع — نفى ، لأن المصراع الثانى حث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

فَبُحْ باسْمِ مَنْ تَهْوَى ودعنى مِن الكُنَى

فلا خَيْرَ فى اللَّذَّاتِ مِن دونِها سِتْرُ

ويقول على بن الجهم :

تهتَّكْ وَبُحْ بالعشقِ جهراً فقلّما يطيبُ الهوَى إلاَّ لِمُنْهَتِكِ السترِ

ويقول السرى الرفاء :

ظَهرَ الهوى وتهتَّكتْ أستارُهُ والحُبُّ خَيْرُ سبيلِهِ إظهارُهُ

أعصِى العواذِلَ فى هواه جَهارَةً فألَذُّ عيشِ المُسْتهام جِهارُهُ

ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نفيا ؛ هو ما يظهر من التناقض فى البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع المحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألذ الشكوى: الإعلان . هذا : و « الألسنا » يروى بفتح السين — أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللغة أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِى هَجْرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِي صِلَةَ الضَّنَا[1]
بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتُقِعْنَ تَلَوُّنَا[2]
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا[3]

إِنِّى أَنْتَنِى لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لاَعَجَبٌ مِنْهَا وَلاَ سَخَرُ[1]

وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الحطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّى فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِى جَوْفِ عِكْمِ[2]

ومن أنثه : قال فى جمعه ألسن ؛ كذراع وأذرع؛ ومن ذكره : قال فى جمعه ألسنة كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث ، وقد تقدم ذلك فى هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ وواصلى : خبر « ليت » ؛ والكرى: النوم ؛ والجرم : الذنب ؛ والضنى : المرض والهزال . يقول : ليت الحبيب الذى هجرنى من غير ذنب كهجر النوم لأجفانى يواصلنى كمواصلة الضنى لجسمى من أجل صده وبعده عنى : يعنى أن الضنى ملازم له ، فتمنى أن يكون وصل الحبيب ملازما له ملازمة الضنى جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، ويروى « بتنا ولوحليتنا » و« بتنا » تامة ؛والواو بعدها حالية ، و« امتقعن » يروى سفعن: وهو بمعنى امتقعن؛ وحليتنا :وصفت حليتنا؛ وهى هيئة الشخص ومايتميز به ، وامتقع لونه : تغير حياء أو خيفة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ماقدرت لتغير ألواننا ، فكنت لاتدرى بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، فحذف « أن » وبقى الفعل مرفوعا ، وقد مرت له نظائر . والعواذل :جمع العاذلة ـ اللائمة ـ يقول : لشدة حرارة الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العواذل أن يحترقن فما بيننا ، قال الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان ينم على مافى قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

---

(١) مطلع قصيدته التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى .

(٢) فليت بأنه : يروى فليت بيانه: ويروى وددت بأنه ؛ والعكم : داخل الجنب ، على المثل بالعكم الذى هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .



أَفْدِي الْمُوَدِّعَـــةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا ... نَظراً فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا(١)

أَنْـكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ... ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا(٢)

وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلاَ وَرَكَائِبِي ... فِيهَا وَوَقْتَيَّ الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا(٣)

الخطيب التبريزى : وجه الإشفاق أن ينم إحراقهن على ماكانوا فيه من حر أنفاسهم . هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، ونزيد هنا أن الشفقة الخيفة والمحبة ، وهى الاسم من الإشفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو لابن المعلى :

تَهْوَى حَيَاتِى وأَهْوى مَوْتَها شفقاً ... والمَوْتُ أَكرمُ نَزَّالٍ على الحرَم

وأشفقت عليه فأنا مشفق وشفيق ، وإذا قلت أشفقت منه فإنما تعنى حذرته ، وأصلهما واحد ، ولا يقال شفقت ، وقال ابن دريد : شفقت وأشفقت بمعنى ، وأنكره أهل اللغة .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس الحار ، وسكن « فاءه » ضرورة . و« ثنا » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هـذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فـكلما نظرت إليهـا نظرة واحـدة زفرت زفرتين ، لشـدة ما فى صـدرى من حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه وهجيره وهجيراه .

يقول . أنـكرت حوادث الدهر أول ما طرقتنى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت فى قصدى ، ثم لمـا كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتينى ، فصارت عادة لى لا تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعتُ بالْبَيْنِ حتى ما أُرَاعُ لَهُ ... وَبالْحَوَادِثِ فى أهلى وَجيرانِى

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المفازة البعيدة . والركائب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛ والموهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات بالمسير ، وقطع المركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والنهار بقطع المسافات ، يعنى أنه قطع المكان والزمان والمركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنث ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،



وَوَقَفْتُ مِنها حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الْمُنَا[1]

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد ونغر (١) ، وهو ظرف غير متمكن ؛ مثل سحر ، يقول لقيته ضحى وضحى ، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه، قال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهرى : ثم بعد الضحى : الضحاء ، ممدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيت ، كما تقول من الصباح أصبحت ، ومنه قول عمر رضى الله عنه: أضحوا بصلاة الضحى : أى صلوها لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى ، ويقال أضحيت بصلاة الضحى : أى صليتها فى ذلك الوقت ؛ وقد أسلفنا القول على «الضحى » فى هذا الشرح بأن وفى من ذلك .

(١) منها : أى من الدنيا ؛ ويروى : فيها . ويقال وقفت ووقفنى زيد ووقفت دابتى ووقفت وقفا للمساكين ، فقوله أوقفنى الندى : معناه عرضنى للوقوف ، قال أبو عمرو بن العلاء : لو قال رجل فلان أوقفنى — أى عرضنى للوقوف — لم أر بذلك بأسا ؛ وأوقفته : لغة عند بعضهم : والمنى : جمع منية ، وهى الشىء الذى تتمناه . يقول: وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود — يريد عند الممدوح — أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر ، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من المخالص الحسنة . هذا : وحذف التنوين من « عمار » — كما قال الشراح وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك — لالتقاء الساكنين كقوله تعالى « وآتينا ثمود الناقة » ، قال العكبرى : قرأه القراء كلهم بغير تنوين ، وكلهم صرف « ثمود » إلا حمزة وحفصا ووافقهما أبو بكر فى آخر سورة النجم، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى « لثمود » ، قال : وقد يجوز عندنا — وهو كوفى — إسقاط التنوين فى الشعر ، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حنين للنبى صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ يفوقانِ مِرداسَ فى مجمعِ[1]

فكلهم رووه مرداس — من غير تنوين .

---

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير ، الجمع صردان ، والنغر : طائر يشبه العصفور ، تراه صغيرا ضاويا ، وتصغيره نغير ، وجمعه نغران .

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح .



لِأَبِى الْحُسَيْنِ جَدًى يَضِيقُ وِعَاؤُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا(١)
وَشَجَاعَــــةٌ أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا(٢)
نِيطَتْ حَمَــائِلُهُ بِعَاتِقِ مِحْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى(٣)
فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِـــهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا(٤)
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِـــدَّةُ ذِهْنِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيَقُّنَا(٥)

---

(١) الجدا : العطاء ـ أى ماتعطيه مجتديك ـ يقول: إن عطاء لايسعه وعاء ولوكان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شىء فحسبك به عظما .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » ـ فى البيت السابق ـ يقول : إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ،لأنه يسمع مايتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت: علقت . والحمائل : علائق السيف والعاتق : مابين المنكب والعنق. والمحرب : صاحب الحرب الممارس لها ، ويعنى به : الممدوح ـ على جهة التجريد ـ وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ وانثنى : رجع . يقول : علقت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بعد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

أَللهُ يَعْــلَمُ إِنِّى لَسْتُ أَذْكُرُهُ وكيفَ أَذْكُرُهُ إذ لستُ أنساهُ

قال ابن جنى : الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قد يصفون الكر بعد الأحياز، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرد ـ إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لاينثنى.

(٤) يقول : لشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعنا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّعْنِ فى حَوْمَةِ الوغَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِى مِنْ وَرَائِــكَا

(٥) التوهم : خلاف التيقن. وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقينا ، لا وهما

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّـــــارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ   فَيَظَلُّ فى خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّنَا[١]
أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَـوْفَ لَهُ قَدٌ   وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَثَمَّ لَهُ هُنَا[٢]
يَجِدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَـةِ جِلْدِهِ   ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الْحَرِيرِ وَأَلْيَنَا[٣]
وَأَمَرُّ مِنْ فَقْدِ الْأَحِبَّـةِ عِنْدَهُ   فَقْدُ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا[٤]

---

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبغتاته، جمع بغته، وهو مايفعل فجأة؛ والتكفن: لابس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بغتة ويهجم عليه من حيث لايدرى فيظل لابس كفنه توقعا لبغتته وتأهبا للموت. ومتكفنا؛ قال الواحدى: يروى متلفنا؛ والتلفن: التندم على مافات؛ يعنى أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: للاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المتراخى؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلا عند غيره يعده ماضيا لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، ومايكون من المطالب بعيدا على غيره يعده حاصلا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات ـ سوف وقد وهنا ـ استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين. يقول: إنه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونعومته، وفى هذا نظر إلى قول البحترى:

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِراً   إِذَا زَعْزَعُوها والدُّرُوعَ غَلَائِلَا[١]

(٤) أمر: خبر مقدم؛ وفقد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبب، فإذا فقد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبداً مستعملة فى الحروب.

---

(١) المخاصر: جمع مخصرة، مايأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.



لاَ يَسْتَـكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْماً وَلاَ الإِحْسَانُ أَنْ لاَ يُحْسِنَا[١]
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَـــدٍ فَـكَأَنَّ مَا سَيَـكُونُ فِيهِ دُوِّنَا[٢]

---

(١) استكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشىء إذا حذقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، وألا يحسنا : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبنى ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبنى الضرب زيدا . يقول : إن الرعب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لايخشى مخلوقا، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أن يُحْسِنَ حَـتَّى إذَا رَامَ سِوَى الإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : الهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشجرى : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بحرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيـئِى بِنَا أَوْ أَحْسِنِى لاَ مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلاَ مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ[١]

والثانى : يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقا فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمَتْ بَسْبَاسَـةُ الْيَوْمَ أَنَّنِى كَبِرْتُ وَأَنْ لاَ يُحْسِنَ اللَّهْوَ أَمْثَالِى

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعلمه . ودون الشىء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، ويروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

---

(١) تقلى الشىء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غايب ،

تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ... مِثْلَ الَّذِى الأَفْلَاكُ فِيهِ وَالدُّنَا(١)

مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِن طُلَقَائِهِ ... مَنْ لَيْسَ مِمَّنْ دَانَ مِمَّنْ حُيِّنَا(٢)

لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاحِلِ نَحْوَنَا ... قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَحْشَةٌ مِنْ عِنْدِنَا(٣)

أَرِجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ ... إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّذَا مُسْتَوْطِنَا(٤)

---

(١) الدنا : جمع دنيا ـ مثل كبر وصغر ، فى جمع كبرى وصغرى ـ . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا الممدوح كما تقاصرت عن علم الشىء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ماوراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهى من الأعلى والأسفل . فقوله «مثل» بالنصب ـ صفة لمصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك الذى الخ . ورواها بعضهم مثل ـ بالرفع ـ على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل الذى الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل — بالرفع — ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا الممدوح فى معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثير يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جنى : لقد أفرط — المتنبى — جداً ، لأن الذى فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذى أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينا ـ بضم الحاء ـ أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه ومن عليه بالعفو ومن لم يطعه وليس من أهل طاعته فهو من الهالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إلينا تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذى انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلى :

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطَمِيَّةً ... لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّأْيَتَيْنِ أَرِيجُ(١)

---

(١) أراد بالبالة الرائحة والشمة ، مأخوذ من بلوته ، أى شممته وأصلها بلوة فقدم



لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِى قَابَلْتهـا مَدَّتْ مُحَيِّيَـةً إِلَيْكَ الأَغْصُنَا(١)
سَلَـكَتْ تَمَاثِيلَ القِبَابِ الجِنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَدَرْنَ فِيكَ الأَعْيُنَا(٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال العجير السلولى، وقيل لعمرو بن الأطنابة :
إذا ما مَشَتْ نَادَى بما فى ثِيابِهـا ذَكِىُّ الشَّذا والمَندِلىُّ المطــيَّرُ(١)
يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته ، فما مررت بطريق إلا صارت الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق بـ« مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :
يَكَادُ يُمسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتلِمُ
وقال البحترى :
فَلَوَ انَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِى وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المِنْــبَرُ

(٢) القباب : جمع قبة ، وهى الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب . والمراد بالتماثيل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التى فيها تكاد من صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخللتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور — أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ، ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى : المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتماثيل القباب للنظر إليك : وتماثيل القباب : هى القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك دخلت فى الصور المنقوشة على القباب التى فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة والطمية العنبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت رائحتها والدأية : فقار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا اتكأت ؛ وقيل الشذا فى هذا البيت المسك ، والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندل » بلد بالهند يجلب منه العود والمطير ، قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من صنعته ، وقيل المطير المشقق المكسر .

طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِلْنَـا أَنَّهَا ... لَوْلَا حَيَاءٌ عَاقَهَا رَقَصَتْ بِنَـا (١)

أَقْبَلْتَ تَبْسِمُ وَالْجِيَـادُ عَوَابِسٌ ... يَخْبُبْنَ بِالْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا (٢)

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا ... لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمْكَنَا (٣)

وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُـلُوبُ خَوَافِقٌ ... فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّـةِ وَالْمُنَى (٤)

فَعَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى ... وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا (٥)

---

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها بقدومك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدومك غلب حتى ظهر فى البهيمة التى لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : فى موضع الحال — أى باسما — والجياد: الخيل ، جمع جواد — على غير قياس — والعوابس : جمع عابس ، وهو المكلح الوجه والخبب : ضرب من العدو . الحلق المضاعف : الدروع — والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ، والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وجيادك عوابس لطول سيرها وإثقالها بالدروع والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنابك : جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعثير : الغبار . والعنق : ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنابك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطاب السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتابى :

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مَنْ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ ... سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبِيضُ الْبَوَاتِيرُ

وأخذه العتابى من قول الأول :

وَأَرْعَنَ فِيـهِ لِلسَّوَابِـغِ لُجَّةٌ ... وَسَقْفُ سَمَاءٍ أَنْشَـأَتْهُ الْحَوَافِرُ

[الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والمنية : الموت ؛ والمنى : جمع منية ، مايتمناه الإنسان من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى فى حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قدلقى منيته ، وقاتل قد أدرك أمنيته : أى فإن كنت فى هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟ .

(٥) الظبى : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء . يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّى أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَراً ... فى عَسْكَرٍ وَمِنَ الْمَعَالِى مَعْدِنَا (١)

فَطِنَ الْفُؤَادُ لِمَا أَتَيْتُ عَلَى النَّوَى ... وَلِمَا تَرَكْتُ مَخَافَةً أَنْ تَفْطُنَا (٢)

أَضْحَى فِرَاقُكَ لِى عَلَيْهِ عُقُوبَةً ... لَيْسَ الَّذِى قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّنَا (٣)

فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَاحْبُنِى مِنْ بَعْدِهَا ... لِتَخُصَّنِى بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا (٤)

وَانْهَ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِىَّ بِضَلَّةٍ ... فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزِّنَا (٥)

كثرة السيوف فى ذلك اليوم حتى ذهلت فعجزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظرى ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قالوا : وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا ... عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إنى أراك عسكراً فى عسكر من المكارم : أى أنت فى نفسك عسكر وحولك عسكر آخر من المكارم ، وأراك معدناً من المعالى : أى أصلالها ، فهى تؤخذ منك .

(٢) فطن للشىء — بكسر الطاء وفتحها — يقول — كما قال الواحدى — : إن قلبك يعرف ما فعلته فى حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعاتبنى عليه : أى فلست فى حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه، وكأنه قد اعترف بتقصيره — كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال اليازجى : إن فؤادى لم يغفل عما فعلته فى حال بعدك من التقصير فى خدمتك وما أهملته من المسير معك ، لأنى كنت خائفا أن تفطن له فتعاتبنى عليه : يعنى أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبى ، وليس بشىء .

(٣) عليه : أى على مافعلته . والضمير فى « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لى على ما فعلته مما كرهته ، أى فحسبى هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أى فاغفر لى — أى ذنبى أو تقصيرى — وفدى : خبر عن محذوف . أى أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء — بكسر الحاء — العطاء ومن بعدها : أى من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لى هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك نفسى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعنى إذا عفوت عنى وأعطيتنى كنت قد خصصتنى بعطاء أنا من جملته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به إلى بدر

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضاً ... فِى مَجْلِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذْعَنَا(١)

وَمَكَايِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ ... وَعَدَاوَةُ الشُّعَرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى(٢)

لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ... ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ النَّدَامَةِ ضَيْفَنَا(٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرماني ، وهذا ضلال ، لأنى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جنى : ضلة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضللت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة :

مَا ضَرَّنِى حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ... ذُو الفضلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ

وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يُوسُفٍ ... وَذُو النَّقْصِ فِى الدُّنْيَا بِذِى الفضلِ مُولَعُ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناه ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناه به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفيه : الذى لاعقل له ولا رأى ، وأصله الذى لايعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفهت الريح الغصون : حركتها واستخفتها قال ذو الرمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ ... أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ

وتسفهت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقة سفيهة الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفا :

وَأَبْيَضَ مَوْشِىِّ الْقَمِيصِ نَصَبْتُهُ ... عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهٍ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلات . التى تلد واحداً ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفهت فلانا عن ماله : إذا خدعته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر ألحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضيافة ، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير اللحم — فوزنه فيعل قال الشاعر :



غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِياً ... رُزْءٌ أَخَفُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُوزَنَا[١]

أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا ... مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنَا[٢]

خَلَتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا ... فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا[٣]

***

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفَنٌ ... فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيَافِنُ

الضيافن : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقراه الضيوف » .

يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف يليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ماجاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء كصاحب الكير — أى الحداد — إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه ، والجليس الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه » .

(١) الرزء : المصيبة . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكترث بعد ذلك لغضب الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن لم يستحق أن يوزن لخفته .

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛ ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزالة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيبويه لايجيز تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك مافعل الرجل الذى أعطاهك زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير المنفصل وتدع المتصل، وأبو العباس يجيزه ، فالصواب عند سيبويه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز فيه مالايجوز فى غيره قال العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب والغائب فالواجب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضكها الله : ويقال عاضه وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يابدرُ إنكَ وَالحديثُ شجونُ   مَنْ لمْ يَكُنْ لِمثالهِ تَكوينُ(١)

لَعَظُمْتَ حتّى لَوْ تَكونُ أمانَةً   ما كانَ مُؤْتَمَناً بها جِبْرينُ(٢)

بَعضُ البَرِيّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خالياً   فإذا حضَرْتَ فَكُلُّ فَوْقٍ دُونُ(٣)

* * *

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :

وَقَدْ أدرَكَتْنِي وَالحَوادِثُ جَمّةٌ   أسِنّةُ قَوْمٍ لاَضِعافٍ وَلاَ عُزْلِ(١)

وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى : وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين » معانى كثيرة لاتحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمر ، على تقدير « قد » بعدها : أى لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل : إسرائين . يقول : لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لايؤتمن بتأديتها جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ، فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلاهم دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنو عجل فلما أنشدهم إياها أطلقوه، وقبله:

وقائلةٍ ما بالُهُ لا يَزُورُنا   وقد كنتُ عن تلكَ الزِّيارة فى شُغُلِ

وبعده :

لَعَلّهُمُ أنْ يُمطِرونى بِنِعمَةٍ   كما صابَ ماءُ المُزْنِ فِى البلدِ المَحْلِ

فقد يُنعِشُ اللهُ الفَتَى بعدَ عَثْرةٍ   وَتَصْطَنِعُ الحُسْنَى سَراةُ بَنى عَجْلِ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ ... يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ (١)

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيـلٍ سَوَاسِيَةٍ ... شَرٌّ عَلَى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ ... تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ (٣)

---

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير فى « أخلاهم » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالمحن ، فلا يزالون محزونين لبعد هممهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بما دق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفضل ، قال حكيم : على قدر الهمم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر فى عواقب الأمور فلا يزال مهموما ، وأما الجاهل فلا يفكر فى شىء من هذا . وفى هذا المعنى يقول الجاهلى ذو الأصبع العدوانى :

أَطَافَ بِنَارَيْبُ الزَّمَانِ فَدَاسَنَا ... لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرُ

ويقول البحترى :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو ... إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالفُضُولِ

(٢) الجيل : ضرب من الناس . وسواسية : يعنى متساوين فى الشر واللؤم ، ولا يقال فى الخير ؛ وشر تفضيل بمعنى أشر ، والمراد بالحر هنا : الكريم — ضد اللئيم — يقول : نحن فى جيل من الناس قد تساووا فى الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقة ، وهى الصورة التى يخلق عليها الشىء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروى : حلق — بالحاء — جمع حلقة ، وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عمن يعقل ، و «ما» عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أنتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغنم هى أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل: ما أنتم ، ولا تقل : من أنتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا — وفى البيت — نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لاَ أَقْـــتَرِى بَلَدًا إلاَّ عَلَى غَرَرٍ   وَلاَ أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ (١)

وَلاَ أُعَاشِرُ مِنْ أَمْلاَكِهِمْ أَحَدًا   إلاَّ أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ (٢)

إِنِّى لأَعْـــذِرُهُمْ مِمَّا أُعَنِّفُهُمْ   حَتَّى أُعَنِّفُ نَفْسِى فِيهِمِ وَأَنِى (٣)

فَقْرُ الْجَهُولِ بِلاَ عَقْلٍ إِلَى أَدَبٍ   فَقْرُ الْحِمَارِ بِلاَ رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ (٤)

---

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر : الاسم – من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلـكة – ومضطغن : ذو ضغن وحقد . يقول : لاأسافر إلا على خطر وخوف على نفسى من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعنى أنهم جهال أعداء لذوى الفضل والعلم ، فلجهلهم وفضلى يعادوننى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن: الصنم. يقول: لاأخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان. ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم – أى الملوك – صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعيير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما أعنفهم عليه و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتر ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأناة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبوحية النميرى :

رَمَتْهُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَـــةِ عَامِرٍ   نَؤُومُ الضُّحَى فِى مَأْتَمٍ أَىَّ مَأْتَمِ (١)

يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللؤم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى – أى أقصر – فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .

(٤) الجهول: الـكثير الجهل – والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

---

(١) قال الجوهرى : المـأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .



وَمُدْقِعِينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ ... عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ[١]
خُرَّابِ بَادِيَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ ... مَكْنُ الضِّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا ثَمَنِ[٢]
يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمِ خَبَرِى ... وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظِّنَنِ[٣]
وَخَلَّةٍ فِى جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا ... كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِى الوَهَنِ[٤]

هَرِيتٌ قَصِيرُ عِذَارِ اللِّجَامِ ... أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنْ[١]

يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له ؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان : العقل الذى به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلا لم يحتج إلى أدب ، كالحمار ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .

(١) الواو : واو « رب » ؛ والمدقع : الذى لا شىء له ، من دقع ـ بالكسر ـ إذا لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبروت : الأرض لا نبات فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبروت . ويقال للقبر : سبروت من ثم . والحلل . جمع حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقميص ، وتمامها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول: رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خارب وهو الذى يسرق الإبل خاصة ، ثم سمى به كل لص . وغرثى : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرثى : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر ومكن الضباب : بيضها ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول : هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون عليه بلا ثمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهى ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونى عن خبرى فلا أخبرهم وأكتمهم أمرى وهم لا تخطىء ظنونهم بأنى أنا المتنبى الذى سمعوا به ، ولكنى أكتم خبرى عنهم خوفا من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « ألتقيه » . والخلة : الخصلة المحمودة والمذمومة ، ويرى

---

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقشقة ، وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شدقيه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ، ولم يصفه بقصر الخد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله :طويل عذار الرسن :



وَكِلْمَةٍ فى طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا فَيُهْتَدَى لِى فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ (١)

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِى كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْخَشِنِ (٢)

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً فى خَوْضِ مَهْلَكَةٍ وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فى الْجُبُنِ (٣)

لاَ يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ (٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة فى جليس لى أستقبله بمثلها من نفسى — أى أتخلق بمثلها — حتى يظننى مثله فى ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أُحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

يريد المتنبى أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها، وقد تقدم لذلك نظائر. وأصل الإعراب التبيين، ومنه الأثر «والثيب : تعرب عن نفسها» وأصل معنى اللحن: العدول عن الظاهر إما خطأ وإما إلغازا وفطنة. ويسمى الفطن لحنا، ومنه الحديث «ولعل بعضكم ألحن بحجته» أى أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى إلى ولا يطلع على أنى المتنبى فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الخشن ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحتى سهلة هينة ، وعزمى ألان المركب الخشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستخشن الخطوب الصعبة لقوة عزمى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للمكان العالى ، ثم استعملت بمعنى الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعلو لمن خاض المهالك وكم من قتل مع الذم للجبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك المقدم عليها مع ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار .

(٤) المضيم : المظلوم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشىء : أعجبه ، والدفين : المدفون وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا ينبغى للمظلوم أن يسر بسعة رزقه — التى من آثارها حسن البزة — مع ما هو فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفنه . شبه المظلوم الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .



لِلّٰهِ حَالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِى ... وَأَقْتَضِى كَوْنَهَا دَهْرِى وَيَمْطُلُنِى (١)

مَدَحْتُ قَوْماً وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ ... قَصَائِداً مِنْ إِنَاثِ الْخَيْلِ وَالْحُصُنِ (٢)

تَحْتَ الْعَجَاجِ قَوَافِيهَا مُضَمَّرَةً ... إِذَا تُنُوشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِى أُذُنِ (٣)

فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدُرٍ ... وَلَا أُصَالِحُ مَغْرُوراً عَلَى دَخَنِ (٤)

مُخَيِّمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ ... حَرُّ الْهَوَاجِرِ فِى صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ (٥)

---

(١) يقال عند التعجب من شئ : لله هو . والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطالب ، وكونها ـ أى حصولها ـ مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهرى : مفعول أول : أى أطالب دهرى بحصولها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حال ترضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطالب دهره بحصولها فيماطله فى تبليغه إياها : وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكينى من هذه الحال التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى : أى لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهرى حصولها وهو يمطلنى ـ هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون المدح ـ لشحهم وجهلهم ـ ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الغبار . والمضمرة من الخيل : المعدة للسباق ، يقول : قوافى هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافى التى إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبرى : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافى فى الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابى : استجيدوا القوافى فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك مغرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة فى القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم فى الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائى إذا أغرونى ونافقونى أى لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جنى : مرفوعا ؛ أى يرفع إلى الجدر فيخارب عليها .

(٥) مخيم : خبر عن محذوف : أى أنا ؛ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخييم فى المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذابته والهواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الكِرَامُ الأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ ... عَلَى الخَصِيبِيِّ عِنْدَ الفَرْضِ وَالسُّنَنِ (١)

فَهُنَّ فِي الحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ ... لَهُ اليَتَامَى بَدَا بِالمَجْدِ وَالمِنَنِ (٢)

قَاضٍ إِذَا الْتَبَسَ الأَمْرَانِ عَنَّ لَهُ ... رَأْيٌ يُخَلِّصُ بَيْنَ المَاءِ وَاللَّبَنِ (٣)

غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ ... مُجَانِبُ العَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالوَسَنِ (٤)

وهى منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره فى البيت السابق يقول : إن عساكره قد نصبوا خيامهم فى الصحراء يذيبهم حر الهواجر فى فتن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول فى فتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التى لا تجيب الراقى .

(١) الألى : الذين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبى : هو الممدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدوح : أى ورثوه إياها وفوضوها إلى عهدته ، فهى عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبارة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفريضة ، وعند مالا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهموز — أى بدأ . والمنن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها فى حجره يربيها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى: وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كفلوها هذا الممدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، فجعلوه كفيلها ، فهو يربيها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كما عرضت له اليتامى بدا بالمجد والمنن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمنن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول: هو قاض ذكى فطن ألمعى إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا ممتزجين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غض : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فجر ليلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيما يكسبه من الدين والعلم ،



شَرَابُهُ النَّشْحُ لاَ لِلرِّيِّ يَطْلُبُه   وَطَعْمُهُ لِقِوَامِ الْجِسْمِ لاَ السِّمَنِ (١)
أَلْقَائِلُ الصِّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ   وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السِّرِّ وَالْعَلَنِ (٢)
أَلْفَاصِلُ الْحُكْمَ عَيَّ الأَوَّلُونَ بِهِ   وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلسَّاهِي عَلَى الذِّهِنِ (٣)
أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْغُصُنِ (٤)

وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات . والثانى : أنه أراد بالفجر : بياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن بياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « مجانب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشح الشارب نشحا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتِ الْحُقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا   وَقَدْ نَشَحْنَ فَلاَ رِيٌّ وَلاَ هِيمُ

(الحقب : الدهر وقيل السنة . وانصاعت: فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرى ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة ليأكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجره على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضمر خلاف ما يظهر رثماء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاه وقطع به ؛ وعيى بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الخصم الغبى على الخصم الذكى .

(٤) جدى الخصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشح ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتحبيب ثم اليغر وهو عطش يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

الْعَارِضُ الْهَتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْـ ... نِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ (١)
قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا ... آبَاؤُهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرَنِ (٢)
كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا ... أَوْ كَانَ فَهْمُهُمُ أَيَّامَ لَمْ يَكُنِ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب؛ حتى لو لم يقل جدى فلان لكانت أفعاله كافية فى الدلالة عليه ، كما يستدل بالغصن على الأصل ، وهذا المعنى من قول بعضهم:

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنِ امْرِىءٍ أَعْرَاقَهُ ... وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

ومثله قول أبى تمام :

فُرُوعٌ لا تَرِفُّ عَلَيْكَ إِلاَّ ... شَهِدْتَ بِهَا عَلَى طِيبِ الْأُرُومِ

(رف النبات : اهتز نضارة ؛ والأَروم ـ بفتح الهمزة ـ الأَصل، وبضم الهمزة : ج ع)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض فى الأفق . والهتن : الكثير الصب ، مثل الهطل يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « هتن » على المتنبى لأنه يقال سحاب هاتن ولا يقال هتن ، ولكن جاء به قياسا على « هطل » وهو من النوادر . وقال العكبرى : وقد عاب قوم أيضا هذا البيت على المتنبى وقالوا : من العى تكرار اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا عيبا فحديث النبى صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر الألفاظ لشرف الآباء .

(٢) المغار : الحبل المحكم الفتل ؛ والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ومن مغار : فى موضع حال من قرن مقدمة ، وفى قرن : فى موضع المفعول الثانى لصيرت . يمدحهم بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علما بأحوال الدنيا ـــ ماضيها وغابرها ـــ حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جنى :هذا مثل ضربه ، يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون فى الدنيا وتجرى فيها . والمعنى أن آباءه كانوا علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنهم ضابطون للأيام عارفون بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولا هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما فى البيت السابق ؛ و« كان »هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،



اَلْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْـــدَائِهِمْ أَبَدًا ... مِنَ الْمَحَامِدِ فِي أَوْقَى مِنَ الْجُنَنِ (١)

لِلنَّاظِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ ... يُزِيلُ مَا بِجِبَاهِ الْقَوْمِ مِنْ غُضَنِ (٢)

كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ مُغْتَرَفٌ ... مِنْ رَاحَتَيْهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٣)

لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَقٍ ... وَلاَ مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالسُّفُنِ (٤)

وَلاَ مِنَ اللَّيْثِ إِلاَّ قُبْحَ مَنْظَرِهِ ... وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٥)

ومن ثم تكتفي بالفاعل . يقول : إنهم — لعلمهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة المتقدمة ، كأنهم وجدوا فى تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذى ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا فى الأيام التى لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان فى تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهى كل ما استترت به من سلاح ونحوه يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من المحامد مايقى أعراضهم من الذم أكثر مما يقى السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بمضمر : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الغضن : تكسر الجلد . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبسط وجوههم ، والمسرور يكون بشا طلقا ، والمحزون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياه عمت القريب والبعيد فهى تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فكأنها تؤخذ من راحتيه فى أرض الروم واليمن كما تؤخذ فى داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فإقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه، ليطابق بين القرب والبعد ،وإن عطاءه يعم القريب والبعيد .

(٤) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . واللثق : الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم نفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذى يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لعواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نفعه خالص لا يشوبه مايكدره ؛ قال العكبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .

(٥) يقول : ولم نفقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ ٱحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَةَ ٱعْتَدَلَتْ   حَتَّى كَأَنَّ ذَوِى الْأَوْتَارِ فِى هُدَنِ (١)

وَمُذْ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرِعَتْ   مِنَ السُّجُودِ فَلَا نَبْتٌ عَلَى الْقُنَنِ (٢)

أَخْلَتْ مَوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ   أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهَنِ (٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ، وجميع القابح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بحمائل سيفه أو نحو ذلك، وقد يحتبى بيديه ، والاسم الحبوة، والحبوة ، والحبوة : الثوب الذى يحتبى به ، وجمعها حبى ـ مكسور الأول ـ وحبى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه ويروى بيت الفرزدق :

وَمَا حُلَّ من جَهْلٍ حُبى حُلَمائِنا   ولا قائِلُ المعروفِ فِينا يُعَنَّفُ

بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدرة وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ، وتحبى مثل احتبى ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرْىُ الْجَوَارِسِ فى ذُؤَابَةِ مُشْرِفٍ   فِيهِ النُّسُورُ كَمَا تَحَبَّى الْمَوْكِبُ (١)

والأوتار : جمع وتر ، وهو الثأر . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين المتحاربين . يقول : مذ جلست محتبيا للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حتى كأن أصحاب الأحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب شعره ؛ و «لا» عاملة عمل «ليس» ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل . يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلما ـ مع بعدها من التمييز ـ فخضعت هيبة لك ، وجعل الخضوع سجوداً لما بينهما من الملابسة ؛ وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

---

(١) الأرى : العسل، وجرست النحل الشجر للعسل: إذا أكلته، ومنه قيل للنحل : جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .



ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِى وَطَنِ (١)

وَهَـــذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُؤْتَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِى الْمُنَنِ (٢)

فَمُرْ وَأَوْمِ تُطَعْ قُدِّسْتَ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللهُ مُجْرِى الرُّوحِ فِى حَضَنِ (٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكى :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَأَلَّفَ فِى ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا (٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناع حتى عطلوها استغناء بعطائك عما كانوا يعملون، يعنى أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذى نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمنن : جمع منة ـ بضم الميم ـ وهى القوة . يقول: لك هيبة وعظمة فى قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أومئ ؛ حذفت الهمزة ، وتروى: وأومئ ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تمييز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل بنجد ؛ ومنه المثل : أنجد من رأى حضنا ـ يقال للذى يبلغ حاجته وإن كان فى غير بلاد نجد ولا قريبا منها ـ يقول : مر من شئت وأومئ ـ أشر ـ فإنك مطاع كجبل ذى روح فى ثباته ووقاره ورزانته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين: مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول، وتدمى: صفة ؛ لـ« أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزى : أراد أن تدمى ، « فحذف » أن يقول :إن فراق الاحبة علم أجفاننا الدامية ـ من طول البكاء ـ أن يبتعد بعضها عن بعض ـ كنى به عن ادامة السهر ـ كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ والوَسَن *

وجعل الفراق يؤلف الحزن إغرابا فى الصنعة ، مثله :



أَمَّلْتُ سَاعَةَ سَارُوا كَشْفَ مِعْصَمِهَا ... لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانَا[1]

وَلَوْ بَدَتْ لَأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّبَهَا ... صَوْنٌ عُقُولَهُمُ مِنْ لَحْظِهَا صَانَا[2]

بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ ... يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِدْرِ خَشْيَانَا[3]

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتِنِي ... فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ويلبث : يقيم ؛ والحى : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عندر حيل الأحبة أن تكشف معصمها ــ أى تظهره ــ عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن المسير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه يتيه ويتوه : ضل وتحيره ، وأتاهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعنى أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أى لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعدية ، والواخدات : المسرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخد: للنعام واستعمل فى سير الإبل . وخد البعير يخدو وخدا ووخدانا : وهو أن يرمى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادى : الذى يسوق الإبل بالغناء . والخدر . خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة ــ المسرعة ــ فى السفر وحاديها وبنفسى قمر يظل فى خدره خائفا مذعوراً من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » ــ من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشماخ :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدٌ[1] ... عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشًى قَطِيعِ

(أى ذات نفس متقطع من سمنها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنماط : جمع نمط ،

---

(١) خود : نعت لبهكنة فى قوله .

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كَنَنْتُ نَفْسِي ... إِلَى بَيْضَاءَ بَهْكَنَةٍ شَمُوعِ

والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .



أمّا الثِّيابُ فتَعْرَى مِن محاسِنِهِ ... إذا نضاها ويَكْتَسِى الحُسْنَ عُرْيَانا[1]

يضُمُّهُ المِسْكُ ضَمَّ المُسْتَهامِ بِهِ ... حتّى يَصِيرَ على الأعْكانِ أعكانا[2]

قد كُنْتُ أشفِقُ مِن دَمْعِى على بَصَرِى ... فاليومَ كُلُّ عزيزٍ بعدَكُمْ هانا[3]

ضرب من البسط له خمل رقيق) : وفى حديث عائشة رضى الله عنها «أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته ـ تظن أنه دخل بعض حجر نسائه فلما أحس سوادها تصدقصدها ،فعدت ؛ فعدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها ـ وقد وقع عليها البهر والربو ـ فقال لها : مالى أراك حشيا رابية ؟» أى مالك قد وقع عليك الحشى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والمحتد فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول المتنبى : إن وخدها يزعجه لشدة ترفه فيتتابع نفسه. قال العكبرى : وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم أسمعها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر ـ هو أبو جندب الهذلى ـ :

فَنَهْنَهْتُ أُولَى القَوْمِ عنهم بِضَرْبَةٍ ... تَنَفَّسَ منها كُلُّ حَشْيانَ مُحْجَرِ

(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوبا أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن .

(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتعكن بطن الجارية . يقول: إن المسك يحبه كالمستهام به ويلتف عليه حتى يصير للمسك أعكانا على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق ـ أخاف ـ على عينى من البكاء ، أما وقد افترقنا ففقدهان على كل عزيز لبعدكم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ،وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وكُنْتُ عليه أحْذَرُ المَوْتَ وَحْدَهُ ... فلَمْ يَبْقَ لى شىءٌ عليهِ أُحاذِرُ

واخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتَ السَّوادَ لِناظِرِى ... فعَلَيْكَ يَبْكِى النّاظِرُ

مَنْ شاءَ بعدَكَ فلْيَمُتْ ... فعَلَيْكَ كُنْتُ أُحاذِرُ



تُهْدِى الْبَوَارِقُ أَخْلاَفَ الْمِيَاهِ لَكُمْ ... وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانَا(١)

إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الأَهْوَالِ شَيَّعَنِي ... قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلاَكُمُ خَانَا(٢)

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِى ... وَلاَ أُعَاتِبُهُ صَفْحاً وَإِهْوَانَا(٣)

وَهٰكَذَا كُنْتُ فِى أَهْلِى وَفِى وَطَنِى ... إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا(٤)

مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِى ... أَلْقَى الْكَمِىَّ وَيَلْقَانِى إِذَا حَانَا(٥)

---

(١) البوارق : السحائب ذوات البرق . والأخلاف : الضروع ، واستعار المياه أخلافا لأنها تغذو النبات كما تغذو الأم بالإرضاع ولدها . يقول : إذا برقت السحائب بشرتكم بالقطر ــ المطر ــ فهى تهدى إليكم الماء وتنبت لكم الكلأ وتهدى للمحب نيرانا أى تذكى نيران شوق ــ لأنها تلمع من جانبكم الذى ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،

(٢) قدمت ــ بفتح الدال ــ تقدمت ، وبكسرها : وردت . وشيعنى: تبعنى؛ وأسلاكم مثل أسلوكم : يقول : قلبى يتبعنى ويطيعنى فى كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعنى وإنما يخوننى ؛ وفيه نظر إلى قول البحترى:

أَحْنُو عَلَيْكِ وَفِى فُؤَادِى لَوْعَةٌ ... وَأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وُدِّى مُقْبِلُ

وَإِذَا طَلَبْتُ وِصَالَ غَيْرِكِ رَدَّنِى ... وَلَهٌ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَكِ أَوَّلُ

(٣) الصفح : الإعراض . والإهوان : الإهانة ــ أخرجه على الأصل للضرورة ، كما قال الآخر :

صَدَدْتَ فَأَطْوَلْتَ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا ... وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصدود يَدُوم

(يريد : فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول : إذا ظهرت لمن يذكرنى بالسوء فى غيبتى عظمنى وخضع لى ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضا عنه واحتقارا له ، لأنه لايقدر أن ينظر إلى فى حضرتى .

(٤) يقول : وكنت وأنا فى وطنى وبين أهلى غريبا قليل المرافق والمساعد ، ثم قال وكذلك النفيس العزيز : غريب حيث كان ، ولو فى وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة إنما هى لفقد النظير ، لا لفقد النسيب ؛ قال أبو تمام :

غَرَّبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثْرَةِ الأَهْ ... لِ فَأَضْحَى فِى الأَقْرَبِينَ جَنِيبَا

فَلْيَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِى مَرْ ... وَمُقِيماً بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

(٥) محسد : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا محسد الفضل؛ والمحسد : من يحسد كثيراً

لاَ أشْرَئِبُّ إلَى مالَمْ يَفُتْ طَمَعاً ... وَلاَ أَبِيتُ عَلَى مافَاتَ حَسْرَانَا(١)

وَلاَ أُسَرُّ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ ... وَلَوْ حَمَلْتَ إلَيَّ الدَّهْرَ مَلآنَا(٢)

لاَ يَجْذِبَنَّ رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ ... مَادُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلْقَلْنَ كِيرَانَا(٣)

لَوِ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ ... إلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بُعْرَانَا(٤)

والكمى : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل فى كل مكان ويكذب على إذا قمت وخرجت من مشهد ومجمع والشجاع إذا حان حينه لقيق فى المعركة ؛ فقوله مكذوب على أثرى : أى يكذب على أعدائى على أثرى وخلفى وقت خروجى من محفل ، وهو من قول البرج التغلبى :

يَغْتَابُ عِرْضِي خَالِياً ... وَإذَا تَلاَقَيْنَا اقْشَعَرّ

وقال سويد بن أبى كاهل :

وَيُحَيِّينِي إذَا لاَقَيْتُهُ ... وَإذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ

(١) أشرأب إلى الشىء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : «اشرأب النفاق وارتدت العرب» ، قال أبول عبيد : اشرأب ارتفع وعلا وكل رافع رأسه مشرئب وأنشد لذى الرمة يصف الظبية ورفعها رأسها :

ذَكَرْتُكِ إذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ ... أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أتطلع إلى مالم يفت من الدنيا، ولا أتحسر على مافات : أى لا أبالى بالدنيا ، فلا أتطلع إلى شىء ، ولا أتحسر على شىء ،وفيه نظر إلى قول الآخر :

إنَّ الْغَنِيَّ الَّذِي يَرْضَى بِعِيشَتِهِ ... لاَ مَنْ يَظَلُّ عَلَى مافَاتَ مُكْتَئِبَا

(٢) الحيد : المحمود . يقول : لا أسر بالشىء الذى آخذه من غيرى، لأنه هو المحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لى عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقلن : حركن . والكيران : جمع كور، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحداً ما حييت وما حركت ركابى أكوارها ، يعنى ليس هناك من يستحق أن أقصده وأنتجع إليه . قال العكبرى :هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعِيسُ أَعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمُ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُمْيَانَا(١)

ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قَلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانَا(٢)

ذَاكَ الْمُعِدُّ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَّانَا(٣)

كما يدل على ذلك البيت التالى . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ماوراء ظواهرهم من المعانى البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ، وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال الصاحب ابن عباد ينقد المتنبى : أراد أن يزيد على الشعراء فى ذكر المطايا ، فأتى بأخزى الخزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ وللممدوح أيضا عصبة لا يحب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيراً من الناس كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِى السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت — وإن كان قد أكد بقوله حياً وميتاً — على أن المتنبى خصص فى البيت التالى .

(١) العيس : الإبل البيض . وعما : متعلق بعميانا ؛ و « عميانا » مفعول ثان لرأيت وفاعل يراه : ضمير الممدوح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه هذا الممدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتطى من الناس اللئام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه مارآه الممدوح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قرينا ممن يقال لهم شجعان يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) المعد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقتنى — يقال قنوت الشيء أقنوه قنوا — وعزيت الرجل : سليته عن حزنه . يقول : إن مايجمعه من المال ويقتنيه إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك المال عزانا ، لأن ذلك المال لنا وإن كان فى يده .

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَنْمُلِهِ حَتَّى تُوُهِّمْنَ لِلأَزْمَانِ أَزْمَانَا(١)

يَلْقَى الْوَغَى وَالْقَنَا وَالنَّازِلاَتِ بِهِ وَالسَّيْفَ وَالضَّيْفَ رَحْبَ الْبَاعِ جَذْلاَنَا(٢)

تَخَالُهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُحْتَمِيًا وَمِنْ تَكَرُّمِهِ وَالْبِشْرِ نَشْوَانَا(٣)

وَتَسْحَبُ الْحِبَرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِى جُودِهِ وَتَجُرُّ الْخَيْلُ أَرْسَانَا(٤)

يُعْطِى الْمُبَشِّرَ بِالْقُصَّادِ قَبْلَهُمُ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا(٥)

جَزَتْ بَنِى الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمُ فِى قَوْمِهِم مِثْلُهُمْ فِى الْغُرِّ عَدْنَانَا(٦)

---

(١) الأنمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان فى يده وتحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إياها ، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوغى : الحرب ؛ والقنا : الرماح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقى الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتميا : متوقدا شديد الحرارة ، والبشر : طلاقة الوجه وتهلله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران.

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهى ثياب تعمل فى اليمن ، والقينات : جمع قينة وهى الجارية المغنية ، ورفل فى ثيابه يرفل . إذا أطالها وجرها متبخترا . والأرسان . جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ماتنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ماتجر خيلنا من الأرسان

(٥) عطشانا : حال من « الماء » فى يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعنى : أنه يعطى القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضا لشدة كرمه وارتياحه للبذل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبى تمام :

يُبَشِّرُهُ خُدَّامُهُ بِعُفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهْ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛ والوشل : الماء القليل والماء الكثير ، فهو من الأضداد » :

(٦) الضمير فى « مثلهم » عائد على القوم . والغر: جمع الأغر ، وهو السيد الشريف.

مَاشَيَّدَ اللهُ مِنْ مجـدٍ لِسَالِفِهِمْ ... إلاَّ وَنَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمِ الآنَا(١)
إنْ كُوتِبُوا أوْلقُوا أوْحُورِبُوا وُجِدُوا ... فى الخَطِّ وَاللَّفظِ وَالْهَيْجَاء فُرْسَانَا(٢)
كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فى النُّطقِ قَدْ جُعِلَتْ ... عَلَى رِمَاحِهِمِ فى الطَّعْنِ خِرْصَانَا(٣)
كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمأٍ ... أوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الخَطِّىِّ رَيْحَانَا(٤)

وعدنانا : بدل من الغر . قال ابن جنى : كان الممدوح من ولد الحسن بن على عليهما السلام . والحسنى : ضد السوأى . وقالوا : المراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزاء لهم ، فإنهم فى قومهم مثل قومهم فى عدنان الغر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسنى ».

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فيهم الآن كما كان قديما . وأصل التشييد والإشادة إحكام البناء ورفعه ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهرى الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان فى الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعه والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله فى البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاة الأقران فى القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاة الأقران فى الخطابة والمكالمة .

(٣) الخرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأسنة نفسها . يقول : إن أسنتهم ماضية نافذة مضاء ألسنتهم فى النطق . فكأن ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فعكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة فى مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحترى :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فى النَّدِىِّ كَلاَمُهُ الْـ ... ـمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

(٤) الظمأ : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع باليمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم لذيذاً كالماء للظمآن ؛ وصارت الرماح شهية كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحترى :



أَلْكَائِنِينَ لِمَنْ أَبْغِي عَدَاوَتَهُ ... أَعْدَى الْعِدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانَا[١]

خَلَائِقٌ لَوْ حَوَاهَا الزِّنْجُ لَا نْقَلَبُوا ... ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا[٢]

وَأَنْفُسٌ يَلْمَعِيَّاتٌ تُحِبُّهُمُ ... لَهَا اضْطِرَاراً وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَنْآنَا[٣]

يَتَزَاحَمُونَ عَلَى الْقِتَالِ لَدَى الْوَغَى ... كَتَزَاحُمِ الإِبِلِ الْعِطَاشِ بِمَوْرِدِ

(١) نصب « الكائنين » على «المدح» كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى خبر الكائنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخٌ لِيَ لَا يُدْنِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ ... لِشَيْءٍ ولا يَرْضَى الذى أَنا ساخِطُهْ

(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليقة ، وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاه : دقاق الشفاه مع سمرة كأنها لم ترتو فتغلظ ؛ والزنجى يوصف بغلظ الشفاه حتى شبهوها بمسافر الإبل ، قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًا عَرَفْتَ قَرَابَتِي ... وَلَكِنَّ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ[١]

وغران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛والجعد من الشعر : خلاف المسترسل . يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لوحواها الزنج على قبح صورهم لغطت هذا القبح وصاروا عند الناس كمن خلقتهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم بيض ، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاه . وعبارة بعض الشراح : هذه الخلائق الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على مايعرفون به من الخسة والهمجية لصيرتهم كراما بيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ عليه فى هذا البيت قوله « جعاد الشعر » إذ كأنه قال : لانقلبوا من الجعودة إلى الجعودة ، لأن شعور الزنج جعاد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن شعور الزنج زائدة الجعودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق ؛ واليلمعى : الألمعى الحاد الفطنة . وقوله لها : أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشنآن : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

---

(١) هجا الفرزدق رجلا من ضبة فنفاه عنها ونسبه إلى الزنج ، وأصل المشفر للبعير . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقرابة التى بين ضبة وبينه أنه من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .



الوَاضِحِـــينَ أُبُوَّاتٍ وَأَجْبِنَةً وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَـــاباً وَأَذْهَانَا(١)
يَاصَائِدَ الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ إِنَّ اللُّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أُحْدَانَا(٢)
وَوَاهِبـــاً كُلُّ وَقْتٍ وَقْتُ نَائِلِهِ وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَّابُ أَحْيَانَا(٣)
أَنْتَ الَّذِى سَبَكَ الأَمْوَالَ مَـكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَّالَ خُزَّانَا(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيتَ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِى السِّرِّ مَالَمْ تَأْتِ إِعْلاَنَا(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم — أيها المخاطب — لأجلها ضرورة ، ولو أبعدوك بفضالك ؛ يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطانة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضحين : نصب على المدح : أى أذكر ، أو أعنى ، ونحوهما . والأبوة : مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجبنة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ، يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة — أو متهللة — كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن المنظر بهيا ، كما قال ابن غنمة :

* كأنّ جَبِينَهُ سَيفٌ صَقِيلُ *

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحدانا : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول : أنت تصيد الجيش كله والليث يصيد الناس واحداً واحدا ، فأنت أشد بطشاً من الليث .

(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء . الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك — على تضمينه معنى حول — وللكرمة فعل الكرم : يقول: إنه سبك أمواله وأحالها مكارم ثم جعلها فى أيدى العفاة فكأنه اتخذهم خزانا لأمواله . وعبارة الواحدى : سبك الأموال — أى جمعها وصفاها واستخلصها — ثم اتخذ السؤال خزانا مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى الخازن ، وهذا من قول البحترى :

جُمَلٌ مِنْ لُهًى يُشَكِّكْنَ فى القَوْ مِ أَهُمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خُزَّانُهْ(١)

(٥) أخليت : يروى بالبناء للمجهول — أى وجدت خاليا — ويروى بفتح الهمزة:

---

(١) اللها : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .



لَا أَسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ ... أَنَا الَّذِى نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهَيْتُ الْكِرَامَ بِهِ ... وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الأَيَّامِ رِضْوَانَا(٢)
وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَأَكْبَرُهُمْ ... قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ فِى الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا ... وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أكذبته : أى صادفته كذابا ، وأجبنته : صادفته جبانا والمرتقب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا مالا تفعله فى الملا ، وفى السر مالا تفعله فى العلن ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينة :

وَإِنِّى لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... عَلَىَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى الكرم . فلو أنى استزدتك كرما كنت جاهلا بحالك من الكرم . وكنت كمن نبه يقظان والبقظان لا ينبه ، كذلك أنت لا تستزاد كرما ، قال العكبرى : إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يرده إلى نفسه ، وهذا من أدق مافى شعره وأدله على حكه واستيلائه على قصب السبق فى شعره ، ولو تأملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحذق .

(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر . يقال بكسر الراء وضمها . يقول : مثلك من أفاخر الكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لايعجبنى قوله سواك لأنه لايليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى : سبحان الله : أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تليق بلفظ المتنبى ؟ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشراً سوياً » وقال « فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء المعرى ومنزلته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى ظننتها ثم قال لى : لاتظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فجرب إن كنت مرتابا ، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق يجد الأمر على ما أقول :

وقال فى مجلس أبى محمد بن طفج وقد أقبل الليل وهما فى بستان :

زَالَ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْــكَ يُوهِمُنَا ... أَنْ لَمْ يَزُلْ وَلِجُنْحِ اللَّيْلِ إجْنَانُ (١)

فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ البُسْتَانِ يُمْسِكُنَا ... فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانُ (٢)

***

وقال فى بطيخة من الند فى غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها كانت فى يد أبى العشائر (*) :

مَا أَنَا وَالْخَمْــرُ وَبِطِّيخَــةٌ ... سَوْدَاءُ فِي قِشْرٍ مِنَ الخَيْزُرَانِ (٣)

---

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرها — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله وجنه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل، مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى فى هذا البستان رغبة فى البستان فسر منه ، فكل مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى فى هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الخمر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع » وإعراب بطيخة : إعراب الخمر ، وأنشدوا :

يَا زِبْرِقَانُ أَخَا بَنِي خَلَفٍ ... مَا أَنْتَ وَيْبَ أَبِيكَ وَالْفَخْرُ (١)

وقال الهذلى :

فَمَا أَنَا وَالسَّــيْرَ فِي مَتْلَفٍ ... يُبَرِّحُ بِالذَّكَرِ الضَّابِطِ (٢)

---

(١) للمخبل السعدى ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلاَّ فِى بَنِي خَلَفٍ ... كَالإِسْكَتَيْنِ عَلاَهُمَا البُظُرُ

ومعنى ويب أبيك : التصغير له والتحقير ، وبنو خلف : رهط الزبرقان بن بدر . يقـول : من ساد مثل قومك فلا فخر له فى سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله بالبظرتين الإسكتين والإسكتان ـ بكسر الهمزة ـ جانبا الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) المتلف : المفازة ، والتبريح : المشقة ، وأراد بالذكر جملا . لأن الذكر أقوى من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالى أتجشم المشاق بالسير فى الفلوات المتلفة، والشاهد نصب السير « أنظر شرح ابن يعيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوْطِينِيَ النَّفْسَ لِيَوْمِ الطِّعَانْ(١)
وَكُلُّ نَجْلاَءَ لَهَا صَائِكٌ يَخْضِبُ مَا بَيْنَ يَدِى وَالسِّنَانْ(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نعوه فى مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :

بِمَ التَّعَلُّلُ لاَ أَهْلٌ وَلاَ وَطَنُ وَلاَ نَدِيمٌ وَلاَ كَأْسٌ وَلاَ سَكَنُ(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قشراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك قال النابغة الجعدى :

أَتَانِى نَصْرُهُمْ وَهُمُ بَعِيدٌ بِلاَدُهُمُ بِلاَدُ الْخَيْزُرَانِ

وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران : الرماح لتثنيها ولينها . قال العكبرى : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدَنِّيهَا من الأرْضِ لِينُهَا

هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف » .

(١) وطن نفسه للأمر : ذللها ومهدها . يقول : مالى ولهذه البطيخة : إنى مشغول عنها وعن غيرها بتوطين نفسى للضرب والطعن يوم الطعن .

(٢) كل — بالرفع — عطف على توطينى ؛ ومن خفضه عطفه على الطعان ؛ والنجلاء الواسعة ، وصائك : لازق — صاك به الطيب يصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلاَدِهَا

« أجلاد الإنسان وتجاليده : جسمه وبدنه، لأن الجلد محيط بهما ، وجمع الأجلاد : أجالد ، وهى الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغلنى كل طعنة واسعة يسيل منها دم يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدى إلى السنان .

(٣) بم : أى بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول فى مثل ذلك . وتعلل بالشىء تلهى به . والسكن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما السكن — بسكون الكاف — فأهل الدار اسم لجمع ساكن كشارب وشرب ، أنشد الجوهرى لذى الرمة :



أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي ... مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ (١)

لاَ تَلْقَ دَهْرَكَ إِلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ (٢)

فَمَا يَدُومُ سُرُور مَا سُرِرْتَ بِهِ ... وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ (٣)

فَيَا كَرَمَ السَّكْنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا ... عَنِ الدار وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ (١)

يشكو الزمان يقول : بأى شىء أعلل نفسى وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى شىء ألهو به ولا أحد أسكن إليه . قال العكبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر، وهى ببغداد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب هذه القصيدة :

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ... ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسَنُ (٢)

(١) يقول : إن همته أعلى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه يطالب الزمان بأن يخليه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل والنهار كالمتضادين ، ويجوز أن يريد: إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحترى:

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ ... وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الزَّمَانُ

(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط.

(٣) هذا توكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدثه لك الدهر، فإن المفروح به لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يرده إليك هذه رواية الواحدى، وتبعه العكبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ،قال بعضهم: وهو من التجوزات المستقبحة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

---

(١) قوله فيا كرم : يتعجب من كرمهم ، والمستخلف المتبدل : قال ابن برى أى صار خلفا وبدلا للظباء والبقر.

(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .



مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ	هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا (١)
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ	فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ (٢)
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ	فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ (٣)
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ	إِنْ مُتُّ شَوْقاً وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ (٤)
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ	كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ (٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطرى البيت . يقول : المتنبي سرورك بالشيء لا يديمه عليك ؛ لأن كل شيء زائل ، فكذلك حزنك عليه بعدزواله لا يرده، لأن مافات لا يعود .

(١) يقول : مما أضر بالمحبين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبعت وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاتاة، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم فى سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : العشق ضرورة داخلة على النفس، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى: يعنى بأهل العشق الذين يعشقون الدنيا: تخصيص لا معنى له، وتعميمه أنسب.

(٢) دمعا مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره مابعده ، والجملة حال. يقول يبكون حتى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن فى الظاهر قبيح عند الاختبار . قال الواحدى ــ وتبعه العكبرى ــ : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبرى : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة المسرعة . والبين : البعد والفراق وعلى : متعلق بمؤتمن . قال ابن جنى : هذا التشبيب من يضمر فى نفسه عتباً وموجدة يقول : ــ لمن شبب بهم بعد الذى ذكره من حال العاشق والمعشوق : ارتحلوا عنى فإن الفراق اليوم ــ أى بعد اختبارى لأحوال الدنيا وأهلها ــ مؤتمن على ، أى أرضى بحكمه ولا تضرنى غائلته ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفى الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . والمهجة : الروح . يقول لستم أهلا لأن تبذل فيكم الأرواح شوقا إليكم ومحبة لكم . فلستم تعوضوننى روحا غيرها إذا أتلفتها :

(٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْمُتُّ عِنْدَكُمُ ... ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ (١)

قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ ... جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا (٢)

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ (٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجمل يسير ويقول نعاء فلانا أى انعه، أى أظهر خبر وفاته، قال الكميت:

نَعَاءِ جُذَاماً غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ ... وَلٰكِنْ فِرَاقاً لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ (١)

يقول: إنى قد نعيت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتهن بالموت لابد له منه فلا يفرح أحد بنعى أحد.

(١) يقول: كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عندكم، ثم بان الأمر بخلاف ذلك فكأنى كنت ميتا ثم خرجت من القبر؟

(٢) قوله قبل قولهم: أى قبل قول الناعين. يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتنبى، أى فقد بان كذبهم فيما ادعوا.

(٣) يقول: إن أعدائى يتمنون موتى ولكنهم لايدركون مايتمنون، ثم ضرب لذلك مثل السفن قال: إن السفن — يعنى أهلها — تشتهى الرياح الموافقة لسيرها، ولكن الرياح كثيرا ماتجرى على غير ماتشتهى. هذا: ويجوز فى كل — كما قال العكبرى — الرفع والنصب، فالنصب بفعل مضمر، يريد مايدرك المرء كل مايتمنى، فلما أضمر الفعل فسره بقوله يدركه كقولك مازيداً ضربته فيختار النصب لأجل النفى ومضارعته، وهذا فى لغة تميم، لأن «ما» عندهم غير عاملة، فتجرى مجرى «لا» فى نحو قول زهير:

---

(١) يقول الكميت هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ ومؤاخاتها للخم بن عدى بن عمرو والكميت من أسد بن خزيمة بن مدركة، وكان متعصبا لمضر وهاجيا لليمن، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أسد بن خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكميت محققا لذلك: انع جذاما غير ميتين ولا مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنتسبين إلى غيرهم من اليمن



رَأَيْتُكُمْ لاَ يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ ... وَلاَ يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ(١)

جَــزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ ... وَحظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ(٢)

وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالمِنَنُ(٣)

لا الدَّارُ غَيَّرَهَا بَعْدِى الأَنِيسُ وَلاَ ... بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمَتْ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ(١)

أنشده سيبويه بنصب الدار لأجل حرف النفى ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل » بـ« ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيبويه لمزاحم العقيلى :

وقالوا تَعَرَّفْهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِــنًى ... وما كُلُّ مَنْ وَافَى مِنًى أنا عارفُ(٢)

أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ماتقدم ؛ والقرآن قد جاء بالحجازية فى قوله تعالى « ماهذا بشرا » وفى قراءة السبعة « ماهن أمهاتهم » بكسر التاء .

(١) العرض : مايمدح به الرجل ويذم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول : من جاوركم لايقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندكم فلا تكترثون لشتمه ولاتحامون عنه ، وإذا رعت النعم فى أرضكم لم يدرلبنها على مرعاكم لوخامته . وهذا مثل ، يريد : أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنأ آخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن أحبكم حقدتم عليه ، أى لستم تجازون المحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرفد : العطاء . والمنن : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدد له صنائعه يقول :

---

(١) وصف زهير داراً خلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فيغيروا ماعهد من آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أى هى باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت بهـا فسألتها وناديتها بمقدار ما أسمعها لو أجابت ولكنها لم تجب فكأن بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته فى الحج فجعل يتفقدها فقيل له تعرفها بالمنازل من منى ــ وهى حيث ينزلون أيام رمى الجمار فزعم أنه لايعرف كل من وافى منى حتى نسأله عنها لأنه لايسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .



فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ (١)

تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا ... وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ (٢)

إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ ... وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ (٣)

لايخلو عطاؤكم من المن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنغيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض — كما أسلفنا — بسيف الدولة .

(١) اليهماء : الأرض التي لايهتدى فيها ، يقال بر أيهم وفلاة يهماء ، يذكر شدة إبعاده فى الرحيل أنفة من الحال التى ذكرها . يقول : ترك الهجر بينى وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة السالك ترى العين فيهامن الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له ، لكثرة مايخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك الهجر بينى وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك المفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .

ومن هذا قول ذى الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِينَا لِيَسْمَعَ نَبْأَةً ... صَهٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِعُ

« النبأة الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التى سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلمة وهى مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة — الزور — وإنما سميت ثفنات ، لأنها تغلظ فى الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل . يقول : لطول السير فى هذه اليهماء ومتابعته تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفناتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها — على الثفنات — بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أى لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عمن يؤذينى ما دام حلمى يعد كرما ، فإذا كان يعد جبنا لا أحلم قال الفند الزمانى :

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ



وَلاَ أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ ... وَلاَ أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ (١)

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ ... ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وارْعَوَى الْوَسَنُ (٢)

وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ ... فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ (٣)

أَبْلَى الأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ ... وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ (٤)

عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ ... فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ (٥)

---

(١) الدرن : الوسخ ، يقول : لا آخذ المال بالذل وكل مال يحصل لى بذل تركته ، ولا أستطيب شيئا يلطخ عرضى بأخذه .

(٢) أصل المرير : الحبل الشديد الفتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارقتكم استوحشت لفراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لألفى إياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفراق مثله : أى بفراق مثل رحيلى عنكم . وقمن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقته كما فارقتكم . قال الواحدى : ومثل هذه الأبيات ماأنشده المبرد :

لا تطْلُبِ الرِّزْقَ بامْتِهانٍ ... ولاتَرِدْ عُرْفَ ذِي امْتِنانِ

واسْتَرْزِقِ اللهَ واستعِنْهُ ... فإنَّهُ خيرُ مُسْتَعانِ

أشدُّ مِنْ فاقةٍ وَجُوعٍ ... إغْضاءُ حُرٍّ عَلَى هوَانِ

فإنْ نَبَا مَنزِلٌ بِقَوْمٍ ... فمِنْ مَكانٍ إلى مَكانِ

(٤) الجل : واحد الجلال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو مايتجلل به الفرس . والعذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : اسم لمصر . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لإكرام مثواى هناك حتى بليت جلال فرسى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول المقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) الهمام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء — بالإضافة — هو مضر بن نزار وإنما قيل له ذلك لأن نزارا لما مات تحاكم أولاده — ربيعة ومضر وإياد وأنمار — إلى جرهم فى



وَإنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلاَ تَهِنُ(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَلٰكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ(٢)

* * *

وقال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا(٣)
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـهُ وَإنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ، قال القائل :

قولُوا لِقَحْطَانَ مِنْ ذَوِى يَمَنٍ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَبِيعَةَ الْفَرَسِ

وأعطى إياد الإبل والغنم ، فسموا إياد النعم ، وإياد الشمط قالوا :

إذَا ما إيَادُ الشَّمْطِ يَوْماً تَجَشَّمَتْ ظَنَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيدُ

وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إذا مُضَرُ الْحَمْرَاءِ عَبَّ عُبَابُهَا فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ

وأعطى أنمار الحمار والأرض وما شاكلها فسميت أنمار الحمار وأنشدوا :

فلوَ أنَّ أنمار الحمَـار تَناصرت لَكانَ لهامِنْ بَيْنِ فَيدٍإلىَ هَجَرْ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر – بحذف إحدى التاءين – أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالى ولا يتأخر عنى ما آمله ولا يضعف رجائى عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره فى البيت التالى .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو يفى بما وعد غير أنه يختبر ما ذكرت له من المودة والمحبة ، فلهذا يتأخر عنى ما وعدنى به

(٣) عناه الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » أى لا يهمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشجا



رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيهِ وَلٰكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَا[1]
وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا[2]
كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا[3]

يغص به فى الحرقدة ، تقول غصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمله فمات بغصته وإن سر فى بعض الأحايين.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فيما يعطى ، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينغصه ، كما قال الآخر :

أَلدَّهْرُ آخِذُ ما أَعْطَى مُكَدِّرُ مَا أَصْفَى وَمُفْسِدُ ما أَهْدَى لَهُ بِيَدِ

(٢) قال ابن جنى : فى « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره «من أعانا» وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . ويروى لم ترض ـ بالتاء ـ والضمير لليالى . يقول: هذا الذى أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبنى من محنه حتى أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِي كَافِيَا[1]

قال ابن جنى : هذا البيت — والذى قبله — أحسن ما قيل فى الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئا ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فاليوم لا يوصف بسعد ، ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القناة : عود الرمح والسنان زجه الذى يطعن به . يقول : إذا انتدب الزمان للاساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادى مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القناة » مثلا لما فى طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلا للعداوة . وعبارة ابن جنى ـ ونقلها الخطيب

---

(١) البرك : كلكل البعير وصدره الذى يدوك به الشئ تحته . يقال حكه ببركه ، ومن المجاز حكت الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدتها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِهِمِ وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بْنَ بَيَّانِ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدى :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ فَلّ



وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى (١)

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلاَقِي الْمَنَايَا ... كَالِحَاتٍ وَلاَ يُلاَقِي الْهَوَانَا (٢)

وَلَوَ اَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا (٣)

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا (٤)

كُلُّ مَالَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِى الْأَنْفُسِ سَهْلٌ ... فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا (٥)

التبريزى — الزمان إذا أنبت قناة إنما ينبتها بالطبع ولا يشعر لأى شىء تصلح. فيتكلف بنوآدم اتخاذ القناة توصلا إلى هلاك النفوس ، فالزمان يفعل ولا يشعر مايراد به .

(١) هذا نهى عن المعاداة والتحاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أقل وأحقر من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .

(٢) كالحات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ، يعنى أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول : إذا كان للموت لا محيص عنه ولا ينجو منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن — من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفى ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،

(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويكن : تامة ، وكذا « كانا » — آخر البيت — . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحترى :

لَعَمْرُكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلاَّ ارْتِقَابُهُ ... وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

والأصل فى هذا قول أعشى باهلة :

لاَ يَصْعُبُ الْأَمْرُ إِلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ ... وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمِرُ

وبعد : فقد وفق المتنبى فى هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه ممن كانوا يسترقون السمع ، فتلقى هذه الآيات من ذات الرجع — السماء — فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العُقَيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة :

عَدُوُّكَ مَــذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ (١)

وَلِلّهِ سِرٌّ فِي عُــلاَكَ وَإِنَّمَا ... كَلاَمُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ (٢)

أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ ... قِيَامَ دَلِيــلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ (٣)

رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُبْتَلَى ... بِغَدْرِ حَيَــاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانِ (٤)

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ ... وَكَانَا عَلَى الْعِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ (٥)

وَقَافِيَةٍ عَجَّتْ بِلَيْلٍ رَزِينَــةٍ ... تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا

فلله دره .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصارا مذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جني : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاهيه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التكلم بغير معقول ؛ قال ابن جني : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس فى مجمله . يقول : لله سبحانه سر فيما أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطا باتفاق من القضاء .

(٣) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد الذى رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا فى البيت التالى :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمر لك خلافا غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأربا ؛ أو غدر به الدهر فهلك بآفة تصيبه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب معرة النعمان دهراً طويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ ... رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِ (١)

فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ ... فَإِنَّ المَنَايَا غَايَةُ الحَيَوَانِ (٢)

وَمَا كَانَ إِلاَّ النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ... تُثِيرُ غُبَاراً فِي مَكَانِ دُخَانِ (٣)

فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ ... وَمَوْتاً يُشَهَّى المَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٤)

نَفَى وَقْعَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِرُمْحِهِ ... وَلَمْ يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألقت عليه رحى فصرعته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق فقتلوه . يقول : إنه هلك ففارق سيفه كفه ، وكانا لايفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شبيبا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .

(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل حىّ فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتثير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « أل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان شبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشر ، غير أنه يثير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَاوِيَّ يَا رُبَّتَمَا غَارَةٍ ... شَعْوَاءَ كَاللَّذْعَةِ بِالمِيسَمِ

« غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ والميسم : المكواة ، أو الشىء الذى يوسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم يتقدمه ألم ولامرض . هذا : ويشهى لايتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو يريده ، فكأنه قال: يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، فحذف؛ والدبران : قال الجوهرى خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ ... مُعَارُ جَنَاحٍ مُحْسِنِ الطَّيَرَانِ (١)

وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ ... بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانِ (٢)

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ ... عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ (٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفى عن نفسه الرماح برمحه ، يعنى أنه كان شجاعا يقى نفسه برمحه ولكنه لم يجر فى حسبانه مناحس النجوم — والدبران من النحوس فى حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد فى أخيه أربد:

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالْأَسَدِ (١)

(١) الشواة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خبر «أن» ؛ ومعار : خبر ثان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يدر أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حتى لكأنه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبارة الواحدى: ولم يدر أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيما يقال : إن امرأة أدات على رأسه رحى من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء فى الحرب . قال الواحدى : ذكر فى قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شىء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع فى تلك الساعة فانهزم أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن فى أذل مكان ، يعنى فى غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور : لا والله إلا بأشد قرن فى أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافور .

(٣) يقول : إنه مات فجاءة من غير أن يستدل أحد على موته بمرئى أو مسموع ، كما قال يزيد المهلبى :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ ... هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قِصَدُ

« قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تكسرت »

---

(١) انظر الكلام على « الأنواء » فى لسان العرب — مادة « نوأ » والسماك : نجم معزوف ، وهما سماكان رامح وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط فى مواضعه .



وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا ... بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ (١)

تَقَصَّدَهُ المِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ ... عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ (٢)

وَهَلْ يَنْفَعُ الجَيْشُ الكَثِيرُ التِفَافُهُ ... عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانِ (٣)

وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ المَبِيتِ بِنَفْسِهِ ... وَلَمْ يَدِهِ بِالجَامِلِ العَكْنَانِ (٤)

أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ ... وَتُمْسِكُ فِى كُفْرَانِهِ بِعِنَانِ (٥)

---

(١) سلكت : أى المنايا . والجنان : القلب . يقول : لوأتته المنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسعة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لايغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . والمقدار : القدر : والمراد : القضاء . والظرفان بعده : حالان من الهاء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وعلى غير : متعلق به ، والالتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معانا بتأييده كما لم ينفع شبيباً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والمبيت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والعكنان : الإبل الكثيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدى :

هَلْ بِاللِّوَى مِنْ عَكَرٍ عَكْنَانِ ... أَمْ هَلْ تَرَى بِالخَلِّ مِنْ أَظْعَانِ (١)

يقول : أدى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم .

(٥) أوليته: أعطيته، والضمير لشبيب، والعائد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطفه على تمسك فترفعه ، ولك أن تقول أن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب — فى عجز البيت التالى — والضمير من « كفرانه »

---

(١) العكر . القطيع الضخم من الإبل ، والخل : الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة .

وَيَرْكَبُ ما أرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ ... وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيانِ ظَهْرَ حِصانِ (١)
ثَنَى يَدَهُ الإحْسَانُ حَتَّى كأَنَّها ... وَقَدْ قُبِضَتْ كانَتْ بِغَيْرِ بَنانِ (٢)
وَعِنْدَ مَنِ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ ... شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوانِ (٣)
قَضَى اللهُ يا كافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ ... وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثانِ (٤)

للموصول — فى صدر البيت — والعنان : سير اللجام . يقول : هل يمسك عاقل مثل النعمة التى أنعمت بها على شبيب ثم يمسك عنان فرسه فى كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أى لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبارة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان فى الكفران ، لأن من كان عاقلا لم يكفر نعمة المنعم عليه ، وهذا إشارة إلى أن « شبيبا » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جنى ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه تخاذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو فى معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التى أركبتها شبيباً ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه ؟ أى لا يجتمع لأحد إكرامك ومعصيتك .

(٢) ثنى يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جنى : ملئت يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على الموهوب فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهى مقبوضة لم تبسط فما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت — بإسناد الفعل إلى اليد — كان المعنى أن يده — وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له — صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أى ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشبيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من يفى لصاحبه اليوم ؛ أى لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس غادر كشبيب ، فهما فى ذلك أخوان فى الغدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَـــارُ الْقِسِيَّ وَإِنَّمَا عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ (١)
وَمَالَكَ تُعْنَى بِالْأَسِنَّـــةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَـــيْرِ سِنَانِ (٢)
وَلِمْ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَـــادُهُ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَـــدَثَانِ (٣)
أَرِدْلِي جَمِيلاً جُدْتَ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي (٤)
لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَـــهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ (٥)

فى المكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ماسبقت إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أويكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسى : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اختيار القسى لرمى أعدائه بها ، يقول : لاحاجة لك باستجادة القسى لترمى بها أعداءك فإن أعداءك — أكانوا من الإنس أم من الجن — يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لاتحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عنى بالشىء — بصيغة المجهول — اهتم به ، والأسنة :جمع سنان ؛ والقنا :الرماح والجد : الحظ. والبيت فى معنى البيت الأول ، يقول : لم تعتنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا : وإسكان الميم خاص بالشعر والنجاد : حمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجاد بالطول دل على طول حامله . والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف فى قتل أعدائك ، يشير فى هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشىء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطيني شيئا وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبى تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغِراً ما تأمُرُهْ *

(٥) الفلك » يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شىء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة فى قوة



. . . .

سعده ومؤاتاة الأقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تحور إليه أكثر هذه الأبيات ، قال الواحدى ؛ هذه الأبيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولا على حكم خطتنا فيه ـ أن نورد كل ما أورده الشراح ـ نذكر هنا ماقاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يغنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه القاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضمر له فعلا ينصبه، ويكون الفعل الذى نصب سعى المضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمر كقولك ؛ لوأخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيداً وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » — بالنصب — قدّرناه » فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضمر له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شىء ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إذَا ابنُ أبِى مُوسَى بِلاَلٌ بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أُذْنَيْكِ جَازِرُ[1]

(١) أذنيك يروى عينيك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بدَمِ الْوَتِينِ

وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإذَا الْمَطِىُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إنى نذرت إن



ونظر يوما إلى كافور فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الآكِلُ أَزْوَادَنَا ضَيْفاً لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا[1]

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؟ ثم فسره بيلغته ، وهذافيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم المرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحجتنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم المرفوع معها فيرتفع بالعائد ، لأن المكنى المرفوع فى الفعل :الاسم الاول ، فينبغى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يفتقر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لايجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لايجوز تقديم مايرتفع بالفعل عليه ، فلولم يقدر مايرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لايجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخفش من البصريين: هو المرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر .وقوله لأوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لأوسعنا له الإحسان : فعدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفاً لى لأكثرت من الإحسان إليه : أى لو أتانى وقصدنى ضيفاً لأحسنت إليه ،

وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعانُ يَأْكُلُ مِن زَادِي وَيُمسكنى *

قال الواحدى : ولأكل زاده وجهان :أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن المتنبي يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئاً ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ماجزيتها . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى وأغنيتنى إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح .



لٰكِنَّنَا فِي العَــــيْنِ أَضْيَافُهُ ... يُوسِعُنَا زُورًا وَبُهْتَانَا(١)
فَلَيْتَهُ خَــــلَّى لَنَا سُبْلَنَا ... أَعَانَــــهُ اللهُ وَإِيَّانَا(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعى فى بُلْبيسْ يطلب منه دليلا فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أَمْسَتْ بِبُلْبِيْسَ رَبُّهَا ... بِمَسْعَاتِهَا تَقْرَرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا(٣)

وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئا .

(١) يقول : نحن فى الظاهر أضيافه لأنا أتيناه ، غير أنه لايعطينا قرى غير الزور والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنيا : ليته أطلقنا ! ثم قال : أعانه الله على تخلية طرقنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سَبيل ؛ والسبيل : الطريق ، يذكر ويؤنث ؛ وفى التنزيل العزيز : « وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » فذكر ، وفيه « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » فأنث .

(٣) بلبيس : هو ذلك البلد الذى بمصر ؛ والمسعاة : المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود ، والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل : مساعى ، لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسعى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى شيئا فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء ويردونها فى الفقراء ؛ وسعى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء الكلبى فى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان — وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم — :

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَدًا ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ
لَأَصْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ(١)

---

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، ونصب « عقالا » على الظرف أراد مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى ماله ذو وبر ولاصوف متلبد ، يكنى بهما عن الإبل والغنم ، والأوباد : جمع وبد ، ورجل وبد فقير سيء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كَرَاكِرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمُلَا وَجُفُونُهَا(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبرى : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالا(١)

وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبَعُوضَةِ فَاخْمُشِي

لَكِ الْوَيْلُ حُرَّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى(٢)

وقرت عينه تقر : هذه هى اللغة الأعلى ، أعنى فعلت تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمعة السرور باردة ، ودمعة الحزن حارة . يقول : جزى رب العرب التى أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة — بكسر الكاف — وهى الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهراً : نعت سببى لكراكر : وجفون ظباها فاعل ساهر ، والظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والمراد السيوف أنفسها ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لاتزال جفونهم ساهرة فى طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لاتزال مسلولة ، قال ابن جنى : لما وصف جفونهم بالسهر فى طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكأنها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكأن التاء بدل من الواو : أى إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سيبويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها فى الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ«أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذى بعده ، قال الأعلم وهذا من أقبح الضرورات لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضمر

(٢) البيت لمتمم بن نويرة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحض على البكاء عليهم ، ومعنى اخمشى : الطمى : وقطعى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول اخمشى ، وهو مابدا من الوجه ، أراد : ليبك ، فحذف اللام .



وَخَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ يُوسُفٍ ... فَمَا هُوَ إِلاَّ غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا(١)
فَتًى زَانَ فِي عَيْنَيَّ أَقْصَى قَبِيلِهِ ... وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لاَ يَزِينُهَا(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان :

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيباً فِي الْمَغَانِي ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم فى طلب المعالى والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرَتِهَا ... وَجَفْنِ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسَنُ

(١) الضمير فى «به» يعود على الجزاء ؛والغيث : المطر ؛ والمعين : الماء الجارى . يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذى هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث وكالمعين ، لاحياة لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبرى «عينها» قال : والعين من الشىء خيره وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة يحلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته ورهطه وإن تباعدوا عنه فى النسب : أى أنه زين عشيرته ـ القريب منها والبعيد ـ أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المغانى : جمع مغنى والمغنى :المنزل الذى غنى — أقام — به أهله ثم ظعنوا عنه والشعب : المنفرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بوان ، وهو موضع عند شيراز ، كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمى : متنزهات الدنيا أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبلة ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند ، وطيبا : تمييز . يقول : منازل هذا المكان فى المنازل كالربيع فى الأزمنة ، يعنى أنها تفضل سائر الأمكنة طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمنة. هذا : وقد قال ابن جنى فى إعراب « طيباً » : الشاميون ينصبون طيبا بإضمار فعل : أى تزيد طيبا ، أو تطيب طيبا ، كقولك : زيد سيراً ؛ أى يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ، أومن نصبه فعلى التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوبا ،



وَلٰكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللِّسَانِ(١)
مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ(٢)

كقول الآخر :

أتهجرُ سَلْمَى بالفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْساً بِالفِرَاقِ تَطِيبُ

قال : ووجه الرفع أن الثانى : مبتدأ ؛ وطيب : خبره.

(١) يعنى بالفتى العربى : نفسه . يقول : إنى بها غريب الوجه فى عيون أهلها ، إذ يعرفنى أحد هناك ، أو لأنه أسمر اللون ، إذ غالب ألوان العرب السمرة ، وأهل الشعب شقر الوجوه ، وغريب اليد : أى لا ملك له فى هذه البقعة ، فيده أجنبيه فيها ، أو لأن سلاحه الرمح ويده تستعمل الرمح ، أما أسلحة أهل الشعب التى يستعملونها بأيديهم فهى الرايات والمزاريق ،أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية ، وغريب اللسان : لأن لغتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون .

(٢) الجنة : الجن . وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى : جعل الشعب — لطيبه وطوب أهله — ملاعب ، وجعل أهله جنة — جنا — لشجاعتهم فى الحرب ؛ والعرب إذا بالغت فى مدح شىء نسبته إلى الجن ، كقول الشاعر :

* بخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ *

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحكل(١)

هذا : والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها ؛ والجمع : وتراجم ، مثل زعفران وزعافر ، وصحصحان وصحاصح ، قال نقاده الأسدى :

---

(١) الحكل من الحيوان : مالا يسمع له صوت كالذر والنمل ، قال :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادُهَا

وقيل الحكل : العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج ـ وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة. ماسنك مامالك ماكذا ؟؟!! فأنشأ يقول

لَمَّا ازدرت نَقْدِى وَقَلَّتْ إبلى تَسْأَلُنِى عن السِّنِينَ كَمْ لِى
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسل أَوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ



طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالخَيــلَ حَتّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الحِرَانِ[1]

وَمَنْهلٍ وَرَدْتُهُ التقاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدْتُهُ فُرّاطَا
إلاَّ الحَمَامَ الوُرْقَ وَالغَطَاطَا فَهُنَّ يُلغِطْنَ بِهِ إلْغَاطَا
* كالتُرْجُمانِ لَقِيَ الأنباطَا[1] *

(١) طباه يطبوه ويطبيه طبيا وطبوا : إذا دعاه . قال ذو الرمة :

لَيَالِيَ اللّهوُ يَطْبِينِي فأَتْبَعُهُ إِنّي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبُ

[أى يدعونى اللهو فأتبعه] ويقال أطباه على افتعله فقلبت التاء طاء وأدغمت ، وفى حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحبب إلى قلوب الناس وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعَلٌ لاَ يَطَّبِي الكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسْطَ المَجَالِسِ شُمَّتِ[2]

والحران فى الدواب : أن تقف ولاتبرح المكان . يقول : إن هذه المغانى استمالت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران وأن تقف بها فلا تبرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لايعروها هذا الداء — داء الحران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُسْـ
ـلِ عِلْمَ سليمانَ كَلاَمَ النَّمْلِ كُنْتَ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ

[السواد : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررته : والحسل : ولد الضب ، وسئل رؤبة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ، قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشىء التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحتسبه ، وفراط القطا : متقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغط القطا والحمام بصوته وألغط وأصل اللغط : الصوت المبهم الذى لايفهم والأنباط جيل ينزلون سواد العراق :

(٢) حرك حرف الحلق من نعل لانفتاح ماقبله ، ففتحها ليس بلغة ، والنعل مؤنثة وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .



غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ(١)
فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّى وَجِبْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِى(٢)
وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِى ثِيَابِى دَنَانِيراً تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ(٣)
لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِى(٤)

---

(١) تنفض الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللالىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه المغانى صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكأن الأغصان تنفضه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبن : للأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جنى : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو مايقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : المشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال التبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضوء الشمس يدخل من خلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبارة بعض الشراح : يريد بالدنانير مايتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق ألقى الشرق بطلوعها دنانير لا تمسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن ثمار هذه الأغصان رقيقة القشر فهى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِى الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءِ



وَأَمْوَاهٌ تَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلْيِ فِي أَيْدِي الْغَوَانِي(١)

وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثُّرْدِ صِينِيُّ الْجِفَانِ(٢)

يَلَنْجُوجِيُّ مَارُفِعَتْ لِضَيْفٍ بِهِ النِّيرَانُ نَدِّيُّ الدُّخَانِ(٣)

---

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها :أى بتلك الأمواه ، يعنى بجريها وروى ابن جنى لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : مايلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والغوانى : جمع غانية ، المرأة التى غنيت بحسنها شبه الأمواه ، فى اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذى يلبس فى المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — فى الأصل — سير اللجام . واللبيق : الحاذق الرفيق بما يعمله كاللبق . والثرد : جمع ثريد ، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق . وروى ابن جنى بفتح الثاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصينى الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغانى الطيبة دمشق — أى لو كنت فى غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عنانى إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافنى هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد العجم . وقال ابن جنى — لو كانت هذه المغانى كغوطة دمشق فى الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا الممدوح الذى ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ماقال — أى ابن جنى — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر الممدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاه لغوطة دمشق فى الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلنجوجى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذى يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير: لـ«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للعنبر : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للأضياف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :



تَحِـــلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ ... وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانِ[1]

مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ ... يُشَيِّعُنِي إِلَى النُّوبَنْذَجَانِ[2]

إِذَا غَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ فِيهَا ... أَجَابَتْهُ أَغَانِيُّ القِيَانِ[3]

---

(١) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، ولعل أحسنها ماذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت ـ أيها الرجل ـ أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم ـ على قلب شجاع جرىء على الإطعام والقرى غير بخيل ـ لأن البخل جبن ـ وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان ـ على هذا وعلى ماذهب إليه الواحدى ـ قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه ـ أى ابن جنى ـ يظن أنهما قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد ـ المتنبى ـ ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلهما معنى غير ماذهب إليه ـ أى ابن جنى ـ وإنما يريد ـ المتنبى ـ أنك إذا حللت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لاتبالى بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنَّ نفوساً أَمَّتْكَ منيعةٌ *

فالقلبان فى البيت : قلبا من يحل ويرحل ـ أى قلبا الضيف .

(٢) نوبنذجان : بلد بفارس ؛ ويشيعنى : يتبعنى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، فخيال منازل دمشق يتبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحمامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلاَ تَــكُونِى يَا ابْنَةَ الأَشَمِّ ... وَرْقَاءَ دَمَّى ذِئْبَهَا المُدَمِّى[1]

---

(١) الذئاب إذا رأت ذئبا قد عقر وظهر دمه أكبت عليه فقطعته وأنثاه معها وقيل الذئب إذا دمى أكلته أنثاه فيقول هذا الرجل لامرأته : لاتكونى إذا رأيت الناس قد ظلمونى معهم على فتكونى كذئبة السوء .



وَمَنْ بِالشِّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ ... إِذَا غَنَّى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ (١)

وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ (٢)

يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي ... أَعَنْ هٰذَا يُسَارُ إِلَى الطِّعَانِ (٣)

أَبُوكُمْ آدَمٌ سَنَّ الْمَعَاصِي ... وَعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ (٤)

فَقُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ ... سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ (٥)

والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية . يريد لطيبها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب ـ شعب بوان ـ وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه فى غنائه ونوحه ، لأنهم أعاجم لابيان لهم ولافصاحة ، فلا يفهم العرب كلامهم ؟ قال اليازجى : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجى ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران فى أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والموصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما فى الاستعجام وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسى يقول لى حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به ـ منكرا على السير منه إلى الحرب ـ أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تفعلون ذلك اقتداء بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذى سن لكم ركوب المعاصى ومفارقة مواطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لكى يتخلص إلى ذكر الممدوح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أعرج به عما كان سبيلى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول ـ مجيبا فرسه ـ : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيته نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده مايسليني عن كل شىء .



فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالَهُ فِى النَّاسِ ثَانِ (١)
لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِى الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَعْلِيمِ الطِّرَادِ بِلاَ سِنَانِ (٢)
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِى عَضُدٍ يَدَانِ (٣)
وَلاَ قَبْضٌ عَلَى الْبِيضِ الْمَوَاضِى وَلاَ حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللِّدَانِ (٤)
دَعَتْهُ بِمَفْزَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانِ (٥)

---

(١) يقول : إن الناس كلهم — والدنيا بأجمعها — طريق إليه لا يمسكنى شىء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض فى الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسى القول فى الناس بالشعر فى مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولا بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر فى مدح الناس لأتدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشراح : يريد أنه لم يكن يقصد الجد فى مدح غيره ، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حتى المديح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت — أى لأجله — وذلك أظهر فى المعنى .

(٣) قال الواحدى: أى أن الدولة امتنعت بعضدهاوعزت ولا يدلمن لاعضدله ولا يدفع عن نفسه من لا يد له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير فى قوله « امتنعت » عائدا على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بغلام هند مرت : أى مرت هند بغلامها ، وهو ما تراه ، قال ابن جنى: يعرض بدولة غيره من الملوك التى لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفيا وتعريضا بجميع من لاعضد له دولة كان أو إنسانا بقوله « وليس لغير ذى عضد يدان » هذا : وعضد — بسكون الضاد — تخفيف عضد — بضمها —

(٤) البيض : السيوف . والمواضى : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين المتثنى . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطعن بالرماح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه فى الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له ، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروى ولا حط — بالطاء المهملة — وهو خفض الرماح بالطعن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان



فَمَا يُسَمِّى كَفَنَّا خُسْرَ مُسْمٍ ... وَلاَ يُكْنِى كَفَنَّا خُسْرَ كَانِ (١)

وَلاَ تُحْصَى فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ ... وَلاَ الإِخْبَارِ عَنْهُ وَلاَ العِيَانِ (٢)

أُرُوضُ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ ... وَأَرْضُ أَبِى شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ (٣)

والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكراً . وقوله بمفزع الأعضاء رواها ابن جنى : بموضع الأعضاء ، وقال أى دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح. أى اجتذبته واستمالته؛قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جنى — مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفزع الأعضاء يعنى دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع — ملجأ — الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ما قال — ابن فورجه — يريد أن الدولة سمته عضدها وهى — العضد — مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هى الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجؤها الذى تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماه وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثله أحد . فالمسمى : الداعى بالاسم ؛ والكانى : الداعى بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن — على اتساعه — ولا تستوفيها الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس — لا سماع — فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد فى جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » لما كان بنى آكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة — وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمن لها ، والمعنى أن أحداً لا يعيث فى نواحى مملكته هيبة له وخوفا منه .



تُذِمُّ عَلَى اللُّصُوصِ لِكُلِّ تَجْرٍ وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلَّ جَانِى (١)
إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِعُهُمْ ثِقَـاتٍ دُفِعْنَ إِلَى الْمَحَانِى وَالرِّعَانِ (٢)
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صِحَابٍ تَصِيحُ بِمَنْ يَمُرُّ : أَمَا تَرَانِى (٣)
رُقَاهُ كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِىٍّ لِكُلِّ أَصَمَّ صِلٍّ أُفْعُوَانِ (٤)

(١) تذم : أى الأرض . وفى رواية يذم : أى الممدوح ، وأذم له أعطاه الذمام وهو العهد والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن المتنبى أجرى التجر مجرى الواحد ذهابا إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* تُسائِلُ عَنْ أَبِيها كُلَّ رَكْبٍ *

يقول : إن أرض هذا الممدوح تجير كل تاجر من اللصوص فلا يخافون اللصوص ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هيبة وخوفا من الممدوح ، وهى تضمن لسيوف الممدوح كل من يجنى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينجو من يده .

(٢) الثقات : الذين يوثق بهم . والمحانى: جمع محنية ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائعهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند ثقات أمناء ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحداً ؛ لأن هيبة الممدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أما ترانى ؟ لأنه يعرض عنها فلا يجسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يجسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحداً . قال اليازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا ترانا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهن ضمير الواحدة فى قوله تصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل الغيبة .

(٤) الرقى: جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والمشرفى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل: ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهيا نكرا فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفعوان ذكر الأفعى . جعل اللصوص كالأفاعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفاعى ، فكما أن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية اللصوص بسيوفه .



وَمَا تُرْزَقى لُهَاهُ مِنْ نَدَاهُ وَلاَ الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ (١)

حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمَّرِيٌّ يَحُضُّ عَلَى التَّبَاقى بِالتَّفَانِى (٢)

بِضَرْبٍ هَاجَ أَطْرَابَ الْمَنَايَا سِوَى ضَرْبِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِى (٣)

كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاجِمِ فِى الْعَنَاصِى كَسَا الْبُلْدَانَ رِيشَ الْحَيْقُطَانِ (٤)

---

(١) اللهى : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعى اللصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل فى أيدى الناس .

(٢) شمرى : جاد مشيح فى الأمور ، كثير التشمير والانكماش فيها . وأراد بالتباقى البقاء ؛ وبالتفانى : الفناء . يقول : إن الممدوح رجل شمرى حمى بلاد فارس بعضائه . يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم فى الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه ، وقال العروضى إن المعنى : حمى فارس بقتل اللصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان فى ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا لهم على اغتنام التباقى ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » ولكن يدل على المعنى الأول : البيت التالى .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب ؛ والمثالث والمثانى : من أوتار العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثانى . يقول : حمى أطراف فارس بضرب يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس قال أبو النجم :

إنْ يُمسِ رأسى أشمط العَنَاصِى كأنما فَرَّقَهُ مُنَــاصِ

عَنْ هَامَةٍ كالحجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشىء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينتزعه . والرباض : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه أرقط بسواد وبياض قصير المنقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه



فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا   لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ (١)
وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شِبْلَىْ هِزَبْرٍ   كَشِبْلَيْهِ وَلاَ مُهْرَىْ رِهَانِ (٢)
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ   وَأَشْبَهَ مَنْظَرًا بِأَبٍ هِجَانِ (٣)
وَأَكْثَرَ فى مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا   فُلاَنٌ دَقَّ رُمْحًا فى فُلاَنِ (٤)
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأَيَا الْمَعَالِى   فَقَدْ عَلِقَا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطخة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكأن دماءهم قد كست البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان.

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول: إن الأمن عم بلاد فارس حتى لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :

(٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أسماء الأسد ؛ والمهر: الحدث من الخيل. والرهان : السباق . يقول : لم أر فى الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد فى الشجاعة ومهرى رهان فى المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أشد : صفة لمهرى رهان. والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أر قبلهما ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى أصله نزوعا شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون حظه أوفر من حظ صاحبه فى الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص النسب .

(٤) الضمير فى «مجالسه» : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رمحا فى فلان » : حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول :ولم أر ولدين أكثر منهما استماعا فى مجالس أبيهما لمثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رمحا فى فلان : يعنى أنه لا يجرى فى مجلس أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) رأية : فعلة من الرأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها . والمعالى : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول: أول شىء رأياه هو المعالى ، فقد عشقاها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول داية ، والداية : الظئر التى ترضع المولود — فيكون المعنى : إن المعالى تولت تربيتهما فهما يميلان إليها ويحبانها حب الصبى من رباه .

وَأَوَّلُ لَفْظَةٍ فَهِمَا وَقَالاَ ... إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانِ (١)
وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ ... فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ (٢)
فَعَاشَا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا ... بِضَوْئِهِمَا وَلاَ يَتَحَاسَدَانِ (٣)
وَلاَ مَلَكَا سِوَى مُلْكِ الأَعَادِي ... وَلاَ وَرِثَا سِوَى مَنْ يَقْتُلاَنِ (٤)
وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ ... لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيْسِيَانِ (٥)
دُعَاءٌ كَالثَّنَاءِ بِلاَ رِئَاءٍ ... يُؤَدِّيهِ الْجَنَانُ إِلَى الْجَنَانِ (٦)

---

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و « لفظة » : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلا يقول : كنت شمسا تبهر العيون ببهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك شمسان آخران ؟

(٣) يدعو لهما بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوئهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لأبيهما بالحياة يقول: لا ملكا ملكك بل ملك الأعادى، ولا ورثاك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كاثراه : فاخراه بالكثرة وياءى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكاثرك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وفخره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياءى أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فاخرا — أى ابنا الممدوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة الياءين فى أنيسيان : أى آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسياق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرئاء : التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رئاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِى فِرِنْدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِى عَضْبٍ يَمَانِ (١)
وَلَوْلاَ كَوْنُكُمْ فِى النَّاسِ كَانُوا هُرَاءً كَالْكَلاَمِ بِلاَ مَعَانِى (٢)

إلى القلب يخرج من قلبى فتفهمه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لايشوبه رثاء .

(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليمانى : نسبة إلى اليمن ، شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه فى منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليمانى وهو أجود السيوف .

(٢) فى الناس : خبر كونكم : والهراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لها بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحواشِى لاَهُرَاءٌ ولا نَزْرُ (١)

يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كاللغو من الكلام الذى لامعنى له ، وهذا كقوله :

* والدَّهر لفظٌ وأنْتَ مَعْناه *

---

(١) ويحتمل أن يكون الهراء — فى البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والنزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد الهذر والإكثار ، وذاهب فى التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولانزر فلسنا ندفع أن الخفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجرى منه وإن خف ونزر أقل من الجمل التى هى قواعد الحديث الذى يشوق موقعه ويروق مسمعه .



قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جَدّ أبي العشائر وأباه فقال :

أَغْلَبُ الحَيِّزَيْنِ مَا كُنْتَ فِيـــهِ ... وَوَلِيُّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ [1]

ذَا الَّذِي أَنْتَ جَـــدُّهُ وَأَبُوهُ ... دِنْيَةً دُونَ جَـــدِّهِ وَأَبِيهِ [2]

* * *

---

(١) الحيز : المكان الذي يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا : الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعته فقد نميته ومنه قول النابغة .

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى إِذْ لاَ ارْتِجَاعَ لَهُ ... وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ [1]

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة تنسب إليها وتكون منها يغلبون بك غيرهم لدى المساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا ولنعد إلى الحيز ، فنقول : قال العكبرى . الحيز فيعل من حاز يحوز وهو المكان ، وسيبويه يجمعه حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيبويه : هو تفعل من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم قال القطامى :

تَحَـيَّزُ مِنِّي خَشْيَةَ أَنْ أُضِيفَهَا ... كَمَا انْحَازَتِ الأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبِ [2]

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتنوين — أى أدنى — أقرب — بنى العم إلى . يقول : هـذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشائر — يعنى أنه ربيب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جـده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .

يقول : اتصاله بك فى القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك يفتخر لا بهما .

---

(١) القتود : جمع قتد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل . العيرانة : الناقة الناجية فى نشاط ، أوهى التى شبهت بالعير — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة أجد موثقة الخلق .

(٢) يقول : تتنحى هذه العجوز وتتأخر خوفا أن أنزل عليها ضيفا .

وأجل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ ... تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ (١)

وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضاً ... أَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَبْغِي نَصْرَهُ (٢)

* * *

وقال يمدح أبا العشائر ويودعه وقد أراد سفراً :

أَلنَّاسُ مَالَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ ... وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ (٣)

وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاظِرُهَا ... وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ (٤)

---

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو وتحب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرتك بالجود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : مايمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لاتتعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضى وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه — يعنى المتنبى بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرنى على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحنى وتحسن القول فى — هذا : والروى — فى هذين البيتين — هو الهاء — لا الراء — وإن اتفقت القافيتان الأخيرتان فى التزامها — أى الراء — وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ماقبلها لاتكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لئلا يكون من قبيل الإيطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِياً ... فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلٌّ فَوْقَ دُونَا

ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللهُ يَعْلَمُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ ... أَنَّ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ

(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد اليدين ؛ وباع



أفدِي الَّذِي كُلُّ مَأزِقٍ حَرِجٍ   أغْـبرَ فُرْسَانُهُ تَحَامَاهُ[(١)]

أعْلَى قَنَاةِ الْحُسَـيْنِ أوْسَطُهَا   فِيهِ وَأعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلَاهُ[(٢)]

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته — من الشبر — وربما عبر بالباع عن الشرف والكرم ، قال العجاج :

إذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرْ   تَقَضِّيَ الْبَازِي إذَا الْبَازِي كَسَرْ[(١)]

وقال حجر بن خالد أحد بنى قيس بن ثعلبة :

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى   وَبَعْضُهُمُ تَغْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهْ

« الدهدقة : دوران البضع الكثير فى القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنقعة » . يقول المتنبى : أنت من الجود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع ، وهذا من قول على بن جبلة :

وَلَو جَزَّأَ اللهُ الْعُلَى فَتَجَزَّأَتْ   لَكَانَ لَكَ الْعَيْنَانِ وَالْأُذُنَانِ

(١) المأزق : المضيق ، يراد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل : مبتدأ ؛ خبره : جملة « فرسانه تحاماه » ، والضمير فى فرسانه : يعود على المأزق ؛ وفى تحاماه ؛ يعود على الذى ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة لمأزق ؛ وتحاماه — بحذف إحدى التاءين — أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الأبطال فى الحرب لأنها تكره ملاقاته لشجاعته .

(٢) فيه : أي فى ذلك المأزق ؛ والكمى : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى هذا الممدوح الذى يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه — تتثنى وتعوج — قناة رمحه للينها حين يحمل قرنه برمحه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما قال امرؤ القيس :

* أرْجلهم كالخشب الشائل *

قال ابن جنى : سألته — المتنبى — عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل البيت الآخر :

---

(١) كسر الطائر : ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع ، وتقضى البازى انقض وأصله تقضض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .



تنشِــدُ أثوابُنا مَــدائحَهُ ... بِألْسُــنٍ ما لَهُنّ أفْوَاهُ(١)

إذا مرَرْنا عَلى الأصَمِّ بِهَا ... أغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعَيــهِ عَيْنَاهُ(٢)

سُبْحانَ مَنْ خَارَ للكَواكِبِ بالْـ ... ـبُعْدِ ولَوْ نِلْنَ كُنَّ جَــدْوَاهُ(٣)

لَوْ كانَ ضَوْءُ الشُّمُوسِ فى يَدِهِ ... لَصَاعَهُ جُــودُهُ وأفْنَاهُ(٤)

وَلَرُبَّمَا أطَرَ القَناةَ بِفارِسٍ ... وَثَنَى فقوَّمَهــا بآخَرَ مِنهُمُ

(١) هنا زلت قدم ابن جنى وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال : يخلع عليهم ثيابا تنشد مدائحهم فيه بألسن مالهن أفواه تقعقع لجدتها والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها . قال العروضى : هذا كلام من لم ينظر فى معانى الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ بأبى الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فعاجُوا فأثنَوْا بالذى أنتَ أهلُه ... ولَوْ سكَتُوا أثنَتْ عليكَ الحقائبُ

ولم يكن للحقائب جعجعة . إنما أراد أنهم يرونها ممتلئة ، كذلك أراد المتنبى أنا نلبس خلعه وأثوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحه بألسن لاتتحرك فى أفواه لأنها لاتنطق فى الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ، فكأنها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذى قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم ـ الذى لايسمع ـ وهذه الأثواب علينا علم أن الممدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أى كن مما ينال ويحرز . قال العكبرى : وهى بالكسر ـ أى كسر النون ـ أفصح من الضم وقال الواحدى : نلن : وزنه فعلن ــ بضم الفاء ــ مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر ــ مثل قيل ــ لئلا يلتبس فعلن وفعلن ــ أى المعلوم بالمجهول ــ والجدوى : العطية . يقول : سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها لو نيلت وأحرزت لفرقها الممدوح فى جملة عطاياه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ، وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها فى المرعى وجمع الشمس على تقدير أن لكل يوم شمسا .



يَا رَاحِلاً كُلُّ مَنْ يُوَدِّعُــــهُ مُـــوَدِّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ(١)
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَزَادَكَ اللهُ(٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشائر وأنت تعرف بكنيتك فقال :

قَالُوا أَلَمْ تَـكْنِهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ ذٰلِكَ عِيٌّ إِذَا وَصَفْنَاهُ(٣)
لاَ يَتَـــوَقَى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ(٤)

---

(١) قال الواحدى : يريد أنه لادين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ«نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول: لامزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنيته . والعى : ضدالإفصاح . يقول: إنا إذا وصفناه كانذ كر كنيته عيا منا ، لأن وصفه يغنى عن كنيته بكونه لايصلح إلا له فقد عرف بذلك، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالا إن الاستفهام إذا دخل على النفى رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس فى جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أى أنتم خير من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « ألم تكنه »معناه كنيته والقوم ـ الذين لا حظوا على المتنبى — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفى الكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبى — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال :ألم تكنه ، أى هل كنيته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه ـ والاستفهام الصريح لا يكون بالنفى لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئاً قلت: أفعلت كذا ؟ ولم تقل ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يخشى أن تلتبس معانى الورى بمعناه أى أن تختلط صفاته ومعانى مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنيته



أفْرَسُ مَن تَسْبَحُ الجِيَادُ بِهِ ... وَلَيْسَ إلاَّ الحَدِيدَ أمْوَاهُ[1]

***

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلاما ، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى ، فقال وأنشده إياها فى شهر المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أحَقُّ دَارٍ بِأنْ تُسْمَى مُبارَكَةً ... دَارٌ مُبَارَكَةُ المَلْكِ الّذِى فِيهَا[2]

وَأجْدَرُ الدُّورِ أنْ تُسْقَى بسَاكِنِهَا ... دَارٌ غَدَا النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ أهْلِيهَا[3]

هَـذِى مَنَازِلُكَ الاخْرَى نُهَنِّئُهَا ... فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الأُولَى يُسَلِّيهَا[4]

ولا يتوقى : رواها الواحدى : لا يتوفى ، قال ؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية ، وهذا اللفظ رجلا يزيد معناه على معانى الورى كلهم ، لأن فيه من معنى الكرم والمدح ماليس فيهم ، وليست هذه الرواية بشىء .

(١) أفرس : أى هو أفرس ؛ وأفرس من الفروسية . والجياد : الخيل وسبحها: عدوها — جريها — حتى كأنها تسبح فى بحر . ونصب « الحديد » على أنه استثناء مقدم ، واسم « ليس » أمواه ، وخبرها محذوف ،والتقدير : وليس فى الأرض أمواه إلا الحديد . يقول : هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه ، لما ذكر سبح الجياد جعل الحديد أمواها .

(٢) الملك : تخفيف الملك . يقول : أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك ، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة .

(٣) استسقاه : سأله السقيا . يقول : أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس ، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلك الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشملها بركاتهم ومبراتهم .

(٤) يقول . هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنئها بعودك إليها ، فمن الذى يأتى الدار التى فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفراقك إياها ؟



إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَعَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تِيهَا[1]
لاَ يُنْكِرُ العَقْلُ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَغَانِيهَا[2]
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ أَوَّلَهُ وَلاَ اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا[3]

ونزل أبو الطيب فى أرض حِسْمَى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائى فاستغوى وردان عبيد أبى الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم — وقال يهجو وردان:

لَئِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ لِئَامًا فَأَلأَمُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ[4]
وَإِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانٌ لِغَيْرِهِمِ أَبُوهُ[5]

---

(١) تاه فلان تيها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت عن مكان آخر تاه الثانى ـ الذى حللته — على الأول — الذى فارقته — وافتخر عليه بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى «لا ينكر الحس» والمغانى جمع مغنى وهو المنزل والمسكن يقول : لا ينكر على الدار التى تحلها أن تكون ذات شعور تفرح بسكناك وتحزن بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقاك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تلك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعة هو أبو وردان ، و«أو» من قوله أو بنوه : لك أن تبقيها على معناها ولك أن تجعلها بمعنى الواو . يقول : إن كانوا لئاما فألأمهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراما فأبو وردان ليس منهم ، أى هو دعى فيهم ، وقال العكبرى ؛ تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد، ولو سميت رجلا بوردان تثنية ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجريه مجرى مروان فتعربه كإعرابه ولا تصرفه ؛ والثانى أن تلفظ التثنية ، تقول فى رفعه : جاءنى وردان ، وفى نصبه رأيت وردين ، وفى جره مررت بوردين .



مَرَرْنا مِنه فى حِسْمَى بِعَبْدٍ يَمُجُّ اللُّؤْمَ مَنْخِرُهُ وَفُوهُ(١)

أشَذَّ بِعِرْسِهِ عَنِّى عَبيدِى فَأتْلَفَهُمْ وَمالِى أتْلَفُوهُ(٢)

فإنْ شَقِيَتْ بأيْدِيهِمْ جِيادِى لَقَدْ شَقِيَتْ بِمُنْصُلِيَ الوُجُوهُ(٣)

***

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّا خُسْرَوْ سنة أربع وخمسين وثلثمائة :

أوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأتْ وَالبَدِيلُ ذِكْرَاهَا(٤)

---

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومج الشراب والشيء من فيه يمجه مجا ومج به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل فى الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كل لَدٍّ فَمَجُّوا النُّصْحَ ثُمَّ ثَنَوْا فقاءوا

(اللد : فى الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر فى الآخر الدواء فى الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا فى هذا المكان من وردان بعبد قد أفعم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شذ العبد : إذا هرب وأشذه غيره: هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل. يقول : فرق عنى عبيدى بسبب امرأته ، يعنى أغراهم بالفجور بهاودعاهم إلى ذلك فأتلفهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلفوا مالى لأنهم أتلفوه على امرأته .

(٣) الجياد : الخيل ، والنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت . يقول : إن كانت خيلى قد شقيت بأخذهم إياهافقد شقى وجه الآخذ بسيفى ، يشير إلى العبد الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبدين له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفا لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبدين فقتله ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك فى قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قال :

فَأوْهِ لِذِكْرَاهَا إذا ما ذَكَرْتُهَا ومِنْ بُعْدِ أرْضٍ بَيْنَنا وسماء

وواها : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

وَاهاً لريَّا ثُم واهاً واهاً



أَوْهِ لِمَنْ لاَ أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَصْلُ وَاهاً وَأَوْهِ مَرْآهَا[1]

شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَاظِرِي مُحَيَّاهَا[2]

فَقَبَّلَتْ نَاظِرِي تُغَالِطُنِي وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا[3]

فَلَيْتَهَا لاَ تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لاَ يَزَالُ مَأْوَاهَا[4]

ونأت: فارقت وبعدت. يقول: كنت أتعجب من وصالها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة، وصار ذكري إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكراها: أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه، فقوله لمن نأت: أى لأجل من نأت.

(١) يقول: أتوجع لأنى لا أرى محاسنها ولو لم أرها لم أستطب قربها ولم أتوجع لفراقها، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها.

(٢) الناظر: العين أو إنسانها والمحيا الوجه. قال الواحدى: هذا يحتمل معنيين أحدهما: أنه يريد فرط قربها منه، حتى أنها منه بحيث ترى وجهها فى ناظره، وهذا عبارة عن غاية القرب، والآخر: أنه أراد حبها إياه فهى تنظر إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها فى ناظره.

(٣) قال ابن جنى: معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابله شىء أدى صورته، فهو يقول: أوهمتنى أنها قبلت عينى وإنما قبلت فاها الذى رأته فى ناظرى، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها؟

(٤) يقول: ليت ناظرى مأواها أبدا، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى. يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره. قال الواحدى: ويجوز أن يكون المعنى: أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها. يقول: لو أوت إلى ناظرى فاتخذته مأوى لها لكان ذلك مناى. هذا: وقوله «آوية» رواها ابن جنى آويه واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آويه، كما قال الآخر.

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ على قَبْرِهِ مَن لى مِن بَعْدِكَ يَاعامر

تَرَكْتَنِي فى الدَّارِ ذا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

أى تركتنى شخصا ذا غربة.



كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلَامَتُهُ ... إِلَّا فُؤَاداً دَهَتْهُ عَيْنَاهَا(١)

تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ ... مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا(٢)

مَا نَفَضَتْ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا ... جَعَلْتُهُ فِي الْمُدَامِ أَفْوَاهَا(٣)

فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ ... عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنَ أَشْبَاهَا(٤)

---

(١) دهته : أصابته ، ويروى رمته . يقول : من أصابته بعينها فتيمته لم ترج سلامته .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهى السن فى مقدم الفم . وهنا عثر ابن جنى عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيظنها وقفت عليه تبكى حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعى كالمطر تبل خدى، كلما ابتسمت بكيت ، فكأن دمعى مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائى فى حال ابتسامها كقوله :

* ظِلْتُ أَبْكِي وَتَبْسِمُ *

وكقول غيره :

أَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بُكَايَ وَلَنْ تَرَى ... عَجَباً كَحَاضِرِ ضِحْكِهِ وَبُكَائِي

ونحو هذا قول أبى بكر الخوارزمى :

عَذِيرِيَ مِنْ ضِحْكٍ غَدَا سَبَبَ الْبُكَا ... وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمِ

(٣) الغدائر : الضفائر ، وهى الذوائب من الشعر ؛ والمدام الخمر . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غدائرها لكثرة ماضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غدائرها الطيب فى يدى طيبت به المدام .

(٤) فى بلد : هذه المحبوبة فى بلد النعم . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالقبة يزين بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهى حجلة العروس . يقول : هى فى بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشبهنها فى الجمال ، أى أنها تفضلهن فى الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهن بعضا .

لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ سَائِرَةٌ وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا(١)

كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمُ وَإِيَّاهَا(٢)

فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرِ السُّيُوفُ دَماً إِذَا لِسَانُ الْمُحِبُّ سَمَّاهَا(٣)

أُحِبُّ حِمصاً إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ مَحْيَاهَا(٤)

حَيْثُ الْتَقَى خَدُّهَا وَتُفَّاحُ لُبْـ نَانَ وَثَغْرِي . عَلَى حُمَيَّاهَا(٥)

وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّحْصَحَانِ مَشْتَاهَا(٦)

---

(١) الحمول : الإبل عليها الهوادج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسان لقيننا وقد سارت الركاب بهن وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرابا لما بعدن عنا ، وقال ابن جنى معنى : « فذبن أمواها » أجرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرهما : إن المعنى نزلن فى الوادى سائرات فاستحيين منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكأن مقلتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسبيكم ، يعنى أنها مهاة صائدة لا مصيدة .

(٣) فيهن : أى فى كل مهاة . يقول : فيهن من هى منيعة لا يجرؤ العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعها ويغار عليها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخناصرة : بلدان بالشام . ومحياها : موطن حياتها . يقول : أحب حمص وما يليها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الخمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وثغرى وتفاح الشام — وهو أحمر — وشرب المدام .

(٦) صفت : أقمت الصيف . وشتوت : أقمت الشتاء والصحصحان : الأرض

إنْ أعْشَبَتْ رَوْضَةٌ رَعَيْنَاهَا أوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا(١)

أوْ عَرَضَتْ عَانَةٌ مُقَزَّعَةٌ صِدْنَا بِأُخْرَى الجِيَادِ أُولَاهَا(٢)

أوْ عَبَرَتْ هَجْمَةٌ بِنَا تُرِكَتْ تَكُوسُ بَيْنَ الشُّرُوبِ عَقْرَاهَا(٣)

وَالخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجُرُّ طُولَى القَنَا وَقُصْرَاهَا(٤)

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقمت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقمت بالصحصحان شتاء كشتاء أهل البادية : أى على رسم أهل البادية وعادتهم فى الصيد والغزو ونحوهما مما ذكره فى الأبيات التالية.

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان وهذا البيت كالتفسير للذى قبله. يقول : إذا أعشب مكان رعينا ذلك المكان كعادة أهل البادية فى تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى قطع السحاب ، ورواها ابن جنى مفزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد على قانصها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بآخر خيلنا أولاها ، يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكاس البعير يكوس : إذا مشى على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شرب ، جمع شارب ، يريد الذين يشربون الخمر ، وعقراها جمع عقير — أى معقور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مرّبنا قطيع من الإبل سطونا عليه فعقرناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ، وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلى إذا كانت تأنيث أفعل ، مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ «وقولوا للناس حسنى» بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك أتى فى شعر أبى نواس :



يُعجِبُهَا قَتْلُهَا الْكُمَاةَ وَلاَ يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلاَهَا(١)

وَقَدْ رَأَيْتُ المُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلاَهَا(٢)

كَأَنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِن فَقاقِعِها حصباءُ دُرٍّ عَلَى أرضٍ مِن الذَّهَبِ

أراد صغرى وكبرى فقاقعها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكماة : جمع كمى ، وهو البطل المغطى بسلاحه ؛ وينظرها : يمهلها ، أضاف القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها . يقول : يعجب فرسان الخيل قتلهم الكماة : أى يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بعدهم لكثرة المغاورة وفشو الحرب وطلب الثأر : وقال ابن جنى : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل ـ لا عن أصحابها ـ أى يعجب خيلنا قتل الكماة ، ألا تراه يقول فى موضع آخر :

تَحمَى السُّيُوفُ على أعدائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أو عشَائِرُهُ

فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالحيوان الذى يعرف كثيراً من أغراض صاحبه أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جنى : أما قوله « ولا ينظرها الدهر بعد قتلاها » فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأعجم :

وإذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فاعْقِرْ لَهُ كُومَ الهِجَانِ وَكُلَّ طِرْفٍ سَابِحِ(١)

ورد ابن فورجة على ابن جنى قال : ليس هذا بشىء لأنه يريد بقتلاها من قتلته وقتله أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلوهم فلا بقاء لها بعدهم . وبعد : فالمعنى على هذا أن فرسانها يقتلون الكماة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضا لأنهم يهلكونها بكثرة الركض فى الغارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف .

(٢) قاطبة : أى جميعا حال ، قال المعرى : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن فى الجملة ؟

---

(١) بعير أكوم وناقة كوماء : عظيمة السنام عاليته ، والهجان : الإبل البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ، يقال بعير هجان وناقة هجان والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعنى الآباء والأمهات ، والسابح : السريع فى مشيه كأنه يسبح .



وَمَنْ مَنَايَاهُمُ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمِ وَيَنْهَاهَا(١)
أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الدَّوْلَةِ فَنَّاخُسْرُو شَهَنْشَاهَا(٢)
أَسَامِيًا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا(٣)
تَقُودُ مُسْتَحْسَنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا(٤)
هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفَسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا(٥)

---

(١) يقول : ومن منا ياهم بكفه يصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يحيي من شاء منهم — من الملوك — أي يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أبا شجاع : بدلا من قوله مولاها ، وشهنشاه : أي ملك الملوك ، وهو لقب بني بويه قال ابن جني : هذا البيت على أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته وسماه بملك الملوك وهو من أحسن الجمع والمدح .

(٣) الأسامي جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإضمار فعل كأنه قال ذكرت أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التي ذكرتها لم تزده معرفة فوق شهرته فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرتها استلذاذا بلفظها وسماعها : قال ابن جني : وهذا كلام النحويين في أحد ضربي الوصف تناوله منثورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما يذكر الوصف للاسم إما للايضاح كي يتميز عن غيره كقولك مررت بأبي محمد الكاتب وإما للاطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يجيء للايضاح لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ؛ وإنما ذكر للاطناب في الثناء وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حتى رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا عنى إلا أبا شجاع فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لأنه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أي معظمها . يقول : إذا ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام في مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعاني التي يثنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبارة الواحدي : هذه الأسامي محمولة على المعاني فهي ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بقودها مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكر فهي مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما تقود معظم السحاب سائره — باقيه —

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أي يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها



لَوْ فَطِنَتْ خَيْلُهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا(١)
لاَ تَجِدُ الْخَمْرُ فِى مَكَارِمِهِ إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلاَفَاهَا(٢)
تُصَاحِبُ الرَّاحُ أَرْيَحِيَّتَـــهُ فَتَسْقُطُ الرَّاحُ دُونَ أَدْنَاهَا(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جنى: قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها للمدوح وأن تعجبه لأنه إذا رضيها وأعجبته وهبها لزائريه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهى لاترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلة : الخصلة والثلمة ؛ وتلافاها ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتلافاها : أى تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا تزيده الخمر جوداً ؛ وليس فى مكارمه خلة تتلافاها الخمر ، وأول هذا المعنى لعنترة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِى وَتَكَرُّمِى

وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لاَ تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَـٰكِنَّهُ قد يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهْ

وقول أبى نواس :

فتى لاَ تلوكُ الْخَمْرُ شَحْمَةَ مالِهِ ولـٰكِنْ أَيَادٍ عُوَّدٌ وَبَوَادِى(١)

وقول البحترى :

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الْكُئُوسِ عَلَيْهِمِ فَمَا اسطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمَا

وألم الصابى ببيت المتنبى فى بعض محاوراته فقال:ولقد آن الله فى اقتبال العمرجوامع الفضل وسوغه فى عنفوان الشباب محامد الاستكمال ؛ فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة وثلمة يسدها بمزايا الحنكة .

(٣) الراح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الراح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء مالا تجلبه الرياح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الراح ، فلا تطيق الراح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

---

(١) لاتلوك : تروى « لاتذيب » ولاكه يلوكه : مضغه .



تَسُرُّ طَرْبَاتُهُ كَرَائِنَهُ ثُمَّ تُزِيلُ السُّرُورَ عُقْبَاهَا(١)
بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلْوِلَةٍ قَاطِعَةٍ زِيرَهَا وَمَثْنَاهَا(٢)
تَعُومُ عَوْمَ القَذَاةِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الأَمِيرِ يَغْشَاهَا(٣)
تُشْرِقُ تِيجَانُهُ بِغُرَّتِهِ إِشْرَاقَ أَلْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا(٤)
دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا(٥)

---

(١) طرباته : جمع طربة ، وهى المرة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛ والكرائن : جمع كرينة ، وهى الجارية المغنية . وقال ابن جنى : الكرائن : الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه المغنيات بما يفيض عليهن من الأموال والعطايا ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال به حتى يهب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ«تزيل» . والمولولة : الداعية بالويل من ثكل أو غيره والزير : الوتر الدقيق من أوتار العود . والمثنى : الوتر الثانى بعده يقول : يزيل سرورهن بكل جارية منهن يهبها وهى تولول حزناً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : مايقع فى العين أو الشراب من تبنة ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويغشاها : يعلوها . يقول : هذه الجارية التى وهبها تعد فى جملة عطاياه الجلة بمنزلة القذاة العائمة فى بحر مزبد يعلوها ويغلبها سائر مواهبه كما يعلو الزبد القذاة ، وروى ابن جنى زبد ـ بكسر الباء ـ وهو الكثير الزبد لكثرة مائه :

(٤) غرته: وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما تشرق ألفاظه بمعانيها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران فى شرقها ومغربها : يعودان على الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدى : وكذا كان يقول عضد الدولة : سيفان فى غمد محال ، يعنى أن الدنيا يكفى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على جميع الدنيا .



تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا(١)
فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا(٢)
وَصَارَتِ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً تَعْثُرُ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا(٣)
وَدَارَتِ النَّيِّرَاتُ فِي فَلَكٍ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْهَاهَا(٤)

---

(١) يقول : قد اجتمع فى فؤاده هم لعظمها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان — مع سعته — لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقى هممه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر فى البيت التالى ، هذا : والهمم جمع همة ، وأصل الهمة من الهميم ، وهو الدبيب ، وهمت الهوام ، على وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم يهم فى القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلى يصف سيفا :

تَرَى أَثْرَهُ فِي صَفْحَتَيهِ كَأَنَّهُ مَدَارِجُ شِبْثَانٍ لَهُنَّ هَمِيمُ

[الشبثان جمع شبث ، وهو العنكبوت]

(٢) يقول : فإن أتى حظ هممه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن هممه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها فى تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير فى « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأتاها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا الممدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنثه باعتبار الكتيبة والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة فى جميع الأرض — عند إظهار تلك الهمم — فخلط الجيش ، فصارا — لاختلاطهما — كالجيش الواحد ، وتعثر الأحياء منهما بالموتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى — ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها فى شىء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت فى فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبديها ، لأنه لا يجد زمانا يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبختها بأزمنة أوسع من هذا فحينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئاً واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يعثر حيهم بميتهم للزحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا فى ذكر الزحمة وقوله أيضاً :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبِ

(٤) قال الواحدى : أراد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا فى زمان



أَلْفَارِسُ الْمُتَّقَى السِّلَاحُ بِهِ الْمُثْنِى عَلَيْهِ الْوَغَى وَخَيْلَاهَا[١]
لَوْ أَنكَرَتْ مِنْ حَيَائِهَا يَدُهُ فِى الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا[٢]
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِى زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سِيمَاهَا[٣]
أَلْوَاسِعُ الْعُذْرِ أَنْ يَتِيهَ عَلَى الدُّنيَا وَأَبْنَائِهَا وَمَاتَاهَا[٤]

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأقمار : خضوع الملوك له ، فحينئذ يبدى هممه ، وعبارة ابن جنى : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأقمار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم وتسجد : تذل وتخضع والضمير فى أبهاها يعود على النيرات.

(١) السلاح : نائب فاعل المتقى ؛ والوغى : الحرب ، وهى فاعل المثنى وخيلاها : تثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن على قال: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو . وتثنى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل الوغى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثنى عليه لأنه يرى من شجاعته وإقدامه مالا يسعه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى لا يعمل معه شيئاً .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار يده لأن غيره لايقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته — والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لاتوصف بالإنكار ولا بالحياء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — ههنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول المرار الفقعسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرَ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوْطٌ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الموت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتاً فى نفس شاربه حتى يقتله . وسيماها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف سيفها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها والموت به من علاماتها ، أى أن من ضرب بسوطه قتله .

(٤) أى يتيه : أى فى أن يتيه ، وتاه : يتيه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على



لَوْ كَفَرَ العَالَمُونَ نِعْمَتَهُ لَمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا(١)
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ مَنْفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهَا(٢)
وَلِّ السَّلَاطِينَ مَنْ تَوَلَّاهَا وَالْجَأْ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا(٣)
وَلَا تَغُرَّنَّكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ بِهَا بَاهَى(٤)
فَإِنَّمَا المَلْكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَغَمَ الخَافِقَيْنِ سَرِيَّاهَا(٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزْدَهِينَا الكِبْرِيَاءُ عَلَيْهِمِ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزْرَا

(١) كفر : جحد . وعدت : جاوزت : والسجايا : الطبائع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجايا الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع العطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تحور ومنها تحصل ثم هى لا تبتغى — لا تطلب — بصنعها منفعة عند الناس ولا جاها وذلك أنها مسخرة لتلك المنافع . كذلك هو — الممدوح — مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضا لها وهو فى الأصل اسم من تحداه إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك فى هذا الأمر أى ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعاً مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا

يقول : كل أمر الملوك إلى من يتولاهم ، أى لا تخدمهم ودعهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجأ إلى الممدوح تكن مثل الملوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبدالله صانع وجها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) فى غير أمير حال من الإمارة ، و «إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وباهى فاخر . يقول : لا يغرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمير حقيقة وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عداه فهو أمير مجازا .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها ، ويقال فغمته الرائحة إذا ملأت

مُبْتَسِمٌ وَالوُجُـوهُ عَابِسَـةٌ سِلْمُ الْعِدَى عِنْدَهُ كَهَيْجَاهَا[1]
أَلنَّاسُ كَالعَابِدِينَ آلِهَـةً وَعَبْدُهُ كَالْمُوَحِّدِ اللَّهَ[2]

خياشيمه والخافقان : أفقا المشرق والمغرب ، والريا الريح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل الممدوح ، وفعم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أفعم المسك البيت أى ملأه بريحه ، وفعمت المرأة فعامة وفعومة وهى فعمة : استوى خلقها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، ومخلخل فعم قال :

فَعْمٌ مُخَلْخَلُهَا وَعْثٌ مُؤَزَّرُهَا عَذْبٌ مُقَبَّلُهَا طَعْمُ السَّدَا فُوهَا[1]

وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كهيجاها : كحربها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحتقر أعداءه ، ولايكترث لهول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه عابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسما ضاحكا ، وصلح الاعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبده : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من الملوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبارة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم الموحدون لله لا يشركون به فلا يرجون سواه ومن يخدم سواه لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

---

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلح الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو العسل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .



قافية الياء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكاتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافا من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياها فى جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا ... وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا (١)

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى ... صَدِيقاً فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا (٢)

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ ... فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا (٣)

---

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا فى المفعول كما تزاد فى الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تمييز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، الشىء الذى تتمناه ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول ـ مخاطباً نفسه ـ : كفاكداء رؤيتك الموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تتمنى المنية ـ الموت ـ فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه الموت أقسى الأدواء ، والمنية إذا صارت أمنية فهى غاية البلية ، وفاقرة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تتمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنايا . وأعياه الأمر : أعجزه . والمداجى : المدارى الساتر للعداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت المنية ـ الموت ـ لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المرء المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . واليمانى المنسوب إلى اليمن . يقول : ـ مخاطبا نفسه ـ إنما يتخذ السيف ليرفع به الذل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلا فما تصنع بالسيف اليمانى تعده ؟ قال ابن جنى : استعمل النهى موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله :

فَلِمْ طَالَ حَمْلِى جَفْنَهُ وَنِجَادَهُ ... إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا



وَلاَ تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ وَلاَ تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا[١]

فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلاَ تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا[٢]

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا[٣]

---

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد ، والعتاق : الخيل الكريمة والمذاكى : الخيل القرح التى قد تمت أسنانها . يقول : ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام ، أى إذا رضيت أن تعيش ذليلا ، لأن هذه إنما تتخذ لنفى الذل .

(٢) الطوى : الجوع . وتتقى : تحذر ، وضرى الكلب بالصيد : تعوده ولهج به ولم يكد يصبر عنه وروى عن عمر : إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له ـ للحم ـ عادة طلابة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف ، فى النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكد يصبر عنه فدخل فى باب المسرف فى نفقته وقد نهى الله عن الإسراف . وهذا البيت حث على الوقاحة والتجليح[١] وقد ضرب المثل بالأسد يقول : إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقى جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد .

(٣) قلبى : منادى ، ونأى : بعد . يقول ـ لقلبه ـ : أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذى بعد عنا ـ يعرض بسيف الدولة ـ وقد كان غدارا فلا تغدر بى أنت ، أى لا تكن مشتاقا إليه ولا محبا له ، أى فإنك إن أحببت الغدار لم تف لى ، وقال ابن جنى يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه : « هذا » و « حببت » لغة فى أحببت ، يقال حبه يحبه ـ بالكسر ـ فهو محبوب قال الجوهرى وهذا شاذ لأنه لا يأتى فى المضاعف تفعل ـ بالكسر ـ إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متعديا ما عدا هذا الحرف ، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول غيلان بن شجاع النهشلى :

أُحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ

فَأُقْسِمُ لَوْلاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ[٢]

---

(١) التجليح : الإقدام الشديد ، والتصميم فى الأمر والمضى .

(٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق : هى رواية أبى العباس المبرد وقد رواه غيره .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فُؤَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيَا(١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُدْرٌ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا(٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا(٣)

« وبعد » فإن الأكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهري : وقد جاء المحب شاذا فى الشعر قال عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلانا : إذا فعلت به فعلا يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيته أيضا : إذا أعتبته وأزلت شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أتعبها السير فهى تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكيها ، وشكواها ما غلبها من سوء الحال والهزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَثْنِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّنَا نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلَّمَا نُجْفِيهَا *(١)

والمراد هنا الأول . يقول ـ لقلبه ـ : اعلم أنك تشكو فراقه لإلفك إياه. ثم هدده فقال : إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادرين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادرين كانت غادرة بربها ـ أى صاحبها ـ لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاء له كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع، يريد لا ينبغى أن تفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من المن به ـ وهو المراد بالأذى ـ لم يحصل الحمد

---

* ولا كان أدنى من عبيد ومُشرق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهى كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفيها أى قلما نرفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيته إذا رفعته عنه



وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى ... أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا(١)

أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا ... رَأَيْتُكَ تُصْفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والأذى ــ أى المن ــ يبطل الحمد ، فالمنان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكأن هذا المعنى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » و«لا» فى البيت عاملة عمل «ليس» ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدَّ عن نيرانها ... فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء . وقوله أكان سخاء الخ : بدل اشتمال من الفتى ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال اللحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهرى :وقول عمرو بن كلثوم :

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا ... إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جنى : جمجم عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الريح الهبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول ــ لقلبه ــ : لا تشتق إلى من فارقته ، فإنك تحب من ليس يجازيك بالحب ، كما قال البحترى :

لَقَدْ حَبَوْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ ... عَنِّى وَأَقْرَضْتُهُ مِن لَا يُجَازِينِى

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقليله . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرها : فالفتح طلبا للخفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

---

(١) سعد بن مالك شاعر جاهلى والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .



خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصِّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا[1]
وَلَكِنَّ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَافِيَا[2]
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنَ خِفَافًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا[3]

---

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس فى صحة الإلف ، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لبكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت ألوفا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جعله كالشيب : أى لو فارقت الشيب القديم برحيلى إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبى مبكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفستاط وكسر الفاء لغة فيهن : وأزرته : تعدية زار والهاء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحى : إخلاصى . والقوافى القصائد يقول: ولكن فى الفسطاط بحرا – يعنى كافوراً – قد هون على فراق إلفى لما فيه من المحامد التى تنسينى من فارقته ، فزرته بحياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه ألوف لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكنى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأزرته خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فباتت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلاً تُبَارِى بِالْخُدُودِ شَبَا الْعَوَالِى[1]

---

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وِصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَزَبُّ عَنِ الظِّلَالِ

الأزب الكثير شعر الذراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأزب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا ... نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُزَاةِ حَوَافِيَا[1]
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى ... يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا[2]
وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا ... يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا[3]
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً ... كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا[4]

---

(١) تماشى ــ بحذف إحدى التاءين ــ أى تتماشى . والصفا : الصخر . والبزاة : جمع باز ؛ وحوافيا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تمشى بأيد إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البزاة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْفَعْنَ فِى الرَّكْضِ أَمَامَ السُّبَّقِ ... حَوَافِرًا كَالْعَنْبَرِ الْمُفَلَّقِ
* يَنْقُشْنَ فِى الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرَّقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباهق] .

(٢) وتنظر : ترى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تريها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجية ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى ــ لصدق نظرها ــ فى ظلمة الليل ، والخيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبارة الشراح : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تنظره فى ظلمة الليل فترى الشخص البعيد كهيئته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذانا ، جمع سامعة . ويخلن : يحسبن . والمناجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتنصب له آذانا ــ كعادتها إذا أحست بشىء ــ تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالمناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أغفل ما يكون الناس فصار الصباح اسما للغارة . والأعنة : جمع عنان سير اللجام ، وهى



بِعَزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فى السَّرْجِ رَاكِباً ... بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فى الْجِسْمِ مَاشِيَا(١)

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا(٢)

مفعول ثان لـ«تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعنتها ثم شبه أعنتها فى طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذى الرمة يصف ناقة.

رَجِيعَةُ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا ... شُجَاعٌ لَدَى يُسْرَى الذِّرَاعَيْنِ مُطْرِقُ(١)

(١) بعزم متعلق بمحذوف: أى سرنا بعزم ونحو ذلك؛ وبه: أى بالعزم يقول: سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم فى السرج يسبق السرج وكأن القلب وهو مقيم فى الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جنى: لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه، ولو تحرك فى الحقيقة لمات صاحبه، وفى معناه لأبى تمام:

مَشَتْ قُلُوبُ أُنَاسٍ فى صُدُورِهِمِ ... لَمَّا رَأَوْكَ تُمَشِّى نَحْوَهُمْ قَدَمَا

وطريق أبى تمام أسلم، لأنه ذكر تحرك القلب فى موضع الشدة المهلكة؛ ألا تراهم يقولون: انخلع قلبه فمات؛ والمعنى: لقوة عزمنا إذا سار الفارس فى سرجه سار قلبه فى جسمه؛ يعنى ذكاءه وتيقظ فؤاده، فكأن قلبه ماش فى جسده.

(٢) قواصد: حال من الجرد، والسواقى: جمع ساقية؛ وهى النهير الصغير يقول قصدنا بها كافوراً وتركنا غيره من الملوك؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية، وهذا من قول البحترى:

وَلَمْ أَرَ فى رَنْقِ الصَّرَى لِىَ مَوْرِداً ... فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النِّيلِ عِنْدَ احْتِفَالِهِ

«الصرى: نهر» روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبى هذا قال: له الويل! جعلني ساقية وجعل الأسود بحراً. قال العكبرى: وإذا كان المتنبى قصد هذا فلقد أبان عن نقض عهد وقلة مروءة؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحد ما أعطاه على بن حمدان — سيف الدولة — ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربى من سادات

---

(١) الرجيعة والرجيع من الإبل: مارجعته من سفر إلى سفر وهو آلكال والشجاع: الأفعى.



فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا[1]
تَجُوزُ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِى نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالأَيَادِيَا[2]

تغلب عالم بالشعر ، ولم يمدح مثله فى الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفى الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو المثال الذى يرى فى السواد . والمآقى جمع مأق والمأق والموق: طرف العين مما يلى الأنف، واللحاظ: فيما يلى الأذن؛ قال الواحدى جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه وأن من سواه فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر فى سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبارة التبريزى : شبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به فى النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت فى معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ[1]

ولأن الشىء يذكر بالشىء فمن بديع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهْىَ بَيْضَاءُ مَعْنًى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُيُونِ يَحْسَبُهُ النَّا ظِرُ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ

هذا : وإذا أردت التوسع فى الكلام على الموق ومافيه من اللغات وتصريفه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) تجوز : تتخطى ، وعليها : أى الخيل ؛ والأيادى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الخيل تتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

---

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى فى وصف سوداء حسناء يقول فيها :

سوداء لم تنتسب إلى برص الش قر ولا كلفة ولا بهق
ليست من العبّس الأكف ولاالف لح الشفاه الخبائث العرق
بل من بنات الملوك ناعمة تنشر بالدل ميت الشبق

إلى آخر الأبيات :



فَتًى مَا سَرَيْنَا فِى ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلاَّ نُرَجِّى التَّلاَقِيَا[1]
تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلاَتِ إِلاَّ عَذَارِيَا[2]
يُبِيدُ عَـــدَاوَاتِ الْبُغَاةِ بِلُطْفِهِ فَإِنْ لَمْ تَبِدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الأَعَادِيَا[3]

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبى إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد نتخطى عليها أناسا فى ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه ـ خلعه وعطاياه ـ ولو أنه قال :

* نرى عنده إحسانهم والأياديا *

على معنى نتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده يغنى غناء إحسانهم مجتمعين ـ لكان عسى أن يكون مقبولا ولكان فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، ونرجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فصرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان يرجو لقاءه مذ قديم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذا من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا الماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقا إليه . هذا ؛ و « فتى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو نقصد فتى .

(٢) العون : جمع عوان ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عينها للضرورة . والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسها بعل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المكرمات فعلا قد سبق إليه وإنما أتى بالمكارم ابتداعا واختراعا كما قال أيضا

يَمْشِى الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمِ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِى وَتَبْتَدِعُ

(٣) البغاة : جمع باغ ، وهو المعتدى ؛ يقول . يسل سخائم الأعداء برفقه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحقادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .



أَبَا المِسْكِ ذَا الوَجْهُ الذِى كُنْتُ تَائِقًا ... إِلَيْهِ وَذَا الوَقْتُ الَّذِى كُنْتُ رَاجِيَا(١)

لَقِيتُ المَرَوْرَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ ... وَجُبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ المَاءَ صَادِيَا(٢)

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لَا أَبَا المِسْكِ وَحْدَهُ ... وَكُلِّ سَحَابٍ لَا أَخُصُّ الغَوَادِيَا(٣)

يَدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ ... وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ المَعَانِيَا(٤)

---

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا ـ فى الشطرين ـ إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذى أراه هو الوجه الذى كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذى أنا فيه هو الوقت الذى كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع المروراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشناخيب : جمع شنخوب وشنخاب ، وهى ناحية الجبل المشرفة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهرى : شناخيب الجبل : رءوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقى من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تيبس الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ماذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لتلقين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكده قوله لما هجاه « وأسود مشفره . . . البيت » وقلما يسلم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولك أن تجره عطفا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والغوادى جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالا ودلالا ودالة ، أى يجترىء عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجمالها . يقول : كل ذى فخر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَىْءٌ حَوَى جَمِيعَ المَعَانِى

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت وضحك المتنبى وعرف غرضى



إِذَا كَسَبَ النَّاسُ المَعَالِيَ بِالنَّدَى ... فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ المَعَالِيَا(١)

وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ ... فَيَرْجِعَ مَلْكاً لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا(٢)

فَقَدْ تَهَبُ الجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِياً ... لِسَائِلِكَ الفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا(٣)

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ ... يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا(٤)

---

(١) يقول : إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود ، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بعطائك فالآخذ منك يكسب الآخذ شرفا ويعلى محله ، كما قال أبو تمام :

مَا زِلْتُ مُنْتَظِراً أُعْجُوبَةً زَمَناً ... حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَرَفَا

قال الواحدى : ويجوز أن يريد بقوله « تعطى المعالى » أنه يهب الولايات والأمور التى يشرف بها الناس فالمعالى من عطاياه كما قال البحترى :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ المُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ ... يَهَبُ العُلَى فِي نَيْلِهِ المَوْهُوبِ

وقال ابن جنى — وكان يسيء الظن بمدائح المتنبى فى كافور ، ويحاول أن يحيلها هجاءاً : المعنى : عطاؤك يعلى محل آخذه ، وهذا مما يمكن قلبه ، يريد : إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها . لأنك لا تحسن تدبيرها ، فكأنك قد سلمتها إلى من يحسن تدبيرها ، فهى تقيم عنده .

(٢) غير كثير : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده ؛ والراجل : الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها ، والعراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم ، قال ابن جنى : هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالى وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص — وقد صرت إلى هذا العلو — ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغته وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب المكارم ، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا ، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر المتنبى — الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء ، وليس ببعيد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدرى الناس به وبمراميه .

(٣) العافى : السائل واحد العفاة . يقول : إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أتاك يسألك ، يصفه بالشجاعة والجود .

(٤) المجرب : — بالكسر — الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأمور وأحكمته ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وفانيا : مفعول ثان ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها وعلم أن جميع ما فيها يفنى ولا يبقى ولذلك تهبها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما يفنى ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للكلام واستعمالا للأدب فى مخاطبة الملوك ؛ قال العكبرى : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به فى هذ الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها فى الحشوات قول عوف بن محلم :

إنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَــــا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِى إِلَى تَرْجُمَان[1]

---

(١) من أبياته التى يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات:

يا ابْنَ الذى دانَ له المَشْرِقَانْ طرًّا وقدْ دانَ له المغْرِبانْ

وبعده : البيت وبعده :

وبدّلتْـــنِى بالشطاطِ انحنًا وكنْتُ كالصَّعْدَةِ تحت السنانْ

وبدّلتنِى من زمَاعِ الفـــتى وهِمّتِى همّ الجبانِ الهِدَانْ

وقاربتْ مِنِّى خُطًا لم تكنْ مُقارَباتٍ وثنَتْ من عنانْ

وأنشأت بينِى وبين الوَرَى عِنانَةً مِنْ غير نسْج العَنانْ

ولمْ تدَعْ فِىّ لِمُسْتَمَعٍ إلاّ لِسانِى وبِحسْبِى لسانْ

أدْعُو به اللهَ وأُثـــنِى بهِ على الأمِيرِ المُصْعَبِىِّ الهِجانْ

فقرّبانِى بِأَبِى أنْـــتما مِنْ وَطَنِى قبل اصْفِرَار البنانْ

وقبْـــلَ مَنْعاى إلى نِسوَةٍ أوطَانُهـــا حرّانُ والرَّقّتانْ

« الشطاط : حسن القوام ، والصعدة : القناة المستوية ، والزماع: المضاء فى الأمر والهدان : الوخم الثقيل فى الحرب ، والعنان : السحاب واحدته عنانة يشير إلى ضعف بصره فكأنه يرى من وراء سحابة . والهجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت » .

وَمَا كُنتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا[١]

عِدَاكَ تَرَاهَا فِى الْبِلَادِ مَسَاعِيًا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِى السَّماء مَرَاقِيَا[٢]

لَبِسْتَ لَهَا كُدْرَ الْعَجَاجِ كَأَنَّمَا تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا[٣]

وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ يُؤَدِّيكَ غَضْبَانًا وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا[٤]

---

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتمنى . والنواصى : جمع ناصية شعر مقدم الرأس. والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى «وذكرهم بأيام الله» قال المفسرون: يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالتمنى والاتفاق . ولكن بالسعى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصى الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتًى هَزَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءً بِهَا لَا بِالْأَحَاظِى وَالْجُدُودِ

ومثله قول يزيد المهلبى :

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ

وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدِّمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ

(٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراقى جمع مرقاة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تعتقد فى المعالى أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ماقال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقى فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) العجاج جمع عجاجة : وهى الغبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلما كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيته غير صاف لكراهيتك لصفائه من الغبار .

(٤) بكل أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والسابح السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويثنيك : يصرفك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يوردك الحرب وأنت مغيظ محنق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب وظفرك بأعدائك .

وَمُخْـتَرَطٍ ماضٍ يُطِيعُكَ آمِراً
وَيَعْصِي إِذَا اسْتَثْنَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيَا(١)

وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا(٢)

كَتَائِبَ مَا انْفَكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِراً مِنَ الْأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا(٣)

---

(١) مخترط : عطف على أجرد . وأراد بالمخترط السيف المنتضى المسلول وآمرا : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى فى الضريبة وإن نهيته واستثنيت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتى عليهم لسرعة نفاذه فى الضريبة .

(٢) وأسمر : يريد رمحا أسمر ذا عشرين كعبا أو ذراعا . ووارداً : حال من الهاء فى ترضاه وقوله فى ايراده الخيل . أى فى إيرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدمائهم ويرضاك ساقيا له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن توردَه إياها ، فكل منكما راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر فى السيف :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِي الرَّوْعِ صَاحِباً وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنَّنِي أَنَا صَاحِبُهْ

أى هو يرضى بى أيضا صاحبا فوق الرضا

(٣) كتائب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتائب ، أو ماانفكت لك كتائب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتائب تكون فيها هذه الأشياء . والكتائب : جمع كتيبة القطعة من الجيش . وتجوس تتخلل وتدوس . والعمائر : جمع عمارة والعمارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظعنها وإقامتها ونجعتها ، وهى من الإنسان الصدر سمى الحى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنس بن شهاب التغلبى :

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ(١)

---

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعجبنى أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا ابنى تغلب فإن حرزهم السيوف ومن رواه عروض ـ بضم العين ـ جعله جمع عرض وهو الجبل .



غَزَوْتَ بِهَا دُورَ المُلُوكِ فَبَاشَرَتْ ... سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالمَغَانِيَا (١)

وَأَنْتَ الَّذِى تَغْشَى الأَسِنَّةَ أَوَّلاً ... وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الأَسِنَّةَ ثَانِيَا (٢)

إِذَا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَىْ كَرِيهَةٍ ... فَسَيْفُكَ فِى كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا (٣)

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ ... فِدَى ابْنِ أَخِى نَسْلِى وَنَفْسِى وَمَالِيَا (٤)

مَدًى بَلَّغَ الأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ ... وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلاَّ التَّنَاهِيَا (٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالامقدمة عن فيافيا . والفيافى : المفاوز والفلوات يقول : إن لك كتائب أو قدت كتائب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن قطعت إليها الفلوات البعيدة ، يعنى أن كتائبه لا تزال تأتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتائب . والسنابك : أطراف الحوافر . والهامات : الرءوس . والمغانى : جمع مغنى وهو المنزل يغنى — يقيم — به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتائب ديار الملوك حتى قتلتهم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون الملوك ، فيكون الضمير فى هاماتهم للعمائر ويكون المعنى : غزوت العمائر دون الملوك لأن الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تغشى : تأتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشىء : استنكف واستكبر يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) الكريهة : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت — صنعت — الهند سيفين فجعلتهما سواء فى الحدة والمضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ، ولنسله صلة القول . يقول : لورآك سام بن نوح من لسكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ الرئيس . قال الجواليقى : واصطلحت العامة إذا عظموا الخصى أن يخاطبوه بالأستاذ وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع — وقد حرفت فى مصر إلى الأسطى —



دعته فلباها إلى المجد والعلا وقد خالف الناس النفوس الدواعيا(١)
فأصبح فوق العالمين يرونه وإن كان يدنيه التكرم نائيا(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتسم إليه الأسود ونهض فلبس نعلا فرأى أبو الطيب شقوقاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجوه :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا(٣)
أمينا وإخلافا وغدراً وخسة وجبنا أشخصا لحت لي أم مخازيا(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ فى حسن الأدب . وأقصاه : أبعده ، ونفس : عطف على ربه يقول : إن الذى ذكرته من مناقبه مدى بلغه الله غايته ونفسه التى تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دعته : أى النفس ، و « إلى » متعلق بدعته أو لباها على طريق التنازع يقول دعته نفسه إلى المجد فلباها وأجابها ، أما غيره فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛ لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها هو ، فغيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نائياً : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكرمه يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوؤها فقريب .

(٣) الخافى : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما فى نفسى من البغض لك والكراهة لقصدك لكنت أريك الرضى ولكنى لست براض عن نفسى فى قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك فى حقى .

(٤) المين : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة بعوامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى أتمين مينا وتخلف إخلافا وتغدر غدراً ، وهلم جرا ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال : خزى الرجل يخزى خزياً : إذا وقع فى بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال فى الحياء : خزى يخزى خزاية وخزيت فلانا إذا استحييت منه ، ورجل خزيان وامرأة خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :



تَظُنُّ ابْتِسامَاتِى رَجاءً وَغِبْطَـةً ... وَمَا أَنَا إِلاَّ ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا[1]
وَتُعْجِبُنِي رِجْلاَكَ فى النَّعْلِ إِنَّنِي ... رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنتَ حَافِيَا[2]
وَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى أَلَوْنُكَ أَسْوَدٌ ... مِنَ الجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا[3]
وَيُذْكِرُنِى تَخْيِيطُ كَعْبِكَ شَقَّهُ ... وَمَشْيَكَ فِى ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا[4]

فَخالطَ سَهْلَ الأرْضِ لم يَكْدَحِ الصفا ... به كَدْحةً والموتُ خَزيان ينظر[1]

يقول : أتجمع بين هذه المخازى ؟ كما تقول العرب أحشفا وسوء كيلة : أى أتجمع بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أأنت شخص ظهرت لى أم مخاز ؟ أى كأنك مخاز ومقابح لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغبطة : المسرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامى رجاء لك وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائى لمثلك ومثلك لا يرجى .

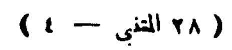
(٢) يقول : إنى أتعجب منك إذا كنت ناعلا لأنى أراك إذا كنت حافيا ذا نعل لغلاظ جلد رجليك ، وقوله تعجبنى : استحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس النعال تشبها بالمترفين كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجليك نعالا ، وإنى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأنى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدرى لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت به وقت ما كنت مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عارياً ، وقوله فى ثوب من الزيت : فقد ذكروا أن مولاه كان زياتاً وأن الأسود كان يحمل الزيت عارياً ويمشى متلطخاً به فكأنه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع السواد زيتيا ، أى أنت فى حال كونك عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضوح بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط وشقه : مفعول ثان ليذكر ، ومشيك عطف عليه .

---

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .





وَلَوْلاَ فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحاً بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا(١)
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُوراً بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيَا(٢)
فَإِنْ كُنْتَ لاَ خَيْراً أَفَدْتَ فَإِنَّنِي أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرَيْكَ المَلاَهِيَا(٣)
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلاَدٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدَادِ البَوَاكِيَا(٤)

---

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك فى سرى وإن مدحتك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لاتفطن لذلك ولا تفرق بين المديح والهجاء ، ولكن الناس فيهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أتاك به هجاء لامديح .

(٢) هذا تفريع على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحا وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبيهتين بمشفرى البعير فى الغلظ ، وأفدت فى المصراع الثانى : إما بمعنى استفدت ، وإما على معنى أفدت نفسى فيكون المفعول الأول مقدراً . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تفدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإنى استفدت الملاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى الملاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثاكلات اللابسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثاكلات — حزنا ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور. يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتتجلى به النساء الثاكلات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلهون بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ماذكره فى الأبيات قبله. قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ماكان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه الكافورية :

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لقد كُنْتُ أرجو أنْ أراكَ فأَطْرَبُ

تم الديوان والشرح بعون الله وتوفيقه





فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام

مطلع القصيدة :

قافية الميم

مطلع القصيدة : الصفحة

قافيـة النون

قافية الهاء

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت
لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء فى صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لذى الرمة:

فجاءتْ بِنَسْجِ العنكبوت كأنه عَلَى عَصَوَيْها سابِرِىٌّ مُشَبْرَقُ

وهنا سقطت هذه الكلمة التى يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا « مشبرق : ممزق »

* * *

وجاء فى صفحة ١٣٩ ج أول:

ما زلت أسعى معهم وأختلط حتى إذا جاء الظلام المختلط

* جاءوا بِضَيْحٍ هل رأيت الذئبَ قط *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا الرجز بما يأتى :

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للعجاج وقد رواه المبرد فى الكامل على هذا الوجه :

بِتْنَا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَئِطْ مازِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ جَاءوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ

وروى بعضهم بعد قوله بتنا بحسان ومعزاه تئط هذا البيت :

تَلْحَسُ أُذْنَيْهِ وحيناً تمتخطْ فى سَمَنٍ مِنْهُ كَثِيرٍ وَأَقِطْ

وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان وتئط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ، وفى سمن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الميم وفتحها هنا للضرورة والأقط: اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، والضمير فى بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ، وأسعى بينهم : أى أتردد إليهم ، واختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل على كمال شحهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم ، أما التبط فى

الرواية الأخرى فمعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسوبه حتى «إذا جن الظلام واختلط» غاية لقوله أسعى وألتبط ؛ يريد ستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ فى أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعد مسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء فى صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكَرُّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

وصحة البيت هكذا :

أَكَرَّ وَأَحْمَـــى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابى قالها فى الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لِأَسْمَاءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلاَّ رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا

« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام فى الحماسة أربعة أبيات وهى :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا فَوَارِسَا

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْـــلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِى وَالرِّمَاحَ الْمَدَاعِسَا

إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكُرُّهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلاَّ عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة فى كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم — ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من كبار مرادستة ، وقتل من بنى سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التى على السين وهى إحدى المنصفات ... وقوله فلم أر مثل الحى الخ أراد بالحى المصبح بنى زبيد بن مراد قال المرزوقى : أى لم أر مغارا عليه كالذين صبحناهم ولا مغيرا مثلنا يوم لقيناهم فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حيا مصبحا على التميز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا فى موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالمصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زبيد والثانى إلى عشيرته

وأصحابه ، والمراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار. قال ابن الحاجب قوله أكر وأحمى ألخ تبيين لما ادعاه فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم لئلا يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تمييزا ، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعلا غير تمييز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لحيا مصبحا وأضرب منا صفة للفوارسا وقوله : إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح المعدة للطعن فالمراد بالمداعس الرماح الطاعنة، وفرس مذكى : تم سنه وكملت قوته وقوله إذا الخيل جالت الخ أى إذا الخيل دارت عن مصروع منا كررنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقنعنا ذلك منهم بل نكرها عليهم لمثله وإن كرهت الكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالح .

وجاء فى صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثانى هكذا :

قَطُّ لاَ يُدْفَعُ عَنْ سَبْقٍ عِرَابِ

وصوابها :

غَيْرُ مُدفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ العِرابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوى طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح البيت وهذا هو : هذا :وقد قال أبو حيان فى تذكرته إن هذا البيت فى الإعراب نظير بيت أبي نواس :

غَـــــيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنٍ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالحَزَنِ

قال ابن حيان : فـ«العراب»مرفوع بمدفوع، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير التقدير ، العراب غير مدفوع عن السبق ، والعراب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره . وإليك آراء النحاة فى إعراب غير ، قال ابن هشام فى المغنى: فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه (١) مرفوع يغنى عن الخبر،وذلك لأنه فى معنى النفى ، والوصف بعده

---

(١) لمـا : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أى بل للاسم الذى أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد



مخفوض لفظا وهو فى قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مامأسوف على زمن ينقضى مصاحبا للهم والحزن ، فهو نظير مامضروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن الشجرى وتبعه ابن مالك ، والثانى : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضى بالهم والحزن غير مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور فأتى بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جنى وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو فى مثل هذا ممتنع ، قلنا : فى النثر ـ هذا شعر فيجوز فيه كقوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى أنا ابن رجل جلا الأمور وقوله .

* تَرْمِي بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمِي الْبَشَرْ *

أى بكفى رجل كان والثالث : أنه خبر لمحذوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالمعسور والميسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفته ، قاله ابن الخشاب ، وهو ظاهر التعسف .

* * *

وجاء فى صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ ... رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرْ

جاء فى شرحه أنه للحسن بن عرفطة وصوابه أنه لحسيل بن عرفطة وجاء فى شرحه أيضا هذا البيت هكذا :

بآية ما وقفت والركاب ... وبين الحجون وبين السرر

وصوابه هكذا :

بآية ما وقفت والركا ... بِ بين الحجون وبين السرر

وإذن يجب أن ما يذكر فى شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيَّرَ الْجِدَّةَ مِنْ عِرْفَانِهِ ... خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطَرْ

والبيتان لشاعر جاهلى يسمى حسيل بن عرفطة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب مقتضى الحكمة ، أى ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الداثر ، وهاج هنا متعد بمعنى أثار ، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق فى بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف أى هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعفى مبالغة عفا أى درودرس ، والسرر موضع والجدة : مصدر جد الشىء يجد جدة خلاف القديم ، والعرفان المعرفة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهى الريح التى تتخرق فى الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

***

وجاء فى صفحة ١٩ ج ثانى هذا البيت :

وقد أدركتنى والحوادثُ جَمّةٌ أسِنة قومٍ لا ضعافٍ ولا عُزْلِ

وقد فاتنا التعليق عليه كوكدنا فى مثله ،وهذا هو التعليق الذى يجمل أن يوضع فى موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابى فى أوراقه إنها لرجل من بنى دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدهم إياها أطلقوه وقبله » :

وقائلة ما بالهُ لا يَزُورُنا وقد كُنتُ عن تلك الزيارةِ فى شُغلِ

وبعده .

لعلهم أن يُمطِرُونى بِنعمةٍ كما صابَ ماءُ المزْنِ فى البلدِ المَحلِ

فقد يُنعِشُ اللهُ الفتى بعد عثرةٍ وَتَصْطَنِعُ الحُسنَى سَرَاةُ بنى عِجلِ

***

وجاء فى صفحة ١٠٠ ج ثمان هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة بدون شرح :

قلت إذ أقبَلَتْ وَزُهرٌ تهادَى كنعاج الفلاَ تعسّفنَ رَمْلاَ

وهذا هو شرحه الذى يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها فى حميدة جارية ابن ماجة ومطلعها :

حَمل القلبُ من حميدةَ ثِقلا إنّ فى ذاكَ للفؤادِ لَشغلاَ

وبعد بيت الشاهد :

قد تنقّبْنَ بالحريرِ وأبدين عيونا حُورَ المدامع نجلا

والزهر : جمع زهراء وهى البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشيا رويداً بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها فى سكون المشى فى الرمل ، وتعسفن : ركبن ، وإذا مشت فى الرمل كان أسكن لمشيها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا » هى الفلاة الواسعة .



وجاء فى صفحة ٢٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخا على كرسيه مُعَمَّما

وإليك شرحه الذى فاتنا أن نضعه فى مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعاد طبعه وضع هذا الشرح فى مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة أو ردها أبو محمد الأعرابى فى ضالة الأديب ـ كما ذكره البغدادى فى الخزانة ـ وأولها :

عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَرْعَ قُفًّا أَدْرَمَا وَلَمْ تُعَجِّمْ عُرْفُطًا مُعَجَّمَا

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكُفِّ الحَالِبِينَ كُلَّمَا

شَدَّ عَلَيْهِنَّ البَنَانَ الْمُحْكَمَا سَحِيفُ أَفْعَى فى خَشِىٍّ أَعْشَمَا

وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قُيَّمَا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابَ الزُّمَّمَا

وَقِمَعًا يُكْسَى ثُمَالاً قَشْعَمَا يَحْسَبُهُ الجَاهِلُ مَالَمْ يَعْلَمَا

شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا

لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمَا .... إلى آخر الأبيات

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع، من الرعى والقفف : ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ، والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تعضغ والعرفط كقنفذ شجر من أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت درتها بصوت أفاع فى خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج من الضرع ، وهمى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على تقدير اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أفعى : خبر كأن والسحيف الصوت والأفعى : الحية ، والخشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيما جمع قائمة والقياس قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى ملء مثنى الوطاب والمثنى هنا بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب وهو سقاء اللبن خاصة . والزمم جمع زام من زم القربة ملأها، والقمع آلة تجعل فى فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغوة ، وكل شىء يكون ضخما فهو قشعم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ومفعوله محذوف ضمير الثمال وشيخا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف، ولم يصب الأعلم الشنتمرى

شارح شواهد سيبويه فى قوله : وصف جبلا قد عمه الخصب وحفه النبات وعلاه فجعله كشيخ مزمل فى ثيابه معصب بعمامته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه أبان أى لو أن ذلك الثمال الذى يشبه الشيخ أبان أى أفصح عما فى نفسه لكان إياه أى لكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٥٦٩ ط أميرية » .

وجاء فى صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

* * *

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ

وقد فاتنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذى يجمل أن يوضع فى موضعه « البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بغاث الطير وبغاثها : ألائمها وشرارها ومالا يصيد منها ، وقيل الضعيف من الطير والمقلات : التى لا يعيش لها ولد ، وقيل هى التى تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلتت المرأة إقلاتافهى مقلت ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والنزور : القليلة الولد »

* * *

وجاء فى صفحة ٢٩٥ ج ٢ مايأتى :

« وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبى :

أَتَوْا نَارِى فقلت مَنُون أَنْتُمْ فقالوا الجنُّ قلتُ عِمُوا ظلاما

. . . . إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبى » لا « شمر » ويوضع فى الشرح ما يأتى :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شراً ، وقيل للفرزدق وقيل شمر الغسانى وأول هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَضَأْتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ بِدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

سِوى تَرْحِيل رَاحِلَة وَعَين أُكالئها مَخافة أَنْ تَنَاما

أتوا نارى . . . . الأبيات

وبعدها :

أمِطْ عنّا الطعامَ فإنّ فيه لآكله النَّقاصَةَ والسَّقاما

يصف قائلها نفسه بالجرأة واقتحام المهالك . يقول : رب نار قد حضأتهــا — أى أوقدتها وسعرتها —وبعيد تصغير بعد، والوهن والموهن: نحو من نصف الليل—أى أوقدتها في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل عين أ كالئها — أى أحافظها — فأنا أحفظها من النوم وهي تحفظني من العدو ، ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلاما : أى تنعموا في وقت الظلام ، وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ، والنقاصة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

* * *

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلمُوتِ وابْنُوا لِلخرَابْ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا المصراع من أبيات نسبت إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه » وهي :

عَجِبْتُ لِجَازِعٍ بَاكٍ مُصَابْ بِأَهْلٍ أَوْ حَبِيب ذى اكْتِئَابْ

شَقِيقِ الْجَيْبِ دَاعِى الوَيْلِ جهلاً كَأَنَّ الموْتَ كَالشَّىْء العُجاب

وَسَوَّى اللهُ فِيه الْخَلْقَ حَتَّى نَبِيَّ اللهِ عَنْهُ لَمْ يُحَابْ

لَهُ مَلَكٌ يُنَادِى كُلَّ يَوْم لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرابْ

يحاب أى يحابى . يقال حاباه : أى خصه . قال البغدادي : ورأيت أيضاً في جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض الملائكة قال :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابْ فَــكُلُّكُمُ يَصِيرُ إلى ذَهَابِ

* * *

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيهن بِالْقَاعِ القَرِقْ أَيْدِى نِساء يَتَعاطَيْنَ الْوَرِق

وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالقَاعِ القَرِقْ أَيْدِى جَوَار يَتَعاطَيْنَ الْوَرِق

ويزاد فى شرحه مايلى : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يتناول بعضهن بعضا ، والورق : الدراهم ، وقال الشريف المرتضى فى أماليه : القرق الخشن الذى فيه الحصى ، وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : المستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤبة بن العجاج قال البغدادى : ولم أرهما فى ديوانه .
